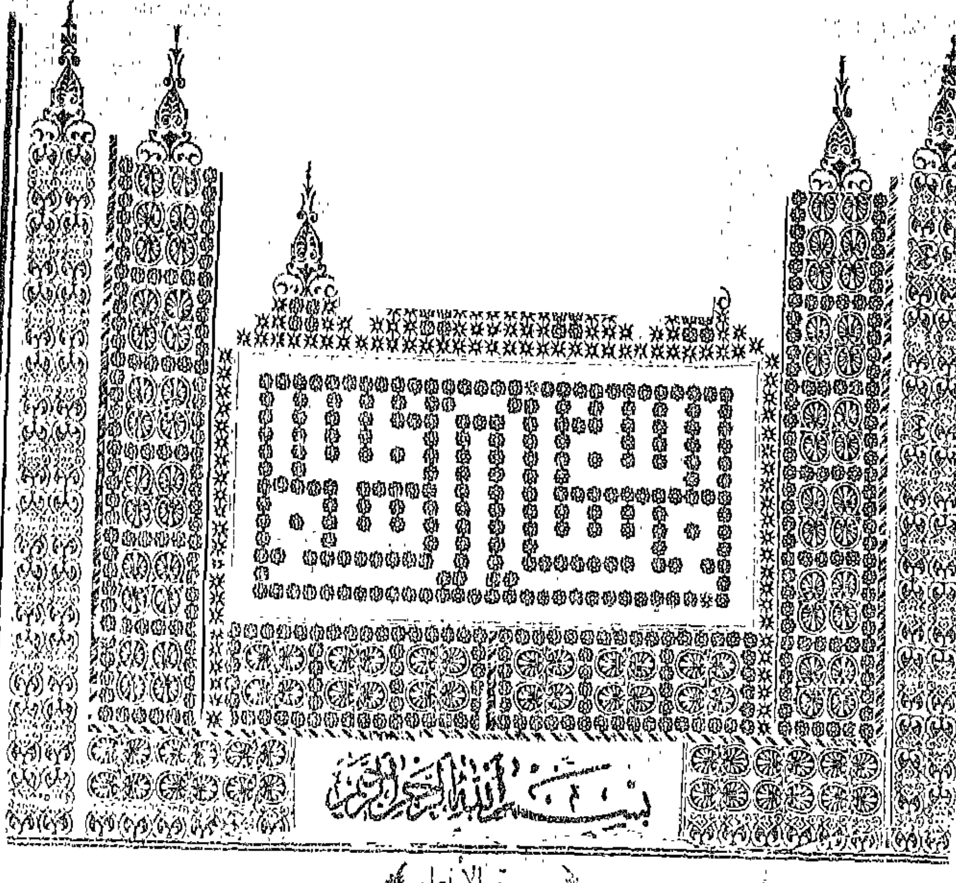
الجزء الثاني

من حاشية العالم العلامة العارف بالله
تعالى الشيخ أحمد الصاوى
المالكى على تفسير
الجلالين نفعنا الله
بهم أجمعين
آمين

﴿ محل بيعه بمكتبة ملتزمه حضرة الشيخ [illegible] شريف ﴾
﴿ الكائنة قريبا من الجامع الازهر بمصر ﴾

﴿ الطبعة الثانية ﴾
بالمطبعة العامرة الشرفية لصاحبها ومديرها
حضرة السيد حسين افندى شرف



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة الأنعام﴾

﴿سورة الانعام﴾

مكية الا وما قدروا الله الآيات الثلاث والا قل تعالوا الآيات الثلاث وهى مائة وخمس أو ست وستون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد) وهو الوصف بالجميل ثابت (لله) وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به أو الثناء به أو هما احتمالات أفيدها الثالث قاله الشيخ فى سورة الكهف (الذى خلق السموات والارض) خصهما بالذكر لانهما أعظم المخلوقات للناظرين (وجعل)

سميت بذلك لذكر الانعام فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وهذه السورة نزلت جملة واحدة ماعدا الست آيات ونزل معها سبعون ألف ملك ولهم زجل بالتسبيح ونزلت ليلا فأمر صلى الله عليه وسلم بكتابتها حينئذ وحين نزولها صار صلى الله عليه وسلم يسبح ويسجد حينئذ وكل ذلك تعظيما لشأنها لان ما اشتملت عليه من التوحيد وعدة جملة من الرسل وتبين الحلال من الحرام فى الانعام لم يوجد فى غيرها وورد أنها فاتحة التوراة وخاتمتها قيل آخرها هود وقيل آخر الاسراء وفيها آية نزلت ومعها أربعون ألف ملك وهى وعنده مفاتح الغيب الآية * وعن جابر أن رسول الله قال من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الانعام الى ويعلم ما تكسبون وكل الله له أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فاذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحى فى قلبه شيأ ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجابا فاذا كان يوم القيامة قال الله امش فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى وكل من ثمار جنتى واشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل فأنت عبدى وأنا ربك (قوله الآيات الثلاث) أى الى قوله تستكبرون (قوله والا قل تعالوا) أى الى قوله لعلكم تتقون هكذا مشى المفسر (قوله وهو) أى الحمد بالمعنى اللغوى وأما بالمعنى الاصطلاحى فهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره (قوله الوصف بالجميل) زاد بعضهم على جهة التعظيم والتبجيل لاخراج التهكم كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قوله ثابت) قدره اشارة الى أن لله جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدا الذى هو الحمد (قوله وهل المراد به الاعلام بذلك) أى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى وقوله أو الثناء به أى فهى خبرية لفظا انشائية معنى (قوله أو هما) أى فهى مستعملة فى حقيقتها ومجازها فالقصد اعلام العبيد للايمان به وانشاء الثناء به وهذا هو حمد القديم للقديم وأل فى الحمد يصح أن تكون للاستغراق أو الجنس أو العهد واللام فى لله للاستحقاق (قوله قاله الشيخ) أى الجلال المحلى (قوله الذى خلق) صفة لله وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية كأنه قيل الوصف بالجميل ثابت له لانه

الخالق للسموات والارض والمراد بالسموات ما علا فيشمل العرش والمراد بالارض ما سفل فيشمل ما تحتها
وقدم السموات لانها أشرف من الارض لكونها مسكن المطهرين لا غير والارض وان كان فيها الانبياء
لكنها احتوت على الاشرار والمفسدين ولانها سابقة على الارض كما في سورة النازعات قال تعالى أأنتم أشد
خلقا أم السماء بناها الى أن قال والارض بعد ذلك دحاها ولا منافاة بين آية فصلت وبين آية النازعات فان
الارض خلقت أولا ثم خلقت السموات من دخان كما دلت عليه آية فصلت ثم بنى السماء ورفعها وأغطش
ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها وانما جمع السموات لاختلاف أجناسها فان الاولى من
موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة
والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء * وأما الارض وان كانت سبعا أيضا الا انها من جنس واحد
* واختلف هل الارض مداد وهو الصحيح فالتعدد باعتبار اقطارها وقيل طباق كالسماء وأما السماء
فهي طباق باتفاق (قوله خلق) أشار بذلك الى أن جعل بمعنى خلق فتنصب مفعولا واحدا (قوله أي كل
ظلمة) أي حسية كظلمة الليل والاجرام الكثيفة أو معنوية كالشرك والمعاصي (قوله ونور) أي حسي
كالشمس والقمر والنجوم ومعنوي كالاسلام (قوله لكثرة أسبابها) أي الظلمة وأما النور فسببه واحد
لا يتعدد لانه اما معنوي وسببه الاسلام أو حسي وسببه النار (قوله ثم الذين كفروا) ثم للترتيب الرتبي أي
فبعد أن عرفوا الحق سووا به غيره فهو استبعاد لما وقع منهم (قوله بربهم) يحتمل انه متعلق بكفروا وقوله
يعدلون مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله غيره ومعناه التسوية كما قاله المفسر ويحتمل ان بربهم متعلق
بيعدلون والباء بمعنى عن والتقدير يميلون عن ربهم لغيره من العدول وهو الميل عن طريق الهدى (قوله
هو الذي خلقكم) هذا من جملة الادلة على كونه مستحقا للحمد كأنه قيل الوصف بالجميل لله لا لغيره لانه
خالق السموات والارض والظلمات والنور ولانه خلقكم الخ (قوله من طين) من لابتداء الغاية أي
مبتدأ انشائكم من طين (قوله بخلق أبيكم آدم منه) دفع بذلك ما يقال انهم مخلوقون من النطفة لا من الطين
فاجاب بأن الكلام على حذف مضاف وذلك الطين الذي خلق منه آدم فيه من كل لون وعجن بكل ماء فخلق
الله أولاده مختلفة الالوان والاخلاق فاختلاف الالوان من اختلاف ألوان طينة أبيهم واختلاف الاخلاق
من اختلاف المياه التي عجنت بها تلك الطينة فما من أحد الا وله جزء يسري له من أبيه فالطبائع والاخلاق
أصلها من آدم فنسبة الطين لاولاده باعتبار نشأتها منه وسريانها فيهم وقيل لا حذف في الآية بل كل انسان
مخلوق من الطين لانه ورد ما من مولود الا ويذر على نطفته شيء من تراب تربته فالنطفة عجنت بذلك
التراب فصدق على كل انسان أنه مخلوق من الطين وقيل انه من الطين باعتبار أن النطفة ناشئة عن الغذاء
وهو ناشئ عن الطين (قوله ثم قضى) يصح ان يكون بمعنى أظهر فثم للترتيب الزماني أي فبعد تمام خلقه
يظهر أجله للملك الموكل بالرحم أو بمعنى قدر فثم للترتيب الذكري لان التقدير هو الارادة المتعلقة بالاجل
أزلا فهي متقدمة على وجوده فالترتيب في الذكر فقط واعلم أن كل انسان له أجلان أجل ينقضي بموته
وأجل ينقضي ببعثه فابتداء أجل الموت من حين وجوده وابتداء أجل البعث من حين موته ومجموع
الاجلين محتم لا يزيد ولا ينقص وما ورد من زيادة العمر للبار الواصل للرحم ونقصه للعاصي القاطع للرحم
قيل محمول على البركة وعدمها وقيل يتداخل أحدهما في الآخر فالطائع يزاد له في أجل الدنيا وينقص من
أجل البرزخ وبالعكس للعاصي وبه فسر قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب
ويؤيد ذلك ما حكي أن داود عليه السلام كان له صديق قد دنا أجله فاخبره جبريل بانه لم يبق من أجله
الا خمسون يوما فاخبر داود صديقه بذلك فتأهب حتى اذا جاء اليوم المتمم للخمسين أخذ غداءه وذهب لداود
ليودعه فمر بفقير فاعطاه غداءه فنزل جبريل على داود وأخبره أن الله زاد في عمره خمسين سنة بسبب صدقته في
ذلك اليوم فلما ذهب اليه وجده مسرورا فأخبره بذلك (قوله وأجل مسمى عنده) أجل مبتدأ ومسمى
صفته وعنده خبره وأضيف له سبحانه لانه لا يعلم انتهاءه أحد غيره وأما أجل الدنيا فهو في علم الملك وبانقضائه
يظهر للمخلوقات أيضا (قوله لبعثكم) أي ينتهي اليه وما وراء ذلك لا نهاية له (قوله ثم أنتم تمترون) أي

خلق (الظلمات والنور) أي كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا من دلائل وحدانيته (ثم الذين كفروا) مع قيام هذا الدليل (بربهم يعدلون) يسوون غيره في العبادة (هو الذي خلقكم من طين) بخلق أبيكم آدم منه (ثم قضى أجلا) لكم تموتون عند انتهائه (وأجل مسمى) مضروب (عنده) لبعثكم (ثم أنتم) أيها المشركون (تمترون) تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الابتداء

ثم بعد ظهور تلك الآيات العظيمة تشكون في البعث وتنكرونه وأفاد المفسر أن هذه الآية رد لما أنكروه من البعث وما قبلها رد للشرك الواقع من الكفار (قوله فهو على الاعادة أقدر) هذا بحسب العادة الجارية بان القادر على الابتداء قادر على الاعادة بالاولى والا فالكل في قبضة قدرته سواء لا مزية للاعادة على الابتداء لانه اذا أراد شيأ قال له كن فيكون (قوله وهو الله) مبتدأ وخبر والضمير عائد على المتصف بالاوصاف المتقدمة وفي السموات وفي الارض متعلق بوصف تضمنه ذلك العلم لان الله موضوع للذات الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد فيكون المعنى وهو الله المستحق للعبادة في السموات الخ وهذا ما درج عليه المفسر وبذلك يجاب عن آية وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقيل متعلق بنعت محذوف تقديره وهو الله المعبود في السموات الخ على حد قول ابن مالك

* وما من المنعوت والنعت عقل * يجوز حذفه وقيل متعلق بيعلم والتقدير يعلم سركم وجهركم في السموات والارض وقيل متعلق بسركم وجهركم ولكن يلزم عليه تقديم معمول المصدر عليه الا أن يقال يغتفر في الظرف وشبهه والمجرورات ما لا يغتفر في غيرها (قوله ويعلم ما تكسبون) ان قلت ان الكسب لا يخرج عن السر والجهر والعطف يقتضي المغايرة أجيب بان المراد بالكسب ما يترتب عليه من الثواب والعقاب والمعنى يعلم أفعالكم وأقوالكم السرية والجهرية ويعلم جزاءها من ثواب وعقاب (قوله وما تأتيهم من آية) كلام مستأنف بيان لزيادة قبحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات (قوله من آيات ربهم) من تبعيضية والآيات يحتمل ان يكون المراد بها القرآن فاتيانها نزولها على رسول الله وعليه اقتصر المفسر أو الكونية كالمعجزات فالمراد باتيانها ظهورها والاحسن ان يراد ما هو أعم (قوله الا كانوا عنها معرضين) الجملة حالية من الضمير في تأتيهم وقوله معرضين ضمنه معنى نافرين فعداه بعن والا فالاعراض بمعنى الترك لا يتعدى بعن (قوله فقد كذبوا) تفريع على ما قبله وتفصيل لمضمنه (قوله بالقرآن) أي وغيره من بقية المعجزات (قوله لما جاءهم) ظرف لقوله كذبوا (قوله فسوف يأتيهم) وعيد عظيم مرتب على تكذيبهم وهو لا يتخلف لان وعيد الكفار وعد حسن للمؤمنين فهو وعد باعتبار ووعيد باعتبار آخر فلهم تخلفه باعتبار كونه وعدا قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين (قوله أنباء) جمع نبأ وهو الخبر العظيم المزعج وجمعه اشارة الى تكرر الجزاء لهم في الدنيا ويوم القيامة (قوله ما كانوا به يستهزؤن) ما اسم موصول وكانوا صلته والمعنى فسوف يأتيهم جزاء الذي كانوا يستهزؤن به في العاجل بالقتل والاسر والآجل بالعذاب الدائم في النار (قوله ألم يروا) هذا اخبار من الله ببذل النصح لهم ومع ذلك فلم يهتدوا والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا ورأى اما بصرية وعليه درج المفسر حيث قال في أسفارهم الى الشام وغيرها وعليه فقوله كم أهلكنا سادة مسد مفعولها أو علمية فتكون الجملة سادة مسد مفعوليها والاحسن الاول (قوله وغيرها) أي كاليمن فانه كان لهم رحلتان رحلة في الصيف للشام ورحلة في الشتاء لليمن كما يأتي في سورة قريش (قوله خبرية) أي وهي مفعول مقدم لاهلكنا (قوله من قبلهم) أي قبل وجودهم أو قبل زمانهم فالكلام على حذف مضاف (قوله من قرن) بيان لكم والقرن يطلق على الامة وعليه درج المفسر ويطلق على الزمان واختلف في حده فقيل مائة سنة وهو الاشهر وقيل مائة وعشرون وقيل ثمانون وقيل ستون وقيل أربعون وقيل غير ذلك (قوله مكناهم) وصف القرن وجمعه باعتبار معناه لان القرن اسم جمع كرهط وقوم لفظه مفرد ومعناه جمع (قوله بالقوة والسعة) أي في الدنيا حتى صار واذوي شهامة وغنى عظيم ومع ذلك لم تغن عنهم أموالهم ولا أنفسهم من الله شيأ (قوله فيه التفات عن الغيبة) أي ونكتته الاعتناء بشأن المخاطبين حيث خاطبهم مشافهة (قوله وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) وصف ثان للقرن وقوله وجعلنا الانهار وصف ثالث له والمعنى أن من مضى من قبلكم من الامم أعطيناهم القوة الشديدة في الجسم والسعة في الاموال والاولاد ومع ذلك فلم ينفعهم من ذلك شئ فلا تأمنوا سطوتي بالاولى منهم قال الشاعر

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكا * جنوده ضاق عنها السهل والجبل

فهو على الاعادة أقدر (وهو الله) مستحق للعبادة (في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم) ما تسرون وما تجهرون به بينكم (ويعلم ما تكسبون) تعملون من خير وشر (وما تأتيهم) أي أهل مكة (من) زائدة (آية من آيات ربهم) من القرآن (الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق) بالقرآن (لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء) عواقب (ما كانوا به يستهزؤن ألم يروا) في أسفارهم الى الشام وغيرها (كم) خبرية بمعنى كثيرا (أهلكنا من قبلهم من قرن) أمة من الامم الماضية (مكناهم) أعطيناهم مكانا (في الارض) بالقوة والسعة (ما لم نمكن) نعط (لكم) فيه التفات عن الغيبة (وأرسلنا السماء) المطر (عليهم مدرارا) متتابعا (وجعلنا الانهار تجري من تحتهم) تحت مساكنهم (فأهلكناهم بذنوبهم) تكذيبهم الانبياء

(قوله وأنشأنا من بعدهم قرنا) كلام مستأنف دفع به ما يقال حيث هلك من هلك فقد خرب الكون فأجاب بأنه كلما أهلك جماعة أتى بغيرهم فانه قادر على ذلك والقادر لا يعجزه شئ (قوله قرنا) هنا بالافراد وفي بعض الآيات بالجمع والمعنى واحد فان المراد به الجنس وجمع آخرين باعتبار معنى القرن (قوله ولو نزلنا) شروع في بيان زيادة كفرهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم ايمانهم به وهو رد لقول النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومعه أربعة من الملائكة يشهدون بأنك صادق (قوله مكتوبا) اشارة الى أنه أطلق المصدر وأراد اسم المفعول (قوله قرطاس) القراءة بكسر القاف لا غير ويجوز في غير القرآن فتح القاف وضمها ويقال قرطاس كجعفر ودرهم ما يكتب فيه مطلقا ورقا أو غيره فتفسيره له بالرق بفتح الراء على الافصح تفسير بالأخص (قوله كما اقترحوه) أي اخترعوه من الآيات (قوله ان هذا الا سحر مبين) ان نافية بمعنى ما وهذا مبتدأ وسحر خبره ومبين صفته والجملة مقول القول (قوله وقالوا لولا أنزل عليه ملك) هذا من جملة عنادهم وكفرهم (قوله فلم يؤمنوا) مرتب على قوله ولو أنزلناه ومن تتمة الشرط والمعنى أن الله لو أجابهم بانزال ملك ولم يؤمنوا لاهلكهم كمن قبلهم مع أنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فعدم اجابتهم رحمة بهم (قوله ولو جعلناه ملكا) رد لقولهم هلا كان رسولنا من الملائكة لا من البشر (قوله أي على صورته) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف أي صورة رجل فالشبه في الصورة فقط (قوله اذ لا قوة للبشر على رؤية الملك) أي ولذلك كان يأتي الانبياء على صورة رجل ولم ير الملك على صورته الاصلية أحد من البشر الا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض عند غار حراء ومرة في السماء عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء (قوله وللبسنا) جعله المفسر جواب شرط محذوف والواو داخلة على فعل الشرط المحذوف قدره بقوله ولو جعلناه رجلا والمناسب للمفسر الاقتصار على ذلك ويحذف قوله ولو أنزلناه ولبس بفتح الباء يلبس بكسرها خلط يخلط والتبس اختلط واشتبه وأما لبس بكسر الباء يلبس بفتحها سلك الثوب في العنق (قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي فلا تحزن واصبر على أذاهم فان الله كافيك شرهم (قوله فكذا يحيق بمن استهزأ بك) أي لكن لا على الوجه الذي حاق بهم من عموم العذاب بل بأخذ المتمرد بخصوصه وقد فعل الله له ذلك قال تعالى انا كفيناك المستهزئين (قوله قل سيروا في الارض) هذا استشهاد على ما تقدم كأنه قيل ان لم تصدقوا واخبر ربكم بأنه حاق بالذين سخروا وكذبوا أنبياءهم العذاب فسيروا وعاينوا آثارهم (قوله ثم انظروا) أتى بثم لانه لا يحسن التفكر والاستدلال ولا يتم الا بعد تمام السير ومعاينة الآثار (قوله كيف) اسم استفهام خبر كان وعاقبة اسمها وانما قدم الخبر عليها وعلى اسمها لان اسم الاستفهام له الصدارة (قوله لتعتبروا) أي تتعظوا فالسير والتفكر يحصل الاستدلال والنور التام ومن هنا اتخذت الصوفية السياحة لان من جملة ما يعين على الوصول الى الله والترقي الى المعارف النظر والتفكر في مصنوعاته قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (قوله قل لمن ما في السموات والارض) الجار والمجرور خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وفي السموات والارض صلة الموصول والاصل قل ما في السموات والارض لمن وانما قدم الخبر لان اسم الاستفهام له الصدارة وهذه حجة قاطعة لا يمكن ردها أبدا (قوله قل لله) أي تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (قوله لا جواب غيره) في معنى التفريع أو التعليل فالمناسب أن يقول فلا أو لانه لا جواب غيره (قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي ألزم نفسه الرحمة لانه وعد بها ووعده لا يتخلف فهي واجبة شرعا لا عقلا والرحمة هي النعمة وهي عامة لكل مخلوق في الدنيا قال تعالى ورحمتي وسعت كل شئ فمن رحمته امهال العصاة والكفار وترادف الرزق عليهم وأما بعد استقرار الخلق في الدارين فتختص الرحمة بأهل الجنة ويختص غضب الله بأهل النار (قوله فضلا منه) رد بذلك على المعتزلة القائلين بأن الرحمة واجبة عقلا على الله يستحيل تخلفها اذ هو نقص والنقص عليه محال (قوله وفيه تلطف في دعائهم

(وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (في قرطاس) رق كما اقترحوه (فلمسوه بأيديهم) أبلغ من عاينوه لانه أنفى للشك (لقال الذين كفروا ان) ما (هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا) هلا (أنزل عليه) على محمد صلى الله عليه وسلم (ملك) يصدقه (ولو أنزلنا ملكا) كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لقضي الامر) بهلاكهم (ثم لا ينظرون) يمهلون لتوبة أو معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من اهلاكهم عند وجود مقترحهم اذا لم يؤمنوا (ولو جعلناه) أي المنزل اليهم (ملكا لجعلناه) أي الملك (رجلا) أي على صورته ليتمكنوا من رؤيته اذ لا قوة للبشر على رؤية الملك (و) لو أنزلناه وجعلناه رجلا (للبسنا) شبهنا (عليهم ما يلبسون) على أنفسهم بأن يقولوا ما هذا الا بشر مثلكم (ولقد استهزئ برسل من قبلك) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فحاق) نزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قل) لهم (سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا (قل لمن ما في السموات والارض قل لله) ان لم يقولوه لا جواب غيره (كتب) قضى (على نفسه الرحمة) فضلا منه وفيه تلطف في دعائهم

الى الايمان) أى فى ذكر الرحمة بهذا العنوان ولا تقنطوا بل اذا أتيتم قبلكم (قوله ليجمعنكم) اللام موطئة
لقسم محذوف وهو كلام مستأنف مؤكد بالقسم والنون اشارة الى أن ذلك الامر لابد منه (قوله الى يوم القيامة)
يحتمل أن الى على بابها متعلقة بمحذوف تقديره ليجمعنكم فى القبور ويحشرنكم الى يوم القيامة ويحتمل
أنها بمعنى اللام أو فى أو زائدة (قوله لا ريب فيه) أى فى الجمع يوم القيامة أو فى يوم القيامة الذى يحصل فيه
الجمع (قوله الذين خسروا أنفسهم) الذين مبتدأ وخسروا صلته وأنفسهم مفعول لخسروا وقوله فهم لا يؤمنون
مبتدأ وخبر والجملة خبر المبتدا ان قلت ان ظاهر الآية ان عدم الايمان مسبب عن الخسران مع ان الخسران
مسبب عن عدم الايمان أجيب أن المعنى الذين خسروا أنفسهم فى علم الله أى قضى عليهم بالخسران أزلا فهم
لا يؤمنون فيما لا يزال فالآية باعتبار ما فى علم الله وأما تسبب الخسران عن عدم الايمان فبحسب ما يظهر للعباد
(قوله وله ما سكن) هذا أيضا من جملة أدلة التوحيد زيادة فى التشنيع على من كفر (قوله حل) أشار بذلك
الى انه لا حذف فى الآية وعليه جمهور المفسرين فمعنى حل وجد فيشمل الساكن والمتحرك وقيل ان سكن
من السكون ضد الحركة وعليه ففى الآية حذف تقديره وما تحرك (قوله قل أغير الله) رد لقولهم له كيف تترك
دين آبائك وغير مفعول أول لاتخذ وقدمه اعتناء بنفى الغيرية ووليا مفعول ثان (قوله أعبده) تفسير لاتخذ
فالمراد بالولى هنا المعبود ويطلق بالاشتراك على معان منها المعبود ولا يكون الا الله وهو معنى قوله تعالى فالله
هو الولى الله ولى الذين آمنوا ويطلق على القريب والصاحب وعلى المنهمك فى طاعة الله (قوله فاطر)
بدل من لفظ الجلالة أو نعت ان قلت ان فاطر اسم فاعل واضافته لفظية لا تفيده التعريف ولفظ الجلالة
أعرف المعارف وشرط النعت موافقته لمنعوته فى التعريف أجيب بأن محل كون اضافته لفظية ان كان معناه
التجدد والحدوث وأما هنا فهو من قبيل الصفة المشبهة فيكون وصفا ثابتا وهذه الجملة كالدليل لما قبلها (قوله
مبدعهما) أى موجدهما على غير مثال سبق ففاطر من الفطرة وهى الخلقة وفطر خلق وأنشأ قال ابن عباس
ما كنت أدرى ما معنى فطر وفاطر حتى اختصم الى أعرابيان فى بئر فقال أحدهما انا فطرتها أى أنشأتها
وابتدأتها (قوله أى يرزق) تفسير بالاعم لان المعنى يرزق مطعوما أو غيره فليس المراد من الآية قصره على
المطعوم (قوله ولا يطعم) أى لان المرزوق محتاج لمن يرزقه وتنزه الله عن الاحتياج (قوله أول من أسلم)
يحتمل ان من نكرة موصوفة جملة أسلم صفة والمعنى ان أكون أول فريق أسلم أو اسم موصول وما بعدها
صلة والتقدير أول الفريق الذى أسلم وقوله أمرت أن أكون الخ أى أمرنى ربى أن أكون أول المسلمين لانه
يجب عليه الايمان بأنه رسول وبما جاء به من الشرع والاحكام فهو أول المسلمين على الاطلاق (قوله وقيل لى
الخ) أشار بذلك الى أن قوله ولا تكونن معمول لقول محذوف والجملة معطوفة على جملة أمرت والمعنى أمرنى
ربى بأن أكون أول من أسلم ونهانى بقوله ولا تكونن من المشركين وهذه الجملة لازمة لما قبلها (قوله عذاب
يوم عظيم) معمول لأخاف وجملة ان عصيت ربى شرطية وجوابها محذوف دل عليه قوله أخاف وهى
معترضة بين الفعل وهو أخاف ومعموله وهو عذاب (قوله من يصرف عنه) من اسم شرط ويصرف فعل
الشرط ونائب الفاعل مستتر يعود على العذاب على القراءة الاولى والفاعل الله على القراءة الثانية وعنه جار
ومجرور متعلق بيصرف وقوله فقد رحمه جواب الشرط وهو معنى قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل
الجنة فقد فاز (قوله والفاعل) أى والمفعول محذوف تقديره العذاب والمعنى من يصرف الله العذاب عنه يوم
القيامة فقد رحمه وفى ذلك تعريض بأن الكفار لا يرحمون لانه لا يصرف عنهم العذاب (قوله والعائد
محذوف) الاوضح أن يقول والمفعول محذوف وهو ضمير يعود على العذاب لان الضمير العائد على من
مذكور بقوله عنه وأيضا لا يحتاج لعائد الا الموصول ومن هنا شرطية لا موصولة (قوله وذلك) أى
النجاة يوم القيامة (قوله وان يمسسك الله بضر) هذا تأييد من الله لرسوله فالمعنى لا تخش لومهم بل بلغ
ما أنزل اليك من ربك فان الله متولى أمرك بيده الضر والنفع والمنع والاعطاء فهم عاجزون لا يقدرون

الى الايمان (ليجمعنكم الى
يوم القيامة) ليجازيكم
بأعمالكم (لا ريب) شك
(فيه الذين خسروا أنفسهم)
بتعريضها للعذاب مبتدأ
خبره (فهم لا يؤمنون وله)
تعالى (ما سكن) حل (فى
الليل والنهار) أى كل شئ
فهو ربه وخالقه ومالكه
(وهو السميع) لما يقال
(العليم) بما يفعل (قل)
لهم (أغير الله أتخذ وليا)
أعبده (فاطر السموات
والارض) مبدعهما
(وهو يطعم) يرزق (ولا
يطعم) يرزق لا (قل انى
أمرت أن أكون أول من
أسلم) لله من هذه الامة
(و) قيل لى (لا تكونن
من المشركين) به (قل انى
أخاف ان عصيت ربى)
بعبادة غيره (عذاب يوم
عظيم) هو يوم القيامة
(من يصرف) بالبناء
للمفعول أى العذاب
وللفاعل أى الله والعائد
محذوف (عنه يومئذ فقد
رحمه) تعالى أى أراد له
الخير (وذلك الفوز المبين)
النجاة الظاهرة (وان
يمسسك الله بضر) بلاء

على ايصال ضر ولا جلب نفع (قوله كمرض وفقر) أي وغلبة واحتياج (قوله فلا كاشف له) جواب الشرط وفعله قوله يمسسك ولا نافية للجنس وكاشف اسمها مبني معها على الفتح في محل نصب وخبرها محذوف تقديره أحد وقوله الا هو الا أداة حصر وهو بدل من الضمير المستتر في الخبر (قوله وان يمسسك بخير) جواب الشرط محذوف تقديره فلا راد لفضله كما في آية يونس وان يردك بخير فلا راد لفضله (قوله فهو على كل شيء قدير) دليل لكل من الجملتين (قوله ومنه ما مسك به) أي من النبوة وغيرها (قوله مستعليا) أشار بذلك الى أن قوله فوق عباده ظرف متعلق بمحذوف حال من القاهر (قوله فوق عباده) أي فوقية مكانة لا مكان والمعنى أن صفاته فوق صفات غيره لان أوصافه كمالية وأوصاف غيره ناقصة فوصفه العز والعلم والاقتدار ووصف غيره الذل والجهل والعجز فكل وصف شريف كامل فهو لله وكل وصف خسيس ناقص فهو لغيره (قوله وهو الحكيم في خلقه) أي يضع الشيء في محله (قوله الخبير) أي فيعامل كل شخص بما يليق به (قوله ونزل لما قالوا) أي أهل مكة فقالوا يا محمد أرنا من يشهد لك بالرسالة فانا سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر (قوله ائتنا) بقلب الهمزة الثانية ياء قال ابن مالك

ومدا ابدل ثاني الهمزين من * كلمة ان يسكن كآثر وائتمن

(قوله تمييز محول عن المبتدا) أي والاصل شهادة أي شيء أكبر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وجعل مبتدأ وجعل المضاف تمييزا (قوله قل الله) مبتدأ خبره محذوف أي أكبر شهادة وقوله شهيد خبر لمحذوف قدره المفسر فالكلام جملتان ويحتمل أن الله مبتدأ خبره شهيد فالكلام جملة واحدة (قوله شهيد بيني وبينكم) المراد بشهادة الله اظهار المعجزات على يده فان المعجزات منزلة منزلة قول الله صدق عبدي في كل ما يبلغ عني (قوله وأوحي الي هذا القرآن) هذا دليل لشهادة الله والمعنى ان الله شهيد لان هذا القرآن ناطق بالحجج القاطعة وهو من عنده فلا يرد كيف اكتفى منه عليه الصلاة والسلام بقوله الله شهيد مع أن ذلك لا يكفي من غيره والاقتصار على الانذار لان الكلام مع الكفار وبني أوحي للمجهول للعلم بفاعله (قوله عطف على ضمير أنذركم) أي ومن موصولة وبلغ صلتها والعائد محذوف والتقدير وأنذر الذي بلغه القرآن (قوله من الانس والجن) أي الى يوم القيامة وفيه دلالة على عموم رسالته واستمرارها من غير ناسخ الى يوم القيامة (قوله أئنكم لتشهدون) اللام لام الابتداء زحلقت للخبر (قوله استفهام انكار) أي والمعنى لا يصح منكم هذه الشهادة لان المعبود واحد (قوله قل انما هو اله واحد) انما أداة حصر وما كافة وهو مبتدأ واله خبره وواحد صفته وهو زيادة في الرد عليهم وهو من حصر المبتدا في الخبر (قوله الذين آتيناهم الكتاب) أي اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل (قوله أي محمدا) تفسير للضمير في يعرفونه ويصح أن يرجع الضمير للقرآن أو لجميع ما جاء به رسول الله من التوحيد وغيره (قوله كما يعرفون أبناءهم) أي معرفة كمعرفتهم لابنائهم وهذا من التنزلات الربانية والا فهم يعرفونه أشد من معرفتهم لابنائهم لما روي أن عمر بن الخطاب سأل عبد الله بن سلام بعد اسلامه عن هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولانا أشد معرفة بمحمد مني بابني فقال عمر كيف ذلك فقال أشهد أنه رسول الله حقا ولا أدري ما تصنع النساء (قوله الذين خسروا أنفسهم) مبتدأ والجملة نعت للذين آتيناهم الكتاب ويؤيده قول المفسر منهم (قوله فهم لا يؤمنون) خبر المبتدا وقرن الخبر بالفاء لما في المبتدا من معنى الشرط وهو العموم والمعنى أن من سبق في علم الله خسرانه فلا يتأتى له الايمان في الدنيا وذلك أن الله جعل لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولاهل النار منازل أهل الجنة في النار وقد علمت مما تقدم ان المؤمن واحد من ألف فتكون منازل الكفار التي ترثها المؤمنون في الجنة لكل واحد تسعمائة منزل وتسعة وتسعون تضم لمنزله ومنازل المؤمنين التي تركت لاهل النار منزل من ألف يزاد لهم ويؤخذ منه أن الجنة واسعة جدا وان النار ضيقة جدا لاسيما مع عظم جسم الكافر فيها حيث يكون ضرسه كأحد قال تعالى وجنة عرضها السموات والارض وقال تعالى واذا ألقوا منها مكانا

كمرض وفقر (فلا كاشف) رافع (له الا هو وان يمسسك بخير) كصحة وغنى (فهو على كل شيء قدير) ومنه ما مسك به ولا يقدر على رده عنك غيره (وهو القاهر) القادر الذي لا يعجزه شيء مستعليا (فوق عباده وهو الحكيم) في خلقه (الخبير) ببواطنهم كظواهرهم * ونزل لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة فان أهل الكتاب أنكروك (قل) لهم (أي شيء أكبر شهادة) تمييز محول عن المبتدا (قل الله) ان لم يقولوه لا جواب غيره هو (شهيد بيني وبينكم) على صدقي (وأوحي الي هذا القرآن لانذركم) يا أهل مكة (به ومن بلغ) عطف على ضمير أنذركم أي بلغه القرآن من الانس والجن (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) استفهام انكار (قل) لهم (لا أشهد) بذلك (قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون) معه من الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أي محمدا بنعته في كتابهم (كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم) منهم (فهم لا يؤمنون)

به (ومن) أي لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك إليه (أو كذب بآياته) القرآن (إنه)

أي الشأن (لا يفلح الظالمون) بذلك (و) اذكر (يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا) توبيخا (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) أنهم شركاء لله (ثم لم تكن) بالتاء والياء (فتنتهم) بالنصب والرفع أي معذرتهم (إلا أن قالوا) أي قولهم (والله ربنا) بالجر نعت والنصب نداء (ما كنا مشركين) قال تعالى (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم) بنفي الشرك عنهم (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) على الله من الشركاء (ومنهم من يستمع إليك) إذا قرأت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية (أن) لا (يفقهوه) يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقرا) صمما فلا يسمعونه سماع قبول (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن) ما (هذا) القرآن (إلا أساطير) أكاذيب (الأولين) الأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم (وهم ينهون) الناس (عنه) عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم (وينأون) يتباعدون (عنه) فلا يؤمنون به وقيل نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به (وإن) ما (يهلكون) بالنأي عنه (إلا أنفسهم) لأن ضرره عليهم (وما يشعرون)

نه مقاماً قرنين (قوله به) أي بمحمد أو بالله أو بالقرآن أو بما جاء به محمد (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي والمعنى ليس أحد أظلم ممن فعل واحدا من الأمرين الافتراء والتكذيب فما بالك بمن جمع بينهما كالمشركين وأهل الكتاب فان كلا منهما وقع منه الأمران (قوله انه لا يفلح الظالمون) أي لا يفوزون بمطلوبهم وقوله بذلك أي بسبب ما ذكر وهو الافتراء أو التكذيب (قوله ويوم نحشرهم) ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر والضمير في نحشرهم عائد على الخلق مسلمهم وكافرهم ويصح عوده على المشركين فقوله بعد ذلك ثم نقول للذين أشركوا اظهار في محل الاضمار زيادة في التشنيع عليهم (قوله جميعا) حال من ضمير نحشرهم (قوله ثم نقول) أتى بثم اشارة الى أن السؤال بعد الحشر والحشر يطول على الكفار قدر خمسين ألف سنة والمقصود من ذلك ردعهم وزجرهم لعلهم يؤمنون في الدنيا فتأمنون من ذلك اليوم وهوله والقول ان كان على ألسنة الملائكة فظاهر وان كان من الله مباشرة ورد علينا قوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيامة وقد يجاب بأن المعنى لا يكلمهم كلام رضا ورحمة (قوله أين شركاؤكم) ان قلت مقتضى هذه الآية أن الشركاء ليسوا حاضرين معهم ومقتضى قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله انهم حاضرون معهم فكيف الجمع بينهما أجيب بأن هذا السؤال واقع بعد التبري الكائن من الجانبين وانقطاع ما بينهم من الأسباب والعلائق وأضيفوا لهم لأن شركتها بتسميتهم وتقولهم قال تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم الآية (قوله انهم شركاء الله) قدره اشارة الى أن مفعولي تزعمون محذوفان وهذه الجملة سدت مسدهما (قوله بالتاء والياء) فعلى قراءة التاء يصح رفع فتنتهم اسم تكن والا أن قالوا خبرها ونصبها خبر تكن مقدم والا أن قالوا اسمها مؤخر ويتعين جر ربنا وعلى قراءة الياء فليس الا نصب فتنتهم خبر يكن مقدم والا أن قالوا اسمها مؤخر ويتعين نصب ربنا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية خلافا لما يوهمه المفسر (قوله أي معذرتهم) أي جوابهم وسماه فتنة لانه كذب محض لا نفع به بل به الفضائح (قوله ما كنا مشركين) ان قلت كيف الجمع بين ما هنا وبين قوله ولا يكتمون الله حديثا قلت أولا ينكرون الاشراك ويحلفون على عدم وقوعه منهم ثم يستشهد الله الأعضاء فتنطق الجوارح فحينئذ يودون لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا فهم أولا يظنون ان انكارهم نافع فحين تشهد أعضاؤهم يتمنون أن لو كانوا ترابا ولم يكتموا شيأ (قوله على أنفسهم) انما نسبه لهم وان كان في الحقيقة كذبا على الله لان ضرره عائد اليهم (قوله من الشركاء) بيان لما (قوله ومنهم من يستمع اليك) سبب نزولها انه اجتمع أبو سفيان وأبو جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد قال ما أدري ما يقول غير أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان اني أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقر بشيء من هذا وفي رواية الموت أهون علينا من هذا وأفرد يستمع مراعاة للفظ من وسيأتي في يونس مراعاة معناها والحكمة في مراعاة لفظها هنا ان ما هنا في قوم قليلين وما يأتي في الكفار جميعا (قوله أكنة) جمع كنان وهو الوعاء الجامع الذي يحفظ فيه الشيء ويجمع على أكنان والمراد بها هنا الغطاء الساتر (قوله فلا يسمعونه) أي القرآن (قوله حتى اذا جاؤك) حتى ابتدائية وقوله يجادلونك حال من الواو في جاؤك وقوله يقول الذين كفروا جواب اذا (قوله كالاضاحيك) جمع أضحوكة بالضم وكذا الاعاجيب أي فالمشهور أن أساطير جمع ومفرده كالاضاحيك والاعاجيب (قوله وهم ينهون) أي ان الكفار ينهون عن اتباع النبي أو عن سماع القرآن (قوله أي عن اتباع النبي) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله وقيل نزلت في أبي طالب) أي وعليه فجمع الضمير باعتبار اتباعه (قوله كان ينهى عن أذاه) أي وكان يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بقوله

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

قوله ولقد علمت الخ كذا بالنسخ بأيدينا والوقوف على المقصد الأول من المواهب يعلم ما فيها اهـ مصححه

بذلك (ولو ترى) يا محمد (اذ وقفوا) عرضوا (على النار فقالوا يا) للتنبيه (ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) برفع الفعلين استئنافا ونصبهما فى جواب التمنى ورفع الاول ونصب الثانى وجواب لو رأيت أمرا عظيما قال تعالى (بل) للاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى (بدا) ظهر (لهم ما كانوا يخفون من قبل) يكتمون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك (ولو ردوا) الى الدنيا فرضا (لعادوا لما نهوا عنه) من الشرك (وانهم لكاذبون) فى وعدهم بالايمان (وقالوا) أى منكر والبعث (ان) ما (هى) أى الحياة (الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا) عرضوا (على ربهم) لرأيت أمرا عظيما (قال) لهم على لسان الملائكة توبيخا (أليس هذا) البعث والحساب (بالحق قالوا بلى وربنا) انه لحق (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) به فى الدنيا (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) بالبعث (حتى) غاية للتكذيب (اذا جاءتهم الساعة) القيامة (بغتة) فجأة (قالوا يا حسرتنا) هى شدة التألم ونداؤها مجاز أى هذا أوانك فاحضرى (على ما فرطنا) قصرنا (فيها) أى الدنيا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) بأن تأتيهم عند البعث فى أقبح شئ صورة وأنتنه ريحا فتركبهم (ألا ساء) بئس (ما يزرون) يحملونه حملهم ذلك

لولا الملامة أو حذارى سبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * حتى أوسد فى التراب دفينا

وهذا القول لابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير والقول بانها نزلت فى المشركين لجماعة منهم الكلبى والحسن والاقرب لسياق ماقبلها وما بعدها المعنى الاول فتأمل (قوله بذلك) أى باهلاكهم أنفسهم (قوله ولو ترى) المقصود من ذلك حكاية ما سيقع من الكفار يوم القيامة وتسلية النبى وأصحابه والمعنى لو تبصر بعينك يا محمد ما يقع لهؤلاء فى الآخرة لرأيت أمرا عظيما تتسلى به عن الدنيا فالخطاب لسيدنا محمد كما قال المفسر ان قلت هذا يقتضى أن رسول الله لم يطلع على ذلك مع أنه لم يخرج من الدنيا حتى أحاط بوقائع الدنيا والآخرة وأجيب بان هذا قبل اعلام الله له بالآخرة وأجيب أيضا بان الخطاب له والمراد غيره ورأى اما بصرية وهو الاقرب أو قلبية والمعنى لو صرفت فكرك الصحيح فى تدبر حالهم لازددت يقينا ولو يحتمل أنها حرف امتناع فيكون قوله ترى بمعنى رأيت واذ على بابها من المضى فيكون عبر بالماضى لتحقق الحصول ويحتمل انها بمعنى ان الشرطية واذ بمعنى اذا فيكون مستقبلا والاقرب الاول (قوله للتنبيه) أى لدخولها على الحرف (قوله ليتنا نرد) ليت حرف تمن ونا اسمها وجملة نرد خبرها (قوله برفع الفعلين استئناف) أى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا تفعلون لو رددتم فقوله ولا نكذب خبر لمحذوف تقديره ونحن لا نكذب وكذا قوله ونكون (قوله ونصبهما فى جواب التمنى) أى بان مضمرة بعد واو المعية وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق وتقدير الكلام فقالوا نتمنى على الله ردنا مع عدم تكذيبنا وحصول ايمان (قوله ورفع الاول) أى على الاستئناف وقوله ونصب الثانى أى بان مضمرة وجوبا بعد واو المعية فى جواب التمنى وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق تقديره نتمنى على الله ردنا مع كوننا من المؤمنين وجملة ولا نكذب معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه فهذه قرا آت ثلاث وكلها سبعية وقرئ شذوذا بنصب الاول ورفع الثانى وتوجيهه كما علمت (قوله للاضراب) أى الابطالى والمعنى ليس الامر كما قالوا من أنهم لو ردوا لآمنوا بل انما حملهم على ذلك فضيحتهم بشهادة أعضائهم (قوله ما كانوا يخفون) أى وهو الشرك (قوله بقولهم) الباء سببية (قوله بشهادة جوارحهم) متعلق ببدا (قوله فتمنوا ذلك) أى فرارا من العذاب لا محبة فى الايمان (قوله لعادوا) جواب لو (قوله فى وعدهم بالايمان) أى الذى وقع منهم بالتمنى (قوله وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا) يحتمل أنه معطوف على لعادوا فهو من جملة جواب لو ويحتمل أنه كلام مستأنف فى خصوص منكرى البعث وهذا هو المتبادر من المفسر وان نافية بمعنى ما وهى مبتدأ وحياتنا خبره والمعنى انهم قالوا ليس لنا حياة غير هذه الحياة التى نحن فيها وما نحن بمبعوثين بعد الموت (قوله على ربهم) أى على حسابه وسؤاله فالكلام على حذف مضاف (قوله قال لهم) أى لمنكرى البعث الذين قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا (قوله على لسان الملائكة) دفع بذلك ما يقال ان الله لا ينظر اليهم ولا يكلمهم (قوله قالوا بلى وربنا) جواب مؤكد باليمين (قوله بما كنتم تكفرون) أى بسبب الذى كنتم تكفرون به أو بسبب كفركم (قوله غاية التكذيب) أى لا للخسران فانه لا غاية له (قوله الساعة) المراد بها مقدمات الموت فالمراد ان حزنهم الدائم يحصل لهم عند خروج أرواحهم (قوله بغتة) حال من فاعل جاءتهم والتقدير جاءتهم مباغتة أو من مفعوله والتقدير جاءتهم حال كونهم مبغوتين (قوله يا حسرتنا) يا حرف نداء وحسرتنا منادى منصوب بفتحة ظاهرة لانه مضاف لنا (قوله هى شدة التألم) أى التلهف والتحسر على ما فات (قوله ونداؤها مجاز) أى تنزيلا لها منزلة العاقل لانه لا ينادى حقيقة الا العاقل والمقصود التنبيه على ان هذا الكافر من شدة هوله لم يفرق بين خطاب العاقل وغيره ومثله يا ويلنا فتأمل (قوله على ما فرطنا) أى من الاعمال الصالحة فى الدنيا (قوله وهم يحملون أوزارهم) الجملة حالية من الواو فى قالوا (قوله بان تأتيهم الخ) وردان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شئ صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول

(وما الحيوة الدنيا) أي الاشتغال بها (الا لعب ولهو) وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة (وللدار الآخرة) وفي قراءة ولدار الآخرة أي الجنة (خير للذين يتقون) الشرك (أفلا يعقلون) بالياء والتاء ذلك فيؤمنون (قد) للتحقيق (نعلم إنه) أي الشأن (ليحزنك الذي يقولون) لك من التكذيب (فانهم لا يكذبونك) في السر لعلمهم أنك صادق وفي قراءة بالتخفيف أي لا ينسبونك الى الكذب (ولكن الظالمين) وضعه موضع المضمر (بآيات الله) القرآن (يجحدون) يكذبون (ولقد كذبت رسل من قبلك) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) باهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر باهلاك قومك (ولا مبدل لكلمات الله) مواعيده (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) ما يسكن به قلبك (وان كان كبر) عظم (عليك اعراضهم) عن الاسلام لحرصك عليهم

أنا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعني ركبانا وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتن ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طال ما ركبتني في الدنيا فانا اركبك فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (قوله أي الاشتغال فيها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف والمعنى أن الاشتغال في الحياة الدنيا عن خدمة الله وطاعته لعب ولهو وليس المراد ان مطلق الحياة الدنيا لعب ولهو بل ما قرب منها الى الله فهو مزرعة للآخرة وما ابعد منها عنه فهو حسرة وندامة (قوله خير للذين يتقون) أي لان منافعها خالصة من الكدورات وعزها دائم (قوله أفلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير الا يتفكرون فلا يعقلون (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله قد نعلم) المقصود من هذه الآية وما بعدها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما وقع من الكفار من التكذيب وغيره وتهديدهم انهم يرجعون وقد للتحقيق نظير قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين (قوله انه ليحزنك) بكسر الهمزة لدخول اللام المعلقة لنعلم عن العمل في حيزها قال ابن مالك وكسروا من بعد فعل علقا * باللام كاعلم انه لذو تقى وان حرف توكيد والهاء اسمها واللام لام الابتداء زحلقت للخبر لئلا تتوالى حرفا تأكيد ويحزنك خبرها والذي فاعل يحزن ويقولون صلتها والعائد محذوف تقديره يقولونه والجملة من ان واسمها وخبرها في محل نصب سدت مسد مفعولي نعلم فان التعليق ابطال العمل لفظا لا محلا كما هو مقرر (قوله فانهم لا يكذبونك) الفاء للتعليل والمعنى لا تحزن من تكذيبهم لك واصبر ولا تكن في ضيق مما يمكرون فانهم لا يكذبونك في الباطن بل يعتقدون صدقك وانما تكذيبهم عناد وجحود (قوله في السر) دفع بذلك ما يقال ان بين ما هنا وبين قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون تنافيا وحاصل الجواب أن المنفي التكذيب في السر والمثبت التكذيب في العلانية (قوله وفي قراءة بالتخفيف) أي مع ضم الياء وسكون الكاف وهي سبعية أيضا (قوله أي لا ينسبونك الى الكذب) هذا يناسب كلا من القراءتين والمعنى لا يعتقدون تكذيبك باطنا ولذا قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب الذي جئت به (قوله وضعه موضع المضمر) أي زيادة في التقبيح والتشنيع عليهم (قوله يجحدون) الجحد الانكار مع العلم والمعنى أنهم أنكروا آيات الله مع علمهم بان ما جاء به صادق (قوله يكذبون) أي في العلانية (قوله فيه تسلية) أي زيادة تسلية وذلك لان البلوى اذا عمت هانت (قوله فصبروا) الفاء سببية وصبروا معطوف على كذبت وقوله على ما كذبوا متعلق بصبروا والمعنى صبروا على تكذيبهم (قوله وأوذوا) يصح عطفه على كذبت والمعنى كذبت وأوذوا فصبروا ويصح عطفه على صبروا والمعنى كذبت رسل فصبروا وأوذوا مع حصول الصبر منهم ويصح عطفه على قوله ما كذبوا والمعنى صبروا على تكذيبهم وايذائهم (قوله حتى أتاهم نصرنا) غاية في الصبر والمعنى غاية صبرهم نصر الله لهم (قوله مواعيده) أي مواعيد الله بالنصر قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقال تعالى كتب الله لاغلبن أنا ورسلي (قوله ولقد جاءك) اللام موطئة لقسم محذوف وجاء فعل ماض والفاعل محذوف يعلم من السياق قدره المفسر بقوله ما يسكن به قلبك وقوله من نبأ المرسلين بيان للمحذوف ويحتمل أن من زائدة على مذهب الاخفش ونبأ المرسلين فاعل ويحتمل ان من اسم بمعنى بعض هي الفاعل والمعنى ولقد جاءك بعض أخبار المرسلين الذين كذبوا وأوذوا فصبروا فاصبر ولا تحزن فان الله ناصرك كما نصرهم (قوله وان كان كبر عليك اعراضهم) سبب نزولها أن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل فانا نصدقك فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوا فاعرضوا عنه فشق ذلك عليه لانه شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوه آية يود أن ينزلها الله طمعا في ايمانهم فنزلت وان حرف شرط وكان فعل ماض فعل الشرط واسمها ضمير الشأن وكبر فعل ماض واعراضهم فاعل والجملة خبر كان والاقرب أن

اعراضهم

اعراضهم اسم كان مؤخر وجملة كبر خبرها مقدم وفاعل كبر ضمير يعود على اعراضهم وهو وان كان مؤخرا لفظا الا أنه مقدم رتبة (قوله فان استطعت) هذه الجملة شرطية وجوابها محذوف تقديره فافعل والشرط وجوابه جواب الشرط الاول والمعنى ان عظم عليك اعراضهم ولم تكتف بالمعجزات التي ظهرت على يديك فان استطعت أن تأتيهم بآية فافعل (قوله سربا) بفتحات شق في الارض والنفق السرب النافذ في الارض ومنه النافقاء أحد أبواب حجرة اليربوع وذلك أن اليربوع يحفر في الارض سربا ويجعل له بابين أو ثلاثة النافقاء والقاصعاء والراهطاء ثم يدقق بالحفر ما يقارب وجه الارض فاذا نابه أمر دفع تلك القشرة الدقيقة وخرج والمعنى ان شئت أن تتحيل على اتيان آية فتوصلك على طبق ما اقترحوا فافعل وهذا عتاب لرسول الله على التعلق بايمانهم وترقية له الى المقام الاكمل الذي هو التسليم (قوله فتأتيهم بآية) أي من تحت الارض أو من فوق السماء (قوله هدايتهم) أي جمعهم على الهدى (قوله ولكن لم يشأ ذلك) هذا استثناء نقيض المقدم فينتج نقيض التالي ان كان بينهما تساو كما هنا نظير لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا وقد أشار لمعنى النتيجة بقوله فلم يؤمنوا والا فالنتيجة فلم يجمعهم على الهدى (قوله فلا تكونن من الجاهلين) أي الذين لا تسليم لهم فلا تتعب نفسك في تطلب ما اقترحوه فانهم لا يؤمنون (قوله انما يستجيب الذين يسمعون) هذا من جملة التسلية لرسول الله والمعنى لا تحزن على عدم ايمانهم فانما يستجيب لك ويمتثل أمرك ويقبل المواعظ الذين يسمعون سماع قبول والذين لا يسمعون يبعثهم الله فيجازيهم على ما صدر منهم فللنار أهل وللجنة أهل فمن خلق الله فيه الهدى انتفع بالمواعظ وآمن ومن خلق فيه الضلال فلا تزيده المواعظ والآيات الا ضلالا وهذه الآية في الحقيقة استدراك على قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فالمعنى لم يشأ جمعهم على الهدى بل قسم الخلق قسمين قسم للجنة وقسم للنار (قوله دعاءك الى الايمان) هذا هو مفعول يستجيب والسين والتاء للتأكيد الاجابة والمراد بالذين يسمعون من سبقت لهم السعادة في الازل فما يظهر منهم من الايمان هو على طبق ما سبق (قوله أي الكفار) أشار بذلك الى أن قوله والموتى مقابل قوله الذين يسمعون (قوله يبعثهم الله) أي يحييهم وقوله في الآخرة اشارة للحشر وأن المراد بالبعث الاحياء بعد الموت وهذا هو الاقرب وقيل معنى يبعثهم يحيي قلوبهم بالايمان فهو بشارة لرسول الله بان أعداءه يؤمنون ولكن يرده الحصر المتقدم وأيضا من آمن فهو داخل في قوله الذين يسمعون (قوله بأعمالهم) الباء اما سببية أو بمعنى على والمراد بالاعمال الكفر والمعاصي وقوله ثم اليه يرجعون أي يوقفون للحساب والجزاء وأما البعث فهو الاحياء بعد الموت فتغايرا (قوله وقالوا) هذا انكار منهم لما جاء به من المعجزات الباهرة حيث جعلوا ما جاء به سحرا وكهانة وطلبوا غيره (قوله كالناقة والعصا) أي والنار لابراهيم والانة الحديد لداود وغير ذلك من معجزات الانبياء الظاهرة فنزلوا معجزاته صلى الله عليه وسلم منزلة العدم حتى طلبوا معجزة على صدقه ولكنهم من عمى قلوبهم لم يفرقوا بين معجزاته ومعجزات غيره فان معجزاته أعلى وأجل قال العارف البرعي

وان قابلت لفظة لن تراني * بما كذب الفؤاد فهمت معنى

وقال أيضا   وان يك خاطب الاموات عيسى * فان الجذع حن له وأنى

الى آخر ما قال (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ان نزولها الخ) هذه الجملة في محل نصب مفعول يعلمون (قوله بلاء عليهم) أي لعدم ايمانهم وانتفاعهم بها (قوله لوجوب هلاكهم) أي بحسب جري عادة الله بان من اقترح آية وجاءته ولم يؤمن بها أهلكه الله فعدم اجابتهم لما اقترحوا رحمة بالامة المحمدية جميعا لان الله من على نبيه ببقائها الى يوم القيامة ولو أجاب المتعنتين بعين ما طلبوا لانقرضت الامة كما انقرض من تعنت قبلهم (قوله وما من دابة) كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته تعالى وسعة علمه وتدبيره (قوله تمشي) قيده بما صالدلالة مقابله وهو قوله يطير عليه قال العلماء جميع ما خلقه الله عز وجل لا يخرج عن المشي والطيران وألحقوا حيوان البحر بالطير لانه يسبح في الماء كما أن الطير يسبح في الهواء (قوله في الارض) خصها بالذكر لان المشاهد أقطع لحجة الخصم والا فسكان السماء كذلك

(فان استطعت أن تبتغي نفقا) سربا (في الارض أو سلما) مصعدا (في السماء فتأتيهم بآية) مما اقترحوا فافعل المعنى أنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله (ولو شاء الله) هدايتهم (لجمعهم على الهدى) ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا (فلا تكونن من الجاهلين) بذلك (انما يستجيب) دعاءك الى الايمان (الذين يسمعون) سماع تفهم واعتبار (والموتى) أي الكفار شبههم بهم في عدم السماع (يبعثهم الله) في الآخرة (ثم اليه يرجعون) يردون فيجازيهم بأعمالهم (وقالوا) أي كفار مكة (لولا) هلا (نزل عليه آية من ربه) كالناقة والعصا والمائدة (قل) لهم (ان الله قادر على أن ينزل) بالتشديد والتخفيف (آية) مما اقترحوا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم ان جحدوها (وما من) زائدة (دابة) تمشي (في الارض ولا طائر يطير) في الهواء

(قوله بجناحيه) صفة كاشفة نظير قوله نظرت بعيني وسمعت باذني (قوله الا امم) أي طوائف وجماعات أمثالكم أي كل نوع على صفة وطريقة وشكل كما أنكم كذلك فمن الدواب العزيز والذليل والرزوق بسهولة وبتعسر والقوي والضعيف والكبير والصغير والمتحيل في الرزق وغير المتحيل كبني آدم (قوله في تدبير خلقها) أي وتصريفه في كل حالة بجلب المنافع لها ودفع المضار عنها واطافهم بها فلا يشغله شأن عن شأن قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (قوله وأحوالها) أي من احيائها واماتتها واعزازها واذلالها ونحو ذلك وكذلك تعرف ربها وتوحده كما أنتم تعرفون ربكم وتوحدونه ولم يوجد كافر الا من الجن والآدميين والا فجميع المخلوقات عقلاء وغيرهم مجبولون على التوحيد قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وانما كفر من كفر من الجن والانس عنادا (قوله اللوح المحفوظ) أي من الشيطان ومن التغيير والتبديل وهو من درة بيضاء فوق السماء السابعة طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب فحيث أريد بالكتاب اللوح المحفوظ فالعموم ظاهر فان فيه تبيان كل شيء ما كان وما يكون وما هو كائن وقيل المراد بالكتاب القرآن وعليه فالمراد بقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء أي يحتاج اليه الخلق في أمورهم (قوله ثم الى ربهم يحشرون) أي يجمعون وهذا بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان أحوالهم في الدنيا (قوله فيقضي بينهم) أي الامم عقلاء أو غيرهم (قوله للجماء) أي وهي معدومة القرون وهذا كله لاظهار العدل فحيث لم يترك غير العقلاء فكيف بالعقلاء فلا بد من الحشر والحساب والجزاء اما بالعدل واما بالفضل (قوله والذين كذبوا بآياتنا) أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (قوله في الظلمات) هو معنى قوله في الآية الاخرى عمي فهم صم القلوب عميها بكمها فلا يتأتى منهم انتفاع ولا استبصار ولا يصل اليهم نور أبدا (قوله الكفر) أي فهو ظلمات معنوية فشبه الكافر كحال رجل أعمى أصم أبكم في ظلمات فلا يهتدي الى مقصوده كما أن الكافر كذلك (قوله من يشأ الله يضلله) هذا دليل لما قبله ومفعول يشأ في كل محذوف قدره المفسر بقوله اضلاله وبقوله هدايته والمعنى ان الاضلال والاهتداء بتقدير الله فمن أراد الله هدايته سهل له أسبابها وجعله منهمكا في طاعته وان وقعت منه معصية يوفق للتوبة منها ومن أراد الله اضلاله حجبه عن نوره وتيسرت له أسباب الطاعة حتى لو وقعت منه الطاعة تكون معلولة غير متقبلة وما في هذه الآية هو معنى قوله تعالى في الآية الاخرى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام الآية (قوله قل يا محمد) أي على سبيل التنزل والتوبيخ على الكفر بالله (قوله أخبروني) هكذا فسرت الرؤية في هذه الآية ونظائرها بالاخبار والاصل في الرؤية انها لم تزل للابصار فاطلق العلم أو الابصار وأريد لازمه وهو الاخبار لان الانسان لا يخبر الا عما علمه أو أبصره واستعملت الهمزة التي هي في الاصل لطلب العلم أو الابصار في طلب الاخبار ففيه مجازان ورأى فعل ماض والتاء فاعل والكاف مفعول أول على حذف مضاف والجملة الاستفهامية في محل المفعول الثاني والتقدير أرأيتم عبادتكم غير الله هل تنفعكم والمعنى أخبروني يا أهل مكة ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بسرعة أتدعون الها غير الله يكشف عنكم ما نزل بكم وجواب الاستفهام لا يدعون غير الله فاذا كان كذلك فهو أحق بان يفرد بالعبادة (قوله ان أتاكم) جواب الشرط محذوف تقديره فمن تدعون (قوله في الدنيا) أي كالصاعقة والصيحة (قوله المشتملة عليه) أي على العذاب لان الكافر لا يأتيه من حين موته الا العذاب الدائم وأسهله خروج الروح (قوله بغتة) أي بسرعة (قوله أغير الله تدعون) الهمزة للاستفهام الانكاري وغير معمول لتدعون وهو صفة لموصوف محذوف والتقدير أتدعون الها غير الله (قوله فادعوها) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف (قوله بل اياه) اضراب انتقالي عن النفي الذي علم من الاستفهام (قوله في الشدائد) أي كالمرض والفقر وغير ذلك (قوله ان شاء) جوابه محذوف لفهم المعنى ودلالة ما قبله عليه أي ان شاء أن يكشفه كشفه وان لم يشأ كشفه ولا يكشفه فليست اجابة الدعاء وعدا لا يتخلف وهذا مخصوص بدعاء الكفار وأما دعاء المؤمنين فهو مجاب بالوعد الذي لا يتخلف لكن على ما يريد الله اما بعين المطلوب أو بغيره فلا منافاة بين ما هنا وبين قوله تعالى ادعوني

(بجناحيه الا امم أمثالكم) في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها (ما فرطنا) تركنا (في الكتاب) اللوح المحفوظ (من) زائدة (شيء) فلم نكتبه (ثم الى ربهم يحشرون) فيقضي بينهم ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا (والذين كذبوا بآياتنا) القرآن (صم) عن سماعها سماع قبول (وبكم) عن النطق بالحق (في الظلمات) الكفر (من يشأ الله) اضلاله (يضلله ومن يشأ) هدايته (يجعله على صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام (قل) يا محمد لاهل مكة (أرأيتكم) أخبروني (ان أتاكم عذاب الله) في الدنيا (أو أتتكم الساعة) القيامة المشتملة عليه بغتة (أغير الله تدعون) لا (ان كنتم صادقين) في أن الاصنام تنفعكم فادعوها (بل اياه) لا غيره (تدعون) في الشدائد (فيكشف ما تدعون اليه) أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه (ان شاء) كشفه

(وتنسون) تتركون (ماتشركون) معه من الاصنام فلاتدعونه (ولقد أرسلنا الى أمم من) زائدة (قبلك) رسلا فكذبوهم (فأخذناهم بالبأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (لعلهم يتضرعون) يتذللون فيؤمنون (فلولا) فهلا (اذ جاءهم بأسنا) عذابنا (تضرعوا) أى لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له (ولكن قست قلوبهم) فلم تلن للايمان (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من المعاصى فأصروا عليها (فلما نسوا) تركوا (ماذكروا) وعظوا وخوفوا (به) من البأساء والضراء فلم يتعظوا (فتحنا) بالتخفيف والتشديد (عليهم أبواب كل شئ) من النعم استدراجا لهم (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) فرح بطر (أخذناهم) بالعذاب (بغتة) فجأة (فاذاهم مبلسون) آيسون من كل خير (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أى آخرهم بأن استؤصلوا (والحمد لله رب العالمين) على نصر الرسل واهلاك الكافرين (قل) لاهل مكة (أرأيتم) أخبرونى (ان أخذ الله سمعكم) أصمكم (وأبصاركم) أعماكم (وختم) طبع (على قلوبكم) فلا تعرفون شيأ (من اله غير الله يأتيكم به) بما أخذه منكم بزعمكم (أنظر كيف نصرف) نبين (الآيات) الدلالات على وحدانيتنا (ثم هم يصدفون) يعرضون عنها فلا يؤمنون (قل) لهم (أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة) ليلا أو نهارا (هل يهلك الا القوم الظالمون) الكافرون أى مايهلك الاهم (ومانرسل المرسلين الا مبشرين) من آمن بالجنة (ومنذرين) من كفر بالنار (فمن آمن) بهم (وأصلح) عمله (فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فى الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون) يخرجون عن الطاعة (قل) لهم (لا أقول لكم عندى

أستجب لكم (قوله وتنسون ماتشركون) أى حين نزول الشدائد بهم لايلتفتون الى أصنامهم بل لايدعون الا الله (قوله ولقد أرسلنا) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فكذبوهم) قدره اشارة الى أن قوله فأخذناهم مرتب على محذوف (قوله يتضرعون) من التضرع وهو التذلل والخضوع (قوله فهلا) أشار بذلك الى أن لولا للتحضيض (قوله أى لم يفعلوا ذلك) أى التضرع وأشار بذلك الى أن التحضيض بمعنى النفى (قوله مع قيام المقتضى له) أى وهو البأساء والضراء (قوله ولكن قست قلوبهم) أى لم يقع منهم تضرع ولا خضوع بل ظهر منهم خلاف ذلك بسبب قسوة قلوبهم (قوله فلم تلن للايمان) أشار بذلك الى أن القسوة نشأ عنها الكفر كما أن التضرع ينشأ عنه الايمان (قوله وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون) أى الذى كانوا يعملونه أو عملهم (قوله فأصروا عليها) أى على المعاصى ولم يتعظوا بما نزل بهم من البأساء والضراء (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حتى اذا فرحوا) غاية للفتح والمعنى أن من خالف أمر الله وطغى يستدرجه الله بالنعم و يمده بالعطايا الدنيوية فاذا فرح بذلك كان عاقبة أمره أخذه أخذ عزيز مقتدر (قوله فاذاهم مبلسون) اذا فجائية أى فاجأهم الابلاس بمعنى اليأس من كل خير (قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا) الدابر التابع من خلف يقال دبر الولد والده و دبر فلان القوم تبعهم فمعنى دابرهم آخرهم وهو كناية عن الاستئصال فلذلك قال بأن استؤصلوا أى فلم يبق منهم أحد (قوله والحمد لله رب العالمين) هذا حمد من الله لنفسه على هلاك الكفار ونصر الرسل وفيه تعليم للمؤمنين أنهم يشكرون الله على ذلك اذ هو نعمة عظيمة (قوله قل أرأيتم) هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى لكفار مكة لاقامة الحجة عليهم قبل أخذهم (قوله أخبرونى) تقدم ان استعمال رأى فى الاخبار مجاز وأصل استعمالها فى العلم أو فى الابصار وتقدم أنها تطلب مفعولين الاول محذوف لدلالة مفعول أخذ وهو سمعكم وأبصاركم عليه فهو من باب التنازع أعمل الثانى وأضمر فى الاول وحذف لانه فضلة والمفعول الثانى هو قوله من اله غير الله الخ (قوله سمعكم) أفرده وجمع مابعده لان السمع مصدر لايثنى ولايجمع كما تقدم فى البقرة (قوله وختم على قلوبكم) المراد بالقلوب العقول أى أذهب عقولكم وصيركم كالبهائم فلا تعقلون شيأ (قوله بما أخذه) أشار بذلك الى أنه أفرد باعتبار ماذكر والمعنى من اله غير الله بزعمكم يأتيكم بأى واحد مما أخذه منكم (قوله بزعمكم) متعلق بقوله من اله غير الله فالمناسب تقديمه (قوله انظر كيف نصرف الآيات) هذا تعجيب لرسول الله من عدم اعتبارهم بتلك الآيات الباهرة وكيف منصوب على التشبيه بالحال والمعنى انظر بأى حالة نصرف الآيات على أى كيفية (قوله أرأيتكم) أى اخبرونى والمفعول الاول الكاف على حذف مضاف أى أنفسكم والمفعول الثانى جملة الاستفهام (قوله عذاب الله) أى كالصيحة والصواعق (قوله ليلا أو نهارا) لف ونشر مرتب وهذا التفسير لابن عباس وقيل البغتة الذى يأتى من غير سبق علامة والجهر الذى يأتى مع سبق علامة كان كل بالليل أو بالنهار (قوله الكافرون) أشار بذلك الى أن المراد هلاك سخط وغضب فاندفع مايقال ان المصيبة اذا أتت فلا تخص الكافر بل تعم الطائع فالجواب أن هلاك الكفار سخط وغضب وهلاك المؤمن اثابة ودفع درجات والاستثناء مفرغ والاستفهام انكارى بمعنى النفى كما أشار له المفسر (قوله ومانرسل المرسلين) هذا بيان لوظائف المرسلين والمعنى أن المرسلين منصبهم البشارة لمن آمن والنذارة لمن كفر وليسوا قادرين على ايجاد نفع أو ضر وانما جعلهم الله سببا لذلك (قوله فى الآخرة) احتراس لبيان أن عدم الخوف والحزن هو فى الآخرة فقط وأما الدنيا فهى محل الخوف والحزن لانها سجن المؤمن (قوله والذين كذبوا) مقابل قوله فمن آمن كأنه قال فالذين آمنوا وأصلحوا الخ وهذا يؤيد ان من موصولة (قوله بما كانوا يفسقون) الباء سببية وما مصدرية أى بسبب فسقهم والفسق الخروج عن الطاعة كلا أو بعضا فالكافر فاسق لخروجه عن طاعة الله بالكلية (قوله قل لا أقول لكم) هذا مرتب على قوله ومانرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين

كأنه قال ليس على الرسول إلا البشارة والنذارة وليس من وظيفته إجابتهم عما سألوه عنه ولا فعل ما طلبوه منه لأنه ليس عنده خزائن الله الخ (قوله خزائن الله) أي لا أدعي أن مقدورات الله من أرزاق وغيرها مفوضة إلي حتى تطلبوا مني قلب الجبال ذهبا وغير ذلك (قوله ولا أعلم الغيب) أي ما غاب عني من أفعال الله حتى تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب (قوله ولا أقول لكم إني ملك) أي حتى تكلفوني بصفات الملائكة كالصعود للسماء وعدم المشي في الأسواق وعدم الأكل والشرب وهذه الآية نزلت حين قالوا له إن كنت رسولا فاطلب منه أن يوسع علينا ويغني فقرنا فأخبر أن ذلك بيد الله لا بيده بقوله قل لا أقول لكم عندي خزائن الله وقالوا له أيضا أخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نتهيأ لذلك فنحصل المصالح وندفع المضار فقال لهم ولا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون وقالوا له ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء فقال لهم ولا أقول لكم إني ملك (قوله أفلا تتفكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير ألا تسمعون الحق فلا تتفكرون (قوله فتؤمنون) معطوف على تتفكرون وليس جوابا للنفي وإلا لنصب (قوله وأنذر به الذين يخافون) شروع في الأمر وقوله لعلهم يتقون والمعنى أن إنذارك لا ينفع إلا المؤمن العاصي الخائف وأما الكافر المعاند فلا ينفع فيه الإنذار فلا ينافي أنه مأمور بإنذار كل مخالف أفاد الإنذار أولا وإنما ذلك بيان للذين ينفع فيهم الإنذار (قوله والمراد بهم) أي بالذين يخافون (قوله ولا تطرد الذين يدعون) أي لا تبعدهم عن مجلسك ولا عن القرب منك (قوله يدعون) أي يعبدون (قوله بالغداة والعشي) خص هذين الوقتين لأن في الأول صلاة الصبح وفي الثاني صلاة العصر وقد قيل إن كلا هي الصلاة الوسطى (قوله لا شيئا) مفعول لمحذوف تقديره لا يريدون شيئا (قوله من أعراض الدنيا) يصح ضبطه بالعين المهملة وبالغين المعجمة والثاني أولى لشموله للأموال وغيرها (قوله وهم الفقراء) أي كعمار بن ياسر وبلال وصهيب (قوله وكان المشركون طعنوا فيهم) هذا إشارة لسبب نزولها وحاصله كما قال الخازن أنه جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب وبلال فلما رأوهم حوله حقروهم وقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد وأبعدت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم وكانت عليهم جبب من صوف لها رائحة كريهة [illegible] غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا فأتي بالصحيفة ودعا عليا ليكتب فنزل جبريل بقوله ولا تطرد الذين الآية فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة ثم دعانا وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه وإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله واصبر نفسك الآية فكان يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فإذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم اهـ (قوله ما عليك من حسابهم من شيء) هذا كالتعليل لما قبله والمعنى لا تؤاخذ بذنوبهم ولا بما في قلوبهم إن أرادوا بصحبتك غير وجه الله وهذا على فرض تسليم ما قاله المشركون وإلا فقد شهد الله لهم بالإخلاص وما نافية مهملة وعليك جار ومجرور خبر مقدم وشيء مبتدأ مؤخر ومن زائدة ومن حسابهم متعلق بمحذوف حال وهذا نظير قوله في الآية الأخرى ولا تزر وازرة وزر أخرى (قوله وما من حسابك عليهم من شيء) يقال في إعرابها ما قيل فيما قبلها إلا أن قوله من حسابك بيان لقوله من شيء وليس حالا وفي هاتين الجملتين من أنواع البديع رد العجز على الصدر كقولهم عادات السادات سادات العادات والتتميم والانفصال التعليل قد حصل بالجملة الأولى (قوله جواب النفي) أي المرتب على النهي وقوله فتكون معطوفا على قوله فتطردهم (قوله إن فعلت ذلك) أي طردهم (قوله وكذلك) الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف والتقدير ومثل ذلك الفتون المتقدم من أخبار الأمم الماضية فتنا بعض هذه الأمة ببعض

(قوله

خزائن الله) التي منها يرزق (ولا أعلم الغيب) ما غاب عني ولم يوح إلي (ولا أقول لكم إني ملك) من الملائكة (إن) ما (أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى) الكافر (والبصير) المؤمن لا (أفلا تتفكرون) في ذلك فتؤمنون (وأنذر) خوّف (به) أي بالقرآن (الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه) أي غيره (ولي) ينصرهم (ولا شفيع) يشفع لهم وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهي محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون (لعلهم يتقون) الله بإقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون) بعبادتهم (وجهه) تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك طمعا في إسلامهم (ما عليك من حسابهم من) زائدة (شيء) إن كان باطنهم غير مرضي (وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم) جواب النفي (فتكون من الظالمين) إن فعلت ذلك (وكذلك فتنا) ابتلينا (بعضهم ببعض) أي الشريف بالوضيع

والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق الى الايمان (ليقولوا) أي الشرفاء والأغنياء منكرين (أهؤلاء) الفقراء (منّ الله عليهم من بيننا) بالهداية أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا اليه قال تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) له فيهديهم بلى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل) لهم (سلام عليكم كتب) قضى (ربكم على نفسه الرحمة أنه) أي الشأن وفي قراءة بالفتح بدل من الرحمة (من عمل منكم سوءا بجهالة) منه حيث ارتكبه (ثم تاب) رجع (من بعده) بعد عمله عنه (وأصلح) عمله (فانه) أي الله (غفور) له (رحيم) به وفي قراءة بالفتح أي فالمغفرة له (وكذلك) كما بينا ما ذكر (نفصل) نبين (الآيات) القرآن ليظهر الحق فيعمل به (ولتستبين) تظهر (سبيل) طريق (المجرمين) فيجتنب وفي قراءة بالتحتانية وفي أخرى بالفوقانية ونصب سبيل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله قل لا أتبع أهواءكم) في عبادتها (قد ضللت اذا) ان تبعتها (وما أنا من المهتدين قل اني على بينة) بيان (من ربي و) قد (كذبتم به) بربي حيث أشركتم (ما عندي ما تستعجلون به) من العذاب (ان) ما (الحكم) في ذلك وغيره (الا لله يقضي) القضاء (الحق وهو خير الفاصلين) الحاكمين وفي قراءة يقص أي يقول (قل) لهم (لو أن عندي

(قوله والغني بالفقير) أي ففتنة الغني بالفقير لسبق الفقير الى الايمان وفتنة الفقير بالغني زينة الدنيا التي يتمتع بها مع كفره (قوله بأن قدمناه بالسبق الى الايمان) بيان لفتنة الاغنياء بالفقراء (قوله ليقولوا) اللام يصح أن تكون لام كي أو لام الصيرورة والعاقبة (قوله منكرين) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي على سبيل التهكم (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم (قوله بلى) جواب الاستفهام التقريري (قوله واذا جاءك) هذا من تتمة ما نزل في الفقراء (قوله الذين يؤمنون) وصفهم أولا بالعبادة وثانيا بالايمان اظهارا لمزاياهم (قوله فقل سلام عليكم الخ) أي اذكر لهم هذه الآية الى قوله غفور رحيم في وقت مجيئهم اليك وهذا السلام يحتمل انه سلام التحية أمر أن يبدأهم به اذا قدموا عليه خصوصية لهم والا فسنة السلام أن يكون أولا من القادم وعليه فتكون الجملة انشائية ويحتمل أنه سلام الله عليهم اكراما لهم أمر بتبليغه لهم وعليه فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى وسلام مبتدأ وعليكم خبره وسوغ الابتداء بالنكرة كونه دعاء والدعاء من المسوغات (قوله كتب ربكم) أي ألزم نفسه تفضلا منه واحسانا (قوله وفي قراءة بالفتح) أي وهي سبعية أيضا والحاصل ان القراآت ثلاث فتحهما وكسرهما وفتح الاولى وكسر الثانية وكلها سبعية فاما الفتح فيهما فالاولى بدل من الرحمة والثانية في محل رفع مبتدأ أو الخبر محذوف أي فغفرانه ورحمته حاصلان له وأما الكسر فيهما فالاولى مستأنفة جيء بها كالتفسير لما قبلها والثانية مستأنفة أيضا بمعنى أنها في صدر جملة وقعت خبرا لمن الموصولة وأما على فتح الاولى وكسر الثانية فالاولى بدل والثانية استئناف فتأمل فانه زيدة احتمالات كثيرة (قوله بدل من الرحمة) أي بدل شيء من شيء (قوله بجهالة) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل عمل والتقدير عمل سوءا حال كونه جاهلا بما يترتب على معاصيه من العقاب غافلا عن جلال الله وفيه اشارة الى أن المؤمن لا يقع منه الذنب الا في حال جهله وغفلته وهذه الآية لا تختص الفقراء الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم بل هي عامة لكل من تاب الى يوم القيامة ولعموم بشارتها افتتح بها أبو الحسن الشاذلي حزبه (قوله ولتستبين) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليظهر الحق فطريق الهدى واضحة وطريق الضلال واضحة لما في الحديث تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يضل عنها الا هالك (قوله وفي قراءة بالتحتانية) أي ورفع سبيل فالقراآت ثلاث وكلها سبعية ففي الفوقانية الرفع والنصب وفي التحتانية الرفع لا غير (قوله خطاب للنبي) أي والمعنى لتعلم سبيلهم فتعاملهم بما يليق بهم (قوله قل اني نهيت) هذا أمر من الله لنبيه أن يخاطب الكفار الذين طمعوا في دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دينهم ويرد عليهم بذلك (قوله نهيت) أي نهاني ربي بواسطة الدليل العقلي والسمعي لدلالة كل منهما على أن الله واحد لا شريك له متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص (قوله تعبدون) هذا أحد اطلاقات الدعاء وبه فسر في غالب القرآن لانه يشمل الطلب وغيره (قوله قل لا أتبع أهواءكم) جمع هوى سمي بذلك لانه يهوي بصاحبه الى المهالك وهذه الجملة تأكيد لما قبلها (قوله اذا) حرف جواب وجزاء ولا عمل لها لعدم وجود فعل تعمل فيه (قوله ان اتبعتها) أي الاهواء وهو بيان لمعنى اذا (قوله وما أنا من المهتدين) تأكيد لما قبلها (قوله قل اني على بينة) هذا زيادة في قطع طمعهم الفاسد والمعنى لا تطمعوا في دخولي دينكم لاني على بينة من ربي ومن كان كذلك كيف يخدع ويتبع الضلال وهذا نظير قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه (قوله بيان) أي دليل واضح (قوله وكذبتم به) أي بوحدانيته والجملة حالية ويشير لذلك تقدير المفسر قد (قوله ما عندي ما تستعجلون به) ما الاولى نافية والثانية موصولة وقوله من العذاب بيان لما الثانية وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم نزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء كما في آية الانفال واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله يقضي الحق) قدر المفسر القضاء اشارة الى أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف ويحتمل أنه ضمنه معنى ينفذ فيكون الحق مفعولا به ويحتمل أنه منصوب بنزع الخافض أي بالحق (قوله وفي قراءة يقص الحق) من قص الاثر تتبعه أو من قص الحديث قاله (قوله لو أن عندي) أي لو كان

الامر مفوّضا الىّ (قوله ماتستعجلون به) أى من العذاب (قوله بأن أعجله) بيان لقوله لقضى الامر والضمير عائد على ماتستعجلون (قوله متى يعاقبهم) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضافين والتقدير والله أعلم بوقت عقوبة الظالمين فلا يستعجلوا ذلك فانه لاحق بهم ان لم يتوبوا وانما أخره من حلم الله عليهم فلولا حلمه ما بقى أحد قال تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن فمن القبيح قول بعض العامة حلم الله يفتت الكبود * ان قلت مقتضى هذه الآية أنه لو كان الامر مفوضا له فى تعذيبهم لعجله واستراح ومقتضى ما ورد من اتيان ملك الجبال يستشيره فى أنه يطبق عليهم الاخشبين انه لم يرض وقال ارجو أن يخرج من ذريتهم من يؤمن بالله فحصل التنافى * أجيب بأن ما فى الآية بالنظر لاصل البشرية لان البشر يتأثر بالضر والنفع وما فى الحديث انما هو رحمة من الله ألقاها عليه فرحمهم بها قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فرجع الامر لله فتدبر (قوله وعنده مفاتح الغيب) لما بين سبحانه وتعالى أوّلا انه منفرد بايجاد كل شئ خيرا كان أو شرا بقوله ان الحكم الا لله الآية بين ثانيا انه منفرد بعلم الغيب بقوله وعنده مفاتح الغيب فهو كالدليل لما قبله كانه قال العذاب والرحمة بقدرة الله ولا يعلم وقت مجئ ذلك الا الله لان عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وعنده خبر مقدم ومفاتح الغيب مبتدأ مؤخر وتقديم الظرف يؤذن بالحصر وهو منصب على الجميع فلا ينافى ان بعض الانبياء والاولياء يطلعه الله على بعض المغيبات الحادثة قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وأما من قال ان نبينا أو غيره أحاط بالمغيبات علما كما أحاط علم الله بها فقد كفر (قوله خزائنه) أشار بذلك الى أن مفاتح جمع مفتح بفتح فكسر كمخزن وزنا ومعنى العلوم المخزونة وقوله أو الطرق أى فهو جمع مفتح بكسر ففتح بمعنى الطرق التى توصل الى تلك العلوم المخزونة الغيبية (قوله لا يعلمها) أى الخزائن أو الطرق تفصيلا الا هو وأما علمنا بها فهو على سبيل الاجمال وهو تأكيد لما علم من تقديم الظرف (قوله علم الساعة) أى وقت مجيئها وتفصيل ما يحصل فيها (قوله الآية) أى وهى وينزل الغيث أى المطر أى لا يعلم وقت مجيئه وعدد قطراته ونفع الناس به الا الله ويعلم ما فى الارحام أى من كونه ذكرا أو أنثى شقيا أو سعيدا يعيش أو يموت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا أى لا تعلم نفس ما يعرض لها فى المستقبل من خير أو شر وغير ذلك من الاحوال التى تطرأ على الانفس قال الشاعر

وأعلم علم اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وما تدرى نفس بأى أرض تموت أى بأى محل يكون قبض روحها فيه أو دفنها فيه ان الله عليم خبير ببواطن الاشياء كظواهرها وهذا التفسير لابن عباس وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائنه المخفية فى الارض والاقرب والاتم أن المراد بمفاتح الغيب الامور المغيبة المخفية جميعها كانت الخمسة أو غيرها (قوله ما يحدث فى البر) أى من خير وشر (قوله القرى التى على الانهار) أى فيعلم رزق أهلها وعددهم وغير ذلك وقال جمهور المفسرين المراد البر والبحر المعروفان لان جميع الارض اما بر أو بحر وفى كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته (قوله وما تسقط من ورقة) أى من الشجر الا يعلمها أى يعلم وقت سقوطها والارض التى تسقط عليها (قوله ولا حبة فى ظلمات الارض) أى وهى التى يضعها الزارع النبات فيعلم موضعها وهل تنبت أو لا وقيل المراد بالحبة التى فى الصخرة التى فى الارض التى قال فيها الله يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله وتقدم توضيح (قوله ولا رطب ولا يابس) عطف عام لان جميع الاشياء اما رطبة أو يابسة * فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخل تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم أفردها بالذكر * أجيب بأنه من التفصيل بعد الاجمال وقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من جنس العجائب ثم الورقة لانه يراها كل أحد لكن لا يعلم عددها الا الله ثم ما هو أضعف من الورقة وهو الحبة ثم ذكر ما لا يجمع الكل وهو الرطب واليابس (قوله عطف على ورقة) أى الثلاثة معطوفة على ورقة لكن لا يناسب تسليط السقوط عليها فيضمن السقوط بالنسبة للحبة والرطب واليابس معنى الثبوت (قوله بدل اشتمال من الاستثناء قبله) أى وهو قوله الا يعلمها

وذلك

ماتستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم) بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله (والله أعلم بالظالمين) متى يعاقبهم (وعنده) تعالى (مفاتح الغيب) خزائنه أو الطرق الموصلة الى علمه (لا يعلمها الا هو) وهى الخمسة التى فى قوله ان الله عنده علم الساعة الآية كما رواه البخارى (ويعلم ما) يحدث (فى البر) القفار (والبحر) القرى التى على الانهار (وما تسقط من) زائدة (ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة (الا فى كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله (وهو الذى يتوفاكم بالليل)

وذلك لان دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح فذات الله وصفاته أحاط بها العلم لا اللوح والكائنات وما يتعلق بها أحاط بها اللوح والعلم وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح كما أفاده المفسر وان أريد بالكتاب علم الله يكون بدل كل من كل لزيادة التأكيد والايضاح (قوله يقبض أرواحكم) ماذكره المفسر بناء على أن الانسان له روحان روح تقبض بالنوم وتبقى روح الحياة فاذا أراد الله موته قبضهما جميعا وعليه جملة من المفسرين ويشهد له آية الزمر قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية ويقرب هذا أحوال الاولياء لان لهم حالة تسرح فيها أرواحهم وترى العجائب كالنائم والمشهور أنها روح واحدة ويكون معنى يتوفاكم يذهب شعوركم لانهم عرّفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك (قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار) أي لانه الخالق للافعال والحركات والسكنات فهو المغير للاشياء ولا يتغير قال العارف

ولي في خيال الظل أكبر عبرة * لمن كان في بحر الحقيقة راقي
شخوص وأشكال تمر وتنقضي * فتفنى جميعا والمحرك باقي

(قوله ثم يبعثكم) ثم في كل الترتيب الرتبي لان بعد النوم البعث بالايقاظ الى انقضاء الاجل ثم بعده البعث بالاحياء من القبور ثم الاخبار بما وقع من العباد (قوله ليقضى أجل) الجمهور على بنائه يقضى للمجهول وأجل نائب فاعل والفاعل محذوف اما عائد على الله أو على الشخص ومعنى قضاء الشخص أجله استيفاؤه اياه وقرئ بالبناء للفاعل وأجلا مفعوله والفاعل مستتر عائد على الله (قوله فيجازيكم به) أي ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله وهو القاهر) أي المستعلى الغالب على أمره الحاكم فلا معقب لحكمه يعطى ويمنع ويصل ويقطع ويضر وينفع فلا راد لما قضى ولا ما نع لما أعطى فهو المتصرف في خلقه بجميع أنواع التصرفات من ايجاد واعدام واعزاز واذلال وغير ذلك (قوله فوق عباده) أي فوقية مكانة أي شرف ورفعة وعلو قدر تليق به لا فوقية مكان لاستحالة اتصافه به (قوله ويرسل) معطوف على صلة أل كأنه قال وهو الذي يقهر ويرسل وهذا من جملة قهره سبحانه وتعالى (قوله ملائكة تحصى أعمالكم) أي من خير وشر لما ورد أن كل انسان له ملكان ملك عن يمينه وملك عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين حالا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها صاحب الشمال قال العلماء يؤخر ست ساعات فلكية فان تاب فيها لم تكتب هكذا قال المفسر وقيل المراد بالحفظة الملائكة الموكلون بحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار وقيل المراد ما هو أعم وهو الاتم * ان قلت ان الله هو الحافظ فلم وكلت الملائكة بحفظ الشخص * أجيب بأن ذلك تكرمة لبني آدم واظهار لفضلهم والحكمة في كون الملائكة تكتب على الشخص ما صدر منه أنه اذا علم ذلك ربما كان ذلك داعيا للعروف والانزجار عن فعل القبائح والمعاصي (قوله حتى اذا جاء) حتى ابتدائية والمعنى ينتهي حفظ الملائكة للاشخاص عند فراغ الاجل فالملائكة مأمورون بحفظ ابن آدم ما دام حيا فاذا فرغ أجله فقد انتهى حفظهم له (قوله الموت) أي أسبابه (قوله وفي قراءة توفاه) أي بالامالة المحضة وهي ما كانت للكسر أقرب وهو اما ماض وحذفت التاء لانه مجازي التأنيث أو مضارع ويكون فيه حذف احدى التاءين (قوله رسلنا) أي أعوان ملك الموت الموكلون بقبض الارواح * ان قلت قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في الآية الاخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فكيف الجمع بين هاتين الآيتين وهذه الآية * أجيب بأن الله هو المتوفي حقيقة فاذا حضر أجل العبد اشتغلت أعوان ملك الموت بانتزاعها من الجسد فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده فهو القابض لجميع الارواح ان قلت ورد في بعض الاحاديث وتولى قبض أرواحنا عند الاجل بيدك أجيب بأن معناه شهود الرب واستيلاء عظمته على قلبه حتى يغيب عن احساسه فلا يشاهد ملك الموت حين قبض الروح وان كان هو القابض لها وذلك في أهل محبة الله ومن يموت شهيدا بحرب أو غريقا أو حريقا أو نحو ذلك (قوله وهم لا يفرطون) هذه الجملة حال من

يقبض أرواحكم عند النوم (ويعلم ما جرحتم) كسبتم (بالنهار ثم يبعثكم فيه) أي النهار برد أرواحكم (ليقضى أجل مسمى) هو أجل الحياة (ثم اليه مرجعكم) بالبعث (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وهو القاهر) مستعليا (فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحصى أعمالكم (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته) وفي قراءة توفاه (رسلنا) الملائكة الموكلون بقبض الارواح (وهم لا يفرطون) يقصرون فيما يؤمرون

(ثم ردوا) أى الخلق (الى الله مولاهم) ١٨ مالكهم (الحق) الثابت العدل ليجازيهم (ألا له الحكم) القضاء النافذ فيهم (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (قل) يا محمد لاهل مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) أهوالهما فى أسفاركم حين (تدعونه تضرعا) علانية (وخفية) سرا تقولون (لئن) لام قسم (أنجيتنا) وفى قراءة أنجانا أى الله (من هذه) الظلمات والشدائد (لنكونن من الشاكرين) المؤمنين (قل) لهم (الله ينجيكم) بالتخفيف والتشديد (منها ومن كل كرب) غم سواها (ثم أنتم تشركون) به (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) من السماء كالحجارة والصيحة (أو من تحت أرجلكم) كالخسف (أو يلبسكم) يخلطكم (شيعا) فرقا مختلفة الاهواء (ويذيق بعضكم بأس بعض) بالقتال قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذا أهون وأيسر ولما نزل ما قبله أعوذ بوجهك رواه البخارى وروى مسلم حديث سألت ربى أن لا يجعل بأس أمتى بينهم فمنعنيها وفى حديث لما نزلت قال أما انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد (انظر كيف نصرف) نبين لهم (الآيات) الدلالات على قدرتنا (لعلهم يفقهون) يعلمون أن ما هم عليه باطل (وكذب به) بالقرآن (قومك وهو الحق) الصدق (قل) لهم (لست عليكم بوكيل) فاجازيكم انما أنا منذر وأمركم الى الله وهذا قبل الامر بالقتال

رسلنا أى والحال أنهم لا يقصرون فى ذلك فقد ورد ما من أهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطوف بهم مرتين وورد أن الدنيا كلها بين ركبتى ملك الموت وجميع الخلائق بين عينيه ويداه يبلغان المشرق والمغرب وكل من نفد أجله يعرفه بسقوط صحيفته من تحت العرش عليها اسمه فعند ذلك يبعث أعوانه من الملائكة ويتصرفون بحسب ذلك وورد أن ملك الموت يقبض الروح من الجسد ويسلمها الى ملائكة الرحمة ان كان مؤمنا أو الى ملائكة العذاب ان كان كافرا ويقال معه تسعة من ملائكة الرحمة وتسعة من ملائكة العذاب فاذا قبض نفسا مؤمنة دفعها الى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب ويصعدون بها الى السماء واذا قبض نفسا كافرة دفعها الى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب ويفزعونها ثم يصعدون بها الى السماء ثم ترد الى سجين وروح المؤمن الى عليين (قوله ثم ردوا) معطوف على توفته وأفرد أولا لان التوفى يكون لكل شخص على حدة وجمع ثانيا لان الرد يكون للجميع (قوله مالكهم) دفع بذلك ما يقال ان بين هذه الآية وآية وان الكافرين لا مولى لهم تنافيا فأجاب بأن المراد بالمولى هنا المالك وبه هناك الناصر (قوله ألا له الحكم) أى لا لغيره (قوله لحديث بذلك) وفى رواية أنه تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة (قوله قل يا محمد) أى توبيخا لهم وردعا (قوله أهوالهما) أى فالظلمات كناية عن الاهوال والشدائد التى تحصل فى البر والبحر وما مشى عليه المفسر أتم لشموله الحقيقة وغيرها وقيل المراد بالظلمات حقيقتها فظلمات البر هى ما اجتمع من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة (قوله وخفية) الجمهور على ضم الخاء وقرأ أبو بكر بكسرها وقرأ الاعمش خيفة كالاعراف (قوله لئن أنجيتنا من هذه) الجملة فى محل نصب مقول القول كما قدره المفسر (قوله والشدائد) عطف تفسير (قوله بالتخفيف والتشديد) أى وكل منهما مع قراءة أنجيتنا بالتاء وأما من قرأ أنجانا فيقرأ بالتشديد هنا لا غير فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله قل هو القادر) هذا بيان لكونه قادرا على الاهلاك اثر بيان أنه المنجى من المهالك (قوله كالحجارة) أى التى نزلت على أصحاب الفيل وقوله والصيحة أى صرخة جبريل التى صرخها على ثمود قوم صالح (قوله كالخسف) أى الذى وقع لقارون (قوله شيعا) منصوب على الحال جمع شيعة وهى من يتقوى بهم الانسان ويجمع على أشياع (قوله فرقا) جمع فرقة وهى الجماعة (قوله لما نزلت) أى آية أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض (قوله أهون وأيسر) أى مما قبله وهو رضا بقضاء الله والا فقد استعاذ منه أولا فلم يفد (قوله ولما نزل ما قبله) أى قوله على أن يبعث عليكم الخ (قوله أعوذ بوجهك) أى فقال مرتين مرة عند نزول قوله عذابا من فوقكم ومرة عند نزول قوله أو من تحت أرجلكم (قوله فمنعنيها) أى منعنى هذه المسئلة بمعنى أنه لم يجبنى فى هذه الدعوة لما سبق فى علمه من حصولها فكان أول ابتدائها اذاقة البعض بأس البعض بعد موته صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فى واقعة على ومعاوية وما زالت الفتن تتزايد الى يوم القيامة (قوله لما نزلت) أى هذه الآية (قوله قال أما انها) أما أداة استفتاح وانها بكسر الهمزة والضمير عائد على الامور الاربعة عذابا من فوقكم وعذابا من تحت أرجلكم وتفريقكم شيعا ونصب القتال بينكم فهذه الاربعة كائنة قبل يوم القيامة لكن الاخيران قد وقعا من منذ عصر الصحابة والاولان تفضل الله بالتأخير وقوعهما الى قرب قيام الساعة هكذا ورد ولكن قال العلماء وان كان الاخيران يقعان قرب قيام الساعة لكن العذاب بهما ليس عاما كما وقع فى الامم الماضية (قوله ولم يأت تأويلها) الضمير يعود على الآية أو الامور الاربعة أى صرفها عن ظاهرها بل هى باقية على ظاهرها لكن بالوجه الذى علمته (قوله وكذب به قومك) أى أنكر وه حيث قالوا انه سحر أو شعر أو كهانة أو غير ذلك وما ذكره المفسر من أن الضمير عائد على القرآن هو أحد أقوال وهو أقربها وقيل الضمير عائد على العذاب وقيل على الحق وقيل على النبى وهو بعيد (قوله الصدق) أى لانه نزل من عند الله وما كان من عند الله فهو صدق لا محالة (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أشار بذلك الى أنه منسوخ بآيات القتال والمحققون من المفسرين أن يقول

(لكل نبأ) خبر (مستقر) وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم (وسوف تعلمون) تهديد لهم (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا)
القرآن بالاستهزاء (فأعرض عنهم) ولا تجالسهم (حتى يخوضوا في حديث غيره وإما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما المزيدة (ينسينك) بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد (الشيطان) فقعدت معهم (فلا تقعد بعد الذكرى) أي تذكره (مع القوم الظالمين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر وقال المسلمون ان قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف فنزل (وما على الذين يتقون) الله (من حسابهم) أي الخائضين (من) زائدة (شيء) اذا جالسوهم (ولكن) عليهم (ذكرى) تذكرة لهم وموعظة (لعلهم يتقون) الخوض (وذر) اترك (الذين اتخذوا دينهم) الذي كلفوه (لعبا ولهوا) باستهزائهم به (وغرتهم الحيوة الدنيا) فلا تتعرض لهم وهذا قبل الامر بالقتال (وذكر) عظ (به) بالقرآن الناس لـ (أن) لا (تبسل نفس) تسلم الى الهلاك (بما كسبت) عملت (ليس لها من دون الله) أي غيره (ولي) ناصر (ولا شفيع) يمنع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) تفد كل فداء (لا يؤخذ منها) ما تفدى به (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم) ماء بالغ نهاية الحرارة (وعذاب أليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) بكفرهم (قل أندعوا) أنعبد (من دون الله ما لا ينفعنا) بعبادته (ولا يضرنا) بتركها وهو الاصنام (ونرد على أعقابنا) نرجع مشركين (بعد اذ هدانا الله) الى الاسلام (كالذي استهوته) أضلته (الشياطين)

فأقاتلكم بدليل قوله فأجازيكم والحاصل أن في الآية تفسيرين الاول أن الآية محكمة والمعنى استحق مجازاة على أعمالكم في الآخرة والثاني أنها منسوخة والمعنى لست مقاتلا لكم ان حصلت منكم المخالفة اذا علمت ذلك فالفرق بين التفسيرين (قوله لكل نبأ مستقر) نزلت رد الاستعجالهم العذاب الذي كان يعدهم به والمعنى لكل خبر من الاخبار رحمة أو عذابا زمن يقع فيه اما في الدنيا أو الآخرة أو فيهما لا يعلمه الا الله (قوله وقت يقع فيه) أشار بذلك الى أن مستقر اسم زمان ويصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان (قوله واذا رأيت) رأى بصرية والذين مفعولها ويبعد كونها علمية لانه يقتضي أن المفعول الثاني محذوف وحذفه اما شاذ أو ممنوع (قوله يخوضون) الخوض في الاصل الدخول في الماء فيستعار للشروع والدخول في الكلام فشبه آيات الله بالبحر وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الخوض فاثباته تخييل والجامع بينهما التعرض للهلاك في كل فان الخائض للبحر الغريق متعرض للهلاك فكذلك المتعرض للاباطيل في كلام الله (قوله فأعرض عنهم) الخطاب له ولاصحابه فالنهي عام وهو منسوخ بآية القتال (قوله في حديث غيره) الضمير عائد على الآيات وذكر باعتبار كونها حديثا (قوله واما ينسينك) الخطاب له والمراد غيره لان انساء الشيطان له مستحيل عليه (قوله بسكون النون والتخفيف) أي للسين من أنساه أوقعه في النسيان وقوله وفتحها أي النون وقوله والتشديد أي للسين من نساه فيتعدى بالهمز والتضعيف وهما قراءتان سبعيتان ومفعول ينسينك محذوف تقديره النهي أو ما أمرك الله به (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أي زيادة في التشنيع عليهم وأتى في جانب الرؤية باذا المفيدة للتحقيق وفي جانب الانساء بان المفيدة للشك اشارة الى أن خوضهم في الآيات محقق وانساء الشيطان غير محقق بل قد يقع وقد لا يقع (قوله وقال المسلمون الخ) بيان لسبب نزول الآية (قوله وما على الذين يتقون) الجار والمجرور خبر مقدم ومن شيء مبتدأ مؤخر (قوله اذا جالسوهم) أي فالجلوس مع الخائضين غير ممنوع لكن بشرط عدم مسايرتهم لما هم عليه وبشرط وعظهم ونهيهم عن المنكر فهو تخصيص للنهي المتقدم (قوله ولكن عليهم ذكرى) أشار بذلك الى أن ذكرى مبتدأ خبره محذوف ويصح أن يكون مفعولا لمحذوف تقديره ولكن يذكرونهم ذكرى (قوله الذي كلفوه) أي وهو دين الاسلام ودفع بذلك ما يقال المشركون لا دين لهم من الاديان المشروعة فكيف أضيف اليهم دين وأخبر عنه أنهم اتخذوه لعبا ولهوا (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) فهو منسوخ بآيته ويدخل في عموم هذه الآية من اتخذ دين الاسلام لهوا ولعبا وأحدث فيه ما ليس منه كالخوارج وبعض من يدعي الانتساب الى الصالحين حيث جعلوا الطريقة الموصلة الى الله طبلا وزمرا وأحدثوا أمورا لا أصل لها في دين الله (قوله أن تبسل) علة لقوله وذكر به على حذف لام العلة قدرها المفسر ولا مقدرة والابسال هو تسليم النفس في الحرب للقتال والباسل الشجاع الذي يلقي بنفسه للهلاك (قوله ليس لها) اما استئناف أو حال من نفس أو صفة لها (قوله ولي) اسم ليس ولها خبر مقدم ومن دون الله حال من ولي (قوله تفد كل فداء) أي تفد بكل فداء (قوله ما تفدى به) أشار بذلك الى أن الضمير في لا يؤخذ عائد على الفداء بمعنى المفدى به فهو مصدر أريد به اسم المفعول (قوله أولئك الذين) اسم الاشارة مبتدأ خبره الاسم الموصول ولهم شراب مبتدأ وخبر والجملة اما خبر ثان أو حال من الضمير في أبسلوا أو مستأنف بيان للابسال (قوله ماء بالغ نهاية الحرارة) أي يقطع الامعاء كما قال في الآية الاخرى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم (قوله بكفرهم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية والفعل في تأويل مصدر مجرور بالباء (قوله قل أندعوا) قيل سبب نزولها أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل اسلامه دعا والده الى عبادة الاصنام فنزلت الآية أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يرد على عبد الرحمن ومن يقول بقوله وفيه اعتناء بشأن الصديق واظهار لفضله حيث وجه الامر الى الرسول وفي الواقع الامر لابي بكر والمعنى لا يليق منا عبادة ما لا ينفعنا اذا عبدناه ولا يضرنا اذا تركناه (قوله ونرد على أعقابنا) معطوف على ندعوا فهو داخل في حيز الاستفهام (قوله بعد اذ هدانا الله) أي بعد وقت هداية الله لنا (قوله كالذي) صفة

لموصوف محذوف أي ترددا مثل رد الذي استهوته والاستهواء من الهوى وهو السقوط من علو الى سفل سمي الاضلال بذلك لان من سقط من علو الى سفل ولم يجد محلا يستند عليه هلك فكذلك من ترك الدين القويم ولم يتبعه هلك ولا يجد ناصرا وقد صرح بالمراد من هذا التشبيه في قوله تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق والحاصل أن المشرك بالله مع وجود من يدله على التوحيد مثله مثل من اختطفته الشياطين وسارت به في المفاوز والمهالك مع سماعه منادا من يأخذ بيده ويخلصه منهم وهو مفرط وراض لنفسه بذلك والمراد بالشياطين ما يشمل شياطين الانس (قوله في الارض) متعلق باستهوته (قوله حال من الهاء) أي في استهوته (قوله له أصحاب) جملة في محل نصب صفة لحيران (قوله والاستفهام الخ) أي وهو قوله أندعوا والمعنى لا ينبغي أن نعبد غير الله بعد هدايته لنا لان من عبد غير الله بعد ايمانه بالله كان كمثل من أخذته الشياطين فصار حيران لا يدري أين يتوجه مع كون أصحابه يدعونه الى الطريق المستقيم فلا يجيبهم (قوله هو الهدى) أي التوفيق والاستقامة والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر فهو بمعنى ان الدين عند الله الاسلام (قوله وأمرنا) أي أمرنا الله بأن نسلم بمعنى نوحد وننقاد لرب العالمين (قوله وأن أقيموا الصلاة) قدر المفسر الباء اشارة الى أنه معطوف على أن نسلم فهو داخل تحت الامر أيضا وفيه التفات من التكلم للخطاب وعطف التقوى عليه من عطف العام وخص الصلاة بعد الاسلام لانها أعظم أركانه (قوله وهو الذي اليه تحشرون) هذا دليل للامر المتقدم وهو سبب لامتثاله والمعنى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه لانكم تجمعون اليه ويحاسبكم (قوله أي محقا) أشار بذلك الى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال أي حال كونه محقا أي متصفا بالحقية وهو وجوب الوجود الذي لا يقبل الزوال ويحتمل أن يكون المعنى محقا لا هازلا ولا عابثا بل خلقه ما لحكم ومصالح لعباده ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين (قوله يوم) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والواو للاستئناف (قوله يقول كن) هذا كناية عن سرعة الايجاد وهو تقريب للعقول والا فلا كاف ولا نون قال تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب (قوله فيكون) كل من كن ويكون تام يكتفي بالمرفوع وهو ضمير يعود على جميع ما يخلقه الله (قوله يقول للخلق) أي جميعهم من مبدا الدنيا الى منتهاها من العالم العلوي والسفلي (قوله قوله الحق) يصح أن يكون مبتدأ وخبرا أو مبتدأ والحق نعته وخبره قوله يوم يقول (قوله لا محالة) أي لا بد من وقوعه وهو بفتح الميم مصدر ميمي وأما بضم الميم فمعناه الباطل وليس مرادا هنا (قوله يوم ينفخ) اما ظرف لقوله وله الملك وخص بذلك وان كان الملك لله مطلقا لانه في ذلك الوقت لا يملك أحد شيأ مما كان يملكه في الدنيا قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة أو خبر عن الملك والتقدير والملك يوم ينفخ في الصور له أو بدل من يوم يقول (قوله في الصور) هو نائب الفاعل (قوله القرن) أي المستطيل قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق وفيه جميع الارواح وفيه ثقب بعددها فاذا نفخ خرجت كل روح من ثقبة ووصلت لجسدها فتحلها الحياة فالاحياء يحصل بايجاد الله عند النفخ لا بالنفخ فهو سبب عادي (قوله النفخة الثانية) أي وأما الاولى فعندها يموت كل ذي روح قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون (قوله ما غاب وما شوهد) أي بالنسبة للخلق والا فالكل عند الله شهادة ولا يغيب عليه شيء بل ما في تخوم الارضين والسموات بالنسبة له كما على ظهرها سواء بسواء (قوله وهو الحكيم الخبير) كالدليل لما قبله (قوله واذ قال ابراهيم) الظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والجملة معطوفة على جملة قل أندعوا من دون الله والمعنى قل يا محمد لكفار مكة أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا واحتج عليهم بما وقع لابراهيم مع قومه حيث شنع على عبادة الاصنام (قوله واسمه تارخ) يقرأ بالخاء المعجمة والحاء المهملة وقيل ان آزر اسمه وتارخ لقبه وهو جمع بين قولين وتارخ بدل أو عطف بيان وآزر من الازر وهو العيب لانه قام به العيب حيث عبد الاصنام أو المعوج ولا شك انه قام به الامران

في الارض حيران) متحيرا لا يدري أين يذهب حال من الهاء (له أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) أي ليهدوه الطريق يقولون له (ائتنا) فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للانكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد (قل ان هدى الله) الذي هو الاسلام (هو الهدى) وما عداه ضلال (وأمرنا لنسلم) أي بأن نسلم (لرب العالمين وأن) أي بأن (أقيموا الصلاة واتقوه) تعالى (وهو الذي اليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة للحساب (وهو الذي خلق السموات والارض بالحق) أي محقا (و) اذكر (يوم يقول) للشيء (كن فيكون) هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا (قوله الحق) الصدق الواقع لا محالة (وله الملك يوم ينفخ في الصور) القرن النفخة الثانية من اسرافيل لا ملك فيه لغيره لمن الملك اليوم لله (عالم الغيب والشهادة) ما غاب وما شوهد (وهو الحكيم) في خلقه (الخبير) بباطن الاشياء كظاهرها (و) اذكر (اذ قال ابراهيم لابيه آزر) هو لقبه واسمه تارخ (أتتخذ

العيب والعوج (قوله أصناما) المراد بها ما صور على هيئة الانسان وعبد من دون الله كانت من خشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو غير ذلك وأصناما مفعول أول لتتخذ وآلهة مفعول ثان (قوله تعبدها) أى أنت وقومك الذين هم الكنعانيون (قوله استفهام توبيخ) أى على سبيل الانكار (قوله انى أراك) أى أعلمك فالكاف مفعول أول وفى ضلال مبين مفعول ثان ومقتضى هذه الآية وآية مريم أن آزر أبا ابراهيم كان كافرا وهو يشكل على ما قاله المحققون ان نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظ من الشرك فلم يسجد أحد من آبائه من عبد الله الى آدم لصنم قط وبذلك قال المفسرون فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وقال البوصيرى فى الهمزية و بدا للوجود منك كريم * من كريم آباؤه كرماء

وأجيب عن ذلك بان حفظهم من الاشراك مادام النور المحمدى فى ظهرهم فاذا انتقل جاز أن يكفر وبعد ذلك كذا قال المفسرون هنا وهذا على تسليم أن آزر أبوه وأجاب بعضهم أيضا بمنع ان آزر أبوه بل كان عمه وكان كافرا وتارخ أبوه مات فى الفترة ولم يثبت سجوده لصنم وانما سماه أبا على عادة العرب من تسمية العم أبا وفى التوراة اسم أبى ابراهيم تارخ (قوله بين) أى ظاهر لا شك فيه (قوله كما أريناه ضلال قومه) أى بسبب تعليمه التوحيد وكونه مجبولا عليه لما ورد أنه حين نزل من بطن أمه قام واقفا على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت الحمد لله الذى هدانا لهذا (قوله ملك) أشار بذلك الى أن المراد بالملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت من الرغبة والرهبة والرحمة وعلى هذا فالملكوت والملك واحد وللصوفية فرق بين الملك والملكوت فالملك ما ظهر لنا والملكوت ما خفى عنا كالسموات وما فيها اذا علمت ذلك فالاولى ابقاؤه على ظاهره لما ورد أنه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسى وما فى السموات من العجائب وحتى رأى مكانه فى الجنة فذلك قوله تعالى وآتيناه أجره فى الدنيا وكشف له عن الارض حتى نظر الى أسفل الارضين ورأى ما فيها من العجائب وهذا يفيد أن الرؤية بصرية لا علمية (قوله ليستدل به على وحدانيتنا) أى ليعلم قومه كيفية الاستدلال على ذلك لا لتوحيد نفسه فان توحيده بالمشاهدة لا بالدليل (قوله وليكون من الموقنين) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليستدل الخ (قوله اعتراض) أى بين قوله واذ قال ابراهيم وبين الاستدلال عليهم (قوله فلما جن) من الجنة وهى الستر وحاصل ذلك أن نمروذ بن كنعان كان يدعو الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه فامر بذبح كل غلام يولد فى تلك السنة وأمر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلوا بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون فى الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما فخرج نمروذ بالرجال فى البرية وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره عنده وقال له ان لى اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم أبعثك فيها الا لثقتى بك فاقسمت عليك ان لا تدنو من أهلك فقال آزر أنا أشح على دينى من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم دخل على أهله فلم يملك نفسه حتى واقع زوجته فحملت من ساعتها بابراهيم فلما دنت ولادتها خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فلما وضعته جعلته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة وتركته وقيل أخبرت أباه به وقيل لا وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا وكان ابراهيم يشب فى اليوم كالشهر وفى الشهر كالسنة فمكث خمسة عشر شهرا قالوا فلما شب ابراهيم وهو فى السرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى كنا نحدث انه يغير دين أهل الارض ثم أخبرته بما قال فاتاه أبوه آزر فقال ابراهيم يا أبتاه من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال

أصناما آلهة) تعبدها استفهام توبيخ (انى أراك وقومك) باتخاذها (فى ضلال) عن الحق (مبين) بين (وكذلك) كما أريناه ضلال أبيه وقومه (نرى ابراهيم ملكوت) ملك (السموات والارض) ليستدل به على وحدانيتنا (وليكون من الموقنين) بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض وعطف على قال (فلما جن) أظلم (عليه الليل رأى كوكبا)

قيل هو الزهرة (قال) لقومه وكانوا

نجامين (هذا ربي) في زعمكم (فلما أفل) غاب (قال لا أحب الآفلين) أن أتخذهم أربابا

لان الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال لانهما من شأن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك فلما رأى القمر بازغا طالعا (قال) لهم (هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي) يثبتني على الهدى (لاكونن من القوم الضالين) تعريض لقومه بانهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا) ذكره لتذكير خبره (ربي هذا أكبر) من الكواكب والقمر (فلما أفلت) وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا (قال يا قوم اني بريء مما تشركون) بالله من الاصنام والاجرام المحدثة المحتاجة لمحدث فقالوا له ما تعبد قال (اني وجهت وجهي) قصدت بعبادتي (للذي فطر) خلق (السموات والارض) أي الله (حنيفا) مائلا الى الدين القيم (وما أنا من المشركين) به (وحاجه قومه) جادلوه في دينه وهددوه بالاصنام أن تصيبه بسوء ان تركها (قال أتحاجوني) بتشديد النون وتخفيفها بحذف احدى النونين وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء أتجادلونني (في) وحدانية (الله وقد هدان) تعالى اليها (ولا أخاف ما تشركون) ه (به) من الاصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء (الا) لكن (أن يشاء ربي شيأ)

نمرود فقال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآية واختلف في
وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ والرسالة أو بعدهما والصحيح أنه بعد البلوغ وايتاء الرسالة وما وقع من
ابراهيم انما هو مجاراة لقومه واستدراج لهم لاجل أن يعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله وليس اثباته
الربوبية لهذه الاجرام على حقيقته حاشاه من ذلك لان الانبياء معصومون من الجهل قبل النبوة وبعدها لان
توحيدهم بالشهود على طبق ما جبلت عليه أرواحهم من يوم ألست بربكم (قوله قيل هو الزهرة) خصها
لانها أضوأ الكواكب وهي في السماء الثالثة (قوله وكانوا نجامين) أي عالمين بالنجوم وعابدين لها (قوله في
زعمكم) أي فالجملة خبرية على حسب زعمهم لا على حسب الواقع واعتقاد ابراهيم (قوله غاب) يقال أفل
الشيء أفولا غاب (قوله التغير والانتقال) أي لان الافول حركة والحركة تقتضي حدوث المتحرك وامكانه
فيمتنع أن يكون الها (قوله فلم ينجع) أي لم يؤثر ويفد وهو من باب خضع يقال نجع فيه وعظه أثره
(قوله بازغا) حال من القمر والبزوغ الطلوع (قوله قال هذا ربي) أي بزعمكم كما تقدم (قوله يثبتني على
الهدى) انما قال ذلك لان أصل الهدى حاصل للانبياء بحسب الفطرة والخلقة فلا يتصور نفيه (قوله تعريض
لقومه) انما عرض بضلالهم في أمر القمر لانه أيس منهم في أمر الكواكب ولو قاله في الاول لما أنصفوه ولهذا
صرح في الثالثة بالبراءة منهم وانهم على شرك أي فالتعريض هنا الاستدراج للخصم الى الاذعان والتسليم (قوله
فلم ينجع فيهم ذلك) أي الدليل المذكور (قوله لتذكير خبره) أي وهو ربي وهذا كالتبيين لان المبتدأ والخبر
عبارة عن شيء واحد والرب سبحانه وتعالى مصان عن شبهة التأنيث ألا تراهم قالوا في صفته علام ولم يقولوا
علامة وان كان علامة أبلغ تباعدا عن علامة التأنيث (قوله هذا أكبر) أي جرما وضوأ وسعة جرم الشمس
مائة وعشرون سنة كما قاله الغزالي وفي رواية انها قدر الارض مائة وستين مرة والقمر قدرها مائة وعشرين
(قوله مما تشركون) ما مصدرية أي بريء من اشراككم أو موصولة أي من الذي تشركونه مع الله فحذف
العائد (قوله والاجرام) عطف عام لانها تشمل الاصنام والنجوم (قوله قصدت بعبادتي) أي فليس المراد
بالوجه الجسم المعروف بل المراد به القلب وانما عبر المفسر بالقصد لان القصد والنية محلهما القلب وانما أول في
لوجه المعنى لاستحالة الجهة على الله (قوله خلق السموات والارض) أي وما فيهما ومن جملته معبوداتكم
العلوية والسفلية فقد أبطل السفلية بقوله اني أراك وقومك في ضلال مبين والعلوية بقوله فلما جن عليه الليل
الخ (قوله حنيفا) حال من التاء في وجهت (قوله وحاجه قومه) روي أنه لما شب ابراهيم وكبر جعل آزر
يصنع الاصنام ويعطيها ليبيعها فيذهب بها وينادي يامن يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت
عليه ذهب بها الى نهر وضرب فيه رؤسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه حتى فشا فيهم استهزاؤه وجادلوه فذلك
قوله تعالى وحاجه قومه الخ (قوله وهددوه) عطف تفسير على جادلوه أي فمحاجتهم كانت بالتهديد لا بالبرهان
لعدمه عندهم ومحاجة ابراهيم كانت بالبرهان ففرق بين المقامين (قوله أن تصيبه بسوء) أي كخبل وجنون
(قوله قال أتحاجوني الخ) استئناف وقع جوابا لسؤال نشأ من حكاية محاجتهم كأنه قيل فماذا قال حين حاجوه
(قوله بتشديد النون) أي لادغام نون الرفع في نون الوقاية وقوله وتخفيفها أي لثقلها واجتماع مثلين في كلمة
واحدة وهما الجيم والنون (قوله عند النحاة) أي كسيبويه وغيره من البصريين مستدلين بانها نائبة
عن الضمة وهي قد تحذف تخفيفا كما في قراءة أبي عمرو وينصركم ويأمركم بالاسكان فكذا ما ناب عنها (قوله
عند القراء) أي مستدلين بان الثقل انما حصل بها (قوله وقد هدان) يرسم بلا ياء لانها من ياآت الزوائد
وفي النطق يجب حذفها في الوقف ويجوز اثباتها وحذفها في الوصل وجملة وقد هدان في محل نصب على
الحال من الياء في أتحاجوني والمعنى أتجادلوني في الله حال كونه هاديا من عنده وحجتكم لا تجدي
شيأ لانها داحضة (قوله ما تشركون به) أشار الى أن ما موصولة والهاء في به تعود على ما والمعنى ولا
أخاف الذي تشركون الله به أو تعود على الله والمفعول هو العائد على ما (قوله لكن) أشار بذلك

الى

الى أن الاستثناء منقطع لان المشيئة ليست مما يشركون به (قوله يصيبنى) صفة لشاء وهو اشارة الى تقدير مضاف أى الا أن يشاء ربى اصابة شئ لى وقوله فيكون بالنصب عطف على مدخول ان أو بالرفع استئناف أى فهو يكون (قوله علما) تمييز محول عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو واشتعل الرأس شيبا والجملة كالتعليل للاستثناء (قوله أفلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه أى أتعرضون عن التأمل فى أن آلهتكم جمادات لا تضر ولا تنفع أفلا تتذكرون بطلانها (قوله وكيف أخاف ما أشركتم) استئناف مسوق لنفى الخوف عنه بالطريق الالزامى بعد نفيه عنه بحسب الواقع فى قوله سابقا ولا أخاف ما تشركون به والاستفهام للتعجب (قوله مالم ينزل به) مفعول لاشركتم (قوله فاى الفريقين) أى من الموحد والمشرك (قوله ان كنتم تعلمون) ان شرطية وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فاتبعوه (قوله الذين آمنوا الخ) يحتمل أن يكون من كلام ابراهيم أو من كلام قومه أو من كلام الله تعالى أقوال للعلماء فان قلنا انها من كلام ابراهيم كان جوابا عن السؤال فى قوله فاى الفريقين الخ وكذا ان قلنا انها من كلام قومه ويكونون أجابوا بما هو حجة عليهم وعلى هذين الاحتمالين فهو خبر لمحذوف وان كان من كلام الله تعالى لمجرد الاخبار كان الموصول مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان والامن مبتدأ ثالث ولهم خبره والجملة خبر أولئك وأولئك وخبره خبر الاول (قوله فى حديث الصحيحين) أى فيهما عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا الخ شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وهذا ما ذهب اليه أهل السنة وذهب المعتزلة الى أن المراد بالظلم فى الآية المعصية لا الشرك بناء على ان خلط أحد الشيئين بالآخر يقتضى اجتماعهما ولا يتصور خلط الايمان بالشرك لانهما ضدان لا يجتمعان وأجاب أهل السنة بان الايمان قد يجامع الشرك ويراد بالايمان مطلق التصديق سواء كان باللسان أو بغيره وكذا ان اريد به تصديق القلب لجواز ان يصدق المشرك بوجود الصانع دون وحدانيته كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفاده زاده على البيضاوى (قوله وتلك حجتنا) أعرب المفسر اسم الاشارة مبتدأ وحجتنا بدل منه وجملة آتيناها خبر المبتدأ وقوله على قومه متعلق بمحذوف حال من الهاء فى آتيناها وهو أحسن الاعاريب وقيل ان تلك حجتنا مبتدأ وخبر وآتيناها خبر ثان وعلى قومه متعلق بحجتنا واسم الاشارة عائد على قوله فلما جن عليه الليل الى هنا ومن قوله وكذلك نرى ابراهيم الى هنا (قوله من أفول الكواكب) أى التى هى الزهرة والقمر والشمس (قوله وما بعده) أى وهو قوله وحاجه قومه الخ (قوله آتيناها ابراهيم) أى بوحى أو الهام (قوله حجة على قومه) قدره المفسر اشارة الى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء فى آتيناها (قوله نرفع درجات من نشاء) مفعول نشاء محذوف تقديره رفعها (قوله بالاضافة والتنوين) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الاضافة المفعول به هو درجات وعلى التنوين هو من نشاء ودرجات ظرف لنرفع والتقدير نرفع من نشاء فى درجات (قوله فى العلم والحكمة) قيل هى النبوة فالعطف مغاير وقيل العلم النافع فالعطف خاص على عام اعتناء بشرف نفع العلم واظهار الفضله (قوله ان ربك حكيم) أى يضع الشئ فى محله وهو كالدليل لما قبله والمعنى أن الله حكيم لا معقب لحكمه فيرفع من يشاء ويضع من يشاء لا اعتراض عليه فانه حكيم يضع الشئ فى محله عليم لا يخفى عليه شئ (قوله ووهبنا له اسحق الخ) لما أنعم الله على ابراهيم عليه السلام بالنبوة والعلم ورفع درجاته حيث جاهد فى الله حق جهاده أتم الله عليه النعمة بأن وهب له اسحق ويعقوب واسمعيل وجعل فى ذريته النبوة الى يوم القيامة واسحق هو من سارة وجملة وهبنا معطوفة على قوله وتلك حجتنا عطف فعلية على اسمية والمقصود من تلاوة هذه النعم على محمد تشريفه لان شرف الوالد يسرى للولد (قوله كلا هدينا) أى لا شرع الذى أوتيه (قوله ونوحا هدينا من قبل) نوح هو ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم وبالكاف وقيل ملكان بفتح الميم وسكون اللام وبالنون بعدها الكاف ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو وسكون الشين المعجمة وكسر اللام

من المكروه ان يصيبنى فيكون (وسع ربى كل شئ علما) أى وسع علمه كل شئ (أفلا تتذكرون) هذا فتؤمنون (وكيف أخاف ما أشركتم) بالله وهى لا تضر ولا تنفع (ولا تخافون) أنتم من الله (أنكم أشركتم بالله) فى العبادة (مالم ينزل به) بعبادته (عليكم سلطانا) حجة وبرهانا وهو القادر على كل شئ (فاى الفريقين أحق بالامن) أنحن أم أنتم (ان كنتم تعلمون) من الاحق به أى وهو نحن فاتبعوه قال تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا) يخلطوا (ايمانهم بظلم) أى شرك كما فسر بذلك فى حديث الصحيحين (أولئك لهم الامن) من العذاب (وهم مهتدون وتلك) مبتدأ ويبدل منه (حجتنا) التى احتج بها ابراهيم على وحدانية الله من أفول الكواكب وما بعده والخبر (آتيناها ابراهيم) أرشدناه لها حجة (على قومه نرفع درجات من نشاء) بالاضافة والتنوين فى العلم والحكمة (ان ربك حكيم) فى صنعه (عليم) بخلقه (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ابنه (كلا) منهما (هدينا ونوحا هدينا من قبل)

أي قبل ابراهيم (ومن ذريته) أي نوح (داود وسليمان) ابنه (وأيوب ويوسف) بن يعقوب (وموسى وهرون وكذلك) كما جزيناهم (نجزي المحسنين وزكريا ويحيى) ابنه (وعيسى) ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت (والياس) ابن أخي هرون أخي موسى (كل) منهم (من الصالحين واسمعيل) بن ابراهيم (واليسع) اللام زائدة (ويونس ولوطا) بن هاران أخي ابراهيم (وكلا) منهم (فضلنا على العالمين) بالنبوة (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم) عطف على كلا أو نوحا ومن للتبعيض لان بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر (واجتبيناهم) اخترناهم (وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) الدين الذي هدوا اليه (هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا) فرضا (لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب) بمعنى الكتب (والحكم) الحكمة (والنبوة فان يكفر بها) أي بهذه الثلاثة (هؤلاء) أي أهل مكة (فقد وكلنا بها) أرصدنا لها (قوما ليسوا بها بكافرين) هم المهاجرون والانصار (أولئك الذين هدى) هم (الله فبهداهم) طريقهم من التوحيد والصبر (اقتده) بهاء السكت وقفا ووصلا وفي قراءة بحذفها وصلا (قل) لاهل مكة (لا أسألكم عليه) أي القرآن (أجرا) تعطونيه (ان هو) ما القرآن (الا ذكرى) عظة (للعالمين) الانس والجن

و بالخاء المعجمة ابن ادريس (قوله ومن ذريته) يحتمل ان الضمير عائد على نوح لانه أقرب مذكور واختاره المفسر ويحتمل انه عائد على ابراهيم لانه المحدث عنه ويبعده ذكر لوط في الذرية مع أنه ليس من ذرية ابراهيم بل هو ابن هاران وهو أخو ابراهيم (قوله وأيوب) هو ابن أموص بن رازح بن عيص بن اسحق (قوله وموسى) هو ابن عمران بن يصهر بن لاوي بن يعقوب وقوله وهرون أي وهو أخو موسى وكان أسن منه بسنة (قوله نجزي المحسنين) أي المؤمنين أي فن اتبعهم في الايمان ألحق بهم ورفع الله درجاته (قوله يفيد أن الذرية الخ) أي لان عيسى لا أب له (قوله والياس ابن أخي هرون) وقيل هو ادريس فله اسمان وهو خلاف الصحيح لان ادريس أحد أجداد نوح وليس من الذرية والياس بهمز أوله وتركه وهو ابن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وهذا هو الصحيح فالصواب للمفسر حذف لفظة أخي (قوله واليسع) الجمهور على انه بلام واحدة ساكنة وفتح الياء وقرئ بلام مشددة وياء ساكنة وهو ابن اخطوب ابن العجوز (قوله ويونس) هو ابن متى وهي أمه (قوله وكلا فضلنا على العالمين) أي على سائر الاولين والآخرين (قوله عطف على كلا) أي والعامل فيه فضلنا وقوله أو نوحا أي والعامل فيه هدينا والاقرب الاول (قوله ومن للتبعيض) هذا ظاهر في الآباء والابناء لا الاخوان فانهم كلهم مهديون (قوله لان بعضهم لم يكن له ولد الخ) هذا تعليل لكون من للتبعيض وقد خصه المفسر بالذرية ويقال مثله في الآباء والحاصل انه ذكر في هذه الآيات من الانبياء الذين يجب الايمان بهم تفصيلا ثمانية عشر وبقي سبعة وهم محمد صلى الله عليه وسلم وادريس وشعيب وصالح وهود وذو الكفل وآدم فتكون الجملة خمسة وعشرين مذكورين في القرآن يجب الايمان بهم تفصيلا وبقي ثلاثة مذكورون في القرآن واختلف في نبوتهم لقمان وذو القرنين والعزير من أنكر وجودهم كفر ومن أنكر نبوتهم لا يكفر (قوله الذي هدوا اليه) أي وهو التوحيد (قوله ولو أشركوا فرضا) أشار بذلك الى أن الشرك مستحيل عليهم فلو غير مقتضية للوقوع أو هو خطاب لهم والمراد غيرهم (قوله أولئك) أي الانبياء المتقدمون وهم الثمانية عشر (قوله الحكمة) أي العلم النافع أو المراد بالحكم الفصل بين الناس والقضاء بينهم (قوله فقد وكلنا) أي وفقنا وأعددنا القيام بحقها وهذا دليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا ضرر عليك لانا قد وكلنا الخ وفي هذه موعدة من الله بنصره واظهار دينه (قوله ليسوا بها بكافرين) أي بل هم مستمرون على الايمان بها والمعنى لا تحزن يا محمد على كفر أهل مكة فان من كفر منهم وباله على نفسه وأما آيات الله فقد جعل لها أهلا يؤمنون بها ويعملون بها الى يوم القيامة (قوله من التوحيد الخ) دفع بذلك ما يقال ان هذه الآية تقتضي أن رسول الله تابع لغيره من الانبياء مع أن شرعه ناسخ لجميع الشرائع وان كلهم ملتمسون منه فاجاب بأن الاقتداء في التوحيد والصبر على الاذى لا في فروع الدين (قوله وقفا ووصلا) أما الوقف فظاهر وأما الوصل فاجراء له مجرى الوقف قال ابن مالك

وربما أعطى لفظ الوصل ما * للوقف نثرا وفشا منتظما

(قوله الانس والجن) أي ففي الآية دليل على عموم رسالته للعالمين الى يوم القيامة وقد احتج العلماء بهذه على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال أذى على قومه وابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في سبيل الله عز وجل واسحق ويعقوب وأيوب أصحاب صبر على البلاء والمحن وداود وسليمان أصحاب شكر على النعم ويوسف جمع بين الصبر والشكر وموسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة وزكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا واسمعيل صاحب صدق الوعد ويونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله أمر نبيه أن يقتدي بهم في جميع تلك الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا أنه أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال والله أعلم اه من الخازن لكن قد يقال ان المزية لا تقتضي الافضلية ولذا قال أشياخنا المحققون انه وان كان جامعا لجميع ما تفرق في غيره فتفضيله من الله لا لتلك المزايا فقد فاق غيره بلا مزايا (تنبيه)

يين

بين آدم ونوح ألف ومائة سنة وعاش آدم تسعمائة وستين سنة وكان بين ادريس ونوح ألف سنة وبعث نوح لاربعين سنة ومكث في قومه ألف سنة الا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وقيل بعث نوح وهو ابن ثلثمائة وخمسين وابراهيم ولد على رأس ألفي سنة من آدم وبينه وبين نوح عشرة قرون وعاش ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة وولده اسمعيل عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة وأخوه اسحق ولد بعده بأربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة ويعقوب بن اسحق عاش مائة وسبعا وأربعين ويوسف بن يعقوب بن اسحق عاش مائة وعشرين سنة وبينه وبين موسى أربعمائة سنة وبين موسى وابراهيم خمسمائة وخمس وستون سنة وعاش موسى مائة وعشرين سنة وبين موسى وداود خمسمائة وتسع وتسعون سنة وعاش مائة سنة وولده سليمان عاش نيفا وخمسين سنة وبينه وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحو ألف وسبعمائة سنة وأيوب عاش ثلاثا وستين سنة وكانت مدة بلائه سبع سنين انتهى من التحبير في علم التفسير للسيوطي (قوله وماقدروا الله حق قدره) استئناف مسوق لبيان أوصاف اليهود وقدر من باب نصر يقال قدر الشيء اذا سبره وحزره ليعرف مقداره والمعنى لم يعرفوا بقدر الله وهذا الكلام انما هو تنزل مع اليهود والا فالخلائق لم يعظموا الله حق تعظيمه ولم يعرفوه حق معرفته واعلم أن هنا معنيين الاول ان معنى وماقدروا الله حق قدره أي ماعرفوه المعرفة التي تليق به وهذه لا يصل اليها أحد أبدا في الحديث سبحانك ماعرفناك حق معرفتك يامعروف لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وهذا منتف في حق كل مخلوق فلا خصوصية لليهود الثاني أن معنى وماقدروا الله حق قدره أنهم لم يعظموه ولم يعرفوه على حسب ماأمروا به وهذا لم يقع من اليهود وانما هو واقع من المؤمنين وهذا هو المراد هنا (قوله اذ قالوا) اما ظرف لقدروا أو تعليل له (قوله وقد خاصموه في القرآن) أي كفنحاص بن عازوراء ومالك بن الصيف فقد جاء يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يبغض الحبر السمين أي العالم الجسيم وكان مالك المذكور كذلك وكان فيها ماذكر فقال نعم وكان يحب اخفاء ذلك لكن أقر لاقسام النبي عليه السلام فقال له النبي أنت حبر سمين فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فلما سمعت اليهود تلك المقالة غضبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا قال أغضبني محمد فقلت فقالوا وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فعزلوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف (قوله نورا) حال اما من به والعامل فيها جاء أو من الكتاب والعامل فيه أنزل ومعنى نورا بينا في نفسه وهدى مبينا لغيره وللناس متعلق بهدى (قوله يجعلونه) حال ثانية وجعل بمعنى صير فالهاء مفعول أول وقراطيس مفعول ثان على حذف مضاف أي ذا قراطيس أو في قراطيس أو بولغ فيه (قوله بالياء والتاء) فعلى التاء يكون خطابا لليهود وعلى الياء التفات من الخطاب للغيبة (قوله في المواضع الثلاثة) أي يجعلونه ويبدونه ويخفون (قوله مقطعة) أي مفرقة بعضها من بعض ليتمكنوا من اخفاء ما ارادوا اخفاءه (قوله ويخفون كثيرا) أي لم يظهروه بمعنى لم يكتبوه أصلا أو كتبوه وأخفوه عن ملوكهم وسفلتهم وجعلوا ذلك سرا بينهم (قوله كنعت محمد) أي وكآية الرجم وآية ان الله يبغض الحبر السمين (قوله وعلمتم) يحتمل ان الخطاب لليهود كما قال المفسر وتكون الجملة حالية والمعنى تبدونها وتخفون كثيرا والحال ان محمدا علمكم في القرآن بأشياء في التوراة مالم تكونوا تعلموها أنتم ولا آباؤكم ويحتمل ان الخطاب لقريش وتكون الجملة مستأنفة معترضة بين السؤال والجواب (قوله قل الله) يحتمل أنه مبتدأ خبره محذوف تقديره أنزله وعليه درج المفسر وهو الاولى لان السؤال جملة اسمية فيكون الجواب كذلك ويحتمل انه فاعل بفعل محذوف تقديره أنزله الله وقد صرح بالفعل في قوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم (قوله في خوضهم) اما متعلق بذرهم أو بيلعبون ومعنى يلعبون يستهزؤن ويسخرون (قوله وهذا كتاب) مبتدأ وخبر وأنزلناه صفة أولى ومبارك صفة ثانية ومصدق الذي بين يديه صفة ثالثة (قوله القرآن) [illegible]

(وماقدروا) أي اليهود (الله حق قدره) أي ماعظموه حق عظمته أو ماعرفوه حق معرفته (اذ قالوا) للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه في القرآن (ما أنزل الله على بشر من شيء قل) لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه) بالياء والتاء في المواضع الثلاثة (قراطيس) أي يكتبونه في دفاتر مقطعة (يبدونها) أي مايحبون ابداءه منها (ويخفون كثيرا) مما فيها كنعت محمد صلى الله عليه وسلم (وعلمتم) أيها اليهود في القرآن (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه (قل الله) أنزله ان لم يقولوه لا جواب غيره (ثم ذرهم في خوضهم) باطلهم (يلعبون وهذا) القرآن (كتاب أنزلناه

القرء وهو الجمع واصطلاحا اللفظ المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد
بتلاوته وهذا رد عليهم حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء (قوله مبارك) أي كثير الخير لمن آمن به وشر على
من كفر به ومن بركته بقاء الدنيا وإنبات الأرض وأمطار السماء ولذا إذا رفع القرآن تأتي ريح لينة فيموت
بها كل مؤمن ويبقى الكفار فبقاء الخير في الأرض مدة بقاء القرآن فيها (قوله مصدق الذي بين يديه) أي
موافق الكتب التي قبله في التوحيد والتنزيه والمعنى أنه دال على صدقها وأنها من عند الله (قوله بالتاء والياء)
أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا للنبي وعلى الياء يكون الضمير عائدا على القرآن (قوله أي
أنزلناه للبركة) هذه العلة مأخوذة من الوصف بالمشتق لأن تعليق الحكم به يؤذن بالعلية (قوله أي أهل مكة)
أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي أهل أم القرى وهي مكة (قوله وسائر الناس) أشار
بذلك إلى أنه ليس المراد بمن حولها ما قارب بها من البلاد بل المراد جميع البلاد لأن مكة وسط الدنيا واقتصر على
الإنذار لأنه هو الموجود في صدر الإسلام إذ ليس ثم مؤمن يبشر (قوله والذين) مبتدأ ويؤمنون صلته
وبالآخرة متعلق بيؤمنون وقوله يؤمنون به خبره ولم يتحد المبتدأ والخبر لتغاير متعلقيهما والمعنى والذين
يؤمنون بالآخرة إيمانا معتدا به محصورون في الذي يؤمن بالقرآن فخرجت اليهود فلا يعتد بإيمانهم بالآخرة
لعدم إيمانهم بالقرآن (قوله وهم على صلاتهم يحافظون) جملة حالية من فاعل يؤمنون وخص الصلاة بالذكر
لأنها أشرف العبادات (قوله خوفا من عقابها) أي الآخرة (قوله ومن أظلم) من اسم استفهام مبتدأ وأظلم
خبره وكذبا تمييز وأشار بقوله أي لا أحد إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله أو قال أوحي إلي) أو
للتنويع والعطف مغاير وليس من عطف الخاص على العام ولا من عطف التفسير لأن ذلك لا يكون بأو
(قوله ولم يوح إليه شيء) أي من قبل الله بل استهوته الشياطين وسلب الله عقله وختم على سمعه وقلبه وجعل
على بصره غشاوة حيث قال لما نزلت سورة الكوثر أنزلت علي سورة مثلها إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك
وازعق إن شانئك هو الأبلق وغير ذلك من الخرافات التي قالها مسيلمة الكذاب فإن الآية نزلت فيه كما قال
المفسر وقد ورد أنه أرسل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا مع رسولين يذكر فيه من مسيلمة رسول الله
إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض بيننا نصفين فلما وصل الكتاب قال للرسولين أتشهدان له بالرسالة
فقالا نعم فقال رسول الله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما وكتب له من محمد رسول الله إلى
مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (قوله ومن قال)
قدر المفسر من إشارة إلى أنه معطوف على المجرور بعن (قوله وهم المستهزئون) أي كعقبة بن أبي معيط
وأبي جهل وأضرابهما وما ذكره المفسر هو المشهور وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سرح كان من كتبة
الوحي ثم ارتد وقال سأنزل مثل ما أنزل الله ثم رجع إلى الإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم
نازل بمر الظهران وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في أي زمان إلى يوم القيامة
(قوله ولو ترى) لو حرف شرط وجوابها محذوف قدره المفسر فيما يأتي بقوله لرأيت أمرا فظيعا وترى
بصرية ومفعولها محذوف تقديره الظالمين وإذ ظرف لترى والتقدير ولو ترى الظالمين وقت كونهم في
غمرات الموت الخ (قوله المذكورون) أي مسيلمة الكذاب والمستهزئون والأحسن أن يراد ما هو أعم
(قوله في غمرات) جمع غمرة من الغمر وهو الستر يقال غمره الماء إذا ستره سميت السكرة بذلك لأنها تستر
العقل وتدهشه (قوله والملائكة باسطوا أيديهم) تقدم أن الكافر موكل به سبع من الملائكة بعد موته
عند خروج روحه لأن الكافر يكره لقاء الله فتأبى روحه الخروج فيخرجونها كرها إن قلت إن المؤمن
يكره الموت أيضا أجيب بأن المؤمن وإن أحب الحياة وكره الموت لكن ذلك قبل احتضاره ومعاينته
ما أعده الله له من النعيم الدائم وأما إذا شاهد ذلك هانت عليه الدنيا وأحب الموت ولقاء الله وأما الكافر
فعند خروج روحه حين يشاهد ما أعده الله له من العذاب الدائم يزداد كراهة في الموت ويدل على ذلك حديث
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (قوله يقولون لهم تعنيفا) أي

مبارك مصدق الذي بين يديه) قبله من الكتب (ولتنذر) بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به (أم القرى ومن حولها) أي أهل مكة وسائر الناس (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) خوفا من عقابها (ومن) أي لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بادعاء النبوة ولم ينبأ (أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء) نزلت في مسيلمة (و) من (من قال سأنزل مثل ما أنزل الله) وهم المستهزئون قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى) يا محمد (إذ الظالمون) المذكورون (في غمرات) سكرات (الموت والملائكة باسطوا أيديهم) إليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا

لأن

لان الانسان لا يقدر على اخراج روحه وانما ذلك لاجل تعنيتهم ويحتمل أن معنى أخرجوا أنفسكم خلصوها من العذاب الذي حل بكم تهكما بهم (قوله اليوم) ظرف لقوله تجزون فالوقف تم على قوله أنفسكم وأل في اليوم للعهد أي اليوم المعهود وهو يوم خروج أرواحهم ويحتمل أن المراد باليوم يوم القيامة والاحسن أن يراد ما هو أعم (قوله الهوان) أي الذل والصغار لا عذاب التطهير كما يقع لبعض عصاة المؤمنين لان كل عذاب يعقبه عفو فلا يقال له هون وانما يقال لعذاب الكافر (قوله بما كنتم) الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كونكم تقولون الخ (قوله بدعوى النبوة الخ) هذا راجع لقوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الي ولم يوح اليه شيء (قوله وكنتم عن آياته تستكبرون) أي وبسبب كونكم تستكبرون عن آياته فالجار والمجرور متعلق بتستكبرون وهو راجع لقوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ففيه لف ونشر مرتب وهذا باعتبار سبب النزول والا فكل كافر يقال له ذلك عند الموت (قوله ويقال لهم) اختلف في تعيين القائل فقيل الله سبحانه وقيل الملائكة ترجمانا عن الله وهذا مرتب على الخلاف هل الله يكلمهم أولا (قوله فرادى) جمع فرد أو فريد أو فردان بمعنى منفردين خالين عن الدنيا ومتاعها (قوله حفاة عراة) أي وذلك عند الحساب فلا ينافي أنهم يخرجون من القبور بالاكفان فاذا حشروا ودنت الشمس من الرؤس تطايرت الاكفان (قوله غرلا) بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة جمع أغرل كحمر جمع أحمر أي غير مقطوعين القلفة (قوله وتركتم ما خولناكم) الجملة حالية من فاعل جئتمونا وقوله وراء ظهوركم متعلق بتركتم (قوله أي في استحقاق عبادتكم) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضافين (قوله بينكم) على قراءة الرفع هو فاعل تقطع والبين بمعنى الوصل وهو المراد هنا ويطلق ويراد منه البعد من باب تسمية الاضداد (قوله وفي قراءة بالنصب) أي وهي سبعية أيضا والفاعل على هذه القراءة ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله شفعاءكم وشركاء لان بين الشفيع والمشفوع له اتصالا وبينكم ظرف له والتقدير تقطع الوصل فيما بينكم فقول المفسر أي وصلكم تفسير للضمير المستتر (قوله ما كنتم تزعمون) ما اسم موصول فاعل ضل وكنتم تزعمون صلته والعائد محذوف وفي التقدير وضل عنكم الذي كنتم تزعمونه شفيعا ونافعا (قوله ان الله فالق الحب) لما تقدم ذكر التوحيد وما يتعلق به أتبعه بذكر ما يدل على ذلك والمراد بالحب ما لا نوى له كالقمح والشعير والفول وبالنوى ضد الحب كالرطب والمشمش والنبق فالقصد ما يخرج من الارض فهذين النوعين واضافة فالق للحب يحتمل انها محضة ففالق بمعنى فلق فهو بمعنى الصفة المشبهة وهو الاقرب ويحتمل أنها لفظية والمراد فالق في الحال والاستقبال (قوله شاق) فسر الفلق بالشق لانه المشهور في اللغة ولانه أقرب عبرة وأكثر فائدة وقال ابن عباس ان فالق بمعنى خالق (قوله عن النخل) مراده به كل ماله نوى (قوله يخرج الحي من الميت) يحتمل انه خبر ثان لان ويحتمل أنه كلام مستأنف كالعلة لما قبله والمراد بالحي كل ما ينمو كان ذا روح أولا كالحيوان والنبات وبالميت ما لا ينمو كان أصله ذا روح أم لا كالنطفة والحب فتسمية النبات حيا مجاز بجامع قبول الزيادة في كل (قوله من النطفة والبيضة) لف ونشر مرتب وأدخلت الكاف جميع ما يخرج من النطفة والبيضة فجميع الحيوانات لا تخلو عن هذين الشيئين فجميع الطيور من البيض وما عداها من النطفة (قوله ومخرج الميت من الحي) انما عبر باسم الفاعل مع المعطوف اشارة الى أنه كلام آخر معطوف على فالق وليس بيانا له والاتي بالفعل (قوله من الحي) أي كالانسان والطائر ويشمل عموم هذه الآية المسلم والكافر فيخرج الحي كالمسلم من الميت كالكافر وبالعكس (قوله ذلكم الله) أي بذلك وان علم من قوله ان الله فالق لاجل الرد على من كفر بقوله فأنى تؤفكون (قوله فكيف تصرفون عن الايمان) أي لا وجه لصرفكم عن الايمان بالله مع اعترافكم بأنه الخالق لجميع الاشياء فهو استفهام انكاري بمعنى النفي (قوله مصدر) أي لا صبح بمعنى الدخول في الصباح وليس مرادا بل المراد الصبح نفسه فلذا فسره به حيث أطلق المصدر وهو الاصباح وأراد أثره وهو الصبح والاصباح بكسر الهمزة وقرئ شذوذا بفتحها

(أخرجوا أنفسكم) الينا لنقبضها (اليوم تجزون عذاب الهون) الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) بدعوى النبوة والايحاء كذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) تتكبرون عن الايمان بها وجواب لو رأيت أمرا فظيعا (و) يقال لهم اذا بعثوا (لقد جئتمونا فرادى) منفردين عن الاهل والمال والولد (كما خلقناكم أول مرة) أي حفاة عراة غرلا (وتركتم ما خولناكم) أعطيناكم من الاموال (وراء ظهوركم) في الدنيا بغير اختياركم (و) يقال لهم توبيخا (ما نرى معكم شفعاءكم) الاصنام (الذين زعمتم أنهم فيكم) أي في استحقاق عبادتكم (شركاء) لله (لقد تقطع بينكم) وصلكم أي تشتت جمعكم وفي قراءة بالنصب ظرف أي وصلكم بينكم (وضل) ذهب (عنكم ما كنتم تزعمون) في الدنيا من شفاعتها (ان الله فالق) شاق (الحب) عن النبات (والنوى) عن النخل (يخرج الحي من الميت) كالانسان والطائر من النطفة والبيضة (ومخرج الميت) النطفة والبيضة (من الحي ذلكم) الفالق المخرج (الله فأنى تؤفكون) فكيف

تصرفون عن الايمان مع قيام البرهان (فالق الاصباح) مصدر بمعنى الصبح أي شاق عمود الصبح

وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل (وجاعل الليل سكنا) تسكن فيه الخلق من التعب (والشمس والقمر) بالنصب عطفا على محل الليل (حسبانا) حسابا للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أي يجريان بحسبان كما في آية الرحمن (ذلك) المذكور (تقدير العزيز) في ملكه (العليم) بخلقه (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) في الأسفار (قد فصلنا) بينا (الآيات) الدلالات على قدرتنا (لقوم يعلمون) يتدبرون (وهو الذي أنشأكم) خلقكم (من نفس واحدة) هي آدم (فمستقر) منكم في الرحم (ومستودع) منكم في الصلب وفي قراءة بفتح القاف أي مكان قرار لكم (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ما يقال لهم (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا) فيه التفات عن الغيبة (به) بالماء (نبات كل شيء) ينبت (فأخرجنا منه) أي النبات شيأ (خضرا) بمعنى أخضر (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) يركب بعضه بعضا كسنابل الحنطة ونحوها (ومن النخل) خبر ويبدل منه (من طلعها) أول ما يخرج منها والمبتدأ (قنوان) عراجين (دانية) قريب بعضها من بعض (و) أخرج به (جنات) بساتين (من أعناب والزيتون والرمان)

وعليه يكون جمع صبح نحو قفل وأقفال وبرد وأبراد وظاهر الآية مشكل لأن الانفلاق يكون للظلمة لا للصبح وأجيب بأن الكلام على حذف مضاف والأصل فالق ظلمة الاصباح بمعنى الصبح أو يراد فالق الاصباح بمعنى عمود الصبح وهو الفجر الكاذب عن ظلمة الليل ثم يعقبه الفجر الصادق فهو فالق الاصباح الأول عن ظلمة آخر الليل وعن بياض النهار أيضا ويقيد هذا المفسر أو يفسر فالق بخالق وسماه فالقا مشاكلة لما قبله وكل صحيح (قوله وهو أول ما يبدو من النهار) أي وهو الفجر الكاذب (قوله عن ظلمة الليل) متعلق بفالق (قوله سكنا) أي محل سكون واستراحة (قوله يسكن فيه الخلق) أي جميعها حتى الهوام والمياه (قوله عطفا على محل الليل) أي وهو النصب وحسبانا معطوف على سكنا ففيه العطف على معمولي عامل واحد وهو جاعل والتقدير وجاعل الشمس والقمر حسبانا وذلك جائز باتفاق (قوله حسبانا) مصدر حسب وكذا الحسبان بكسر الحاء والحساب فله ثلاثة مصادر (قوله حسابا للأوقات) أي ضبطا لها أي علامة ضبط لكن الشمس يتم دورانها في سنة والقمر في شهر وذلك لنفع العباد دينا ودنيا قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب (قوله أو الباء محذوفة) أي فهو منصوب بنزع الخافض (قوله وهو حال من مقدر) لو قال متعلق بمقدر لكان أحسن لأنك إذا تأملت تجد المحذوف هو الحال على أن جاعل بمعنى خالق وأما أن جعل بمعنى مصير فهو مفعول ثان وهو إشارة لتقدير ثان في الآية (قوله العزيز) أي الغالب على أمره (قوله العليم) أي ذو العلم التام (قوله وهو الذي جعل) أي خلق ولكم متعلق بجعل ولتهتدوا بدل من لكم بدل اشتمال فلم يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد ونظيره قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة فلبيوتهم بدل من لمن يكفر بإعادة العامل (قوله أنشأكم) إنما عبر به لموافقة ما يأتي في قوله وأنشأنا من بعدهم وقوله وهو الذي أنشأ جنات (قوله هي آدم) أي فجعل أفراد النوع الانساني منه (قوله فمستقر) بالكسر اسم فاعل وصف والمعنى منكم من استقر في الرحم وعبر في جانبه بالاستقرار لأن زمن بقاء النطفة في الرحم أكثر من زمن بقائها في الصلب (قوله وفي قراءة بفتح القاف) أي وأما مستودع فليس فيه إلا فتح الدال لكن على قراءة الكسر يكون معنى مستودع شيء مودع وهو النطفة وعلى الفتح مكان استيداع وهو الصلب (قوله يفقهون) أي يفهمون الأسرار والدقائق وعبر هنا بيفقهون إشارة إلى أن أطوار الانسان وما يحتوي عليه الانسان أمر خفي تتحير فيه الألباب بخلاف النجوم فأمرها ظاهر مشاهد فعبر فيها بيعلمون (قوله وهو الذي أنزل من السماء ماء) لما امتن سبحانه وتعالى على عباده أولا بالايجاد حيث قال وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة امتن ثانيا بإنزال الماء الذي به حياة كل شيء ونفعه وهو الرزق المشار إليه بقوله تعالى وفي السماء رزقكم (قوله فيه التفات) أي ونكتته الاعتناء بشأن ذلك المخرج إشارة إلى أنه نعمة عظيمة (قوله به) الباء السببية (قوله فأخرجنا) بيان لما أجمل أولا (قوله خضرا) يقال خضر الشيء فهو خضر وأخضر كعور فهو عور وأعور وقدر المفسر شيأ إشارة إلى أن خضرا صفة لموصوف محذوف (قوله ومن النخل) شروع في تفصيل حال الشجر بعد ذكر عموم النبات إزديادا للرغبة فيه (قوله ويبدل منه) أي بدل بعض من كل (قوله أول ما يخرج منها) أي قبل انفلاق الكيزان عنه فإذا انفلقت عنه يسمى عنقا (قوله قنوان) جمع قنو كصنو وصنوان وهذا الجمع يلتبس بالمثنى حالة الوقف ويتميز المثنى بكسر نونه والجمع بتوارد حركات الاعراب عليه وبالاضافة تحذف نون المثنى دون الجمع فتقول هذان قنوالك وفي الجمع هذه قنوانك وبالنسب فإذا نسبت إلى المثنى رددته إلى المفرد فقلت قنوي وإذا نسبت إلى الجمع أبقيته على حاله فقلت قنواني (قوله عراجين) جمع عرجون قيل هي الشماريخ وقيل هي السباطة ولا شك أن الشماريخ قريب بعضها من بعض والسباطة كذلك واعلم أن أطوار النخل سبع كالانسان جمعها في قولك طاب زبرت فأولها الطلع ثم الاغريض ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر وفي الحديث أكرموا عمتكم النخلة ولعظم الأمر قدم على ما بعده (قوله وجنات) معطوف على نبات من

عطف الناس على الفمام والشكالة تزيد الشرف لكونهما من أعظم النعم وكذا قوله الزيتون والرمان معطوفان على النبات ويكون قوله ومن النخل الخ معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه اعتناء بشأن النخل لعظم منته ويصح عطف جنات على خضرا وهذا على قراءة الجمهور وقرئ شذوذا برفع جنات والزيتون والرمان وخرج على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن الكرم جنات (قوله مشتبها) يقال مشتبه ومتشابه بمعنى (قوله نظر اعتبار) أي تفكر في مصنوعاته لتعلموا ان ربكم هو القادر المريد الخالق لما يشاء فتفردوه بالعبادة ولا تشركوا به شيأ (قوله وهو جمع ثمرة) أي المفتوح والمضموم وقوله كشجرة وشجر راجع للمفتوح وقوله وخشبة وخشب راجع للمضموم فهو لف ونشر مرتب (قوله وينعه) مصدر ينع بكسر النون ينع بفتحها كتعب يتعب ويصح العكس وقرئ بضم الياء والمعنى تفكروا وتأملوا ابتداء الثمر حيث يكون بعضه مرا وبعضه ملحا لا ينتفع بشيء منه وانتهاءه اذا انضج فانه يعود حلوا تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل (قوله ان في ذلكم) الاشارة الى جميع ما تقدم من قوله ان الله فالق الحب والنوى الى هنا (قوله لانهم المنتفعون بها) أشار بذلك الى أن ظهور الادلة لا تفيد ولا تنفع الا اذا كان العبد مؤمنا وأما من سبق له الكفر فلا تنفعه الآيات ولا يهتدي بها (قوله وجعلوا) الضمير لعبدة الاصنام وهذا اشارة الى أنهم قابلوا نعم الله العظيمة بالاشراك (قوله مفعول ثان) هذه طريقة في الاعراب وهناك طريقة أخرى وهي ان لله متعلق بمحذوف حال والجن مفعول أول مؤخر وشركاء مفعول ثان مقدم (قوله الجن) قيل المراد بهم الشياطين والى هذا يشير المفسر بقوله حيث أطاعوهم الخ وقيل المراد بهم نوع من الملائكة كانوا يعبدونهم لاعتقادهم أنهم بنات الله (قوله وخلقهم) الضمير يصح أن يكون عائدا على الجن وعليه المفسر ويصح أن يعود على الجميع والجملة حال من الجن ولذا قدر المفسر قد (قوله وخرقوا) الضمير عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب فاليهود والنصارى نسبوا له البنين ومشركو العرب نسبوا له البنات فالكلام على التوزيع (قوله اختلقوا) يقال اختلق وخلق وخرق وافترى وافتعل وخرص بمعنى كذب وقرئ شذوذا بالحاء المهملة والفاء من التحريف وهو التزوير لان المحرف مزور مغير للحق بالباطل (قوله حيث قالوا عزير ابن الله) كان عليه أن يقول والمسيح ابن الله ليكون قد جمع مقالة الفرق الثلاثة فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون قالوا الملائكة بنات الله (قوله بديع السموات) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله أنى يكون له ولد) أنى منصوب على التشبيه بالحال وله خبر يكون مقدم وولد اسمها مؤخر ويصح أن تكون تامة وولد فاعلها والمعنى كيف يوجد له ولد والحال أنه لم تكن له صاحبة مع كونه الخالق لكل شيء (قوله من شأنه أن يخلق) دفع بذلك ما يقال ان من جملة الشيء ذاته وصفاته فيقتضي أنها مخلوقة مع أن ذلك مستحيل فأجاب المفسر بأن ذلك عام مخصوص بما من شأنه أن يخلق وهو ما عدا ذاته وصفاته (قوله ذلكم) مبتدأ والله خبر أول وربكم خبر ثان ولا اله الا هو خبر ثالث وخالق كل شيء خبر رابع وقوله فاعبدوه مفرع على ما ذكر من هذه الاوصاف فالمعنى ان المتصف بالالوهية الخالق لكل شيء هو أحق بالعبادة وحده فقوله خالق كل شيء توطئة لقوله فاعبدوه وأما قوله وخلق كل شيء فهو رد لما زعموه من الولد له سبحانه وتعالى (قوله وهو على كل شيء وكيل) أي متصرف في خلقه ومتولي أمورهم بالواجب فقصر العبادة عليه وتفويض الامور اليه (قوله لا تدركه الابصار) جمع بصر وهو حاسة النظر أي القوة الباصرة ويطلق على العين نفسها من اطلاق الحال وارادة المحل (قوله وهذا مخصوص) أي نفي الرؤية عام مخصوص برؤية المؤمنين ربهم في الآخرة لان الفعل اذا دخل عليه النفي يكون من قبيل العام (قوله لرؤية المؤمنين) علة لقوله مخصوص وقوله لقوله تعالى علة للعلة (قوله ناضرة) أي قامت بها النضارة وهي البهجة والحسن وقوله ناظرة أي باصرة للذات المقدس (قوله ليلة البدر) أي ليلة أربعة عشر (قوله وقيل المراد الخ) أي وعلى هذا فالنفي باق على عمومه فلا يحيط به بصر أحد أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة فلا ينافي أن المؤمنين يرونه في الآخرة لكن بلا كيف ولا انحصار

مشتبها) ورقهما حال (وغير متشابه) ثمرهما (انظروا) يا مخاطبين نظر اعتبار (الى ثمره) بفتح الثاء والميم وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب (اذا أثمر) أول ما يبدو كيف هو (و) الى (ينعه) نضجه اذا أدرك كيف يعود (ان في ذلكم لآيات) دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره (لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها في الايمان بخلاف الكافرين (وجعلوا لله) مفعول ثان (شركاء) مفعول أول ويبدل منه (الجن) حيث أطاعوهم في عبادة الاوثان (و) قد (خلقهم) فكيف يكونون شركاءه (وخرقوا) بالتخفيف والتشديد أي اختلقوا (له بنين وبنات بغير علم) حيث قالوا عزير ابن الله والملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يصفون) بأن له ولدا هو (بديع السموات والارض) مبدعهما من غير مثال سبق (أنى) كيف (يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) زوجة (وخلق كل شيء) من شأنه أن يخلق (وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه) وحدوه (وهو على كل شيء وكيل) حفيظ (لا تدركه الابصار) أي لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وحديث الشيخين انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وقيل المراد

لوجود أدلة عقلية ونقلية أما النقلية فالكتاب والسنة والاجماع والعقلية فمنها أن الله علق رؤيته على استقرار الجبل وهو جائز والمعلق على الجائز جائز ومنها لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها موسى عليه السلام اذ لا يجوز على النبي سؤال المحال اذ هو جهل ويستحيل على النبي الجهل ومنها أن يقال الله موجود وكل موجود يصح أن يرى فالله يصح أن يرى خلافا للمعتزلة والمرجئة والخوارج حيث أحالوا الرؤية مستدلين بظاهر هذه الآية وبقولهم ان الرؤية تستلزم المقابلة واتصال أشعة بصر الرائي بالمرئي ويلزم أن يكون المرئي جسما وتعالى الله عن الجسمية ورد كلامهم بما علمت وبان التلازم عادي لا عقلي ويجوز تخلف العادة (قوله لا تحيط به) أي لا تبلغ كنه حقيقة ذاته وصفاته أبصار ولا بصائر (قوله وهو يدرك الابصار) فيه تفسيران أيضا الاول يراها الثاني يحيط بها على أسلوب ما تقدم (قوله ولا يجوز في غيره الخ) أي لان رؤية كل منهما لصاحبه غير مستحيلة وما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر (قوله أو يحيط بها علما) هذا هو التفسير الثاني (قوله وهو اللطيف) من لطف بمعنى احتجب فلا يحيط به بصر ولا بصيرة فهو راجع لقوله لا تدركه الابصار وقوله الخبير راجع لقوله وهو يدرك الابصار فهو لف ونشر مرتب وهذا هو المناسب هنا وقول المفسر بأوليائه يقتضي ان معنى اللطيف الرؤوف المحسن وهو وان كان مناسبا في نفسه الا أنه غير ملائم هنا فتحصل مما تقدم ان الرؤية بالبصر في الآخرة للمؤمنين وقع فيها الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة وتقدم أن الحق مذهب أهل السنة وأما رؤية قلوب العارفين له في الدنيا بمعنى شهود القلب له في كل شيء فهو جائز بل هو مطلبهم وغاية مقصودهم ومناهم قال العارف

أنلنا مع الاحباب رؤيتك التي * اليها قلوب الاولياء تسارع

وكذا رؤياه في المنام (قوله بصائر) جمع بصيرة وهي النور الباطني الذي ينشأ عنه العلوم والمعارف (قوله حجج) جمع حجة وهي الادلة وسميت الحجج بصائر لانها تنشأ عنها من باب تسمية المسبب باسم السبب (قوله فمن أبصرها) قدر المفسر الضمير اشارة الى أن المفعول محذوف (قوله فلنفسه أبصر) قدر المفسر متعلق الجار والمجرور فعلا ماضيا مؤخرا وهو غير مناسب الخ ومن زيادة الفاء بل المناسب تقديره اسما مقدما أو الجار والمجرور خبر والتقدير فابصاره لنفسه وكذا يقال في قوله ومن عمي فعليها (قوله لان ثواب أبصاره) أي نفعه له فلا يعود على الله من الطاعة نفع ولا يحصل له من المعصية ضرر (قوله ومن عمي عنها) أي عن البصائر بمعنى الحجج (قوله وكذلك نصرف الآيات) الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره نصرف الآيات في غير هذه السورة تصريفا مثل التصريف في هذه السورة (قوله كما بينا ما ذكر) أي الاحكام المذكورة (قوله نبين الآيات) هذا وعد من الله بكمال الدين واظهاره فلذا كان نزول قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم من مبشرات الوفاة لرسول الله (قوله ليعتبروا) أي لتقوم بهم العبرة أي الاتعاظ فيميزوا الحق من الباطل وقدره المفسر لعطف قوله وليقولوا عليه (قوله في عاقبة الامر) أشار بذلك الى أن اللام في وليقولوا لام العاقبة والصيرورة نظير قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل ان اللام للعلة حقيقة والمعنى نصرف الآيات ليعتبر الذين آمنوا ويزدادوا بها ايمانا وليقول الذين كفروا درست ليزدادوا كفرا ونظيره قوله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم (قوله دارست) كقاتلت من المدارسة والمعنى تذاكرت مع أهل الكتاب فتعلمت منهم تلك القصص (قوله وفي قراءة درست) أي قرأت الكتب وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضا وهي درست بفتح الدال والراء والسين أي عفت وبليت وتكررت على الاسماع (قوله وجئت بهذا منها) راجع لكل من القراءتين (قوله ولنبينه) أي الآيات وذكر باعتبار معناها وهو القرآن (قوله اتبع ما أوحي اليك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين وتكذيبهم لرسول الله أخذ يسلي رسوله بقوله اتبع أي دم على ذلك ولا تبال بكفرهم ولا تلتفت لقولهم وما اسم موصول والعائد محذوف ونائب الفاعل أوحي ضمير مستتر عائد

لا تحيط به (وهو يدرك الابصار) أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره ان يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علما (وهو اللطيف) بأوليائه (الخبير) بهم قل يا محمد لهم (قد جاءكم بصائر) حجج (من ربكم فمن أبصر)ها فآمن (فلنفسه) أبصر لان ثواب ابصاره له (ومن عمي) عنها فضل (فعليها) وبال اضلاله (وما أنا عليكم بحفيظ) رقيب لاعمالكم انما أنا نذير (وكذلك) كما بينا ما ذكر (نصرف) نبين (الآيات) ليعتبروا (وليقولوا) أي الكفار في عاقبة الامر (دارست) ذاكرت أهل الكتاب وفي قراءة درست أي كتب الماضين وجئت بهذا منها (ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما أوحي اليك من ربك) أي القرآن

على ما أوحي اليك متعلق بأوحي ومن ربك متعلق بمحذوف حال ومن لابتداء الغاية والتقدير اتبع الذي أوحي اليك هو أي القرآن حال كونه ناشئا وصادرا من ربك ويصح أن تكون مصدرية ونائب الفاعل هو الجار والمجرور والتقدير اتبع الايحاء الجائي اليك من ربك (قوله لا اله الا هو) جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد التوحيد (قوله وأعرض عن المشركين) أي لا تتعرض لهم ولا تقاتلهم وهذا على أنها منسوخة كما يأتي للمفسر وقيل ان الآية محكمة والمعنى لا تلتفت الى رأيهم ولا تغتظ من أقوالهم واشراكهم لان ذلك بمشيئة الله ومثل ذلك يقال اذا أجمع خلق على ضلالة لا يستطاع ردها ففي الحديث اذا رأيتم الامر لا تستطيعون رده فاصبروا حتى يكون الله هو الذي يغيره (قوله ولو شاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره عدم اشراكهم (قوله وما أنت عليهم بوكيل) تأكيد لما قبله أي لست حفيظا مراقبا لهم فتجبرهم على الايمان (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أشار بذلك الى أن الآية منسوخة واسم الاشارة عائد على قوله وأعرض عن المشركين الخ (قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) سبب نزولها انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كثر سب المسلمين للاصنام فتعزب المشركون على كونهم يسبون الله نظير سب المسلمين لاصنامهم فنزلت الآية وقيل ان أبا طالب حضرته الوفاة فقالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن أبي البختري الى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا وندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب ان هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال له أبو طالب قد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي أرأيتم ان أعطيتكم هذا فهل أنتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وأدت لكم الخراج قال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا الله فأبوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمن من يأمرك فنزلت (قوله الذين يدعون) أي يعبدون وقدر المفسر الضمير اشارة الى أن مفعول تدعون محذوف (قوله فيسبوا الله) أي فيترتب على ذلك سب الله فسب الاصنام وان كان جائزا الا أنه عرض له النهي بسبب ما ترتب عليه من سب الله في الحقيقة النهي عن سب الله (قوله اعتداء) أشار بذلك الى أن عدوا مصدر ويصح أن يكون حالا مؤكدة لان السب لا يكون الا عدوا (قوله أي جهلا منهم بالله) أي بما يجب في حقه (قوله كذلك زينا) نعت لمصدر محذوف أي زينا لهؤلاء أعمالهم تزيينا مثل تزييننا لكل أمة عملهم (قوله من الخير والشر) أشار بذلك الى أن الآية رد على المعتزلة الزاعمين أن الله لا يريد الشر ولا القبائح (قوله ثم الى ربهم مرجعهم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فأتوه (قوله وأقسموا) أي حلفوا (قوله غاية اجتهادهم) أي لانهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم فاذا أرادوا تغليظ اليمين حلفوا بالله (قوله لئن جاءتهم آية) حكاية عنهم والا فلفظهم لئن جاءتنا آية (قوله مما اقترحوا) أي طلبوا وذلك ان قريشا قالوا يا محمد انك تخبرنا أن موسى كان له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فائتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله أي شئ تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله ان فعلت ما تقولون تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله يدعو أن يجعل الصفا ذهبا فجاء جبريل وقال لك ما شئت ان شئت أصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوا لنعذبنهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال

(لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا) رقيبا فتجازيهم بأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالقتال (ولا تسبوا الذين يدعون)هم (من دون الله) أي الاصنام (فيسبوا الله عدوا) اعتداء وظلما (بغير علم) أي جهلا منهم بالله (كذلك) كما زينا لهؤلاء ما هم عليه (زينا لكل أمة عملهم) من الخير والشر فأتوه (ثم الى ربهم مرجعهم) في الآخرة (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيجازيهم به (وأقسموا) أي كفار مكة (بالله جهد أيمانهم) أي غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءتهم آية) مما اقترحوا

رسول الله بل ينوب تائبهم فنزلت الآية (قوله ليؤمنن بها) جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (قوله قل انما الآيات عند الله) أي لا عندي فالقادر على انزالها هو الله وينزلها على حسب ما يريد (قوله وما يشعركم) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة يشعركم خبرها والكاف مفعول أول والثاني محذوف قدره المفسر بقوله بايمانهم والخطاب للمؤمنين أي وما يعلمكم أيها المؤمنون بايمانهم وقوله انها اذا جاءت بالكسر استئناف مسوق لقطع طمع المؤمنين من ايمان المشركين وتكذيب للمشركين في حلفهم (قوله أي أنتم لا تدرون) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله وفي قراءة بالتاء) ظاهره أن هذه القراءة مع كسر ان وليس كذلك بل هي مع الفتح فالمناسب تأخيرها عن قوله وفي أخرى بفتح ان فالقراآت ثلاث الكسر مع الياء لا غير والفتح اما مع الياء والتاء (قوله بمعنى لعل) أي ومجيء ان بمعنى لعل كثير شائع في كلام العرب والترجي في كلام الله مثل التحقيق فهي مساوية لقراءة الكسر (قوله أو معمولة لما قبلها) أي على انها المفعول الثاني ولا اما صلة أو داخلة على محذوف والتقدير اذا جاءت لا تعلمون أنهم يؤمنون أو المقابل محذوف والتقدير اذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون وهو اخبار عن الكفار على قراءة الياء وخطاب لهم على قراءة التاء (قوله ونقلب أفئدتهم) استئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال هو الله لا غيره فمن أراد الله له الهدى حوّل قلبه له ومن أراد الله شقاوته حوّل قلبه لها (قوله كما لم يؤمنوا به) مرتبط بمحذوف قدره المفسر بقوله فلا يؤمنون والمعنى نحوّل قلوبهم عن الايمان ثانيا كما حوّلناها أولا عند نزول الآيات لو نزلت أي فهم لا يؤمنون على كل حال (قوله ونذرهم) عطف على لا يؤمنون (قوله يعمهون) اما حال أو مفعول ثان لان الترك بمعنى التصيير والعمه من باب تعب اذا تردد متحيرا مأخوذ من قولهم أرض عمهاء اذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة (قوله ولو أننا نزلنا) هذه زيادة في الرد عليهم وتفصيل لما أجمل في قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون (قوله كما اقترحوا) أي طلبوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة وقولهم فأتوا بآبائنا (قوله كل شيء) أي من أصناف المخلوقات كالوحوش والطيور (قوله بضمتين جمع قبيل) أي كقضيب وقضب وقضب (قوله أي فوجا فوجا) تفسير لقبيل وأما قبلا فمعناه أفواجا أفواجا وعلى هذه القراءة فنصب قبلا على الحال (قوله وبكسر القاف وفتح الباء) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي معاينة) أي فيقال فلان قبل فلان أي مواجهه ومعاينه وهو مصدر منصوب على الحال أي معاينين ومشاهدين لكل شيء وصاحب الحال الهاء في عليهم (قوله ما كانوا ليؤمنوا) جواب لو واللام في ليؤمنوا لام الجحود ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد لام الجحود وخبر كان محذوف تقديره ما كانوا أهلا للايمان (قوله الا أن يشاء الله) قدره المفسر لكن اشارة الى أن الاستثناء منقطع كما هو عادته وذلك لان المشيئة ليست من جنس ارادتهم وقال بعضهم ان الاستثناء متصل والمعنى ما كانوا ليؤمنوا في حال من الاحوال الا في حال مشيئة الله لهم بالايمان (قوله يجهلون ذلك) أي يجهلون أن ظهور الآيات يوجب الايمان ولم تسبقه مشيئة الله وهو توبيخ لهم حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم أنه اذا جاءتهم الآيات يؤمنون مع أنه سبق في علم الله شقاؤهم ومن هنا لا ينبغي ترك المشيئة والاعتماد على الاسباب فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب (قوله وكذلك جعلنا) هذا تسلية لرسول الله على ما وقع منهم من العداوة والكاف داخلة على المشبه وهي بمعنى مثل والمعنى مثل ما جعلنا لك أعداء من قومك جعلنا لكل نبي عدوا من الأولين والآخرين وجعل بمعنى صير فتنصب مفعولين الاول عدوا مؤخر والثاني لكل نبي مقدم وشياطين الانس والجن بدل وهذا ما درج عليه المفسر وقيل ان عدوا مفعول ثان وشياطين مفعول أول ولكل نبي متعلق بمحذوف حال من عدوا (قوله لكل نبي) أي وان لم يكن رسولا ولذا ورد ان الكفار قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا (قوله مردة) جمع مارد وهو المتمرد المستعد للشر وقدم شياطين الانس لانهم أقوى في الايذاء قال مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد علي من شيطان الجن وذلك اذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي وقال الغزالي يمكن من شياطين الجن قد أعان عليه [illegible] شياطين الانس فان

(ليؤمنن بها قل) لهم (انما الآيات عند الله) ينزلها كما يشاء وانما أنا نذير (وما يشعركم) يدريكم بايمانهم اذا جاءت أي أنتم لا تدرون ذلك (أنها اذا جاءت لا يؤمنون) لما سبق في علمي وفي قراءة بالتاء خطابا للكفار وفي أخرى بفتح ان بمعنى لعل أو معمولة لما قبلها (ونقلب أفئدتهم) نحوّل قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه (وأبصارهم) عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون (كما لم يؤمنوا به) أي بما أنزل من الآيات (أول مرة ونذرهم) نتركهم (في طغيانهم) ضلالهم (يعمهون) يترددون متحيرين (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى) كما اقترحوا (وحشرنا) جمعنا (عليهم كل شيء قبلا) بضمتين جمع قبيل أي فوجا فوجا وبكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهدوا بصدقك (ما كانوا ليؤمنوا) لما سبق في علم الله (الا) لكن (ان يشاء الله) ايمانهم فيؤمنون (ولكن أكثرهم يجهلون) ذلك (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه (شياطين) مردة (الانس والجن

شياطين

يوحي) يوسوس (بعضهم الى بعض زخرف القول) مموهه من الباطل (غرورا) أى ليغروهم (ولو شاء ربك مافعلوه) أى الايحاء المذكور (فذرهم) دع الكفار (وما يفترون) من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الامر بالقتال (ولتصغى) عطف على غرورا أى تميل (اليه) أى الزخرف (أفئدة) قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا) يكتسبوا (ماهم مقترفون) من الذنوب فيعاقبوا عليه * ونزل لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل بينه وبينهم حكما قل (أفغير الله أبتغي) أطلب (حكما) قاضيا بيني وبينكم (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) القرآن (مفصلا) مبينا فيه الحق من الباطل (والذين آتيناهم الكتاب) التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه (يعلمون أنه منزل) بالتخفيف والتشديد (من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق (وتمت كلمات ربك) بالاحكام والمواعيد (صدقا وعدلا) تمييز (لا مبدل لكلماته) بنقض أو خلف (وهو السميع) لما يقال (العليم) بما يفعل (وان تطع أكثر من في الارض) أى الكفار (يضلوك عن سبيل الله) دينه (ان) ما (يتبعون الا الظن) في جدالهم لك في أمر الميتة اذ قالوا ماقتل الله أحق ان تأكلوه مما قتلتم (وان) ما (هم

شياطين الانس أراحوا شياطين الجن من التعب وهذا على ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن وقيل ان الشياطين من ابليس وذلك انه فرق أولاده فرقتين ففرقة توسوس للانس وتسمى شياطين الانس وفرقة توسوس لصلحاء الجن وتسمى شياطين الجن وكل صحيح (قوله يوحي بعضهم) أى وهو شيطان الجن وقوله الى بعض أى وهو شيطان الانس قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك (قوله من الباطل) بيان لزخرف القول وأشار به الى أن المراد بالزخرف المموه الظاهر الفاسد الباطن (قوله أى ليغروهم) أشار بذلك الى أن قوله غرورا مفعول لاجله (قوله ولو شاء ربك) مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم (قوله وما يفترون) ما اسم موصول أو نكرة موصوفة وجملة يفترون صلة أو صفة والعائد محذوف تقديره فذرهم والذي يفترونه أو مصدرية والتقدير فذرهم وافتراءهم (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أى فهي منسوخة (قوله عطف على غرورا) أى فاللام للتعليل وما بين الجملتين اعتراض والتقدير يوحي بعضهم الى بعض للغرور ولتصغى (قوله وليرضوه) أى يحبوه لانفسهم (قوله من الذنوب) بيان لما وقوله فيعاقبوا أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير وليقترفوا عقاب ماهم مقترفون (قوله لما طلبوا) أى قريش (قوله أن يجعل بينه وبينهم حكما) أى من أحبار اليهود أو من أساقفة النصارى ليخبرهم بما في كتابهم من أوصاف النبي وأمره (قوله أفغير الله) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أأميل لزخارفكم التي زينها الشيطان فغير الله أبتغي حكما وغير مفعول لابتغي وحكما حال أو تمييز أو حكما مفعول وغير حال والحكم أبلغ من الحاكم لان الحكم من تكرر منه الحكم وأما الحاكم فيصدق ولو بمرة أولان الحكم لا يجور وأصلا والحاكم قد يجور (قوله وهو الذي أنزل) الجملة حالية كأنه قال أفغير الله أطلب حكما والحال ان الله هو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا فالذي يشهد لي هو القرآن وأما الكتب القديمة فانها وان كانت تشهد له أيضا لكن لما غيروا وبدلوا صارت غير معول عليها (قوله وأصحابه) أى ممن أسلم من علماء اليهود (قوله يعلمون أنه) أى الكتاب (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالحق) متعلق بمحذوف حال والتقدير انه منزل من ربك حال كونه ملتبسا بالحق (قوله والمراد بذلك التقرير الخ) دفع بذلك ما قال ان الشك مستحيل على النبي فكيف ينهى عما يستحيل وصفه به فأجاب بما ذكر وأجيب أيضا بأنه من باب التعريض بالكفار بأنهم هم الممترون فالخطاب له والمراد غيره (قوله وتمت كلمات ربك) أى القرآن وفيها قراءتان الجمع والافراد فالجمع ظاهر والافراد على ارادة الجنس والماهية وترسم بالتاء المجرورة على كل من القراءتين وهكذا كل ماقرئ بالجمع والافراد الا موضعين أحدهما في يونس في قوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك وثانيهما في غافر في قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك فاختلف فيهما المصاحف فبعضهم بالتاء المجرورة وبعضهم بالتاء المربوطة (قوله بالاحكام والمواعيد) راجع لقوله صدقا وعدلا على سبيل اللف والنشر المشوش ولو أخره لكان أحسن والمعنى تمت كلمات ربك من جهة الصدق كالاخبار والمواعيد والعدل كالاحكام ولا تجوز فيها وهذا اخبار من الله بحفظ القرآن من التغيير والتبديل كما وقع في الكتب المتقدمة وذلك كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقوله تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث (قوله تمييز) أى على التمييز أى صدقا في مواعيده وعدلا في أحكامه ويصح أن يكون حالا من ربك ويؤول المصدر باسم الفاعل أى حال كونه صادقا وعادلا (قوله لا مبدل لكلماته) هذا كالتوكيد لقوله وتمت كلمات ربك وقوله بنقض أو خلف راجع لقوله صدقا وعدلا على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله أى الكفار) تفسير للاكثر (قوله ان يتبعون) قدر المفسر ما اشارة الى ان ان نافية بمعنى ما (قوله اذ قالوا الخ) اشارة لسبب نزول هذه الآية وما بعدها وذلك أن المشركين قالوا للنبي أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا أنت تزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وماقتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فكيف تحرمون أنكم تحلون مما قتلتم الله ولا تأكلون ماقتله ربكم فقالوا الله أحق أن تأكلوه

مما قلتم أنتم (قوله الا يخرصون) الخرص في الاصل الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة وقوله يكذبون
سمي الخرص كذبا لان فيه تتبع الظنون الكاذبة (قوله في ذلك) أي في قولهم ما قتل الله أحق ان تأكلوه
مما قتلتم (قوله أي عالم) دفع بذلك ما يقال ان أفعل التفضيل بعض ما يضاف اليه فأجاب بان اسم التفضيل
مؤول باسم الفاعل وأجيب أيضا بان قوله من يضل مفعول لمحذوف تقديره يعلم من يضل أو منصوب
بنزع الخافض والتقدير بمن يضل يدل عليه قوله بعد وهو أعلم بالمهتدين (قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه)
هذا رد لقولهم المتقدم فان الميتة لم يذكر عليها اسم الله واختلف في طلب ذكر اسم الله فعند مالك الوجوب مع
الذكر وعند الشافعي السنية والمراد بذكر اسم الله هنا عدم ذكر اسم غيره كالاصنام ليدخل ما اذا نسي التسمية
فانها تؤكل وسيأتي ايضاح ذلك (قوله وما لكم أن لا تأكلوا) هذا تأكيد لاباحة ما ذبح على اسم الله وما استفهام
مبتدأ ولكم خبره والتقدير أي شئ ثبت لكم في عدم أكلكم الخ (قوله وقد فصل) أي بين وميز والواو
للحال (قوله بالبناء للمفعول والفاعل) أي فهما قراءتان سبعيتان وبقي ثالثة وهي بناء الاول للفاعل
والثاني للمفعول (قوله في الفعلين) أي فصل وحرم (قوله في آية حرمت عليكم الميتة) أي التي ذكرت
في المائدة وفي المقام اشكال أورده فخر الدين الرازي وهو أن سورة الانعام مكية وسورة المائدة مدنية
من آخر القرآن نزولا بالمدينة وأجيب بان الله علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب
لا في النزول فبهذا الاعتبار حسن التعليل بالسابقة لعلم الله بذلك وقال بعضهم الاولى أن يقال وقد
فصل لكم الخ أي في قوله قل لا أجد فيما أوحي الى محرما الآية وهذه وان كانت مذكورة بعد الآية لا تمنع
الاستدلال بها للاتحاد في وقت النزول (قوله الا ما اضطررتم اليه) استثناء منقطع لان ما اضطر اليه ليس
داخلا في المحرم (قوله فهو أيضا حلال لكم) أي وهل يشبع ويتزود منها أو يقتصر على ما يسد الرمق خلاف
بين العلماء (قوله المعنى لا مانع الخ) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري (قوله وهذا ليس منه) أي من المحرم
وأما ما لم ينص على حرمته ولا حله فهو من قبيل الحل لانه ذكر أشياء واستثنى الحرام منها فالحرام محدود
محصور وفي مثل القهوة والدخان غير محرم الا ان يطرأ له ما يحرمه كالاسراف وتضييع المال ... فلا
يقال ان اعتاد ذلك وصار دواء له فهو جائز لكن بقدر الضرورة وان كان يضر جسمه أو ... حرام
وان اشتغل به عن عبادة فهو بقدره مكروه أو حرام أو مكروه (قوله بفتح الياء) أي من ضل اللازم
بمعنى قام به الضلال في نفسه وقوله وضمها أي من أضل الرباعي بمعنى أوقع غيره في الضلال (قوله بأهوائهم)
الباء سببية وفي قوله بغير علم متعلق بمحذوف حال والمعنى يضلون في أنفسهم أو يوقعون غيرهم في الضلال
بسبب اتباعهم أهواءهم ملتبسين بغير علم (قوله وغيرها) أي كالدم ولحم الخنزير الى آخر ما ذكر في آية المائدة
(قوله ان ربك هو أعلم بالمعتدين) أي فيجازيهم على اعتدائهم (قوله وذروا) الامر للمكلفين من الانس والجن
وهو للوجوب (قوله علانيته وسره) لف ونشر مرتب (قوله قيل الزنا) أي وكان العرب يستترون به وكان الشريف
منهم يستحي من اظهاره فيفعله سرا وغير الشريف لا يستحي من ذلك فيظهره فأنزل الله تحريمه ظاهرا
وباطنا (قوله وقيل كل معصية) أي فالظاهر منها كالزنا والسرقة وبقية معاصي الجوارح الظاهرية والباطن
منها كالكبر والحقد والحسد والعجب والرياء وحب الرياسة وغير ذلك من المعاصي القلبية وهذا التفسير هو
الاقرب وان كان الاول موافقا لسبب النزول لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله سيجزون
في الآخرة) أي بالعذاب الدائم ان كان مستحلا أو بالعذاب مدة ويخرج ان لم يكن مستحلا ومات من غير
توبة ولم يعف الله عنه فان تاب الكافر قبلت قطعا وان تاب المسلم فقيل كذلك وقيل تقبل ظنا ان قلت لاي شئ
اختلف في توبة المسلم دون الكافر أجيب بأن رحمة الله سبقت غضبه فلو جاز عدم القبول لتوبة الكافر
لكان مخلدا في النار مع أن رحمته غلبت غضبه وأما المؤمن فهو متحقق دخوله الجنة فلم يقطع بقبول توبته عناية
لعموم الرحمة لتطمئنه ... (قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ...

الا يخرصون) يكذبون في ذلك (ان ربك هو أعلم) أي عالم (من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) فيجازي كلا منهم (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) أي ذبح على اسمه (ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) من الذبائح (وقد فصل) بالبناء للمفعول والفاعل في الفعلين (لكم ما حرم عليكم) في آية حرمت عليكم الميتة (الا ما اضطررتم اليه) منه فهو أيضا حلال لكم المعنى لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بين لكم المحرم أكله وهذا ليس منه (وان كثيرا ليضلون) بفتح الياء وضمها (بأهوائهم) بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها (بغير علم) يعتمدونه في ذلك (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) المتجاوزين الحلال الى الحرام (وذروا) اتركوا (ظاهر الاثم وباطنه) علانيته وسره والاثم قيل الزنا وقيل كل معصية (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون) في الآخرة (بما كانوا يقترفون) يكتسبون (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) بان مات

الآية فقال بعض المجتهدين غير الأربعة الآية عامة في كل شيء فأي شيء لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز أكله وقال
بعضهم الآية مخصوصة بالذبيحة التي تركت التسمية عليها عمدا أو نسيانا لا تؤكل ذبيحته وقال بعضهم إن تركها
عمدا لا تؤكل وإن تركها نسيانا أو عجزا كأخرس أكلت وبه قال مالك وأبو حنيفة وقال بعضهم التسمية سنة
فإن تركها عمدا أو نسيانا أكلت وبه قال الإمام الشافعي وعن الإمام أحمد روايتان الأولى يوافق فيها المالكية
والثانية يوافق فيها الشافعي إذا علمت ذلك فمحل الآية ما أهل به لغير الله فقط لأنه المفسر به الفسق فيما
يأتي في قوله تعالى أو فسقا أهل لغير الله به وأما حكم الميتة فمعلوم من غير هذا الموضع وحملها المفسر عليهما معا
وهما طريقتان (قوله أو ذبح على اسم غيره) أي وإن لم يذكر اسم غير الله وأما الكتابي إذا لم يذكر اسم الله ولم
يهل به لغيره فإنها تؤكل فإن جمع الكتابي بين اسم الله واسم غيره أكلت ذبيحته عند مالك لأن اسم الله يعلو
ولا يعلى عليه وأما المسلم إن جمع بينهما على وجه التشريك في العبودية فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته (قوله
وعليه الشافعي) أي فالتسمية عنده سنة (قوله أي الأكل منه) أي المفهوم من لا تأكلوا على حد اعدلوا
هو أقرب للتقوى أي العدل المفهوم من اعدلوا (قوله وإن الشياطين) أي إبليس وجنوده من الجن (قوله
الكفار) أي وهم شياطين الإنس (قوله ليجادلوكم) تعليل ليوحون وذلك أن المشركين قالوا يا محمد أخبرنا
عن الشاة إذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا أتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الله حرام
فنزلت (قوله إنكم لمشركون) أي لأن من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك لأنه
أثبت حاكما غير الله ولا شك أنه إشراك (قوله وغيره) أي كعمر بن الخطاب أو حمزة أو عمار بن ياسر
أو النبي صلى الله عليه وسلم ولكن العبرة بعموم اللفظ فهذا المثل للكافر والمسلم ** وسبب نزولها على القول
بأنها في أبي جهل وحمزة أن أبا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وكان
حمزة قادما من صيده وبيده قوس وحمزة لم يكن مؤمنا إذ ذاك فأقبل حمزة غضبان حتى علا أبا جهل
وجعل يضربه بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول يا أبا يعلى ألا ترى ما جاء به سفه عقولنا
وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلم حمزة يومئذ فنزلت الآية (قوله أو من كان ميتا) الهمزة داخلة على
محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف وتقديره أيستويان ومن كان ميتا الخ ومن اسم شرط مبتدأ وكان
فعل الشرط واسمها مستتر وميتا خبرها وقوله فأحييناه جواب الشرط وقوله كمن مثله خبر المبتدأ (قوله
بالهدى) أي الإيمان (قوله مثل زائدة) أي لأن المثل هو الصفة والمستقر في الظلمات ذواتهم لا صفاتهم
(قوله ليس بخارج منها) هذا إخبار من الله بعدم إيمان أبي جهل رأسا ولكن تقدم أن العبرة بعموم اللفظ
(قوله لا) أي لا يستويان وأشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري (قوله كما زين للمؤمنين الإيمان) أي بقوله
تعالى ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم (قوله زين للكافرين ما كانوا يعملون) أي والمزين
لهم حقيقة هو الله ويصح نسبة التزيين إلى الشياطين من حيث الإغواء والوسوسة (قوله وكذلك) الكاف اسم
بمعنى مثل والمعنى ومثل ما جعلنا في مكة كبراءها وعظماءها المجرمين جعلنا في كل قرية كبراءها وعظماءها
مجرميها فتلك سنة الله أنه جعل أول من يقتدي بالرسل الضعفاء والمعارضين المنكرين الكبراء ليكون عز
الرسل بربهم ظاهرا وباطنا وكل آية وردت في ذم الكفار تجر بذيلها على عصاة الأمة فإن المباشر للظلم والفجور
أكابر كل قرية ومن يتبعهم شاهد (قوله فساق مكة) هو معنى مجرميها وحل المفسر يفيد أن مجرميها مفعول
أول مؤخر وأكابر مفعول ثان مقدم وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا وهو أحد أعاريب أربعة الثاني
أن قوله في كل قرية مفعول ثان مقدم وأكابر مفعول أول مؤخر وهو مضاف لمجرميها وأخر المفعول
الأول لأن فيه ضميرا يعود على المفعول الثاني فلو قدم لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة وقد أشار ابن مالك
لذلك بقوله

كذا إذا عاد عليه مضمر * مما به عنه مبينا يخبر

فيصير المعنى وكذلك جعلنا أعاظم المجرمين كائنين في كل قرية الثالث أن في كل قرية مفعول ثان

أو ذبح على اسم غيره وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمدا أو نسيانا فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وإنه) أي الأكل منه (لفسق) خروج عما يحل (وإن الشياطين ليوحون) يوسوسون (إلى أوليائهم) الكفار (ليجادلوكم) في تحليل الميتة (وإن أطعتموهم) فيه (إنكم لمشركون) ** ونزل في أبي جهل وغيره (أو من كان ميتا) بالكفر (فأحييناه) بالهدى (وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان (كمن مثله) مثل زائدة أي كمن هو (في الظلمات ليس بخارج منها) وهو الكافر لا (كذلك) كما زين للمؤمنين الإيمان (زين للكافرين ما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصي (وكذلك) كما جعلنا فساق مكة أكابرها (جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها)

وأكابر مفعول أول ومجرميها بدل من أكابر ولم يضف أكابر لئلا يلزم عليه اضافة الصفة للموصوف وهو لا يجوز عند البصريين الرابع أن أكابر مفعول أول مضاف لمجرميها وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا والمفعول الثاني محذوف تقديره فساقا ورد بان هذا التقدير لا فائدة فيه ولا يحوج له فالاحسن الثلاثة الاول (قوله ليمكروا فيها) اللام إما لام العاقبة والصيرورة نظير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا أو لام العلة بمعنى الحكمة وأما قولهم تنزه الله عن العلة فمعناه العلة الباعثة على الفعل ليتكمل به وأما الحكم فلا تخلو أفعال الله عنها سبحانك ما خلقت هذا عبثا والمكر اظهار بهجة وأبطان العلة والغدر والفجور وترويج الباطل وهذه الاشياء لا تقبل عادة الا من الكبراء (قوله بالصد عن الايمان) أي لما وردان كل طريق من طرق مكة كان يجلس عليه أربعة يصرفون الناس عن الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ويقولون هو كذاب ساحر كاهن (قوله لان وباله عليهم) أي وبال مكرهم لاحق بهم قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وقال أيضا سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله الآية (قوله وما يشعرون بذلك) أي لم يعلموا بأن وباله عليهم (قوله واذا جاءتهم آية) نزلت في الوليد بن المغيرة حيث قال للنبي لو كانت النبوة حقا لكنت أنا أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وقيل في أبي جهل حيث قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا الا أن يأتينا وحي كما يأتيه (قوله آية) أي معجزة كانشقاق القمر وحنين الجذع ونبع الماء (قوله لن نؤمن) أي نصدق برسالته (قوله مثل ما أوتي رسل الله) قال بعضهم يسن الوقف عليه هنا ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين وذكر بعضهم له دعاء مخصوصا وهو اللهم من الذي دعاك فلم تجبه ومن الذي استجارك فلم تجره ومن الذي سألك فلم تعطه ومن الذي استعان بك فلم تعنه ومن الذي توكل عليك فلم تكفه ياغوثاه ياغوثاه ياغوثاه بك أستغيث أغثني يا مغيث واهدني هداية من عندك واقض حوائجنا واشف مرضانا واقض ديوننا واغفر لنا ولآبائنا ولامهاتنا بحق القرآن العظيم والرسول الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين اهـ (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم (قوله لفعل دال عليه أعلم) دفع بذلك ما يقال من ان حيث مفعول به وليست ظرفا لأنها كناية عن الذات التي قامت بها الرسالة واسم التفضيل لا ينصب المفعول به فأجاب بما ذكر وأجيب أيضا بان اسم التفضيل ليس على بابه بل هو مؤول باسم الفاعل وهذا أولى لان ما لا تقدير فيه خير مما فيه التقدير وأيضا يدفع توهم المشاركة بين علم القديم والحادث والحاصل أن اسم التفضيل في أسماء الله وصفاته كأكرم وأعلم وأعظم وأجل ليس على بابه (قوله والموضع الصالح لوضعها فيه) أي الذات التي تستحق الرسالة وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله الذين أجرموا) أي وماتوا على الكفر (قوله صغار) كسحاب مصدر صغر كتعب معناه الذل والهوان وأما الصغر ضد الكبر فيقال فيه صغر بالضم كعظم فهو صغير (قوله عند الله) اما ظرف ليصيب أو لصغار والعندية مجازية كناية عن الحشر والوقوف بين يديه والحساب والجزاء (قوله أي بسبب مكرهم) أشار بذلك الى أن الباء سببية وما مصدرية (قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره) اعلم ان الله سبحانه وتعالى جعل خلقه في الازل قسمين شقي وسعيد وجعل لكل علامة تدل عليه فعلامة السعادة شرح الصدر للاسلام وقبوله لما يرد عليه من النور والاحكام وعلامة الشقاوة ضيق الصدر وعدم قبوله النور وجعل لكل قسم في الآخرة دارا يسكنونها فلأهل السعادة الجنة ونعيمها ولأهل الشقاوة النار وعذابها كما في الحديث ان الله خلق خلقا وقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلق خلقا وقال هؤلاء للنار ولا أبالي فذكر في هذه الآية علامة كل قسم فاذا رزق الله العبد شرح الصدر وأعطاه حلاوة الايمان فليعلم أن الله أعطاه عليه النعمة ومن اسم شرط ويرد فعل الشرط ويشرح جوابه (قوله يهديه) أي يوصله للمقصود وليس المراد الدلالة لأنها هي شرح الصدر (قوله يشرح صدره) الشرح في الاصل التوسيع والمراد هنا لازمه وهو ان يقذف الله في قلب الشخص النور حتى تكون أحوال العمر مرضية له لانه يلزم من التوسيع قبول ما يحل فيه (قوله كأن ورد في حديث) أي وهو أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول

ليمكروا فيها) بالصد عن الايمان (وما يمكرون الا بأنفسهم) لان وباله عليهم (وما يشعرون) بذلك (واذا جاءتهم) أي أهل مكة (آية) على صدق النبي صلى الله عليه وسلم (قالوا لن نؤمن) به (حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) من الرسالة والوحي الينا لانا أكثر مالا وأكبر سنا قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) بالجمع والافراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلا لها (سيصيب الذين أجرموا) بقولهم ذلك (صغار) ذل (عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) أي بسبب مكرهم (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) بأن يقذف في قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث

الله تعالى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفتح قيل فهل لذلك أمارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وفي رواية قبل لقي الموت (قوله ومن يرد أن يضله) أي يمنعه عن الوصول ويسكنه دار العقاب ويطرده عن رحمته ومن اسم شرط ويرد فعل الشرط ويجعل جوابه وجعل بمعنى صير فصدره مفعول أول وضيقا مفعول ثان وحرجا صفته والمعنى أن من أراد الله شقاوته وطرده عن رحمته ضيق قلبه فلا يقبل شيأ من أصول الاسلام ولا من فروعه ولو قطع اربا اربا وعلامة ذلك اذا ذكر التوحيد نفر قلبه واشمأز وان نطق بلسانه كأهل النفاق قال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة الآية (قوله بالتخفيف والتشديد) أي كميت وميت قراءتان سبعيتان (قوله شديد الضيق) أي زائده فلا يقبل شيأ من الهدى أصلا (قوله بكسر الراء صفة) أي اسم فاعل كفرح فهو فرح (قوله وصف به مبالغة) أي أو على حذف مضاف أي ذا حرج على حد زيد عدل (قوله كأنما يصعد) أي يتكلف الصعود فلا يستطيعه (قوله وفيهما ادغام التاء في الاصل) أي بعد قلبها صادا فأصل الاولى يتصعد وأصل الثانية يتصاعد وهاتان القراءتان مع تشديد ضيقا وكسر راء حرجا أو فتحها وأما قوله وفي أخرى بسكونها فهي قراءة من خفف ضيقا وبفتح حرجا فالمخفف للمخفف والمشدد للمشدد (قوله اذا شدته عليه) أي لتعسر الايمان عليه فان القلب بيد الله يسكن فيه أي الأمرين شاء وليس مملوكا لصاحبه وحينئذ فلا ينبغي له أن يأمن لما هو في قلبه من الايمان ومحبة الله ورسوله ومن هنا علمنا الله طلب الهداية على سبيل الدوام مع كونها حاصلة بقوله اهدنا الصراط المستقيم وبقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي على دينك ولذا خاف العارفون ولم يسكنوا الى علم ولا عمل لما علموا أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ولا يأمنون حتى تقبض أرواحهم على الايمان ولكن شأن الكريم ان من تمم لانه وعد منه وهو لا يخلف (قوله أي يسلطه) أي الشيطان وهو تفسير الجعل على التفسير الثاني وأما تفسيره على الاول فمعناه يلقي ويصيب (قوله الذي أنت عليه) أي وهو الاسلام (قوله صراط ربك) شبه دين الاسلام بالصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية (قوله ونصبه على الحال المؤكدة للجملة) المناسب أن يقول المؤكدة لصراط لان الحال المؤكدة للجملة عاملها مضمر قال ابن مالك

وان تؤكد جملة فمضمر ＊ عاملها ولفظها يؤخر

فينافيه قوله والعامل فيها معنى الاشارة (قوله معنى الاشارة) المناسب أن يقول والعامل فيها اسم الاشارة باعتبار ما فيه من معنى الفعل وهو أشير (قوله فيه ادغام التاء في الاصل) أي بعد قلبها ذالا (قوله وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون) أي المؤتمرون بأمره المنتهون بنهيه وهم الصالحون المتقون فبقاء القرآن دليل على بقاء جماعة على قدم النبي بدليل هذه الآية وآية الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ولا عبرة بمن يقول عدمت الصالحون وربما قال أنا لم أر أحدا منهم فقد قال ابن عطاء الله أولياء الله عرائس مخدرة ولا يرى العرائس المجرمون (قوله لهم دار السلام) الجار والمجرور خبر مقدم ودار السلام مبتدأ مؤخر والجملة يحتمل أن تكون مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره وما جزاء من ينتفع بالذكرى فأجاب بقوله لهم دار السلام ويحتمل أن يكون حالا من القوم أو صفة لهم والتقدير قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون حال كونهم لهم دار السلام أو موصوفين بكونهم لهم دار السلام (قوله أي السلامة) أي من جميع المخاوف والمكاره لان بدخولها يحصل الامن التام من جميع المكاره حتى الموت ويصح أن المراد بالسلام التحية الواقعة من الله والملائكة قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما (قوله وهي الجنة) أشار بذلك الى أن المراد بدار السلام ما يعم باقي الجنان وليس المراد خصوص الدار المسماة بدار السلام (قوله عند ربهم) العندية

(ومن يرد) الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا) بالتخفيف والتشديد عن قبوله (حرجا) شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة (كأنما يصعد) وفي قراءة يصاعد وفيهما ادغام التاء في الاصل في الصاد وفي أخرى بسكونها (في السماء) اذا كلف الايمان لشدته عليه (كذلك) الجعل (يجعل الله الرجس) العذاب أو الشيطان أي يسلطه (على الذين لا يؤمنون وهذا) الذي أنت عليه يا محمد (صراط) طريق (ربك مستقيما) لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الاشارة (قد فصلنا) بينا (الآيات لقوم يذكرون) فيه ادغام التاء في الاصل في الذال أي يتعظون وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون (لهم دار السلام) أي السلامة وهي الجنة (عند ربهم

عند بشرف بمعنى انه امتنوا به الله خاصة وليس لاحد فيها منة أو المعنى أن من دخلها كان في حضرة ربه لايشهد شيأ سواه ولا يحجب بنعيمها عن مولاه بل كلما ازداد من الجنة نعيما ازداد قربا من الله و زالت الحجب عن قلبه بخلاف الدنيا اذا اشتغل بشيء من زينتها ابعد عن الله فكلما ازداد فيها شيأ ازداد بعدا عن الله ولا يخلص منها الا من جاهد نفسه وخرج عن هواه (قوله وهو وليهم) الجملة حالية والمعنى ناصرهم ومتولي أمورهم وقوله بما كانوا يعملون الباء سببية وما مصدرية والتقدير بسبب عملهم السابق تولاهم وأدخلهم حضرة قربه (قوله ويوم نحشرهم) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله بالنون والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي الله) تفسير للضمير على قراءة الياء والنون على القراءة الاخرى (قوله الخلق) أي جميع الحيوانات عقلاء وغيرهم (قوله جميعا) توكيد للضمير أو حال منه (قوله يامعشر الجن) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويقال لهم وليس معمولا لنحشرهم بل هما جملتان وهذا الخطاب بعد جمع الخلائق في الموقف وتصيير غير العاقل ترابا وقوله يامعشر الجن المعشر الجماعة والجمع معاشر والمراد بالجن الشياطين (قوله قد استكثرتم) السين والتاء لتأكيد الكثرة (قوله باغوائكم) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير قد استكثرتم من اغواء الانس (قوله وقال أولياؤهم من الانس) لعل وجه الاقتصار على كلام الانس الاشارة الى أن الجن بهتوا فلم يردوا جوابا وقوله من الانس في محل نصب على الحال (قوله ربنا) منادى حذف منه حرف النداء (قوله انتفع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات) أي التي تنوعت فيها الانس من سحر وكهانة ودعوى ألوهية ودعوى نبوة وسائر الاديان والعقائد الباطلة ومن ذلك كان الرجل في الجاهلية اذا سافر فنزل بأرض قفر اخاف على نفسه من الجن فقال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم (قوله بطاعة الانس لهم) أي في هذه الامور المزينة فاستمتاع الجن بالانس بالسلطنة التي تولوها عليهم حيث امتثلوا أوامرهم وكانوا من حزبهم ودخلوا في جاههم (قوله الذي أجلت لنا) أي الذي قدرته لنا (قوله وهذا تحسر منهم) أي ماوقع منهم من تلك المقالة تحسر وتحزن على ماسلف منهم من طاعة الشيطان واتباع الهوى (قوله على لسان الملائكة) مرور على القول بأن الله لايكلمهم يوم القيامة أصلا (قوله خالدين فيها) حال من الكاف في مثواكم (قوله من الاوقات التي يخرجون فيها) تبع المفسر في ذلك شيخه الجلال المحلي في تفسير سورة الصافات وهو مخالف لظاهر قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها والاحسن أن يقال الا ماشاء الله من الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فينقلون من عذاب النار ويدخلون واديا فيه من الزمهرير وهو شدة البرد ما يقطع بعضهم من بعض فيطلبون الرد الى الجحيم كما ذكر في حواشي البيضاوي (قوله لشرب الحميم) أي وهو ماشديد الحرارة يقطع الامعاء وذلك حين يستغيثون من شدة حر النار يطلبون الماء ليبرد عنهم تلك الحرارة قال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه (قوله وعند ابن عباس الخ) أي فيحمل على من مات مؤمنا وهو مصر على المعاصي وننفذ فيه الوعيد ويكون المراد من النار دار العذاب وان لم تكن دار خلود كجهنم لعصاة المؤمنين (قوله حكيم في صنعه) أي يضع الشيء في محله (قوله عليم بخلقه) أي فيجازي كلا على عمله (قوله نولي) أي نسلط ونؤمر (قوله بما كانوا يكسبون) الباء سببية وما مصدرية والمعنى كما متعنا الانس والجن بعضهم ببعض نسلط بعض الظالمين على بعض بسبب كسبهم من المعاصي فيؤخذ الظالم بالظالم لما في الحديث ينتقم الله من الظالم بالظالم ثم ينتقم من كليهما وفي الحديث أيضا كما تكونوا يولى عليكم ومن هذا المعنى قول الشاعر

وما من يد الا يد الله فوقها * وما ظالم الا سيبلى بظالم

(قوله يامعشر الجن والانس) هذا زيادة في التوبيخ عليهم لان الله سبحانه وتعالى أولا وبخ الفريقين بتوجيه الخطاب للجن وثانيا خاطبهم جميعا وبخهم (قوله أي من مجموعكم) دفع بذلك مايقال ان ظاهر الآية يقتضي أن من الجن رسلا مع أن الرسالة مختصة بالانس فليس من الجن بل ولا من الملائكة رسل

وهو وليهم بما كانوا يعملون و) اذكر (يوم نحشرهم) بالنون والياء أي الله الخلق (جميعا) ويقال لهم (يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) باغوائكم (وقال أولياؤهم) الذين أطاعوهم (من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) انتفع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة الانس لهم (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) وهو يوم القيامة وهذا تحسر منهم (قال) تعالى لهم على لسان الملائكة (النار مثواكم) مأواكم (خالدين فيها الا ماشاء الله) من الاوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم فانه خارجها كما قال ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وعند ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فما بمعنى من (ان ربك حكيم) في صنعه (عليم) بخلقه (وكذلك) كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض (نولي) من الولاية (بعض الظالمين بعضا) أي على بعض (بما كانوا يكسبون) من المعاصي (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) أي من مجموعكم أي بعضكم الصادق بالانس

فأجاب بأن المراد من مجموعكم الصادق بالانس ونظير ذلك قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي
من أحدهما وهو الملح وقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا أي في احداهن وهي سماء الدنيا (قوله أو
رسل الجن نذرهم) أشار بذلك الى جواب آخر وهو تسليم ان هناك رسلا من الجن لكنهم رسل الرسل
الذين يسمعون من النبي المواعظ والاحكام ويبلغون قومهم ذلك قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين الآية وقال تعالى قل أوحي
الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد الآيات فيكون المعنى على ذلك ألم
يأتكم رسل منكم أي من الانس يبلغونكم عن الله ومن الجن يبلغونكم عن الرسل والمراد بجنس
الرسل الصادق بالواحد وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرسل لهم غيره وأما حكم سليمان فيهم
فحكم سلطنة وملك لا حكم رسالة وأما قوله تعالى حكاية عن الجن ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد
موسى فلا يلزم من علمهم بموسى وسماعهم لكتابه أن يكونوا مكلفين به (قوله يقصون عليكم آياتي)
القص معناه الحديث أي يحدثونكم بآياتي على وجه البيان (قوله وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي
يخوفونكم يوم القيامة والمعنى يحذرونكم من مخالفة الله التي توجب الخوف يوم القيامة (قوله أن قد
بلغنا) يصح بناؤه للفاعل والمفعول (قوله وغرتهم الحياة الدنيا) عطف سبب على مسبب أو علة على
معلول (قوله وشهدوا على أنفسهم) كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به فأولا شهدوا
بتبليغ الرسل لهم وثانيا شهدوا بكفرهم زيادة في التقبيح عليهم والمقصود من ذكر ذلك الاتعاظ به
والتحذير من فعل مثل ذلك ان قلت ان شهادتهم بكفرهم تدل على انهم أقروا به وهو مناف لقوله تعالى
والله ربنا ما كنا مشركين أجيب بأن مواقف القيامة مختلفة فاولا حين يرون المؤمنين توزن أعمالهم
ويمشون على الصراط لدخول الجنة ينكرون الاشراك طمعا في دخولهم في زمرة المؤمنين فيختم
على أفواههم وتنطق أعضاؤهم فيقرون عليهم وتقر بالكفر (قوله ذلك أن لم يكن) اسم الاشارة مبتدأ
وأن لم يكن خبره واللام محذوفة وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن كما قال المفسر والتقدير ذلك
ثابت لانه لم يكن الخ (قوله لم يكن ربك مهلك القرى) أي لعلمه ورحمته لا ينزل العذاب على من خالف
وعصى حتى يتكرر عليهم الانذار والتخويف (قوله بظلم منها) الباء سببية وقدر المفسر قوله منها اشارة
الى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من القرى والمعنى لم يكن مهلك أهل القرى بسبب وقوع
ظلم منها والحال أن أهلها لم يرسل لهم رسول (قوله من العاملين) أي طائعين أو عاصين (قوله جزاء) دفع
بذلك ما يقال ان الدرجات بالجيم للطائعين فينافي العموم المتقدم فأجاب بأن المراد بالدرجات الجزاء وهو
صادق بالدرجات والدركات وأجيب أيضا بأن في الكلام اكتفاء أي ودركات على حد سرابيل تقيكم
الحر أي والبرد (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وربك الغني) هذا مرتب على ما قبله
جواب عما يقال حيث كان لكل من الطائعين والعاصين جزاء لا مفر لهم منه فما وجه امهالهم وعدم تعجيل
ذلك لهم فأجاب بأنه الغني فلا ينتفع بطاعة الطائع ولا تضره معصية العاصي وربك مبتدأ والغني خبره
وذو الرحمة خبر ثان ويصح أن يكون الغني وذو الرحمة صفتين له وجملة ان يشأ يذهبكم خبره (قوله
ذو الرحمة) أي ومن أجل ذلك بقاء الخلق من غير استئصال الهلاك لهم (قوله بالاهلاك) أي جملة
واحدة بحيث لم يبق منهم أحد كعاد وثمود (قوله ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أي ينشئ ويوجد بعد
اذهابكم ما يشاء (قوله من ذرية قوم آخرين) أي وهم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون
الى زمنكم (قوله ولكنه أبقاكم رحمة لكم) أي لوجود نبيكم لانه بعث رحمة لا عذابا (قوله من الساعة)
بيان لما (قوله لآت) خبر ان مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين كقاض (قوله
وما أنتم بمعجزين) أي فارين من عذابنا بل هو مدرككم لا محالة (قوله اعملوا على مكانتكم) هذا أمر
تهديد وزجر نظير قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله عليه الصلاة والسلام اذا لم تستح فاصنع ما شئت والمكانة
اما من التمكن وهو الاستطاعة فتكون الميم أصلية أو من الكون بمعنى الحالة فتكون زائدة والمفسر

أو رسل الجن نذرهم الذين
يسمعون كلام الرسل
فيبلغون قومهم (يقصون
عليكم آياتي وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا
على أنفسنا) أن قد بلغنا قال
تعالى (وغرتهم الحياة الدنيا)
فلم يؤمنوا (وشهدوا على
أنفسهم أنهم كانوا كافرين
ذلك) أي ارسال الرسل
(أن) اللام مقدرة وهي
مخففة أي لانه (لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم) منها
(وأهلها غافلون) لم يرسل
اليهم رسول يبين لهم
(ولكل) من العاملين
(درجات) جزاء (مما عملوا)
من خير وشر (وما ربك
بغافل عما يعملون) بالياء
والتاء (وربك الغني) عن
خلقه وعبادتهم (ذو الرحمة
ان يشأ يذهبكم) يا أهل
مكة بالاهلاك (ويستخلف
من بعدكم ما يشاء) من
الخلق (كما أنشأكم من
ذرية قوم آخرين) أذهبهم
ولكنه أبقاكم رحمة لكم
(ان ما توعدون) من
الساعة والعذاب (لآت)
لا محالة (وما أنتم بمعجزين)
فائتين عذابنا (قل) لهم
(يا قوم اعملوا على مكانتكم)
حالتكم (اني عامل) على
حالتي (فسوف

جعلها بمعنى الحالة (قوله من موصولة مفعول العلم) أى وتكون صلتها وعاقبة الدار اسمها وله خبرها وعلم عرفانية متعدية لواحد ويصح أن تكون من استفهامية مبتدأ وجملة تكون مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ والمبتدأ والخبر فى محل نصب سدت مسد مفعول تعلمون (قوله أى العاقبة المحمودة فى الدار) أشار بذلك الى أن الاضافة على معنى فى والمراد بالعاقبة المحمودة الراحة التامة والسرور الكامل (قوله أنحن أم أنتم) هذا يناسب كون من استفهامية لا موصولة والأولى جعلها موصولة لقال فسوف تعلمون الفريق الذى له عاقبة الدار (قوله انه لا يفلح الظالمون) استئناف كأنه واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ما عاقبتهم فقال انه لا يفلح الظالمون (قوله وجعلوا لله) هذا من جملة قبائحهم وخسران عقولهم وجعل فعل ماض والواو فاعل ولله جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم ونصيبا مفعول أول مؤخر ومما ذرأ متعلق بجعلوا (قوله من الحرث) متعلق بمحذوف حال من ماذرأ (قوله الزرع) أى ما يزرع كان حبا أو غيره (قوله والانعام) أى الابل والبقر والغنم (قوله ولشركائهم) متعلق بمحذوف تقديره وجعلوا لشركائهم وأشار المفسر بذلك الى أن فى الآية اكتفاء بدليل التفصيل بعد ذلك بقوله وهذا لشركائنا (قوله الى سدنتها) أى خدمتها (قوله فقالوا) هذا تفريع على الشق المذكور والشق المطوى (قوله بزعمهم) الزعم الكذب ومصبه قوله بعد وهذا لشركائنا فمحط الكذب التنصيف حيث جعلوا نصف ما خلق الله وانشأه من الحرث والانعام له ونصفه لشركائهم وحق الجميع أن يكون لله ويحتمل أن الزعم من حيث ادعاؤهم الملك وانشاء الجعل من عندهم لله والملك فى الحقيقة لله (قوله بالفتح والضم) أى فهما قراءتان سبعيتان الاولى لغة أهل الحجاز والثانية لغة بنى أسد وفى لغة بالكسر لكن لم يقرأ بها والكل بمعنى واحد (قوله فكانوا اذا سقط فى نصيب الله شىء من نصيبها التقطوه) أى وكانوا اذا رأوا ما عينوه لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه محبة لها واذا هلك ما جعلوه لها أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لله (قوله أى الهته) أى الهة مراضيه والاضافة على الله الوصول والجهة (قوله ساء ما يحكمون) ساء فعل ماض وما اسم موصول فاعل ويحكمون صلته والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله حكمهم وقوله هذا بدل من حكمهم لان حكمهم مبتدأ والجملة قبله خبره (قوله وكذلك) الجملة معطوفة على الجملة قبلها والكاف بمعنى مثل (قوله زين لكثير من المشركين) زين بالبناء للفاعل ولكثير متعلق بزين ومن المشركين صفة لكثير وقتل بالنصب مفعول لزين وهو مضاف لاولادهم وشركاؤهم بالرفع فاعل زين وقرأ ابن عامر من السبعة زين بالبناء للمفعول وقتل بالرفع نائب فاعل زين وأولادهم بالنصب مفعول المصدر الذى هو قتل وقتل مضاف وشركائهم مضاف اليه ولا يضر الفصل بين المضاف والمضاف اليه بمعمول المضاف لانه ليس أجنبيا والمضر الفصل بالاجنبى وهذه القراءة متواترة صحيحة موافقة للنحو خلافا لمن شذ وعاب على من قرأ بها كيف وهى أعلى القراء سندا وأفصحهم هجرة وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى زين مبنيا للمفعول وقتل نائب الفاعل وأولادهم بالجر مضاف لقتل وشركاؤهم بالرفع فاعل قتل قال ابن مالك

و بعد جره الذى أضيف له * كمل بنصب أو برفع عمله

وقرأ أهل الشام كقراءة ابن عامر الا أنهم خفضوا الاولاد أيضا على ان شركائهم صفة لهم بمعنى انهم يشركونهم فى المال والنسب وقرأ فرقة من أهل الشام زين بكسر الزاى بعدها ياء ساكنة مبنى للمفعول كقيل و بيع وقتل نائب الفاعل وأولادهم بالنصب وشركائهم بالجر وتوجيهها معلوم مما تقدم فجملة القراآت خمس اثنتان سبعيتان وهما اللتان مشى عليهما المفسر وثلاثة شواذ (قوله بالوأد) هو دفن الاناث بالحياة مخافة الفقر والعار قال تعالى واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت (قوله من الجن) أى الملابسين للاصنام (قوله ولا يضر) رد على من منع ذلك وعاب على ابن عامر (قوله واضافة القتل) مبتدأ وقوله لامرهم به خبره ومباشر القتل هو كثير من المشركين (قوله ليردوهم) علة التزيين وقوله وليلبسوا معطوف على ليردوهم [illegible] (قوله ولو شاء الله

ما فعلوه)

تعلمون من) موصولة مفعول العلم (تكون له عاقبة الدار) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة أنحن أم أنتم (انه لا يفلح) يسعد (الظالمون) الكافرون (وجعلوا) أى كفار مكة (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث) الزرع (والانعام نصيبا) يصرفونه الى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيبا يصرفونه الى سدنتها (فقالوا هذا لله بزعمهم) بالفتح والضم (وهذا لشركائنا) فكانوا اذا سقط فى نصيب الله شىء من نصيبها التقطوه أو فى نصيبها شىء من نصيبه تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا كما قال تعالى (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) أى لجهته (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء) بئس (ما يحكمون) حكمهم هذا (وكذلك) كما زين لهم ما ذكر (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بالوأد (شركاؤهم) من الجن بالرفع فاعل زين وفى قراءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الاولاد به وجر شركائهم باضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول ولا يضر واضافة القتل الى الشركاء لامرهم به (ليردوهم) يهلكوهم (وليلبسوا) يخلطوا (عليهم دينهم ولو شاء الله

ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر) حرام (لا يطعمها إلا من نشاء) من خدمة الأوثان وغيرهم (بزعمهم) أي لا حجة لهم فيه (وأنعام حرمت ظهورها) فلا تركب كالسوائب والحوامي (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك إلى الله (افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) عليه (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام) المحرمة وهي السوائب والبحائر (خالصة) حلال (لذكورنا ومحرم على أزواجنا) أي النساء (وإن يكن ميتة) بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره (فهم فيه شركاء سيجزيهم) الله (وصفهم) ذلك بالتحليل والتحريم أي جزاءه (إنه حكيم) في صنعه (عليم) بخلقه (قد خسر الذين قتلوا) بالتخفيف والتشديد (أولادهم) بالوأد (سفها) جهلا (بغير علم وحرموا ما رزقهم الله) مما ذكر (افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي أنشأ) خلق (جنات) بساتين (معروشات) مبسوطات على الأرض كالبطيخ (وغير معروشات) بأن ارتفعت على ساق كالنخل (و) أنشأ (النخل والزرع مختلفا أكله) ثمره وحبه في الهيئة والطعم (والزيتون والرمان متشابها) ورقهما حال (وغير متشابه)

ما فعلوه) مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم والمعنى لو أراد الله عدم التزيين والقتل ما فعلوه لأن الله هو الموجد للخير والشر وإنما الخلق أسباب ظاهرية في الخير والشر والأمر جميع الكل إلى الله ومن هنا قول سيدي إبراهيم الدسوقي من نظر للخلق بعين الشرع مقتهم ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم وقال بعض العارفين

الكل تقدير مولانا وتأسيسه * فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه

وقل لقلبك إذا زادت وساوسه * إبليس لما طغى من كان إبليسه

(قوله فذرهم وما يفترون) أي اتركهم وافتراءهم (قوله وقالوا) هذا نوع آخر من أنواع قبائحهم وقوله هذه أنعام الخ الإشارة إلى ما جعلوه لآلهتهم (قوله حجر) بمعنى محجور كذبح بمعنى مذبوح أي ممنوعة (قوله لا يطعمها) أي لا يأكلها والضمير عائد على الأنعام والحرث (قوله وغيرهم) أي من الرجال دون النساء (قوله بزعمهم) حال من فاعل قالوا (قوله كالسوائب والحوامي) أي والبحائر (قوله ونسبوا ذلك) أي التقسيم إلى الأقسام الثلاثة بأن قالوا قسم حجر أي ممنوع منه بالكلية وقسم لا يركب وإن كان يجوز أخذ لبنه وأولاده وقسم لا يذكر اسم الله عليه عند الذبح وإنما يذكر اسم الصنم وقوله افتراء معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ونسبوا ذلك (قوله بما كانوا يفترون) أي بسبب افترائهم (قوله وقالوا) هذا إشارة لنوع آخر من أنواع قبائحهم (قوله ما في بطون هذه الأنعام) أي نتاج الأنعام السوائب والبحائر فما ولد منها حيا فهو حلال للذكور خاصة وما ولد منها ميتا فهو حلال للذكور والإناث (قوله خالصة) خبر عن ما باعتبار معناها وقوله ومحرم خبر عنها باعتبار لفظها (قوله مع تأنيث الفعل) أي باعتبار معنى ما وهو الأجنة وهذا على النصب وأما على الرفع فباعتبار تأنيث الميتة وقوله وتذكيره أي باعتبار لفظ ما على قراءة النصب وباعتبار أن تأنيث الميتة مجازي على قراءة الرفع فالقراءات أربع وكلها سبعية وكان ناقصة في النصب واسمها ضمير يعود على ما وتامة في الرفع فاعلها ميتة (قوله فهم فيه) أي ذكورهم وإناثهم يأكلون منه جميعا (قوله وصفهم) أي جزاء وصفهم والمراد بوصفهم التحليل والتحريم الذي اخترعوه فالباء في قوله بالتحليل والتحريم لتصوير الوصف (قوله إنه حكيم) تعليل لمجازاته إياهم أي فمن أجل حكمته وعلمه لا يترك مجازاتهم (قوله قد خسر الذين قتلوا) أي في الدنيا باعتبار السعي في نقص عددهم وإزالة ما أنعم الله به عليهم وفي الآخرة باستحقاق العذاب الأليم (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله جهلا) روى البخاري عن ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من الأنعام قد خسر الذين إلى قوله وما كانوا مهتدين (قوله وحرموا) معطوف على قتلوا فهو صلة ثانية (قوله افتراء) معمول لحرموا (قوله قد ضلوا) أي عن الطريق المستقيم وقوله وما كانوا مهتدين فيه إعلام بأن هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل يموتون على الضلال كأن الله يقول لنبيه لا تعلق آمالك بهداهم (قوله وهو الذي أنشأ جنات) هذا امتنان من الله على عباده وبيان أن كل نعمة منه (قوله جنات) المراد بها جميع ما ينبت أعم من أن يكون بساتين أو لا بدليل ما بعده فهو من باب تسمية الكل باسم جزئه الأشرف أو أطلق الخاص وأراد العام فلا مفهوم لقول المفسر بساتين (قوله كالبطيخ) أي والعنب إذا لم يوضع على عريش (قوله كالنخل) أي وغيره مما له ساق يرتفع به كالجميز والنبق والعنب إذا وضع على عريش والحبوب وقيل المعروشات المرتفعات على ساق وغير المعروشات ما لا ساق له عكس ما ذكره المفسر (قوله والنخل والزرع) قدر المفسر أنشأ إشارة إلى أنه معطوف على جنات عطف خاص على عام والنكتة عموم النفع بالنخل والزرع لإقامتهما بنية الآدمي فهما يغنيان عن غيرهما وغيرهما لا يغني عنهما والمراد بالزرع جميع الحبوب التي يقتات بها (قوله مختلفا أكله) فالمعنى أنشأه تقديرا في علمه سبحانه أن أكله مختلف والأكل بالضم المأكول أي مأكول كل منهما مختلف في الصفة والطعم واللون والرائحة (قوله ثمره وحبه) لف ونشر مرتب (قوله والزيتون والرمان) معطوف أيضا على جنات وخصهما بالذكر لأنهما أشرف الثمار بعد النخل (قوله متشابها) هو بمعنى

طعمهما (كلوا من ثمره إذا أثمر) قبل النضج (وآتوا حقه) زكاته (يوم حصاده) بالفتح والكسر من العشر أو نصفه (ولا تسرفوا) بإعطاء كله فلا يبق لعيالكم شئ (انه لا يحب المسرفين) المتجاوزين ما حد لهم (و) أنشأ (من الانعام حمولة) صالحة للحمل عليها كالابل الكبار (وفرشا) لا تصلح له كالابل الصغار والغنم سميت فرشا لانها كالفرش للارض لدنوها منها (كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرائقه في التحريم والتحليل (انه لكم عدو مبين) بين العداوة (ثمانية أزواج) أصناف بدل من حمولة وفرشا (من الضأن) زوجين (اثنين) ذكر وأنثى (ومن المعز) بالفتح والسكون (اثنين قل) يا محمد لمن حرم ذكور الانعام تارة وإناثها أخرى ونسب ذلك الى الله (آلذكرين) من الضأن والمعز (حرم) الله عليكم (أم الانثيين) منهما (أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين) ذكرا كان أو أنثى (نبئوني بعلم) عن كيفية تحريم ذلك (ان كنتم صادقين) فيه المعنى من أين جاء التحريم فان كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام أو الانوثة فجميع الاناث أو اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص والاستفهام للانكار (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم) بل (كنتم شهداء)

مشتبها المتقدم الا ان القراءة سنة متبعة (قوله طعمهما) أي ولونهما وريحهما وحجمهما (قوله كلوا من ثمره) هذا أمر اباحة (قوله قبل النضج) أي استوائه ووجوب الزكاة فيه فلا تتوقف اباحة الاكل على الوصول الى حد وجوب الزكاة فيه وهو النضج أو التهيؤ له ولا يحسب عليه شئ للفقراء أما بعد النضج فكل ما أكله حسب عليه زكاته (قوله زكاته) هذا تفسير ابن عباس وأنس بن مالك واستشكل بأن السورة مكية وفرض الزكاة كان بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة وأجيب بأن الآية مدنية وقيل المراد بالحق اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر للفقراء وهو قول الحسن وعطاء ومجاهد وعلى هذا القول فقيل الامر للوجوب ويكون منسوخا بآية الزكاة وقيل للندب ويكون محكما (قوله يوم حصاده) أي زمن تيسر الاخراج منه وهو ظاهر فيما لا يتوقف على تصفية كالعنب والزيتون والنخل وأما ما يحتاج الى تصفية كالحبوب فيقال ان يوم ظرف متسع فيشمل مدة الحصاد والدراس أو يقال ان يوم متعلق بمحذوف تقديره وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده وهو لا ينافي أن اخراج الحق بعد التصفية ان توقف عليها (قوله بالفتح والكسر) أي فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد (قوله من العشر) أي فيما سقي بالسيح وقوله أو نصفه أي فيما سقي بآلة (قوله ولا تسرفوا) أي تتجاوزوا الحد باخراجه كله للفقراء أو بعدم الاخراج من أصله أو بانفاقه في المعاصي والاقرب الاول الذي اقتصر عليه المفسر لان سبب نزولها ان ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة يوم أحد ففرقها ولم يترك لاهله شيأ (قوله انه لا يحب المسرفين) أي يعاقبهم (قوله ومن الانعام) معطوف على جنات واليه يشير المفسر حيث قدر أنشأ وفي الحقيقة قوله من الانعام متعلق بمحذوف حال من حمولة لانه نعت نكرة تقدم عليها وحمولة هو المعطوف على جنات (قوله صالحة للحمل عليها) مشى المفسر على ان المراد بالحمولة ما يصلح للحمل والفرش ما عداه والاحسن تفسير الحمولة بالكبار أعم من أن تكون ابلا أو بقرا أو غنما والفرش بالصغار منها ويدل عليه قوله ثمانية أزواج وقيل الحمولة كل ما حمل عليه من ابل وغيرها والفرش ما اتخذ من الصوف والوبر والشعر (قوله سميت) أي الابل الصغار (قوله كلوا مما رزقكم الله) أي من جميع الثمار والانعام والحرث (قوله في التحريم والتحليل) أي في الحرث والانعام بأن تحللوا أشيأ وتحرموا أخرى كما تقول المشركون (قوله انه لكم عدو) تعليل لما قبله (قوله بين العداوة) أي ظاهرها لوجود عداوته لابينا آدم من قبل واتصالها بأبنائه من بعده ولذلك قيل ان المولود حال ولادته ينخسه الشيطان فيصرخ عند ذلك من شدة عداوته له (قوله ثمانية أزواج) يطلق الزوج على الشيئين المتلازمين اللذين يحصل بينهما التناسل وعلى أحدهما وهو المراد هنا (قوله بدل من حمولة وفرشا) أي بدل مفصل من مجمل (قوله من الضأن) بدل من ثمانية أزواج على جواز الابدال من البدل (قوله اثنين) أي وهما الكبش والنعجة وقوله من المعز اثنين أي التيس والعنز (قوله بالفتح والسكون) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لمن حرم ذكور الانعام) أي بعض ذكورها وقوله واناثها أي بعض اناثها (قوله آلذكرين) بمد الهمزة الثانية مدا لازما قدر ثلاث ألفات أو تسهيلها وهو منصوب بالعامل الذي بعده وهو حرم قدم لان مدخول الاستفهام له الصدارة (قوله أم الانثيين) أم عاطفة على الذكرين وكذلك أم الثانية عاطفة على ما الموصولة على ما قبلها وفعلها منصوب أيضا تقديره أم الذي اشتملت عليه وأم في كل منهما متصلة مقابلة لهمزة الاستفهام (قوله نبئوني بعلم) أي أخبروني خبرا ملتبسا بعلم ناشئ عن اخبار من الله بأنه حرم ما ذكر وهي جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه قصد بها الزام الحجة لهم (قوله عن كيفية تحريم ذلك) أي جهته وسببه (قوله فان كان من قبل الذكورة الخ) أي فان كان سبب التحريم الذكورة لزمكم تحريم جميع الذكور وان كانت الانوثة لزمكم تحريم جميع الاناث وان كان ما اشتملت عليه الارحام لزمكم تحريم الجميع فلاي شئ خصصتم التحريم ببعض الذكور والاناث فمن أين التخصيص أي تخصيص تحريم البحائر والسوائب بالابل دون بقية النعم من البقر والغنم (قوله والاستفهام للانكار) أي في المواضع الثلاثة (قوله أم كنتم) أم منقطعة فلذا فسرها ببل والهمزة فاستفهامها جعل لذ

مستقلة والمقصود به التهكم بهم حيث نسبهم الى الحضور في وقت الايصاء (قوله حضورا) أى حاضرين ومشاهدين تحريم البعض وتحليل البعض (قوله لا) أى لم تكونوا حاضرين ولم يدل دليل على تحريم البعض وتحليل البعض (قوله أى لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله ليضل الناس) متعلق بافترى وقوله بغير علم متعلق بمحذوف حال من فاعل افترى أى افترى حال كونه ملتبسا بغير علم بل جاهلا (قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين) تعليل لما قبله والمعنى لا يرشد الذين تعمدوا حدود الله بالتحليل والتحريم الى الصراط المستقيم لسابق الشقاوة لهم (قوله قل لا أجد) لما ألزمهم الله الحجة بان التحريم من عند أنفسهم لا من عند الله أخبرهم بما ثبت تحريمه عن الله فهو نتيجة ما قبله وثمرته والمعنى قل يا محمد لكفار مكة لا أجد فيما أوحى الى الخ (قوله فيما أوحى الى) ما اسم موصول وأوحى صلته والعائد محذوف والتقدير فى الذى أوحاه الله الى وهو القرآن (قوله شيأ محرما) قدره المفسر اشارة الى أن محرما صفة لموصوف محذوف (قوله على طاعم) متعلق بمحرما وقوله يطعمه من باب فهم ومعنى طاعم آكل ويطعمه يأكله (قوله الا أن يكون) اسمها ضمير مستتر عائد على الشئ المحرم وميتة بالنصب خبرها وذكر باعتبار ما عاد عليه الضمير وهذا على قراءة الياء وأما على التاء فالتأنيث باعتبار خبر يكون وهو ميتة وهاتان قراءتان على نصب ميتة وأما رفعها ففيه قراءة واحدة بالفوقانية فتكون تامة وميتة فاعل اذا علمت ذلك فقول المفسر وفى قراءة بالرفع مع التحتانية سبق قلم والصواب الفوقانية وهذا الاستثناء يصح ان يكون متصلا باعتبار عموم الاحوال أو منقطعا لانه مستثنى من محرما وهو ذات والمستثنى كونه ميتة وهو معنى فليس من جنس المستثنى منه والاقرب كونه متصلا (قوله أو دما) بالنصب عطف على ميتة فى قراءة النصب وعلى المستثنى فى قراءة الرفع (قوله مسفوحا) من السفح وهو السيلان أو الصب والدم المسفوح نجس من سائر الحيوان ولو من سمك وذباب وعند أبى حنيفة لا دم للسمك أصلا بدليل أنه اذا نشف صار أبيض (قوله كالكبد والطحال) أى فانهما طاهران لما فى الحديث أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال (قوله فانه) أى لحم الخنزير وخص اللحم بالذكر وان كان باقيه كذلك لاعتنائهم به أكثر من باقيه (قوله حرام) الأوضح أن يقول نجس لان التحريم علم من الاستثناء (قوله أو فسقا) عطف على ميتة وهو على حذف مضاف أى ذا فسق أو جعل نفس الفسق مبالغة على حد زيد عدل وقوله أهل لغير الله به صفة لفسقا (قوله أى ذبح على اسم غيره) أى قربانا كما يتقرب الى الله كان ذلك الغير صنما أو غيره (قوله فمن اضطر) أى أصابته الضرورة (قوله مما ذكر) أى من الميتة وما بعدها (قوله غير باغ) تقدم فى سورة البقرة أنه فسر الباغى بالخارج على المسلمين والعادى بقاطع الطريق لان مع كل منهما وحدة وهى النوبة فاذا تاب كل جاز له الاكل وتقدم الخلاف فى المضطر هل له أن يشبع ويتزود وهو مشهور مذهب مالك أو يقتصر على سد الرمق وهو مشهور مذهب الشافعى (قوله فان ربك غفور) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا اثم عليه (قوله ويلحق بما ذكر) كان المناسب تقديمه على قوله فمن اضطر (قوله كل ذى ناب) أى كالسبع والضبع والثعلب والهر والذئب وقوله ومخلب من الطير كالصقر والنسر والوطواط وهذا مذهب الامام الشافعى وأما عند مالك فجميع الطيور يجوز أكلها ما عدا الوطواط فيكره أكله وجميع السباع مكروهة ما عدا الكلب الانسى والقرد ففيهما قولان بالحرمة والكراهة وأما الخيل والبغال والحمير الانسية فمشهور مذهب مالك أنها محرمة ومشهور مذهب الشافعى اباحة الخيل دون البغال والحمير (قوله وعلى الذين هادوا) الجار والمجرور متعلق بحرمنا وهادوا صلة الذين سموا بذلك لانهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل (قوله كل ذى ظفر) القراءة السبعية على ضم الظاء والفاء وقرئ شذوذا بسكون الفاء وبكسر الظاء والفاء وبسكون الفاء وبقى فى الظفر لغة خامسة لم يقرأ بها أظفور وجمع الاولى أظفار والاخيرة أظافير قياسا وأظافر سماعا (قوله كالابل) أدخلت الكاف الاوز والبط (قوله ومن البقر والغنم) متعلق بحرمنا (قوله الثروب) جمع ثرب كفلس شحم رقيق يغشى الكرش

حضورا (اذ وصاكم الله بهذا) التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل أنتم كاذبون فيه (فمن) أى لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بذلك (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحى الى) شيأ (محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون) بالياء والتاء (ميتة) بالنصب وفى قراءة بالرفع مع التحتانية (أو دما مسفوحا) سائلا بخلاف غيره كالكبد والطحال (أو لحم خنزير فانه رجس) حرام (أو) أى الا أن يكون (فسقا أهل لغير الله به) أى ذبح على اسم غيره (فمن اضطر) الى شئ مما ذكر فأكله (غير باغ ولا عاد فان ربك غفور) له ما أكل (رحيم) به ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير (وعلى الذين هادوا) أى اليهود (حرمنا كل ذى ظفر) هو ما لم تفرق أصابعه كالابل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الثروب

والامعاء ولكن المراد بها هنا الشحم الذى على الكرش فقط والانافض مابعده (قوله وشحم الكلى) جمع كلوة أو كلية (قوله الا ما حملت ظهورهما) ما اسم موصول فى محل نصب على الاستثناء أو نكرة موصوفة وجملة حملت ظهورهما صلة أو صفة والعائد محذوف (قوله أو الحوايا) معطوف على ظهورهما وسميت بذلك لانها محتوية على الفضلات لانها تنحل فى الكرش ثم اذا صفيت استقرت فى الامعاء أو لانها متحوية بمعنى ملتفة كالحلقة (قوله الامعاء) أى المصارين والمعنى ان الشحم الذى تعلق بالظهور أو احتوت عليه المصارين أو اختلط بعظم كلحم الالية جائز لهم (قوله جمع حاوياء) أى كقاصعاء وقواصع وقوله أو حاوية أى كراوية وزوايا وقيل جمع حوية كهدية (قوله وهو شحم الالية) بفتح الهمزة (قوله بما سبق فى سورة النساء) أى فى قوله فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله الى أن قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم (قوله فى أخبارنا ومواعيدنا) أى بان سبب ذلك التحريم هو بغيهم لا كما قالوا حرمها اسرائيل على نفسه فنحن مقتدون به فقد كذبوا فى ذلك بل لم يطرأ التحريم الا بعد موسى ولم يكن ذلك محرما على أحد قبلهم لا فى شرع ابراهيم ولا غيره وانما حرم اسرائيل على نفسه بالنذر لحم الابل من أجل شفائه من عرق النسا الذى كان به وقد تقدم الرد عليهم أيضا فى قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل (قوله حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) أى فامهال الكافر من سعة رحمته فاذا تاب خلد فى الرحمة (قوله وفيه تلطف الخ) دفع بذلك ما يقال ان مقتضى الظاهر فقل ربكم ذو عقاب شديد فأجاب بانه تلطف بدعائهم الى الايمان ليطمع التائب ولا ييأس (قوله ولا يرد بأسه) هذا من جملة المقول أيضا والمعنى لا يرد عذابه عمن لم يتب ومات على الكفر فاطمعهم فى الرحمة بالجملة الاولى ونفى الاغترار بالجملة الثانية (قوله سيقول الذين أشركوا) هذا اخبار من الله لنبيه بما يقع منهم فى المستقبل وقد وقع كما حكاه الله عنهم فى سورة النحل بقوله تعالى وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ الخ وانما قالوه اظهارا لكونهم على الحق لا اعتذارا من ارتكاب هذه القبائح مدعين ان المشيئة لازمة للرضا فلا يشاء الا ما يرضاه وقد وقع الكفر بمشيئته فهو راض به فكأنهم يقولون يا محمد انا نعذب على شئ أراده الله منا ورضيه وحاصل رد تلك الشبهة أن تقول لا يلزم من المشيئة الرضا بل يشاء القبيح ولا يرضاه ويشاء الحسن ويرضاه فكل شئ بمشيئته تعالى (قوله لو شاء الله) أى عدم اشراكنا فمفعول المشيئة محذوف وهذه المقدمة صادقة لكنهم توصلوا بها الى مقدمة كاذبة قدرها المفسر بقوله فهو راض به (قوله ولا آباؤنا) معطوف على الضمير فى أشركنا والفاصل موجود وهو لا النافية وتقدير المفسر نحن بيان الضمير فى أشركنا لا لصحة العطف اذ يكفى أى فاصل قال ابن مالك

وان على ضمير رفع متصل ❊ عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما (قوله فهو راض به) هذا نتيجة قولهم لو شاء الله ما أشركنا (قوله قال تعالى) أى تسلية له عليه الصلاة والسلام (قوله كما كذب هؤلاء) أى مثل ما كذبوك ولم يصدقوا بما جئت به كذب الامم السابقة أنبياءهم (قوله حتى ذاقوا بأسنا) غاية التكذيب أى استمروا على التكذيب حتى ذاقوا الخ (قوله من علم) من زائدة وعلم مبتدأ مؤخر وعندكم ظرف خبر مقدم والمعنى هل عندكم من شئ تحتجون به على ما زعمتم من أن الله راض بافعالكم فتظهروه لنا (قوله أى لا علم عندكم) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله قل فلله الحجة البالغة) جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله ان لم يكن لكم حجة (قوله التامة) أى وهى ارسال الرسل وانزال الكتب ومعنى البالغة الكاملة التى لا يعتريها نقص ولا خفاء (قوله هدايتكم) قدره اشارة الى أن مفعول شاء محذوف (قوله لهداكم أجمعين) أى ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل وعلق التعليق على هداية الجميع وأما هداية البعض فقد حصلت (قوله قل هلم) فيها لغتان لغة أهل الحجاز عدم الحاقها شيأ من العلامات فهى بلفظ واحد للمفرد والمذكر والمؤنث والمثنى والمجموع والقرآن جاء عليها وعلى ذلك فهى اسم فعل بمعنى أحضروا ولغة تميم وهى الحاقها العلامات فتقول هلم وهلمى وهلما وهلموا وهلممن وعليها فهى فعل أمر وقيل الامر بالاتيان بهم لاقامة

وشحم الكلى (الا ما حملت ظهورهما) أى ما علق بها منه (أو) حملته (الحوايا) الامعاء جمع حاوياء أو حاوية (أو ما اختلط بعظم) منه وهو شحم الالية فانه أحل لهم (ذلك) التحريم (جزيناهم) به (ببغيهم) بسبب ظلمهم بما سبق فى سورة النساء (وانا لصادقون) فى أخبارنا ومواعيدنا (فان كذبوك) فيما جئت به (فقل) لهم (ربكم ذو رحمة واسعة) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطف بدعائهم الى الايمان (ولا يرد بأسه) عذابه اذا جاء (عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا) نحن (ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) فاشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به قال تعالى (كذلك) كما كذب هؤلاء (كذب الذين من قبلهم) رسلهم (حتى ذاقوا بأسنا) عذابنا (قل هل عندكم من علم) بأن الله راض بذلك (فتخرجوه لنا) أى لا علم عندكم (ان) ما (تتبعون) فى ذلك (الا الظن وان) ما (أنتم الا تخرصون) تكذبون فيه (قل) ان لم تكن لكم حجة (فلله الحجة البالغة) التامة (فلو شاء) هدايتكم (لهداكم أجمعين قل هلم) احضروا (شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا) الذى

حرمتموه

الحجة عليهم (قوله فان شهدوا) أى بعد مجيئهم وحضورهم (قوله فلا تشهد معهم) أى لا تصدقهم ولا تعمل اقوالهم وهذا الخطاب له والمراد غيره لاستحالته عليه (قوله والذين لا يؤمنون بالآخرة) معطوف على قوله الذين كذبوا (قوله وهم بربهم يعدلون) الجملة حالية ومعنى يعدلون يسوون به غيره والمعنى لا تتبع الذين يجمعون بين التكذيب بآيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك بالله فى أهوائهم (قوله قل تعالوا) لما أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الكفار بأنه لا تحليل ولا تحريم الا بما أحله الله أو حرمه كان سائلا قال وما الذى حرمه وأحله فقال سبحانه قل تعالوا الخ وتعالوا فعل أمر مبنى على حذف النون والواو فاعل وهو فى الاصل موضوع لطلب ارتفاع من مكان سافل الى مكان عال ثم استعمل فى الاقبال والحضور مطلقا وآثرها اشارة الى أنهم فى أسفل الدركات وهو يطلبهم للرفع والعلو من أخس الاوصاف الى أكملها وأعلاها كأنه قال أقبلوا الى المعالى لان من سمع أحكام الله وقبلها بنصح كان فى أعلى المراتب (قوله أتل) جواب الامر مجزوم بحذف الواو والضمة دليل عليها وقيل جواب الشرط محذوف تقديره ان تأتوا أتل أى أقرأ ما حرم الله عليكم (قوله ما حرم ربكم) ما اسم موصول وحرم صلته والعائد محذوف وربكم فاعل حرم وقوله عليكم تنازعه كل من أتل وحرم أعمل الثانى وأضمر فى الاول وحذف لانه فضلة وحاصل ما ذكر فى هاتين الآيتين عشرة أشياء خمسة بصيغ النهى وخمسة بصيغ الامر وقدم المنهى عنه لان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ولان المنهى عنه مأمور باجتنابه مطلقا والمأمور به على حسب الاستطاعة لما فى الحديث ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ووسط بينهما الامر ببر الوالدين اعتناء بشأنه لكونه أعظم الواجبات بعد التوحيد وهذه العشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار بل أجمع عليها جميع أهل الاديان قال ابن عباس هذه آيات محكمات لم ينسخهن شئ فى جميع الكتب وهن محرمات على بنى آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار (قوله أن مفسرة) أى وضابطها موجود وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه واستشكل بان هذا يقتضى أن جميع ما يأتى محرم مع أن بعضه مأمور بفعله على سبيل الوجوب أجيب بأجوبة منها أن التحريم فى المنهى عنه ظاهر وفى المأمور به باعتبار أضدادها والمعنى حرم فعلا وهى المنهيات أو تركا وهى المأمورات ومنها أن فى الكلام حذف الواو مع ما عطفت والتقدير ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به ثم فرع بعد ذلك على المذكور والمحذوف والاقرب الاول (قوله لا تشركوا به شيأ) أى لا فى الاقوال ولا فى الافعال ولا فى الاعتقادات (قوله احسانا) مفعول مطلق لفعل محذوف قدره المفسر بقوله أحسنوا والمراد بالوالدين الاب والام وان علوا (قوله بالوأد) تقدم أنه الدفن بالحياة (قوله من املاق) يطلق بمعنى الفقر والافلاس والافساد والمراد هنا الاول (قوله نحن نرزقكم واياهم) هذا فى معنى التعليل للنهى المتقدم والمعنى لا تقتلوا أولادكم من أجل حصول فقر لان رزقكم ورزقهم علينا لا على غيرنا وقال هنا من املاق وقال فى الاسراء خشية املاق لان ما هنا فى الفقر الحاصل بالفعل وما فى الاسراء فى الفقر المتوقع فهو خطاب للاغنياء وقدم هنا خطاب الآباء وهناك ضمير الاولاد قيل تفننا وقيل قدم هنا خطاب الآباء تعجيلا لبشارة الآباء الفقراء بانهم فى ضمان الله وقدم هناك ضمير الاولاد لتطمئن الآباء بضمان رزق الاولاد فهذه الآية تفيد النهى للآباء عن قتل الاولاد وان كانوا متلبسين بالفقر والاخرى عن قتلهم وان كانوا موسرين ولكن يخافون وقوع الفقر (قوله ولا تقربوا الفواحش) هذا أعم مما قبله لان من جملة الفواحش قتل الاولاد (قوله أى علانيتها) أى كالقتل والزنا والسرقة وجميع المعاصى الظاهرية وقوله وسرها أى كالرياء والعجب والكبر والحسد وجميع المعاصى القلبية (قوله ولا تقتلوا النفس) عطف خاص على عام ونكتته الاعتناء بعده (قوله التى حرم الله) مفعول حرم محذوف أى قتلها (قوله الا بالحق) فى محل نصب على الحال أو صفة لمصدر محذوف والتقدير ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا متلبسين بالحق أو قتلا ملتبسا بالحق وهو استثناء مفرغ أى لا تقتلوها فى حال من الاحوال الا فى حال تلبسكم بالحق (قوله كالقود) أى القصاص وقوله وحد الردة أى لما فى الحديث من بدل دينه فاقتلوه

(فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) يشركون (قل تعالوا أتل) أقرأ (ما حرم ربكم عليكم أن) مفسرة (لا تشركوا به شيأ و) أحسنوا (بالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم) بالوأد (من) أجل (املاق) فقر تخافونه (نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش) الكبائر كالزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى علانيتها وسرها (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) كالقود وحد الردة ورجم المحصن

وقوله ورجم المحصن أى بشروطه هو وماقبله المذكورة فى الفروع (قوله ذلكم وصاكم به) مبتدأ وخبر وقوله المذكور اشارة الى أن اسم الاشارة عائد على ماتقدم من تلك الامور (قوله لعلكم تعقلون) ختم هذه الآية بذلك لانها اشتملت على خمسة أشياء عظام والوصية فيها أبلغ منها فى غيرها فالعموم نفعها فى الدين والدنيا ختمها بالعقل الذى هو مناط التكليف (قوله أى بالخصلة التى هى أحسن) أشار بذلك الى أنه نعت لمصدر محذوف والمعنى لاتقربوا مال اليتيم فى حالة من الحالات الا فى الحالة التى هى أحسن لليتيم (قوله حتى يبلغ أشده) غاية لما يفهم من النهى كأنه قال احفظوه الى بلوغ أشده فسلموه له حينئذ (قوله بأن يحتلم) هذا تفسير لبلوغ الاشد باعتبار أول زمانه وسيأتى فى الاحقاف تفسيره باعتبار آخره وهو ثلاث وثلاثون سنة لان الاشد هو قوة الانسان وشدته ومبدؤه البلوغ وينتهى لثلاث وثلاثين سنة (قوله بالقسط) متعلق بمحذوف اما حال من فاعل أوفوا أو من مفعوله أى أوفوهما حال كونكم مقسطين أو حال كونهما تامين (قوله وترك البخس) أى النقص فى الكيل أو الوزن (قوله فلا مؤاخذة عليه) أى لا اثم ولكنه يضمن ما أخطأ فيه لان العمد والخطأ فى أموال الناس سواء (قوله واذا قلتم) المراد بالقول مايعم الفعل وقوله اعدلوا بالصدق أى لاتتركوه فى القول ولا فى الفعل وانما خص القول تنبيها بالادنى على الاعلى (قوله وبعهد الله) اما مضاف لفاعله أى ماعهده اليكم أو لمفعوله أى ماعاهدتم الله عليه (قوله لعلكم تذكرون) ختمها بذلك لان هذه الامور خفية غامضة لابد فيها من الاجتهاد والتذكر (قوله والسكون) صوابه والتخفيف اذ لم يقرأ بسكون الذال فمن شدد قلب التاء ذالا وأدغمها فى الاخرى ومن خفف حذف احدى التاءين (قوله بالفتح) أى مع التشديد أو التخفيف وقوله والكسر أى مع التشديد لاغير فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله على تقدير اللام) أى على كل من الوجهين وحينئذ تكون الواو عاطفة من عطف العلة على المعلول والتقدير كلفتم بهذا الذى وصاكم به من أول الربع الى هنا أو من أول السورة الى هنا لان هذا صراطى (قوله استئنافا) أى واقعا فى جواب سؤال مقدر ومع ذلك فيها معنى التعليل كأن قائلا قال لاى شئ كلفنا بما تقدم فقيل فى الجواب ان هذا صراطى مستقيما ثم اعلم انه على قراءة التشديد فاسم الاشارة اسم ان وصراطى خبرها وعلى قراءة التخفيف فاسمها ضمير الشأن واسم الاشارة مبتدأ وصراطى خبره والجملة خبر ان ومستقيما حال من صراطى على كل حال (قوله وان هذا) يصح أن يرجع اسم الاشارة الى ماتقدم من أول الربع أو من أول السورة (قوله صراطى مستقيما) أى دينى لا عوج فيه فشبه الدين القويم بالصراط بمعنى الطريق بجامع ان كلا يوصل للمقصود واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية (قوله فاتبعوه) أى اسلكوه ولاتحيدوا عنه فتقعوا فى الهلاك روى الدارقطنى عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرأ هذه الآية وفى رواية أنه خط خطا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن شماله ثم وضع يده فى الخط الاوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية (قوله الطرق المخالفة) أى الاديان المباينة له فشبه الاديان الباطلة بالطرق المعوجة بجامع ان كلا يوصل صاحبه الى المهالك واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله فتفرق) بالنصب بان مضمرة فى جواب النهى (قوله ذلكم) أى ماأمر من اتباع دينه وترك غيره من الاديان (قوله لعلكم تتقون) أى تمتثلون المأمورات وتجتنبون المنهيات وأتى بالتقوى هنا لان الصراط المستقيم جامع للتكاليف وقد أمر باتباعه ونهى عن الطرق المعوجة فناسب ذكر التقوى (قوله وثم لترتيب الاخبار) أى الترتيب فى الذكر لا فى الزمان وهو جواب عما قال ان ايتاء موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن فكيف يعطف بثم المفيدة للترتيب والتراخى وأجيب أيضا بأن ثم لمجرد العطف كالواو فلا ترتيب فيها ولا تراخى (قوله تماما) مفعول لاجله أى آتيناه الكتاب لاجل تمام النعمة الخ (قوله النعمة) أى الدنيوية والاخروية (قوله على الذى أحسن) متعلق بتماما ومعنى أحسن قام به [illegible]

(ذلكم) المذكور (وصاكم به لعلكم تعقلون) تتدبرون (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى) أى بالخصلة التى (هى أحسن) وهى مافيه صلاحه (حتى يبلغ أشده) بأن يحتلم (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل وترك البخس (لانكلف نفسا الا وسعها) طاقتها فى ذلك فان أخطأ فى الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد فى حديث (واذا قلتم) فى حكم أو غيره (فاعدلوا) بالصدق (ولو كان) المقول له أو عليه (ذا قربى) قرابة (وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتشديد تتعظون والسكون (وأن) بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافا (هذا) الذى وصيتكم به (صراطى مستقيما) حال (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الطرق المخالفة له (فتفرق) فيه حذف احدى التاءين تميل (بكم عن سبيله) دينه (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب) التوراة وثم لترتيب الاخبار (تماما) للنعمة (على الذى أحسن) بالقيام به

به المحسن والمعنى تماما على المحسن منهم بسبب قيامه به أى تماعمله وامتثاله مأموراته واجتنابه منهياته (قوله وتفصيلا) عطف على تماما (قوله أى بنى اسرائيل) أى المدلول عليهم بذكر موسى والكتاب (قوله بلقاء ربهم) متعلق بيؤمنون قدم عليه للفاصلة (قوله وهذا كتاب) مبتدأ وخبر وجملة أنزلناه نعت أول لكتاب ومبارك نعت ثان له أى كثير الخير والمنافع دينا ودنيا والمعنى وهذا القرآن العظيم كتاب أنزلناه من اللوح المحفوظ ليلة القدر الى سماء الدنيا في بيت العزة ثم نزل مفرقا على حسب الوقائع مبارك كثير الخير والمنافع في الدنيا بالشفاء به والامن من الخسف والمسخ والضلال والآخرة بتلقى السؤال عن صاحبه وشهادته له وكونه ظلة على رأسه في حر الموقف والرقى به الى الدرجات العلا (قوله يا أهل مكة) قصر الخطاب عليهم لانهم هم المعاندون في ذلك الوقت (قوله بالعمل بما فيه) بيان لاتباعه (قوله لعلكم ترحمون) أى تصيبكم الرحمة في الدنيا والآخرة (قوله أن تقولوا) مفعول لاجله والعامل محذوف قدره المفسر بقوله أنزلناه ولا يصح أن يكون العامل أنزلناه المذكور لانه يلزم عليه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو لفظ مبارك وقدر المفسر لا لان الانزال علة لعدم القول لا للقول وقال بعضهم ان الكلام على حذف مضاف أى كراهة أن تقولوا وكل صحيح (قوله انما أنزل الكتاب) أى جنسه الصادق بالتوراة والانجيل (قوله وان مخففة) أى من الثقيلة (قوله واسمها محذوف الخ) فيه شئ وذلك لان ان المكسورة اذا خففت ودخلت على فعل ناسخ مثل كنا أهملت فلا عمل لها ووجب اقتران الخبر باللام وذلك كما في هذه الآية (قوله قراءتهم) أى لكتبهم والمعنى لانفهم معانيها لانها بالعبرانية أو السريانية ونحن عرب لانفهم الا اللغة العربية (قوله لغافلين) أى لا نعلمها والمقصود قطع حجتهم وعذرهم بانزال القرآن بلغتهم والمعنى أنزلنا القرآن بلغتهم لئلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم نفهم ما فيهما (قوله أو تقولوا) عطف على المنفى وهو قطع لعذرهم أيضا (قوله لكنا أهدى منهم) أى الى الحق والطريق المستقيم (قوله فقد جاءكم بينة) أى لا تعتذروا ولذلك فقد جاءكم (قوله أى لا أحد) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله سوء العذاب) أى العذاب السيء بمعنى الشديد (قوله بما كانوا يصدفون) الباء سببية وما مصدرية أى بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله (قوله هل ينظرون) استفهام انكارى بمعنى النفى وهو مزيد تخويف وتحذير لمن بقى على الكفر ان قلت ان ظاهر الآية يقتضى أنهم مصدقون بهذه الاشياء حتى أثبت لهم انتظار أحدها أجيب بان هذه الاشياء لما كانت محتمة عوملوا معاملة المنتظر ولم يعول على اعتقادهم فالمعنى لا مفر لهم من ذلك (قوله ما ينتظر المكذبون) أى من أهل مكة وغيرهم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان لان جمع التكسير يجوز تأنيثه وتذكيره تقول قام الرجال وقامت الرجال (قوله الملائكة) أى عزرائيل وأعوانه أو ملائكة العذاب لما تقدم ان الكافر موكل بأخذ روحه سبع من ملائكة العذاب (قوله أى أمره) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف ودفع بذلك توهم حقيقة الاتيان وهو الانتقال من مكان الى آخر اذ هو مستحيل على الله تعالى (قوله بمعنى عذابه) أى المعجل لهم اما بالسيف أو غيره (قوله الدالة على الساعة) أى على قربها والعلامات الكبرى عشر وهى الدجال والدابة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر (قوله يوم يأتى بعض آيات ربك) يوم معمول لينفع على الصحيح من أن ما بعد لا يعمل فيما قبلها (قوله وهو طلوع الشمس من مغربها) ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما أتدرون أين تذهب هذه الشمس اذا غربت قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى فارجعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها وهكذا كل يوم فاذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يارب ان مسيرى بعيد فيقول لها اطلعى من حيث غربت فقال الناس يارسول الله هل لذلك من آية فقال آية تلك الليلة

(وتفصيلا) بيانا (لكل شئ) يحتاج اليه فى الدين (وهدى ورحمة لعلهم) أى بنى اسرائيل (بلقاء ربهم) بالبعث (يؤمنون وهذا) القرآن (كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه) يا أهل مكة بالعمل بما فيه (واتقوا) الكفر (لعلكم ترحمون) أنزلناه (أن) لا (تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين) اليهود والنصارى (من قبلنا وان) مخففة واسمها محذوف أى انا (كنا عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لعدم معرفتنا لها اذ ليست بلغتنا (أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) لجودة أذهاننا (فقد جاءكم بينة) بيان (من ربكم وهدى ورحمة) لمن اتبعه (فمن) أى لا أحد (أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف) أعرض (عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) أى أشده (بما كانوا يصدفون هل ينظرون) ما ينتظر المكذبون (الا أن تأتيهم) بالتاء والياء (الملائكة) لقبض أرواحهم (أو يأتى ربك) أى أمره بمعنى عذابه (أو يأتى بعض آيات ربك) أى علاماته الدالة على الساعة (يوم يأتى بعض آيات ربك) وهى طلوع الشمس من مغربها

ان تطول قدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم
ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر
عظيم فاذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرون اذ طلعت عليهم من قبل المغرب (قوله
كما في حديث الصحيحين) أى وهو كما في البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها وروى أن أول الآيات ظهور الدجال ثم نزول عيسى ثم
خروج يأجوج ومأجوج ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها وهو أول الآيات العظام المؤذنة
بتغير أحوال العالم العلوي وذلك أن الكفار يسلمون في زمن عيسى فاذا قبض ومن معه من المسلمين
رجع أكثرهم الى الكفر فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها (قوله لا ينفع نفسا) أى كافرة أو مؤمنة
عاصية ويكون قوله لم تكن آمنت راجعا للاولى وقوله أو كسبت راجعا للثانية ويكون التقدير لا ينفع
نفسا كافرة لم تكن آمنت من قبل ايمانها الآن ولا ينفع نفسا مؤمنة توبتها من المعاصي فقوله أو كسبت
معطوف على آمنت وحينئذ فيكون في الكلام حذف فتأمله (قوله الجملة صفة نفس) أى جملة لم
تكن آمنت من قبل وجاز الفصل بين الصفة والموصوف لانه بالفاعل وهو ليس بأجنبي (قوله أو نفسا لم
تكن كسبت) أشار بذلك الى أن المعطوف في الحقيقة محذوف وهو معطوف على المنفي (قوله كما في
الحديث) روى عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بابا من قبل
المغرب مسيرة عرضه أربعون أو سبعون سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة
لا يغلق حتى تطلع الشمس منه وورد أن من الاشراط العظام طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة
الارض وهذان أيهما سبق الآخر فالآخر على أثره وورد صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير في هذه
الامة قردة وخنازير وتطوى الدواوين وتجف الاقلام لا يزاد في حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا وورد لا تزال الشمس تجري من مطلعها الى
مغربها حتى يأتي الوقت الذي جعله الله غاية لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن
القمر من أين يطلع فلا يؤذن لهما فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار
حبسهما الا القليل من الناس وهم أهل الاوراد وحملة القرآن فينادي بعضهم بعضا فيجتمعون في
مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ثم يرسل الله جبريل الى الشمس والقمر فيقول
ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغاربكما فتطلعا منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فتبكي الشمس والقمر
من خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فبينما الناس
كذلك يتضرعون الى الله والغافلون في غفلاتهم اذ نادى مناد ألا ان باب التوبة قد أغلق
والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس واذا هما أسودين كالعكمين أى الغرارتين
العظيمتين لا ضوء لهما ولا نور فذلك قوله وجمع الشمس والقمر فيرتفعان مثل البعيرين المقرنين ينازع
كل منهما صاحبه استباقا ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها
فاما الصالحون والابرار فانهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم
بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة فاذا بلغت الشمس والقمر وسط السماء جاءهما جبريل فأخذ
بقرونهما فردهما الى المغرب فيغربهما في باب التوبة ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما ويصيران كأنهما
لم يكن فيهما صدع ولا خلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها بعد
ذلك الا ما كان قبل ذلك فانه يجري لهم وورد أن الدنيا تمكث بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين
سنة يتمتع المؤمنون فيها أربعين سنة لا يتمنون شيئا الا أعطوه ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن
ويبقى الكفار يتهارجون في الطرق كالبهائم حتى ينكح الرجل المرأة في وسط الطريق يقوم واحد
عنها وينزل واحد وأفضلهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق لكان أحسن فيكونون على مثل ذلك
حتى لا يولد لاحد من نكاح ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكونون كلهم أولاد زنا شرار الناس وعليهم تقوم

كما في حديث الصحيحين (لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل) الجملة صفة نفس (أو) نفسا لم تكن (كسبت في ايمانها خيرا) طاعة أى لا تنفعها توبتها كما في الحديث

الساعة (قوله قل انتظروا) أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم (قوله ان الذين فرقوا دينهم) الاقرب كما قال المفسر انها نزلت في اليهود والنصارى لما ورد قام فينا رسول الله فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وفي رواية من كان على ما أنا عليه وأصحابي (قوله فأخذوا ببعضه) أي كما حكاه الله عنهم بقوله في سورة النساء ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله لست منهم في شئ) أي لست مأمورا بقتالهم وهذا ما مشى عليه المفسر من انها منسوخة وقيل انها محكمة والمعنى أنت برئ منهم ومن أفعالهم لقطع نسبهم منك بكفرهم (قوله فيجازيهم به) أي بفعلهم (قوله وهذا) أي قوله لست منهم في شئ (قوله من جاء بالحسنة) أي يوم القيامة (قوله فله عشر أمثالها) هذا اخبار بأقل المضاعفة والا فقد جاء مضاعفة الحسنة بسبعين وسبعمائة وبغير حساب واعلم ان المضاعفة تابعة للاخلاص فكل من عظم اخلاصه كانت مضاعفة حسناته أكثر ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وفسر الحسنة بلا اله الا الله وهو أحد تفسيرين والآخر ان المراد بها كل ما أمر الله به فيشمل الذكر والصلاة والصدقة وغير ذلك من أنواع البر وهو الاولى لانه ان أراد خصوص ما ينجي من الشرك فذلك جزاؤه دخول الجنة وان أراد الذكر بها فلا مفهوم لها لان العبرة بعموم اللفظ وأفرد في الحسنة والسيئة لانه لو جمع لربما توهم أن الجزاء اجمالي بحيث يعطى في نظير حسناته كلها عشرة أمثالها بل الجزاء لكل فرد من افراد الحسنات والسيئات لان الحسنات تتفاوت فربما جوزي على بعضها عشرا وعلى بعضها أكثر (قوله أمثالها) جمع مثل ان قلت انه مذكر فكان مقتضاه تأنيث العدد قال ابن مالك

ثلاثة بالتاء قل للعشره ✽ في عد ما آحاده مذكره

في الضد جرد وأجيب بانه جرد التاء مراعاة للاضافة مثل لضمير الحسنة فكأنما اكتسب التأنيث من المضاف اليه أو يقال ان أمثال صفة لموصوف محذوف تقديره عشر حسنات أمثالها فجرد العدد من التاء مراعاة للموصوف المحذوف والى هذا الثاني أشار المفسر بقوله أي جزاء عشر حسنات (قوله ومن جاء بالسيئة) أي الشرك على ما قال المفسر حيث فسر الحسنة بلا اله الا الله أو ما هو أعم وهو الاولى (قوله فلا يجزى الا مثلها) أي ان مات غير تائب ويجزى والا فأمره مفوض لربه فان شاء عذبه وان شاء عفا عنه وأما ان مات تائبا فلا سيئة له لانه من المحبوبين لله والمحبوب لا سيئة له قال تعالى ان الله يحب التوابين وقال عليه الصلاة والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له (قوله وهم لا يظلمون) أي العاملون للحسنات والسيئات (قوله ينقصون من جزائهم) هذا بالنظر لجزاء الحسنات أي ولا يزاد في سيئات أهل العقاب فالظلم نقص المحسن والزيادة في المسئ وتسميته ظلما تنزل منه سبحانه وتعالى والا فالظلم التصرف في ملك الغير ولا ملك لاحد معه تبارك وتعالى وأما الزيادة في الحسنات فليس بظلم بل هو تفضل منه واحسان واعلم أن الحسنة تتفاوت والسيئة كذلك فليس من تصدق بدرهم كمن تصدق بدينار وهكذا وليس من فعل صغيرة كمن فعل كبيرة وهكذا فعشرة أمثال الحسنة من شكلها ومثل السيئة من شكلها واعلم أيضا أن هذا الجزاء لمن فعل الحسنة والسيئة وأما من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة ومن هم بسيئة ولم يعملها فان تركها خوفا من الله كتبت حسنة وان تركها لا لذلك لم تكتب شيأ لما في الحديث قال الله تعالى اذا تحدث عبدي بحسنة ولم يعملها فانا أكتبها له حسنة حتى يعملها فان عملها فانا أكتبها له بعشر حسنات واذا تحدث عبدي بسيئة ولم يعملها فانا أغفرها له حتى يعملها فان عملها فانا أكتبها له بمثلها (قوله قل انني هداني) ان حرف توكيد ونصب والياء اسمها وجملة هداني ربي خبرها وهدى فعل ماض والياء مفعول أول والى صراط مستقيم مفعول ثان وربي فاعل والمعنى قل يا محمد الكفار مكة انني أرشدني ربي ووصلني الى دين مستقيم لا اعوجاج فيه (قوله ويبدل من محله) أي محل الى صراط مستقيم وهو النصب لانه المفعول الثاني (قوله قيما) نعت لدينا أي لا اعوجاج فيه (قوله ملة ابراهيم) بدل من دينا أي دينه وشريعته وما أوحي به اليه (قوله حنيفا) حال من

(قل انتظروا) أحد هذه الاشياء (انا منتظرون) ذلك (ان الذين فرقوا دينهم) باختلافهم فيه فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه (وكانوا شيعا) فرقا في ذلك وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهم اليهود والنصارى (لست منهم في شئ) فلا تتعرض لهم (انما أمرهم الى الله) يتولاه (ثم ينبئهم) في الآخرة (بما كانوا يفعلون) فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف (من جاء بالحسنة) أي لا اله الا الله (فله عشر أمثالها) أي جزاء عشر حسنات (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) أي جزاءه (وهم لا يظلمون) ينقصون من جزائهم شيأ (قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم) ويبدل من محله (دينا قيما) مستقيما (ملة ابراهيم حنيفا)

وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي) عبادتي من حج وغيره (ومحياي) حياتي (ومماتي) موتي (لله رب العالمين لا شريك له) في ذلك (وبذلك) أي التوحيد (أمرت وأنا أول المسلمين) من هذه الامة (قل أغير الله أبغي ربا) الها أي لا أطلب غيره (وهو رب) مالك (كل شيء ولا تكسب كل نفس) ذنبا (الا عليها ولا تزر) تحمل نفس (وازرة) آثمة (وزر) نفس (أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض) جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضا فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) بالمال والجاه وغير ذلك (ليبلوكم) ليختبركم (فيما آتاكم) أي أعطاكم ايا ليظهر المطيع منكم والعاصي (ان ربك سريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) للمؤمنين (رحيم) بهم.

﴿سورة الاعراف مكية الا واسألهم عن القرية الثمان أو الخمس آيات مائتان وخمس أو ست آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) الله أعلم بمراده بذلك هذا (كتاب أنزل اليك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (فلا يكن في صدرك حرج) ضيق (منه)

ابراهيم أي مائلا عن الضلال الى الاستقامة (قوله وما كان من المشركين) عطف حال على أخرى وفيه تعريض بخروج جميع من خالف دين الاسلام عن ملة ابراهيم (قوله عبادتي) أشار بذلك الى أن قوله ونسكي عطف عام على خاص (قوله ومحياي ومماتي) قرأ نافع بسكون ياء محياي وفتح ياء مماتي والباقون بالعكس (قوله لله رب العالمين) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبران ولكن يقدر بالنسبة للعبادة خالصة وبالنسبة للحياة والموت مخلوقة (قوله في ذلك) أي الصلاة والنسك والمحيا والممات (قوله وأنا أول المسلمين) أي المنقادين لله واستشكل بانه تقدمه الانبياء وأممهم وأجاب المفسر بان الاولية بالنسبة لامته وأجيب أيضا بان الاولية بالنسبة لعالم الذر فهي حقيقية (قوله قل أغير الله) نزلت لما قال الكفار يا محمد ارجع الى ديننا وغير منصوب بأبغي وربا تمييز وقوله الها تفسير لربا (قوله أي لا أطلب) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله وهو رب كل شيء) الجملة حالية والمعنى لا يليق أن اتخذ الها غير الله والحال انه مالك كل شيء (قوله ولا تكسب كل نفس الا عليها) رد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أي يكتب علينا ما عملتم من الخطايا (قوله الا عليها) أي الا في حال كونه مكتوبا عليها الا على غيرها (قوله ولا تزر وازرة) أي ولا غير وازرة وانما قيد بالوازرة موافقة لسبب النزول وهو ان الوليد بن المغيرة كان يقول للمؤمنين اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم وهو وازر (قوله وزر أخرى) ان قلت كيف هذا مع قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة أجيب بان ما هنا محمول على من لم يتسبب فيه بوجه وفي الآية الاخرى والحديث محمول على من تسبب فيه فعليه وزر المباشرة ووزر التسبب ووزر الفاعل لا يفارقه (قوله فينبئكم) أي يخبركم ويعاملكم (قوله بما كنتم فيه تختلفون) أي من الاديان والملل (قوله أي يخلف بعضكم بعضا فيها) أشار بذلك الى ان اضافة خلائف للارض على معنى في (قوله ورفع بعضكم فوق بعض) أي خالف بين أحوالكم حيث جعل منكم الحسن والقبيح والغني والفقير والعالم والجاهل والقوي والضعيف ليبلوكم فيما آتاكم وليس عجزا عن مساواتكم فانه منزه عنه سبحانه (قوله ليختبركم) أي يعاملكم معاملة المختبر والا فلا يخفى عليه شيء (قوله أي أعطاكم اياه) أي من الغنى والفقر والتباين في الصفات والشاكر من غيرهما (قوله ان ربك سريع العقاب) ان قلت ان الله حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه فكيف وصف بكونه سريع العقاب أجيب بان كل آت قريب أو المعنى سريع العقاب اذا جاء وقته وأكد الجملة الثانية هنا باللام وفي الاعراف الجملتين لان الوعيد المتقدم هنا أخف من الوعيد المتقدم هناك فالوعيد هنا هو قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وأما في الاعراف فهو قوله وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس وقوله كونوا قردة خاسئين فالمقام هنا لغلبة الرحمة فلذلك أكدت دون العقاب وأما هناك فالمقام لهما فلذلك أكدهما (قوله وانه لغفور رحيم) جعل خبران في هذه الآية من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة وأكده باللام وجعل خبران السابقة صفة جارية على غير من هي له للتنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما ومعاقب بالعرض مسامح في العقوبة ومعنى بالذات ان مغفرته ورحمته لا تتوقف على تأهل من العبد ومعنى بالعرض أن عقابه لا يكون الا بعد صدور ذنب فتأمل

﴿سورة الاعراف﴾

سميت بذلك لذكر أهل الاعراف فيها من باب تسمية الشيء بجزئه (قوله مكية) تقدم أن المكي ما نزل قبل الهجرة وان بارض المدينة (قوله الثمان) أي ومنتهاها الا اذ يعدون في السبت... (قوله أو الخمس) أي ومنتهاها وانه لغفور رحيم (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا أسد الاقوال تقدم جملتها وقد ذكر هذا القول في انا ازن بقوله هي حروف مقطعة استأثر الله بعلمها وهي سر في كتابه العزيز (قوله هذا كتاب) قدره اشارة الى أن كتاب خبر لمحذوف واسم الاشارة عائد على القرآن بمعنى القدر الذي نزل منه وجملة انزل اليك نعت لكتاب قصد به تشريف النازل والمنزل عليه (قوله فلا يكن في صدرك حرج منه)

لا تأكيد ويكن يجزوم بها وفي صدرك خبر مقدم ومؤخر اسم وهو مؤخر ومنه صفة لحرج وهو نهي عن السبب وفي الحقيقة النهي عن أسباب الحرج والمعنى لا تتعاط أسبابا توجب الحرج (قوله ان تبلغه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف أي من تبليغه ويصح ان الضمير عائد على المنزل أو الانزال أو الانذار (قوله لتنذر) من الانذار وهو التخويف من عذاب الله بسبب مخالفته (قوله متعلق بانزل) أي واللام للتعليل فهو مفعول لاجله وانما جر باللام لفقد بعض الشروط لانه اختلف مع عامله في الزمان والفاعل لان زمن الانزال غير زمن الانذار وفاعل الانزال الله تعالى وفاعل الانذار النبي صلى الله عليه وسلم (قوله وذكرى) اما في محل نصب عطف على تنذر أو في محل رفع خبر لمحذوف تقديره هو ذكرى أو في محل جر عطف على المصدر المنسبك من أن المقدرة بعد اللام والفعل والتقدير أنزل للانذار والتذكير * ولما كان النبي مكلفا بالتبليغ للكفار وان لم يتعظوا به أسند الانذار له ولما كانت الموعظة والتذكرة قاصرة بالمؤمنين عند سماعه أسندت لهم فالواعظ للكفار من غيرهم والواعظ للمؤمنين من أنفسهم وحيث كان القرآن منزلا لانذار الكفار واتعاظ المؤمنين به فالاجمل احترامه عما أنزل له كان يقرأه الشخص في الطرقات لطلب الدنيا أو ليتغنى به بحيث يكون المقصود من القرآن الدنيا أو التلذذ بالصوت الحسن كما يتلذذ بالغناء فان ذلك من الضلال المبين الموجب للعقوبة (قوله اتبعوا) أمر لجميع المكلفين أو الكافرين (قوله من ربكم) اما متعلق بانزل أو بمحذوف حال من الموصول (قوله من دونه) اما متعلق بقوله لا تتبعوا والمعنى لا تعدلوا عنه الى غيره من الشياطين أو الكهان أو حال من أولياء لانه نعت نكرة قدم عليها والمعنى لا تتولوا من دونه أحدا من شياطين الانس والجن ليحملوكم على الاهواء والبدع (قوله بالتاء) أي مع تشديد الذال بعدها وقوله والياء أي قبل التاء مع تخفيف الذال وقوله وفيه ادغام التاء راجع الى القراءة الاولى وقوله وفي قراءة بسكونها صوابه بتخفيفها وفيه حذف احدى التاءين فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله وما زائدة لتأكيد القلة) أي وقليلا نعت مصدر محذوف أي تذكرا قليلا أو نعت ظرف زمان محذوف أي زمانا قليلا والمصدر أو الظرف منصوب بالفعل بعده (قوله وكم خبرية) أي بمعنى كثيرا ولم ترد في القرآن الا هكذا وتجب لها الصدارة لكونها على صورة الاستفهامية (قوله مفعول) أي لفعل محذوف يفسره قوله أهلكناها من باب الاشتغال والتقدير وكم من قرية أهلكنا أهلكناها ويصح أن يكون كم مبتدأ وجملة أهلكناها خبر ومن قرية تمييز لكم على كل حال (قوله أريد أهلها) أي فأطلق المحل وأريد الحال فيه فهو مجاز مرسل (قوله أردنا اهلاكها) جواب عما يقال ان الاهلاك مسبب عن البأس الذي هو العذاب وظاهر الآية يقتضي أن العذاب مسبب عن الاهلاك فاجاب بان الكلام فيه حذف (قوله بياتا) يحتمل أنه حال والتقدير جاءها بأسنا حال كونه بياتا أي في البيات بمعنى الليل أو ظرف وهو المتبادر من عبارة المفسر (قوله أو هم قائلون) أو للتنويع والجملة حالية معطوفة على ما قبلها والواو مقدرة وانما حذفت لدفع الثقل باجتماع حرفي عطف في الصورة وقائلون من قال يقيل كباع يبيع فالفه منقلبة عن ياء بخلاف قال من القول فهي منقلبة عن واو (قوله والقيلولة استراحة نصف النهار) هذا قول ثان في تفسيرها فتحصل أن القيلولة فيها قولان النوم وقت الظهر أو الاستراحة في وسط النهار وان لم يكن معها نوم (قوله أي مرة جاءها ليلا الخ) هذا تفسير مراد للآية وقوله جاءها أي جاء بعضها ليلا كقوم لوط وقوله مرة نهارا أي كقوم شعيب (قوله فما كان دعواهم) أي استغاثتهم وتضرعهم أو المراد قولهم على سبيل التحسر والتندم (قوله اذ جاءهم) ظرف لقوله دعواهم (قوله الا أن قالوا) أي الا قولهم انا كنا ظالمين والمعنى انهم لم يقدروا على دفع العذاب عنهم وانما ذلك تحسر وندامة طمعا في الخلاص (قوله فلنسألن) اللام موطئة لقسم محذوف والتقدير والله لنسألن وهذا اشارة لعذابهم في الآخرة اثر بيان عذابهم في الدنيا والمقصود من سؤال الامم زيادة الافتضاح لهم ومن سؤال الرسل رفع قدرهم وزيادة شرفهم وتبكيت الامم حيث كذبوهم (قوله بعلم) متعلق بمحذوف حال من فاعل نقصن والتقدير فلنقصن عليهم حال كوننا متصفين بعلم وهذا حيث سكتت الرسل عن الجواب وقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت علام الغيوب

ان تبلغه مخافة أن تكذب (لتنذر) متعلق بانزل أي للانذار (به وذكرى) تذكرة (للمؤمنين) به قل لهم (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي القرآن (ولا تتبعوا) تتخذوا (من دونه) أي الله أي غيره (أولياء) تطيعونهم في معصيته تعالى (قليلا ما تذكرون) بالتاء والياء تتعظون وفيه ادغام التاء في الاصل في الذال وفي قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة (وكم) خبرية مفعول (من قرية) أريد أهلها (أهلكناها) أردنا اهلاكها (فجاءها بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (أو هم قائلون) نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم أي مرة جاءها ليلا ومرة نهارا (فما كان دعواهم) قولهم (اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل اليهم) أي الامم عن اجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم (ولنسألن المرسلين) عن الابلاغ (فلنقصن عليهم بعلم) لنخبرنهم عن علم بما فعلوه

(قوله وما كنا غائبين) توكيد لما قبله (قوله فيما عملوا) في بمعنى عن أي عما عملوا (قوله والوزن) مبتدأ وقوله يومئذ خبره والحق نعته وهذا هو اعراب المفسر ويصح أن يكون الحق خبر المبتدأ ويومئذ ظرف منصوب على الظرفية وهذا الوزن بعد أخذ الصحف والحساب ثم بعد الوزن يكون المرور على الصراط وهو مختلف باختلاف أحوال العباد (قوله للاعمال أو لصحائفها) هذا اشارة لقولين فعلى الاول تصور الاعمال الصالحة بصورة نيرة حسنة وتوضع في كفة الحسنات وتصور الاعمال السيئة بصورة مظلمة قبيحة وتوضع في كفة السيئات وبقي قول ثالث وهو أن الوزن للذوات لما في الحديث انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (قوله وكفتان) بكسر الكاف وفتحها في المثنى والمفرد والجمع كفف بالكسر لا غير (قوله فمن ثقلت موازينه الخ) اعلم أن الناس في القيامة ثلاث فرق متقون لا كبائر لهم ومخلطون وكفار فاما المتقون فان حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم ان كانت لهم في الكفة الاخرى فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا وتكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم الى الجنة وينعم كل على حسب أعماله وأما الكفار فانهم يوضع كفرهم في الكفة المظلمة ولا توجد لهم حسنة توضع في الكفة الاخرى فتبقى فارغة فيأمر الله بهم الى النار وهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن صراحة في آيات الوزن وأما الذين خلطوا فقد ثبت في السنة أن حسناتهم توضع في الكفة النيرة وسيآتهم في الكفة المظلمة فان كانت الحسنات أثقل ولو بأقل قليل أو ساوت أدخلوا الجنة وان كانت السيآت أثقل ولو بأقل قليل أدخلوا النار الا أن يعفو الله هذا ان كانت كبائرهم فيما بينهم وبين الله وأما ان كانت عليهم تبعات وكانت لهم حسنات كثيرة فانه يؤخذ من حسناتهم فيرد على المظلوم وان لم يكن لهم حسنات أخذ من سيآت المظلوم فيحمل على الظالم من أو زار من ظلمه ثم يعذب الا أن يرضى الله عنه خصماءه (قوله بالحسنات) أي بسبب ثقلها في الميزان ورجحانها على السيآت (قوله بالسيآت) أي بسبب رجحانها على الحسنات (قوله بما كانوا) متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون قدم عليه للفاصلة وقوله يجحدون أشار بذلك الى أنه ضمن الظلم معنى الجحد فعداه بالباء (قوله ولقد مكناكم الخ) لما بين سبحانه وتعالى عاقبة من استمر على الكفر ومن استمر على الايمان ذكر ما أفاض عليهم من النعم الموجبة للشكر (قوله معايش بالياء) أي باتفاق السبعة لان الياء أصلية اذ هي جمع معيشة وأصلها معيشة بسكون العين وكسر الياء أو ضمها نقلت كسرة الياء الى الساكن قبلها أو قلبت ضمة الياء كسرة ثم نقلت الى ما قبلها وحيث كانت الياء في المفرد أصلية فانها تبقى في الجمع وقرئ شذوذا بالهمز تشبيها على زيادة الياء وأصالة الميم وأما ان كانت الياء في المفرد زائدة فانها تكون في الجمع همزة كصحائف وصحيفة قال ابن مالك

والمد زيد ثالثا في الواحد * همزا يرى في مثل كالقلائد

(قوله أسبابا تعيشون بها) أي تحيون فيها كالأكل والشرب وما به تكون الحياة (قوله لتأكيد القلة) أي زائدة لتأكيد القلة والمعنى أن الشاكر قليل قال تعالى وقليل من عبادي الشكور (قوله ولقد خلقناكم الخ) تذكير لنعمة عظيمة على آدم سارية الى ذريته موجبة لشكرها (قوله أي أباكم آدم) أي حين كان طينا غير مصور (قوله أي صورناه) أي حين كان بشرا بتخطيطه وشق حواسه وانما جعل المفسر الكلام على حذف مضاف لاجل أن يصح الترتيب بثم وانما نسب الخلق والتصوير للمخاطبين اعطاء لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى أن لهم حظا من خلق أبيهم وتصويره لانهما من الامور السارية في الذرية جميعا (قوله أو أنتم في ظهره) هكذا في نسخة بأو وفي أخرى بالواو فعلى الاولى يكون جوابا ثانيا والحاصل أن الناس اختلفوا في ثم في هذين الموضعين فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيبا وجعلها بمنزلة الواو وأبقى الآية على ظاهرها ومنهم من قال هي للترتيب الزماني وجعل الكلام على حذف مضاف في الخلق والتصوير (قوله سجود تحية بالانحناء) أشار بذلك الى أن المراد السجود اللغوي وهو الانحناء كسجود اخوة يوسف وأبويه له وقد كان تحية للولاة في الامم السابقة وعليه فلا اشكال وقال

(وما كنا غائبين) عن ابلاغ الرسل والامم الخالية فيما عملوا (والوزن) للاعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في حديث كائن (يومئذ) أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة (الحق) العدل صفة الوزن (فمن ثقلت موازينه) بالحسنات (فأولئك هم المفلحون) الفائزون (ومن خفت موازينه) بالسيآت (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بتصييرها الى النار (بما كانوا بآياتنا يظلمون) يجحدون (ولقد مكناكم) يا بني آدم (في الارض وجعلنا لكم فيها معايش) بالياء أسبابا تعيشون بها جمع معيشة (قليلا ما) لتأكيد القلة (تشكرون) على ذلك (ولقد خلقناكم) أي أباكم آدم (ثم صورناكم) أي صورناه وأنتم في ظهره (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) سجود تحية بالانحناء

بعضهم ان السجود شرعي لوضع الجبهة على الارض لله وآدم قبلة قاله الائمة ويحتمل ان السجود على ظاهره لآدم وقولهم ان السجود لغير الله كفر محله ان كان من هوى النفس لا بأمر الله ونظير ذلك تعظيمنا مشاعر الحج فتأمل (قوله فسجدوا) أي قبل دخول الجنة وأول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون واختلف في مدة السجود فقيل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة وقيل غير ذلك (قوله أبا الجن) هذا أحد قولين والثاني هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع وانه ليس من الملائكة قال في الكشاف لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم في الآية واحتيج الى استثنائه ويدل على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن وقال بعضهم انه من الملائكة فالاستثناء متصل وقوله تعالى كان من الجن أي في الفعل والمعول عليه الاول (قوله ما منعك) ما استفهامية للتوبيخ في محل رفع بالابتداء والجملة بعدها خبر وان في محل نصب أو جر لانها على حذف حرف الجر واذ منصوب بتسجد والتقدير أي شئ منعك من السجود حين أمرتك (قوله زائدة) أي لتأكيد معنى النفي في منعك فهو كما في ص بحذفها وهو الاصل لان القرآن يفسر بعضه بعضا (قوله خلقتني من نار) هذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها كالتفسير والبيان لما قبلها من دعوى الخيرية ﴿فائدة﴾ قال هنا ما منعك وفي سورة الحجر قال يا ابليس مالك أن لا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي الآية اختلاف العبارات عند الحكاية دل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاستكبار مع تحقير آدم وشبهة الخيرية أن النار جسم لطيف نوراني والطين جسم كثيف ظلماني وما كان لطيفا نورانيا خير مما كان كثيفا ظلمانيا ولما كان ما احتج به على ربه باطلا لكون الطين فيه منافع كثيرة وفوائد جمة ويتوقف عليه نظام العالم لاحتياجه اليه ولما ينشأ عنه من النبات والماء اللذين هما غذاء العالم السفلي والنار منافعها قليلة ولا يتوقف عليها نظام العالم لوجود كثير منه غير محتاج لها ولا لما سوى نهار دعليه المولى بأشنع رد وأجابه بجواب السائل المتعنت المتكبر بقوله فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها الآية (قوله قال فاهبط منها) الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من مخالفة اللعين (قوله أي من الجنة) أي وعليه فبقي في السموات خارج الجنة (قوله وقيل من السموات) أي فلم يبق له استقرار في العالم العلوي أصلا (قوله أن تتكبر فيها) أي ولا في غيرها في الكلام اكتفاء لان الكبر مذموم مطلقا (قوله الذليلين) تفسير للصاغرين من الصغار وهو بالفتح الذل والضيم (قوله قال أنظرني) لما كره اللعين اذاقة الموت طلب البقاء والخلود الى يوم البعث ومن المعلوم أن لا موت بعده فقصده استمرار الحياة في الدنيا والآخرة فاجابه الله لا على مراده بل أمهله الى النفخة الاولى ولا نجاة له من الموت ولا من العذاب (قوله أي وقت النفخة الاولى) أي لا وقت النفخة الثانية التي طلبها اللعين (قوله قال فبما أغويتني الخ) غرضه بهذا أخذ ثاره منهم لانه لما طرد ومقت بسببهم أحب أن ينتقم منهم أخذا بالثار (قوله والباء للقسم) أي وما مصدرية وما بعدها مسبوك بمصدر أشار له قول المفسر أي باغوائك لي ويصح أن تكون السببية (قوله أي على الطريق الخ) أشار به الى أن صراط منصوب على نزع الخافض (قوله من بين أيديهم ومن خلفهم) أي من الجهات التي يعتاد الهجوم منها وهي الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت اما الفوق فلكونه لم يمكنه أن يحول بين العبد ورحمة ربه كما قال ابن عباس وأما التحت فلكبره لا يرضى أن يأتي من ذلك ويكثر اتيانه من أمام وخلف ويضعف في اليمين واليسار لحفظ الملائكة وذكر بعضهم حكمة أخرى لعدم مجيئه من تحت لكون الآتي من تحت انما يريد الازعاج وهو يريد التأليف للغواية والاول أقرب واعداء الفعل في الاولين بمن الابتدائية لان شأن التوجه منهما بخلاف الاخيرين فالآتي منهما كالمنحرف المار (قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين) يحتمل أنه من الوجدان بمعنى اللقاء فيتعدى لواحد وشاكرين حال ويحتمل أنه بمعنى العلم فيتعدى لاثنين (قوله قال اخرج منها مذؤما) تأكيد لما تقدم والمذؤم بالهمز من ذأمه يذأمه ذأما اذا عابه ومقته أي اخرج ممقوتا معابا عليك (قوله

(فسجدوا الا ابليس) أبا الجن كان بين الملائكة (لم يكن من الساجدين قال) تعالى (ما منعك أن لا) زائدة (تسجد اذ) حين (أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها) أي من الجنة وقيل من السموات (فما يكون) ينبغي (لك أن تتكبر فيها فاخرج) منها (انك من الصاغرين) الذليلين (قال أنظرني) أخرني (الى يوم يبعثون) أي الناس (قال انك من المنظرين) وفي آية أخرى الى يوم الوقت المعلوم أي وقت النفخة الاولى (قال فبما أغويتني) أي باغوائك لي والباء للقسم وجوابه (لاقعدن لهم) أي لبني آدم (صراطك المستقيم) أي على الطريق الموصل اليك (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) أي من كل جهة فامنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين (قال اخرج منها مذؤما) بالهمز معيبا أو ممقوتا (مدحورا)

مبعدا عن الرحمة) أي لان الدحر الطرد والابعاد يقال دحره دحرا ودحورا ومنه قوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا وهما حالان من فاعل أخرج (قوله واللام للابتداء) أي داخلة على المبتدا فمن اسم موصول مبتدا وتبعك صلته ومنهم متعلق بتبعك وقوله لأملأن جواب قسم محذوف بعد قوله منهم والقسم وجوابه في محل رفع خبر المبتدا (قوله أو موطئة للقسم) والتقدير والله لمن تبعك ومن اسم شرط مبتدا ولأملأن جواب القسم المدلول عليه باللام الموطئة وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده (قوله وفيه تغليب الحاضر) أي وهو إبليس وقوله على الغائب أي وهو الناس (قوله وفي الجملة) أي وهي لأملأن وقوله معنى جزاء من أي على كونها شرطية وتقديره أعذبه (قوله ويا آدم) تقدير المفسر قال يفيد أنه معطوف على اخرج مسلط عليه عامله عطف قصة على قصة ويصح عطفه على قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا فيكون مسلطا عليه قلنا وربما كان هذا أقرب من حيث المناسبة والاول أقرب من حيث قرب المعطوف من المعطوف عليه وهذا القول يحتمل أنه واقع من الله مباشرة أو على لسان ملك (قوله تأكيد للضمير في اسكن) أي وإبليس هو الفاعل لان فاعل فعل الامر واجب الاستتار وقوله ليعطف عليه وزوجك جواب عما يقال لم أتى بالضمير المنفصل (قوله حواء) سميت بذلك لانها خلقت من حي وهو آدم وذلك أن آدم لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه القصير من شقه الايسر ليسكن اليها ويأنس بها فلما استيقظ ورآها مال اليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدي مهرها فقال وما مهرها فقالوا ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان قلت ان شرط المهر أن يكون متمولا وهذا ليس بمتمول أجيب بأن هذا الشرط في شرع محمد ولم يكن في شرع آدم وأيضا الآمر هو الله وهو يحكم لا معقب لحكمه وأيضا من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوج بلا مهر أصلا ولما كان هو الواسطة في ذلك عد كأنه هو العاقد لهما وانما كان خصوص الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لكل أحد حتى أبيه آدم وأمر الله آدم بالسكون في الجنة قيل قبل دخول الجنة وتوجيه الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم الله بها فانها لم تكن خلقت اذ ذاك وقيل بعد الدخول وهو المعتمد وعليه فيكون المراد من الامر بالسكون الاستقرار (قوله فكلا من حيث شئتما) أي في أي مكان وفي الكلام حذف المعمول والاصل فكلا من ثمارها حيث شئتما وترك رغدا من هنا اكتفاء بذكره في البقرة وأتى بالفاء هنا وفي البقرة بالواو تفننا واشارة الى أن كلا من الحرفين بمعنى الآخر وقيل ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو فلا منافاة وما ذكره شيخ الاسلام من الجواب بعيد كما تقدم لنا في البقرة فانظره (لا في شيء آخر) وهو أنه وجه الخطاب أولا لآدم وثانيا لهما وحكمة ذلك أن حواء في السكنى تابعة لآدم فوجه الخطاب في السكنى لآدم وأما في الاكل من حيث شا أو النهي عن قربان الشجرة فقد اشتركا فيه فلذا وجه الخطاب لهما معا (قوله ولا تقربا) يقال قربت الامر أقربه من باب تعب وفي لغة من باب قتل قربانا بالكسر فعلته أو دانيته وحينئذ يكون النهي عن القربان أبلغ من النهي عن الاكل بالفعل (قوله وهي الحنطة) وقيل الكرم وقيل التين وقيل النخل وقيل الاترج والمشهور ما قاله المفسر (قوله من الظالمين) أي لانفسهما (قوله فوسوس لهما الشيطان) الوسوسة الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الانسان على سبيل التكرار ان قلت ان الانبياء معصومون من وسوسة الشيطان وظاهر الآية يقتضي أن الشيطان وسوس لآدم أجيب بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة وانما باشر حواء وهي باشرت آدم بذلك قال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال أطعمتني حواء قال لحواء لم أطعمتيه قالت أمرتني الحية قال للحية لم أمرتيها قالت أمرني إبليس قال الله أما أنت يا حواء فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة وأما أنت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك وأما أنت يا إبليس فملعون ان قلت كيف وسوس لهما وهو خارج الجنة أجيب

مبعدا عن الرحمة (لمن تبعك منهم) من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم وهو (لأملأن جهنم منكم أجمعين) أي منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى جزاء من الشرطية أي من تبعك أعذبه (و) قال (يا آدم اسكن أنت) تأكيد للضمير في اسكن ليعطف عليه (وزوجك) حواء بالمد (الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) بالاكل منها وهي الحنطة (فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان)

بأن وسوسته وان كانت خارج الجنة الا أنها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك أو أنه تحيل على دخول الجنة بدخوله في جوف الحية ووسوس لهما وقوله الشيطان من شاط بمعنى احترق أو من شطن بمعنى بعد (قوله ابليس) من أبلس ابلاسا بمعنى يأس لأنه آيس من رحمة الله وقد تقدم في البقرة جملة أسمائه فانظرها (قوله ليبدى لهما) هذا من جملة أغراضه في الوسوسة فتكون اللام للتعليل ويحتمل انها للعاقبة وان غرضه في الوسوسة خصوص غضب الله عليهما وطردهما من الجنة (قوله ماووري عنهما) أي غطي وستر عنهما واختلف في ذلك اللباس فقيل غطاء على الجسد من جنس الاظفار فنزع عنهما وبقيت الاظفار في اليدين والرجلين تذكرة وزينة وانتفاعا ولذلك قالوا ان النظر للاظفار في حال الضحك يقطعه وقيل كان نورا وقيل كان من ثياب الجنة (قوله فوعل) أشار بذلك الى أن الواو الثانية زائدة وحينئذ فلا يجب قلب الاولى همزة وانما يجب لو كانت الثانية أصلية (قوله من سوآتهما) أي عوراتهما سميت بذلك لان كشفها يسيء صاحبها (قوله وقال مانهاكما) معطوف على وسوس بيان له (قوله الا أن تكونا ملكين) بفتح اللام أي لم ينهكما عن الاكل منها الا كراهة أن تكونا من الملائكة أو تكونا من الخالدين في الجنة فالمعنى الذى ادعاه لهما ان الاكل منها سبب لان يكونا من الملائكة وسبب الخلود فيها (قوله كراهة) أفاد المفسر أن الاستثناء مفرغ وهو مفعول من أجله قدره البصريون الا كراهة أن تكونا الخ وقدره الكوفيون ان لا تكونا وتقدير البصريين أولى لان اضمار الاسم أحسن من اضمار الحرف (قوله وقرئ بكسر اللام) أي شذوذا ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فالملك بالضم يناسب الملك بالكسر (قوله أي وذلك) أي أحد الامرين وقوله لازم أي ناشئ عن الاكل منها وقضية هذه الآية على قراءة الكسر عدم اجتماع الامرين وقضية الآية الاخرى وهي هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى اجتماعهما وأجيب بان أو بمعنى الواو وحكمة ترغيبهما في الملكية أن الملائكة خصوا بالقرب من العرش ولهم المنزلة عند الله (قوله وقاسمهما) معطوف على فوسوس لهما الشيطان وانما أقسم لهما لاجل تأكيد اضلاله فهو أول من حلف كاذبا بل هو أول من عصى الله مطلقا (قوله أي أقسم لهما بالله) أي وقبلا منه القسم فالمفاعلة باعتبار ذلك والا فالواقع ليست على بابها لان الحالف هو فقط (قوله في ذلك) أي ما ذكر من كونهما يلتحقان بالملائكة أو يكونان من الخالدين (قوله فدلاهما) التدلي النزول من أعلى لاسفل (قوله حطهما عن منزلتهما) أي الحسية لان غروره تسبب عنه نزولهما من الجنة الى الارض لا المعنوية بل رتبتهما عند الله لم تنقص بل ازدادت (قوله بغرور) الباء سببية والغرور تصوير الباطل بصورة الحق (قوله فلما ذاقا الشجرة) من الذواق وهو تناول الشيء ليعرف طعمه وفيه اشارة الى انهما لم يتناولا منها كثيرا لان شأن من ذاق الشيء ان يقتصر على ماقل منه (قوله بدت لهما سوآتهما) أي سقط عنهما لباسهما فبدت الخ (قوله ودبره) أي الآخر وأما دبر نفسه فلا يظهر له الا ان التفت له وتأمله (قوله يسوء صاحبه) أي يوقعه في السوء (قوله وطفقا) من باب طرب أي شرعا وأخذا (قوله يخصفان) من خصف النعل خرزه والمراد يلزقان بعضه على بعض لاجل الستر (قوله عليهما) أي القبل والدبر (قوله من ورق الجنة) قيل ورق التين وقيل ورق الموز (قوله وناداهما ربهما) يحتمل على لسان ملك أو مباشرة (قوله ألم أنهكما) اما تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب أو مقول لقول محذوف والتقدير قائلا ألم أنهكما الخ (قوله وأقل لكما) أي كما في آية طه فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك الآية (قوله بين العداوة) أي حيث امتنع من السجود له ورضي بالطرد والبعد (قوله استفهام تقرير) أي وهو حمل المخاطب على الاقرار والمعنى أقر بذلك على سبيل التشريح للتصدرك (قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) هذا اخبار من الله عن آدم وحواء باعترافهما وندمهما على ماوقع منهما وانما عاتبهما الله على ذلك وان كان ليس بمعصية حقيقية لان حسنات الابرار سيآت المقربين وليس ذلك بقادح في عصمة آدم لان المستحيل على الانبياء تعمد المخالفة وأما الخطأ في الاجتهاد والنسيان الرحماني فهو جائز عليهم ونظير ذلك ماوقع في قصة ذي اليدين حيث سلم رسول الله من

ابليس (ليبدي) يظهر (لهما ماووري) فوعل من المواراة (عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا) كراهة (أن تكونا ملكين) وقرئ بكسر اللام (أو تكونا من الخالدين) أي وذلك لازم عن الاكل منها كما في آية أخرى هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (وقاسمهما) أي أقسم لهما بالله (اني لكما لمن الناصحين) في ذلك (فدلاهما) حطهما عن منزلتهما (بغرور) منه (فلما ذاقا الشجرة) أي أكلا منها (بدت لهما سوآتهما) أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمي كل منهما سوأة لان انكشافه يسوء صاحبه (وطفقا يخصفان) أخذا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليستترا به (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) بين العداوة والاستفهام للتقرير (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) بمعصيتنا

ركعتين فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله فقال كل ذلك لم يكن فقال بل بعض ذلك قد كان الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أنس ولكن أنسى لأسن وحكمة الاكل من الشجرة ما ترتب على ذلك من وجود الخلق وعمارة الدنيا فانساه الله لاجل حصول تلك الحكمة البالغة فمن نسب التعمد والتجرؤ لآدم فقد كفر كما ان من نفى عنه اسم العصيان فقد كفر لمصادمة آية وعصى آدم ربه فغوى فالمخلص من ذلك أن يقال ان معصيته ليست كالمعاصي وتقدم تحقيق هذا المقام في سورة البقرة فانظره (قوله وان لم تغفر لنا) شرط حذف جوابها اكتفاء بجواب القسم (قوله بما اشتملتما عليه من ذريتكما) أي فهذا هو وجه الجمع في الآية وقيل ان الجمع باعتبار آدم وحواء والحية وابليس ويكون قوله بعضكم لبعض عدو باقيا على ظاهره لان ابليس والحية عدو لآدم وحواء (قوله مكان استقرار) أي وهو المكان الذي يعيش فيه الانسان والمكان الذي يدفن فيه (قوله قال فيها تحيون) أصله تحييون كترضيون تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها قلبت الفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله بالبناء للفاعل الخ) أي في تخرجون وأما تحيون وتموتون فللفاعل لا غير (قوله يا بني آدم) لما قدم قصة آدم وحواء وما أنعم به عليهما وفتنة الشيطان لهما خاطب أولاد آدم عموما بتذكير نعمه عليهم وحذرهم من اتباع الشيطان لانه عدو لابيهم والعداوة للآباء متصلة للابناء (قوله قد أنزلنا عليكم لباسا) أي أنزلنا أسبابه من السماء وهو المطر فينشأ عنه النبات الذي يكون منه اللباس كالقطن والكتان وتعيش به الحيوانات التي يكون منها الصوف والشعر والوبر والحرير (قوله سوآتكم) أي عوراتكم أي فهو نعمة (قوله وريشا) معطوف على لباسا وعبر عنه بالريش لان الريش زينة الطائر كما أن اللباس زينة الآدميين والمعنى أن الله تعالى منّ على بني آدم [3] بلباسين لباسا يواري سوآتهم ولباسا ريشا أي زينة ويصح أن يكون معطوفا على يواري فيكون وصف اللباس بشيئين كونه يواري سوآتكم وكونه زينة لكم ويؤخذ من الآية أن لبس لباس الزينة غير مذموم والمراد الزينة التي لم تخالف الشرع وهذا ان صحبته نية بان لم يقصد الفخر ولا العجب بها كما أن التقشف في اللباس غير مذموم ان كان خاليا من الاغراض الفاسدة بان لم يقصد به دعوى الولاية أو اظهار الفقر لاجل أن يتصدق عليه وبالجملة فالمدار على حسن القصد تجمل بالثياب أو تقشف فيها وفي هذا المعنى قال بعضهم

لبس التصوف لبس الصوف والخلق ※ بل التصوف حسن الصمت والخلق
فالبس من اللبس ما تختار أنت وقم ※ جنح الظلام وأجر الدمع في الغسق
فرب لابس الديباج مشغله ※ حب الذي خلق الانسان من علق
وكم فتى لابس للخيش تحسبه ※ ناج وذلك عند العارفين شقي
فان ذلك لم يحجبه ملبسه ※ وذا مع اللبس مأسور فلم يفق

(قوله ولباس التقوى) أي الناشئ عنها أو الناشئة عنه (قوله العمل الصالح) أي المنجي من العذاب لان الانسان يكسى من عمله يوم القيامة (قوله خبره جملة ذلك خير) أي فاسم الاشارة مبتدأ ثان وخبر خبره والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر الاول واسم الاشارة عائد على قوله ولباس التقوى وانما كان خيرا لانه يستر من فضائح الآخرة وفي الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فاذا كان كذلك فينبغي للانسان ان يشتغل بتحسين ظاهره بالاعمال الصالحة وباطنه بالاخلاص فانه محل نظر الله منه ولذلك قال العارف البكري الهي زين ظاهري بامتثال ما أمرتني به ونهيتني عنه وزين سري بالاسرار وعن الاغيار فصنه (قوله ذلك من آيات الله) اسم الاشارة عائد على اللباس المنزل باقسامه (قوله فيه التفات عن الخطاب) أي وكان مقتضى الظاهر لعلكم تذكرون ونكتته دفع الثقل في الكلام (قوله يا بني آدم) لما ذكرهم نعمة اللباس نبههم على ان الشيطان حسود وعدو لهم كما أنه حسود وعدو لابيهم (قوله لا يفتننكم الشيطان) هو نهي له صورة وفي الحقيقة نهي لبني آدم عن الاصغاء اليه واتباعه فليس المراد النهي عن سلطانه اذ لا قدرة للمخلوق على منع ذلك

(وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا) أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بعضكم) بعض الذرية (لبعض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (ولكم في الارض مستقر) مكان استقرار (ومتاع) تمتع (الى حين) تنقضي فيه آجالكم (قال فيها) أي الارض (تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) أي خلقناه لكم (يواري) يستر (سوآتكم وريشا) هو ما يتجمل به من الثياب (ولباس التقوى) العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدأ خبره جملة (ذلك خير ذلك من آيات الله) دلائل قدرته (لعلهم يذكرون) فيؤمنون فيه التفات عن الخطاب (يا بني آدم لا يفتننكم) يضلنكم (الشيطان) أي لا تتبعوه فتفتنوا

[3] قوله لباسا يواري سوآتهم الخ هكذا في النسخ التي بايدينا وعبارة الزمخشري أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم اه

لانه قضاء مبرم بل المراد النهي عن الميل اليه والى ذلك أشار المفسر بقوله أي لا تتبعوه فتفتتنوا (قوله كما أخرج) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف وما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر والتقدير فتنة مثل فتنة اخراج أبويكم والجامع بينهما زوال النعم في كل (قوله أبويكم) أي آدم وحواء (قوله بفتنته) الباء سببية (قوله حال) أي من أبويكم أو من ضمير أخرج وكل صحيح فان الجملة مشتملة على ضمير الابوين وعلى ضمير الشيطان واسناد النزع اليه باعتبار كونه سببا فيه والنزع أخذ الشيء بسرعة وقوة ومنه قوله تعالى تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر وفيه اشارة الى أن من اتبع الشيطان تزول نعمه بسرعة وقوة وأتى بالمضارع حكاية للحال الماضية استحضارا للصورة العجيبة (قوله انه يراكم) تعليل للتحرز من الشيطان اللازم للنهي كأنه قيل فاحذروه لانه يراكم الخ (قوله وقبيله) معطوف على الضمير المتصل في يراكم وأتى بالضمير المنفصل وان كان قد حصل الفصل بالكاف زيادة في الفصاحة والقبيل اسم لما اجتمع من شتات الخلق ولذلك فسره بالجنود والقبيلة الجماعة من أب واحد (قوله من حيث لا ترونهم) من ابتدائية وحيث ظرف مكان والتقدير انه يراكم رؤية مبتدأة من مكان لا ترونهم فيه (قوله للطافة أجسادهم) أي فأجسامهم كالهواء نعلمه ونتحققه ولا نراه للطافته وعدم تلونه هذا وجه عدم رؤيتنا لهم وأما وجه رؤيتهم لنا فكثافة أجسادنا وتلوننا وأما رؤية بعضهم لبعض فحاصلة لقوة في أبصارهم وهذا حيث كانوا على صورهم الاصلية وأما اذا تصوروا بغيرها فنراهم لان الله جعل لهم قدرة على التشكل بالصور الجميلة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة كما في الاحاديث الصحيحة فالآية ليست على عمومها والفرق بينهم وبين الملائكة أن الملائكة لا يتشكلون الا في الصور الجميلة ولا تحكم عليهم بخلاف الجن وقد ورد أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بني آدم مساكن لهم الا من عصمه الله كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال مجاهد قال ابليس جعل لنا أربع نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا شابا وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المجاهدة الا من عصمه الله (قوله انا جعلنا الشياطين أولياء) أي صيرناهم أعوانا لغير المؤمنين ومكناهم من اغوائهم فتحرزوا منهم (قوله واذا فعلوا فاحشة) هذه الآية نزلت في كفار مكة كانوا يطوفون عراة رجالهم بالنهار ونساؤهم بالليل فكان أحدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد عصيت فيه ربي فيقول من يعيرني ازارا فان وجد والا طاف عريانا واذا فرض وطاف في ثياب نفسه ألقاها اذا قضى طوافه وحرمها على نفسه (قوله قالوا وجدنا الخ) أي محتجين بهذين الامرين تقليد الآباء والافتراء على الله (قوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) أي رد المقالة الثانية وترك رد الاولى لوضوح فسادها (قوله أتقولون على الله ما لا تعلمون) أي لانكم لم تسمعوه مشافهة ولم تأخذوه عن الانبياء الذين هم وسايط بين الله وخلقه (قوله استفهام انكار) أي وتوبيخ وفيه معنى النهي (قوله معطوف على معنى بالقسط) دفع بذلك ما يقال ان قوله أمر ربي بالقسط خبر وقوله وأقيموا انشاء ولا يصح عطف الانشاء على الخبر فأجاب بجوابين الاول أن أقيموا معطوف على المعنى والتقدير قال أقسطوا وأقيموا الثاني أن الكلام فيه حذف والتقدير قل أمر ربي بالقسط فاقبلوا وأقيموا (قوله أي أخلصوا له سجودكم) أي صلاتكم ففيه تسمية الكل باسم أشرف أجزائه لان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله وادعوه) عطف عام (قوله كما بدأكم تعودون) كلام مستأنف مسوق للرد على منكري البعث أي يعيدكم أحياء أي بالارواح والاجساد بعينها (قوله فريقا هدى) فريقا معمول لهدى وفريقا الثاني معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق في المعنى والتقدير وأضل فريقا حق عليهم الضلالة أي ثبتت في الازل ضلالتهم (قوله انهم اتخذوا) علة لقوله حق عليهم (قوله ويحسبون أنهم مهتدون) أي يظنون أنهم على هدى والحال أنهم ليسوا كذلك (قوله يا بني آدم الخ) سبب نزولها كما قال ابن عباس ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل يقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها وكانوا

كما أخرج أبويكم) بفتنته (من الجنة ينزع) حال (عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه) أي الشيطان (يراكم هو وقبيله) جنوده (من حيث لا ترونهم) للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم (انا جعلنا الشياطين أولياء) أعوانا وقرناء (للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة) كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها (قالوا وجدنا عليها آباءنا) (فاقتدينا بهم (والله أمرنا بها) أيضا (قل) لهم (ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) أنه قاله استفهام انكار (قل أمر ربي بالقسط) العدل (وأقيموا) معطوف على معنى بالقسط أي قال اقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدرا (وجوهكم) لله (عند كل مسجد) أي أخلصوا له سجودكم (وادعوه) اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (كما بدأكم) خلقكم ولم تكونوا شيأ (تعودون) أي يعيدكم أحياء يوم القيامة (فريقا) منكم (هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) أي غيره (ويحسبون أنهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم)

أى ما يستر عورتكم (عند كل مسجد) عند الصلاة والطواف (وكلوا واشربوا) ما شئتم (ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل) انكارا عليهم (من حرم زينة الله التى أخرج لعباده) من اللباس (والطيبات) المستلذات (من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) بالاستحقاق وان شاركهم فيها غيرهم (خالصة) خاصة بهم بالرفع والنصب حال (يوم القيامة كذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ذلك التفصيل (لقوم يعلمون) يتدبرون فانهم المنتفعون بها (قل انما حرم ربى الفواحش) الكبائر كالزنا (ما ظهر منها وما بطن) أى جهرها وسرها (والاثم) المعصية (والبغى) على الناس (بغير الحق) هو الظلم (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به) باشراكه (سلطانا) حجة (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) من تحريم ما لم يحرم وغيره (ولكل أمة أجل) مدة (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون) عنه (ساعة ولا يستقدمون) عليه (يا بنى آدم اما) فيه ادغام نون ان الشرطية

لا يأكلون فى أيام حجهم الا قوتا ولا يأكلون لحما ولا دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون أن يفعلوا كفعلهم (قوله أى ما يستر عورتكم) راعى فى هذا الحل سبب النزول وأصل الواجب وعموم اللفظ يفيد أن المطلوب فى الصلاة والطواف ومشاهد الخير تجميل الثياب كما هو المندوب شرعا أملا (قوله عند كل مسجد) المسجد فى الاصل موضع السجود ثم أطلق وأريد منه نفس الصلاة والطواف من باب تسمية الحال باسم المحل والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالذى ينبغى للامة التجمل بالثياب عند حضور مشاهد الخير مع القدرة (قوله وكلوا واشربوا) أى من الحلال فانه رأس التقوى (قوله ولا تسرفوا) أى بأن تحرموا الحلال كما كانوا يفعلون من امتناعهم من اللحم والدسم أو تحلوا الحرام أو تتجاوز والحد فى الاكل والشرب كالتعمق فى ذلك أو الاكثار المضر لما فى الحديث ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ولان ما زاد على ثلث البطن لا يعود على الشخص الا بالضرر ولما فى الحديث أصل كل داء البردة وهى ادخال الطعام على الطعام فالمناسب أن لا يأكل حتى يجوع وأن يقوم ونفسه تشتهى الطعام فان ملك النفس عن الاسراف فى المباح أكبر دليل على ملكها عن الحرام (قوله انه لا يحب المسرفين) أى يعاقبهم على ذلك ولا يرضى فعلهم (قوله انكارا عليهم) أى وتوبيخا لهم وحيث كان انكاريا فلا جواب له (قوله التى أخرج لعباده) أى التى خلقها لهم من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع وكلها جائزة للرجال والنساء ما عدا الحرير الخالص للرجال فانه يحرم عليهم اجماعا وأما المختلط بالحرير وغيره ففيه خلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة والجواز والمعتمد عدم الحرمة (قوله قل هى) أى الزينة من الثياب والطيبات من الرزق (قوله بالاستحقاق) أى الاصلى وأما مشاركة غيرهم لهم فهو بطريق التبع وهذا جواب عما يقال ان المشاهد أن الكافر يستمتع بالزينة والمستلذات أكثر من المسلم فكيف يقال انها للذين آمنوا فى الحياة الدنيا فأجاب بما ذكر ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا الآية ولذا لا يعاقبون عليها لان الله خلقها لهم بطريق الاصالة ليستعينوا بها على طاعاته ولذا اذا عدمت المؤمنون فى آخر الزمن تقوم القيامة اذ لم يبق مستحق للنعم (قوله خاصة بهم) أى لا يشاركهم فيها غيرهم (قوله بالرفع) أى خبر ثان (قوله والنصب حال) أى من الضمير فى الخبر المحذوف والتقدير هى كائنة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا حال كونها خالصة لهم يوم القيامة وانما كانت خالصة للمؤمنين يوم القيامة لان رحمة الله تنفرد بالمؤمنين وغضبه ينفرد بالكافرين قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله كذلك نفصل الآيات) أى نبينها ونوضحها فى غير هذا الموضع مثل ذلك التفصيل والتوضيح فى هذا الموضع (قوله لقوم يعلمون) أى أنه مستحق للعبادة (قوله فانهم المنتفعون بها) أى وغيرهم لا يعبأ به ولا يخاطب (قوله كالزنا) أى والقتل وسلب الاموال وسائر أنواع الفسق بالجارحة (قوله أى جهرها وسرها) المراد بالجهر المعاصى الظاهرية كالقتل وشرب الخمر وبالسر المعاصى الباطنية القلبية كالعجب والكبر والرياء (قوله والاثم) عطف عام على خاص وما بعده عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بشأنه (قوله هو الظلم) أى للناس اما بالقتل أو سلب الاموال أو التكلم فى أعراضهم أو غير ذلك وقوله بغير الحق ايضاح لمعنى البغى فهو صفة كاشفة (قوله ما لم ينزل به سلطانا) ما نكرة بمعنى شئ أى شيأ سواه تعالى (قوله حجة) أى دليلا لان دليل الوحدانية لله أبطل الشرك لغيره (قوله وغيره) أى كتحليل الحرام ويدخل فى ذلك المفتى بالكذب (قوله ولكل أمة أجل) أى لكل فرد من أفراد الامة (قوله مدة) أى وقت معين (قوله ساعة) أى شيأ قليلا من الزمن فالمراد بالساعة الساعة الزمانية وقوله لا يستأخرون جواب اذا وقوله ولا يستقدمون مستأنف أو معطوف على الجملة الشرطية ولا يصح عطفه على قوله لا يستأخرون لان المعطوف على الجواب جواب وجواب اذا يشترط أن يكون مستقبلا والاستقدام بالنسبة لمجىء الاجل ماض فلا يصح ترتبه على الشرط (قوله يا بنى آدم) هذا خطاب عام لكل من لآدم عليه ولادة من أول الزمان لآخره ولكن المقصود من كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم وفى هذه الآية

دليل

دليل على عموم رسالته لان الله خاطب من أجله عموم بني آدم (قوله في ما المزيدة) أي للتأكيد (قوله يأتينكم) فعل الشرط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم وجملة فمن اتقى الى خالدون جواب الشرط والرابط محذوف تقديره فمن اتقى منكم ومن يحتمل ان تكون شرطية واتقى فعل الشرط وجملة فلا خوف عليهم جوابه ويحتمل انها موصولة واتقى صلتها وجملة فلا خوف عليهم خبرها وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى العموم (قوله منكم) أي من جنسكم يا بني آدم وانما كان من جنسهم لانه أقطع لعذرهم وحججهم (قوله يقصون) أي يقرؤن ويتلون (قوله آياتي) أي القرآنية وغيرها (قوله فمن اتقى الشرك) أشار بذلك الى أن المراد بالتقوى هنا التقوى العامة وهي اتقاء الشرك بالايمان لقرينة قوله وأصلح وأعلى منها تقوى الخواص وهي ترك المعاصي وأعلى منها ترك الاغيار وهي كل مشغل عن الله ولهذه المرتبة أشار العارف بقوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري يوما حكمت بردتي

(قوله وأصلح عمله) أي بأن ترك المعاصي أو كل مشغل عن الله فهو صادق بتقوى الخواص وخواص الخواص (قوله في الآخرة) أي وأما في الدنيا فلا يفارقهم الخوف ولا الحزن لتذكرهم الموت وأحوال الآخرة ولو جاءتهم البشرى من الله فالحزن دأب الصالحين في الدنيا لزيادة درجاتهم (قوله فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف أي تكبروا عن الايمان بها (قوله أي لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله بنسبة الشريك) الباء سببية والمعنى لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا بسبب نسبة الشريك لله ككفار مكة حيث أشركوا مع الله الاصنام والنصارى واليهود حيث نسبوا له الولد (قوله أو كذب بآياته) وان لم ينسب الشريك له لانه لا يلزم من التكذيب بالآيات نسبة الشريك له وأما نسبة الشريك له فيلزم منها التكذيب بالآيات (قوله أولئك ينالهم نصيبهم) أي في الدنيا (قوله من الكتاب) من ابتدائية متعلقة بمحذوف حال من نصيبهم وقوله مما كتب لهم بيان للنصيب (قوله من الرزق) أي على حسبه من سعة وضيق وكونه من حلال أو حرام وقوله والاجل أي من قصر أو طول وقوله وغير ذلك أي كالعمل وكما أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ مكتوب في صحف الملائكة وهو في بطن أمه فتحصل أن ما قسم له في الحياة الدنيا لا يغيره كفر ولا اسلام (قوله حتى اذا جاءتهم) حتى اما ابتدائية أو جارة (قوله الملائكة) قيل انهم عزرائيل وأعوانه لقبض أرواحهم وقيل انهم ملائكة العذاب وتقدم أنهم سبعة موكلون بأخذ روح الكافر بعد قبضها للعذاب (قوله تبكيتا) أي توبيخا وتقريعا (قوله أين ما كنتم تدعون من دون الله) أي الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا فتمنعكم الآن من العذاب (قوله فلم نرهم) أي مع شدة احتياجنا اليهم في هذا الوقت (قوله وشهدوا على أنفسهم) كلام مستأنف اخبار من الله باقرارهم على أنفسهم بالكفر ولا تعارض بين هذا وبين قوله والله ربنا ما كنا مشركين لان مواقف القيامة مختلفة (قوله قال ادخلوا في أمم) أي لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وكذبوا بآياته (قوله في أمم) في بمعنى مع أي ادخلوا مصاحبين لامم وهو حال من فاعل ادخلوا وتسمى منتظرة لانهم عند الدخول لم يكونوا مصاحبين الامم وقوله قد خلت صفة أولى لامم وقوله من قبلكم صفة ثانية وقوله من الجن والانس صفة ثالثة وقوله في النار في للظرفية فاندفع ما يقال يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد (قوله قد خلت) أي سبقت ومضت (قوله في النار) المراد بها دار العقاب بجميع طباقها (قوله لعنت أختها) أي في الدين (قوله التي قبلها) أي في التلبس بذلك الدين فالنصارى تلعن النصارى واليهود تلعن اليهود والمجوس تلعن المجوس وهكذا كل من اقتدى بغيره في دين باطل (قوله اداركوا) أصله تداركوا قلبت التاء دالا وأدغمت في الدال وأتي بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله أخراهم) أي المتأخرون عنهم في الزمن فأخرى تأنيث آخر مقابل أول لا تأنيث آخر الذي بمعنى غير (قوله وهم الاتباع) أي كانوا في زمنهم أو تأخروا بعدهم (قوله أي لاجلهم) أشار بذلك الى أن اللام في لاولاهم للتعليل وليست للتبليغ لان الخطاب مع الله لا معهم (قوله ربنا

في ما المزيدة (يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى) الشرك (وأصلح) عمله (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) في الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تكبروا (عنها) فلم يؤمنوا بها (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن) أي لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه (أو كذب بآياته) القرآن (أولئك ينالهم) يصيبهم (نصيبهم) حظهم (من الكتاب) مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والاجل وغير ذلك (حتى اذا جاءتهم رسلنا) أي الملائكة (يتوفونهم قالوا) لهم تبكيتا (أين ما كنتم تدعون) تعبدون (من دون الله قالوا ضلوا) غابوا (عنا) فلم نرهم (وشهدوا على أنفسهم) عند الموت (أنهم كانوا كافرين قال) تعالى لهم يوم القيامة (ادخلوا في) جملة (أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لعنت أختها) التي قبلها لضلالها بها (حتى اذا اداركوا) تلاحقوا (فيها جميعا قالت أخراهم) وهم الاتباع (لاولاهم) أي لاجلهم وهم

المتبوعون) أي الرؤساء (قوله ضعفا) ضعف الشيء في الاصل أقل ما يتحقق فيه مثل ذلك الشيء والمراد هنا الزيادة الى غير نهاية بدليل قول المفسر مضعفا (قوله لكل ضعف) أما المتقدمون فلضلالهم واضلالهم وأما المتأخرون فلكفرهم وتقليدهم (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا للاخرى أو للاحياء الذين في الدنيا وعلى الياء يكون اخبارا عن المتقدمين والمتأخرين (قوله ما لكل فريق) أشار بذلك الى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله لاخراهم) اللام هنا للتبليغ لان الخطاب معهم (قوله لانكم لم تكفروا بسببنا) أي بل كفرتم اختيارا الا انا حملنا كم على الكفر وأكرهنا كم عليه لانه لا يمكن الجبر على الكفر لتعلقه بالقلب (قوله قال تعالى لهم) هذه احدى طريقتين والاخرى انه من كلام الرؤساء للاتباع (قوله بما كنتم تكسبون) أي بسبب كسبكم من الكفر والمخالفة (قوله ان الذين كذبوا بآياتنا) أي وماتوا على ذلك (قوله فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير تكبروا عن الايمان بها (قوله لا تفتح) بالبناء للمفعول اما بالتاء أو الياء مع التخفيف أو التشديد وكلها سبعية (قوله اذا عرج بأرواحهم) ومثلها دعاؤهم وأعمالهم (قوله الى سجين) هو واد في جهنم أسفل الارض السابعة تسجن به أرواح الكفار وقيل هو كتاب جامع لاعمال الشياطين والكفرة وأما عليون فقيل هو كتاب جامع لاعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين وقيل هو مكان في الجنة في السماء السابعة تحت العرش (قوله ويصعد بروحه الى السماء السابعة) أي وترى مقعدها في الجنة وترجع مسرورة فعند ذلك يرى البشر والنور على جسمها (قوله كما ورد في حديث) أي وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبض روح الكافر ويخرج منها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي يسمى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء (قوله ولا يدخلون الجنة) أي بعد الموت (قوله حتى يلج الجمل) الولوج الدخول بشدة والجمل الذكر من الابل وخص بذلك لانه أعظم جسم عند العرب فجسم الجمل من أعظم الاجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ وهو تعليق جائز على مستحيل والمعلق على المستحيل مستحيل فاستفيد من ذلك أن دخول الكفار الجنة مستحيل (قوله في سم الخياط) السم مثلث السين لكن القراءة السبعية على الفتح وقرئ شذوذا بالضم والكسر وجمعه سمام وأما ما يقتل فهو مثلث أيضا الا أن جمعه سموم والخياط هو الآلة التي يخاط بها ويقال لها مخيط أيضا (قوله وكذلك الجزاء) أي المتقدم وهو عدم فتح أبواب السماء لهم وعدم دخولهم الجنة (قوله نجزي المجرمين) أي كما جزينا هؤلاء نجزي كل من اتصف بالاجرام من مبدإ الزمان الى منتهاه (قوله لهم) أي للذين كذبوا واستكبروا (قوله ومن فوقهم غواش) الجار والمجرور خبر مقدم وغواش مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها الثقل والمعنى ان النار محيطة بهم من كل جانب وقد ورد ان سقف النار من نحاس وأرضها من رصاص وحيطانها من كبريت وقودها الناس والحجارة (قوله وتنوينه عوض من الياء المحذوفة) هذا بناء على الصحيح من أن الاعلال مقدم على منع الصرف فأصله غواشي بالتنوين استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء والتنوين فحذفت لالتقائهما ثم لوحظ ان الكلمة ممنوعة من الصرف فحذف تنوين الصرف فخيف من رجوع الياء فأتي بالتنوين عوضا عنها وأما على أن منع الصرف مقدم على الاعلال فأصلها غواشي بترك التنوين استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم أتي بالتنوين عوضا عن الحركة التي هي الضمة فالتقى ساكنان الياء والتنوين حذفت الياء لالتقائهما (قوله وكذلك) أي مثل الجزاء المتقدم (قوله نجزي الظالمين) عبر عنهم أولا بالمجرمين وهنا بالظالمين اشارة الى أنهم اتصفوا بالامرين معا (قوله والذين آمنوا) لما ذكر وعيد الكافرين أتبعه بذكر وعد المؤمنين على حكم عادته سبحانه في كتابه والاسم الموصول مبتدأ وآمنوا صلته وعملوا الصالحات معطوف عليه وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين

المتبوعون (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا) مضعفا (من النار قال) تعالى (لكل) منكم ومنهم (ضعف) عذاب مضعف (ولكن لا يعلمون) بالياء والتاء ما لكل فريق (وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) لانكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء قال تعالى لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا) تكبروا (عنها) فلم يؤمنوا بها (لا تفتح لهم أبواب السماء) اذا عرج بأرواحهم اليها بعد الموت فيهبط بها الى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه الى السماء السابعة كما ورد في حديث (ولا يدخلون الجنة حتى يلج) يدخل (الجمل في سم الخياط) ثقب الابرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم (وكذلك) الجزاء (نجزي المجرمين) بالكفر (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة (وكذلك نجزي الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ

المبتدا والخبر وهو قوله أولئك أصحاب الجنة وهذا ما مشى عليه المفسر تبعا لاكثر علماء المعاني وقال بعضهم
لا نكلف نفسا الا وسعها خبر والرابط محذوف أي لا نكلف منهم (قوله لا نكلف نفسا الا وسعها) أي ما يسعها
من الاعمال وما يسهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها وكل هذا تفضل منه سبحانه وتعالى (قوله اعتراض)
وحكمته تبكيت الكفار وتنبيههم على ان الجنة مع عظم قدرها يتوصل اليها بالعمل السهل من غير كلفة ولا
مشقة ان قلت ورد ان الجنة حفت بالمكاره فكيف تقولون ان الجنة يتوصل اليها بالعمل السهل أجيب بأن
المراد بالمكاره مخالفة شهوات النفس وهي في طاقة العبد فالمراد بالعمل السهل ما كان في طاقة العبد كان فعلا
أو تركا (قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي خلقناهم في الجنة مطهرين منه الا أنهم دخلوا الجنة به
ثم نزع وحكمة نزع الغل من صدور أهل الجنة ان كل أحد منهم أعطى فوق أمانيه أضعافا مضاعفة (قوله
حقد كان بينهم في الدنيا) الحقد هو ضيق الصدر من الغير وهو أس الحسد وهو معصية قلبية تجب التوبة منه
ومجاهدة النفس لتخلص منه ومن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم واعلم ان الناس ثلاثة أقسام قسم
خلصت قلوبهم من الامراض الباطنية فهم في الدنيا كاهل الجنة في الجنة يحبون للناس ما يحبونه لانفسهم وهم
الانبياء ومن كان على قدمهم وقسم لم تخلص قلوبهم غير أنهم لم يرضوا لانفسهم بذلك ويلومون أنفسهم على
ما في قلوبهم وهؤلاء المجاهدون لانفسهم ولا يؤاخذون بذلك حينئذ وقسم لم تخلص قلوبهم وهم راضون
لانفسهم بذلك وهؤلاء فساق يجب عليهم مجاهدة نفوسهم في تخليصها من تلك الآفات (قوله تحت قصورهم)
أي بجانب جدارها وليس المراد أنها تجري من تحت الجدار (قوله الذي هدانا) أي ارشدنا ووفقنا (قوله
العمل الذي هذا جزاؤه) كذا في نسخة وفي نسخة أخرى لعمل هذا جزاؤه وفي أخرى لهذا العمل هذا جزاؤه
(قوله وما كنا لنهتدي) بالواو ودونها قراءتان سبعيتان والجملة اما مستأنفة أو حالية على كل (قوله لدلالة ما قبله
عليه) أي وهو قوله وما كنا لنهتدي والتقدير ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا (قوله لقد جاءت رسل
ربنا بالحق) هذا اقسام من أهل الجنة شكر النعم الله وتحدثا بها والمعنى ان ما أخبرونا به في الدنيا
من الثواب حق وصادق لمشاهدتنا له عيانا (قوله ونودوا) يحتمل أن المنادي هو الله ويحتمل أنه الملائكة
(قوله مخففة) أي واسمها ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها (قوله أو مفسرة) أي لانه تقدمها جملة فيها
معنى القول دون حروفه وهو قوله ونودوا (قوله في المواضع الخمسة) أي من هنا الى قوله أفيضوا علينا من
الماء (قوله تلكم الجنة) اسم الاشارة مبتدأ والجنة خبر وقوله أورثتموها حال من الجنة أو الجنة نعت لاسم
الاشارة وأورثتموها خبره وأتى باسم الاشارة البعيدة اشارة لعظم رتبتها وكأنها على حد ذلك الكتاب (قوله
أورثتموها) أي من الكفار لان الله خلق في الجنة منازل للكفار بتقدير ايمانهم فمن لم يؤمن منهم جعل
منزله لاهل الجنة فكل واحد من أهل الجنة يأخذ منازل تسعمائة وتسعة وتسعين من أهل النار يضم لمنزله
فيجتمع له ألف منزل فلما كان الغالب منها ميراثا أطلق على جميعها اسم الميراث وحكمة اطلاق اسم الارث عليها
أن الكفار سماهم الله أمواتا بقوله أموات غير أحياء والمؤمنين أحياء ومن المعلوم أن الحي يرث الميت
(قوله بما كنتم تعملون) الباء سببية وما مصدرية أي بسبب عملكم ان قلت ورد في الحديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل الجنة أحد بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله
برحمته أجيب بأن الآية محمولة على العمل المصحوب بالفضل والحديث محمول على العمل المجرد عنه
(قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) ان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف
يسمعون النداء أجيب بأن الآخرة خارقة للعادة فلا مانع من وصول النداء لهم وهذا النداء من كل فرد
من أفراد أهل الجنة لكل فرد من أفراد أهل النار لان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة على الآحاد
(قوله ما وعدكم ربكم حقا) تسميته وعدا مشاكلة والا فالاخبار بالشر انما يقال له وعيد وقدر المفسر
الكاف اشارة الى أن مفعول وعد محذوف وقوله من العقاب بيان لما (قوله نادى مناد) قيل

وقوله (لا نكلف نفسا الا
وسعها) طاقتها من العمل
اعتراض بينه وبين خبره
وهو (أولئك أصحاب
الجنة هم فيها خالدون
ونزعنا ما في صدورهم
من غل) حقد كان بينهم في
الدنيا (تجري من تحتهم)
تحت قصورهم (الانهار
وقالوا) عند الاستقرار في
منازلهم (الحمد لله الذي
هدانا لهذا) العمل الذي
هذا جزاؤه (وما كنا
لنهتدي لولا أن هدانا الله)
حذف جواب لولا لدلالة
ما قبله عليه (لقد جاءت
رسل ربنا بالحق ونودوا
أن) مخففة أي أنه أو مفسرة
في المواضع الخمسة (تلكم
الجنة أورثتموها بما كنتم
تعملون ونادى أصحاب
الجنة أصحاب النار) تقريرا
وتبكيتا (أن قد وجدنا
ما وعدنا ربنا) من الثواب
(حقا فهل وجدتم ما
وعد) كم (ربكم) من
العذاب (حقا قالوا نعم فأذن
مؤذن) نادى مناد (بينهم)
بين الفريقين

أسمعهم (أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون) الناس (عن سبيل الله) دينه (ويبغونها) أى يطلبون السبيل (عوجا) معوجة

(وهم بالآخرة كافرون وبينهما) أى أصحاب الجنة والنار (حجاب) حاجز قيل هو سور الاعراف (وعلى الاعراف) وهو سور الجنة (رجال) استوت حسناتهم وسيآتهم كما فى الحديث (يعرفون كلا) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم وهى بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم اذ موضعهم عال (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) قال تعالى (لم يدخلوها) أى أصحاب الاعراف الجنة (وهم يطمعون) فى دخولها قال الحسن لم يطمعهم الا لكرامة يريدها بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك اذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم (واذا صرفت أبصارهم) أى أصحاب الاعراف (تلقاء) جهة (أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا) فى النار (مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الاعراف رجالا) من أصحاب النار (يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم) من النار (جمعكم) المال أو كثرتكم (وما كنتم تستكبرون) أى واستكباركم عن الايمان ويقولون لهم مشيرين الى ضعفاء المسلمين (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) قد قيل لهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقرئ ادخلوا بالبناء للمفعول ودخلوا فجملة النفى حال أى مقولا لهم ذلك (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)

وإسرافيل وقيل غيره من الملائكة (قوله أسمعهم) تفسير لقوله بينهم (قوله الذين يصدون) نعت للظالمين (قوله معوجة) أى مائلة عن الحق والمعنى أنهم يغيرون دين الله وطريقته التى شرعها لعباده (قوله حاجز) أى يمنع وصول كل منهما للآخر (قوله استوت حسناتهم وسيآتهم) هذا قول من ثلاثة عشر قولا وقيل أولاد المشركين الذين ماتوا صغارا وقيل أناس خرجوا للغزو فى سبيل الله من غير اذن آبائهم ثم قتلوا وقيل ناس بروا آباءهم دون أمهاتهم وبالعكس وقيل انهم عدول القيامة يشهدون على الناس بأعمالهم وهم فى كل أمة (قوله كما فى الحديث) أى وهو ان الله يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته أكثر بواحدة دخل النار ومن استوت حسناته وسيآته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوهم سلام عليكم واذا نظروا الى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا (قوله ونادوا) أى أصحاب الاعراف (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى ان الوقف على قوله عليكم وقوله لم يدخلوها كلام مستأنف جواب عن سؤال مقدر كان قائلا قال وما صنع بأهل الاعراف فأجيب بأنهم لم يدخلوها (قوله اذ طلع عليهم ربك) أى أزال عنهم الحجب حتى رأوه وسمعوا كلامه (قوله فقال قوموا ادخلوا الجنة) أى فينطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فيلقوا فيه فتصلح ألوانهم وتبدو فى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة (قوله واذا صرفت أبصارهم) عبر بالصرف دون النظر اشارة الى أن نظرهم الى أهل النار غير مقصود لان رؤية العذاب وأهله تسيء الناظر بخلاف النظر للنعيم وأهله ففيه مسرة للناظر فلذا لم يعبر فى جانبه بالصرف بل قيل ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم (قوله تلقاء) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان وهى ظرف مكان بمعنى جهة ويستعمل مصدرا كالتبيان ولم يجئ من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلزال وبعضهم ألحق التكرار بذلك (قوله فى النار) أى لا ابتداء مع العصاة ولا دواما مع الكفار (قوله رجالا) أى كانوا عظماء فى الدنيا كأبى جهل والوليد بن المغيرة وعقبة بن أبى معيط وأضرابهم (قوله بسيماهم) أى علاماتهم أنها وتقدم أنها سواد الوجه للكفار (قوله ما أغنى عنكم) يحتمل ان ما استفهامية أى أى شئ أغنى عنكم جمعكم ويحتمل انها نافية أى لم يغن عنكم جمعكم ولا استكباركم شيأ من عذاب الله (قوله المال) أشار بذلك الى أن جمع مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف قدره بقوله المال وقوله أو كثرتكم اشارة لتفسير ثان لجمعكم فيكون معناه جماعتكم (قوله أى واستكباركم) سبك المصدر مما بعده كان جريا على قول من يقول ان كان تجردت عن معنى الحدث وصارت لمجرد الربط ولو مشى على مقابله المشهور لقال وكونكم مستكبرين واعتماد المفسر على ذلك الاختصار (قوله مشيرين) أى أهل الاعراف (قوله الى ضعفاء المسلمين) أى الذين كانوا يعذبون فى الدنيا وكان المشركون يسخرون بهم كصهيب وبلال وسلمان وخباب ونحوهم (قوله أهؤلاء) استفهام تقرير وتوبيخ (قوله أقسمتم) أى باللات والعزى وقوله لا ينالهم الله برحمة هذا هو المقسم عليه ويؤخذ من الآية ان أهل الاعراف ناظرون لاهل الجنة وأهل النار وان أهل النار ناظرون لاهل الاعراف وأهل الجنة وهذا لمزيد الحسرة لهم فهم يعذبون بالنار والتبكيت من أهل الاعراف (قوله قد قيل لهم) قدره اشارة الى أن قوله ادخلوا الجنة مقول لذلك القول المحذوف ليصح جعلها خبرا ثانيا لان الجملة الطلبية لا يصح وقوعها خبرا الا اذا أولت بخبر (قوله وقرئ أدخلوا الخ) هاتان شاذتان على عادته حيث يعبر عن الشاذ بقرئ وعن السبعى بوفى قراءة وعلى هاتين القراءتين فلا يحتاج لتقدير القول لان الجملة خبرية (قوله فجملة النفى) أى جنسها الصادق بالجملتين وهما لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (قوله حال) أى معمول لحال محذوفة فى كلامه تسمح وهذا على القراءتين الشاذتين وأما على القراءة السبعية فلا يحتاج لذلك (قوله ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صار

أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار في الفرج عنهم فقالوا يارب ان لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة الى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم فينادي الرجل أباه وأخاه فيقول قد احترقت أفض علي من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين (قوله من الطعام) أي الشامل للمشروب والمأكول وحينئذ فيضمن أفيضوا معنى ألقوا ونظيره علفتها تبنا وماء باردا أو أو بمعنى الواو بدليل قوله حرمهما والاولى بقيت على بابها من التخيير لا عيد الضمير مفردا (قوله منعهما) أي فالتعبير بالتحريم مجاز لانقطاع التكاليف بالموت ويعلم من هذا انه لا يتأثر أهل الجنة بعذاب أهل النار لتقطع الاسباب بينهم ونزع الرحمة من قلوب أهل الجنة لاهل النار لاستحقاقهم ما هم فيه من العذاب (قوله الذين اتخذوا) هذا وصف الكافرين (قوله لهوا ولعبا) اللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به (قوله وغرتهم الحياة الدنيا) أي شغلتهم بالطمع في طول العمر وحسن العيش (قوله فاليوم ننساهم) ليس من كلام أهل الجنة وانما هو قول الرب جل جلاله فالفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره فاذا كان هذا حال الكافرين فاليوم ننساهم (قوله نتركهم في النار) أشار بذلك الى ان النسيان مستعمل في لازمه وهو الترك لان حقيقته مستحيلة على الله فالمعنى نعاملهم معاملة الناسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار (قوله كما نسوا) الكاف تعليلية وما مصدرية أي لاجل نسيانهم (قوله بتركهم العمل له) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف تقديره كما نسوا العمل للقاء يومهم هذا (قوله أي وكما جحدوا) أشار بذلك الى أن ما معطوفة على ما الاولى مسلط عليه كاف التعليل والمعنى نتركهم في النار لتركهم العمل ولجحدهم آياتنا (قوله فصلناه) القراءة السبعية بالصاد وقرئ شذوذا بالضاد المعجمة أي فضلناه على غيره من الكتب السماوية (قوله بالاخبار والوعد) أي وكذا بقية الانواع التسعة جمعها بعضهم في قوله

حلال حرام محكم متشابه * بشير نذير قصة عظة مثل

(قوله حال) أي من الفاعل ويصح كونه حالا من المفعول والمعنى فصلناه حال كونه مشتملا على علم (قوله حال من الهاء) أي ومن كتاب وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف (قوله هل ينظرون) أي أهل مكة (قوله عاقبة ما فيه) أي فهذا هو المراد بتأويله بمعنى ما يؤول اليه وعيد القرآن لهم (قوله الذين نسوه) أي التأويل (قوله قد جاءت رسل ربنا بالحق) أي تبين صدقهم فيما جاؤا به واعترفوا بذلك لمعاينة العذاب (قوله فيشفعوا) منصوب بأن مضمرة في جواب الاستفهام فهو عطف اسم مؤول على اسم صريح (قوله أو هل نرد) أشار بذلك الى أن جملة نرد معطوفة على التي قبلها والاستفهام مسلط عليها (قوله فنعمل) منصوب بان مضمرة في جواب الاستفهام الثاني والمعنى نطلب أحد أمرين اما الشفاعة لنا فيما سبق منا أو نرجع الى الدنيا ونحسن العمل فيها (قوله من دعوى الشريك) أي من دعوى نفع الشريك لانهم كانوا يدعون أن الاصنام تنفعهم (قوله ان ربكم الله) أي لا غيره (قوله في ستة أيام) أي وأولها الاحد وآخرها الجمعة كما ورد أنه ابتدأ الخلق في يوم الاحد وأنه خلق الارض في يومين الاحد والاثنين والسموات في يومين الخميس والجمعة وانه خلق الجبال والوحوش والاشجار والزروع في الثلاثاء والاربعاء وروى مسلم والحاكم عن ابن عباس ان الله خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخراب وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين منه فخلق الله في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال وفي الثانية ألقى الله الآفة على كل شئ مما ينتفع به الناس وخلق في الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة واستشكل ذلك بانه لم يكن ثم شمس والجواب بان المراد في قدرها لا تحدي نفعا الان يقال ان ذلك التقدير

من الطعام (قالوا ان الله حرمهما) منعهما (على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نتركهم في النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) بتركهم العمل له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) أي وكما جحدوا (ولقد جئناهم) أي أهل مكة (بكتاب) قرآن (فصلناه) بيناه بالاخبار والوعد والوعيد (على علم) حال أي عالمين بما فصل فيه (هدى) حال من الهاء (ورحمة لقوم يؤمنون) به (هل ينظرون) ما ينتظرون (الا تأويله) عاقبة ما فيه (يوم يأتي تأويله) هو يوم القيامة (يقول الذين نسوه من قبل) تركوا الايمان به (قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو) هل (نرد) الى الدنيا (فنعمل غير الذي كنا نعمل) نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا قال تعالى (قد خسروا أنفسهم) أي صاروا الى الهلاك (وضل) ذهب (عنهم ما كانوا يفترون) من دعوى الشريك (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) من أيام الدنيا

في علم الله بحيث لو كانت الأيام موجودة لكانت كذلك ثم اعلم ان ما هنا من الاحاديث موافق لما يأتي في سورة فصلت من أن خلق الارض متقدم على السماء ولا تنافي بينه وبين ما يأتي في سورة النازعات في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها المقتضي تقديم السماء على الارض لان الدحي غير الخلق فان الارض خلقت أولا كرة ثم بعد خلق السماء بسطت الارض (قوله أي في قدرها) جواب عن سؤال مقدر افاده المفسر بقوله لانه لم يكن ثم شمس (قوله التثبت) أي التمهل في الامور وعدم العجلة (قوله هو في اللغة سرير الملك) أي وتسميته عرشا انما هو بالنسبة لما عهد الراكب عليه لعلوه عليهم وأما المراد به هنا فهو الجسم النوراني المرتفع على كل الاجسام المحيط بكلها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى وهذا نظير ما وقع لمالك بن أنس انه سأله رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عني هذا المبتدع وأما طريقة الخلف فيؤولون الاستواء بالاستيلاء بمعنى الملك والتصرف فالاستواء يطلق حقيقة على الركوب وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف وهو المراد قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وقد أشار صاحب الجوهرة للطريقتين بقوله

وكل نص أوهم التشبيها * أوّله أو فوّض ورم تنزيها

(قوله مخففا ومشددا) أي فهما قراءتان سبعيتان وعليهما فالليل فاعل معنى والنهار مفعول لفظا ومعنى ووجب تقديم ما هو فاعل معنى لئلا يلتبس نحو أعطيت زيدا عمرا (قوله أي يغطي كلا منهما بالآخر) يشير الى ان في الآية حذفا تقديره ويغشي النهار الليل ويؤيده آية يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل (قوله يطلبه حثيثا) أي ليس بينهما فاصل والحث والحض بمعنى واحد وهو الطلب بسرعة وحثيثا نعت مصدر محذوف أي طلبا حثيثا (قوله بالنصب عطفا على السموات) أي ونصب مسخرات على الحال من الشمس والقمر والنجوم (قوله والرفع) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله مذللات) أي مسيرات حيث سيرها سارت وفي هذا رد على الفلاسفة القائلين بتأثير الكواكب في العالم السفلي فهي أسباب عادية توجد الاشياء عندها لا بها (قوله ألا له الخلق والامر) ألا للاستفتاح يؤتى بها في مبدأ الكلام البليغ الذي يقصد به الرد على المنكر والمراد بالخلق الايجاد وبالامر التصرف فهو منفرد بالايجاد والتصرف فلا شريك له فيهما وتصرف الحادث انما هو بتصريف الله له وليس لمخلوق استقلال بتصريف أبدا وانما العبد مظهر التصريف فمن أكرمه أجرى جلب الخير ودفع الضر على يده كمعجزات الانبياء وكرامات الاولياء ومن أهانه أجرى الشرور على يده (قوله تبارك) فعل ماض جامد لا يتصرف ومعناه تمجد وتنزه عن صفات الحدوث (قوله ادعوا ربكم) أمر لجميع العباد بالتوجه في الدعاء لله سبحانه وتعالى أي حيث علمتم أن الله هو المتصرف في خلقه ايجادا واعداما واعطاء ومنعا فوجهوا اليه قلوبكم واسألوه بألسنتكم وقد ذكر الله سبحانه وتعالى للدعاء أربعة شروط التضرع والخفية والخوف والطمع (قوله حال) أي من الفاعل في ادعوا أي ادعوا حال كونكم متضرعين ومتذللين لان الدعاء اذا كان مع التذلل كان الاجابة أقرب (قوله سرا) أي باسماع نفسه لان الله تعبدنا بالدعاء كما تعبدنا بالقراءة فلا يكفي مرور الدعاء على قلبه واعلم ان الانسان اذا كان وحده فالسر أفضل له ان كان ينشط في ذلك والا فالجهر أفضل له كالجماعة (قوله بالتشدق) هو كثرة الكلام من غير حضور في القلب فهو راجع لقوله تضرعا وقوله ورفع الصوت هو راجع لقوله وخفية (قوله خوفا) الخوف غم يحصل من أمر مكروه يقع في المستقبل (قوله وطمعا) الطمع توقع أمر محبوب يحصل في المستقبل ومنه رجاء الاجابة ففي الحديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة وفي الحديث أيضا ما من عبد يرفع يديه ويقول يا رب الا ويستحي الله أن يردهما صفرين فاستفيد من هذا انه ينبغي للداعي الخوف والرجاء فيجعلهما كجناحي الطائر ان مال أحدهما سقط (قوله المطيعين) أي ولو بالتوبة

والمطلوب

أي في قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثم استوى على العرش) هو في اللغة سرير الملك استواء يليق به (يغشي الليل النهار) مخففا ومشددا أي يغطي كلا منهما بالآخر (يطلبه) يطلب كل منهما الآخر طلبا (حثيثا) سريعا (والشمس والقمر والنجوم) بالنصب عطفا على السموات والرفع مبتدأ خبره (مسخرات) مذللات (بأمره) بقدرته (ألا له الخلق) جميعا (والامر) كله (تبارك) تعاظم (الله رب) مالك (العالمين ادعوا ربكم تضرعا) حال تذللا (وخفية) سرا (انه لا يحب المعتدين) في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت (ولا تفسدوا في الارض) بالشرك والمعاصي (بعد اصلاحها) ببعث الرسل (وادعوه خوفا) من عقابه (وطمعا) في رحمته (ان رحمت الله قريب من المحسنين) المطيعين

فالمطلوب تقديم التوبة على الدعاء ليتم الدعاء من قلب طاهر فيكون أقرب للاجابة (قوله وتذكير قريب) جواب عما يقال ان قريب في الاصل وصف في المعنى لرحمة وهي مؤنثة فكان حقه التأنيث فأجاب بأنها اكتسب التذكير من المضاف اليه وهو لفظ الجلالة أو يقال ان رحمة مجازي التأنيث فيوصف بالمذكر أو يقال ان معنى الرحمة الثواب وهو مذكر فوصفه بالمذكر من حيث المعنى (قوله وهو الذي يرسل الرياح) معطوف على قوله ان ربكم الله الآية والرياح جمع ريح وهي أربعة الصبا والدبور والجنوب والشمال فالصبا تثير السحاب وهي من مطلع الشمس والشمال تجمعه وهي من تحت القطب والجنوب تدره وهي من جهة القبلة والدبور تفرقه وهي من مغرب الشمس وفي رواية الرياح ثمانية أربعة عذاب العاصف والقاصف والصرصر والعقيم وأربعة رحمة الناشرات والمرسلات والنازعات والمبشرات (قوله متفرقة) هذا التفسير لم يوافقه عليه أحد بل بعض المفسرين قال ان معنى نشرا منتشرة متسعة أو ناشرة للسحاب (قوله قدام المطر) في الكلام استعارة مكنية حيث شبهت الرحمة بمعنى المطر بسلطان يقدم وله مبشرات وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله بين يدي فاثباته تخييل (قوله تخفيفا) أي بحذف ضمة الشين وهي سبعية أيضا كالتين بعدها (قوله بسكونها وفتح النون) أي وافراد الريح (قوله مصدر) أي اما بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول أي ناشرة للسحاب أو منشورة (قوله ومفرد الاولى) أي ضم الشين ومثلها سكونها فمفرد الاثنين واحد (قوله حتى اذا أقلت) غاية لارسال الرياح (قوله سحابا) هو شجرة في الجنة (قوله بالمطر) متعلق بثقالا والباء للسببية (قوله عن الغيبة) أي الى التكلم اذ كان مقتضى الظاهر فساقه (قوله لانبات به) أي فوت الارض كناية عن عدم النبات بها (قوله بالبلد) أشار بذلك الى أن الضمير في به عائد على البلد والباء بمعنى في وقوله بالماء يشير الى ان الضمير عائد على الماء والباء سببية ويصح عوده على البلد وتكون الباء بمعنى في (قوله ذلك الاخراج) أي فالتشبيه في مطلق الاخراج من العدم فمن كان قادرا على اخراج الثمار من الارض سيما أرض الجبال التي شأنها عدم انبات شيء من الثمار قادر على احياء الموتى من قبورهم فهو رد على منكري البعث (قوله والبلد) أي الارض (قوله حسنا) أخذه من قوله لا يخرج الا نكدا (قوله باذن ربه) أي بارادته ولم يذكر ذلك في المقابل وان كان باذنه أيضا تعليما لعباده الادب حيث أسند النفيس الخير دون الشر وان كان منه أيضا وورد ان الله جميل يحب الجمال والقول تعالى بيدك الخير ولم يقل وبيدك الشر فلا يجوز أن يقال سبحان من خلق القرد ولا سبحان من دبب الشوك (قوله هذا مثل المؤمن) أي والعمل فمثل المؤمن كمثل الارض الطيبة ومثل المواعظ والقرآن كمثل الماء فكما أن الماء اذا نزل على الارض الطيبة أنبتت طيبا كذلك المواعظ والقرآن اذا نزلت على قلب المؤمن أنبتت الطاعات والصفات الجيدة (قوله الا نكدا) أي الا نباتا نكدا عديم النفع ونصب نكدا على الحال أو نعت مصدر محذوف أي الا خروجا نكدا وهو من باب تعب (قوله لقد أرسلنا نوحا) المقصود من ذكر تلك القصص تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتركت الواو هنا وذكرت في سورة هود والمؤمنون لعدم تقدم ما يعطف عليه هنا بخلاف ما يأتي ونوح اسمه عبد الغفار بن لمك بفتح الميم وسكونها ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس بعث على رأس أربعين سنة على الصحيح وقيل على رأس خمسين وقيل مائتين وخمسين وقيل مائة سنة ومكث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين فجملة عمره ألف ومائتان وأربعون بناء على الصحيح من انه بعث على رأس الاربعين وكان نجارا وصنع السفينة في عامين ولقب بنوح لكثرة نوحه على نفسه حيث دعا على قومه فهلكوا وقيل لمراجعته ربه في شأن ولده كنعان وقيل لانه مر على كلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله اليه أعبتني أم عبت الكلب وقدم قصة نوح لان قومه أول من كفر واستحق العذاب (قوله جواب قسم محذوف) انما أتى بالقسم هنا للرد على المنكرين وهو مما يجب التأكيد فيه (قوله الى قومه) القوم في الاصل قبيلة الرجل وأقاربه الذين اجتمعوا معه في جد واحد ويطلق القوم مجازا على من عاشرهم الرجل وسكن عندهم وان لم يكونوا

وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لاضافتها الى الله (وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته) أي متفرقة قدام المطر وفي قراءة بسكون الشين تخفيفا وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشرا ومفرد الاولى نشور كرسول والاخيرة بشير (حتى اذا أقلت) حملت الرياح (سحابا ثقالا) بالمطر (سقناه) أي السحاب وفيه التفات عن الغيبة (لبلد ميت) لانبات به أي لاحيائها (فأنزلنا به) بالبلد (الماء فأخرجنا به) بالماء (من كل الثمرات كذلك) الاخراج (نخرج الموتى) من قبورهم بالاحياء (لعلكم تذكرون) فتؤمنون (والبلد الطيب) العذب التراب (يخرج نباته) حسنا (باذن ربه) هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها (والذي خبث) ترابه (لا يخرج نباته (الا نكدا) عسرا بمشقة وهذا مثل للكافر (كذلك) كما بينا ما ذكر (نصرف) نبين (الآيات لقوم يشكرون) الله فيؤمنون (لقد) جواب قسم محذوف (أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم

اقاربه (قوله اعبدوا الله) أى وحدوه (قوله مالكم من اله غيره) استئناف مسوق لبيان وجه الامر بالعبادة (قوله صفة لاله) أى مراعاة للفظه (قوله بدل من محله) أى لان محله رفع بالابتداء أو من زائدة (قوله انى أخاف) علة ثانية للامر بالعبادة والمعنى اعبدوا الله لانه ليس لكم اله غيره ولانى أخاف نزول عذاب الآخرة بكم ان خالفتم ذلك اما عاجلا فى الدنيا أو آجلا فى الآخرة (قوله قال الملأ) بالهمز والقصر سموا بذلك لانهم يملؤن المجالس بأجسامهم والقلوب بهيبتهم والعيون بأبهتهم (قوله من قومه) لم يقل الذين كفروا مثل ما قيل فى قوم هود لان ذلك كان فى مبدا رسالته ولم يكن ثم مؤمن هكذا قيل والاحسن أن يقال حذفه منه لعلمه مما يأتى فى الآية الاخرى (قوله فى ضلال مبين) أى حيث عدل عن عبادة آلهتهم المجتمعين عليها المذكورين فى سورة نوح فى قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم الآية (قوله هى أعم من الضلال) أى لان الضلال هو الخروج عن الحق من كل وجه والضلالة هى الخروج عن الحق ولو بوجه (قوله فنفيها أبلغ) أى لانها نكرة فى سياق النفى فتعم (قوله ولكنى رسول) قد وقع الاستدراك أحسن موقع لكونه وقع بين ضدين نفى الضلالة المتوهم ثبوتها وثبوت الرسالة المتوهم نفيها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله رسالات ربى) الجمع باعتبار تعدد الازمنة أو المراد بالرسالات المرسل بها التى هى الاحكام (قوله وأنصح لكم) النصح يتعدى بنفسه وباللام وهو ارادة الخير للغير كما يريده لنفسه (قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى من الاحكام التى تأتيه عن الله أو من العذاب الذى يحل بهم ان لم يؤمنوا (قوله أكذبتم) أشار بذلك الى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله موعظة) أى تخوفكم من عذاب الله ان لم تؤمنوا (قوله لينذركم) علة للمجىء وقوله ولتتقوا مرتب على الانذار وقوله ولعلكم ترحمون مرتب على التقوى فهذا الترتيب فى أحسن البلاغة وعبر فى جانب الرحمة بالترجى اشارة الى أن الرحمة أمرها عزيز لا تنال بالعمل بل بفضل الله (قوله العذاب) قدره اشارة الى أن مفعول ينذر محذوف (قوله ولتتقوا الله) قدره اشارة الى أن مفعول تتقوا محذوف أيضا (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله والذين معه) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة أولاده الثلاثة سام وهو أبو العرب وحام وهو أبو السودان ويافث وهو أبو الترك وستة من غيرهم (قوله فى الفلك) يطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ووزن المفرد قفل والجمع أسد (قوله السفينة) وكان طولها ثلثمائة ذراع وسمكها الاثين ذراعا وعرضها خمسين وطبقاتها ثلاث السفلى للوحوش والدواب والوسطى للانس والعليا للطيور وركبها فى عاشر رجب واستوت على الجودى فى عاشر المحرم (قوله بآياتنا) أى الدالة على التوحيد وهى معجزات نوح (قوله عمين) أصله عميين حذفت الياء الاولى تخفيفا وهو جمع عم يقال لاعمى البصيرة وأما عميان فجمع أعمى يقال لاعمى البصر (قوله والى عاد) جرت عادة الله فى كتابه انه اذا كان للرسل اليهم اسم ذكرهم به والا عبر بقوله قومه وقدر المفسر أرسلنا اشارة الى ان أخاهم معطوف على نوحا والعامل فيه أرسلنا المتقدم والجار والمجرور معطوف على قوله الى قومه فتكون الواو عاطفة عطف قصة على قصة وهكذا يقال فى باقى القصص (قوله الاولى) يحترز به عن عاد الثانية فانهم قوم صالح (قوله أخاهم هودا) سمى أخاهم لانه من جنسهم واجتمع معهم فى جد لان عاد بن عوص بن ارم بن سام ابن نوح فسميت القبيلة باسم جدهم وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هو ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح فعلى الاول قد اجتمع معهم فى عاد وعلى الثانى لا وانما اجتمع معهم فى سام وكان بين هود ونوح ثمانمائة سنة وبين القبيلتين مائة سنة وعاش أربعمائة وأربعا وستين سنة وعاد يجوز صرفه باعتبار كونه اسما للحى ومنعه باعتبار كونه اسما للقبيلة وهذا من حيث العربية وأما فى القرآن فلم يقرأ الا بالصرف (قوله قال ياقوم) فى قصة نوح أتى بالفاء لانه كان مبادرا فى دعوتهم الى الله غير متوان كما حكى فى سورة نوح قال تعالى قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا بخلاف هود (قوله مالكم من اله غيره) أى لانه الخالق للعالم المتصرف فيه (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة

اعبدوا الله مالكم من اله غيره) بالجر صفة لاله والرفع بدل من محله (انى أخاف عليكم) ان عبدتم غيره (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (قال الملأ) الاشراف (من قومه انا لنراك فى ضلال مبين) بين (قال ياقوم ليس بى ضلالة) هى أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه (ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم) بالتخفيف والتشديد (رسالات ربى وأنصح) أريد الخير (لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون أ) كذبتم (وعجبتم أن جاءكم ذكر) موعظة (من ربكم على لسان (رجل منكم لينذركم) العذاب ان لم تؤمنوا (ولتتقوا) الله (ولعلكم ترحمون) بها (فكذبوه فأنجيناه والذين معه) من الغرق (فى الفلك) السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (انهم كانوا قوما عمين) عن الحق (و) أرسلنا (الى عاد) الاولى (أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله غيره أفلا تتقون) تخافونه فتؤمنون (قال الملأ

الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة) جهالة (وانا لنظنك من الكاذبين) في رسالتك (قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) مأمون على الرسالة (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على) لسان (رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء) في الارض (من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) قوة وطولا وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين (فاذكروا آلاء الله) نعمه (لعلكم تفلحون) تفوزون (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر) نترك (ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا) به من العذاب (ان كنت من الصادقين) في قولك (قال قد وقع) وجب (عليكم من ربكم رجس) عذاب (وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها) أي سميتم بها (أنتم وآباؤكم) أصناما تعبدونها (ما نزل الله بها) أي بعبادتها (من سلطان) حجة وبرهان (فانتظروا) العذاب (اني معكم من المنتظرين) ذلك بتكذيبكم لي فأرسلت عليهم الريح العقيم (فأنجيناه) أي هودا (والذين معه) من المؤمنين (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أي استأصلناهم (وما كانوا مؤمنين) عطف على كذبوا (و) أرسلنا (الى ثمود) بترك الصرف مرادا به القبيلة (أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة) معجزة (من ربكم) على صدقي (هذه ناقة الله لكم آية) حال عاملها معنى الاشارة وكانوا سألوه أن يخرجها لهم

على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التفكر في مصنوعات الله فلا تتقون (قوله الذين كفروا) صفة للملا كاشفة لان هذه المقالة لا تقع من مؤمن ولذا تركت من قصة نوح لان ملأه كانوا كلهم (قوله انا لنراك) رأى هنا علمية فمفعولها الاول الكاف والثاني متعلق الجار والمجرور (قوله في سفاهة) الحكمة في تعبير قوم هود بالسفاهة وقوم نوح بالضلال ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وجعل يصنع الفلك نسبوه للضلال حيث أتعب نفسه في عمل سفينة في أرض لا ماء بها ولا طين وهود لما نهاهم عن عبادة الاصنام التي سموها صمودا وصمدا وهبا نسبوه من بعدها للسفه فخاطبوه بمثل ما خاطبهم به (قوله ولكني رسول) تقدم أن مثل هذا الاستدراك وقع أحسن موقع لكونه وقع بين ضدين (قوله أبلغكم) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله وأنا لكم ناصح) الحكمة في تعبير هود بالجملة الاسمية ونوح بالجملة الفعلية ان هودا كان نصحه لهم مع التراخي ومعلوم أن ذلك يدل عليه بالجملة الاسمية ونوح كان مكرر النصح وذلك يدل عليه بالجملة الفعلية لان الفعل للتجدد (قوله مأمون على الرسالة) أي فلا أزيد ولا أنقص (قوله أوعجبتم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أكذبتموني وعجبتم (قوله ذكر) أي موعظة تخوفكم من عذاب الله (قوله اذ جعلكم خلفاء) اذ ظرف معمول لاذكروا أي اذكروا وقت جعلكم والمقصود ذكر النعمة لا ذكر وقتها (قوله بسطة) بالسين والصاد قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد (قوله قوة وطولا) أي ومالا (قوله مائة ذراع الخ) الذي قاله المحلي في سورة الفجر ان طويلهم كان أربعمائة ذراع بذراع نفسه وفي رواية خمسمائة ذراع وقصيرهم ثلثمائة ذراع وكان رأس الواحد منهم قدر القبة العظيمة وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع (قوله آلاء الله) جمع الى بكسر الهمزة وضمها كحمل وقفل أو بكسر ففتح كضلع أو بفتحتين كقفا (قوله تفوزون) أي برضا الله وزيادة النعم لان شكر النعم مما يديمها ويزيدها (قوله قالوا أجئتنا) أي جوابا لنصحه لهم (قوله وجب) أي حق وثبت والتعبير بالماضي اشارة الى أنه واقع لا محالة (قوله وغضب) عطف سبب على مسبب (قوله في أسماء) أي مسميات (قوله أصناما) قدره اشارة الى مفعول سميتموها الثاني (قوله فأرسلت عليهم الريح العقيم) وكانت باردة ذات صوت شديد لا مطر فيها وكان وقت مجيئها في عجز الشتاء وابتداؤها صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام فأهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم بأن رفعت ذلك في الجو فمزقته وفي رواية بعث الله عز وجل الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها بادروا الى البيوت فدخلوها وأغلقوا الابواب فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلتهم الى البحر فألقتهم فيه وقيل ان الله تعالى أمر الريح فأمالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر (قوله والذين معه) أي وكانوا أشرذمة قليلة يكتمون ايمانهم وسبب نجاتهم أنهم دخلوا في حظيرة فصار يدخل عليهم من الريح ما يلتذون به ثم بعد ذلك أتوا مكة مع هود فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (قوله أي استأصلناهم) أي لم نبق منهم أحدا (قوله عطف على كذبوا) أي وفائدته وان علم منه الاشارة الى أن الله علم عدم ايمانهم وأنهم لو بقوا ما آمنوا أي فلا تحزن عليهم أيها السامع (قوله والى ثمود) تقدم أنه معطوف على قوله لقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة وثمود قيل تسموا باسم جدهم ثمود بن عابر بن سام بن نوح (قوله بترك الصرف) أي للعلمية والتأنيث ولو أريد به الحي لصرف (قوله أخاهم) أي في النسب لانه ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود المتقدم وكان بين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله صالحا) بدل من أخاهم أو عطف بيان عليه (قوله ما لكم من اله غيره) علة لقوله اعبدوا الله وقوله قد جاءتكم علة لمحذوف والتقدير امتثلوا ما أمرتكم به لانه قد جاءتكم بينة على صدقي (قوله هذه ناقة الله لكم آية) كلام مستأنف

بيان للمعجزة والاضافة للتشريف واسم الاشارة مبتدأ وناقة الله خبر ومضاف اليه ولكم جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من آية لانه نعت نكرة تقدم عليها أو خبر ثان وآية حال والعامل فيها محذوف تقديره أشير وقد أشار له المفسر بقوله حال عاملها معنى الاشارة وهذا القول وقع من صالح بعد نصحهم كما قال تعالى في سورة هود هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها الآيات (قوله من صخرة عينوها) وكان يقال لها الكاثبة وكانت منفردة في ناحية الجبل فقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على شكل البخت وتكون عشراء جوفاء وبراء أي ذات جوف واسع ووبر وصوف فدعا الله فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى فعند ذلك ولدت ولدا مثلها في العظم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى وتشرب الى أن عقروها (قوله فذروها تأكل) مرتب على كونها آية من آيات الله (قوله تأكل في أرض الله) أي وتشرب (قوله فيأخذكم) بالنصب في جواب النهي والتعقيب ظاهر لانهم لم يلبثوا الا ثلاثة أيام رأوا فيها أمارات العذاب كما يأتي في سورة هود (قوله عذاب أليم) أي مؤلم (قوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء) تذكير لهم بنعم الله التي أنعمها عليهم (قوله في الارض) قدره المفسر اشارة الى أن في الآية الحذف من الاول لدلالة الثاني عليه (قوله وبوأكم في الارض) أي أرض الحجر بكسر الحاء مكان بين الحجاز والشام (قوله تتخذون) أي تعملون وتصنعون واتخذ يصح أن يكون متعديا لواحد فمن سهولها متعلق باتخذ أو لاثنين فمن سهولها متعلق بمحذوف مفعول ثان (قوله من سهولها) جمع سهل وهو المكان المتسع الذي لا جبل به ومن بمعنى في أي تصنعون في الارض السهلة القصور ويصح أن تكون من للابتداء أي تتخذون من السهول أي الاراضي اللينة القصور أي طوبها وآجرها والاقرب الاول وسميت القصور بذلك لقصر أيدي الفقراء عن تحصيلها (قوله وتنحتون الجبال بيوتا) يصح أن يكون المعنى على اسقاط الخافض أي من الجبال وبيوتا مفعول تنحتون ويصح أن تكون الجبال مفعولا به وبيوتا حالا مقدرة كما قال المفسر لان الجبال لا تصير بيوتا الا بعد نحتها وهو وان كان جامدا الا أنه مؤول بالمشتق أي مساكن (قوله مفسدين) حال مؤكدة لعاملها لان العثو هو الفساد (قوله تكبروا) أشار بذلك الى أن السين زائدة (قوله عن الايمان به) أي بصالح (قوله بدل مما قبله باعادة الجار) أي بدل كل من كل ان كان الضمير في منهم عائدا على القوم ويكون جميع المستضعفين آمنوا أو بدل بعض من كل ان كان الضمير عائدا على المستضعفين ويكون بعض المستضعفين آمنوا والله أعلم بحقيقة الحال (قوله أتعلمون) مقول قول المستكبرين (قوله قالوا نعم) قدره المفسر اشارة الى أن هذا أحق الجواب وانما عدلوا عنه مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ايمانهم وتنبيها على أن رسالته واضحة لا تخفى فلا ينبغي السؤال عنها فهذا الجواب تبكيت لهم (قوله قال الذين استكبروا) اظهار في محل الاضمار تبكيتا لهم (قوله انا بالذي آمنتم) لم يقولوا انا بما أرسل به اظهارا لمخالفتهم اياهم وتعنتا وعنادا (قوله وكانت الناقة لها يوم في الماء) أي فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب جميع ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تملأ أوانيهم فيشربون ويدخرون (قوله فعقروا الناقة) أي في يوم الاربعاء فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون في اليوم الثاني ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة فأصبحوا يوم الخميس قد اصفرت وجوههم فأيقنوا بالعذاب ثم احمرت في يوم الجمعة فازداد خوفهم ثم اسودت يوم السبت فتهيؤا للهلاك فأصبحوا يوم الاحد وقت الضحى فحنطوا أنفسهم وتحنطوا كما يفعل بالميت وألقوا بأنفسهم الى الارض فلما اشتد الضحى أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت في ذلك الوقت كل شئ له صوت مما في الارض ثم زلزلت بهم الارض حتى هلكوا جميعا وأما ولد الناقة فقيل انه هرب لما انفجرت له الصخرة التي خرجت منها أمه فدخلها وانطبقت عليه وقال بعض المفسرين انه الدابة التي تخرج يوم القيامة وقيل انهم أدركوه فذبحوه

من صخرة عينوها (فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء) بعقر أو ضرب (فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء) في الارض (من بعد عاد وبوأكم) أسكنكم (في الارض تتخذون من سهولها قصورا) تسكنونها في الصيف (وتنحتون الجبال بيوتا) تسكنونها في الشتاء ونصبه على الحال المقدرة (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه) تكبروا عن الايمان به (للذين استضعفوا لمن آمن منهم) أي من قومه بدل مما قبله باعادة الجار (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) اليكم (قالوا) نعم (انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون) وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم فملوا ذلك (فعقروا الناقة)

(قوله عقرها قدار) أي ابن سالف وكان رجلا أحمر أزرق العينين قصيرا وكان ابن زانية ولم يكن لسالف وهو أشقى الاولين كما ورد في الحديث (قوله بأن قتلها بالسيف) أي فالمراد بالعقر النحر ففيه اطلاق السبب على المسبب لان العقر ضرب قوائم البعير أو الناقة لتقع فتنحر (قوله وقالوا يا صالح) أي على سبيل التهكم والاستهزاء (قوله بما تعدنا به) قدره اشارة الى أن العائد محذوف وكان الاولى أن يقدر ضمير نصب بأن يقول تعدناه لئلا يلزم حذف العائد المجرور بالحرف من غير اتحاد متعلقهما (قوله فأخذتهم الرجفة) أي بعد مضي ثلاثة أيام والتعقيب ظاهر لان الثلاثة أيام مقدمات الهلاك (قوله والصيحة من السماء) أشار بذلك الى أن في الآية اكتفاء لان عذابهم كان بهما معا (قوله في دارهم) أي أرضهم فالمراد بها الجنس (قوله فتولى عنهم) أي بعد أن هلكوا وماتوا توبيخا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم ما أنت بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون وقيل خاطبهم قبل موتهم وقت ظهور العلامات فيهم وعليه يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (قوله واذكر) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقدره ولم يقدر أرسلنا مع أنه يكون موافقا لما قبله وما بعده لانه يوهم أن وقت الارسال قال لقومه ما ذكر مع أنه ليس كذلك بل أمرهم أولا بالتوحيد ثم بين لهم فروع شريعته ولوط بن هاران أخي ابراهيم الخليل عليهما السلام وكان ابراهيم ولوط ببابل بالعراق فهاجرا الى الشام فنزل ابراهيم بأرض فلسطين ونزل لوط بالاردن وهي قرية بالشام فأرسله الله تعالى الى أهل سدوم بالذال المعجمة على وزن رسول وهي بالحمص (قوله أتأتون الفاحشة) استفهام توبيخ وتقريع لانها من أعظم الفواحش ولذا كان حدها عند أبي حنيفة الرمي بشاهق جبل وعند مالك الرجم مطلقا فاعلا أو مفعولا أحصنا أو لم يحصنا (قوله ما سبقكم الخ) تأكيد الانكار عليهم لان مباشرة القبيح قبيحة واختراعه أقبح (قوله الانس والجن) أي وجميع البهائم بل هذه الفعلة لم توجد في أمة الا في قوم لوط وفساق هذه الامة المحمدية وكان قوم لوط يتباهون بالضراط في المجالس أيضا كما قال تعالى وتأتون في ناديكم المنكر وهو فاحشة عظيمة أيضا (قوله بتحقيق الهمزتين) حاصل ما أفاده المفسر أن القراآت أربع تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية من غير ادخال ألف بين الهمزتين أو بادخالها ولكن الحق أن ادخال الالف بين الهمزتين المحققتين غير سبعية وانما هي لهشام وبقي قراءة سبعية أيضا وهي بهمزة واحدة على الخبر المستأنف بيانا لتلك الفاحشة وهي لنافع وحفص عن عاصم فتحصل أن القراآت خمس أربع سبعية وواحدة غير سبعية (قوله شهوة) أي لاجل الشهوة (قوله من دون النساء) اما حال من الرجال أو من الواو في تأتون وحكمة التوبيخ على هذا الفعل القبيح أن الله تعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة والنسل فاذا ترك من الانسان فقد عدل عما أحل له وتجاوز الحد لوضعه الشيء في غير محله لان الادبار ليست محلا للولادة التي هي المقصودة بالذات (قوله وما كان جواب قومه) القراء على نصب جواب خبر الكان واسمها أن وما دخلت عليه وقرأ الحسن بالرفع اسم كان وأن وما دخلت عليه خبرها وما مشى عليه الجماعة أفصح عربية لان الاعرف وقع اسما والواو هنا للتعقيب لوقوعها بدل الفاء في النمل والعنكبوت لان جوابهم لم يتأخر عن نصيحته والمراد أنه لم يقع منهم جواب عن نصحه وموعظته فلا ينافي أنهم زادوا في الجواب من الكلام القبيح (قوله من قريتكم) أي سدوم (قوله انهم أناس يتطهرون) قالوا ذلك استهزاء (قوله فأنجيناه وأهله) أي ابنتيه لانه لم ينج من العذاب الا هو وبنتاه لاعلامهم ما به فخرج لوط من أرضه وطوى الله له الارض في وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم وسيأتي تمام القصة في سورة هود وانما ذكرت هنا اختصارا (قوله الباقين في العذاب) أي لان الغبور من باب قعد يستعمل بمعنى البقاء في الزمان المستقبل وبمعنى المضي في الزمان الماضي والمراد الاول (قوله وأمطرنا) يقال غالبا

عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف (وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا) به من العذاب على قتلها (ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة من الارض والصيحة من السماء (فأصبحوا في دارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (فتولى) أعرض صالح (عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين و) اذكر (لوطا) ويبدل منه (اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) أي أدبار الرجال (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) الانس والجن (أئنكم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال الالف بينهما على الوجهين (لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون) متجاوزون الحلال الى الحرام (وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم) أي لوطا وأتباعه (من قريتكم انهم أناس يتطهرون) من أدبار الرجال (فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا)

هو وحجارة السجيل فأهلكناهم (فانظر ٧٠ كيف كان عاقبة المجرمين و) أرسلنا (إلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله

مالكم من إله غيره قد
جاءتكم بينة) معجزة
(من ربكم) على صدقي
(فأوفوا) أتموا (الكيل
والميزان ولا تبخسوا)
تنقصوا (الناس أشياءهم
ولا تفسدوا في الأرض)
بالكفر والمعاصي (بعد
إصلاحها) ببعث الرسل
(ذلكم) المذكور (خير
لكم إن كنتم مؤمنين)
مريدي الإيمان فبادروا
إليه (ولا تقعدوا بكل
صراط) طريق (توعدون)
تخوفون الناس بأخذ
ثيابهم أو المكس منهم
(وتصدون) تصرفون
(عن سبيل الله) دينه (من
آمن به) بتوعدكم إياه
بالقتل (وتبغونها)
تطلبون الطريق (عوجا)
معوجة (واذكروا إذ كنتم
قليلا فكثركم وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين)
قبلكم بتكذيبهم رسلهم أي
آخر أمرهم من الهلاك
(وإن كان طائفة منكم آمنوا
بالذي أرسلت به وطائفة لم
يؤمنوا) به (فاصبروا)
انتظروا (حتى يحكم الله
بيننا) وبينكم بإنجاء المحق
وإهلاك المبطل (وهو
خير الحاكمين) أعدلهم
(قال الملأ الذين استكبروا
من قومه) عن الإيمان
(لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا معك من
قريتنا أو لتعودن) ترجعن
(في ملتنا) ديننا وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيبا لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه أجاب (قال أ) نعود فيها

في رحمة مطر وفي العذاب أمطر وتقدم أن كل هو متعد بنصب المفعول (قوله هو حجارة السجيل) أي وكانت
معجونة بالكبريت والنار وهلكوا أيضا بالخسف قال تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وورد أن جبريل
رفع مدائنهم إلى السماء وكانت خمسة واستعطاها مقلوبة إلى الأرض وأمطر عليهم الحجارة متتابعة في النزول
عليها اسم كل من يرمى بها وقيل إن الحجارة لمن كان مسافرا منهم والخسف لمن كان في المدائن (قوله فانظر)
الخطاب لكل سامع يتأتى منه النظر والتأمل ليحصل الاعتبار بما وقع لهؤلاء القوم (قوله وإلى مدين)
معطوف على قوله لقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة ولذا قدر المفسر أرسلنا ومدين اسم قبيلة شعيب
واسم لقريته أيضا بينها وبين مصر ثمانية مراحل سميت باسم أبيهم مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام
وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل فشعيب أخوهم في النسب وليس من أنبياء بني
إسرائيل وقوله شعيبا بدل من أخاهم أو عطف بيان عليه وأرسل شعيب أيضا إلى أصحاب الأيكة وهي شجر
ملتف بعضه ببعض بالقرب من مدين قال تعالى كذب أصحاب الأيكة المرسلين (قوله معجزة) لم تذكر تلك
المعجزة في القرآن وقيل المراد بها نفسه بمعنى أن أوصافه لا يمكن معارضتها وقيل المراد بها قوله فأوفوا
الكيل والميزان الخ بمعنى ما يترتب عليها من العز للطائع والذل والعقاب للمخالف (قوله فأوفوا الكيل والميزان)
أي وكان عادتهم نقص الكيل والميزان (قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم) هذا لازم لقوله فأوفوا الكيل
والميزان لأن الشخص إذا لم يوف الكيل والميزان لغيره فقد نقصه من الثمن وكذلك إذا استوفى الكيل
والميزان لنفسه فقد نقص الغير من الثمن (قوله بعد إصلاحها) ورد أنه قبل بعث شعيب لهم كانوا يعملون
المعاصي ويستحلون المحارم ويسفكون الدماء فلما بعث شعيب أصلح الله به الأرض وهكذا كل نبي بعث إلى
قومه (قوله مريدي الإيمان) جواب عما يقال إنهم لم يكونوا مؤمنين إذ ذاك (قوله فبادروا إليه) جواب
الشرط وما قبله) دليل الجواب (قوله بكل صراط) أي محسوس بدليل ما بعده (قوله تخوفون الناس)
قدره إشارة إلى أن مفعول توعدون محذوف (قوله بأخذ ثيابهم) ورد أنهم كانوا يجلسون على الطريق
ويقولون لمن يريد شعيبا إنه كذاب ارجع لا يفتنك عن دينك فإن آمنت به قتلناك (قوله من آمن) هذا
مفعول تصدون (قوله تطلبون الطريق) أي المعبر عنه بالسبيل وهو الطريق المعنوي الذي هو الدين
والمعنى تعدلوا عن الصراط المستقيم إلى الاعوجاج (قوله واذكروا إذ كنتم) إذ ظرف معمول لقوله اذكروا
أي اذكروا وقت كونكم قليلا الخ والمراد اذكروا تلك النعمة العظيمة (قوله قليلا) أي في العدة والعدد
والضعف وقوله فكثركم أي فزاد عددكم وقوتكم فكانوا أغنياء أقوياء ذا عدد كثير بوجود شعيب بينهم ولذا
لما فر موسى هاربا من فرعون نزل عند شعيب فطمنه وأمن روعه قال تعالى حكاية عن شعيب فقال لا تخف
نجوت من القوم الظالمين (قوله عاقبة المفسدين) أي وأقربهم إليكم قوم لوط فانظروا ما نزل بهم (قوله وطائفة
لم يؤمنوا) في الكلام الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه والتقدير وطائفة منكم لم يؤمنوا بالذي أرسلت به
(قوله فاصبروا) يجوز أن يكون الضمير للمؤمنين من قومه وأن يكون للكافرين منهم وأن يكون للفريقين
وهذا هو الظاهر فأمر المؤمنين بالصبر ليحصل لهم الظفر والغلبة والكافرين بالصبر لسوء عاقبة أمرهم وهو
نظير قوله تعالى فتربصوا إنا معكم متربصون (قوله وبينكم) لا حاجة له لأن الضمير عائد على شعيب وعليهم
والمعنى حتى يقضي الله بين الفريقين المؤمنين والكفار (قوله وهو خير الحاكمين) التعبير باسم
التفضيل باعتبار أنه الحاكم حقيقة وغيره حاكم مجازا ومن كان له الحكم بالأصالة والحقيقة خير ممن
كان له الحكم مجازا (قوله قال الملأ) أي جوابا لما قاله لهم (قوله يا شعيب) توسط النداء بين
المعطوف والمعطوف عليه زيادة في القباحة والشناعة منهم (قوله وغلبوا في الخطاب الجمع على
الواحد الخ) جواب عما يقال إن شعيبا لم يسبق له الدخول في ملتهم وإنما حمل المفسر على هذا الجواب
تفسيره العود بالرجوع وقال بعضهم إن عاد تأتي بمعنى صار وعلى هذا فلا إشكال ولا جواب (قوله وعلى
نحوه) أي التغليب (قوله أنعود فيها) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك

المحذوف

(أولو كنا كارهين) لها استفهام انكار (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون) ينبغى (لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) ذلك فيخذلنا (وسع ربنا كل شئ علما) أى وسع علمه كل شئ ومنه حالى وحالكم (على الله توكلنا ربنا افتح) احكم (بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) الحاكمين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) أى قال

بعضهم لبعض (لئن) لام قسم (اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن) مخففة واسمها محذوف أى كأنهم (لم يغنوا) يقيموا (فيها) فى ديارهم (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) التأكيد باعادة الموصول وغيره للرد عليهم فى قولهم السابق (فتولى) أعرض (عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) فلم تؤمنوا (فكيف آسى) أحزن (على قوم كافرين) استفهام بمعنى النفى (وما أرسلنا فى قرية من نبى) فكذبوه (الا أخذنا) عاقبنا (أهلها بالبأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض (لعلهم يضرعون) يتذللون فيؤمنون (ثم بدلنا) أعطيناهم (مكان السيئة) العذاب (الحسنة) الغنى والصحة (حتى عفوا) كثروا (وقالوا) كفرا للنعمة (قد مس آباءنا الضراء والسراء) كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة

من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى (فأخذناهم) بالعذاب (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئه قبله (ولو أن أهل القرى) المكذبين (آمنوا) بالله ورسلهم (واتقوا) الكفر والمعاصى (لفتحنا) بالتخفيف والتشديد (عليهم بركات من السماء) بالمطر (والأرض) بالنبات (ولكن كذبوا) الرسل (فأخذناهم) عاقبناهم (بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى) المكذبون (أن يأتيهم بأسنا) عذابنا (بياتا) ليلا (وهم نائمون) غافلون عنه (أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) نهارا

بمحذوف (قوله أولو كنا كارهين) الهمزة لانكار الوقوع وكلمة لو فى مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشئ فى زمن الماضى لانتفاء غيره فيه بل هى لمجرد الربط والمبالغة فى انتفاء العود والمعنى لا نعود ولو فى حال كوننا مختارين ولا مكرهين فتأمل (قوله ان عدنا فى ملتكم) شرط حذف جوابه لدلالة قوله قد افترينا عليه (قوله وما يكون لنا) أى لا يصح ولا يليق لنا أن نعود فيها فى حال من الاحوال الا فى حال مشيئة الله لنا (قوله الا أن يشاء الله ربنا) يصح أن يكون متصلا والمستثنى منه عموم الاحوال أو منقطعا وهذا الاستثناء محض رجوع الى الله وتفويض الامر اليه وقد جازاهم الله بان كفاهم شر أعدائهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر (قوله أى وسع علمه) أشار بذلك الى أن علما تمييز محول عن الفاعل (قوله وبين قومنا) أى الكفار وانما أعرض عن مكالمتهم ورجع لله متضرعا لما ظهر له من شدة عنادهم وتمنتهم فى كفرهم (قوله وقال الملأ الذين كفروا الخ) انما قال بعضهم لبعض هذه المقالة خوفا على بعضهم من الميل لشعيب حيث توعدوه بما تقدم فلم يبال بهم (قوله انكم اذا لخاسرون) أى فى الدنيا بفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وجملة انكم اذا لخاسرون جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (قوله فأخذتهم الرجفة) ذكر هنا وفى العنكبوت الرجفة وذكر فى سورة هود وأخذ الذين ظلموا الصيحة أى صيحة جبريل عليهم من السماء وجمع بينهما بان الرجفة فى المبدأ والصيحة فى الاثناء فتأمل وأما أهل الايكة فاهلكوا بالظلة كما سيأتى فى سورة الشعراء (قوله كأن لم يغنوا فيها) أى كأنهم لم يلبثوا فى ديارهم أصلا لانهم استؤصلوا بالمرة (قوله وغيره) أى وهو ضمير الفصل (قوله وقال يا قوم) ما تقدم من كون القول بعد هلاكهم أو قبله فى قصة صالح يجرى هنا (قوله فكيف آسى) أصله أأسى بهمزتين قلبت الثانية ألفا (قوله وما أرسلنا فى قرية من نبى) جملة مستأنفة قصد بها التعميم بعد ذكر بعض الامم بالخصوص وانما خص ما تقدم بالذكر لمزيد تعنتهم وكفرهم (قوله فكذبوه) قدره اشارة الى أن الكلام فيه حذف لان قوله الا أخذنا أهلها لا يترتب على الارسال وانما يترتب على التكذيب (قوله لعلهم يضرعون) أصله يتضرعون قلبت التاء ضادا وأدغمت فى الضاد وانما قرئ بالفك فى الانعام لاجل مناسبة الماضى فى قوله تضرعوا بخلاف ما هنا فجىء به على الاصل (قوله ثم بدلنا) أى استدراجا لهم (قوله العذاب) أى الفقر والمرض (قوله الغنى والصحة) لف ونشر مرتب (قوله كفرا للنعمة) أى وتكذيبا لانبيائهم (قوله وهذه عادة الدهر) هذا من جملة مقولهم (قوله فكونوا على ما أنتم عليه) هذا من جملة قول بعضهم لبعض (قوله فأخذناهم بغتة) مرتب على قوله وقالوا قد مس آباءنا الخ (قوله وهم لا يشعرون) أى لعدم تقدم اسبابه لهم وهذه الآية بمعنى آية الانعام قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ الآية (قوله ولو أن أهل القرى) جمع قرية والمراد جميع القرى المتقدم ذكرهم وغيرهم (قوله ورسلهم) أى أهل القرى وفى نسخة ورسله أى الله (قوله واتقوا) عطف على آمنوا عطف عام على خاص لان التقوى امتثال المأمورات ومن جملتها الايمان (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بركات) جمع بركة وهى زيادة الخير فى الشئ (قوله ولكن كذبوا) أى لم يؤمنوا ولم يتقوا (قوله بما كانوا يكسبون) أى بسبب كسبهم من الكفر والمعاصى (قوله أفأمن) الهمزة مقدمة من تأخير والفاء عاطفة على قوله فأخذناهم بغتة وما بينهما اعتراض وهذه طريقة الجمهور وعند الزمخشرى ان الهمزة داخلة على محذوف وما بعدها معطوف على ذلك المحذوف ولكنه فى هذا الموضع وافق الجمهور فى كشافه (قوله بياتا) حال من بأسنا

(وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله) استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أولم يهد) يتبين (للذين يرثون الأرض) بالسكنى (من بعد) هلاك (أهلها أن) فاعل مخففة واسمها محذوف أي أنه (لو نشاء أصبناهم) بالعذاب (بذنوبهم) كما أصبنا من قبلهم والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول عطفا بأو (و) نحن (نطبع) نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الموعظة سماع تدبر (تلك القرى) التي مر ذكرها (نقص عليك) يا محمد (من أنبائها) أخبار أهلها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات الظاهرات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم (بما كذبوا) كفروا به (من قبل) قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر (كذلك) الطبع (يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم) أي الناس (من عهد) أي وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق (وإن) مخففة (وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم) أي الرسل المذكورين (موسى بآياتنا) التسع (إلى فرعون وملئه) قومه (فظلموا) كفروا (بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) بالكفر من إهلاكهم (وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين) إليك فكذبه فقال أنا (حقيق) جدير (على أن) أي بأن (لا أقول على الله إلا الحق) وفي قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعده (قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي) إلى الشام (بني إسرائيل) وكان استعبدهم (قال) فرعون له (إن كنت جئت بآية) على دعواك (فأت بها إن كنت من الصادقين)

وجملة وهم نائمون حال من ضمير يأتيهم (قوله وهم يلعبون) أي يشتغلون بما لا يعنيهم (قوله مكر الله) المكر في الأصل الخديعة والحيلة وذلك مستحيل على الله وحينئذ فالمراد بالمكر أن يفعل بهم فعل الماكر بأن يستدرجهم بالنعم أولاً ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر (قوله للذين يرثون) أي وهم كل قوم جاؤوا بعد هلاك من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين والأمة المحمدية فإن كل فرقة من هؤلاء عرضة للإصابة بذنوبهم حيث شاء الله ذلك (قوله فاعل) أي المصدر المأخوذ منها ومن جواب لو هو الفاعل والتقدير أولم يتبين إصابتنا بالعذاب لو شئنا الإصابة (قوله لو نشاء) أي إصابتهم فمفعول نشاء محذوف (قوله في المواضع الأربعة) أي وأولها أفأمن أهل القرى وآخرها أولم يهد فاثنان بالفاء واثنان بالواو (قوله الداخلة) أي الهمزة وقوله عليهما أي الفاء والواو (قوله في الموضع الأول) أي من موضعي الواو (قوله ونطبع) قدر المفسر نحن إشارة إلى أنه مستأنف منقطع عما قبله (قوله تلك القرى نقص) اسم الإشارة مبتدأ والقرى بدل أو عطف بيان ونقص خبره (قوله التي مر ذكرها) أي وهي قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (قوله من أنبائها) أي بعض أخبارها وما وقع لها (قوله ليؤمنوا) اللام زائدة لتوكيد النفي (قوله عند مجيئهم) أي الرسل (قوله قبل مجيئهم) أي بالمعجزات بعد إرسالهم إلى الخلق (قوله أي الناس) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها ويصح أن الضمير عائد على الأمم فيكون بينهما ارتباط (قوله وإن وجدنا) أي علمنا فأكثر مفعول أول وفاسقين مفعول ثان واللام فارقة والمراد [illegible] أي الخروج بين أحد (قوله لفاسقين) أي خارجين عن طاعتنا بترك الوفاء بالعهد (قوله أي الرسل المذكورين) أي وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب (قوله موسى) وعاش مائة وعشرين سنة وبينه وبين يوسف أربعمائة سنة وبين موسى وإبراهيم سبعمائة سنة (قوله التسع) أي وهي العصا واليد البيضاء والسنون المجدبة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وكلها مذكورة في هذه السورة إلا الطمس ففي سورة يونس قال تعالى ربنا اطمس على أموالهم (قوله إلى فرعون) هذا لقبه واسمه الوليد بن مصعب بن الريان ففرعون في الأصل علم شخص ثم صار لقبا لكل من ملك مصر في الجاهلية وعاش من العمر ستمائة وعشرين سنة ومدة ملكه أربعمائة سنة لم ير مكروها قط وكنيته أبو مرة وقيل أبو العباس وهو فرعون الثاني وفرعون الأول أخوه واسمه قابوس بن مصعب ملك العمالقة وفرعون إبراهيم النمرود وفرعون هذه الأمة أبو جهل (قوله فظلموا بها) ضمن ظلموا معنى كفروا فعداه بالباء ويصح أن تكون الباء سببية والمفعول محذوف تقديره ظلموا أنفسهم بسببها أي بسبب تكذيبهم بها (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف اسم استفهام خبر كان مقدم عليها وعاقبة اسمها وإنما قدم لأن الاستفهام له الصدارة (قوله وقال موسى) تفصيل لما أجمل أولاً لأن التفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس وهذا القول وما بعده إنما وقع بعد كلام طويل حكاه الله في سورة الشعراء بقوله تعالى فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين الآيات وقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين الآيات وفي طه أيضاً (قوله فكذبه) قدره إشارة إلى أن جملة حقيق مرتبة على محذوف (قوله حقيق) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله أنا (قوله أي بأن) أشار بذلك إلى أن على بمعنى الباء (قوله إلا الحق) مقول القول وهو مفرد في معنى الجملة ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق تقديره إلا القول الحق (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً (قوله مبتدأ) أي وسوغ الابتداء به العمل في الجار والمجرور وهو على متعلق بحقيق (قوله وأرسل معي إلى الشام) أي وسبب سكناهم بمصر مع أن أصلهم من الشام أن الأسباط أولاد يعقوب [illegible] بمصر [illegible] وتناسلوا بها إلى أن ملكهم فرعون استعبدهم واستعملهم في الأعمال الشاقة فطلب موسى أن يخلصهم من ذلك الأسر (قوله استعبدهم) أي جعلهم عبيداً أرقاء وسخرهم في الأعمال الشاقة (قوله إن كنت من

الصادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله ثعبان مبين) الثعبان ذكر الحيات وصفت هنا بكونها ثعبانا وفي آية أخرى كأنها جان والجان الحية الصغيرة ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وروي أنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاتحة فها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب هاربا وأحدث أي تغوط في ثيابه بحضرة قومه في ذلك اليوم أربعمائة مرة واستمر معه هذا المرض وهو الاسهال الى أن غرق مع كونه كان لايتغوط الا في كل أربعين يوما مرة وقيل انها أدخلت قبة القصر بين أنيابها وحملت على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها بيده فعادت كما كانت (قوله ونزع يده) أي اليمنى (قوله ذات شعاع) أي نور يغلب على ضوء الشمس (قوله من الادمة) أي السمرة (قوله وفي الشعراء انه) أي هذا القول (قوله فكأنهم قالوه معه) هذا بيان لوجه الجمع بين ماهنا وبين مايأتي في الشعراء (قوله فماذا تأمرون) يصح أن يكون من كلام فرعون ويكون معناه تشيرون ويصح أن يكون من كلام الملا والجمع للتعظيم على عادة خطاب الملوك والاول أقرب (قوله أرجئه) فيه ست قراآت سبعية ثلاثة مع الهمزة وهي كسر الهاء من غير اشباع وضمها مع الاشباع وعدمه وثلاث من غير همز وهي اسكان الهاء وكسرها باشباع وبدونه (قوله وأرسل في المدائن) أي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة بأقصى صعيد مصر (قوله وفي قراءة سحار) أي بالامالة وتركها فتكون القراآت ثلاثا وكلها سبعية (قوله فجمعوا) أي وكانوا اثنين وسبعين وقيل اثني عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل ثمانين ألفا وقيل بضعا وثمانين ألفا (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) كلامه يفيد أن هنا قراءتين فقط مع أنها أربع فكان عليه أن يقول وادخال ألف بينهما وتركه وبقيت خامسة وهي ان بهمزة واحدة (قوله قال نعم) أي لكم الاجر (قوله وانكم لمن المقربين) أي في المنزلة عندي بحيث تكونون أول من يدخل عندي وآخر من يخرج (قوله قالوا ياموسى الخ) اما أن يكون ذلك تأدبا من السحرة مع موسى وقد جوزوا عليه بالايمان والنجاة من النار واما أن يكون ذلك على عادة أهل الصنائع أو عدم مبالاة بموسى لاعتمادهم على غلبتهم (قوله اما أن تلقي الخ) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لمحذوف تقديره اختر اما الالقاء أو القاءك (قوله أمر للاذن) جواب عما يقال كيف أمرهم بالسحر وأقرهم عليه فأجاب بأن ذلك للتوصل الى اظهار الحق (قوله عن حقيقة ادراكها) أي عن ادراك حقيقتها (قوله بسحر عظيم) أي عند السحرة وفي باب السحر وان كان حقيرا في نفسه وذلك انهم ألقوا حبالا غلاظا وأخشابا طوالا وطلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك الاخشاب الزئبق أيضا فلما أثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل الناس أنها حيات وكانت سعة الارض ميلا في ميل وكانت الواقعة في اسكندرية فلما ألقى موسى عصاه بلغ ذنبها وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر فخروا لله ساجدين وقالوا لو كان ماصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وكانت حمل ثلثمائة بعير فعدمت بقدرة الله تعالى (قوله وأوحينا الى موسى) أي بعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيهم أوحى الله الى موسى على لسان جبريل حيث قال له كما في سورة طه قلنا لاتخف انك أنت الاعلى الآية (قوله تلقف) أي تأخذ وتبتلع بسرعة (قوله في الاصل) أي وأصلها تتلقف حذفت احدى التاءين تخفيفا وهذه قراءة الجمهور وفي قراءة بادغام التاء في التاء وفي قراءة تلقف من لقف كعلم فتكون القراآت ثلاثا وكلها سبعية (قوله

الصادقين) فيها (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) حية عظيمة (ونزع يده) أخرجها من جيبه (فاذا هي بيضاء) ذات شعاع (للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الادمة (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) فائق في علم السحر وفي الشعراء انه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور (يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجئه وأخاه) أخر أمرهما (وأرسل في المدائن حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر) وفي قراءة سحار (عليم) يفضل موسى في علم السحر فجمعوا (وجاء السحرة فرعون قالوا أئن) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا ياموسى اما أن تلقي) عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) ما معنا (قال ألقوا) أمر للاذن بتقديم القائهم توسلا به الى اظهار الحق (فلما ألقوا) حبالهم وعصيهم (سحروا أعين الناس) صرفوها عن حقيقة ادراكها (واسترهبوهم) خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى

(وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف) بحذف احدى التاءين في الاصل تبتلع

(ما يأفكون) يقلبون بتمويههم (فوقع الحق) ثبت وظهر (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر (فغلبوا) أى فرعون وقومه (هنالك وانقلبوا

صاغرين) صاروا ذليلين (وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر (قال فرعون آمنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا (به) بموسى (قبل أن آذن) أنا (لكم إن هذا) الذى صنعتموه (لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) ما ينالكم منى (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا إنا الى ربنا) بعد موتنا بأى وجه كان (منقلبون) راجعون فى الآخرة (وما تنقم) تنكر (منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا) عند فعل ما توعد به لئلا نرجع كفارا (وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون) له (أتذر) تترك (موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض) بالدعاء الى مخالفتك (ويذرك وآلهتك) وكان صنع لهم أصناما صغارا يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ولذا قال أنا ربكم الأعلى (قال سنقتل) بالتشديد والتخفيف (أبناءهم) المولودين (ونستحيى) نستبقى (نساءهم) كفعلنا بهم من قبل (وإنا فوقهم قاهرون) قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو اسرائيل (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) على أذاهم (إن الأرض لله يورثها) يعطيها (من يشاء من عباده والعاقبة) المحمودة (للمتقين) الله (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون) فيها (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين)

(قوله ما يأفكون) أى يكذبون فالافك الكذب (قوله بتمويههم) أى تزيينهم الباطل بصورة الحق (قوله وبطل ما كانوا يعملون) أى ظهر بطلانه (قوله هنالك) أى فى ذلك المكان وهو سكندرية (قوله وانقلبوا صاغرين) أى فرعون وقومه غير السحرة فانهم لم يصبهم صغار بل أصابهم العز الابدى بايمانهم بالله وحده (قوله ساجدين) حال من السحرة وقوله قالوا آمنا فى موضع الحال من الضمير فى ساجدين والتقدير قائلين فى حال سجودهم آمنا الخ (قوله رب موسى وهرون) بدل من رب العالمين أو عطف بيان أو نعت جىء به لدفع ايهام فرعون الناس أنه هو رب العالمين حيث قال للسحرة بأى تعنون فدفعوا ذلك بقولهم رب موسى وهرون (قوله بتحقيق الهمزتين) أى همزة الاستفهام والهمزة الزائدة فى الفعل وقوله وابدال الثانية أى فى الفعل وان كانت ثالثة فهى فاء الكلمة وفى قراءة سبعية أيضا بحذف همزة الاستفهام وفى قراءة بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وابدال الثالثة ألفا وفى قراءة بقلب الاولى واوا فى الوصل وتسهيل الثانية وقلب الثالثة ألفا فالقراآت أربع كلها سبعية (قوله قبل أن آذن لكم) أصله أأذن ابدلت الثانية ألفا على القاعدة المشهورة والمعنى أحصل منكم الايمان قبل حصول الاذن منى لا يليق منكم ذلك والفعل مضارع منصوب بأن (قوله ان هذا لمكر) أى حيلة وخديعة (قوله مكرتموه) أى تواطأتم عليه قبل مجيئكم الينا وقصد بذلك اللعين تثبيت القبط بهاتين الشبهتين اللتين ألقاهما عليهم وهما قوله ان هذا لمكر وقوله لتخرجوا منها أهلها (قوله ما ينالكم منى) قدره اشارة الى أن مفعول تعلمون محذوف (قوله لأقطعن أيديكم) هذا بيان لوعيده الذى توعدهم به وهل فعل ما توعدهم به أولا خلاف بل قال بعضهم انه لم يفعل بدليل قوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون (قوله من خلاف) الجار والمجرور فى محل نصب على الحال أى مختلفة (قوله بأى وجه كان) أى سواء كان بقتلك أولا وفى آية طه انما تقضى هذه الحياة الدنيا (قوله وما تنقم منا) أى تنكر منا فقوله الا أن آمنا أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول به لتنقم والمعنى وما تنكر منا الا ايماننا ويصح أن يكون المعنى وما تعيب بنا شيء من الاشياء الا لاجل ايماننا فيكون مفعولا لاجله (قوله لما جاءتنا) أى حين أتتنا من عنده (قوله عند فعل ما توعدنا) أى ما توعدنا به وهو التقطيع من خلاف والتصليب فى العبارة قلب (قوله لئلا نرجع كفارا) علة لقوله ربنا أفرغ علينا صبرا (قوله وتوفنا مسلمين) أى ثابتين على الدين الحق غير مغيرين ولا مبدلين (قوله وقال الملأ) أى المصرون على الكفر فانه حين آمنت به السحرة آمن من بنى اسرائيل ستمائة ألف (قوله ويذرك) معطوف على ليفسدوا والمعنى أتترك موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وليتركك وآلهتك والاستفهام انكارى والمعنى لا يليق ذلك (قوله وآلهتك) بالجمع فى قراءة الجمهور لانه جعل آلهة يعبدها قومه وجعل نفسه هو الاله الاعلى قال تعالى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى وقرئ شذوذا والهتك بتاء التأنيث لانه كان يعبد الشمس (قوله أصناما صغارا) أى على صور الكواكب (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله المولودين) أى الصغار (قوله ونستحيى نساءهم) أى للخدمة (قوله من قبل) أى قبل مولد موسى (قوله قال موسى لقومه) أى تسلية لهم (قوله استعينوا بالله) أى اطلبوا الاعانة منه سبحانه (قوله يورثها) الجملة حالية من لفظ الجلالة وقوله من يشاء مفعول ثان والمفعول الاول الهاء (قوله للمتقين الله) قدره اشارة الى أن مفعول المتقين محذوف (قوله قالوا أوذينا) أى بالقتل للاولاد واستبقاء النساء للخدمة (قوله من قبل أن تأتينا) أى بالرسالة وكان فرعون يستعملهم فى الاعمال الشاقة نصف النهار فلما بعث موسى وجرى بينهم ما جرى استعملهم جميع النهار وأعاد القتل فيهم (قوله كيف تعملون فيها) أى من الاصلاح والافساد (قوله ولقد) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله لقد أخذنا أى ابتلينا وهذا شروع فى تفصيل مبادى هلاك فرعون وقومه لتكذيبهم بالآيات البينات (قوله بالسنين) جمع سنة وهى العام

يجري مجرى جمع المذكر السالم في اعرابه بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا وتحذف نونه للاضافة ففي الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وبمثل اعرابه كحين (قوله بالقحط) أي احتباس المطر (قوله ونقص من الثمرات) أي اتلافها بالآفات (قوله فاذا جاءتهم الحسنة) أشار بذلك الى أنهم باقون في غيهم وضلالهم لم يتعظوا ولم ينزجروا واعماهم عليه (قوله أي نستحقها) أي بحولنا وقوتنا (قوله يطيروا) أصله يتطيروا أدغمت التاء في الطاء والتطير في الاصل أن يفرق المشئ بين القوم ويطير لكل واحد ما يخصه فيشمل النصيب الحسن والسيئ ثم غلب على الحظ والنصيب السيئ والحكمة في التعبير في جانب الحسنة باذا المفيدة التحقيق وتعريفها وفي جانب السيئة بان المفيدة للشك وتنكيرها الاشارة الى أن رحمة الله تغلب غضبه وانها سابقة منه سبحانه وتعالى وان لم يتأهل لها العبد بخلاف السيئة فصادرة منه نادرا ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (قوله ألا انما طائرهم) ألا أداة استفتاح يؤتى بها اعتناء بما بعدها للرد عليهم (قوله شؤمهم) أي عذابهم الذي تشاءموا به (قوله عند الله) أي لا عند موسى فليس له مدخل في ايجاد ذلك (قوله يأتيهم به) أي جزاء لاعمالهم السيئة (قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون) يفيد أن الاقل يعلم أن فرعون كاذب وموسى صادق وانما كفرهم عن عناد (قوله وقالوا) أي فرعون وقومه (قوله مهما تأتنا به الخ) مهما اسم شرط جازم وتأت فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها ونا مفعول ومن آية بيان لمهما وبه متعلق بتأت وضميرها راجع لمهما والسحرنا متعلق بتأتنا وبها متعلق بتسحرنا وقوله فما الفاء واقعة في جواب الشرط وما نافية ونحن مبتدأ أو بمؤمنين خبر مرفوع بواو مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بالياء التي جلبها حرف الجر الزائد والجملة في محل جزم جواب الشرط (قوله فدعا عليهم) قال سعيد بن جبير لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبي هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتمادي على الشر فتابع الله عليهم الآيات فأخذهم الله أولا بالسنين هو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبغى وعتا وان قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة ففعل الله بهم ما سيذكر (قوله فأرسلنا عليهم الطوفان) أي ماء من السماء والحال أن بيوت القبط مشتبكة ببيوت بني اسرائيل فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل شئ وركد ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا على الحرث ودام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فاستغاثوا بموسى فأزال الله عنهم المطر وأرسل الريح فجفف الارض وخرج من النبات ما لم ير مثله قط فقالوا هذا الذي جزعنا منه خير لنا لكنا لم نشعر فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني اسرائيل فأقاموا شهرا في عافية (قوله الى حلوق الجالسين) في كلام غيره الى حلوق القائمين ومن جلس غرق كما علمت (قوله والجراد) أي واستمر من السبت الى السبت يأكل زروعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وابتلي الجراد بالجوع فكانت لا تشبع ولم تصب بني اسرائيل فعظم الامر عليهم فضجوا من ذلك وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فأشار موسى بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت فأقاموا شهرا في عافية ثم رجعوا الى أعمالهم الخبيثة (قوله والقمل) مشى المفسر على أنه السوس أو نوع من القراد وقيل انه القمل المعروف بدليل قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم وقيل هو البراغيث فأكل ما أبقاه الجراد وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملا فاستمر ذلك سبعة أيام من السبت الى السبت فضجوا واستغاثوا الرفع عنهم ثم أقاموا شهرا في عافية ثم رجعوا الأخبث ما كانوا عليه (قوله والضفادع) جمع ضفدع كدرهم وزبرج (قوله فملأت بيوتهم وطعامهم) أي وكان الواحد منهم يجلس في الضفادع الى رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه وكان يملأ قدورهم ويطفئ نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فتركبه

بالقحط (ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) يتعظون فيؤمنون (فاذا جاءتهم الحسنة) الخصب والغنى (قالوا لنا هذه) أي نستحقها ولم يشكروا عليها (وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء (يطيروا) يتشاءموا (بموسى ومن معه) من المؤمنين (ألا انما طائرهم) شؤمهم (عند الله) يأتيهم به (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن ما يصيبهم من عنده (وقالوا) لموسى (مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) فدعا عليهم (فأرسلنا عليهم الطوفان) وهو ماء دخل بيوتهم ووصل الى حلوق الجالسين سبعة أيام (والجراد) فأكل زروعهم وثمارهم كذلك (والقمل) السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد (والضفادع) فملأت بيوتهم وطعامهم

(والدم) في مياههم (آيات مفصلات) ٧٦ مبينات (فاستكبروا) عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) العذاب (قالوا

ياموسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك) من كشف العذاب
عنا ان آمنا (لئن) لام قسم
(كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك ولنرسلن معك بني
اسرائيل فلما كشفنا) بدعاء
موسى (عنهم الرجز الى
أجل هم بالغوه اذا هم
ينكثون) ينقضون عهدهم
ويصرون على كفرهم
(فانتقمنا منهم فأغرقناهم
في اليم) البحر الملح (بأنهم)
بسبب أنهم (كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين)
لا يتدبرونها (وأورثنا
القوم الذين كانوا
يستضعفون) بالاستعباد
وهم بنو اسرائيل (مشارق
الارض ومغاربها التي
باركنا فيها) بالماء والشجر
صفة للارض وهي الشام
(وتمت كلمت ربك الحسنى)
وهي قوله ونريد أن نمن
على الذين استضعفوا في
الارض الخ (على بني
اسرائيل بما صبروا) على
أذى عدوهم (ودمرنا)
أهلكنا (ما كان يصنع
فرعون وقومه) من العمارة
(وما كانوا يعرشون) بكسر
الراء وضمها يرفعون من
البنيان (وجاوزنا) عبرنا
(ببني اسرائيل البحر فأتوا)
فمروا (على قوم يعكفون)
بضم الكاف وكسرها
(على أصنام لهم) يقيمون
على عبادتها (قالوا ياموسى
اجعل لنا الها) صنما نعبده (كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه (ان هؤلاء متبر) هالك ولبس
(ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها) معبودا وأصله أبغي لكم (وهو فضلكم على العالمين) في زمانكم بما ذكره في قوله

الضفادع فيكون عليه وكلما حتى لا يستطيع أن ينقلب الى شقه الآخر وورد أن الضفادع كانت برية فلما
أرسلها الله سمعت وأطاعت فجعلت تلقي نفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فأثابها الله بحسن
طاعتها برد الماء فصارت من حينها تسكن الماء ثم ضجوا وشكوا لموسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الآن
نتوب ولا نعود بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فدعا الله موسى فكشف الله عنهم ذلك
واستمروا شهرا في عافية ثم عادوا (قوله والدم) أي وكان أحمر خالصا فصارت مياههم كلها دما فما يستقون
من بئر ولا نهر الا وجدوه دما فأجهدهم العطش جدا حتى ان القبطية تأتي للمرأة من بني اسرائيل فتقول لها
اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الاناء دما حتى كانت القبطية تقول للاسرائيلية اجعليه في
فيك ثم مجيه في فيّ فتأخذه في فيها ماء واذا مجته في فيها صار دما واعترى فرعون العطش حتى انه ليضطر الى
مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار دما فمكثوا على ذلك سبعة أيام من السبت الى السبت فشكوا لموسى
ذلك فكشفه عنهم (قوله آيات) حال من الخمسة المذكورة (قوله مفصلات) أي مفرقات فكانت كل
واحدة تمكث سبعة أيام وبين كل واحدة وأخرى شهرا (قوله ولما وقع عليهم الرجز) هذا موزع على الخمسة
فكانوا كلما ضجوا قالوا هذه المقالة (قوله من كشف العذاب) بيان لما (قوله فلما كشفنا) أي في كل
واحدة من الخمس (قوله الى أجل هم بالغوه) أي وهو وقت اغراقهم (قوله فانتقمنا منهم) أي أردنا
الانتقام منهم لان الانتقام هو الاغراق فلا يحسن دخول الفاء بينهما (قوله مشارق الارض ومغاربها) أي
نواحيها وجميع جهاتها (قوله صفة للارض) فيه أنه يلزم عليه الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف
وهو أجنبي والاولى أن يكون صفة للمشارق والمغارب (قوله وهو الشام) الحامل له على هذا التفسير قوله
تعالى التي باركنا فيها وهذا الوصف لا يعين هذا المعنى بل يمكن تفسير الارض بأرض مصر كما هو السياق وقد
بارك الله فيها بالنيل وغيره ويؤيده قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى أن قال كذلك وأورثناها
قوما آخرين وكذلك آية الشعراء وقد اختار ما قلناه جملة من المفسرين وقال بعضهم المراد بمشارق الارض
الشام ومغاربها مصر فانهم ورثوا العمالقة في الشام وورثوا الفراعنة في مصر (قوله كلمت) ترسم هذه
بالتاء المجرورة لا غير وما عداها في القرآن بالهاء على الاصل (قوله بما صبروا) أي بسبب صبرهم
(قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أي أهلكنا وخربنا الذي كان يصنعه فرعون وقومه (قوله
وما كانوا يعرشون) هذا آخر قصة فرعون وقومه (قوله بكسر الراء وضمها) قراءتان سبعيتان (قوله
من البنيان) أي كصرح هامان وغيره من جميع ما أسسوه بأرض مصر (قوله وجاوزنا) شروع في
قصة بني اسرائيل وما وقع منهم من كفر النعمة والقبائح والمقصود من ذلك تسلية النبي صلى الله عليه وسلم
وتخويف أمته من أن يفعلوا مثل فعلهم (قوله عبرنا) العبر هو الانتقال من جانب لآخر لانتقالهم من
الجانب الشرقي للغربي (قوله بضم الكاف وكسرها) أي من بابي نصر وضرب وهما قراءتان سبعيتان
(قوله على أصنام لهم) قيل هي حجارة على صور البقر وقيل بقر حقيقة وكان هؤلاء القوم العاكفون من
الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم بعد ذلك (قوله قالوا ياموسى) القائل بعضهم لا جميعهم (قوله اجعل لنا
الها) قيل انهم مرتدون بهذه المقالة لقصدهم بذلك عبادة الصنم حقيقة وقيل ليسوا مرتدين بل هم جاهلون
جهلا مركبا لاعتقادهم ان عبادة الصنم بقصد التقرب الى الله تعالى لا تضرهم في الدين وعلى كل فهذه المقالة
في شرعنا ردة والجار والمجرور مفعول ثان والها مفعول أول وقوله كما لهم آلهة صفة لالها وما اسم
موصول ولهم صلتها وآلهة بدل من الضمير المستتر في لهم والتقدير اجعل لنا الها كالذي استقر لهم الذي هو
آلهة (قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه) جملة مستأنفة قصد بها توبيخهم وزجرهم (قوله ما هم فيه) أي من
الدين الباطل وهو عبادة الاصنام (قوله قال أغير الله) الاستفهام للانكار والتوبيخ (قوله أبغيكم) أي
أطلب وأقصد لكم (قوله وأصله أبغي لكم) أي فحذف الجار فاتصل الضمير (قوله وهو فضلكم) الجملة
حالية من لفظ الجلالة (قوله في زمانكم) أي بانجائكم واغراق عدوكم وانزال المن والسلوى عليكم

(و) اذكروا (اذ أنجيناكم) وفي قراءة أنجاكم (من آل فرعون يسومونكم) يكلفونكم ويذيقونكم (سوء العذاب) أشده وهو (يقتلون أبناءكم ويستحيون) يستبقون (نساءكم وفي ذلكم) الانجاء أو العذاب (بلاء) انعام أو ابتلاء (من ربكم عظيم) أفلا تتعظون فتنتهون عما قاتم (وواعدنا) بألف ودونها (موسى ثلاثين ليلة) نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهي ذو القعدة فصامها فلما تمت أنكر خلوف فيه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فيه كما قال تعالى (وأتممناها بعشر) من ذي الحجة (فتم ميقات ربه) وقت وعده بكلامه اياه (أربعين) حال (ليلة) تمييز (وقال موسى لأخيه هرون) عند ذهابه الى الجبل للمناجاة (اخلفني) كن خليفتي (في قومي وأصلح) أمرهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) بموافقتهم على المعاصي (ولما جاء موسى لميقاتنا) أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه (وكلمه ربه) بلا واسطة كلاما سمعه من كل جهة (قال رب أرني) نفسك (أنظر اليك قال لن تراني) أي لا تقدر على رؤيتي والتعبير به دون لن أرى يفيد امكان رؤيته تعالى (ولكن انظر الى الجبل) الذي هو أقوى منك (فان استقر) ثبت (مكانه فسوف تراني) أي تثبت لرؤيتي والا فلا طاقة لك (فلما تجلى ربه) أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم (للجبل جعله دكا)

وايس تفضيلهم على جميع العالمين فان أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الامم (قوله واذ أنجيناكم) هذا من كلام موسى فاسناد الانجاء اليه مجاز لكونه على يده وسببا فيه حيث ضرب بعصاه البحر فانفلق (قوله وفي قراءة أنجاكم) أي وهي ظاهرة فان الفاعل ضمير عائد على الله وهما قراءتان سبعيتان (قوله يسومونكم) من السوم وهو الاذاقة (قوله يقتلون ابناءكم) قدر المفسر هم اشارة الى أن يقتلون بيان ليسومونكم (قوله ويستحيون نساءكم) أي يبقونهم (قوله الانجاء أو العذاب) أشار بذلك الى أن اسم الاشارة يصح عوده على الانجاء ومعنى كونه بلاء انه يختبرهم هل يشكرون فيؤجروا أو يكفرون فيعاقبوا وعوده على العذاب ظاهر فالابتلاء كما يكون في الشر يكون في الخير قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالشكر على النعمة موجب لزيادتها كما أن الصبر على البلايا موجب لرضا الله قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قوله بألف ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الالف من المواعدة وهي مفاعلة من الجانبين فمن الله الامر ومن العبد القبول وعلى حذف الالف فالوعد من الله لا غير وهو ظاهر (قوله ثلاثين ليلة) انما عبر بالليالي دون الايام مع أن الصيام في الايام لان موسى كان صام تلك المدة ليلا ونهارا مواصلا وحرمة الوصال على غير الانبياء فعبر بالليالي لدفع توهم اقتصاره على صوم النهار فقط قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل اذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك بعود خرنوب وقيل أكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر (قوله أنكر خلوف فمه) أي كره رائحة فمه من أثر الصوم وهو بضم الخاء واللام معناه الرائحة (قوله وأتممناها) أي المواعدة المأخوذة من قوله وواعدنا (قوله أربعين حال) أي من ميقات (قوله وقال موسى) الواو لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا لان تلك الوصية كانت قبل ذهابه وصيامه (قوله وأصلح أمرهم) أي أمر بني اسرائيل ولا تغفل عنهم (قوله ولما جاء موسى لميقاتنا) قال أهل التفسير لما جاء موسى لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء فأنزل الله ظلة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا وأدناه ربه حتى سمع صريف الاقلام على الالواح وكلمه وكان جبريل معه فلم يسمع ذلك الكلام فاستحلى موسى كلام ربه فاشتاق الى رؤيته فقال رب أرني الخ (قوله أي للوقت) أي وكان يوم الخميس يوم عرفة فكلمه الله فيه وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر (قوله وكلمه ربه) أي أزال الحجاب عنه حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته لا أن الله أنشأ له الكلام لان الله سبحانه وتعالى دائما متكلم يستحيل عليه السكوت والآفة ولم يحصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة (قوله قال رب أرني) لما سمع الكلام هام واشتاق الى رؤية الذات فسأل الله أن يزيل عنه حجاب البصر كما أزال عنه حجاب السمع اذ لا فرق بين الحاستين فقد سأل جائزا لان كل من جاز سماع كلامه جازت رؤية ذاته (قوله نفسك) قدره اشارة الى أن مفعول أرني محذوف (قوله أنظر اليك) جواب الشرط ولا يقال ان الشرط قد اتحد مع الجواب لان المعنى هيئني لرؤيتك ومكني منها فان تفعل بي ذلك أنظر اليك (قوله قال لن تراني) أي لا طاقة لك على رؤيتي في الدنيا وهذا لا يقتضي أنها مستحيلة عقلا والا لما علقت على جائز وهو استقرار الجبل (قوله ولكن انظر الى الجبل) هذا من تنزلات الحق لموسى وتسلية له على ما فاته من الرؤية وهذا الجبل كان أعظم الجبال واسمه زبير (قوله الذي هو أقوى منك) أي فحجبه عن الرؤية بعدم طاقة الجبل على ذلك فضلا عن موسى (قوله أي ظهر من نوره) أي نور جلال عرشه وفي رواية أمر الله ملائكة السموات السبع بحمل عرشه فلما بدا نور عرشه انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى (قوله نصف أنملة الخنصر)

وفي رواية قدر منخر الثور وفي رواية قدر سم الخياط وفي رواية قدر الدرهم (قوله بالقصر والمد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستويا بالارض) أي بعد ان كان عاليا مرتفعا وقيل تفرق ستة أجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى وثلاثة بمكة ثبير وثور وحراء (قوله وخر موسى صعقا) أي سقط مغشيا عليه ذاهبا عن حواسه ولذا لا يصعق عند النفخة (قوله فلما أفاق) أي ردت حواسه له (قوله من سؤال مالم أومر به) أي وليس المراد أن طلب الرؤية معصية وانما هو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله في زماني) دفع بذلك ما يقال ان قبله من المؤمنين كثيرا من الانبياء والامم وفي القصص ان موسى عليه السلام كان بعد ما رجع من المكالمة لا يستطيع أحد أن ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته أنا لم أرك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجي بعدي فان المرأة لآخر أزواجها وورد أيضا أنه مكث زمنا طويلا لا يسمع كلام الناس تقذيا (قوله قال يا موسى) هذا تسلية له على مافاته من الرؤية (قوله أهل زمانك) دفع بذلك ما يقال ان من جملة الناس سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وابراهيم الخليل فيقتضي أنه مختار عليهم فأجاب بأن المراد بالناس أهل زمانه أنبياء أو غيرهم ولذلك كانت أنبياء بني اسرائيل يتعبدون بالتوراة (قوله بالجمع) أي باعتبار تعدد الاحكام الموحى بها (قوله والافراد) أي مرادا بها المعنى المصدري أي ارسالي وهما قراءتان سبعيتان (قوله وبكلامي) اسم مصدر بمعنى التكليم أي تكليمي اياك مباشرة بلا واسطة ويصح أن يراد بالكلام التوراة كما يقال للقرآن كلام الله يقال للتوراة أيضا كلام الله لانها أفضل كتاب أنزل من السماء بعد القرآن (قوله لانعمي) جمع نعمة ويجمع أيضا على نعم (قوله وكتبنا له في الالواح) أي وكان طول اللوح منها اثني عشر ذراعا وقيل عشرة على طول موسى والكاتب لها هو الله بلا واسطة (قوله من سدر الجنة) أي خشبها المسمى بالسدر والشاقق لها هو الله بلا واسطة (قوله أو زمرد) وقيل من ياقوتة حمراء (قوله سبعة أو عشرة) وقيل تسعة وقيل اثنان ويكون المراد بالجمع مافوق الواحد قال الربيع بن أنس نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها في سنة ولم يحفظها الا أربعة موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام وقال الحسن هذه الآية في التوراة بألف آية (قوله بدل) أي قوله موعظة وتفصيلا بدل من محل قوله من كل شئ وهو النصب وقوله لكل شئ متعلق بتفصيلا (قوله قبله قلنا مقدرا) أشار بذلك الى أن هذا المعمول معطوف على كتبنا (قوله بجد واجتهاد) أي لا بتراخ وكسل فان العلم لا يأتي الا للمجد المشتاق كان كسبيا أو وهبيا فلابد لمتعاطي العلم من الكد والتعب ومخالفة النفس قال بعضهم

بقدر الكد تكتسب المعالي * ومن طلب العلا سهر الليالي

تروم العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلي

وقال بعض العارفين جد بالروح والدنيا خليلي * كذا الاوطان كي تدرك سناه

وهذا الخطاب لموسى والمراد غيره لانه هو آخذها بقوة واجتهاد (قوله بأحسنها) أي بالاحوط منها لان فيها عزائم ورخصا وفاضلا ومفضولا وجائزا ومندوبا فأمر قومك بأخذوا بالاحوط لهابان يتبعوا العزائم ويتركوا الرخص وذلك كالقود والعفو والانتصار والصبر فالاخذ بالعفو أحسن من القود والصبر أحسن من الانتصار أو يقال ان اسم التفضيل ليس على بابه أي بحسنها والاضافة بيانية والمعنى يعملون بجميع مافيها (قوله ساريكم) الخطاب لموسى ومن تبعه فالكاف مفعول أول ودار مفعول ثان والمعنى أملككم اياها بدليل قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة (قوله وهي مصر) هذا هو الاقرب وقيل المراد بدار الفاسقين ديار عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح (قوله ليعتبروا بهم) أي ففي الآية اشارة الى أنهم ان خالفوا فعل بهم كما فعل بفرعون وقومه وهكذا كل ظالم فاجر ولو من المسلمين اذا بغى واعتدى وتكبر وتجبر يفعل معه ثم تصير دياره بلاقع فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويؤيده قوله تعالى

بالقصر والمد أي مدكوكا مستويا بالارض (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه لهول مارأى (فلما أفاق قال سبحانك) تنزيها لك (تبت اليك) من سؤال مالم أومر به (وأنا أول المؤمنين) في زماني (قال) تعالى له (يا موسى اني اصطفيتك) اخترتك (على الناس) أهل زمانك (برسالاتي) بالجمع والافراد (وبكلامي) أي تكليمي اياك (فخذ ما آتيتك) من الفضل (وكن من الشاكرين) لانعمي (وكتبنا له في الالواح) أي ألواح التوراة وكانت من سدر الجنة أو زبرجد أو زمرد سبعة أو عشرة (من كل شئ) يحتاج اليه في الدين (موعظة وتفصيلا) تبيينا (لكل شئ) بدل من الجار والمجرور قبله (فخذها) قبله قلنا مقدرا (بقوة) بجد واجتهاد (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين) فرعون وأتباعه وهي مصر ليعتبروا بهم

فاصبحوا

(سأصرف عن آياتي) دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها (الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) بأن أخذلهم فلا يتفكرون فيها (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل) طريق (الرشد) الهدى الذي جاء من عند الله (لا يتخذوه سبيلا) يسلكوه (وإن يروا سبيل الغي) الضلال (يتخذوه سبيلا ذلك) الصرف (بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) تقدم مثله (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) البعث وغيره (حبطت) بطلت (أعمالهم) ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه (هل) ما (يجزون إلا) جزاء (ما كانوا يعملون) من التكذيب والمعاصي (واتخذ قوم موسى من بعده) أي بعد ذهابه إلى المناجاة (من حليهم) الذي استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقي عندهم (عجلا) صاغه لهم منه السامري (جسدا) بدل لحما ودما (له خوار) أي صوت يسمع انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فيه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه ومفعول اتخذ الثاني محذوف أي إلها (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) فكيف يتخذ إلها (اتخذوه) إلها (وكانوا ظالمين) باتخاذه (ولما سقط في أيديهم) أي ندموا على عبادته (ورأوا) علموا (أنهم قد ضلوا) بها وذلك بعد رجوع موسى (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا) بالياء والتاء فيهما (لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى إلى قومه غضبان) من جهتهم (أسفا) شديد الحزن (قال) لهم (بئسما) أي بئس خلافة (خلفتموني) ها

فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين (قوله سأصرف عن آياتي) أي أقسي قلوبهم وأطمسها عن فهم آياتي فلا يتفكرون ولا يتدبرون (قوله بغير الحق) حال من الذين يتكبرون أي حال كونهم متلبسين بالدين الغير الحق (قوله وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي لوجود الطبع على قلوبهم وفي الآية إشارة إلى أن المتكبر المعترض لا يستفيد نورا ولا خيرا من الذي اعترض وتكبر عليه (قوله بأنهم كذبوا) أي بسبب تكذيبهم (قوله تقدم مثله) أي في قوله فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (قوله والذين كذبوا) مبتدأ أو جملة حبطت أعمالهم خبره (قوله لعدم شرطه) أي الثواب وهو الإيمان فالإيمان شرط في الثواب لأنه مقدار من الجزاء يعطى للمؤمنين في مقابلة أعمالهم الحسنة فأعمال الكفار الحسنة لا تتوقف على نية يجازون عليها في الدنيا أو يخفف عنهم من عذاب غير الكفر لكنه لا يقال له ثواب كذا قرر الأشياخ (قوله هل يجزون) استفهام إنكار بمعنى النفي ولذا أشار له المفسر بقوله ما (قوله واتخذ قوم موسى) عطف قصة على قصة والواو لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا لأن عبادتهم العجل كانت زمن المكالمة في مدة العشرة الأيام الزائدة فوق الثلاثين (قوله من حليهم) جمع حلي بفتح فسكون وأصله حلوي اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وقلبت ضمة اللام كسرة لتصح الياء (قوله الذي استعاروه من قوم فرعون) أي قبل غرقهم (قوله فبقي عندهم) أي ملكه بنو إسرائيل كما ملكوا غيره من أموالهم وديارهم ولذا أضافه الله لهم وأما قول المفسر استعاروه فهو باعتبار ما كان (قوله عجلا) وهذا العجل قد حرقه موسى عليه السلام ونسفه في البحر كما قصه الله تعالى في سورة طه (قوله صاغه لهم منه السامري) واسمه موسى وكان ابن زنا وضعته أمه في جبل فأرسل الله إليه جبريل فصار يرضعه من أصابعه فكان يعرفه إذا نزل إلى الأرض فلما نزل جبريل يوم غرق فرعون وكان راكبا فرسا فكان كل شيء وطئته بحافرها يخضر ويثمر ففطن موسى السامري لذلك وعلم أن هذا التراب له أثر فأخذ شيئا منه وادخره فلما توجه موسى للمناجاة صنع لهم العجل ووضع التراب في فيه فصار له خوار فقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فنسي كما في سورة طه وكان موسى السامري منافقا وانظر إلى من رباه جبريل حيث كان منافقا وإلى من رباه فرعون حيث كان مرسلا فإن هذا دليل على أن السعادة والشقاوة بيد الله فقد قال بعضهم

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل * فقد خاب من ربى وخاب المؤمل
فموسى الذي رباه جبريل كافر * وموسى الذي رباه فرعون مرسل

(قوله بدل) أي من عجلا أو عطف بيان (قوله لحما ودما) تفسير لجسدا (قوله له خوار) هذه قراءة العامة وقرئ شذوذا له جؤار بجيم فهمزة وهو الصوت الشديد (قوله فإن أثره الحياة) أي بتأثير الله له (قوله ألم يروا) استفهام توبيخ وتقريع (قوله اتخذوه) كرره ليرتب عليه التشنيع عليهم (قوله وكانوا ظالمين) أنفسهم أشد الظلم حيث عبدوا غير الله (قوله ولما سقط في أيديهم) فعل مبني للمجهول والجار والمجرور نائب الفاعل وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل فالفاعل ضمير يعود على الندم وقرئ شذوذا أيضا أسقط بضم الهمزة والضمير عائد على الندم والأصل على القراءة السبعية سقطت أفواههم على أيديهم وفي معنى على وذلك من شدة الندم فإن العادة أن الإنسان إذا ندم على شيء عض بفمه على يده فسقوط الفم على اليد لازم للندم فأطلق اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية ولم تعرف هذه الكناية في لغة العرب إلا في القرآن (قوله ورأوا) الجملة حالية (قوله وذلك) أي الندم (قوله بعد رجوع موسى) أي وأما قبله فلم يتحصل ما قالوه وما فعلوه (قوله لئن لم يرحمنا ربنا الخ) فيها قراءتان سبعيتان بالياء والتاء فعلى قراءة الياء يكون ربنا مرفوعا على الفاعلية وعلى قراءة التاء يكون منصوبا على النداء (قوله ولما رجع موسى) أي من المناجاة (قوله غضبان) أي لما فعلوه من عبادة العجل وقد أخبره بذلك المولى حيث قال له كما في طه فإنا قد فتنا قومك من بعدك الآية (قوله أسفا) حال وكذا غضبان فيكون حالا متداخلة (قوله بئسما خلفتموني) بئس فعل ماض لإنشاء الذم وما تمييز وقيل فاعل وجملة خلفتموني صفة لما والمخصوص بالذم

محذوف قدره المفسر بقوله خلافتكم هذه والمعنى بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم هذه (قوله من بعدى) متعلق بخلفتمونى (قوله أعجلتم أمر ربكم) أى تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق أو المعنى أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد أنبيائهم (قوله وألقى الالواح) أى وكان حاملا لها (قوله فتكسرت) هذا أحد الاقوال وقيل انه تكسر البعض وبقى البعض وقيل المراد بالقائها وضعها ليتفرغ لمكالمة أخيه ولما فرغ أخذها بعينها ولم يذهب منها شئ كان حقه زاده على البيضاوى (قوله أى بشعره بيمينه) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف (قوله يجره اليه) حال من فاعل أخذ (قوله بكسر الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان فاما قراءة الفتح فعند البصريين مبنى على الفتح لتركبه تركيب خمسة عشر وعند الكوفيين ابن منادى منصوب بفتحة ظاهرة وهو مضاف لام مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا المحذوفة للتخفيف وبقيت الفتحة لتدل عليها وأما على قراءة الكسر فعند البصريين هو منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة تخفيفا فهو كسر بناء وعند الكوفيين كسرة اعراب وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة (قوله وذكرها) عطف جواب عما يقال ان هرون شقيق موسى فلم اقتصر فى خطابه على الام وكان هرون كثيرا الحلم محببا فى بنى اسرائيل وهو أكبر من موسى بثلاث سنين (قوله وكادوا يقتلوننى) أى بالغت وسعى فى نصيحتهم حتى قهرونى وقاربوا قتلى (قوله فلا تشمت بى الاعداء) الشماتة فرح العدو بما ينال الشخص من المكروه (قوله قال رب اغفر لى) أى لما تبين له عذر أخيه جمعه معه فى الدعاء استعطافا وارضاء له (قوله ان الذين اتخذوا العجل) أى وكانوا ستمائة ألف وثمانية آلاف وبقى اثنا عشر ألفا لم يعبدوه لان جملة من عبر البحر مع موسى ستمائة ألف وعشرون ألفا (قوله الها) قدره اشارة الى أن مفعول اتخذوا الثانى محذوف (قوله سينالهم) الاستقبال بالنسبة لخطاب موسى به وأما بالنسبة لنزوله على نبينا فهو ماض (قوله رجعوا عنها) أى عن السيئات التى منها عبادة العجل (قوله ولما سكت عن موسى الغضب) أى بمراجعة هرون له حيث ألان له الكلام واعتذر له وفى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الغضب بامير قام على موسى فامره بالقاء الالواح والاخذ برأس أخيه وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو السكوت فاثباته تخييل وفى السكوت استعارة تبعية حيث شبه السكون بالسكوت واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من السكوت سكت بمعنى سكن على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وما وقع من موسى عليه السلام من الغضب ليس ناشئا عن سوء خلق وعدم حلم وانما هو غضب لانتهاك حرمات الله ولا ينافى الحلم قال بعضهم

اذا قيل حلم قل فللحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

وما قيل ان موسى لما كان قليل الحلم أمره الله بالالانة الكلام لفرعون حيث قال له فقولا له قولا لينا ومحمد عليه السلام لما كان كامل الحلم أمره الله بالاغلاظ على الكفار حيث قال واغلظ عليهم فهو باطل لا أصل له وانما الذى يقال ان كلا كامل فى الحلم وكلاهما مأمور بالالانة أولا فاذا تقرر الدين وثبت وأمروا بالجهاد أمروا بالاغلاظ هذا هو الحق ومن نفى عن أحد منهم الحلم فقد كفر (قوله وفى نسختها) أى كتابتها وتسميتها نسخة باعتبار كتابتها من اللوح المحفوظ وهذا على ما قاله زاده من أن الالواح لم تتكسر وأما على ما قاله ابن عباس من انها انكسرت فصام موسى أربعين يوما فردت عليه فى لوحين فمعنى قوله وفى نسختها أى ما نسخ من الالواح التى كسرت فى ألواح أخر فتسميتها نسخة ظاهر لان نسخ الشئ نقله (قوله للذين هم لربهم يرهبون) أى وأما غيرهم فليس فيه هدى ورحمة وانما هو وبال وخسران فهو نظير القرآن مع المؤمن والمنافق قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون (قوله وأدخل اللام على المفعول لتقدمه) أى فضعف عن العمل فتقوى باللام والمعنى للذين هم يخافون ربهم أى يخافون عقابه (قوله أى من قومه) أشار بذلك الى أن قومه مفعول ثان مقدم منصوب بنزع الخافض والمفعول

برأس أخيه) أى بشعره بيمينه ولحيته بشماله (يجره اليه) غضبا (قال يا (ابن أم) بكسر الميم وفتحها أراد أمى وذكرها أعطف لقلبه (ان القوم استضعفونى وكادوا) قاربوا (يقتلوننى فلا تشمت) تفرح (بى الاعداء) باهانتك اياى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) بعبادة العجل فى المؤاخذة (قال رب اغفر لى) ما صنعت بأخى (ولأخى) أشركه فى الدعاء ارضاء له ودفعا للشماتة به (وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين) قال تعالى (ان الذين اتخذوا العجل) الها (سينالهم غضب) عذاب (من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا) فعذبوا بالامر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة الى يوم القيامة (وكذلك) كما جزيناهم (نجزى المفترين) على الله بالاشراك وغيره (والذين عملوا السيئات ثم تابوا) رجعوا عنها (من بعدها وآمنوا) بالله (ان ربك من بعدها) أى التوبة (لغفور) لهم (رحيم) بهم (ولما سكت) سكن (عن موسى الغضب أخذ الالواح) التى ألقاها (وفى نسختها) أى ما نسخ فيها أى كتب (هدى) من الضلالة (ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه (واختار موسى قومه) أى من قومه

الاول

الاول قوله سبعين (قوله سبعين رجلا) أي من شيوخهم روي انه لم يجد الا ستين شيخا فأوحى الله اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى الميقات وهو طور سيناء فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره وينهاه فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي المرادة بالرجفة هنا وماتوا يوما وليلة وسبب أخذ الصاعقة لهم سؤالهم الرؤية وهذا قول غير ابن عباس وقال ابن عباس ان السبعين الذين سألوا الرؤية غير السبعين الذين ذهبوا للشفاعة فالاولى أخذتهم الصاعقة بسبب سؤالهم الرؤية والثانية أخذتهم الرجفة بسبب عدم انكارهم لمن عبدوا العجل وسكوتهم عليهم والى هذا القول يشير المفسر بقوله قال وهم غير الذين سألوا الرؤية الخ (قوله لم يزايلوا) أي لم يفارقوا قومهم (قوله وهم غير الذين سألوا الرؤية) أي لانهم لم يكونوا في ذلك الميعاد بل كانوا مع موسى حين أخذ التوراة فلما سمعوا كلام الله لموسى أقبلوا عليه وقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة (قوله لو شئت أهلكتهم) مفعول المشيئة محذوف تقديره اهلاكهم (قوله استفهام استعطاف) أي طلب العطف والرحمة من الله (قوله ابتلاؤك) أي اختبارك ليتبين المطيع من العاصي (قوله وأنت خير الغافرين) اسم التفضيل ليس على بابه أو على بابه باعتبار ان الغفر ينسب لغيره تعالى لكونه سببا وهو الغافر الحقيقي (قوله واكتب) أي حقق واثبت وهذا من جملة دعاء موسى فأوله أنت ولينا وآخره انا هدنا اليك وحينئذ فلا ينبغي جعل قوله واكتب لنا أول الربع (قوله في هذه الدنيا حسنة) أي ما تحمد عاقبته كالعافية والايمان والمعرفة وقوله وفي الآخرة حسنة أي وهي الجنة وما احتوت عليه من اللقاء والمشاهدة (قوله انا هدنا اليك) استئناف مسوق لتعليل الدعاء أي لاننا هدنا اليك أي رجعنا من هادهم ودادا رجع ولذلك سميت اليهود بذلك وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم وبعد ذلك صار ذما (قوله قال عذابي) جواب من الله لموسى (قوله أصيب به من أشاء) أي في الدنيا كقتل الذين عبدوا العجل أنفسهم وفي الآخرة بالنار لمن كفر (قوله ورحمتي وسعت كل شئ) ورد انه لما نزلت هذه الآية فرح ابليس وقال قد دخلت في رحمة الله فلما نزل فسأكتبها الخ أيس من ذلك وفرحت اليهود وقالوا نحن من المتقين الذين يؤتون الزكاة المؤمنين فأخرجهم الله منها وأثبتها لهذه الامة بقوله الذين يتبعون الرسول الخ (قوله في الدنيا) أي فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في الرحمة (قوله فسأكتبها) أي أثبتها (قوله للذين يتقون) أي يمتثلون الاوامر ويجتنبون النواهي (قوله ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لمشقتها على النفوس من حيث ان المال محبوب (قوله الذين يتبعون الرسول) أي بالايمان به بعد بعثته والعمل بشريعته وورد أن الله قال لموسى أجعل لك الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث أدركتكم الصلاة وأجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلب يحفظها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد أن نصلي الا في الكنائس ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب ولا نقرؤها الا نظرا قال فسأكتبها الى قوله هم المفلحون فجعل هذه الامور لهذه الامة (قوله الامي) أي الذي لا يقرأ ولا يكتب نسبة للام لانه باق على حالته التي ولد عليها أو لام القرى وهي مكة لكونه ولد بها (قوله باسمه وصفته) أي من كونه محمدا ولد بمكة وهاجر الى المدينة يقبل الهدية ويرد الصدقة وهكذا من أوصافه وأخلاقه العظيمة قال الخميس في تاريخه ان محمدا مذكور في التوراة باللغة السريانية بلفظ المنحمنا بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية وبعدها نون مشددة بعدها ألف ومعناه محمد وذكر الحسن عن كعب الاحبار أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد المجيد وعند سائر الملائكة عبد الحميد وعند الانبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القاهر وعند الجن عبد الرحيم وفي الجبال عبد الخالق وفي البر

(سبعين رجلا) ممن لم يعبدوا العجل بأمره تعالى (لميقاتنا) أي للوقت الذي وعدناه باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل فخرج بهم (فلما أخذتهم الرجفة) الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لانهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة (قال) موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل) أي قبل خروجي بهم ليعاين بنو اسرائيل ذلك ولا يتهموني (واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) استفهام استعطاف أي لا تعذبنا بذنب غيرنا (ان) ما (هي) أي الفتنة التي وقع فيها السفهاء (الا فتنتك) ابتلاؤك (تضل بها من تشاء) اضلاله (وتهدي من تشاء) هدايته (أنت ولينا) متولي أمورنا (فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب) أوجب (لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة) حسنة (انا هدنا) تبنا (اليك قال) تعالى (عذابي أصيب به من أشاء) تعذيبه (ورحمتي وسعت) عمت (كل شئ) في الدنيا (فسأكتبها) في الآخرة (للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي) محمدا صلى الله عليه وسلم (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) باسمه وصفته

(يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم في شرعهم (ويحرم عليهم الخبائث) من الميتة ونحوها

(ويضع عنهم إصرهم) ثقلهم (والأغلال) الشدائد (التي كانت عليهم) كقتل النفس في التوبة وقطع أثر النجاسة (فالذين آمنوا به) منهم (وعزروه) وقروه (ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن (أولئك هم المفلحون قل) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته) القرآن (واتبعوه لعلكم تهتدون) ترشدون (ومن قوم موسى أمة) جماعة (يهدون) الناس (بالحق وبه يعدلون) في الحكم (وقطعناهم) فرقنا بني إسرائيل (اثنتي عشرة) حال (أسباطا) بدل منه أي قبائل (أمما) بدل مما قبله (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه) في التيه (أن اضرب بعصاك الحجر) فضرب به (فانبجست) انفجرت (منه اثنتا عشرة عينا) بعدد الأسباط (قد علم كل أناس) سبط منهم (مشربهم وظللنا عليهم الغمام) في التيه من حر الشمس (وأنزلنا عليهم المن والسلوى) هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم (كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) اذكر

عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وفي التوراة مؤذ مؤذ وفي الإنجيل طاب طاب وفي الصحف عاقب وفي الزبور فاروق وعند الله طه ومحمد صلى الله عليه وسلم اهـ بحروفه (قوله يأمرهم بالمعروف الخ) هذا وما بعده إلى المفلحون من جملة أوصافه المكتوبة في التوراة والإنجيل (قوله مما حرم في شرعهم) أي وهي لحوم الإبل وشحم الغنم والمعز والبقر (قوله من الميتة ونحوها) أي كالدم ولحم الخنزير (قوله كقتل النفس) أي وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل يوم السبت وكون صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس ونحو ذلك من الأمور الشاقة التي كلفوا بها وتسميتها أغلالا مجاز لأن التحريم يمنع من الفعل كما أن الأغلال تمنع منه (قوله وقروه) أي عظموه (قوله ونصروه) أي أيدوه (قوله الذي أنزل معه) أي مقارنا لزمانه ومصحوبا به (قوله أي القرآن) تفسير للنور وسمي القرآن بذلك لأنه ظاهر في نفسه مظهر لغيره يهتدى به من الضلال المعنوي كما أن النور يهتدى به من الضلال الحسي (قوله أولئك هم المفلحون) أي الموصوفون بهذه الصفات فائزون ظافرون بالنجاة من الأهوال دنيا وأخرى (قوله قل يا أيها الناس) أتى بهذه الآية دفعا لما يتوهم أن الفوز مخصوص بمن تبعه من أهل الكتابين فأفاد هنا أن الفوز ليس قاصرا عليهم بل كل من تبعه حصل له الفوز كان من أهل الكتابين أولا والناس اسم جنس واحده إنسان (قوله جميعا) حال من ضمير إليكم (قوله الذي له ملك السموات) يصح رفع الذي ونصبه على أنه نعت مقطوع وجره على أنه نعت متصل وقوله له ملك السموات والأرض صلة الموصول لا محل لها من الإعراب وقوله لا إله إلا هو بيان للصلة وقوله يحيي ويميت بيان لقوله لا إله إلا هو فكل واحدة من هذه الجمل كالدليل لما قبلها ولا محل لكل من الإعراب لأن الصلة لا محل لها فكذا مبينها (قوله فآمنوا بالله) تفريع على ما تقدم أي فحيث علمتم أن محمدا مرسل لجميع الناس وأن الله له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت وجب عليكم الإيمان بالله ورسوله وفيه التفات من التكلم للغيبة ونكتته التوطئة للاتصاف بقوله النبي الأمي الخ (قوله الذي يؤمن بالله وكلماته) أي لأنه مرسل لنفسه (قوله لعلكم تهتدون) أي تفلحون والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق فهو بمعنى قوله فيما سبق أولئك هم المفلحون (قوله ترشدون) من باب تعب ونصر (قوله ومن قوم موسى أمة) استئناف مسوق لدفع توهم أن قوم موسى لم يحصل لهم هدى بل استمروا على ضلالهم فدفع ذلك بأن بعضهم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم شرذمة قليلة كعبد الله بن سلام وأضرابه (قوله وقطعناهم) الهاء مفعول واثنتي عشرة حال وأسباطا بدل كما قال المفسر وتمييز العدد محذوف تقديره فرقة ويصح أن قطع بمعنى صير فالهاء مفعول أول واثنتي عشرة مفعول ثان وأسباطا بدل وسبب تفرقهم كذلك أن أولاد يعقوب كانوا كذلك فكل سبط ينتمي لواحد منهم والأسباط جمع سبط وهو ولد الولد مرادف الحفيد هكذا في كتب اللغة وفرق بعض العلماء بين السبط والحفيد بأن السبط ولد البنت والحفيد ولد الولد اصطلاحا (قوله أي قبائل) أي كالقبائل في التفرق والتعدد (قوله بدل مما قبله) أي فهو بدل من البدل (قوله وأوحينا إلى موسى) أي حين أمر بقتال الجبارين هو ومن معه من بني إسرائيل ونقب عليهم اثني عشر نقيبا وأرسلهم يأتون له بأخبار الجبارين فاطلعوا على أوصاف مهولة لهم فرجعوا وأخبروا موسى عليه السلام فأمرهم بالكتم عن قومهم فخانوا إلا اثنين منهم يوشع وكالب فجبنوا فحرم الله عليهم دخول القرية أربعين سنة يتيهون في الأرض فاشتد الحال عليهم في التيه وعطشوا فطلبوا منه السقيا فدعا الله موسى فأمره بضرب الحجر بعصاه وهذا الحجر هو الذي فر بثوبه حين اتهموه بالأدرة خفيف مربع كرأس الرجل (قوله فانبجست) أي انفجرت (قوله مشربهم) أي عينهم الخاصة بهم (قوله وظللنا عليهم الغمام) أي السحاب يسير بسيرهم ويقيهم [illegible] بالليل يسيرون بضوئه (قوله الترنجبين) هو شيء حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس فيأخذ كل إنسان صاعا (قوله والطير السماني) أي فكانت [illegible] الجنوب تسوقه إليهم فيأخذ كل منهم ما يكفيه (قوله ما رزقناكم) أي وهو المن والسلوى (قوله وما ظلمونا) أي لم يعد [illegible] ظلمهم [illegible] (قوله واذكر) [illegible] صلى الله عليه وسلم

(قوله

(اذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا) أمرنا (حطة وادخلوا الباب) أى باب القرية (سجدا)

سجود انحناء (نغفر) بالنون والتاء مبنيا للمفعول (لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) بالطاعة ثوابا (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم) فقالوا حبة فى شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم (فأرسلنا عليهم رجزا) عذابا (من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم) يا محمد توبيخا (عن القرية التى كانت حاضرة البحر) مجاورة بحر القلزم وهى أيلة ما وقع بأهلها (اذ يعدون) يعتدون (فى السبت) بصيد السمك المأمورين بتركه فيه (واذ) ظرف ليعدون (تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) ظاهرة على الماء (ويوم لا يسبتون) لا يعظمون السبت أى سائر الايام (لا تأتيهم) ابتلاء من الله (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهى (واذ) عطف على اذ قبله (قالت أمة منهم) لم تصد ولم تنه لمن نهى (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا) موعظتنا (معذرة) نعتذر بها (الى ربكم) لئلا ننسب الى التقصير فى ترك النهى (ولعلهم يتقون) الصيد (فلما نسوا) تركوا (ما ذكروا) وعظوا (به) فلم يرجعوا (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء (بعذاب بئيس) شديد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا) تكبروا (عن) ترك (ما نهوا عنه قلنا لهم

(قوله واذ قيل لهم) أى بعد خروجهم من التيه (قوله بيت المقدس) وقيل أريحا وقد ذكر القولين فى البقرة فعلى الاول يكون القائل الله على لسان موسى وهم فى التيه وعلى الثانى يكون على لسان يوشع وهو المعتمد كما تقدم فى البقرة (قوله وقولوا حطة) قدر المفسر أمرنا اشارة الى ان حطة خبر لمحذوف ومعنى أمرنا حطة أى طلبنا حطة الذنوب ومغفرتها (قوله سجود انحناء) أى فالمراد السجود اللغوى بأن يكونوا على هيئة الراكعين (قوله بالنون والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان ولكن على النون يقرأ خطايا وخطيآت وعلى التاء يقرأ خطيآتكم وخطيئتكم بالجمع والافراد فالقراآت أربع (قوله قولا غير الذى قيل لهم) أى وفعلا غير ما أمروا به (قوله فقالوا حبة الخ) يحتمل أنه مجرد هذيان قصدوا به اغاظة موسى ويحتمل أن يكون له معنى صحيح كأنهم قالوا مطلوبنا حبة يعنى قمح فى زكائب من شعر وقد تقدم بسطه فى البقرة (قوله على أستاههم) جمع سته وهو الدبر (قوله عذابا) أى وهو الطاعون ومات منهم فى وقت واحد سبعون ألفا (قوله بما كانوا يظلمون) أى بسبب ظلمهم وقد غايرت هذه القصة ما فى البقرة من عشرة أوجه قد تقدمت مفصلة فراجعها ان شئت (قوله واسألهم) أى اليهود الذين فى المدينة وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوبخ اليهود على كفرهم ويقول لهم أنتم قد تبعتم أصولكم فى الكفر بأنبيائهم فكانوا يقولون ان أصولنا لم تقع منهم مخالفة لربهم ولا كفر بأنبيائهم وكانوا يعرفون ما وقع لهذه القرية ويخفونه ويعتقدون أنه لا علم لاحد غيرهم به فنزلت الآية فقصها رسول الله عليهم فبهتوا ان قلت ان السورة مكية وهذا خطاب لاهل المدينة فالجواب أنها مكية ما عدا ثلاث الآيات الثمانية التى أولها واسألهم الخ فانها مدنية كما تقدم (قوله توبيخا) أى وتقريعا وتبكيتا (قوله عن القرية) أى أهلها (قوله مجاورة لبحر القلزم) أى عند العقبة بجانب القلعة (قوله اذ يعدون) أى يتعدون الحدود وكانوا فى زمن داود عليه السلام وسبب نهيهم عن الصيد يوم السبت أن الله أمرهم على لسان داود ان يتخذوا يوم الجمعة عيدا ينقطعون فيه لعبادة الله فكرهوا ذلك واختاروا السبت ومعناه فى اللغة القطع فهو اشارة الى انهم منقطعون عن كل خير فلما شددوا امتحنهم الله بأن حرم عليهم صيد السمك يوم السبت وأحله لهم باقى الاسبوع فكانوا يوم السبت يجدون السمك منزا كما وباقى الجمعة لم يجدوا منه شيأ ثم ان ابليس علمهم أن يصنعوا جداول حول البحر يوم السبت فاذا جاء العصر وملئت الجداول بالسمك سدوا عليه وأخذوه يوم الاحد فافترقت القرية ثلاث فرق وكانوا سبعين ألفا ففرقة اصطادت وفرقة نهتهم وضربوا بينهم وبينهم سورا وفرقة لم تصد ولم تنه فبعد أيام قلائل مسخ من اصطاد قردة وخنازير ومكثوا ثلاثة أيام وماتوا وأنجى الله الفرقة الناهية والفرقة الثالثة وقع فيها خلاف بالانجاء والاهلاك والصحيح نجاتهم (قوله حيتانهم) جمع حوت وأصل حيتان حوتان وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء (قوله شرعا) حال من فاعل تأتيهم أى قريبة من الساحل (قوله ويوم لا يسبتون) أى لا يكون يوم سبت والمعنى تأتيهم حيتانهم يوم السبت ظاهرة وغير يوم السبت لا تأتيهم ولما كانت العبارة موهمة قال المفسر أى سائر الايام أى باقيها (قوله ابتلاء من الله) علة لقوله تأتيهم وقوله لا تأتيهم (قوله كذلك) أى الابتلاء المتقدم (قوله بما كانوا يفسقون) أى يتجاوزون الحد (قوله ثلث صادوا معهم) المناسب حذف قوله معهم (قوله عطف على اذ قبله) أى وهو اذ يعدون (قوله لم تعظون قوما) انما قصدوا بذلك اللوم على الناهين حيث وعظوهم فلم يقبلوا منهم (قوله أو معذبهم عذابا شديدا) أو مانعة خلو تجوز الجمع والمعنى مهلكهم فى الدنيا ومعذبهم فى الآخرة (قوله قالوا معذرة) قدر المفسر موعظتنا اشارة الى أن معذرة خبر لمحذوف وفى قراءة بالنصب على المفعول من أجله أى وعظناهم لاجل المعذرة (قوله لئلا ننسب الى التقصير) أشار بذلك الى ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب عليهم ولذا ورد أنه مجمع عليه فى جميع الشرائع (قوله ولعلهم يتقون) اشارة الى انهم ظانون افادة الموعظة وهو عطف على المعنى اذ التقدير موعظتنا للاعتذار ولعلهم يتقون (قوله فلما نسوا ما ذكروا به) فى الكلام حذف دل عليه قوله أنجينا الذين ينهون الخ والتقدير فلما ذكر من تذكر ونسى من نسى أنجينا الخ (قوله بئيس) فعيل من

كونوا قردة خاسئين) صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما أدري مافعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لانها كرهت مافعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع اليه وأعجبه (واذ تأذن) أعلم (ربك ليبعثن عليهم) أى اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها الى المجوس الى أن بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم (ان ربك لسريع العقاب) لمن عصاه (وانه لغفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (وقطعناهم) فرقناهم (فى الارض أمما) فرقا (منهم الصالحون ومنهم) ناس (دون ذلك) الكفار والفاسقون (وبلوناهم بالحسنات) بالنعم (والسيئات) النقم (لعلهم يرجعون) عن فسقهم (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب) التوراة عن آبائهم (يأخذون عرض هذا الادنى) أى حطام هذا الشئ الدنئ أى الدنيا من حلال وحرام (ويقولون سيغفر لنا) مافعلناه (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) الجملة حال أى يرجون المغفرة وهم عائدون الى مافعلوه مصرون عليه وليس فى التوراة وعد المغفرة مع الاصرار (ألم يؤخذ) استفهام تقرير (عليهم ميثاق الكتاب) الاضافة بمعنى فى (أن لا يقولوا على الله الا الحق

ودرسوا) عطف على يؤخذ قرؤا (مافيه) فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة اليه مع الاصرار (والدار الآخرة خير للذين يتقون) الحرام (أفلا يعقلون) بالياء والتاء أنها خير فيؤثرونها على الدنيا (والذين يمسكون) بالتشديد والتخفيف (بالكتاب) منهم (وأقاموا الصلوة) كعبد الله بن سلام وأصحابه (انا لا نضيع أجر المصلحين) الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أى أجرهم (و) اذكر (اذ نتقنا) والمقصود

بؤس اذا اشتد وقرئ بيئس على وزن ضيغم وبئس بكسر الباء وسكون الهمزة أو قلبها ياء وبيس بفتح الباء وتشديد الياء مكسورة وبيس بفتح الباء وسكون الياء وبائس على وزن فاعل هكذا فى البيضاوى وليست كلها سبعية (قوله كونوا) أمر تكوين لا قول فهو كناية عن سرعة التصيير اذ لا يكلف الشخص الا بما يقدر عليه وكونهم قردة ليس فى طاقتهم (قوله فكانوها) أى قردة وقيل ان شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم خنازير وقيل ان الذين مسخوا خنازير هم أصحاب المائدة (قوله وهذا) أى قوله فلما عتوا تفصيل لما قبله وهو قوله وأخذنا الذين ظلموا الخ قوله لانها كرهت مافعلوه) أى فهى داخلة تحت قوله أنجينا الذين ينهون عن السوء فهى وان لم تنه صريحا لكنها نهت ضمنا (قوله انه رجع اليه) أى الى قول عكرمة (قوله واذ تأذن) اذ ظرف لمحذوف تقديره اذكر وقت اذ تأذن (قوله أعلم) مفعوله محذوف والتقدير أعلم ربك أسلافهم (قوله ليبعثن) أى ليسلطن عليهم (قوله من يسومهم) أى يذيقهم (قوله بختنصر) علم مركب تركيبا مزجيا كبعلبك فاعرابه على الجزء الثانى والاول ملازم للفتح وهو غير منصرف للعلمية والتركيب المزجى وبخت معناه فى الاصل ابن ونصر اسم صنم سمى بذلك لانه وجد وهو صغير مطروح عند ذلك الصنم (قوله وسباهم) أى سبى نساءهم وصغارهم (قوله وضرب عليهم الجزية) أى على من لم يقاتل منهم (قوله فضربها عليهم) أى ولا تزال كذلك الى نزول عيسى فلا يقبل منهم الا الاسلام (قوله ان ربك لسريع العقاب) أى اذا تعلقت به ارادته به والا فهو واسع الحلم (قوله وقطعناهم) أى بنى اسرائيل الكائنين قبل زمن النبى صلى الله عليه وسلم (قوله ومنهم دون ذلك) قدر المفسر ناس اشارة الى ان دون نعت لمنعوت محذوف وهو كثير اذا كان التفصيل بمن كقولهم منا ظاعن ومنا أقام أى منا فريق ظعن ومنا فريق أقام (قوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات) أى اختبرناهم بالعطايا كالنعم والعافية والبلايا كالنقم والاسقام والشدائد لعلهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصى الى طاعة ربهم فلم يرجعوا (قوله فخلف من بعدهم خلف) بسكون اللام للشر وبفتحها للخير يقال خلف سوء وخلف صالح وهذه صفة من كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم اثر بيان صفات أسلافهم (قوله التوراة) أشار بذلك الى أن أل فى الكتاب للعهد (قوله عن آبائهم) أى اسلافهم سواء كانوا صلحاء أولا (قوله عرض هذا الادنى) سمى عرضا لتعرضه للزوال ففى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه متاع الدنيا بالعرض الذى لا يقوم بنفسه بجامع الزوال فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله ويقولون) أى زيادة على طمعهم فى الدنيا (قوله سيغفر لنا) أى لانا أبناء الله وأحباؤه وشأن الحبيب أن لا يعذب حبيبه (قوله مصرون عليه) أى لم يقلعوا عنه فقد طمعوا فى المغفرة مع فقد شروطها اذ من أكبر شروطها الندم والاقلاع (قوله ميثاق الكتاب) أى التوراة والمعنى أخذ عليهم الميثاق فى التوراة انهم لا يكذبوا على الله ولا يقولوا الا الحق (قوله الا الحق) صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله ان لا يقولوا والتقدير ان لا يقولوا على الله الا القول الحق (قوله فلم كذبوا عليه) أى الله (قوله أفلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركوا التدبر والتفكر فلا يعقلون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء يكون اخبارا عنهم وعلى التاء يكون خطابا لهم (قوله بالتشديد) أى يتمسكون غيرهم بالكتاب ويدلونه على طريق الهدى (قوله والتخفيف) أى يمسكون بالكتاب بمعنى يهتدون فى أنفسهم (قوله منهم) أى من بنى اسرائيل (قوله وأقاموا الصلاة) خصها بالذكر لانها أعظم أركان الدين بعد التوحيد (قوله وفيه وضع الظاهر موضع المضمر) أشار بذلك الى ان الرابط هو لفظ المصلحين لقيامه مقام المضمر على حد قول الشاعر * سعاد التى أضناك حب سعادا * ونكتة ذلك الاشارة الى شرفهم والاعتناء بهم (قوله واذ نتقنا) اذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر

والمقصود من ذلك الرد على اليهود والتقبيح عليهم حيث قالوا ان بنى اسرائيل لم يصدر عنهم شئ ألبتة (قوله الجبل) قيل هو الطور وقيل هو جبل من جبال فلسطين وقيل من جبال بيت المقدس وفى آية النساء التصريح بالطور وسبب رفع الجبل فوقهم أن موسى لما جاءهم بالتوراة وقرأها عليهم فلما سمعوا ما فيها من التغليظ أبوا أن يقبلوا ذلك فأمر الله الجبل فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وكان ارتفاعه على قدر قامتهم محاذيا لرؤسهم كالسقيفة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا سجدا فسجد كل واحد على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوف أن يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم الايسر (قوله فوقهم) اما حال منتظرة أو ظرف لنتقنا (قوله كأنه ظلة) حال من الجبل (قوله وظنوا) الجملة حالية من الجبل والتقدير رفعناه فوقهم والحال أنه مظنون وقوعه عليهم ومعنى الظن اليقين كما قال المفسر (قوله وقلنا) قدره اشارة الى أن قوله خذوا معمول لمحذوف وهو معطوف على نتقنا (قوله لعلكم تتقون) أى تتصفون بالتقوى وهى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات أو تجعلون بينكم وبين النار وقاية تحفظكم منها (قوله واذ أخذ ربك) عطف على قوله واذ نتقنا عطف قصة على قصة وقدر المفسر اذكر اشارة الى ان اذ ظرف معمول لمحذوف والحكمة فى تخصيص بنى اسرائيل بهذه القصة الزيادة فى اقامة الحجة عليهم حيث أعلمهم الله بان أعلم بنيه بمبدإ العالم فضلا عن وقائعهم (قوله بدل اشتمال) أى من قوله بنى آدم والاوضح أنه بدل بعض من كل لان الظهور بعض بنى آدم كضربت زيدا يده (قوله بان أخرج بعضهم من صلب بعض) أى فأخرج أولاد آدم لصلبه من ظهره ثم أخرج من ظهر أولاده أولاده لصلبه أولادهم وهكذا على حسب الظهور الجسمانى الى يوم القيامة وميز المسلم من الكافر بان جعل ذر المسلم أبيض وذر الكافر اسود وروى انهم لما اجتمعوا قال لهم اعلموا انه لا اله غيرى وأنا ربكم لا رب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيأ فانى سأنتقم ممن أشرك بى ولم يؤمن وانى مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتابا فتكلموا جميعا وقالوا اشهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال انى أحب أن أشكر فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق (قوله كالذر) قيل هو صغار النمل وقيل هو الهباء الذى يطير فى الشمس وقيل غير ذلك (قوله بنعمان) مكان بجنب عرفة (قوله وركب فيهم عقلا) أى وسمعا وبصرا (قوله وأشهدهم على أنفسهم) أى قررهم فان الشهادة على النفس معناها الاقرار (قوله بلى) هى جواب للنفى ولكنها تفيد اثباته كان مجردا أو مقرونا بالاستفهام التقريرى كما هنا ولذلك قال ابن عباس لو قالوا نعم لكفروا لان نعم لتقرير ما قبلها مثبتا أو منفيا فكانهم أقروا بانه ليس بربهم والى ذلك أشار العارف الاجهورى رضى الله عنه بقوله

بلى جواب النفى لكنه * يصير اثباتا كذا قرروا
نعم لتقرير الذى قبلها * اثباتا أو نفيا كذا حرروا

(قوله شهدنا) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة الذين استشهدهم الله على ذلك فيكون الوقف على قوله بلى ويحتمل أن يكون من كلام الذرية ويكون المعنى أقررنا بذلك وحينئذ فلا يصح الوقف على بلى (قوله فى الموضعين) أى قوله ان يقولوا أو يقولوا والمناسب تأخير قوله فى الموضعين فعلى الياء يكون اخبارا عنهم وعلى التاء يكون خطابا لهم (قوله فاقتدينا بهم) أى فهم مؤاخذون بذلك ونحن معذورون (قوله المعنى لا يمكنهم) أى معنى الجملتين (قوله مع اشهادهم على أنفسهم) أى اقرارهم عليها (قوله على لسان صاحب المعجزة) أى وهم المرسلون وهو جواب عما يقال ان هذا العهد لا يذكره أحد اليوم (قوله ولعلهم يرجعون) عطف على ما قدره المفسر *(فائدة حسنة)* ذكر القطب الشعرانى فى رسالة سماها القواعد الكشفية فى الصفات الالهية قد ذكر العلماء فى قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية اثنى عشر سؤالا ونحن نوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به * الاول أين

الجبل) رفعناه من أصله (فوقهم كأنه ظلة وظنوا) أيقنوا (أنه واقع بهم) ساقط عليهم بوعد الله اياهم بوقوعه ان لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم (خذوا ما آتيناكم بقوة) بجد واجتهاد (واذكروا ما فيه) بالعمل به (لعلكم تتقون و) اذكر (اذ) حين (أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم) بدل اشتمال مما قبله باعادة الجار (ذرياتهم) بان أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا (وأشهدهم على أنفسهم) قال (ألست بربكم قالوا بلى) أنت ربنا (شهدنا) بذلك والاشهاد (أن) لا (يقولوا) بالياء والتاء فى الموضعين أى الكفار (يوم القيامة انا كنا عن هذا) التوحيد (غافلين) لا نعرفه (أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل) أى قبلنا (وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم (أفتهلكنا) تعذبنا (بما فعل المبطلون) من آبائنا بتأسيس الشرك المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع اشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره فى النفوس (وكذلك نفصل الآيات) نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها (ولعلهم يرجعون) عن كفرهم

موضع أخذ الله تعالى هذا العهد * والجواب أن الله أخذ ذلك عليهم ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة قاله
ابن عباس وغيره وقال بعضهم أخذه بسرنديب من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم فيه من
الجنة وقال الكلبي كان أخذ العهد بين مكة والطائف وقال الامام علي بن أبي طالب كان أخذ العهد في
الجنة وكل هذه الامور محتملة ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد بأخذ العهد * الثاني كيف استخرجهم
من ظهره * والجواب ورد في الصحيح أنه تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كلهم كهيئة الذر ثم اختلف
الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا الوجهين بعيد والاقرب
كما قيل أنه استخرجهم من مسام شعر ظهره اذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط في النفوذ
لا في السعة فتخرج الذرة الضعيفة منها كما يخرج الصئبان من العرق السائل وهذا غير بعيد في العقل فيجب
اعتقاد اخراجها من ظهر آدم كما شاء الله ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماسة اذ لا اتصال
بين الحادث والقديم * الثالث كيف أجابوه تعالى ببلى هل كانوا أحياء عقلاء أم أجابوه بلسان الحال * والجواب
أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء اذ لا يستحيل في العقل أن الله يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم
فان بحار قدرته تعالى واسعة وغاية وسعنا في كل مسئلة أن نثبت الجواز ونكل علم كيفيتها الى الله تعالى * الرابع
فاذا قال الجميع بلى فلم قبل قوما ورد آخرين * والجواب كما قال الحكيم الترمذي ان الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة
فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم ايمانهم فكان ايمانهم كايمان المنافقين وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين
مختارين فنفعهم ايمانهم * الخامس اذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلاي شيء لا نذكره اليوم * والجواب انا لم
نتذكر هذا العهد لان تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها بمرور الزمان عليها في أصلاب الآباء وأرحام
الامهات ثم استحالت تصويرها في الاطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذا كله مما يوجب
النسيان وكان علي كرم الله وجهه يقول اني لاذكر العهد الذي عهد الي ربي وكان سهل التستري يقول اني لاعرف
تلامذتي من ذلك اليوم ولم أزل أربيهم في الاصلاب حتى وصلوا الي * السادس هل كانت تلك الذوات مصورة
بصورة الانسان أم لا * والجواب لم يبلغنا في ذلك دليل الا أن الاقرب المعقول عدم الاحتياج الى كونها بصورة
الانسان اذ السمع والنطق لا يفتقران الى الصورة بل يقتضيان محلا حيا لا غير * السابع متى تعلقت الارواح
بالذوات التي هي الذرية هل قبل خروجها من ظهره أم بعد خروجها منه * والجواب قال بعضهم ان الظاهر
انه تعالى استخرجهم أحياء لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء لقوله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك
المشحون فيحتمل أن الله تعالى أدخل فيهم الارواح وهم في ظلمات ظهر أبيهم ثم أدخلها مرة أخرى وهم في
ظلمات بطون أمهاتهم ثم أدخلها مرة ثالثة وهم في ظلمات بطون الارض هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك
خلقا * الثامن ما الحكمة في أخذ الميثاق منهم * والجواب ان الحكمة في ذلك اقامة الحجة على من لم يوف بذلك
التاسع هل أعادهم الى ظهر آدم احياء أم استرد أرواحهم ثم أعادهم اليه أمواتا * والجواب ان الظاهر انه ردهم
الى ظهره وقبض أرواحهم قياسا على ما يفعل بهم اذا ردهم الى الارض بعد الموت فانه يقبض أرواحهم ويعيدهم
فيها * العاشر أين رجعت الارواح بعد رد الذرات الى ظهره * والجواب ان هذه مسئلة غامضة لا يتطرق اليها
النظر العقلي عندي بأكثر من أن يقال رجعت لما كانت عليه قبل حلولها في الذرات فمن رأى في ذلك
شيأ فليلحقه بهذا الموضع * الحادي عشر قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم والناس
يقولون ان الذرية أخذت من ظهر آدم * والجواب انه تعالى أخرج من ظهر آدم بنيه لصلبه ثم أخرج بني
بنيه من ظهور بنيه فاستغنى عن ذكر اخراج بني آدم من آدم بقوله من بني آدم اذ من المعلوم ان بني بنيه
لا يخرجون الا من بنيه ومثال ذلك من أودع جوهرة في صدفة ثم أودع الصدفة في خرقة ثم أودع الخرقة
مع الجوهرة في حقة ثم أودع الحقة في درج ثم أودع الدرج في صندوق فأخرج منه تلك الاشياء بعضها
من بعض ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذا لا تناقض فيه * الثاني عشر في أي مكان أودع كتاب العهد

والميثاق والجواب قد جاء في الحديث أنه مودع في باطن الحجر الاسود وان الحجر الاسود عينين وفما ولسانا فان قال قائل هذا غير متصور في العقل فالجواب ان كل ما عسر على العقل تصوره يكفينا فيه الايمان به ورد معناه الى الله تعالى اهـ ملخصا (قوله واتل عليهم) عطف على واسألهم عطف قصة على قصة (قوله آياتنا) أى وهى علوم الكتب القديمة ومعرفة الاسم الاعظم فكان يدعو به حيث شاء فيحصل بعينه وكان يرى العرش وهو جالس مكانه وكان فى مجلسه اثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه * وحاصل قصته على ماذكره ابن عباس وغيره ان موسى عليه السلام لما قصد قتال الجبارين ونزل أرض الكنعانيين من أرض الشام أتى قوم بلعم اليه وكان عنده الاسم الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جند كثير وانه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها لبنى اسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله مالا تعلمون وانى ان فعلت ذلك ذهبت دنياى وآخرتى فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أؤامر ربى وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام فآمر ربه فى الدعاء عليهم فقيل له فى المنام لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد آمرت ربى وانى نهيت أن أدعو عليهم فاهدوا اليه هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى أؤامر ربى فآمر فلم يؤمر بشئ فقال قد آمرت ربى فلم يأمرنى بشئ فقالوا له لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك فى المرة الاولى فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال له حسبان فلما سار عليها غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها وهكذا مرارا فاذن الله تعالى لها فى الكلام فانطقها له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة أمامى تردنى عن وجهى ويحك تذهب الى نبى الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزجر فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت حتى أشرفت على جبل حسبان فجعل يدعو عليهم فلا يدعو بشر الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو بخير لقومه الا صرف الله به لسانه الى بنى اسرائيل فقال له قومه يا بلعم أتدرى ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا مالا أملكه هذا شئ قد غلب الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم الآن قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والخديعة فسأمكر لكم وأحتال اجملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى عسكر بنى اسرائيل يبعنها فيه ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل راودها فانه ان زنى رجل بواحدة كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بنى اسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى وقال انى أظنك أن تقول هذه حرام عليك قال أجل هى حرام عليك لا تقربها قال فوالله لا أطيعك ثم دخل بها قبته فوقع عليها فارسل الله عليهم الطاعون فى الوقت فهلك منهم سبعون ألفا فى ساعة من النهار (قوله من علماء بنى اسرائيل) أى بل قيل بنبوته والحق خلافه لان الانبياء معصومون من كل ما يغضب الله تعالى (قوله وأهدى اليه شئ) أى فى نظير الدعاء عليهم وتسمى تلك الهدية رشوة وهى محرمة فى شرعنا الذى الجاه والمنصب (قوله واندلع لسانه) أى تدلى (قوله فاتبعه الشيطان) هذا مبالغة فى ذمه حيث كان عالما عظيما ثم صار الشيطان من أتباعه (قوله ولو شئنا لرفعناه) مفعول المشيئة محذوف تقديره رفعته (قوله بها) أى بسبب تلك الآيات (قوله ولكنه أخلد) أى مال واطمأن (قوله كمثل الكلب) أى الذى هو أخس الحيوانات (قوله ان تحمل عليه) أى تشدد عليه وتجهده يلهث أى يخرج لسانه (قوله أو تتركه) أى من غير تشديد عليه (قوله وليس غيره من الحيوانات كذلك) أى بل غيره يلهث فى حال التعب فقط (قوله ما بعدها) أى وهو والانسلاخ وقوله من الميل الخ بيان لما قبلها (قوله ذلك مثل القوم) أى اليهود الذين أوتوا التوراة وفيها صفات النبى صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله فغيروا وبدلوا (قوله فاقصص القصص) أى الذى أوحينا اليك وأنت تعلمه من الوحى فيؤمنون (قوله على اليهود) لا مفهوم له بل المراد

(واتل) يا محمد (عليهم) أى اليهود (نبأ) خبر (الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بنى اسرائيل سئل أن يدعو على موسى وأهدى اليه شئ فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فاتبعه الشيطان) فادركه فصار قرينه (فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه) الى منازل العلماء (بها) بان نوفقه للعمل (ولكنه أخلد) سكن (الى الارض) أى الدنيا ومال اليها (واتبع هواه) فى دعائه اليها فوضعناه (فمثله) صفته (كمثل الكلب ان تحمل عليه) بالطرد والزجر (يلهث) يدلع لسانه (أو) ان (تتركه يلهث) وليس غيره من الحيوان كذلك وجملتا الشرط حال أى لاهثا ذليلا بكل حال والقصد التشبيه فى الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب ما بعدها على ما قبلها من الميل الى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله (ذلك) المثل (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) على اليهود (لعلهم يتفكرون) يتدبرون فيها فيؤمنون

(ساء) بئس (مثلا القوم) أي مثل القوم (الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) بالتكذيب (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق (ولهم أعين لا يبصرون بها) دلائل قدرة الله بصر اعتبار (ولهم آذان لا يسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ (أولئك كالانعام) في عدم الفقه والبصر والاستماع (بل هم أضل) من الانعام لانها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة (أولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الاحسن (فادعوه) سموه (بها وذروا) اتركوا (الذين يلحدون) من ألحد ولحد يميلون عن الحق (في أسمائه) حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان (سيجزون) في الآخرة جزاء (ما كانوا يعملون) وهذا قبل الامر بالقتال (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما في حديث (والذين كذبوا بآياتنا) القرآن من أهل مكة (سنستدرجهم)

أقص القصص على أمتك ليتعظوا بذلك (قوله ساء مثلا القوم) ساء فعل ماض لانشاء الذم ومثلا تمييز والقوم فاعل على حذف مضاف تقديره مثل القوم والمخصوص بالذم محذوف تقديره مثلهم (قوله من يهدى الله) هذا رجوع للحقيقة وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فهو المهتدي) باثبات الياء وصلا ووقفا باتفاق القراء هنا (قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا) أي بحكم القبضة الالهية حين قبض قبضة وقال هذه للجنة ولا أبالي وقبض قبضة وقال هذه للنار ولا أبالي وقوله كثيرا يؤخذ منه أن أهل النار أكثر من أهل الجنة وهو كذلك لما تقدم من أن من كل ألف واحد للجنة والباقي للنار (قوله الحق) قدره هو ونظيره في يبصرون ويسمعون اشارة الى أن مفعول كل محذوف (قوله بل هم أضل) اضراب انتقالي ونكتة الاضراب ان الانعام لا تدري العواقب والعقلاء تعرف ما فقد وهو على المضار مع علمهم بعواقبها أضل من قدوم الانعام على مضارها (قوله أولئك هم الغافلون) أي قلبا وسمعا وبصرا وهذه علامة أهل النار الخالدين فيها (قوله ولله الاسماء الحسنى) ذكرت في أربعة مواضع من القرآن هنا وفي آخر الاسراء وفي أول طه وفي آخر الحشر (قوله الوارد بها الحديث) أي وقد ورد بطرق مختلفة منها قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد انه وتر يحب الوتر وما من عبد يدعو بها الا وجبت له الجنة ومنها ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ومنها ان لله عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد ان الله وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة ومنها ان لله مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له وكلها مذكورة في الجامع الصغير عن علي وعن أبي هريرة والاسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على المسمى اما على الذات فقط أو على الذات والصفات والاخبار بأنها تسع وتسعون ليس حصرا وانما ذلك اخبار عن دخول الجنة باحصائها أو استجابة الدعاء بها والا فاسماء الله كثيرة قال بعضهم ان لله ألف اسم وقال بعضهم ان أسماءه على عدد أنبيائه فكل نبي يستمد من اسم ونبينا يستمد من الجميع (قوله والحسنى مؤنث الاحسن) أي ككبرى وصغرى مؤنث الاكبر والاصغر وانما كانت حسنى لان الدال يشرف بشرف مدلوله (قوله سموه بها) أي وقت دعائكم وندائكم واذكاركم (قوله وذروا) أمر للمكلفين (قوله من ألحد ولحد) رباعيا وثلاثيا وهما قراءتان سبعيتان (قوله يميلون عن الحق) تفسير لكل من القراءتين ومنه اللحد للميت لانه يمال بحفره الى جنب القبر بخلاف الضريح فانه المحفور في الوسط (قوله حيث اشتقوا) أي اقتطعوا وهذا الالحاد كفر ويطلق الالحاد على التسمية بما لم يرد وهو بهذا المعنى حرام لان أسماءه توقيفية فيجوز أن يقال يا جواد ولا يجوز أن يقال يا سخي ويقال يا عالم دون عاقل وحكيم دون طبيب وهكذا (قوله جزاء ما كانوا يعملون) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف وقدر ليصح الكلام اذ لا معنى لكونهم يجزون الذي كانوا يعملونه من الالحاد بل المراد جزاؤه (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) اسم الاشارة راجع لقوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه فهذه الآية منسوخة بآية القتال (قوله وممن خلقنا) الجار والمجرور خبر مقدم وأمة مبتدأ مؤخر (قوله بالحق) الباء للملابسة أي يهدون الناس ويرشدونهم ملتبسين بالحق (قوله وبه يعدلون) أي بالحق يجعلون الامور متعادلة مستوية لا افراط فيها ولا تفريط (قوله كما في الحديث) أي وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال من أمتي طائفة على الحق الى أن يأتي أمر الله وعن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وهذه الطائفة لا تختص بزمان دون زمان ولا مكان دون مكان بل هم في كل مكان وفي كل زمان فالاسلام دائما يعلو ولا يعلى عليه وان كثر الفساق وأهل الشر فلا عبرة بهم ولا صولة لهم وفي هذا بشارة لهذه الامة المحمدية بأن الاسلام في علو وشرف وأهله كذلك الى قرب يوم القيامة حتى تموت حملة القرآن والعلماء وينزع القرآن من المصاحف وتأتي الريح اللينة فيموت كل من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ولا يكون هذا الامر الا بعد وفاة عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله والذين كذبوا بآياتنا) مبتدأ أخبر عنه بالجملة الاستقبالية بعده (قوله سنستدرجهم) الاستدراج هو الاستصعاد درجة

قدرجة أو الاستنزال درجة بعد درجة (قوله نأخذهم قليلا قليلا) أي نمدهم بالعطايا شيئا فشيئا وهم مقيمون
على المعاصي حتى ينتهي بهم الامر الى الهلاك فهم يظنون أنهم في نعم وهم في نقم ولذا قيل اذا رأيت الله أنعم على
عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج له (قوله ان كيدي متين) الكيد في الاصل المكر والخديعة
وذلك مستحيل على الله بل المراد الاستدراج وكان شديدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (قوله أولم
يتفكروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا ولم يتفكروا (قوله
ما بصاحبهم من جنة) سبب نزولها ما روي أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يا بني
فلان يا بني فلان يحذرهم بأس الله فقال بعضهم ان صاحبكم لمجنون بات يصوت الى الصباح ومعنى يصوت
بصوت وانما نسبوه الى الجنون لمخالفته لهم في الاقوال والافعال فانه كان موحدا مقبلا على الله بكليته معرضا
عن الدنيا وشهواتها وهم ليسوا كذلك (قوله ملك السموات والارض) انما فسر الملكوت بالملك لان
الملكوت ما غاب عنا كالملائكة والعرش والكرسي والمأمور بالنظر فيه عالم الملك وهو ما ظهر لنا (قوله وما
خلق الله) قدر المفسر في اشارة الى أنه معطوف على ملكوت السموات والارض (قوله وأن عسى) قدر
المفسر في اشارة الى أن الجملة في محل جر عطفا على ما قبلها وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة
عسى أن يكون قد اقترب أجلهم خبرها (قوله فبأي حديث الخ) متعلق بيؤمنون وهو استفهام تعجبي والمعنى
اذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الذي هو أعظم المعجزات فبأي آية ومعجزة يؤمنون بها (قوله من يضلل الله)
تذييل لما قبله خارج مخرج المثل (قوله بالياء والنون) أي مع الرفع وبالياء لا غير مع الجزم فالقراءات ثلاث
وكلها سبعية فعلى النون يكون التفاتا من الغيبة للتكلم لان الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله على محل
ما بعد الفاء) أي وهو الجزم لان جملة فلا هادي له جواب الشرط في محل جزم (قوله يسألونك) الضمير عائد
على أهل مكة كما قال المفسر لان السورة مكية الا ما تقدم من الثمان آيات وهذا استئناف مسوق لبيان تعنتهم في
كفرهم لانه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من الساعة وأهوالها (قوله القيامة) سميت ساعة اما لسرعة
مجيئها قال تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب أو لسرعة حسابها لان الخلق جميعا يحاسبون في
قدر نصف نهار أو لانها ساعة عند الله لخفتها وان كانت في نفسها طويلة لان الازمان عنده مستوية ولها
أسماء كثيرة منها القيامة لقيام الناس لرب العالمين فيها والقارعة لانها تقرع القلوب بأهوالها والحاقة لانها
ثابتة والخافضة والرافعة لانها تخفض أقواما وترفع آخرين والطامة لانه لا يمكن ردها والصاخة لانها تصم
الآذان والزلزلة لزلزال الارض والقلوب ويوم الفرقة لتفرقهم في الجنة والنار واليوم الموعود لان الله وعد
فيه أقواما بالجنة وأوعد أقواما بالنار ويوم العرض لعرض الناس على ربهم ويوم المفر لقول الانسان
الكافر يومئذ أين المفر واليوم العسير لشدة الحساب فيه وزحمة الناس بعضهم على بعض حتى يكون على
القدم ألف قدم وفي رواية سبعون ألف قدم على قدم وتدنو الشمس من الرؤس حتى يكون بينها وبين الرؤس
قدر الميل والى غير ذلك من أسمائها (قوله أيان مرساها) في الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الساعة بسفينة
في البحر وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الارساء فذكره تخييل وهذه الجملة من المبتدأ
والخبر بدل من الجار والمجرور قبله والمعنى يسألونك عن وقت مجيء الساعة وهو في محل نصب لان الجار
والمجرور في محل نصب مفعول ليسألونك (قوله متى تكون) أشار بذلك الى أن الكلام فيه حذف
مضاف والتقدير انما علم وقتها عند الله (قوله على أهلها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف
وفي بمعنى على ويصح أن تبقى الآية على ظاهرها لانه لا يطيقها شيء من السموات لطيها ولا الارض لتبديلها
فهي شاقة مفزعة لكل ما سوى الله (قوله لا تأتيكم الا بغتة) أي على حين غفلة والحكمة في اخفائها
ليتأهب لها كل أحد كما أخفيت ساعة الاجابة يوم الجمعة ليعتنى باليوم كله وليلة القدر في سائر الليالي ليعتنى
بجميع الليالي والرجل الصالح في جميع الخلق ليعتقد الجميع والصلاة الوسطى في جميع الصلوات للمحافظة

آخذهم قليلا قليلا (من حيث لا يعلمون وأملي لهم) أمهلهم (ان كيدي متين) شديد لا يطاق (أولم يتفكروا) فيعلموا (ما بصاحبهم) محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) جنون (ان) ما (هو الا نذير مبين) بين الانذار (أولم ينظروا في ملكوت) ملك (السموات والارض و) في (ما خلق الله من شيء) بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته (و) في (أن) أي انه (عسى أن يكون قد اقترب) قرب (أجلهم) فيموتوا كفارا فيصيروا الى النار فيبادروا الى الايمان (فبأي حديث بعده) أي القرآن (يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم) بالياء والنون مع الرفع استئنافا والجزم عطفا على محل ما بعد الفاء (في طغيانهم يعمهون) يترددون تحيرا (يسألونك) أي أهل مكة (عن الساعة) القيامة (أيان) متى (مرساها قل) لهم (انما علمها) متى تكون (عند ربي لا يجليها) يظهرها (لوقتها) اللام بمعنى في (الا هو ثقلت) عظمت (في السموات والارض) على أهلها لهولها (لا تأتيكم الا بغتة) فجأة (يسألونك

كانك حفى) مبالغ في السؤال (عنها) حتى علمتها (قل إنما علمها عند الله) تأكيد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن علمها

عنده تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعا) أجلبه (ولا ضرا) أدفعه (إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب) ما غاب عني (لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار (إن) ما (أنا إلا نذير) بالنار للكافرين (وبشير) بالجنة (لقوم يؤمنون هو) أي الله (الذي خلقكم من نفس واحدة) أي آدم (وجعل) خلق (منها زوجها) حواء (ليسكن إليها) ويألفها (فلما تغشاها) جامعها (حملت حملا خفيفا) هو النطفة (فمرت به) ذهبت وجاءت لخفته (فلما أثقلت) بكبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا) ولدا (صالحا) سويا (لنكونن من الشاكرين) لك عليه (فلما آتاهما) ولدا (صالحا جعلا له شركاء) وفي قراءة بكسر الشين والتنوين أي شريكا (فيما آتاهما) بتسميته عبد الحرث ولا ينبغي أن يكون عبدا إلا لله وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم وروى سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فإنه يعيش فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره رواه الحاكم وقال صحيح والترمذي وقال حسن غريب (فتعالى الله عما يشركون) أي أهل مكة به من الأصنام ... حان

على الجميع (قوله كأنك حفي عنها) عن بمعنى الباء والمعنى كأنك عالم بها ومتيقن لها (قوله تأكيد) أي لما قبله لبيان أنها من الأمر المكتوم الذي استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا إلا من ارتضاه من الرسل والذي يجب الإيمان به أن رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع المغيبات التي تحصل في الدنيا والآخرة فهو يعلمها كما هي عين يقين لما ورد رفعت لي الدنيا فأنا أنظر فيها كما أنظر إلى كفي هذه وورد أنه اطلع على الجنة وما فيها والنار وما فيها وغير ذلك مما تواترت به الأخبار ولكن أمر بكتمان البعض (قوله لنفسي) معمول لأملك (قوله إلا ما شاء الله) أي تمليكه لي فأنا أملكه (قوله ولو كنت أعلم الغيب الخ) إن قلت إن هذا يشكل على ما تقدم لنا أنه أطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة والجواب أنه قال ذلك تواضعا أو أن علمه بالمغيب كلا علم من حيث إنه لا قدرة له على تغيير ما قدر الله وقوعه فيكون المعنى حينئذ لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت الخ إن قلت إن دعاءه مستجاب لا يرد أجيب بأنه لا يشاء إلا ما شاء الله فلو اطلع على أن هذا الشيء مثلا لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له إذ لا يشفع ولا يدعو إلا بما فيه إذن من الله واطلاع منه على أنه يحصل ما دعا به وهو سر قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وفي ذلك المعنى قال العارف ﴿ وخصك بالهدى في كل أمر ﴿ فلست تشاء إلا ما يشاء ﴿ والخواص من أمته حظ من هذا المقام ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي إذا أراد الله أمرا أمسك ألسنة أوليائه عن الدعاء سترا عليهم لئلا يدعوا فلا يستجاب لهم فيفتضحوا (قوله للكافرين) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء (قوله لقوم يؤمنون) خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك (قوله هو الذي خلقكم) الخطاب لأهل مكة المعارضين المعاندين (قوله من نفس واحدة) أي لأنه المالك المتصرف وهذا أعظم دليل على انفراده بالوحدانية (قوله أي آدم) أي وهو مخلوق من الماء والطين والماء والطين موجودان من عدم فآل الأمر إلى أن آدم وأولاده موجودون من عدم (قوله وجعل منها زوجها) أي من الضلع الأيسر فنبتت منه كما تنبت النخلة من النواة (قوله حواء) تقدم أنها سميت حواء لأنها خلقت من حي وهو آدم (قوله ليسكن إليها) هذا هو حكمة كون حواء من آدم أي فالحكمة في كونها منه كونه يسكن إليها ويألفها لأنها جزء منه (قوله ويألفها) عطف تفسير (قوله فلما تغشاها) التغشي كناية عن الجماع وعبر به تعليما للعباد الأدب (قوله هو النطفة) إن قلت إن النطفة لا حمل فيها ولا ولادة أجيب بأن ذلك بعد هبوطهما إلى الأرض وأما جماعه لها في الجنة فغير نطفة ولا حمل منها ولا ولادة (قوله فمرت به) أي ترددت بذلك الحمل لعدم المشقة الحاصلة منه (قوله فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل أو دخلت في الثقل كأصبح إذا دخل في الصباح (قوله وأشفقا) أي خافا وورد أنه جاءها إبليس وقال لها ما هذا الذي في بطنك فقالت لا أدري فقال لها يحتمل أن يكون كلبا أو حمارا أو غير ذلك ويحتمل أن يخرج من عينك أو فمك أو تشق بطنك لإخراجه فخوفها بذلك كله فعرضت الأمر على آدم فدعوا ربهما إلى آخر الدعاء المذكور (قوله لئن) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله (قوله ولدا فسره) إشارة إلى أن صالحا صفة لموصوف محذوف مفعول ثان لآتيتنا لأنه بمعنى أعطيتنا (قوله لنكونن من الشاكرين) أي نزيد في الشكر لأن الشكر يزيد ويعظم بزيادة النعم (قوله شركاء) جمع شريك والمراد بالجمع المفرد بدليل القراءة الثانية (قوله أي شريكا) تفسير لكل من القراءتين (قوله بتسميته عبد الحرث) أي والحرث كان اسم إبليس فقصد اللعين بذلك انتسابه له وأنه عبده (قوله وليس بإشراك في العبودية) المناسب أن يقول في العبادة أو في العبودية وإنما هو إشراك في التسمية وهو ليس بكفر بل تحصل حرام لما فيه من إيهام أن النسبة للمعظم شرعا كعبد النبي وعبد الرسول فقيل بالكراهة والحاصل أن النسبة للمعظم شرعا إن قصد معنى العبودية فيها ولو من حرام إن لم يقصد العبودية وإلا كان كفرا باتفاق (قوله وروى سمرة) الخ هذه الرواية في هذا المقام زلت فيه أقدام العلماء فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ وقد ذكر هذه الرواية مع غيرها المقام يخلو المعنى عن السوء (قوله وكان لا يعيش له ولد) وذلك أنها ولدت قبل ذلك عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فأصابهم الموت

والجملة مستأنفة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض (أيشركون) به في العبادة (ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم) أي لعابديهم (نصرا ولا أنفسهم ينصرون) يمنعها ممن أرادهم بسوء من كسر أو غيره والاستفهام للتوبيخ (وان تدعوهم) أي الاصنام (الى

الهدى لا يتبعوكم) بالتخفيف والتشديد (سواء عليكم أدعوتموهم) اليه (أم أنتم صامتون) عن دعائهم لا يتبعوه لعدم سماعهم (ان الذين تدعون) تعبدون (من دون الله عباد) مملوكة (أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم) دعاءكم (ان كنتم صادقين) في أنها آلهة ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال (ألهم أرجل يمشون بها أم) بل أ (لهم أيد) جمع يد (يبطشون بها أم) بل أ (لهم أعين يبصرون بها أم) بل أ (لهم آذان يسمعون بها) استفهام انكار أي ليس لهم شئ من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالا منهم (قل) لهم يا محمد (ادعوا شركاءكم) الى هلاكي (ثم كيدون فلا تنظرون) تمهلون فاني لا أبالي بكم (ان ولي الله) متولي أموري (الذي نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) بحفظه (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) فكيف أبالي بهم (وان تدعوهم) أي

الاصنام (الى الهدى لا يسمعوا وتراهم) أي الاصنام يا محمد (ينظرون اليك) أي يقابلونك كالناظر (وهم لا يبصرون خذ العفو) اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها (وأمر بالعرف) المعروف (وأعرض عن الجاهلين) فلا تقابلهم بسفههم (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما المزيدة (ينزغنك من الشيطان نزغ) أي ان يصرفك عما أمرت به صارف

وكان يلح عليها كل مرة فألح عليها في الاخير فسمته عبد الحرث كما أفادته رواية المفسر (قوله والجملة) أي قوله تعالى الله عما يشركون (قوله مسببة) عطف على قوله خلقكم أي وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلا ويؤيد ذلك الجمع بعد التثنية ولو كان راجعا لهما لثنى الضمير وقال اشركان وفي قوله يشركون التفات من الخطاب الى الغيبة (قوله أيشركون) شروع في توبيخ أهل مكة على الاشراك (قوله وان تدعوهم) هذا بيان لعجز الاصنام عما هو أدنى من النصر المنفي عنها والخطاب للمشركين بطريق الالتفات اعتناء بمزيد التوبيخ وقوله الى الهدى أي لكم أي ان تدعوهم الى أن يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله سواء عليكم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله أي سواء عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم عنهم فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم عن حكم الجمادية (قوله مملوكة) دفع بذلك ما يقال ان الاصنام جمادات لا تعقل فكيف توصف بأنها أمثالكم وأجيب بأن المراد بكونهم أمثالكم أنهم مملوكون مقهورون لا يملكون ضرا ولا نفعا فالتشبيه من هذه الحيثية لا من كل وجه (قوله وفضل عابديهم) اما بتشديد الضاد عطف على بين أو بسكون الضاد عطف على غاية ومعنى فضلهم زيادتهم عليهم بهذه المنافع المذكورة (قوله أم لهم) أشار المفسر الى أن أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاضراب انتقالي من توبيخ لتوبيخ آخر (قوله يبطشون) من باب ضرب وبها قرأ السبعة وقرئ شذوذا من باب قتل والبطش هو الاخذ بعنف (قوله استفهام انكاري) أي في المواضع الاربعة أي ليس لهم شئ من المنافع المذكورة (قوله قل ادعوا شركاءكم) أي واستعينوا بهم في عداوتي (قوله ثم كيدون) قرئ باثبات الياء وصلا وحذفها وقفا وباثباتها في الحالين وبحذفها في الحالين وكلها سبعية وفي القرآن كيدون في ثلاثة مواضع هنا وفي هود باثبات الياء عند السبع في الحالين وفي المرسلات بحذفها عند السبع في الحالين (قوله ان ولي) العامة على تشديد الولي مضافا لياء المتكلم المفتوحة وفي بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة (قوله والذين تدعون من دونه) من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم (قوله وان تدعوهم) أي أيها المشركون أي تدعوا أصنامكم الى أن يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا أبلغ من نفي الاتباع وقوله وتراهم ينظرون الخ بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل ورأى بصرية (قوله خذ العفو) هذا أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وحسن معاملة الكفار اثر بيان زجرهم واسفاههم بالخطاب ورد لما نزلت هذه الآية سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عن معناها فقال حتى أسأل ربي فذهب ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال جعفر الصادق ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية (قوله أي اليسر من أخلاق الناس) أي ما سهل منها (قوله ولا تبحث عنها) أي لا تفتش عن الاخلاق بل اقبل ما ظهر ودع ما بطن لله (قوله وأمر بالعرف) أي ما عرف حسنه في الشرع (قوله وأعرض عن الجاهلين) ان كان المراد بالجاهلين الكفار وبالاعراض عدم مقاتلتهم فالآية منسوخة بآية القتال وان كان المراد بالجاهلين ضعفاء الاسلام وأجلاف العرب وبالاعراض عدم تعنيفهم والاغلاظ عليهم فالآية محكمة وكلام المفسر يشهد للثاني ومن معنى ذلك قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل وهو الذي لا عتاب بعده وفي هذه الآية تعليم مكارم الاخلاق للعباد فليس هذا الامر من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (قوله واما ينزغنك) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر بأخذ العفو والامر بالعرف والاعراض عن الجاهلين قال وكيف بالغضب فنزلت هذه الآية والنزغ هو النخس وهو في الاصل حث السائق للدابة على السير والمراد منه الوسوسة فشبهت الوسوسة بالنزغ بمعنى الحث على السير واستعير اسم

(فاستعذ بالله) جواب الشرط وجواب الامر محذوف أي يدفعه عنك (انه سميع) للقول (عليم) بالفعل (ان الذين اتقوا اذا

مسهم) أصابهم (طيف) وفي قراءة طائف أي شيء ألم بهم (من الشيطان تذكروا) عقاب الله وثوابه (فاذاهم مبصرون) الحق من غيره فيرجعون (واخوانهم) أي اخوان الشياطين من الكفار (يمدونهم) أي الشياطين (في الغي ثم) هم (لا يقصرون) يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون (واذا لم تأتهم) أي أهل مكة (بآية) مما اقترحوا (قالوا لولا) هلا (اجتبيتها) أنشأتها من قبل نفسك (قل) لهم (انما أتبع ما يوحى الي من ربي) وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء (هذا) القرآن (بصائر) حجج (من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) عن الكلام (لعلكم ترحمون) نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل في قراءة القرآن مطلقا (واذكر ربك في نفسك) أي سرا (تضرعا) تذللا (وخيفة) خوفا منه (و) فوق السر (دون الجهر من القول) أي قصدا بينهما (بالغدو والآصال) أوائل النهار وأواخره (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك) أي الملائكة (لا يستكبرون) يتكبرون (عن عبادته ويسبحونه) ينزهونه عما لا يليق به (وله يسجدون) أي يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم

المشبه به للمشبه واشتق من النزغ ينزغنك بمعنى يوسوس لك والخطاب للنبي والمراد غيره لان الشيطان لا تسلط له عليه (قوله فاستعذ بالله) أي اطلب الاستعاذة بالله بأن تقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (قوله جواب الشرط) أي وقرن بالفاء لانه جملة طلبية (قوله انه سميع عليم) أي فيجيبك لما طلبت (قوله ان الذين اتقوا) أي الذين اتصفوا بامتثال الاوامر واجتناب النواهي (قوله أي شيء ألم بهم) تفسير للقراءتين أي خاطر قليل من الشيطان فاذا وسوس الشيطان لهم بفعل المعاصي أو ترك الطاعات تذكروا عقاب الله وثوابه فرجعوا لما أمر الله به ونهى عنه (قوله عقاب الله) أي في متابعة الشيطان وقوله وثوابه أي في مخالفته (قوله واخوانهم) مبتدأ وجملة يمدونهم خبر (قوله أي اخوان الشياطين من الكفار) أي والفساق أشار بذلك الى أن المراد بالاخوان الكفار والفساق والضمير عائد على الشياطين (قوله يمدونهم) الواو عائدة على الشياطين والهاء عائدة على الكفار والفساق فقد عاد ضمير الخبر على غير المبتدا في المعنى (قوله ثم هم) أي الاخوان (قوله لا يقصرون) أي لا يبعدون عن الغي (قوله بالتبصر) أي التأمل والتفكر والمعنى أن الشياطين يمدون الكفار والفساق في الغي حتى لا يكفون عنه ولا يتركونه فجعل الله في هذه الآية للتقوى علامة ولغيرهم علامة (قوله واذا لم تأتهم) رجوع لخطاب كفار مكة (قوله مما اقترحوا) أي طلبوا (قوله لولا اجتبيتها) أشار المفسر الى أن لولا تحضيضية حيث قال هلا (قوله أنشأتها) أي اخترعتها واختلقتها (قوله وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء) أي لا يمكنني ذلك (قوله بصائر) أي سبب فيها فسمي السبب وهو القرآن باسم المسبب وهو الحجج (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بذلك لانهم المنتفعون به (قوله فاستمعوا له) أي للقرآن (قوله نزلت في ترك الكلام في الخطبة) أي وهو واجب عند مالك والشافعي في القديم ومذهب الشافعي في الجديد الانصات سنة والكلام مكروه (قوله وقيل في قراءة القرآن مطلقا) أي فيحرم الكلام في مجلس القرآن المخلط على القارئ بل يجب الانصات والاستماع فان أمن التخليط فلا حرمة وما ذكره المفسر قولان من أربعة وثالثها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة لانهم كانوا يتكلمون في الصلاة رابعها أنها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام (قوله واذكر ربك في نفسك) أي بأي نوع من أنواع الذكر كالتسبيح والتهليل والدعاء والقرآن وغير ذلك وقوله سرا أي ان لم يلزم عليه الكسل والا جهر (قوله تضرعا وخيفة) مفعولان لاجله أو حالان أي متضرعين خائفين (قوله ودون الجهر) معطوف على قوله في نفسك (قوله بالغدو) جمع غدوة وهي من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع أصيل وهو من العصر الى الغروب وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم من النوم عند الغداة فطلب ان يكون أول صحيفته ذكر الله وأما وقت الآصال فلان الانسان يستقبل النوم وهو أخو الموت فينبغي له أن يشتغل بالذكر خيفة أن يموت في نومه فيبعث على ما مات عليه وقيل ان الاعمال تصعد في هذين الوقتين وقيل لكراهة النفل في هذين الوقتين فطلب الذكر فيهما لئلا يضيع على الانسان وقته (قوله ولا تكن من الغافلين) خطاب للنبي والمراد غيره (قوله عند ربك) العندية عندية مكانة لا مكان أو المراد عند عرش ربك وهذا كالدليل لما قبله أي فاذا كان دوام الذكر دأب من لم يجعل لهم على أعمالهم جنة ولا نار فتذكروا كذلك بالاولى (قوله ينزهونه) أي يعتقدون تنزيهه (قوله أي يخصونه) أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول (قوله بالخضوع) تفسير للسجود أي فالمراد بالسجود مطلق العبادة لا خصوص السجود المعروف وانما خص السجود لان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وهذه أول سجدات القرآن الاربع عشرة عند الاول والله أعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان هي لنا لانا باشرنا القتال وقال الشيوخ كنا ردأ لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم الينا فلا تستأثروا بها نزل (يسألونك) يا محمد (عن الانفال) الغنائم لمن هي (قل) لهم (الانفال لله والرسول) يجعلانها حيث شاآ فقسمها صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء رواه الحاكم في المستدرك (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) أي حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع (وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) حقا (انما المؤمنون) الكاملون الايمان (الذين اذا ذكر الله) أي وعيده (وجلت) خافت (قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) تصديقا (وعلى ربهم يتوكلون) به يثقون لا بغيره (الذين يقيمون الصلوة) يأتون بها بحقوقها (ومما رزقناهم) أعطيناهم (ينفقون) في طاعة الله (أولئك) الموصوفون بما ذكر (هم المؤمنون حقا) صدقا بلا شك (لهم درجات) منازل في الجنة (عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) في الجنة (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) متعلق بأخرج (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) الخروج

(قوله سورة الانفال) مبتدأ أو مضاف اليه ومدنية خبر أول وخمس الخ خبر ثان (قوله أو الا) أو لحكاية الخلاف فانه اختلف هل هي مدنية كلها وهو الصحيح أو الا سبع آيات أولها واذ يمكر بك الذين كفروا وآخرها بما كنتم تكفرون فمكيات وهو ضعيف ولا يلزم من كونها في شأن أهل مكة أنها نزلت بها بل نزلت بالمدينة حكاية لما وقع في مكة (قوله في غنائم بدر) أي لانها أول غنيمة في الاسلام (قوله وقال الشيوخ) أي وكانوا محدقين برسول الله خوفا عليه من العدو (قوله كنا ردأ) أي عونا لكم (قوله ولو انكشفتم) أي انهزمتم (قوله لفئتم) أي رجعتم (قوله يسئلونك) السؤال ان كان عن تعيين الشيء وتبيينه تعدى للمفعول الثاني بعن كما هنا وان كان بمعنى طلب الاعطاء تعدى للمفعولين بنفسه كسألت زيدا مالا فالمراد فهم أن ما هنا من الثاني وادعى زيادة عن (قوله عن الانفال) جمع نفل مثل سبب وأسباب ويقال نفل بسكون الفاء أيضا وهي الزيادة لزيادة هذه الامة بها عن الامم السابقة فانها لم تكن حلالا لهم بل كانوا اذا غنموا غنيمة وضعوها في مكان فان قبلها الله منهم أنزل عليها نارا أحرقتها والا بقيت (قوله لله والرسول) قيل ان معنى ذلك انها ملوكة لله وأعطاها ملكا لرسوله يتصرف فيها كيف يشاء وعلى هذا فقوله واعلموا أنما غنمتم الآية ناسخة لها وقيل ان ما يأتي توضيح لما هنا وتفصيل له والآية محكمة فيكون المعنى لله والرسول من حيث قسمها على المجاهدين (قوله يجعلانها حيث شاآ) أي فامتثلوا ما يأمركم به (قوله فاتقوا الله) أي امتثلوا أمره واجتنبوا نهيه (قوله وأصلحوا ذات بينكم) أي الحالة التي بينكم وهي الوصلة الاسلامية فالمعنى اتركوا النزاع والشحناء والزموا المودة والمحبة بينكم ليحصل النصر والخير لكم (قوله وأطيعوا الله ورسوله) أي فيما يأمركم به (قوله ان كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله حقا) أي كاملين في الايمان فعلامة كمال الايمان طاعة الله والرسول وعدم وجود الحرج في النفس قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (قوله انما المؤمنون) استئناف مسوق لبيان صفات المؤمنين فهو كالدليل لما قبله (قوله الكاملون الايمان) بالنصب على نزع الخافض أي فيه وفي بعض النسخ بحذف النون فيكون مضافا للايمان (قوله الذين اذا ذكر الله) وصل الذين بثلاث صلات كلها متعلقة بالقلب (قوله وجلت قلوبهم) أي فزعت لاستيلاء هيبته على قلوبهم (قوله تصديقا) أشار بذلك الى أن التصديق يقبل الزيادة اذ لا يصح أن يكون ايمان الانبياء كايمان الفساق وما قبل الزيادة قبل النقص وبذلك أخذ مالك والشافعي وجمهور أهل السنة (قوله به يثقون) أشار بذلك الى أن على بمعنى الباء ويتوكلون بمعنى يثقون وقوله لا بغيره حصر أخذ من تقديم المعمول والمعنى أن ثقتهم بالله لا بغيره فلا يعتمدون على عمل ولا على مال ولا يخافون من غيره (قوله الذين يقيمون الصلاة) أي يلازمونها في أوقاتها مستوفية الشروط والاركان والآداب (قوله ينفقون) أي النفقة الواجبة كالزكاة أو المندوبة كالصدقة (قوله حقا) صفة لمصدر محذوف أي ايمانا حقا (قوله بلا شك) أي لظهور علامة الايمان الكامل فيهم (قوله عند ربهم) العندية عندية مكانة لا مكان (قوله ومغفرة) أي غفران لذنوبهم (قوله ورزق كريم) أي دائم مستمر لا نكد فيه ولا تعب مقرون بالتعظيم والتكريم (قوله كما أخرجك) الكاف بمعنى مثل وما مصدرية خبر لمحذوف والتقدير قسم الغنائم عموما والحال أن بعض الصحابة كارهون لذلك مثل اخراجك من بيتك والحال انهم كارهون لذلك فهو تشبيه حكم بحكم أو قصة بقصة وهذا أحسن الاعاريب ولذا درج عليه المفسر فالمشبه قسم الغنائم عموما والمشبه به الخروج لقتال ذي الشوكة بجامع أن كلا كان فيه كراهة لبعض المؤمنين بحسب الصورة الظاهرية وفي الواقع ونفس الامر خير ومصلحة للعموم في كل لان الاول ترتب عليه اصلاح ذات البين والثاني ترتب عليه عز الاسلام ونصره (قوله من بيتك) أي الكائن بالمدينة أو المراد بالبيت نفس المدينة (قوله متعلق بأخرج) أي والباء سببية والمعنى أخرجك من بيتك بسبب الحق أي اظهار الدين ورفع شأنه ويصح ان الباء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من

والجملة حال من كاف أخرجك وكما خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحال في كراهتهم لها مثل اخراجك في حال كراهتهم وقد كان خيرا لهم فكذلك أيضا وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفير وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لابي جهل ارجع فأبى وسار الى بدر فشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ان الله وعدني احدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى (يجادلونك في الحق) القتال (بعد ما تبين) ظهر لهم (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اليه عيانا في كراهتهم له (و) اذكر (اذ يعدكم الله احدى الطائفتين) العير أو النفير (أنها لكم وتودون) تريدون (أن غير ذات الشوكة) أي البأس والسلاح وهي العير (تكون لكم) لقلة عددها وعددها بخلاف النفير (ويريد الله أن يحق الحق) يظهره (بكلماته) السابقة بظهور الاسلام (ويقطع دابر الكافرين) آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير (ليحق الحق ويبطل) يمحق (الباطل) الكفر (ولو كره المجرمون) المشركون ذلك اذكر (اذ تستغيثون ربكم) تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم (فاستجاب لكم أني) أي بأني (ممدكم) معينكم (بألف من الملائكة مردفين) متتابعين يردف بعضهم بعضا وعدهم بها أولا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران وقرئ بآلف كأفلس جمع (وما جعله الله) أي الامداد (الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر

الكاف في أخرجك أي أخرجك ملتبسا بالحق أي الوحي لا عن هوى نفسك (قوله والجملة حال) أي مقدرة لانهم وقت الخروج لم يكونوا كارهين وانما طرأت الكراهة عند الامر بقتال ذي الشوكة (قوله أي هذه الحال) أي وهي قسم الغنائم على العموم (قوله في كراهتهم لها) هذا هو وجه المماثلة والمشابهة بينهما (قوله فكذلك أيضا) أي قسم الغنائم كان خيرا انتهاء لما فيه من اصلاح ذات البين (قوله قدم بعير) أي ابل حاملة تجارة وكان فيها أموال كثيرة ورجال قليلة نحو الاربعين (قوله فعلمت قريش) أي باخبار ضمضم بن عمرو الغفاري الذي اكتراه أبو سفيان ليعلم قريشا بذلك (قوله ومقاتلو مكة) أي وكانوا ألفا الا خمسين (قوله وأخذ أبو سفيان) أي عدل عن الطريق المعتاد للمدينة وسار بساحل البحر (قوله فشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه) أي في المضي الى بدر لقتال النفير (قوله فوافقوه) أي أخيرا بعد أن توقف بعضهم محتجا بعدم التهيؤ وكان اذ ذاك صلى الله عليه وسلم بوادي دقران بدال وقاف وراء بوزن سلمان واد قريب من الصفراء وعند المشاورة قام أبو بكر وعمر فأحسنا في القول ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض كما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس أشيروا علي وهو يريد الانصار فقام سعد بن معاذ فقال كأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق فامض يا رسول الله لما أردت فانا لا نكره أن تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ثم قال رسول الله سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم (قوله يجادلونك في الحق) أي يقيمون عليه الحجة فليس المراد بالجدال الجدال في الباطل (قوله ظهر لهم) أي تحتم القتال (قوله كأنما يساقون الى الموت) أي كأنهم مثل من يساق الى القتل وهو ينظر بعينه أسبابه (قوله في كراهتهم له) هذا هو وجه المشابهة وسبب تلك الكراهة قلة عددهم وعددهم فقد ورد أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر والكل رجال وليس فيهم الا فرسان (قوله بخلاف النفير) أي فانه كثير العدد والعدد (قوله يظهره) جواب عما يقال ان فيه تحصيل الحاصل وكذا يقال في قوله ويبطل الباطل (قوله ليحق الحق) ليس مكررا مع ما قبله لان المراد بالاول تثبيت ما وعده به في هذه الواقعة من النصرة والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية الدين واظهار الشريعة مدى الايام (قوله اذ تستغيثون) اما خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فقط فيكون الجمع للتعظيم أو خطاب للنبي وأصحابه روي عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فنزلت هذه الآية (قوله تطلبون منه الغوث) أشار بذلك الى أن السين والتاء للطلب (قوله ممدكم بألف) ورد أن جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها في يمين العسكر وفيه أبو بكر ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها في يسار الجيش وفيه علي ولم يثبت أن الملائكة قاتلت في وقعة الا في بدر وأما في غيرها فكانت تنزل لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل (قوله يردف بعضهم بعضا) أي يعقبه في المجيء (قوله وعدهم بها أولا) أشار بذلك الى الجمع بين ما هنا وبين ما في آل عمران (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله كأفلس) أي

الامن عند الله ان الله عزيز حكيم) اذكر (اذ يغشاكم النعاس أمنة) أمنا مما حصل لكم من الخوف (منه) تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الاحداث والجنابات (ويذهب عنكم رجز الشيطان) وسوسته اليكم بانكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء (وليربط) يحبس (على قلوبكم) باليقين والصبر (ويثبت به الاقدام) أن تسوخ فى الرمل (اذ يوحى ربك الى الملائكة) الذين أمد بهم المسلمين (أنى) أى بأنى (معكم) بالعون والنصر (فثبتوا الذين آمنوا) بالاعانة والتبشير (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) الخوف (فاضربوا فوق الاعناق) أى الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) أى أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل اليه سيفه ورماهم صلى الله عليه وسلم بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه منها شئ فهزموا (ذلك) العذاب الواقع بهم (بأنهم شاقوا) خالفوا (الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) له (ذلكم) العذاب (فذوقوه) أيها الكفار فى الدنيا (وأن للكافرين) فى الآخرة (عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أى مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون (فلا تولوهم الادبار) منهزمين (ومن يولهم يومئذ)

فابدلت الهمزة الثانية ألفا (قوله الامن عند الله) أى فلا تتوقف على تهيؤ بعدد ولا عدد (قوله اذ يغشاكم النعاس) أى دفعة واحدة فناموا كلهم وهذا على خلاف العادة فهى معجزة لرسول الله حيث غشى الجميع النوم فى وقت الخوف وفيه ثلاث قرا آت سبعية يغشاكم كيلقاكم والنعاس مرفوع على الفاعلية ويغشيكم بتشديد الشين وضم ياء المضارعة ويغشيكم بتخفيف الشين وضم ياء المضارعة والنعاس منصوب على المفعولية فى هاتين القراءتين (قوله أمنة) منصوب على الحال على القراءة الاولى أو المفعول لاجله على القراءتين الاخيرتين قال عبد الله بن مسعود النعاس فى القتال أمنة من الله وفى الصلاة من الشيطان قيل انهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة المسلمين وعطشوا عطشا شديدا ألقى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم العطش وتمكنوا من قتال عدوهم فكان ذلك النوم نعمة فى حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لتنبهوا له وقدروا على دفعه (قوله من الخوف) بيان لما (قوله ليطهركم الخ) أى وذلك انهم وقفوا فى كثيب رمل فشق المشى عليهم فيه من لينه ونعومته واشتد عليهم الخوف من أن يأتيهم العدو فى تلك الحالة فألقى الله عليهم النعاس فاحتلم معظمهم فاشتد احتياجهم الى الماء فوسوس لهم الشيطان بما ذكره المفسر فرد الله كيده بانزال المطر الكثير عليهم فشربوا وتطهروا وملؤا القرب وتلبد الرمل حتى سهل المشى عليه (قوله اذ يوحى ربك) معمول لمحذوف أى اذكر ولم يقدره المفسر اتكالا على تقديره فيما سبق (قوله الى الملائكة) أل للعهد الذكرى أى المذكورين فيما سبق فى قوله انى ممدكم بألف من الملائكة كما أشار اليه المفسر (قوله أنى معكم) الجملة فى محل نصب مفعول ليوحى (قوله فثبتوا الذين آمنوا) أى قووا قلوبهم واختلف فى كيفية هذه التقوية فقيل ان الشيطان كما أن له قوة فى القاء الوسوسة فى قلب ابن آدم بالسوء كذلك الملك له قوة فى القاء الالهام فى قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقيه الملك الهاما وقيل ان ذلك التثبيت حضورهم القتال معهم ومعونتهم لهم بالقتال بالفعل وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشى فى صفة رجل أمام الصف ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم (قوله سألقى فى قلوب الذين كفروا) كالتفسير لقوله أنى معكم وقوله فاضربوا الخ كالتفسير لقوله فثبتوا ففيه لف ونشر مرتب (قوله الرؤس) تفسير لفظ فوق وقد توسع فيه حيث استعملوه مفعولا به وان كان أصله ظرف مكان ملازم للظرفية وقيل ان لفظة فوق زائدة وقد أشار له المفسر بقوله يقصد ضرب رقبة الكافر الخ فقد أشار المفسر الى قولين وقيل ان فوق باقية على ظرفيتها والمفعول محذوف أى فاضربوهم فوق الاعناق وقيل ان فوق بمعنى على والمفعول محذوف أيضا أى فاضربوهم على الاعناق (قوله أى أطراف اليدين والرجلين) فى المصباح البنان الاصابع وقيل أطرافها والواحدة بنانة (قوله الا دخل فى عينيه) أى وفى فمه وأنفه (قوله ذلك العذاب) أى من القاء الرعب والقتل والاسر وقوله بأنهم الباء سببية (قوله خالفوا الله ورسوله) أصل معناها المجانبة لانهم صاروا فى شق وجانب عن النبى والمؤمنين (قوله فان الله شديد العقاب) أى وما نزل بهم فى هذا اليوم قليل بالنسبة لما ادخر لهم عند الله (قوله ذلكم العذاب) اسم الاشارة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر وقوله فذوقوه لا تعلق له بما قبله من جهة الاعراب (قوله وأن للكافرين) عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه (قوله يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم) خطاب لكل من حضر القتال (قوله زحفا) حال من المفعول به وهو الذين فهو مؤول بالمشتق أى حال كونهم زاحفين (قوله أى مجتمعين الخ) أى فالمعنى على التشبيه بالزاحفين على أدبارهم فى بطء السير وذلك لان الجيش اذا كثر والتحم بعضه ببعض يتراءى ان سيره بطىء وان كان فى نفس الامر سريعا وفى المصباح زحف القوم زحفا من باب نفع (قوله فلا تولوهم الادبار) ويطلق الدبر على مقابل القبل ويطلق على الظهر وهو المراد هنا والمقصود لازم تولية الظهر وهو الانهزام فهذا اللفظ استعمل فى لازم معناه كما أشار له المفسر بقوله منهزمين والادبار مفعول ثان لتولوهم وكذا دبره مفعول ثان ليولهم وفى الآية

ى يوم اقائهم (دبره الا متحرفا) منعطفا (لقتال) بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة (أو متحيزا) منضما (الى فئة) جماعة من المسلمين يستنجد بها (فقد باء) رجع (بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) المرجع هى وهذا مخصوص بما اذا لم يزد الكفار على الضعف (فلم تقتلوهم) ببدر بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصره اياكم (وما رميت) يا محمد أعين القوم (اذ رميت) بالحصى لان كفا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر (ولكن الله رمى) بايصال ذلك اليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين (وليبلى المؤمنين منه بلاء) عطاء (حسنا) هو الغنيمة (ان الله سميع) لاقوالهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) الابلاء حق (وان الله موهن) مضعف (كيد الكافرين ان تستفتحوا) أيها الكفار أى تطلبوا الفتح أى القضاء حيث قال أبو جهل منكم اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة أى أهلكه (فقد جاءكم الفتح) القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وان تنتهوا) عن الكفر والحرب (فهو خير لكم وان تعودوا) لقتال النبى صلى الله عليه وسلم (نعد) لنصره عليكم (ولن تغنى) تدفع عنكم فئتكم) جماعاتكم (شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين) بكسر ان استئنافا وفتحها على تقدير اللام (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا) تعرضوا (عنه) بمخالفة أمره (وأنتم تسمعون) القرآن والمواعظ (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون (ان شر الدواب عند الله الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به (الذين لا يعقلون)

تعريض حيث ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها فى تعبيره بلفظ الدبر دون الظهر (قوله أى يوم لقائهم) حل معنى والا فقتضى التنوين فى اذ أن يقول يوم اذ لقيتموهم لانه عوض عن جملة (قوله الا متحرفا) فى نصبه مع ما عطف عليه وجهان أحدهما أنه حال والثانى انه مستثنى من ضمير المؤمنين (قوله الفرة) بفتح الفاء وهى المرة من الفر بمعنى الفرار أى الهرب وقوله مكيدة أى خديعة ومكرا وقوله وهو يريد الكرة أى الرجعة لان الكرة المرة من الرجوع والكر الرجوع وهذا أحد أبواب الحرب ومكايدها (قوله أو متحيزا) التحيز والتحوز الانضمام وأصل متحيز متحيوز اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء (قوله يستنجد) أى يستنصر ويستعين (قوله فقد باء بغضب) جواب الشرط ومن والباء للملابسة أى ملتبسا ومصحوبا بغضب (قوله ومأواه) أى مسكنه وفى الآية وعيد عظيم ولذلك قيل ان الفرار أكبر الكبائر بعد الكفر (قوله مخصوص) أى مقصور أى فان زادت عن الضعف كما اذا كان المسلمون ربع الكفار فلا يحرم الفرار (قوله فلم تقتلوهم) نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون بعد رجوعهم من بدر فكان الواحد منهم يقول أنا قتلت كذا أسرت كذا فعلمهم الله الادب بقوله فلم تقتلوهم الخ والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر أى افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم (قوله ولكن الله قتلهم) قرئ بتشديد لكن وتخفيفها فعلى التخفيف تكون مهملة ولفظ الجلالة مرفوع على الابتداء وعلى التشديد تكون عاملة عمل ان ولفظ الجلالة منصوب على انه اسمها وهما قراءتان سبعيتان (قوله وما رميت اذ رميت) ظاهره التناقض حيث جمع بين النفى والاثبات والجواب أن المنفى الرمى بمعنى ايصال الحصى لاعينهم والمثبت فعل الرمى كما أشار لهذا الجواب المفسر بقوله بايصال ذلك اليهم (قوله ولكن الله رمى) فيه القراءتان المتقدمتان وقد علمت أن حكمة قوله تعالى فلم تقتلوهم التأديب لبعض المؤمنين وأما حكمة قوله تعالى وما رميت فاثبات انها معجزة من الله لنبيه لتذكر من جملة معجزاته التى أمر بالتحدث بها قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال البوصيرى

و رمى بالحصى فأقصد جيشا ﴿﴾ ما العصا عنده وما الالقاء

(قوله فعل) أى الله ذلك أى القتل والرمى وقوله ليقهر الخ قدره ليعطف عليه وليبلى (قوله عطاء) أى فالمراد من الابلاء الاعطاء فهو ابلاء خير لا شر فان البلاء يقع على النعمة وعلى المحنة لان أصله الاختبار وذلك تارة يكون بالمحنة لاظهار الصبر ويكون بالنعمة لاظهار الشكر (قوله ذلكم) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله حق وقوله وان الله يجوز أن يكون معطوفا على ذلكم فيكون فى محل رفع بالابتداء وخبره محذوف أيضا والمعنى ذلكم الابلاء للمؤمنين حق وتوهين كيد الكافرين حق وموهن بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين فكيد منصوب على المفعولية به وقرئ بسكون الواو وتخفيف الهاء من أوهن كأكرم منونا أو مضافا الى كيد فالقراءات ثلاث وكلها سبعية (قوله أيها الكفار) أى فهو خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم لانهم الذين وقع بهم الهلاك والفتح وقع لغيرهم (قوله أى القضاء) أى الحكم بينكم وبين محمد بنصر المحق وخذلان المبطل (قوله حيث قال أبو جهل) أى وغيره من قريش حين أرادوا الخروج الى بدر تعلقوا باستار الكعبة ودعوا بما ذكره المفسر (قوله أينا) أى الفريقين يعنى نفسه ومن معه ومحمدا ومن معه وهو يزعم أن محمدا هو القاطع للرحم حيث خرج من بلده وترك أقاربه (قوله فأحنه الغداة) الحين بالفتح الهلاك يقال حان الرجل هلك وأحانه الله أهلكه والغداة ظرف للحين أى أهلكه فيما يستقبل (قوله وفتحها على تقدير اللام) أى ففيه قراءتان سبعيتان أى واللام المقدرة تعليل (قوله يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله) أى دوموا على طاعته وعلى عدم التولى بعد ما كم العز الذى حصل ببدر (قوله ان شر الدواب الخ) نزلت فى جماعة من بنى عبد الدار بن قصى كانوا يقولون

نحن صم بكم عما جاء به محمد وتوجهوا مع أبي جهل حاملين للواء لقتال النبي وأصحابه ببدر فقتلوا
جميعاً ولم يسلم منهم إلا اثنان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة والدواب في اللغة ما دب على وجه الأرض
عاقلاً أو غيره وفي العرف مخصوص بالخيل والبغال والحمير وفي الآية غاية الذم لهم بأنهم أشر من الكلاب
والخنازير والحمير (قوله ولو علم الله فيهم خيراً) هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على عدم إيمانهم ولو
حرف امتناع لامتناع والمعنى امتنع إسماعهم الخير سماع تفهم لامتناع علم الخير فيهم (قوله ولو أسمعهم)
هذا ترق في التسلية والمعنى لو فرض أن الله أسمعهم سماع تفهم لتولوا وهم معرضون عنه عناداً فلا تحزن
على كفرهم فإن كفرهم ثابت مطلقاً فهموا الحق أولا هذا حاصل معنى الآية واستشكل ظاهرها بأن
الآية دلت على قياس حاصله لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا ينتج لو علم الله فيهم خيراً لتولوا
وهو فاسد إذ لو علم الله الخير فيهم لآمنوا ولم يكفروا وأجيب بجوابين الأول أن الحد المكرر لم يتحد معنى
وشرط الإنتاج اتحاده معنى لأن المراد بالإسماع الأول الموجب للفهم والإذعان والإسماع الثاني للفهم
من غير إذعان الثاني أن الكلام تم عند قوله لأسمعهم وقوله ولو أسمعهم ترق في التشنيع عليهم فالمعنى هم
لم يؤمنوا ولم ينقادوا عند التفهيم على فرض حصوله فعدم إيمانهم عند عدمه أولى نظير لو لم يخف الله لم
يعصه ولكن توليهم عند ظهور الحق عناد وجحود وعند عدمه جهل (قوله استجيبوا) السين والتاء
زائدتان للتوكيد (قوله إذا دعاكم) أفرد لأن دعوة الرسول في الحقيقة هي لله وذكر الرسول أولاً لأنه المبلغ
عن الله فعدم طاعته مخالفة لله (قوله لما يحييكم) ما إما نكرة وجملة يحييكم صفة أو اسم موصول وما
بعدها صلة والمعنى لما فيه حياتكم الأبدية (قوله من أمر الدين) أي وهو الإيمان والإسلام وقيل هو
القرآن لأنه حياة القلوب وبه النجاة من أهوال الدنيا والآخرة وقيل هو الحق مطلقاً وقيل الجهاد في
سبيل الله وأعمها ما قاله المفسر (قوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي يفصل بينهما بتصاريفه
وأحكامه وذلك كناية عن كونه أقرب للشخص من قلبه ومن قلبه لذاته بل هو أقرب من السمع للأذن
ومن البصر للعين ومن اللمس للجسد ومن الشم للأنف ومن الذوق للسان فشبه القرب بالحيلولة واستعير
اسم المشبه به وهو الحيلولة للمشبه وهو القرب واشتق من الحيلولة يحول بمعنى يقرب على سبيل الاستعارة
التصريحية التبعية (قوله فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته) تقدم أنه لا مفهوم للكفر
والإيمان بل السمع والبصر والشم والذوق واللمس في قبضة الله سبحانه إن شاء أبقاه وإن شاء أذهبه وإنما
خص الإيمان والكفر لأن مناط السعادة والشقاوة بهما (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أي إن خيراً فخير
وإن شراً فشر (قوله واتقوا فتنة) أي سبب فتنة وهي المعاصي فإنها سبب لنزول المصائب الدنيوية
(قوله لا تصيبن) الجملة صفة لفتنة ولا نافية وتصيبن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد
الثقيلة وهو واقع في جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله إن أصابتكم وليس جواباً للأمر لأن المرتب
على تقواها عدم إصابتها أحداً لا خصوصاً ولا عموماً وإنما أكد الفعل المضارع المنفي بالنون إجراء له
مجرى النهي (قوله بل تعمهم وغيرهم) أي فالظالم لظلمه وغير الظالم لإقراره وسكوته وعدم نهيه عن
المنكر وفي الحديث ما معناه مثل الظالم كمثل جماعة في أسفل مركب ومثل غير الظالم كمثل جماعة
في أعلى المركب فأراد أهل الأسفل أن يخرقوا خرقاً يستقون منه فإن سلم لهم أهل الأعلى هلكوا جميعاً
وإن قاموا عليهم نجوا جميعاً قال ابن عباس أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله
بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم وفي الحديث إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر
بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة وورد
إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن
شهدها إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في ذلك فإذا علمت ذلك فلا تستشكل هذه بقوله تعالى ولا
تزر وازرة وزر أخرى بما علمت أن الساكت على المنكر مؤاخذ بوزر نفسه لا بوزر المباشر (قوله
واذكروا) خطاب للنبي وأصحابه نزلت بعد غزوة بدر (قوله مستضعفون) أي مقهورون [illegible]

(ولو علم الله فيهم خيراً) صلاحاً بسماع الحق (لأسمعهم) سماع تفهم (ولو أسمعهم) فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم (لتولوا) عنه (وهم معرضون) عن قبوله عناداً وجحوداً (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (إذا دعاكم لما يحييكم) من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته (وأنه إليه تحشرون) فيجازيكم بأعمالكم (واتقوا فتنة) إن أصابتكم (لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن خالفه (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض) أرض مكة (تخافون أن يتخطفكم الناس) يأخذكم الكفار بسرعة (فآواكم) إلى المدينة (وأيدكم) قواكم (بنصره) يوم بدر بالملائكة (ورزقكم من الطيبات)

أمركم بالقتال (قوله الغنائم) أى فلما هاجروا وأمروا بالقتال تركوا التجارة وصار رزقهم من الغنائم وفى
الحديث جعل رزقى تحت ظل رمحى (قوله لعلكم تشكرون) أى فتزدادوا من النعم لأن بالشكر تزداد
النعم قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم (قوله ونزل فى أبى لبابة) اسمه مروان كما فى بعض النسخ وقيل
رفاعة (قوله وقد بعثه الخ) حاصل قصته أن رسول الله حاصر قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر
وقيل بضعة عشر يوما فلما اشتد عليهم الأمر قام عليهم رئيسهم كعب بن أسد وعرض عليهم الايمان فقال
يا معشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وانى أعرض عليكم خصالا ثلاثة فخذوا أيها شئتم قالوا وما هى
قال نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين أنه نبى مرسل وأنه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على
دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فأبوا فقال هلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه
رجالا مجردين السيوف من أغمادها لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فقالوا أى عيش
لنا بعد أبنائنا ونسائنا فقال ان هذه الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا
لعلنا نصيب منهم غرة فقالوا نفسد سبتنا وقد علمت ما مسخ من خالف السبت فأرسلوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن ابعث لنا أبا لبابة نستشيره فى أمرنا فأرسله اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وفزع النساء
والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى
حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله ثم
انطلق وسلك طريقا أخرى فلم يأت رسول الله حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده وقال لا أبرح من
مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت فلما بلغ خبره رسول الله وقد استبطأه قال أما لو جاءنى
لاستغفرت له وأما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه فأقام أبو لبابة مرتبطا
بالجذع ست ليال وقيل بضعة عشر ليلة حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره وكانت امرأته تأتيه فى وقت
كل صلاة فتحله للصلاة ثم ترابطه ثم نزلت توبته فى بيت أم سلمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرا
فقام يضحك فقالت أم سلمة مم تضحك أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت أفلا أبشره يا رسول الله
قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب
الله عليك فثار اليه الناس ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده فلما
أصبح الصبح أطلقه فلما اشتد الحصار على بنى قريظة أطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على حكم رسول الله
فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان فى خيمة فى المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة وكانت
تداوى الجرحى حسبة فأتى به فلما حضر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فقاموا اليه
فقالوا ان رسول الله ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد انى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم
الأموال وتسبى الذرارى والنساء فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة
أرقعة والرقيع السماء ففعل بهم كما قال سعد (قوله يا أيها الذين آمنوا) أتى بالخطاب اشارة الى الستر
عليه وان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله وتخونوا) معطوف على الفعل قبله فهو فى حيز
النهى ولذا قدر المفسر لا فهو نهى عن الخيانتين (قوله وأنتم تعلمون) الجملة حالية من فاعل تخونوا (قوله
صادة) أى مانعة (قوله فلا تفوتوه بمراعاة الأموال الخ) أى لأن الأموال زائلة فانية وسعادة الآخرة لا نهاية
لها فهى أولى بتقديمها على ما يفنى (قوله فرقانا) أى نجاة مما تخافون وقد أشار لهذا المفسر بقوله فتنجون
وقيل المراد بالفرقان النور الكائن فى القلب الذى يفرق به بين الحق والباطل وهو أولى (قوله ويكفر
عنكم سيئاتكم) أى يمحوها فقوله ويغفر لكم عطف مرادف عليه (قوله واذ يمكر بك) اذ ظرف معمول
لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر [illegible] على المؤمنين بقوله
واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض وذكر الآية [illegible] وحاصل ذلك
أن قريشا [illegible] رسول الله [illegible] فى دار الندوة
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وأبو سفيان

الغنائم (لعلكم تشكرون) نعمه * ونزل فى أبى لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار اليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول و) لا (تخونوا أماناتكم) ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره (وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) لكم صادة عن أمور الآخرة (وأن الله عنده أجر عظيم) فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم * ونزل فى توبته (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) بالانابة وغيرها (يجعل لكم فرقانا) بينكم وبين ما تخافون فتنجون (ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم و) اذكر يا محمد (اذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للمشاورة فى شأنك

وطعمة بن عدي والنضر بن الحرث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود فجاءهم ابليس في صورة شيخ نجدي فلما رأوه قالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري اما أنا فأرى ان تأخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه حتى يهلك فصرخ ذلك الشيخ النجدي وقال بئس الرأي ان أصحابه يقاتلونكم ويخرجونه قهرا عليكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال هشام بن عمرو وأنا أرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع فقال ذلك الشيخ النجدي ما هذا برأي تعمدون الى رجل قد أفسد سفهاءكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه لئن فعلتم ذلك ليذهب ويستميل قلوب قوم آخرين فيسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقال أبو جهل اني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا ويعطى كل شاب سيفا صارما ثم يضربونه ضربة واحدة فاذا قتل تفرق دمه في القبائل ولا أظن أن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها فانهم يطلبون ديته وهو أمر سهل فقال ابليس انه أجودكم رأيا فتفرقوا على ذلك فأتى جبريل وأخبر رسول الله بذلك وبأن الله أذن له في الخروج الى المدينة فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فأمر رسول الله عليا أن يبيت بمضجعه وقال له تسج ببردتي فانه لن يخلص اليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أخذ الله أبصارهم فلم يره منهم أحد ونثر على رؤسهم التراب وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم أتاهم آت فقال لهم ان محمدا خرج عليكم ووضع التراب على رؤسكم فما من رجل منهم أصابه ذلك التراب الا قتل يوم بدر كافرا (قوله بدار الندوة) أي بالدار التي يقع فيها الحديث والاجتماع وهي أول دار بنيت بمكة فلما حج معاوية اشتراها من الزبير العبدري بمائة ألف درهم ثم صارت كلها بالمسجد الحرام وهي في جانبه الشمالي (قوله ليثبتوك) هذا اشارة لرأي أبي البختري (قوله أو يقتلوك) أي شبان القبائل كلهم قتلة رجل واحد وهو اشارة لرأي أبي جهل (قوله أو يخرجوك) هو اشارة لرأي هشام ابن عمرو (قوله ويمكرون بك) أي يحتالون ويتدبرون في أمرك (قوله بتدبير أمرك) جواب عما يقال ان حقيقة المكر محالة على الله تعالى لانه الاحتيال على الشيء من أجل حصول العجز عنه وأجيب أيضا بأن المراد بمكر الله معاملته لهم معاملة الماكر حيث خيب سعيهم وضيع أملهم أو المراد جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء مكرا لانه في مقابلته (قوله أعلمهم به) دفع بذلك ما يقال ان المكر لا خير فيه وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابه (قوله واذا تتلى عليهم) هذا من جملة قبائح أهل مكة (قوله مثل) هذا تنازعه كل من سمعنا وقلنا (قوله الحيرة) بلدة بقرب الكوفة (قوله أخبار الاعاجم) أي كالفرس والروم (قوله الاساطير) جمع أسطورة كاكاذيب جمع أكذوبة وزنا ومعنى وقد رد الله عليهم تلك المقالة بقوله تعالى قل فأتوا بعشر سور مثله وقال أيضا قل فأتوا بسورة مثله فعجزوا عن ذلك وقال البوصيري

سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

(قوله واذ قالوا) هذا من جملة قبائحهم الشنيعة (قوله هو الحق) القراء السبعة على نصب الحق خبرا لكان وهو ضمير فصل لا محل له من الاعراب وقرئ شذوذا برفعه على أنه خبر الضمير والجملة خبر لكان (قوله من عندك) حال من الحق (قوله حجارة من السماء) أي من سجيل مسومة كما أرسلتها على أصحاب الفيل (قوله بعذاب أليم) أي كالصيحة والخسف (قوله قاله النضر) أي ابن الحرث وقوله أو غيره أي وهو أبو جهل ولا مانع من أن كلا قال ذلك (قوله استهزاء) أي سخرية به صلى الله عليه وسلم (قوله وايهاما أنه على بصيرة) أي لان أصعب الايمان الدعاء على النفس (قوله بما سألوه) أي وهو الحجارة أو العذاب الاليم لا بالعذاب العام لرفعه ببركته صلى الله عليه وسلم (قوله وأنت فيهم) أي في بلدهم فان خرجت منها أنت والمؤمنون عذبهم الله على أيديكم عذابا خاصا بهم (قوله وما كان الله معذبهم) أي عذابا عاما ولا خاصا (قوله وهم يستغفرون) الجملة حالية من الضمير في معذبهم والمعنى ان الله

بدار الندوة (ليثبتوك) يوثقوك ويحبسوك (أو يقتلوك) كلهم قتلة رجل واحد (أو يخرجوك) من مكة (ويمكرون) بك (ويمكر الله) بهم بتدبير أمرك بأن أوحى اليك ما دبروه وأمرك بالخروج (والله خير الماكرين) أعلمهم به (واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) قاله النضر بن الحرث لانه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الاعاجم ويحدث بها أهل مكة (ان) ما (هذا) القرآن (الا أساطير) أكاذيب (الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا) الذي يقرؤه محمد (هو الحق) المنزل (من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) مؤلم على انكاره قاله النضر أو غيره استهزاء وايهاما أنه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم) بما سألوه (وأنت فيهم) لان العذاب اذا نزل عم ولم تعذب أمة الا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) حيث يقولون في طوافهم غفرانك غفرانك

وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (وما لهم أن لا يعذبهم الله) بالسيف بعد خروجك

والمستضعفين وعلى القول الاول هي ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره (وهم يصدون) يمنعون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عن المسجد الحرام) أن يطوفوا به (وما كانوا أولياءه) كما زعموا (إن) ما (أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن لا ولاية لهم عليه (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء) صفيرا (وتصدية) تصفيقا أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها (فذوقوا العذاب) ببدر (بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم) في حرب النبي صلى الله عليه وسلم (ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون) في عاقبة الامر (عليهم حسرة) ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه (ثم يغلبون) في الدنيا (والذين كفروا) منهم (الى جهنم) في الآخرة (يحشرون) يساقون (ليميز) متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أي يفصل (الله الخبيث) الكافر (من الطيب) المؤمن (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) يجمعه متراكما بعضه على بعض (فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا) كابي سفيان وأصحابه (ان ينتهوا) عن الكفر وقتال النبي صلى الله عليه وسلم (يغفر لهم ما قد سلف) من أعمالهم (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنة الاولين) أي سنتنا فيهم بالاهلاك فكذا نفعل بهم

لا يعذبهم والحال أنهم يستغفرون فاستغفارهم نافع لهم بعدم نزول العذاب عليهم ان قلت يشكل على هذا قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال أجيب بأن استغفارهم نافع لهم في الدنيا فقط وأما هاتان الآيتان فالمراد منهما ما يحصل في الآخرة فأعمال الكفار الصالحة التي لا تفتقر الى نية كالصدقات وفعل المعروف والاستغفار تنفعهم في الدنيا وتمنع عنهم العذاب فيها ولا تنفعهم في الآخرة (قوله وقيل هم المؤمنون) أي فضمير يعذبهم يعود الى أهل مكة وقوله وهم الضمير عائد على أهل مكة باعتبار مجموعهم وهم المؤمنون (قوله لو تزيلوا) أي تميز المؤمنون عن الكفار (قوله وما لهم أن لا يعذبهم الله) أي أي شيء ثبت لهم في عدم تعذيب الله لهم أي لا مانع لهم منه (قوله والمستضعفين) أي وخروج المستضعفين أيضا (قوله وعلى القول الاول) أي وهو كون الضمير عائدا على الكفار (قوله هي ناسخة لما قبلها) أي وهي قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون لانه أخبر أولا انه لا يعذبهم مع استغفارهم وأخبر ثانيا أنه يعذبهم ولا يبالي باستغفارهم والوجه أنها ليست منسوخة لانها خبر والاخبار لا تنسخ وأيضا استغفارهم قد انقطع بخروجهم فلا تنافي لارتباط استغفارهم بالبيت (قوله وهم يصدون) الجملة حالية من ضمير يعذبهم (قوله ان يطوفوا به) أي النبي والمؤمنون (قوله وما كانوا أولياءه) رد لقولهم نحن ولاة البيت فنصد من نشاء وندخل من نشاء (قوله ان أولياؤه الا المتقون) أي المجتنبون الشرك (قوله أن لا ولاية لهم عليه) أشار بذلك الى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله الا مكاء) استثناء من الصلاة على حسب زعمهم حيث ادعوا أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة والاستثناء زيادة في التشنيع عليهم (قوله صفيرا) أي فكان الواحد منهم يشبك أصابع احدى كفيه بأصابع الاخرى ويضعهما ويتفخ فيهما فيظهر من ذلك صوت (قوله تصفيقا) أي ضربا بالاحدى اليدين على الاخرى (قوله أي جعلوا ذلك الخ) جواب عما يقال ان المكاء والتصدية ليسا من جنس الصلاة فكيف يصح استثناؤهما منها فأجاب بأنهم كانوا يعتقدون أنهما من جنسها فجرى الاستثناء على معتقدهم وكانوا يفعلون ذلك حين يشتغل النبي والمؤمنون بالصلاة وقراءة القرآن كما حكى الله عنهم بقوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه (قوله ان الذين كفروا) نزلت في كفار مكة ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فان المشاهد في الكفار ذلك الى يوم القيامة (قوله فسينفقونها) أي يعلمون عاقبة انفاقها (قوله ثم تكون في عاقبة الامر) أي وهي عدم وصولهم لمقصودهم (قوله ثم يغلبون) التعبير بثم اشارة الى أنهم يمهلون استدراجا لهم وزيادة حسرة لهم في العاقبة (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله جميعا) اما حال من الهاء في فيركمه أو توكيد لها (قوله يجمعه متراكما بعضه على بعض) ظاهر الآيتان هذا الجمع قبل دخولهم النار وحينئذ فيكون بيانا لحالهم في الموقف لما تقدم أنه يكون سبعون ألف قدم على قدم (قوله أولئك هم الخاسرون) أي الخائبون في الدنيا والآخرة (قوله قل للذين كفروا) أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الكفار ذلك (قوله كابي سفيان وغيره) انما خصهم لانهم هم الباقون من كفار مكة لان الآية نزلت بعد بدر وفيها قتل من قتل من صناديدهم وبقي من بقي فالخطاب لمن بقي (قوله ان ينتهوا عن الكفر) أي بأن ينطقوا بالشهادتين صادقين مصدقين فكلمة التوحيد سبب الانتقال من ديوان الاشقياء لديوان السعداء اذا علمت ان هذا الفضل لمن سبق له الكفر فما بالك بمن لم يسبق له الكفر وعاش ومات ومداوما كذلك قال السنوسي فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من المعاني حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه فانه يرى لها من الاسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حصر (قوله من أعمالهم) أي السيئة وأعظمها الكفر (قوله وان يعودوا) وأصل العود الرجوع عن الشيء بعد التلبس به وحينئذ فيكون المعنى وان يرتدوا عن الاسلام بعد التلبس به فيصح أن يفسر العود بالاستمرار على الكفر (قوله فقد مضت سنة الاولين) أي كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم

من

(وقاتلوهم حتى لا تكون) توجد (فتنة) شرك (ويكون الدين كله لله) وحده ولا يعبد غيره (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم به (وان تولوا) عن الايمان (فاعلموا أن الله مولاكم) ناصركم ومتولي أموركم (نعم المولى) هو (ونعم النصير) أي الناصر لكم (واعلموا أنما غنمتم) أخذتم من الكفار قهرا (من شيء فأن لله خمسه) يأمر فيه بما يشاء (وللرسول ولذي القربى) قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب (واليتامى) أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء (والمساكين) ذوي الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي صلى الله عليه وسلم والاصناف الاربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خمس الخمس والاخماس الاربعة الباقية للغانمين (ان كنتم آمنتم بالله) فاعلموا ذلك (وما) عطف على بالله (أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الملائكة والآيات (يوم الفرقان) أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكفار (والله على كل شيء قدير) ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم (اذ) بدل من يوم (أنتم) كائنون (بالعدوة الدنيا) القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرها جانب الوادي (وهم بالعدوة القصوى) البعدى منها (والركب) العير كائنون بمكان (أسفل منكم) مما يلي البحر (ولو تواعدتم) أنتم والنفير للقتال (لاختلفتم في الميعاد ولكن) جمعكم بغير ميعاد (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) في علمه وهو نصر الاسلام ومحق الكفر فعل ذلك

ممن هلك ان قلت ان هؤلاء قد أصابهم الهلاك العام وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمحفوظة منه وأجيب بأن التشبيه في مطلق هلاك وان كان ما سبق عاما وهذا خاص والاقرب ان يراد بالاولين من سبق قبلهم من أولاد عمهم وأقاربهم ممن قتل ببدر وجملة فقد مضت سنة الاولين تعليل لمحذوف ولا يصلح للجواب وتقدير الجواب وان يعودوا نهلكهم كما أهلكنا الاولين (قوله وقاتلوهم) أي الكفار مطلقا مشركين أو غيرهم (قوله حتى لا تكون فتنة) أي شوكة لاهل الشرك أي بأن ينقرضوا رأسا أو بدخولهم في الاسلام أو بأن يؤدوا الجزية بدليل قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى ان قال حتى يعطوا الجزية فالمكلف به مأخوذ من مجموع الآيتين (قوله توجد) أشار بذلك الى أن كان تامة وفتنة بالرفع فاعلها (قوله ويكون الدين كله لله) يكون ناقصة والدين اسمها ولله متعلق بمحذوف خبرها (قوله بما يعملون) القراء السبعة على الياء التحتية وقرأ يعقوب من العشرة بالتاء الفوقية (قوله فيجازيكم به) أي بالذي تعملونه من خير وشر (قوله وان تولوا) أي أعرضوا ولم يمتثلوا (قوله نعم المولى) هذا ثناء من الله على نفسه فهو حمد قديم لقديم والمعنى أن الله ينصر العبد ويشكره ولا يضيعه بخلاف الناصر من الخلق ينصر ويمن بذلك النصر (قوله هو) أشار بذلك الى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله واعلموا أنما غنمتم) تقدم ان الحق أن هذه الآية مفصلة لآية يسئلونك عن الانفال (قوله من شيء) بيان لما ونكره ليشمل الجليل والحقير والشريف والوضيع (قوله فأن لله خمسه) بفتح الهمزة خبر لمحذوف والتقدير فحكمه أن خمسه لله (قوله يأمر فيه بما يشاء) أي فالخمس يقسم ستة أقسام قسم لله يصرف في الكعبة والخمسة أقسام للنبي ولآله واليتامى والمساكين وابن السبيل وبذلك قال بعض الائمة غير الاربعة وقال الائمة الاربعة انه يقسم خمسة أقسام فقط الخمسة المذكورين وذكر الله للتعظيم وهذا ما كان في زمنه وأما بعد وفاته فالخمس الذي كان يأخذه النبي يوضع في بيت المال يصرف في مصالح المسلمين وهو كواحد منهم وبهذا قال الشافعي وقال مالك النظر فيه للامام وقال أبو حنيفة سقط سهمه وسهم القربى بوفاته وصار الكل للثلاثة فقط (قوله من بني هاشم والمطلب) هذا مذهب الشافعي وعند مالك الآل بنو هاشم فقط وعند أبي حنيفة فرق خمسة آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس وآل الحرث (قوله والمساكين) المراد بهم ما يشمل الفقراء (قوله المنقطع في سفره) أي المحتاج ولو غنيا ببلده (قوله أي يستحقه النبي) انما لم يقل الله والنبي اشارة الى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك كما هو التحقيق (قوله من ان لكل) أي من الاصناف الخمسة (قوله والاخماس الاربعة) بيان لمفهوم قوله خمسة (قوله فاعلموا ذلك) أشار بذلك الى أن جواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه والمراد علم ذلك مع العمل بمقتضاه لان العلم المجرد لا ثمرة له (قوله عطف على بالله) أي على مدخول الباء وهو لفظ الجلالة (قوله من الملائكة الخ) بيان لما (قوله الفارق بين الحق) أي بظهوره واتضاحه وقوله والباطل أي بخموده وذهابه (قوله يوم التقى الجمعان) بدل من يوم الاول (قوله والله على كل شيء قدير) كالتذييل والدليل لما قبله (قوله بدل من يوم) أي الثاني بدل اشتمال (قوله بضم العين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان والعدوة الشاطئ والشفير والجانب سميت بذلك لان السيل يعد وها أي يتجاوزها فلا يعلوها عن الوادي والمعنى أنتم بالجانب القريب من المدينة وهم بالجانب الآخر وبينهما مقدار الرمي (قوله كائنون بمكان أسفل منكم) أشار المفسر الى أن الركب مبتدأ خبره محذوف وقوله أسفل ظرف صفة لمحذوف والمعنى ان الركب في مكان أسفل منكم بحيث لو استغاثوا بقومهم لاغاثوهم (قوله ولو تواعدتم) أي أعلم كل منكم الآخر بالخروج للقتال (قوله لاختلفتم في الميعاد) أي لأمكن اختلافكم في التواعد بمعنى انكم لم توفوا بذلك بل قد تتخلفون عن الخروج (قوله

(ليهلك) بالكفر (من هلك عن بينة) أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير (ويحيى) يؤمن

(من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم) اذكر (إذ يريكهم الله في منامك) أي نومك (قليلا) فأخبرت به أصحابك فسروا (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) جبنتم (ولتنازعتم) اختلفتم (في الأمر) أمر القتال (ولكن الله سلم) كم من الفشل والتنازع (إنه عليم بذات الصدور) بما في القلوب (وإذ يريكموهم) أيها المؤمنون (إذ التقيتم في أعينكم قليلا) نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم (ويقللكم في أعينهم) ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما في آل عمران (ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع) تصير (الأمور يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة) جماعة كافرة (فاثبتوا) لقتالهم ولا تنهزموا (واذكروا الله كثيرا) ادعوه بالنصر (لعلكم تفلحون) تفوزون (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) تختلفوا فيما بينكم (فتفشلوا) تجبنوا (وتذهب ريحكم) قوتكم ودولتكم (واصبروا إن الله مع الصابرين) بالنصر والعون (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها (بطرا ورئاء الناس) حيث قالوا لا نرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس (ويصدون) الناس (عن سبيل الله والله بما يعملون) بالياء والتاء (محيط) علما فيجازيهم به

ظاهره

ليهلك) علة لمحذوف قدره المفسر بقوله فعل ذلك وهو جمعهم بغير ميعاد واخبر انهم بغير تأمل (قوله بكفر) أي يستمر على كفره (قوله أي بعد حجة) أشار بذلك الى أن عن بمعنى بعد على حد قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق والمعنى انه لم يبق لهم عذر في عدم ايمانهم بل صار كفرهم عنادا (قوله ويحيى) أي يستمر على الحياة وهي الايمان (قوله من حيي) بالفك والادغام قراءتان سبعيتان (قوله وإن الله لسميع) أي بأقوالكم عليم بأحوالكم فيجازيكم عليها (قوله قليلا) مفعول ثالث لان رأى الحلمية تنصب مفعولين بلا همز فاذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة والمعنى اذكر يا محمد هذه النعمة العظيمة وهي رؤيتك اياهم في المنام قليلا تشجيعا لاصحابك وتثبيتا لهم واشارة الى ضعف الكفار وانهم يهزمون وبهذا اندفع ما يقال ان رؤيا الانبياء حق فكيف يراهم قليلا مع كثرتهم (قوله ولو أراكهم كثيرا) أي وأخبرت أصحابك بذلك (قوله ولتنازعتم) عطف على فشلتم عطف سبب على مسبب (قوله ولكن الله سلم) مفعوله محذوف قدره المفسر وقوله من الفشل الخ متعلق بسلم (قوله بما في القلوب) أي بالخطرات والسرائر التي احتوت عليها القلوب فالمراد بصاحبات الصدور السرائر والصدور القلوب من باب تسمية الحال باسم محله (قوله وإذ يريكموهم) هذه الرؤية بصرية فتنصب مفعولا واحدا ان لم تدخل عليها الهمزة والا نصبت مفعولين فالكاف مفعول أول والهاء مفعول ثان وقليلا حال (قوله أيها المؤمنون) تفسير الكاف (قوله وهم ألف) أي في الواقع ونفس الامر (قوله لتقدموا عليهم) علة لقوله يريكموهم الخ (قوله ليقدموا) علة لقوله ويقللكم (قوله وهذا) أي تقليلكم في أعينهم (قوله أراهم) أي الكفار اياهم أي المسلمين مثليهم أي مثلي الكفار وكانوا ألفا فأروا المسلمين قدر ألفين لتضعف قلوبهم ويتمكن المسلمون منهم فلا تنافي بين ما هنا وبين ما تقدم (قوله ليقضي الله أمرا) علة لمحذوف تقديره فعل ذلك ليقضي الخ (قوله ترجع) بالبناء للفاعل أو للمفعول قراءتان سبعيتان والامور فاعل على الاول ونائب فاعل على الثاني (قوله تصير) هذا على قراءة البناء للفاعل وأما على قراءة البناء للمفعول فمعناه ترد (قوله اذا لقيتم فئة) أي حاربتم جماعة والفئة اسم جمع لا واحد له من لفظه (قوله فاثبتوا) أمر للمؤمنين في أي زمان (قوله ادعوه بالنصر) أي فالمراد بالذكر ما يشمل الدعاء ويصح أن يبقى الذكر على اطلاقه فيشمل ملاحظته تعالى بالقلوب وانه معهم بالعون والنصر (قوله لعلكم تفلحون) الترجي بمنزلة التحقيق فانه وعد ووعد الله لا يتخلف (قوله وأطيعوا الله ورسوله) أي فيما يأمركم به (قوله فتفشلوا) عطف مسبب على سبب (قوله تجبنوا) أي عن الحرب (قوله وتذهب ريحكم) عطف مسبب على سبب أيضا وهذا على الترتيب فالاختلاف ينشأ عنه الجبن والجبن ينشأ عنه ذهاب الريح (قوله قوتكم) أي ويطلق على الغلبة والرحمة والنصرة (قوله ودولتكم) الدولة في الحرب بفتح الدال وجمعها دول بكسر الدال وأما دولة المال فبضم الدال وجمعها دول بضم الدال (قوله واصبروا) أي على قتالهم (قوله كالذين خرجوا من ديارهم) أي وهم أبو جهل ومن معه وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان وقال لهم ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان فيتسامع بذلك الناس ويهابوننا (قوله ليمنعوا عيرهم) أي ليمنعوا المسلمين عن قافلتهم التي كانت مع أبي سفيان (قوله ولم يرجعوا بعد نجاتها) قدره المفسر اشارة الى أن بطرا وما عطف عليه علة لمحذوف لا لقوله خرجوا لان خروجهم ليس للبطر بل لمنع الناس عن العير والبطر علة لعدم رجوعهم بعد نجاتها (قوله بطرا) هو وما بعده مفعول لاجله والبطر كفران النعمة وعدم شكرها (قوله القيان) جمع قينة وهي الجارية المغنية قال ابن مالك

فعل وفعلة فعال لهما *

(قوله فيتسامع الناس) أي القبائل فيهابوننا وقد أبدلهم الله بشرب الخمور بشرب كأس الموت وبضرب القيان بنوح النائحات وبنحر الجزور بنحر رقابهم (قوله ويصدون) عطف على بطرا فهو في قوة المصدر أي وصدا قال ابن مالك

* واعطف على اسم شبه فعل فعلا *

(قوله بالياء والتاء)

(و) اذكر (إذ زين لهم الشيطان) إبليس (أعمالهم) بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر (وقال) لهم (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) من كنانة وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية (فلما تراءت) التقت (الفئتان) المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده في يد الحرث بن هشام (نكص) رجع (على عقبيه) هاربا (وقال) لما قالوا له أتخذلنا على هذا الحال (إني بريء منكم) من جواركم (إني أرى ما لا ترون) من الملائكة (إني أخاف الله) أن يهلكني (والله شديد العقاب إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (غر هؤلاء) أي المسلمين (دينهم) إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما أنهم ينصرون بسببه قال تعالى في جوابهم (ومن يتوكل على الله) يثق به يغلب (فإن الله عزيز) غالب على أمره (حكيم) في صنعه (ولو ترى) يا محمد (إذ يتوفى) بالياء والتاء (الذين كفروا الملائكة يضربون) حال (وجوههم وأدبارهم) بمقامع من حديد (و) يقولون لهم (ذوقوا عذاب الحريق) أي النار وجواب لو لرأيت أمرا عظيما (ذلك) التعذيب (بما قدمت أيديكم) عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها (وأن الله ليس بظلام) أي بذي ظلم (للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب دأب هؤلاء (كدأب) كعادة (آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله) بالعقاب (بذنوبهم) جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها

ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك بل التاء الفوقية لم يقرأ بها السبعة ولا العشرة فذكرها سبق قلم (قوله وإذ زين) عطف على ولا تكونوا عطف قصة على قصة وإذ ظرف معمول لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله لما خافوا الخروج) أي لما خافوا من أعدائهم حين الخروج من مكة لقتالهم (قوله بني بكر) أي وهم قبيلة كنانة وكانت قريبة من قريش وبينهم الحروب الكثيرة (قوله وإني جار لكم) أي مجير ومعين (قوله وكان أتاهم الخ) قال ابن عباس جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه راية في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس (قوله ورأى الملائكة) أي نازلين من السماء (قوله أتخذلنا) أي تترك نصرتنا في هذه الحالة فعلى بمعنى في (قوله أن يهلكني) أي بتسليط الملائكة علي إن قلت إنه من المنظرين فكيف يخاف الهلاك حينئذ أجيب بأنه لشدة ما رأى من الهول نسي الوعد بأنه من المنظرين وما أشار له المفسر جواب عما يقال إن الشيطان لا خوف عنده وإلا لما كفر وأضل غيره وأجيب أيضا بأن قوله إني أخاف الله كذب ولا مانع من ذلك (قوله والله شديد العقاب) يصح أن يكون من جملة قول الشيطان واعتذاره أو مستأنف تهديد له من كلام الله تعالى (قوله إذ يقول المنافقون) أي الكائنون بالمدينة وقوله والذين في قلوبهم مرض أي الكائنون بمكة إذ لم يحضر وقعة بدر منافق إلا عبد الله بن أبي فقط ولم يكن فيها ضعيف إيمان (قوله توهما) مفعول لخرجوا والضمير في بسببه عائد على الدين (قوله يغلب) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فإن الله عزيز حكيم دليل عليه (قوله ولو ترى) الرؤية بصرية ومفعولها محذوف تقديره حال الكفار وقت الموت ولو حرف شرط تقلب المضارع ماضيا عكس إن (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء الأمر ظاهر وعلى التاء فلأن الجمع يجوز تذكيره وتأنيثه (قوله الذين كفروا) قيل المراد جميع الكفار من وجد ومن سيوجد وقيل المراد الكفار الذين قتلوا ببدر واختلف أيضا في وقت الضرب فقيل عند الموت تعجيلا للمساءة وقيل ذلك يوم القيامة ولا مانع من الجميع (قوله حال) أي من الملائكة (قوله وجوههم وأدبارهم) المراد أمامهم وخلفهم فيعمون جميع أجسادهم بالضرب (قوله بمقامع من حديد) جمع مقمعة بكسر الميم وهي العصا من الحديد المحماة بالنار لو وضعت على جبال الدنيا لدكت (قوله وذوقوا) قدر المفسر يقولون إشارة إلى أنه معطوف على يضربون فهو حال أيضا (قوله ذلك) اسم الإشارة مبتدأ وقوله بما قدمت أيديكم متعلق بمحذوف خبر والباء سببية (قوله عبر بها الخ) دفع بذلك ما يقال إن إذاقة العذاب حاصلة بسبب ما فعلوا بجميع أعضائهم فلم خصصت الأيدي فأجاب بما ذكر وبعضهم فسر الأيدي بالقدر جمع قدرة فيكون المعنى ذلك بسبب ما قدمته قدرتكم وكسبكم فإن اليد تطلق ويراد بها القدرة قال تعالى يد الله فوق أيديهم (قوله وأن الله) معطوف على ما قدمت أيديكم والمعنى ذلك بسبب ما قدمت أيديكم وبسبب أن الله ليس بظلام للعبيد ونفي الظلم عن الله كناية عن العدل فكأنه قال ذلك بسبب الذي قدمته أيديكم وبسبب عدل الله فيكم (قوله أي بذي ظلم) دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية أن أصل الظلم ثابت لله والمنفي كثرته فأجاب المفسر بأن هذه الصيغة ليست للمبالغة بل للنسب قال ابن مالك

ومع فاعل وفعال فعل * في نسب أغنى عن اليا فقبل

وحينئذ فقد انتفى أصل الظلم بل لا يريده أصلا قال تعالى وما الله يريد ظلما للعباد لأن الإرادة لا تتعلق إلا بالجائز والظلم من الله مستحيل عقلا لأن حقيقته التصرف في ملك الغير من غير إذنه ولا يتصور العقل مالكا غير الله (قوله كدأب آل فرعون) الكاف متعلقة بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله دأب هؤلاء وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله كفروا بآيات الله) تفصيل للدأب وتفسير له كما قال المفسر (قوله فأخذهم الله) أي أهلكهم لكن هلاك غير هذه الأمة بالرجفة والزلزلة والخسف والمسخ من كل عذاب عام وهلاك كفار هذه الأمة بالسيف فالمآل في مطلق الهلاك (قوله بذنوبهم)

(ان الله قوى) على ما يريده (شديد العقاب ذلك) أى تعذيب الكفرة (بأن) أى بسبب أن (الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم) مبدلا لها بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يبدلوا نعمتهم كفرا كتبديل كفار مكة اطعامهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث النبى صلى الله عليه وسلم اليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين (وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون) قومه معه (وكل) من الامم المكذبة (كانوا ظالمين) ونزل فى قريظة (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم) أن لا يعينوا المشركين (ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) عاهدوا فيها (وهم لا يتقون) الله فى غدرهم (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية فى ما المزيدة (تثقفنهم) تجدنهم (فى الحرب فشرد) فرق (بهم من خلفهم) من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة (لعلهم) أى الذين خلفهم (يذكرون) يتعظون بهم (واما تخافن من قوم) عاهدوك (خيانة) فى عهد بأمارة تلوح لك (فانبذ) اطرح عهدهم (اليهم على سواء) حال أى مستويا أنت وهم فى العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر (ان الله لا يحب الخائنين) ونزل فيمن أفلت يوم بدر (ولا تحسبن) يا محمد (الذين كفروا سبقوا) الله أى فاتوه (انهم لا يعجزون) لا يفوتونه وفى قراءة بالتحتانية فالمفعول الاول محذوف أى أنفسهم وفى [illegible] أخرى بفتح ان على تقدير اللام (وأعدوا لهم) لقتالهم (ما استطعتم من قوة) قال صلى الله عليه وسلم هى الرمى رواه مسلم (ومن رباط الخيل)

(قوله ان الله قوى شديد العقاب) كالدليل لما قبله (قوله أى تعذيب الكفرة) أى بسبب ما قدمت أيديهم (قوله بأن الله) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن اسم الاشارة والجملة تعليل لمجموع المعلول وعلته السابقين (قوله لم يك) مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفا قال ابن مالك

ومن مضارع لكان منجزم * تحذف نون وهو حذف ما التزم

وأصله يكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ثم حذفت النون تخفيفا (قوله يبدلوا نعمتهم كفرا) أى يتركوا ما يجب للنعم من شكرها والقيام بحقها ويرتكبوا عدم الشكر وعدم القيام بحقها والمعنى يبدلون ما بهم من الحال الى حال أسوأ منه فتغيرت نعمة امهالهم بمعاجلة العذاب لهم (قوله وان الله سميع) أى لأقوالهم عليم بأحوالهم (قوله كدأب آل فرعون) الخ كرره تفصيلا لما قبله لانه مقام ذم وهو كالمدح البلاغة فيه الاطناب (قوله والذين من قبلهم) أى كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم (قوله فأهلكناهم بذنوبهم) أى بسببها (قوله قومه معه) أشار بذلك الى أن المراد بآل فرعون هو وآله (قوله كانوا ظالمين) فيه مراعاة معنى كل ولو روعى لفظها لقيل وكل كان ظالما وكل صحيح وانما روعى معناها مراعاة للفواصل (قوله ونزل فى قريظة) أى حين قدم رسول الله المدينة وعاهدهم أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا عهدهم وأعانوا عليه مشركى مكة بالسلاح ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا أيضا ومالؤا الكفار على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق (قوله ان شر الدواب) فى ذلك اشارة الى أنهم عزلوا من جنسهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم أضل (قوله الذين عاهدت منهم) بدل من الموصول قبله أو نعت أو عطف بيان (قوله أن لا يعينوا المشركين) أى كفار مكة فنقضوا أولا وثانيا (قوله فاما تثقفنهم) أى تظفرن بهم (قوله فشرد بهم) الباء سببية والكلام على حذف مضاف أى بسبب عقوبتهم وتنكيلهم (قوله من خلفهم) مفعول لشرد والمراد بمن خلفهم كفار مكة والمعنى اذا ظفرت بقريظة فعاقبهم لينفرق كفار مكة وغيرهم ممن نقض عهدك ويتعظوا بهم فيصير هم عبرة لغيرهم حتى لا يكون لهم قوة على محاربتك (قوله واما تخافن) خطاب عام للمسلمين وولاة الامور وان كان أصل نزولها فى قريظة (قوله فانبذ اليهم) أى أعلمهم بأن لا عهد لهم بعد اليوم فشبه العهد بالشىء الذى يرمى وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو النبذ فاثباته تخييل (قوله بأن تعلمهم به) أى ان لم يكن غدرهم ظاهرا مشهورا والا فلا يحتاج للاعلام والحاصل انه اذا ظهرت امارات نقض العهد وجب على الامام أن ينبذ عهدهم ويعلمهم بالحرب قبل الركوب عليهم بحيث لا يعد الامام غادرا لهم وان ظهرت الخيانة ظهورا مقطوعا به فلا حاجة الى نبذ العهد ولا الاعلام بل يبادرهم بالقتال (قوله ان الله لا يحب الخائنين) تعليل للامر بنبذ العهد (قوله ونزل فيمن أفلت) أى فى الكفار الذين تخلصوا وهربوا وهذا تسلية لرسول الله وأصحابه حيث حزنوا على نجاة من نجا من الكفار وكان غرضهم استئصالهم بالقتل والاسر (قوله ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله والمعنى لا تظن يا محمد الذين كفروا فائتين الله وفارين من عقابه انهم لا يعجزونه وهذا وان كان فى أهل بدر الا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وحسب تتعدى لمفعولين الاول الذين كفروا والثانى جملة سبقوا وهذا على قراءة التاء الفوقية وأما على قراءة الياء التحتية فالذين كفروا فاعل والمفعول الاول محذوف تقديره أنفسهم كما قال المفسر والمفعول الثانى جملة سبقوا (قوله وفى قراءة بفتح ان) أى مع الياء التحتية لا غير فالقراآت ثلاث خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع وحاصلها ان التاء فيها وجهان فتح ان وكسرها والياء فيها وجه واحد وهو فتح ان لا غير (قوله على تقدير اللام) أى التى للتعليل (قوله وأعدوا لهم) أى الكفار مطلقا أو الناقضين العهد (قوله من قوة) بيان لما (قوله هى الرمى) هذا الحديث رواه عقبة بن عامر قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم وقيل المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو من سلاح ورمي وخيل ورجال ودروع وغير ذلك ولا منافاة بين هذا وبين قوله عليه الصلاة والسلام الا ان القوة الرمي لان المراد معظم القوة الرمي على حد الحج عرفة والندم توبة وهذا هو الاحسن (قوله مصدر) أي سماعي والا فالقياسي لما يقتضى الاشتراك كقاتل وخاصم وضارب (قوله ترهبون به) أي بالرباط الذي هو بمعنى الربط (قوله أي كفار مكة) هذا باعتبار سبب نزول الآية والا فالعبرة بعموم اللفظ فالمراد جميع الكفار في أي زمان (قوله وهم المنافقون) أورد عليه ان المنافقين لا يقاتلون أجيب بأن المراد بارهابهم ادخال الرعب والحزن في قلوبهم لانهم اذا شاهدوا قوة المسلمين وشهامتهم كان ذلك مرهبا ومخوفا لهم (قوله أو اليهود) أو مانعة خلو فتجوز الجمع (قوله لا تعلمونهم) أي لا تعلمون بواطنهم وما انطووا عليه (قوله وما تنفقوا من شيء في سبيل الله) أي في جهاد الكفار (قوله يوف اليكم جزاؤه) أي فالحسنة بسبعمائة قال تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة الآية (قوله تنقصون منه شيأ) أي وسماه ظلما لان وعده بالخير لا يتخلف فكأنه واجب وضده مستحيل وليس المراد الظلم الحقيقي لانه التصرف في ملك الغير ولا ملك لاحد معه (قوله وان جنحوا) أي الكفار مطلقا أو بنو قريظة وعلى هذين القولين يتخرج القول بالنسخ والقول بالتخصيص الذي أشار له المفسر بقوله قال ابن عباس الخ وهذا مبني على أن المراد بالصلح عقد الجزية وأما ان أريد بالصلح غيره من الهدنة والامان فلا نسخ اذ يصح عقد ذلك لكل كافر وهذا التقرير مرور على مذهب الشافعي من أن الجزية لا تضرب الا على أهل الكتاب فقط وقال مالك ان الجزية تضرب على كل كافر صح سباؤه كان من أهل الكتاب أو لا فعلى مذهبه ليس في الآية نسخ أصلا (قوله بكسر السين وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وتوكل على الله) أي فوض أمورك له (قوله انه هو السميع العليم) تعليل لما قبله (قوله وان يريدوا أن يخدعوك) شرط حذف جوابه تقديره فصالحهم ولا تخف من غدرهم (قوله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) أي قواك بأسباب باطنية وهي نصره لك من غير واسطة وبأسباب ظاهرية وهم المؤمنون (قوله بعد الاحن) جمع احنة وهي العداوة والشحناء التي كانت بين الاوس والخزرج (قوله وألف بين قلوبهم) أي بعد أن كان ما كان بينهم من البغضاء والعداوة والحروب المتطاولة مائة وعشرين سنة حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة لقاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم فلما آمنوا برسول الله زالت تلك الحالة وانقلبت العداوة محبة في الله ورسوله فكان معجزة عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لو أنفقت ما في الارض الخ) هذا امتنان من الله على نبيه بتلك النعمة العظيمة (قوله يا أيها النبي حسبك الله) قيل نزلت ببدر فالمراد بالمؤمنين الذين كانوا حاضرين وقعتها فيكون في ذلك مدح عظيم لهم ودليل على شرفهم ويؤخذ من ذلك أن المؤمنين اذا اجتمعت قلوبهم مع شخص لا يخذلون أبدا وليس في ذلك اعتماد على غير الله لان المؤمنين ما التفت لهم الا لايمانهم وكونهم حزب الله فرجع الامر لله وقيل نزلت في اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد اسلام ثلاثة وثلاثين رجلا وست نسوة فيكون هو متمما للاربعين فعلى الاول الآية مدنية كبقيتها وعلى الثاني تكون الآية مكية أثناء سورة مدنية ولا مانع أنها نزلت مرتين مرة بمكة يوم اسلام عمر ومرة بالمدينة في أهل بدر (قوله ومن اتبعك) معطوف على لفظ الجلالة (قوله حرض المؤمنين على القتال) أي أمرهم أمرا أكيدا ورغبهم فيه (قوله ان يكن منكم) اما تامة وفاعلها عشرون ومنكم حال واما ناقصة فعشرون اسمها ومنكم خبرها وهكذا يقال فيما بعدها ويكن وقع هنا خمس مرات الاول والرابع بالياء لا غير والثاني والثالث والخامس بالياء والتاء كما سيأتي للمفسر فما سكت عنه فبالياء لا غير وما نبه عليه ففيه الوجهان (قوله صابرون) أي محتسبون أجرهم عند الله وهذا خبر بمعنى الامر لقلة المسلمين وكثرة الكافرين وحكمة ذلك التكليف أن المسلمين ولم

مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله (ترهبون) تخوّفون (به عدو الله وعدوكم) أي كفار مكة (وآخرين من دونهم) أي غيرهم وهم المنافقون أو اليهود (لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وأنتم لا تظلمون) تنقصون منه شيأ (وان جنحوا) مالوا (للسلم) بكسر السين وفتحها الصلح (فاجنح لها) وعاهدهم قال ابن عباس هذا منسوخ بآية السيف ومجاهد مخصوص بأهل الكتاب أو نزلت في بني قريظة (وتوكل على الله) ثق به (انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (وان يريدوا أن يخدعوك) بالصلح ليستعدوا لك (فان حسبك) كافيك (الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف) جمع (بين قلوبهم) بعد الاحن (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) بقدرته (انه عزيز) غالب على أمره (حكيم) لا يخرج شيء عن حكمته (يا أيها النبي حسبك الله و) حسبك (من اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض) حث (المؤمنين على القتال) للكفار (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) منهم (وان يكن) بالياء والتاء (منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم) أي بسبب أنهم (قوم لا يفقهون)

وهذا خبر بمعنى الامر أى ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة الالف ويثبتوا لهم ثم نسخ لما كثروا بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم (فان يكن) بالياء والتاء (منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) منهم (وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) بارادته وهو خبر بمعنى الامر أى لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم (والله مع الصابرين) بعونه * ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر (ما كان لنبي أن تكون) بالتاء والياء (له أسرى حتى يثخن فى الارض) يبالغ فى قتل الكفار (تريدون) أيها المؤمنون (عرض الدنيا) حطامها بأخذ الفداء (والله يريد) لكم (الآخرة) أى ثوابها بقتلهم (والله عزيز حكيم) وهذا منسوخ بقوله فاما منا بعد واما فداء (لولا كتاب من الله سبق) باحلال الغنائم والاسرى لكم (لمسكم فيما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من

الله فهم معتمدون عليه ومتوكلون عليه فبذلك الوصف كان الواحد مكلفا بقتال عشرة وأما الكفار فلا ناصر لهم وهم معتمدون على قوتهم وذلك داع للضعف والهزيمة وفى الآية من المحسنات البديعية الاحتباك وهو الحذف من كل نظير ما أثبت فى الآخر فقد أثبت صابرون فى الاول وحذف فى الذين كفروا ومنه وأثبت الذين كفروا فى الثانى وحذف لفظ الصبر منه (قوله وهذا خبر بمعنى الامر) أى وقد كان هذا فى صدر الاسلام وكان فرار المائة من الالف حراما ثم نسخ (قوله بضم الضاد وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والمراد الضعف فى الابدان لكثرة العبادة والتعب فرحمهم الله وأكرمهم وأيضا علم الله ضعف من يأتى بعد الصدر الاول عن القتال فخفف الله عن الجميع (قوله وهو خبر بمعنى الامر) أى وقد استمر ذلك الامر الى يوم القيامة (قوله ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر) أى وكانوا سبعين من صناديدهم روى انه لما جىء بالاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون فى هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول الله أهلك وقومك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكنى من فلان ومكن حمزة من العباس يضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبى بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم الآية ثم قال رسول الله اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو بضرب عنقه قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء وهو عن كل واحد عشرون أوقية من الذهب وقيل أربعون أوقية الا العباس فأخذ منه ثمانون أوقية عن نفسه وعن ابنى أخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث ثمانون وأخذ منه وقت الحرب عشرون فجملة ما أخذ منه مائة وثمانون أوقية قال عمر فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله وأبو بكر يبكيان قلت يا رسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد تباكيت لبكائكما فقال رسول الله أبكى للذى عرض لاصحابى من أخذهم الفداء فقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وهذا من باب حسنات الابرار سيئات المقربين فرسول الله لم يفعل الا ما أبيح له وانما عتابه تعليما لمن يتولى الامور من أمته حسن السياسة من أنه لا يقبل الفداء من الكفار حتى يكون قادرا عليهم وظافرا بهم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان لكن على الفوقية تتعين الامالة فى أسرى وعلى التحتية تجوز الامالة وعدمها (قوله حتى يثخن فى الارض) أى حتى تظهر شوكة الاسلام وقوته وذل الكافرين (قوله عرض الدنيا) أى متاعها سمى عرضا لزواله وعدم ثباته (قوله والله يريد الآخرة) أى يرضاها لكم (قوله وهو منسوخ) أى قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى هكذا مشى المفسر على هذا القول وهو ضعيف بل ما هنا مقيد بالاثخان أى كثرة القتال المترتب عليها عز الاسلام وقوته وما يأتى فى سورة القتال من التخيير محله بعد ظهور شوكة الاسلام حيث قال فاذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاذا علمت ذلك فالآيتان متوافقتان فى أن كلا يدل على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده الفداء (قوله لولا كتاب) لولا حرف امتناع لوجود وكتاب مبتدأ وجملة من الله صفة له وكذا قوله سبق والخبر محذوف تقديره موجود والمعنى لولا وجود حكم من الله مكتوب باحلال الغنائم لكم الخ فهو عتاب على ترك الاولى لا على منهى عنه تنزيها للرسول الله عن مثل ذلك (قوله فيما أخذتم) أى بسبب ما أخذتم ففى للسببية (قوله حلالا) أى أكلا حلالا (قوله طيبا) أى خالصا لا شبهة فيه (قوله يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من

الاسارى) وفي قراءة الاسرى (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم وان يريدوا) أي الاسرى (خيانتك) بما أظهروا من القول (فقد خانوا الله من قبل) قبل بدر بالكفر (فأمكن منهم) ببدر قتلا واسرا فليتوقعوا مثل ذلك ان عادوا (والله عليم) بخلقه (حكيم) في صنعه (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) وهم المهاجرون (والذين آووا) النبي صلى الله عليه وسلم (ونصروا) وهم الانصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) في النصرة والارث (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم) بكسر الواو وفتحها (من شيء) فلا ارث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة (حتى يهاجروا) وهذا منسوخ بآخر السورة (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) لهم على الكفار (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) في النصرة والارث فلا ارث بينكم وبينهم (الا تفعلوه) أي تولي المسلمين وقطع الكفار (تكن فتنة في الارض وفساد كبير) بقوة الكفر وضعف الاسلام

(والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) في الجنة (والذين آمنوا

الاسارى) نزلت في العباس عم رسول الله وكان أحد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة لبدر وكان معه عشرون اوقية من ذهب فلما أخذ أسيرا أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسبها من فدائه فأبى وقال له شيء خرجت به لتستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس يا محمد أتتركني أتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله فأين الذهب الذي وضعته عند أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي فاني أعطيتها اياه في سواد الليل ولم يطلع عليه أحد الا الله فقال أخبرني به ربي فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك عبده ورسوله وانك صادق وأمر ابني أخيه عقيلا ونوفل ابن الحرث فأسلما فنزل قوله تعالى يا أيها النبي الآية فكان العباس يقول أبدلني الله خيرا مما أخذ مني عشرين عبدا تجارا يضربون بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألفا مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي (قوله من الاسارى) بالامالة لا غير (قوله وفي قراءة الاسرى) أي بالامالة وتركها فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله من الفداء) بيان لما (قوله خيانتك) أي بنقض العهد الذي عاهدوك عليه وهو أن لا يحاربوك ولا يعاونوا عليك المشركين (قوله بما أظهروا من القول) أي قولهم رضينا بالاسلام (قوله فليتوقعوا) هذا في الحقيقة جواب الشرط الذي هو قوله وان يريدوا خيانتك (قوله ان الذين آمنوا وهاجروا) أي سبق لهم الايمان والانتقال مع رسول الله من مكة الى المدينة وهم السابقون الاولون الذين حضروا الغزوات قبل الفتح الذين قال الله فيهم للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (قوله بأموالهم وأنفسهم) متعلق بجاهدوا أي بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله (قوله والذين آووا النبي) أي والمهاجرين ولم يذكرهم المفسر لانهم تبع لرسول الله (قوله وهم الانصار) أي الذين قال الله فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قوله في النصرة والارث) أي فكان الانصار ينصرون المهاجرين وبالعكس وكان المهاجري يرث الانصاري الذي آخاه معه رسول الله وبالعكس (قوله ولم يهاجروا) أي بأن أقاموا بمكة (قوله بكسر الواو وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من شيء) من زائدة وشيء مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (قوله فلا ارث بينكم وبينهم) أي لا ارث بين المهاجرين والانصار وبين الذين لم يهاجروا (قوله ولا نصيب لهم في الغنيمة) اعترض بأن الغنيمة لا يأخذها الا من قاتل وهؤلاء لم يقاتلوا فالاولى حذف هذه العبارة (قوله وهذا منسوخ) اسم الاشارة عائد على ما تقدم من أن الارث بين المهاجرين والانصار ثابت بالايمان والهجرة ومنفي بين من لم يهاجر وبين الانصار والمهاجرين (قوله بآخر السورة) أي وهو قوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض (قوله وان استنصروكم في الدين) أي طلبوا منكم النصرة لاجل اعزاز الدين والضمير عائد على الذين آمنوا ولم يهاجروا (قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي من الكفار وهم أهل مكة (قوله وتنقضوا عهدهم) أي الصلح الكائن بالحديبية سنة ست على ترك القتال عشر سنين (قوله في النصرة والارث) أي فهما ثابتان بين الكفار بعضهم لبعض (قوله فلا ارث بينكم وبينهم) أي ولا نصرة (قوله الا تفعلوه) ان شرطية مدغمة في لا النافية وتفعلوه فعل الشرط وتكن جواب الشرط والمعنى ان لم تفعلوا ما ذكر من تولي المؤمنين وقطع الكفار بل توليتم الكفار وقطعتم المؤمنين تكن فتنة في الارض وفساد كبير لانه يترتب على ذلك قوة الكفار وضعف المسلمين وهذا ما حل به المفسر ويحتمل أن لا زائدة والمعنى ان تفعلوا ما نهيتم عنه من موالاة الكفار وقطع المؤمنين (قوله والذين آمنوا وهاجروا الخ) ليس مكررا مع ما تقدم لان ما هنا بيان لفضلهم وما تقدم بيان لكونهم أولياء بعض وأيضا ما تقدم في الهجرة قبل عام الحديبية وما هنا في الهجرة قبل الفتح كان قبل الحديبية أو بعدها (قوله أولئك هم المؤمنون حقا) أي الكاملون في الايمان بلا شك (قوله لهم مغفرة) أي لذنوبهم (قوله ورزق كريم) أي لا تعب فيه ولا مشقة ويؤخذ

من بعد) أي بعد السابقين الى الايمان والهجرة (وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) أيها المهاجرون والانصار (وأولوا الارحام) ذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) في الارث من التوارث بالايمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة (في كتاب الله) اللوح المحفوظ (ان الله بكل شئ عليم) ومنه حكمة الميراث

﴿سورة التوبة مدنية أو الا الآيتين آخرها مائة وثلاثون أو الا آية﴾

ولم تكتب فيها البسملة لانه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج في معناه عن علي أن البسملة أمان وهي نزلت لرفع الامن بالسيف وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب وروى البخاري عن البراء أنها آخر سورة نزلت * هذه (براءة من الله ورسوله) واصلة (الى الذين عاهدتم من المشركين) عهدا مطلقا أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر في قوله (فسيحوا) سيروا آمنين أيها المشركون (في الارض أربعة أشهر) أولها شوال

من هذه الآية ان جميع المهاجرين والانصار مبشرون بالجنة من غير سابقة عذاب وأما ما ورد من أن المبشرين عشرة فلانهم جمعوا في حديث واحد (قوله من بعد) أي بعد الحديبية قبل الفتح ولانه بعد الفتح لا هجرة (قوله أولئك منكم) أي محسوبون منكم وفي الآية دليل على ان المهاجرين الاولين أعلى وأجل من المتأخرين بالهجرة لان الله ألحقهم بهم ومن المعلوم ان المفضول يلحق بالفاضل (قوله وأولوا الارحام) هذه الآية نزلت بعد الفتح وهي ناسخة للآية المتقدمة وهي ميراث المهاجرين للانصار (قوله من التوارث) متعلق بأولى (قوله أي اللوح المحفوظ) وقيل المراد به القرآن لان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن (قوله ومنه حكمة الميراث) أي التوارث بمقتضى الايمان والهجرة بدون قرابة ونسخه والتوارث بالقرابة

﴿سورة التوبة﴾

مبتدأ أو مدنية خبر أول ومائة الخ خبر ثان (قوله أو الا الآيتين) اشارة الى قول آخر (قوله آخرها) حال من آيتين وأولهما لقد جاءكم رسول فعلى انهما مكيتان يكون معنى قوله فقل حسبي الله اكتف بالله واترك قتالهم ويكون منسوخا بآية السيف وعلى انهما مدنيتان يكون المعنى كن مستعينا بالله واثقا به في قتالهم ولا نسخ وهذه السورة من آخر القرآن نزولا ولانها نزلت بعد عزة الاسلام وانتشاره (قوله ولم تكتب فيها البسملة الخ) جواب عما يقال ان كل سورة مبتدأة بالبسملة الا هذه السورة فالحكمة في ذلك فأجاب بأن رسول الله لم يؤمر بذلك أي لكونه لم ينزل عليه وحي بها وهذا أصح الاقوال ولذا صدر به المفسر * وحاصل الخلاف في حكمة عدم الاتيان بالبسملة خمسة أقوال أولها ما قاله المفسر الثاني انه سئل عثمان عن ذلك فأجاب بأنه ظن انها مع الانفال سورة لان قصتها تشبه قصتها فعلى هذا القول تكون مع الانفال تمام السبع الطوال الثالث أنها نزلت لنقض عهد الكفار وفضيحة المنافقين فهي سورة عذاب والبسملة رحمة ولا تجتمع رحمة مع عذاب وتسمى أيضا الفاضحة لفضيحة المنافقين بها وسورة العذاب وسورة التوبة لاشتمالها على ذكرها وغير ذلك من أسمائها الرابع تركت البسملة لاختلاف الصحابة في أن الانفال وبراءة سورة واحدة أو سورتان فتركت البسملة لقول من قال هما سورة واحدة وتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان الخامس ان ذلك على عادة العرب في الجاهلية اذا كان بينهم وبين قوم عهد فارادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسملة وهذه السورة نزلت لنقض عهود المشركين فلم تكتب فيها ثم اختلف العلماء في ابتداء تلك السورة بها فقال ابن حجر من الشافعية بالحرمة وقال الرملي بالكراهة وفي الاثناء يكره عند الاول ويجوز عند الثاني ومذهب مالك كذلك وقد أشار لذلك صاحب الشاطبية بقوله

ومهما تصلها أو بدأت براءة * لتنزيلها بالسيف لست مبسملا
ولا بد منها في ابتدائك سورة * سواها وفي الاجزاء خير من تلا

(قوله انها آخر سورة نزلت) أي من الآخر والا فالمائدة متأخرة عنها وهذه السورة نزلت كاملة لما ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا الا سورة براءة وسورة قل هو الله أحد فانهما أنزلتا ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة (قوله براءة) أشار المفسر الى أن براءة خبر لمحذوف قدره بقوله هذه (قوله الى الذين عاهدتم) متعلق بمحذوف صفة لبراءة قدره المفسر بقوله واصلة والمعنى هذه قطع وصلة صادرة من الله ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين (قوله ونقض العهد) أي في الصور الثلاثة (قوله فسيحوا) امر اباحة للمشركين وهو مقول لقول محذوف والتقدير فقولوا لهم سيحوا وهذا بيان لمقدار الامان لهم أربعة أشهر وانما اقتصر عليها لقوة الاسلام وكثرة المسلمين بخلاف صلح الحديبية فكان عشر سنين لضعف المسلمين اذ ذاك (قوله أولها شوال) أي وآخرها المحرم وقيل أولها عاشر ذي القعدة وآخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء ثم صار في السنة القابلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال

وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله الحديث وقيل أولها عاشر ذي الحجة وآخرها عاشر ربيع الثاني (قوله بدليل ما سيأتي) أي في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم (قوله واعلموا أنكم الخ) أي فلا تغتروا بعقد الامان لكم (قوله واذان) معطوف على قوله براءة من الله ورسوله عطف مفصل على مجمل (قوله اعلام) أي فالمراد الاذان اللغوي لا الشرعي الذي هو الاعلام بالفاظ مخصوصة (قوله يوم النحر) انما سمي يوم الحج الاكبر لان معظم أفعال الحج يكون فيه كالطواف والرمي والنحر والحلق واحترز بالحج الاكبر عن العمرة فهي الحج الاصغر لان أعمالها أقل من أعمال الحج لانه يزيد عليها بامور كالرمي والمبيت والوقوف (قوله ان الله بريء الخ) هذه الجملة خبر عن قوله وأذان وقوله يوم الحج الاكبر ظرف للاذان والمعنى واعلام من الله ورسوله الى الناس كائن في يوم الحج الاكبر بان الله بريء الخ (قوله ورسوله) القراء السبعة بل العشرة على الرفع عطف على الضمير المستتر في بريء ووجد الفاصل وهو قوله من المشركين ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره بريء منهم أيضا وقرئ شاذا بالنصب ووجهت بوجهين الاول ان الواو بمعنى مع ورسوله مفعول معه الثاني أنه معطوف على اسم ان وهو لفظ الجلالة وقرئ شاذا أيضا بالجر ووجهت بان الواو للقسم واستبعدت تلك القراءة لايهام عطفه على المشركين حتى ان بعض الاعراب سمع رجلا يقرأ بها فقال الاعرابي ان كان الله بريأ من رسوله فانا بريء منه فلببه القارئ الى عمر فحكى الاعرابي الواقعة فامر عمر بتعليم العربية وتحكى هذه أيضا عن علي وأبي الاسود الدؤلي (قوله وقد بعث الخ) حاصل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا يوم الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ودخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي ووقف على رسول الله وأخبره الخبر فقال رسول الله لانصرت ان لم أنصرك وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع أراد رسول الله أن يحج فقيل ان المشركين يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لا أحب ان أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من صدر براءة آخرها ولو كره المشركون ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة فلحق أبا بكر بالعرج بفتح العين وسكون الراء قرية جامعة بينها وبين المدينة ستة وسبعون ميلا فلما تلاقيا ظن أبو بكر أنه معزول فرجع الى رسول الله فقال يا رسول الله أأنزل في شأني شئ فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الا رجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر انك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض فقال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميرا على الحاج وعلي بن أبي طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي فاذن بما أمر به وهو لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي عهد فهو منقوض ومن لم يكن له عهد فاجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في الحج ثم حج رسول الله سنة عشر حجة الوداع اذا علمت ذلك تعلم ان هذه الآيات نزلت بعد فتح مكة في نقض عهود معاهدة قريش فان قريشا تم أمرهم بفتح مكة وفي ذلك قال المفسرون لما خرج رسول الله الى تبوك فكان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة الآية ففعل رسول الله ما أمر به ونبذ لهم عهودهم (قوله بهذه الآيات) أي وهي ثلاثون أو أربعون آية آخرها ولو كره المشركون (قوله وان لا يحج) أي وبان لا يحج فهو وما بعده من جملة ما أذن به (قوله فهو) أي التوبة المفهومة من قوله تبتم (قوله خير لكم) أي من بقائكم على الكفر الذي هو خير في زعمكم أو اسم التفضيل ليس على بابه (قوله أخبر) أشار بذلك الى أن المراد بالبشارة مطلق الاخبار وعبر عنه بالبشارة تهكما بهم (قوله الا الذين عاهدتم) استثناء من المشركين في

بدليل ما سيأتي ولا أمان لكم بعدها (واعلموا أنكم غير معجزي الله) أي فائتي عذابه (وأن الله مخزي الكافرين) مذلهم في الدنيا بالقتل والاخرى بالنار (وأذان) اعلام (من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر) يوم النحر (أن) أي بان (الله بريء من المشركين) وعهودهم (ورسوله) بريء أيضا وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا من السنة وهي سنة تسع فاذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان رواه البخاري (فان تبتم) من الكفر (فهو خير لكم وان توليتم) عن الايمان (فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر) أخبر (الذين كفروا بعذاب أليم) مؤلم وهو القتل والاسر في الدنيا والنار في الآخرة (الا الذين عاهدتم من المشركين

ثم لم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد (ولم يظاهروا) يعاونوا (عليكم أحدا) من الكفار (فأتموا اليهم عهدهم الى) انقضاء (مدتهم) التي عاهدتم عليها (ان الله يحب المتقين) باتمام العهود (فاذا انسلخ) خرج (الاشهر الحرم) وهي آخر مدة التأجيل (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) في حل أو حرم (وخذوهم) بالاسر (واحصروهم) في القلاع والحصون حتى يضطروا الى القتل أو الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض (فان تابوا) من الكفر (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم) ولا تتعرضوا لهم (ان الله غفور رحيم) لمن تاب (وان أحد من المشركين) مرفوع بفعل يفسره (استجارك) استأمنك من القتل (فأجره) أمنه (حتى يسمع كلام الله) القرآن (ثم أبلغه مأمنه) أي موضع أمنه وهو دار قومه ان لم يؤمن لينظر في أمره (ذلك) المذكور (بأنهم قوم لا يعلمون) دين الله فلابد لهم من سماع القرآن ليعلموا (كيف) أي لا (يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) وهم كافرون بهما غادرون (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل (فما استقاموا لكم) أقاموا على العهد ولم ينقضوه (فاستقيموا لهم) على الوفاء به وما شرطية (ان الله يحب المتقين) وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوا باعانة بني بكر على خزاعة (كيف) يكون لهم عهد (وان يظهروا عليكم) يظفروا بكم (لا يرقبوا) يراعوا (فيكم الا) قرابة (ولا ذمة) عهدا بل يؤذوكم ما استطاعوا وجملة الشرط حال (يرضونكم بأفواههم) بكلامهم الحسن (وتأبى قلوبهم) الوفاء به (وأكثرهم فاسقون) ناقضون للعهد (اشتروا بآيات الله) القرآن (ثمنا قليلا) من الدنيا أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى (فصدوا عن سبيله) أي

قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وهو منقطع والتقدير لكن الذين عاهدتم فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وهذا أولى من جعله متصلا لما يلزم عليه من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه (قوله ثم لم ينقصوكم) قرأ الجمهور بالصاد المهملة من النقصان وهو يتعدى لواحد واثنين فالكاف مفعول أول وشيأ اما مفعول ثان أو مصدر أي لا قليلا ولا كثيرا من النقصان وقرئ شذوذا بالضاد والمعنى لم ينقضوا عهدكم وهي مناسبة لذكر العهد والقراءة الاولى مناسبة لذكر التمام في مقابلتها (قوله ولم يظاهروا) أي هؤلاء المشركون وهم بنو ضمرة حي من كنانة (قوله الى مدتهم) أي وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر (قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم) أي انقضت وفرغت وتقدم للمفسر ان هذا يدل على ان أول المدة شوال وهو أحد أقوال ثلاثة تقدمت (قوله حيث وجدتموهم) أي في أي مكان (قوله واقعدوا لهم كل مرصد) أي لئلا ينتشروا في البلاد (قوله وأقاموا الصلاة الخ) المراد أتوا بأركان الاسلام وانما اقتصر على الصلاة والزكاة لانهما رأس الاعمال البدنية والمالية (قوله ولا تتعرضوا لهم) أي لا لانفسهم ولا لاموالهم فلا تأخذوا منهم جزية ولا أعشارا ولا غير ذلك (قوله وان أحد من المشركين) ان حرف شرط جازم وأحد فاعل بفعل محذوف يفسره قوله استجارك وهو فعل الشرط وقوله فأجره جواب الشرط وانما أعرب أحد فاعلا بفعل محذوف لان أدوات الشرط لا يليها الا الافعال لفظا أو تقديرا سيما ان (قوله حتى يسمع كلام الله) أي فيتدبره ويعلم كيفية الدين وما انطوى عليه من المحاسن (قوله ثم أبلغه مأمنه) أي ان أراد الانصراف ولم يسلم وصله الى قومه ليتدبر في أمره ثم بعد ذلك يجوز لك قتالهم لقيام الحجة عليهم (قوله المذكور) أي من الاجارة والابلاغ (قوله ليعلموا) أي ما لهم من الثواب ان آمنوا وما عليهم من العقاب ان لم يؤمنوا (قوله أي لا يكون) أشار بذلك الى أن الاستفهام للتعجب بمعنى النفي وهذا تأكيد لابطال عهدهم ونقضه في الآية المتقدمة (قوله الا الذين عاهدتم) يصح أن يكون الاستثناء منقطعا أو متصلا فعلى الانقطاع يكون الموصول مبتدأ خبره جملة الشرط وهي قوله فما استقاموا لكم الخ وعلى الاتصال يكون الموصول منصوبا على الاستثناء (قوله يوم الحديبية) اسم مكان بينه وبين مكة ستة فراسخ (قوله وهم قريش المستثنون من قبل) أي في قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ وقد تبع المفسر في ذلك ابن عباس وهو مشكل لان هذه الآيات نزلت في شوال في السنة التاسعة وقريش اذ ذاك مسلمون لانها كانت نقضت في السنة السابعة وحصل الفتح في الثامنة فالصواب كما قال الخازن ان ذلك محمول على بني ضمرة الذين دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية مع جملة من القبائل فكلهم نقضوا الا بني ضمرة فلم ينقضوا فاذا أمر رسول الله باتمام عهدهم الى مدتهم (قوله وما شرطية) أي بمعنى ان ويصح كونها مصدرية ظرفية أي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم (قوله حتى نقضوا باعانة بني بكر على خزاعة) هذا مبني على ما فهمه أولا ولو مشى على الصواب لقال حتى فرغت مدتهم (قوله كيف يكون لهم عهد) كرر الاستفهام زيادة في التأكيد (قوله الا) مفعول ليرقبوا وجمعه الال كقداح (قوله قرابة) وقيل المراد به العهد وقيل المراد به الله تعالى وقيل الجؤار وهو رفع الصوت عند المحالفة لانهم كانوا يفعلون ذلك عند المحالفة والاقرب ما قاله المفسر (قوله عهدا) أي فالعطف للتفسير على تفسير الال بالعهد (قوله يرضونكم) هذا بيان لحالهم عند عدم الظفر بالمسلمين اثر بيان حالهم عند الظفر بهم (قوله وتأبى قلوبهم) أي تمتنع من الاذعان والوفاء بما أظهروه (قوله اشتروا بآيات الله) أي استبدلوا آيات الله بالاعراض الفانية والشهوات الزائلة (قوله فصدوا عن سبيله)

دينه (انهم ساء) بئس (ما كانوا يعملون) عملهم هذا (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم) أى فهم اخوانكم (فى الدين ونفصل) نبين (الآيات لقوم يعلمون) يتدبرون (وان نكثوا) نقضوا (أيمانهم) مواثيقهم (من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم) عابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع المضمر (انهم لا أيمان) عهود (لهم) وفى قراءة بالكسر (لعلهم ينتهون) عن الكفر (ألا) للتحضيض (تقاتلون قوما نكثوا) نقضوا (أيمانهم) عهودهم (وهموا باخراج الرسول) من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة (وهم بدؤكم) بالقتال (أول مرة) حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بنى بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم (أتخشونهم) أتخافونهم (فالله أحق أن تخشوه) فى ترك قتالهم (ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله) يقتلهم (بأيديكم ويخزهم) يذلهم بالاسر والقهر (وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) بما فعل بهم هم بنو خزاعة (ويذهب غيظ قلوبهم) كربها (ويتوب الله على من يشاء) بالرجوع الى الاسلام كأبى سفيان (والله عليم حكيم أم) بمعنى همزة الانكار (حسبتم أن تتركوا ولما) لم (يعلم الله) علم ظهور (الذين جاهدوا منكم) بالاخلاص (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة وأولياء المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم (والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله)

أى منعوا الناس من اتباع دين الاسلام والايمان (قوله انهم ساء ما كانوا يعملون) أى اضلالهم وكفرهم واضلالهم غيرهم (قوله لا يرقبون فى مؤمن) كرر ذلك لمزيد التشنيع والتقبيح عليهم لان مقام الذم كمقام المدح البلاغة فيه الاطناب (قوله فان تابوا الخ) ليس فيه تكرار مع ما تقدم لاختلاف جواب الشرط لان الاول أفاد تخلية سبيلهم وهنا أفاد أنهم اخواننا فى الدين (قوله أى فهم اخوانكم) أشار بذلك الى أن اخوانكم خبر لمحذوف والجملة فى محل جزم جواب الشرط (قوله يتدبرون) أى يتعظون فيؤمنون وانما فسر العلم بالتدبر لان المراد به علم يحصل معه الاذعان لا مطلق علم (قوله وان نكثوا) النكث فى الاصل الرجوع الى خلف ثم استعمل فى النقض مجازا بجامع ان كلا تأخر عن مطلوبه وهو مقابل قوله فان تابوا الخ والمعنى فان أظهروا ما فى ضمائرهم من الشر فقاتلوا الخ (قوله وطعنوا فى دينكم) عطف تفسير أو سبب على مسبب والاقرب الاول (قوله فقاتلوا) أمر لسيدنا محمد وأمته (قوله أئمة الكفر) بتحقيق الهمزتين وادخال ألف بينهما وتركه وتسهيل الثانية مع ادخال ألف بينهما وتركه وبابدال الثانية ياء ففيه خمس قراآت غير شاذة هنا وفى الانبياء وفى موضعى القصص وفى السجدة وأصله أأممة بوزن أفعلة أدغمت احدى الميمين فى الاخرى فنقلت حركة الميم الاولى للساكن قبلها وهو الهمزة الثانية (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى زيادة فى التقبيح عليهم حيث وصفهم بكونهم رؤساء الكفر وكان مقتضى الظاهر فقاتلوهم (قوله لا أيمان لهم) بفتح الهمزة جمع يمين بمعنى الحلف والمعنى لا عهود لهم متممة (قوله وفى قراءة بالكسر) أى فيكون مصدرا من بمعنى أعطاه الامان أو من الايمان وهو التصديق (قوله ألا) للتحضيض أى وهو الطلب بحث وازعاج لاتصافهم بصفات ثلاثة كل واحد منها يقتضى القتال (قوله وهموا باخراج الرسول) انما اقتصر على الاخراج مع انه وقع منهم الهم بالقتل والهم بالايثاق أيضا لان أثر الاخراج ظهر عقبه وهو خروجه منها باذن ربه لا خوفا منهم ولذا ورد انه لما خرج حتى من أحب البلاد الى فاسكنى فى أحب البلاد اليك (قوله بدار الندوة) تقدم انها مكان اجتماع القوم للمشاورة والحديث والبانى لها قصى وقد أدخلت الآن فى المسجد فهى فى مقام الحنفى (قوله حيث قاتلوا خزاعة) أى أعانوهم بالسلاح ثم اعلم أن صريح المفسر حمل ذلك على قريش وهو مناف لما تقدم من أن السورة نزلت سنة تسع وقريش اذ ذاك مسلمون (قوله فما يمنعكم أن تقاتلوهم) أشار بذلك الى أن المراد من التحضيض الامر مع التوبيخ (قوله فى ترك قتالهم) متعلق بقوله أتخشونهم (قوله ان كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله قاتلوهم) هذا أمر ذكر فى جوابه خمسة أمور (قوله هم بنو خزاعة) يؤخذ من ذلك أنهم مؤمنون اذ ذاك (قوله ويتوب الله) بالرفع استئناف ولم يجزم لان التوبة على من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار (قوله بمعنى همزة الانكار) الحق انها بمعنى بل والهمزة معا كما تقدم له (قوله أن تتركوا) أى يترككم الله من غير قتال (قوله ولما يعلم الله) الجملة حالية (قوله علم ظهور) دفع بذلك ما يقال كيف ينفى علم الله مع انه متعلق بكل شئ وجد أو لم يوجد (قوله بالاخلاص) أى مع اخلاص (قوله وليجة) من الولوج وهو الدخول والمعنى بل أظننتم أن تتركوا من غير قتال بمجرد قولكم آمنا بل حتى يظهر المجاهد منكم مع الاخلاص من غيره ولم تتخذوا فى الله ولا رسوله ولا المؤمنين شيأ تدخلونه فى قلوبكم غير محبة الله ورسوله والمؤمنين (قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله الخ) سبب نزول هذه الآية وما بعدها ان جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر منهم العباس عم رسول الله فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله يعيرونهم بالشرك وجعل على بن أبى طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون

بالافراد والجمع بدخوله والقعود فيه (شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت) بطلت (أعمالهم) لعدم شرطها (وفي النار هم خالدون
انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكوة ولم يخش) أحدا (الا الله فعسى أولئك أن
يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) أى أهل ذلك (كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله) فى الفضل (والله لا يهدى القوم الظالمين) الكافرين نزلت ردا على من قال ذلك وهو العباس أو غيره (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة) رتبة (عند الله) من غيرهم (وأولئك هم الفائزون) الظافرون بالخير (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) دائم (خالدين) حال مقدرة (فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) ونزل فيمن ترك الهجرة لاجل أهله وتجارته (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا) اختاروا (الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقرباؤكم وفى قراءة عشيراتكم (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها
(وتجارة تخشون كسادها) عدم نفاقها (ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله
ورسوله وجهاد فى سبيله) فقعدتم لاجله عن الهجرة والجهاد (فتربصوا) انتظروا

مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة أى نخدمها ونسقى الحجيج ونفك العانى (قوله بالافراد والجمع) أى فهما قراءتان سبعيتان فالافراد اما على ان المراد المسجد الحرام أو على ان المسجد اسم جنس فيدخل فيه جميع المساجد والجمع اما على أن كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها مسجد أو الجمع باعتبار انه قبلة لسائر المساجد (قوله شاهدين على أنفسهم بالكفر) قيل المراد به السجود للاصنام لان كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك الا بعدا من الله (قوله أولئك حبطت أعمالهم) أى الحسنة التى افتخروا بها من خدمة المساجد وفك الاسير وسقاية الحاج وغير ذلك (قوله انما يعمر مساجد الله) بالجمع باتفاق السبعة وعمارتها تكون ببنائها من المال الحلال والصلاة فيها وغير ذلك (قوله ان يكونوا من المهتدين) أى ان يحشروا فى زمرتهم يوم القيامة (قوله أجعلتم سقاية الحاج) رد على العباس وغيره كما يأتى للمفسر حيث افتخر وابذلك وقالوا ان هذا شرف لا يضاهى والسقاية فى الاصل هى المحل الذى يجعل فيه الشراب فى الموسم كانوا ينبذون الزبيب فى ماء زمزم ويسقونه الناس أيام الحج وكان الفاعل لذلك العباس فى الجاهلية واستمرت معه السقاية فى الاسلام فهى لآل العباس أبدا (قوله أى أهل ذلك) أشار بذلك الى ان فى الكلام حذف مضاف والتقدير أجعلتم أهل سقاية الحاج الخ وقد دفع بذلك ما يقال كيف يشبه المعنى وهو السقاية بالذات وهو من آمن (قوله لا يستوون عند الله فى الفضل) أى الاخروى لان فضل أهل السقاية والعمارة دنيوى (قوله أو غيره) أو بمعنى الواو لان أهل مكة كانوا يفتخرون بذلك ويزعمون ان هذا فخر لا يضاهى (قوله الذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وما عطف عليه وهو الهجرة والجهاد (قوله من غيرهم) يدخل فيه أهل السقاية والعمارة من الكفار فقتضاه أن لهم درجة لكنها ليست أعظم والجواب أن ذلك اما باعتبار ما يعتقدونه من أن لهم درجة ورتبة أو اسم التفضيل باعتبار المؤمنين الذين لم يستكملوا الاوصاف الثلاثة (قوله وأولئك هم الفائزون) أى الكاملون فى الفوز بالنسبة للمؤمن الذى لم يستكمل الاوصاف الثلاثة أو المراد الذين لهم أصل الفوز بالنسبة لاهل السقاية والعمارة (قوله يبشرهم ربهم برحمة الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى ثلاثة أشياء جزاء على الصفات الثلاثة فالرحمة فى مقابلة الايمان لتوقف الرحمة عليه والرضوان فى مقابلة الجهاد لانه بذل الاموال والانفس فى مرضات الله والرضوان نهاية الاحسان فكان فى مقابلته والجنة فى مقابلة الهجرة لان فى الهجرة ترك الاوطان فبدلوا أوطانا فى الآخرة أعلى وأجل مما تركوه وانما قدمت الرحمة والرضوان اشارة الى انهما يكونان فى الدنيا والآخرة وأخرت الجنة اشارة الى انها مختصة بالآخرة ولانها آخر العطايا (قوله حال مقدرة) أى لانهم حين الدخول ليسوا خالدين وانما هم منتظرون (قوله ونزل فيمن ترك الهجرة) قال ابن عباس لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون ننشدك بالله أن لا تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله تعالى هذه الآية (قوله قل ان كان آباؤكم) نزلت لما قال الذين أسلموا ولم يهاجروا نحن ان هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت ديارنا وتقطعت أرحامنا ويؤخذ من ذلك أنه اذا تعارض أمر من أمور الدين مع مصالح الدنيا يقدم أمر الدين ولو لزم عليه تعطيل أمر الدنيا (قوله واخوانكم) أى حواشيكم والمراد بهم هنا اخوان النسب وان شاع جمع أخ النسب على اخوة وأخ الدين على اخوان (قوله أقرباؤكم) وقيل هم من بينك وبينهم معاشرة مطلقا ولو غير قريب فهو عطف عام على ما قبله على كل حال (قوله وفى قراءة عشيراتكم) أى وهى سبعية وقرأ الحسن عشائركم (قوله ترضونها) أى ترضون الاقامة فيها (قوله أحب اليكم) خبر كان واسمها آباؤكم وما عطف عليه (قوله فقعدتم لاجله) قدره

ليرتب عليه قوله فتربصوا وجملة فتربصوا جواب الشرط (قوله حتى يأتي الله بأمره) قال ابن عباس هو فتح مكة اه اذا علمت ذلك تعلم ان هذا مشكل مع ما تقدم ومع ما يأتي من ان السورة نزلت بعد الفتح الا أن يقال ان بعض السورة نزل قبل الفتح بحسب الوقائع والسورة بتمامها نزلت بعد الفتح ولا غرابة في ذلك فتدبر (قوله تهديد لهم) أي تخويف (قوله الفاسقين) عبر عنهم أولا بالظالمين اشارة الى أن الكفار موصوفون بكل وصف قبيح (قوله لقد نصركم الله) الخطاب للنبي وأصحابه بتعداد النعم عليهم (قوله في مواطن) جمع موطن كمواعد وموعد والمراد به الوطن وهو محل السكنى (قوله وقريظة والنضير) الكلام على حذف مضاف أي وموطن قريظة وموطن النضير (قوله ويوم حنين) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وقيل معطوف على مواطن من عطف ظرف الزمان على ظرف المكان ورد بأنه يقتضي أن قوله اذ أعجبتكم كثرتكم يرجع لقوله مواطن أيضا لانه بدل من يوم حنين ولا يصح ذلك لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن بل في خصوص حنين فتعين ما قدره المفسر (قوله واد بين مكة والطائف) أي وبينهما ثمانية عشر ميلا وفي بعض العبارات ثلاث ليال (قوله هوازن) أي وهم قبيلة حليمة السعدية (قوله سنة ثمان) أي من الهجرة وهي سنة فتح مكة لان مكة فتحت في رمضان وغزوة هوازن في شوال عقبه (قوله من قلة) أي من عدد قليل (قوله وكانوا اثني عشر ألفا) عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الذين أسلموا في مكة بعد فتحها (قوله والكفار أربعة آلاف) الذي في شرح المواهب أنهم أكثر من عشرين ألفا (قوله فلم تغن عنكم شيأ) أي لم تنفعكم ولم تدفع عنكم شيأ (قوله أي مع رحبها) أشار بذلك الى أن الباء بمعنى مع والجملة حال أي ملتبسة برحبها والرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع (قوله وليس معه غير العباس) أي وقد كان آخذا بلجام بغلته (قوله وأبو سفيان) أي ابن الحرث بن عبد المطلب وقد أسلم هو والعباس يوم الفتح وفي بعض السير ان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حنين مائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين وستة وستون من الانصار ويجمع بين ما قاله المفسر وغيره بأنه لم يبق متصلا بالبغلة الا اثنان والباقون مشتغلون بالحرب لم يفروا (قوله فردوا) أي رجعوا جميعا كالفصيل الضال عن أمه اذا وجدها (قوله لما ناداهم العباس) أي وكان صيتا يسمع صوته من نحو ثمانية أميال (قوله لم تروها) قيل كانوا خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا ولم يقاتلوا بل نزلوا لتقوية قلوب المسلمين وروي عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا وروي أن الملائكة الذين نزلوا يوم حنين عليهم عمائم حمر راكبين خيلا بلقا (قوله بالقتل) أي لبعضهم وهم أكثر من سبعين (قوله والاسر) أي للنساء والذراري وكانوا ستة آلاف ولم تقع غنيمة أعظم منها فقد كان فيها من الابل اثنا عشر ألفا وقيل أربعة وعشرون ألفا ومن الغنم ما لا يحصى وكان فيها غير ذلك ولما هزمهم قصد الى الطائف وأمر بجعل الغنائم في الجعرانة حتى يأتي اليهم فلما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضعة عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم أخذ في قسمة الغنائم وكان في السبي أخت رسول الله من الرضاع وهي بنت حليمة السعدية فأطلقها رسول الله وأكرمها وردها لقومها فأعلمتهم بما وقع لها من رسول الله من الاكرام فكان ذلك باعثا على اسلامهم فأتى منهم جماعة وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم فاردد علينا أموالنا وأهلينا فقال لهم ان خير القول أصدقه اختاروا اما أموالكم واما ذراريكم ونساءكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقال لهم أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وأما ما كان لغيرهم فسأطلب فيه معروفهم ثم قال لهم اذا أنا صليت فتقدموا الي وأخبروني بذلك ففعلوا كما أمر فقال صلى الله عليه وسلم من طابت نفسه

(حتى يأتي الله بأمره) تهديد لهم (والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن) للحرب (كثيرة) كبدر وقريظة والنضير (و) اذكر (يوم حنين) واد بين مكة والطائف أي يوم قتالكم فيه هوازن وذلك في شوال سنة ثمان (اذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثرتكم) فقلتم لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثني عشر ألفا والكفار أربعة آلاف (فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية أي مع رحبها أي سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون اليه لشدة ما لحقكم من الخوف (ثم وليتم مدبرين) منهزمين وثبت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان آخذ بركابه (ثم أنزل الله سكينته) طمأنينته (على رسوله وعلى المؤمنين) فردوا الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ناداهم العباس باذنه وقاتلوا (وأنزل جنودا لم تروها) ملائكة (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالاسلام (والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا

بشئ أن يرده فليفعل فقالوا رضينا بذلك وسلموه الاموال والاسارى (قوله انما المشركون نجس) القراءة السبعية بفتحتين وفيه لغات أخرى ككتف وعضد والمعنى أنهم نجس نجاسة معنوية لاحسية وقال ابن عباس أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وقال الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف ذلك فانهم طاهرون لانهم داخلون في آية ولقد كرمنا بني آدم (قوله فلا يقربوا المسجد الحرام الخ) قال العلماء جملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال وجوز أبو حنيفة دخول المعاهد الثاني الحجاز فلا يجوز للكافر دخوله الا بالاذن ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام لما في الحديث لا يبقين دينان بجزيرة العرب وحدها طولا من أقصى عدن الى ريف العراق وعرضا من جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان لكن لا يدخل المساجد الا لغرض شرعي (قوله عام تسع) أي وهو عام نزول جملة السورة على الصحيح وما يوهم خلاف ذلك يجب تأويله (قوله وان خفتم عيلة الخ) سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر عليا أن يقرأ على المشركين أول براءة خاف أهل مكة الفقر وضيق العيش لامتناع المشركين من دخول الحرم واتجارهم فيه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله فقرا) في المصباح العيلة بالفتح الفقر وهي مصدر عال يعيل من باب سار فهو عائل والجمع عالة وفي المختار وعيال الرجل من يعولهم وواحد العيال عيل كجيد والجمع عيائل كجيائد وأعال الرجل كثرت عياله (قوله وقد أغناهم بالفتوح) أي فأسلم أهل صنعاء وجدة وتبالة بفتح التاء وجرش بضم الجيم وفتح الراء بعدها شين معجمة قريتان من قرى اليمن وجلبوا اليهم الميرة وصاروا في أرغد عيش (قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الخ) شروع في ذكر قتال أهل الكتابين اثر بيان قتال مشركي العرب وهذه الآية نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فلما نزلت توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك (قوله والا لآمنوا بالنبي) جواب عما يقال ان ظاهر الآية يقتضي نفي ايمانهم بالله واليوم الآخر مع أنهم يزعمون الايمان بالله واليوم الآخر وفي كلام المفسر اشارة لقياس استثنائي وتقريره أن يقال لو آمن اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لكنهم لم يؤمنوا بالنبي فلم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر وأيضا دعواهم الايمان بالله باطلة لانهم يعتقدون التجسيم والتشبيه ولا شك في كونه كفرا وكذلك دعواهم الايمان باليوم الآخر باطلة لانهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد وان أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون فتحصل أن كفرهم بهذه الامور وبتكذيبهم النبي ومن كذب نبيا فقد كفر بالله واليوم الآخر قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا (قوله كالخمر) أي والخنزير والربا وكل محرم في شرعنا فانهم مخاطبون بفروع الشريعة ويعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر (قوله دين الحق) من اضافة الموصوف لصفته (قوله الناسخ لغيره) أي الماحي له فمن اتبع غير الاسلام فهو كافر قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ويصح أن يراد بالحق الله سبحانه وتعالى لان من أسمائه الحق والمراد بدين الله الاسلام (قوله حتى يعطوا الجزية) غاية لقتالهم وسميت جزية لانها جزاء الكف القتال عنهم وتأمينهم (قوله الخراج المضروب عليهم) أي الذي يجعله الامام على ذكورهم الاحرار البالغين الموسرين (قوله أي منقادين) تفسير باللازم أي فاليد كناية عن الانقياد (قوله لا يوكلون بها) أي فاليد على حقيقتها وهذا التفسير يناسب مذهب مالك لان عنده لا يجوز التوكيل في دفعها بل كل واحد يدفع جزيته بيده وحين دفعها يبسط الكافر يده بها ويأخذها المسلم من يده لتكون يد المسلم هي العليا ثم بعد أخذها يصفعه المسلم على قفاه وعند الشافعي يجوز التوكيل في دفعها (قوله وقالت اليهود الخ) هذا من تفصيل عدم ايمانهم بالله واليوم الآخر وعزير بالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان

انما المشركون نجس) قذر لخبث باطنهم (فلا يقربوا المسجد الحرام) أي لا يدخلوا الحرم (بعد عامهم هذا) عام تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة) فقرا بانقطاع تجارتهم عنكم (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) وقد أغناهم بالفتوح والجزية (ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) والا لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) كالخمر (ولا يدينون دين الحق) الثابت الناسخ لغيره من الاديان وهو دين الاسلام (من) بيان للذين (الذين أوتوا الكتاب) أي اليهود والنصارى (حتى يعطوا الجزية) الخراج المضروب عليهم كل عام (عن يد) حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها (وهم صاغرون) أذلاء منقادون لحكم الاسلام (وقالت اليهود عزير ابن الله

فالصرف

فالصرف على انه عربي فلم توجد فيه الا علة واحدة وعدمه على انه أعجمي ففيه العلتان وابن خبر عزير فيرسم بالالف لانه ليس بصفة للعلم وسبب تلك المقالة على ماقاله ابن عباس ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ومسحها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه أن يرد اليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت اليه فأذن في قومه وقال ياقوم قد آتاني الله التوراة وردها علي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ماشاء الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على مافي التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتي عزير هذا الا لانه ابن الله (قوله وقالت النصارى المسيح ابن الله) المسيح لقب له اما لانه مامسح على ذي عاهة الا برئ أو لانه ممسوح بالبركة * وسبب مقالتهم أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه أتى الى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء انه ليست لك توبة حتى تتنصر وقد تبت وأتيتكم فأدخلوه الكنيسة وتنصر ودخل بيتا فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عهد الى ثلاثة رجال اسم واحد نسطورا والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطورا أن عيسى ومريم آلهة ثلاثة وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان وانه ابن الله وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما تمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له أنت خالصتي وادع الناس لما علمتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رأيت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم اني سأذبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا (قوله بأفواههم) من المعلوم أن القول لا يكون الا بالافواه فذكرها مبالغة في الرد عليهم (قوله يضاهون) بضم الهاء بعدها واو وبكسر الهاء بعدها همزة مضمومة ثم واو قراءتان سبعيتان (قوله قاتلهم الله) أي أبعدهم عن رحمته فهو دعاء عليهم (قوله أنى يؤفكون) استفهام تعجب والاستفهام راجع الى الخلق لان الله يستحيل عليه التعجب (قوله اتخذوا) أي اليهود والنصارى (قوله أحبارهم) جمع حبر بالفتح والكسر والثاني أفصح العالم الماهر (قوله حيث اتبعوهم) أشار بذلك الى انهم لم يتخذوهم أربابا حقيقة بل المعنى كالارباب في شدة امتثالهم أمرهم (قوله والمسيح بن مريم) بالنصب عطف على أحبارهم والمفعول الثاني محذوف لدلالة ماقبله عليه تقديره ربا (قوله وما أمروا الخ) الجملة حالية (قوله لا اله الا هو) صفة ثانية لالها (قوله شرعه وبراهينه) أي الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وهي ثلاثة أمور أحدها المعجزات الظاهرات ثانيها القرآن العظيم ثالثها كون دينه الذي أمر باتباعه وهو دين الاسلام ليس فيه شئ سوى تعظيم الله والانقياد لامره ونهيه والتبري من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة واضحة في صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فمن أراد ابطال ذلك فقد خاب سعيه (قوله الا أن يتم نوره) أي يعليه ويرفع شأنه (قوله ولو كره الكافرون) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير ولو كره الكافرون اتمامه لاتمه ولم يبال بهم (قوله بالهدى) أي القرآن (قوله ودين الحق) أي دين الاسلام (قوله جميع الاديان المخالفة له) أي بنسخها (قوله ولو كره المشركون) كرر لمزيد التهكم بهم والرد عليهم ووصفهم أولا بالكفر وثانيا

وقالت النصارى المسيح) عيسى (ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) لا مستند لهم عليه بل (يضاهون) يشابهون به (قول الذين كفروا من قبل) من آبائهم تقليدا لهم (قاتلهم) لعنهم (الله أنى) كيف (يؤفكون) يصرفون عن الحق مع قيام الدليل (اتخذوا أحبارهم) علماء اليهود (ورهبانهم) عباد النصارى (أربابا من دون الله) حيث اتبعوهم في تحليل ماحرم وتحريم ما أحل (والمسيح ابن مريم وما أمروا) في التوراة والانجيل (الا ليعبدوا) أي بأن يعبدوا (الها واحدا لا اله الا هو سبحانه) تنزيها له (عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله) شرعه وبراهينه (بأفواههم) بأقوالهم فيه (ويأبى الله الا أن يتم) يظهر نوره (ولو كره الكافرون) ذلك (هو الذي أرسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى ودين الحق ليظهره) يعليه (على الدين كله) جميع الاديان المخالفة له (ولو كره المشركون) ذلك

بالاشراك اشارة الى أنهم اتصفوا بكل منهما (قوله يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار الخ) لما بين عقائد الاتباع وصفاتهم شرع في بيان صفات الرؤساء والاحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى وفي قوله كثيرا اشارة الى أن الاقل من الاحبار والرهبان لم يكونوا كذلك كعبد الله بن سلام وأضرابه من الاحبار والنجاشي وأضرابه من الرهبان (قوله يأخذون) أشار بذلك الى أن المراد بالاكل الاخذ فأطلق الخاص وأريد العام من باب تسمية الشئ باسم جزئه الاعظم لان معظم المقصود من أخذ الاموال أكلها (قوله بالباطل) قيل هو تخفيف الشرائع والتساهل فيها لسفلتهم وقيل هو تغيير صفات المصطفى صلى الله عليه وسلم الكائنة في التوراة والانجيل وقيل ما هو أعم وهو الاحسن والباعث لهم على ذلك حب الرياسة وأخذ الاموال (قوله كالرشا) بضم الراء وكسرها جمع رشوة بالضم على الاول والكسر على الثاني وفي القاموس الرشوة مثلثة وهي الجعل على الحكم وهي حرام ولو على الحكم بالحق فما بالك بأخذها على الحكم بالباطل أما جعل الاستقاء فيقال فيه رشاء بالكسر والمد (قوله ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام (قوله والذين يكنزون) الكنز في الاصل جمع المال ودفنه وعدم الانفاق منه واختلف في المراد بالذين يكنزون الذهب والفضة فقيل المراد بهم أهل الكتاب لان شأنهم الحرص وكنز المال وقال ابن عباس نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين والحقوق الواجبة وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب والمسلمين الذين يمنعون الزكاة والحقوق الواجبة روي أن أبا ذر اختلف مع معاوية في هذه الآية فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب وقال أبو ذر نزلت فينا وفيهم فكتب معاوية وكان أميرا على الشام الى عثمان يشكوه فكتب عثمان الى أبي ذر أن اقدم المدينة فقدم فازدحم عليه الناس حتى كأنهم لم يروه قبل ذلك فأخبر عثمان بذلك فقال له ان شئت تنحيت فكنت قريبا منا فنزل بالربذة وقال ولو أمروا علي عبدا حبشيا لسمعت وأطعت (قوله أي الكنوز) أي المدلول عليها بقوله يكنزون ودفع بذلك ما يقال ان المتقدم شيآن الذهب والفضة فكان مقتضاه تثنية الضمير فلم أفرد فأجاب بأنه عائد على الكنوز المفهومة من السياق (قوله فبشرهم) انما سمى بشارة تهكما بهم واشارة الى أنه بمنزلة الوعد في عدم تخلفه (قوله يوم يحمى عليها) ظرف لقوله بعذاب أليم ويحمى يجوز أن يكون في حميته وأحميته ثلاثيا ورباعيا يقال حميت الحديدة وأحميتها أوقدت عليها لتحمى والفاعل محذوف تقديره يوم تحمى النار عليها أي تتقد على تلك الكنوز فتكوى بها جباههم الخ فلما حذف الفاعل ذهبت علامة التأنيث ولذلك قرئ بالتاء من فوق وأنيب الجار والمجرور منابه ولتضمنه معنى الايقاد عدي بعلى (قوله جباههم) المراد بها جهة الأمام بدليل المقابلة (قوله وتوسع جلودهم) أي حتى لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم وذلك بعد جعلها صفائح من نار (قوله أي جزاءه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف لان الكنوز لا تذاق وهذا عذابه في الآخرة وورد أنه يصور ماله في قبره بصورة شجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه أي شدقيه ويقول له أنا كنزك أنا مالك فلا مانع من حصول الجميع له أجارنا الله من أسباب ذلك (قوله ان عدة الشهور الخ) المقصود من ذلك الرد على الجاهلية حيث يزيدون في الاشهر بحسب أهوائهم الفاسدة فرارا من القتال في الاشهر الحرم فانهم كانوا يعظمون الاشهر الحرم فلا يقاتلون فيها فكانوا اذا اضطروا للقتال فيها ادعوا أنها لم تأت وقاتلوا فيها فربما جعلوا السنة أربعة عشر شهرا أو أزيد بحسب ما تسوّله عقولهم الفاسدة (قوله عند الله) ظرف متعلق بمحذوف صفة للشهور (قوله اثنا عشر شهرا) وهذه شهور السنة القمرية العربية التي يعتد بها المسلمون في عباداتهم كالصيام والحج وسائر أمورهم وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية وتسمى القبطية وهي عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية اما عشرة أيام أو أحد عشر يوما فخمسة أيام نقص الشهور العربية وخمسة أيام النسيء ان كانت السنة بسيطة

(يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون) يأخذون (أموال الناس بالباطل) كالرشا في الحكم (ويصدون) الناس (عن سبيل الله) دينه (والذين) مبتدأ (يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها) أي الكنوز (في سبيل الله) أي لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير (فبشرهم) أخبرهم (بعذاب أليم) مؤلم (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى) تحرق (بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي جزاءه (ان عدة الشهور) المعتد بها للسنة (عند الله اثنا عشر شهرا

وبينة

وستة أيام ان كانت كبيسة فكل أربع سنين تأتى فيها سنة كبيسة فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف (قوله في كتاب الله) صفة لاثنا عشر (قوله محرمة) أى معظمة محترمة تتضاعف فيها الطاعات (قوله ذو القعدة) بفتح القاف وكسرها والفتح أفصح عكس الحجة (قوله بالمعاصى) أى فظلم النفس يكون بمخالفة الله لانه بسبب ذلك تعرض لغضب الله الموجب لدخول النار (قوله فانها فيها أعظم وزرا) أى أشد اثما منه فى غيرها (قوله وقاتلوا المشركين كافة) هذه الآية ناسخة لآية البقرة المفيدة حرمة القتال فى الاشهر الحرم قال تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير الآية وقوله كافة مصدر فى موضع الحال من فاعل قاتلوا أو من المشركين ولا يثنى ولا يجمع ولا تدخل عليه أل ولا يتصرف فيه بغير الحال (قوله بالعون والنصر) أى فمعيته مع المتقين زائدة على معيته مع الخلق أجمعين المشار لها بقوله تعالى ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا لانها معية تصريف وتدبير وذلك لا يختص بالانسان بل مع كل مخلوق حيوانا وجمادا (قوله انما النسىء) فعيل بمعنى مفعول والمراد به تأخيرهم حرمة المحرم الى صفر كما فى المختار وهذه قراءة الجمهور بهمزة بعد الياء وفى قراءة سبعية بابدال الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ شذوذا بسكون السين وبفتح النون وبضم السين بوزن فعول (قوله كما كانت الجاهلية تفعله) أى لان الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكانت معايشهم من الغزو وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية فأخروا تحريم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فاذا احتاجوا الى القتال أخروا التحريم الى ربيع الاول وهكذا حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين والمحرم كذلك وهكذا باقى الشهور فوافقت حجة أبى بكر فى السنة التاسعة ذا القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فوافقت شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة فوقف بعرفة فى اليوم التاسع وخطب الناس فى اليوم العاشر بمنى حيث قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلدة قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم قال محمد وأحسبه قال وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم بعضا ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت مرتين (قوله اذا أهل) بالبناء للفاعل وللمفعول ويقال استهل وهل اذا رفع الصوت عند ذكره وبذلك سمى الهلال (قوله بضم الياء) أى مع فتح الضاد مبنيا للمفعول فى السبعة ومع كسر الضاد مبنيا للفاعل فى العشرة (قوله وفتحها) أى مع كسر الضاد لاغير وهى سبعية أيضا فتكون القراآت ثلاثا واحدة عشرية واثنتان سبعيتان (قوله أى النسىء) المراد به هنا اسم المفعول أى المنسوء أى المؤخر وهو تحريم بعض الشهور (قوله يحلونه عاما) فيه وجهان أحدهما أن الجملة تفسيرية للضلال الثانى أنها حالية (قوله ليواطئوا) تنازعه كل من يحلونه ويحرمونه فيجوز الثانى أو الاول (قوله الى أعيانها) أى الاربعة التى اشتهر تحريمها الامم لو التزموا أعيانها لم يضلوا (قوله زين لهم سوء أعمالهم) بالبناء للمفعول والمزين لهم الشيطان (قوله لا يهدى القوم الكافرين) أى لا يوصلهم للسعادة (قوله ونزل لما دعا الخ) أى من هنا الى قوله انما الصدقات فهذه الآيات متعلقة بغزوة تبوك والمتخلفين عنها من منافقين وغيرهم (قوله الى غزوة تبوك) بالصرف على ارادة البقعة ومنعه للعلمية والتأنيث وكانت فى السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه من الطائف وسبب توجهه لها انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هرقل جمع أهل الروم

(فى كتاب الله) اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والارض منها) أى الشهور (أربعة حرم) محرمة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب (ذلك) أى تحريمها (الدين القيم) المستقيم (فلا تظلموا فيهن) أى الاشهر الحرم (أنفسكم) بالمعاصى فانها فيها أعظم وزرا وقيل فى الاشهر كلها (وقاتلوا المشركين كافة) جميعا فى كل الشهور (كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصر (انما النسىء) أى التأخير لحرمة شهر الى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم اذا هل وهم فى القتال الى صفر (زيادة فى الكفر) لكفرهم بحكم الله فيه (يضل) بضم الياء وفتحها (به الذين كفروا يحلونه) أى النسىء (عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا) يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله (عدة) عدد (ما حرم الله) من الاشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون الى أعيانها (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) فظنوه حسنا (والله لا يهدى القوم الكافرين) ونزل لما دعا صلى الله عليه وسلم الناس الى غزوة تبوك

وكانوا في عسرة وشدة حر وشق عليهم (ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم) بادغام التاء في الاصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل أي تباطأتم وملتم عن الجهاد (الى الارض) والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ (أرضيتم بالحيوة الدنيا) ولذاتها (من الآخرة) أي بدل نعيمها (فما متاع الحيوة الدنيا في) جنب متاع (الآخرة الا قليل) حقير (الا) بادغام لا في نون ان الشرطية في الموضعين (تنفروا) تخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد (يعذبكم عذابا أليما) مؤلما (ويستبدل قوما غيركم) أي يأت بهم بدلكم (ولا تضروه) أي الله أو النبي صلى الله عليه وسلم (شيأ) بترك نصره فان الله ناصر دينه (والله على كل شئ قدير) ومنه نصر دينه ونبيه (الا تنصروه) أي النبي صلى الله عليه وسلم (فقد نصره الله اذ) حين (أخرجه الذين كفروا) من مكة أي ألجؤه الى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة (ثاني اثنين) حال أي أحد اثنين والآخر أبو بكر المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها (اذ) بدل من اذ قبله (هما في الغار) نقب في جبل ثور (اذ) بدل ثان (يقول لصاحبه) أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا (لا تحزن

وأهل الشام وانهم قدموا مقدماتهم الى البلقاء وكان صلى الله عليه وسلم قليلا ما يخرج في غزوة الا ورّى عنها بغيرها الا ما كان من غزوة تبوك وذلك لبعد المسافة لانها على طرف الشام بينها وبين المدينة أربع عشرة مرحلة فامرهم بالجهاد وبعث الى مكة وقبائل العرب وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وأنفق عثمان نفقة عظيمة جهز عشرة آلاف وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير تسعمائة بعير ومائة فرس وما يتعلق بذلك وجاء أبو بكر بجميع ماله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة وبعثت النساء بكل ما يقدرن عليه من حليهن فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري وقيل علي بن أبي طالب وتخلف عبد الله بن أبيّ ومن كان معه من المنافقين فبعد أن خرج بهم الى ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم الى أبي بكر ورايته العظمى للزبير وراية الاوس لاسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار ومن قبائل العرب لواء وراية ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وارتووا هم وخيلهم وركابهم وأقام بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة فأتاه يحنة بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة ثم تاء تأنيث ابن رؤبة بضم الراء فهمزة ساكنة فوحدة صاحب أيلة وأهدى له بغلة بيضاء فكساه النبي رداءه وصالحه على اعطاء الجزية بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولاهل أيلة كتابا تركه عندهم ليعملوا به وقد استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه في مجاوزة تبوك فأشاروا عليه بعدم مجاوزتها فانصرف هو والمسلمون راجعين الى المدينة ولما دنا من المدينة تلقاه المتخلفون فقال لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم فصار الرجل يعرض عن أبيه وأخيه (قوله وكانوا في عسرة) أي قحط وضيق عيش حتى ان الرجلين ليجتمعان على التمرة الواحدة (قوله وشدة حر) أي حتى كانوا يشربون الفرث (قوله فشق عليهم) أي فتخلف عنهم عشر قبائل ويقال لها غزوة العسرة والفاضحة لانها أظهرت حال المنافقين (قوله مالكم) ما مبتدأ ولكم خبره واثاقلتم حال واذ ظرف لتلك الحال مقدم عليها والتقدير أي شئ ثبت لكم من الضرر حال كونكم متثاقلين وقت قول الرسول لكم انفروا الخ (قوله بادغام التاء الخ) أي فالاصل تثاقلتم أبدلت التاء ثاء وأدغمت فيها وأتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله وملتم) قدره اشارة الى انه ضمن اثاقلتم معنى ملتم فعداه بالى (قوله أرضيتم) الاستفهام للتوبيخ والتعجب (قوله حقير) أي لان لذات الدنيا خسيسة مشوبة بالكدرات والآفات سريعة الزوال بخلاف لذات الآخرة فهي شريفة منزهة عن الاقذار والاكدار باقية لا منتهى لها (قوله بادغام لا في ان) العبارة فيها قلب والاصل بادغام ان في لام لا (قوله في الموضعين) أي هذا وقوله الا تنصروه (قوله يعذبكم عذابا أليما) قيل المراد في الآخرة وقيل المراد في الدنيا باحتباس المطر لما روي انه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتثاقلوا فأمسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (قوله ويستبدل قوما غيركم) قيل المراد بهم أبناء فارس وقيل أهل اليمن (قوله ومنه نصر دينه) أي ولو من غير واسطة (قوله الا تنصروه) شرط حذف جوابه تقديره فسينصره الله وأما قوله فقد نصره الله فتعليل للجواب ولا يصلح أن يكون جوابا لانه ماض وقوله اذ أخرجه ظرف لقوله نصره الله وهذا خطاب لمن تثاقل عن تلك الغزوة (قوله بدار الندوة) تقدم ايضاح ذلك في سورة الانفال في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الخ (قوله حال) أي من الهاء في أخرجه والتقدير اذ أخرجه الذين كفروا والحال كونه منفردا عن جميع الناس الا أبا بكر (قوله بدل من اذ قبله) أي بدل بعض من كل لان الاخراج زمنه ممتد فيصدق على زمن استقرارهما في الغار والاقرب من الاخراج مباين لزمن حصولهما في الغار لان بين الغار ومكة مسيرة ساعة (قوله لا تحزن) أي لا تهتم وكان حزن الصديق على رسول الله

ان الله معنا) بنصره (فأنزل الله سكينته) طمأنينته (عليه) قيل على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل على أبي بكر (وأيده) أي النبي صلى الله عليه وسلم (بجنود لم تروها) ملائكة في الغار ومواطن قتاله (وجعل كلمة الذين كفروا) أي دعوة الشرك (السفلى) المغلوبة (وكلمة الله) أي كلمة الشهادة (هي العليا) الظاهرة الغالبة (والله عزيز) في ملكه (حكيم) في صنعه (انفروا خفافا وثقالا) نشاطا وغير نشاط وقيل أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهي منسوخة بآية ليس على الضعفاء (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم فلا تثاقلوا * ونزل في المنافقين الذين تخلفوا (لو كان) ما دعوتهم اليه (عرضا) متاعا من الدنيا (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) وسطا (لاتبعوك) طلبا للغنيمة (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة فتخلفوا (وسيحلفون بالله) اذا رجعتم اليهم (لو استطعنا) الخروج (لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم) بالحلف الكاذب (والله يعلم انهم لكاذبون) في قولهم ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه فنزل عتابا له وقدم العفو تطمينا لقلبه (عفا الله عنك لم أذنت لهم) في التخلف وهلا تركتهم (حتى يتبين لك الذين صدقوا) في العذر (وتعلم الكاذبين) فيه (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر) في التخلف عن (أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك) في التخلف (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت) شكت (قلوبهم) في الدين (فهم في ريبهم يترددون) يتحيرون (ولو أرادوا الخروج) معك (لأعدوا له عدة) أهبة من الآلة والزاد (ولكن كره الله انبعاثهم) أي لم يرد خروجهم (فثبطهم) كسلهم (وقيل) لهم (اقعدوا مع القاعدين) المرضى والنساء والصبيان

لا على نفسه وردائه قال له اذا مت أنا فأنا رجل واحد واذا مت أنت هلكت الامة والدين (قوله ان الله معنا) أي معية معنوية خاصة (قوله قيل على النبي) أي فيكون المراد زاده سكينة وطمأنينة حتى عمت أبا بكر والا فرسول الله لم يسبق له انزعاج لمزيد ثقته بربه (قوله وقيل على أبي بكر) أي لانه هو المنزعج (قوله ملائكة في الغار) أي يحرسونه من أعدائه (قوله ومواطن قتاله) الواو بمعنى أو لانه تفسير ثان (قوله أي دعوة الشرك) أي دعوة أهل الشرك الناس اليه أو المراد عقيدة أهل الشرك (قوله وكلمة الله هي العليا) القراء السبعة على الرفع مبتدأ وهي اما ضمير فصل أو مبتدأ ثان والعليا اما خبر عن كلمة أو عن الضمير والجملة خبر كلمة وقرئ شذوذا بالنصب معطوفا على مفعول جعل (قوله انفروا خفافا وثقالا) ذكر المفسر في معنى ذلك ثلاثة أقوال وهي من جملة أقوال كثيرة ذكرها المفسرون فقيل الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة وقيل الخفيف الشاب والثقيل الشيخ وقيل غير ذلك فالمقصود تعميم الاحوال أي انفروا على أي حال كنتم عليه وهذا الحكم باق اذا تعين الجهاد بأن فجأ العدو وأما في حال كونه فرض كفاية فليس حكم العموم باقيا بل منسوخ اما بآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة أو بآية ليس على الضعفاء ولا على المرضى الخ (قوله نشاطا) بكسر النون جمع نشيط ككرام وكريم (قوله وهي منسوخة) أي على القولين الاخيرين لا على الاول فهي محكمة (قوله انه خير) مفعول تعلمون (قوله فلا تثاقلوا) جواب الشرط (قوله في المنافقين) أي كعبد الله بن أبي وأضرابه (قوله متاع الدنيا) سمي عرضا لسرعة زواله كالعرض (قوله المسافة) أي التي تقطع بالمشقة فهي مشتقة من المشقة (قوله وسيحلفون) هذا اخبار من الله بالغيب فان هذه الآية نزلت قبل رجوعه من تبوك (قوله لخرجنا معكم) هذه الجملة سدت مسد جواب القسم والشرط (قوله يهلكون أنفسهم) هذا مرتب على قوله وسيحلفون المعنى يزدادون بها هلاكا لانهم هالكون بالكفر ويزيدون هلاكا باليمين الكاذبة لما في الحديث اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع (قوله لجماعة) أي من المنافقين (قوله باجتهاد منه) هذا أحد قولين والآخر أنه لا يجتهد والحاصل انه اختلف هل يجوز على النبي الاجتهاد في غير الاحكام التكليفية الصادرة من الله تعالى أو لا يجوز والصحيح الاول ولكنه في اجتهاده دائما مصيب وعتاب الله له انما هو على فعل أمر مباح له فهو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين لا على وزر فعله فاعتقاد ذلك كفر (قوله عفا الله عنك) أي عن هذا الامر الذي فعلته (قوله لم أذنت لهم) اللام الاولى للتعليل والثانية للتبليغ وكلاهما متعلق بأذنت فلم يلزم عليه تعلق حرفي جر متحدي اللفظ والمعنى بعامل واحد والمعنى لاي شئ أذنت لهم في التخلف عن الجهاد (قوله وهلا تركتهم) قدره اشارة الى ان قوله حتى يتبين الخ غاية في ذلك المحذوف (قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون) أي لا يليق منهم وليس من عادتهم الاستئذان في الواجب عليهم بل الخالص في الايمان يبادر اليه من غير توقف فحيث وقع من هؤلاء الاستئذان كان دليلا على نفاقهم (قوله في التخلف) أي من غير عذر (قوله وارتابت قلوبهم) انما أسند الريب للقلب لانه محله كما أنه محل الايمان والمعرفة (قوله ولو أرادوا الخروج الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم خروج المنافقين معه اذ لا فائدة فيه ولا مصلحة وعتاب الله له على الاذن لهم في التخلف انما هو لاجل اظهار حالهم وفضيحتهم كأن الله يقول لنبيه كان الاولى لك عدم الاذن لهم في التخلف ليظهر حالهم فان القرائن دالة على أنهم لا يريدون الخروج لعدم التأهب له (قوله ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك على قوله ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة لانه في معنى النفي فهو استدراك على ما يتوهم

أي قدر الله تعالى ذلك (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) فسادا بتخذيل المؤمنين (ولا أوضعوا خلالكم) أي أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة (يبغونكم) يطلبون لكم (الفتنة) بالقاء العداوة (وفيكم سماعون لهم) ما يقولون سماع قبول (والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا) لك (الفتنة من قبل) أول ما قدمت المدينة (وقلبوا لك الامور) أي أجالوا الفكر في كيدك وابطال دينك (حتى جاء الحق) النصر (وظهر) عز (أمر الله) دينه (وهم كارهون) له فدخلوا فيه ظاهرا (ومنهم من يقول ائذن لي) في التخلف (ولا تفتني) وهو الجد بن قيس قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل لك في جلاد بني الاصفر فقال اني مغرم بالنساء وأخشى ان رأيت نساء بني الاصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن قال تعالى (ألا في الفتنة سقطوا) بالتخلف وقرئ سقط (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) لا محيص لهم عنها (ان تصبك حسنة) كنصر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) شدة (يقولوا قد أخذنا أمرنا) بالحزم حين تخلفنا (من قبل) قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) بما أصابك (قل) لهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) اصابته (هو مولانا) ناصرنا ومتولي أمورنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون) فيه حذف احدى التاءين من الاصل أي تنتظرون أن يقع (بنا الا احدى) العاقبتين (الحسنيين) تثنية حسنى تأنيث أحسن النصر أو الشهادة (ونحن نتربص) ننتظر (بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (أو بأيدينا) بأن يؤذن لنا في قتالكم (فتربصوا) بنا ذلك (انا معكم متربصون) عاقبتكم (قل أنفقوا) في طاعة الله (طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) ما أنفقتموه (انكم كنتم قوما فاسقين) والامر هنا بمعنى الخبر (وما منعهم أن تقبل) بالتاء

ثبوته وهو محبة الله منهم الخروج والمعنى لو أرادوا الخروج لاعدوا ولكن لم يريدوه لكراهة الله انبعاثهم لما فيه من المفاسد فلم يعدوا له عدة وهذا أحسن ما يقال (قوله أي قدر الله تعالى ذلك) جواب عما يقال حيث أمرهم الله بالقعود كان قعودهم محمودا لامذموما فأجاب بأنه ليس المراد بالقول حقيقته بل المراد به الارادة والتقدير وأجيب أيضا بأن القائل الشيطان وهو يأمر بالفحشاء والمنكر وأجيب أيضا بأن القائل الله حقيقة والقول على حقيقته وهو أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم (قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) هذا بيان للمفاسد التي تترتب على خروجهم ان قلت مقتضى العتاب المتقدم أن خروجهم فيه مصلحة ومقتضى ما هنا أن خروجهم مفسدة فكيف الجمع بينهما أجيب بأن خروجهم مفسدة عظيمة وعتاب الله لنبيه انما هو على عدم التأني حتى يظهر نفاقهم وفضيحتهم وليس في خروجهم مصلحة أصلا كما علمت (قوله ما زادوكم الا خبالا) اي ما أحدثوا فيكم الا خبالا وليس المراد أن الخبال كان حاصلا من قبل وانما حصل منهم زيادته (قوله الا خبالا) يصح أن يكون استثناء منقطعا والمعنى ما زادوكم قوة ولكن خبالا أو متصلا من عموم الاحوال والمعنى ما زادوكم شيأ أصلا الا الخبالا (قوله ولا أوضعوا خلالكم) الايضاع في الاصل سرعة سير البعير ثم استعير الايضاع لسرعة الافساد في الكلام استعارة تبعية حيث شبه سرعة الافساد بسرعة سير الركائب ثم اشتق منه أوضعوا بمعنى أسرعوا وفي الخلال استعارة مكنية حيث شبه الخلال بركائب تسرع في السير وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو أوضعوا بمعنى أسرعوا فاثباته تخييل (قوله يبغونكم الفتنة) حال من فاعل أوضعوا والتقدير طالبين لكم الفتنة (قوله وفيكم سماعون لهم) يحتمل أن يكون المراد جواسيس منهم يسمعون لهم الأخبار منكم ويحتمل أن يكون الضمير في فيكم عائدا على المؤمنين والمعنى ان في المؤمنين ضعفاء قلوب يصغون الى قول المنافقين بالتخذيل والافساد لظنهم صحة ايمانهم (قوله من قبل) أي قبل هذه الغزوة كالواقع من المنافقين في أحد في الاحزاب (قوله حتى جاء الحق) أي استمروا على تقليب الامور حتى الخ (قوله وهو الجد بن قيس) وهو منافق عنيد حتى انه من قباحته امتنع من مبايعة رسول الله تحت الشجرة في بيعة الرضوان واختفى تحت بطن ناقته (قوله في جلاد بني الاصفر) أي ضربهم بالسيوف وفي نسخة جهادهم وهي ظاهرة وبنو الاصفر هم ملوك الروم أولاد الاصفر ابن روم بن عيص بن اسحق (قوله وقرئ سقط) أي بالافراد مراعاة للفظ من والضمير عائد على الجد بن قيس وهي شاذة كما هي قاعدته (قوله ان تصبك حسنة) أي في بعض الغزوات (قوله وان تصبك مصيبة) أي في بعضها وقابل الحسنة بالمصيبة اشارة الى أن الثواب مترتب على كل منهما وانما قابلها بالسيئة في آل عمران لانها خطاب للمؤمنين وفيهم من يراها سيئة (قوله يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أي أدركنا ما أهمنا من الامور وهو موالاة الكفار واعتزال المسلمين وغير ذلك من أنواع النفاق (قوله وهم فرحون) الجملة حالية من فاعل يتولوا (قوله قل لن يصيبنا) أي ردا لقولهم قد أخذنا أمرنا من قبل (قوله الحسنيين) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله العاقبتين (قوله ونحن نتربص بكم) أي احدى العاقبتين السيئتين (قوله بقارعة) أي صاعقة (قوله فتربصوا الخ) أي فانا منتظرون ما يسرنا وأنتم منتظرون ما يسوءكم (قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها الخ) نزلت في الجد بن قيس حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود وأنا أعطيك مالي والمعنى قل لهم اتصافكم بصفات المؤمنين في الانفاق والصلاة لا يفيدكم شيأ (قوله طوعا) أي من غير الزام وقوله أو كرها أي بالزام (قوله انكم كنتم قوما فاسقين) أي ولم تزالوا كذلك فالمراد فاسقون فيما مضى وفي المستقبل (قوله والامر هنا بمعنى الخبر) أي فالمعنى نفقتكم طوعا أو كرها غير مقبولة (قوله

بالتاء والياء (منهم نفقاتهم الا انهم) فاعل وان تقبل مفعول (كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) متثاقلون (ولا

ينفقون الا وهم كارهون) النفقة لانهم يعدونها مغرما (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) أي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج (انما يريد الله ليعذبهم) أي أن يعذبهم (بها في الحياة الدنيا) بما يلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب (وتزهق) تخرج (أنفسهم وهم كافرون) فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أي مؤمنون (وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية (لو يجدون ملجأ) يلجؤن اليه (أو مغارات) سراديب (أو مدخلا) موضعا يدخلونه (لولوا اليه وهم يجمحون) يسرعون في دخوله والانصراف عنكم اسراعا لا يرده شيء كالفرس الجموح (ومنهم من يلمزك) يعيبك (في) قسم (الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) من الغنائم ونحوها (وقالوا حسبنا) كافينا (الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) من غنيمة أخرى ما يكفينا (انا الى الله راغبون) ان يغنينا وجواب لو لكان خيرا

 لهم (انما الصدقات) الزكوات مصروفة (للفقراء) الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم (والمساكين) الذين لا يجدون ما يكفيهم (والعاملين عليها) أي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وحاشر (والمؤلفة قلوبهم) ليسلموا أو يثبت اسلامهم

بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله الا أنهم كفروا) استثناء من عموم الاشياء كأنه قيل ما منعهم قبول نفقاتهم لشيء من الاشياء الا الثلاثة أمور كفرهم بالله ورسوله واتيانهم الصلاة في حال كسلهم وانفاقهم مع الكراهة (قوله لانهم يعدونها مغرما) أي لانهم لا يرجون عليها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا (قوله فهي استدراج) أي ظاهرها نعمة وباطنها نقمة (قوله بما يلقون في جمعها من المشقة) جواب عما يقال ان المال والولد سرور في الدنيا فأجاب بأن المراد بكونهما عذابا باعتبار ما يترتب عليهما من المشقة ان قلت ان هذا ليس مختصا بالمنافق بل المؤمن كذلك بهذا الاعتبار أجيب بأن المؤمن يرجو الآخرة والراحة فيها والتنعم بسبب المشقات فكأنها ليست مشقة والمنافق ليس كذلك فهي حينئذ مشقة في الدنيا والآخرة (قوله أنفسهم) أي أرواحهم (قوله يفرقون) الفرق بالتحريك الخوف (قوله لو يجدون ملجأ الخ) أي لو قدروا على الهروب منكم ولو في شر الامكنة وأخسها لفعلوا لشدة بغضهم لكم والمعنى انهم وان كانوا يحلفون لكم انهم منكم فهم كاذبون في ذلك لانهم لو وجدوا مكانا يلجؤن اليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات وهي الاماكن المنخفضة في الارض أو في الجبل أو سراديب أي أماكن ضيقة لفروا اليها (قوله وهم يجمحون) في المصباح جمح الفرس براكبه يجمح استعصى حتى غلبه اهـ ففيه اشارة الى أنهم كالدابة الجموح التي لا تقبل الانقياد بوجه من الوجوه (قوله ومنهم من يلمزك) هذا بيان لحال بعض المنافقين وقوله يلمزك من باب ضرب واللمز الاشارة بعين ونحوها على سبيل التنقيص فهو أخص من الهمز اذ هو الاشارة بعين ونحوها مطلقا والمراد هنا الاعابة بالقول قيل نزلت في أبي الجواظ المنافق بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء ومعناه الضخم المتكبر الكثير الكلام حيث قال ألا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم على رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل نزلت في ذي الخويصرة التميمي وقيل اسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج (قوله في الصدقات) المراد بها قيل الزكاة وقيل الغنائم وقيل ما هو أعم وهو الاولى بدليل ما يأتي للمفسر (قوله فان أعطوا منها) أي ما يريدون (قوله اذا هم يسخطون) اذا الفجائية قامت مقام الفاء والاصل فهم (قوله ما آتاهم الله ورسوله) نسبة الاعطاء لله حقيقية وللرسول مجازية وفيه اشارة الى أن ما فعله الرسول انما هو على طبق ما أمر الله به (قوله وقالوا حسبنا الله) أي كافينا (قوله ان يغنينا) أي في ان يغنينا وان وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بفي متعلقة بيغنينا ويؤخذ من الآية تعليم العباد التعفف والاعتماد على الله تعالى وتفويض الامور اليه فان الارزاق بيده تعالى متكفل بها لا يقطعها عن عباده ولو خالفوه (قوله انما الصدقات للفقراء) رد على المنافقين الذين يزعمون أن رسول الله يأخذ الصدقات لنفسه ولاهل بيته فبين في هذه الآية أن المستحق لها الاصناف الثمانية ورسول الله وأهل بيته شرفه عليهم تشريفا لهم وتطهيرا والآية من قصر الموصوف على الصفة أي الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها لهؤلاء الثمانية (قوله مصروفة) قدره ليتعلق به الجار والمجرور (قوله الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم) صادق بأن لا يجدوا شيأ أصلا أو لا يجدوا شيأ لا يقع الموقع من كفايتهم (قوله والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم) صادق بأن لا يجدوا شيأ أصلا أو يجدوا شيأ لا يقع الموقع أو يقع ولكن لا يكفيهم فالفقير على هذا أسوأ حالا من المسكين وهذا مذهب الامام الشافعي وعند مالك بالعكس فالمسكين من لا يملك شيأ أصلا والفقير من عنده شيء لا يكفيه والمراد بالكفاية عند مالك كفاية سنة وعند الشافعي كفاية العمر الغالب وهو ستون سنة (قوله من جاب الخ) أي وهو الذي يجمع الزكوات من أربابها والقاسم الذي يقسمها على المستحقين والكاتب الذي يكتب ما أعطاه أرباب الاموال والحاشر الذي يجمع أرباب الاموال ليأخذ منهم الجابي الزكاة (قوله ليسلموا) أي يرجى باعطائهم اسلامهم (قوله أو يثبت اسلامهم) أي فهم حديثو عهد باسلام فنعطيهم ليتمكن الاسلام من

أو إسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام والاول والاخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لعز الاسلام
بخلاف الآخرين فيعطيان على الاصح (وفى) فك (الرقاب) أى المكاتبين (والغارمين) أهل الدين ان استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لاصلاح ذات البين ولو أغنياء (وفى سبيل الله) أى القائمين بالجهاد ممن لا فىء لهم ولو أغنياء (وابن السبيل) المنقطع فى سفره (فريضة) نصب بفعله المقدر (من الله والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم اذا وجد فيقسمها الامام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال اذا قسم لعسره بل يكفى اعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفى دونها كما أفادته صيغة الجمع وبينت السنة أن شرط المعطى منها الاسلام وأن لا يكون هاشميا ولا مطلبيا (ومنهم) أى المنافقين (الذين يؤذون النبى) بعيبه وبنقل حديثه (ويقولون) اذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه (هو أذن) أى يسمع كل قيل ويقبله فاذا حلفنا له انا لم نقل صدقنا (قل) هو (أذن) مستمع (خير لكم) لا مستمع شر (يؤمن بالله ويؤمن) يصدق (للمؤمنين) فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره (ورحمة) بالرفع عطفا على اذن والجر عطفا على خير (للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول

قلوبهم (قوله أو يسلم نظراؤهم) أى فهم كبار قبيلة أسلموا فيعطون ليسلم نظراؤهم من الكفار (قوله أو يذبوا عن المسلمين) أى يدفعوا الكفار ويردوهم عن المسلمين والحال أنهم مسلمون (قوله والاول والاخير) أى الكافر ليسلم والذاب عن المسلمين (قوله لا يعطيان) هذا ضعيف عندهم والمعتمد عندهم اعطاء الاول (قوله بخلاف الاخيرين) أى الثانى والثالث وهذا مذهب الشافعى وعند مالك المؤلفة قلوبهم اما كفار يعطون ليسلموا أو مسلمون يعطوا ليثبت اسلامهم (قوله وفى الرقاب) لما أضيفت الصدقات الى الاصناف الاربعة الاول باللام والى الاربعة الاخيرة بفى اشارة الى أن الاربعة الاول يملكونها ويتصرفون فيها كيف شاؤا بخلاف الاربعة الاخيرة فيقيد بما اذا صرفت فى مصارفها فاذا لم يحصل نزعت منهم (قوله أى المكاتبين) أى ليستعينوا بها على فك رقابهم وهذا التفسير على مذهب الامام الشافعى وعند مالك وأحمد ان معناه يشترى بها رقيق كامل الرق ويعتق وولاؤه للمسلمين وعند أبى حنيفة يشترى بها بعض رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى التبعيض (قوله لغير معصية) أى بأن استدانوا المباح ولو صرفوه فى معصية وهذا مذهب الشافعى وعند مالك اذا صرفوه فى معصية لا يعطون منها الا اذا تابوا (قوله وتابوا) أى ظهرت توبتهم لا بمجرد قولهم تبنا مثلا (قوله أو لاصلاح ذات البين) أى كان خيفت فتنة بين قبيلتين تنازعتا فى قتيل لم يظهر قاتله فتحملوا الدية تسكينا للفتنة (قوله أى القائمين بالجهاد الخ) أى ويشترى منها آلته من سلاح ودرع وفرس ومذهب مالك أن طلبة العلم المنهمكين فيه لهم الاخذ من الزكاة ولو أغنياء اذا انقطع حقهم من بيت المال لانهم مجاهدون (قوله وابن السبيل) الاضافة لادنى ملابسة أى الملازم للطريق (قوله المنقطع فى سفره) أى ان كان سفره فى غير معصية والا فلا يعطى ولو خيف عليه الموت ما لم يتب ويعطى بشرط أن لا يجد مسلفا وهو ملىء ببلده (قوله فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء) أخذ ذلك من الحصر وهو متفق عليه (قوله ولا منع صنف منهم) هذا مذهب الشافعى وعند مالك لا يلزم تعميم الاصناف فاللام فى للفقراء الخ لبيان المصرف لا للاستحقاق (قوله فيقسمها الامام عليهم على السواء) هذا مذهب الشافعى وعند مالك لا يلزم ذلك بل يندب ايثار المضطر (قوله لعسره) علة لعدم وجوب الاستغراق (قوله الاسلام) هذا فى غير المؤلفة قلوبهم (قوله وأن لا يكون هاشميا ولا مطلبيا) هذا مذهب الشافعى وعند مالك الذين تحرم عليهم الزكاة بنو هاشم فقط وهذا ان كان حقهم من بيت المال جاريا والا فهم أولى من غيرهم فاعطاؤهم أفضل من اعطائهم خلافه الذمى والفاجر (قوله ومنهم الذين يؤذون النبى) سبب نزولها أن جماعة من المنافقين تكلموا فى حقه صلى الله عليه وسلم بما لا يليق فقال بعضهم لبعض كفوا عن ذلك الكلام لئلا يبلغه ذلك فيقع لنا منه الضرر فقال الجلاس بضم الجيم وفتح اللام المخففة ابن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول فانما محمد أذن (قوله أى يسمع كل قيل) أى من غير أن يتأمل فيه ويميز باطنه من ظاهره فقصدوا بذلك وصفه صلى الله عليه وسلم بالغفلة لانه كان لا يقابلهم بسوء أبدا ويتحمل أذاهم ويصفح عنهم فحملوه على عدم التنبه والغفلة وهو انما كان يفعل ذلك رفقا بهم وتغافلا عن عيوبهم وفى تسميته أذنا مجاز مرسل من اطلاق الجزء على الكل للمبالغة فى استماعه حتى صار كانه هو آلة السماع كما يسمى الجاسوس عينا (قوله قل أذن خير لكم) أى يسمع الخير ولا يسمع الشر (قوله يؤمن بالله الخ) هذا ايضاح لكونه أذن خير (قوله واللام زائدة) جواب عما يقال لم زيدت اللام مع أن الايمان يتعدى بالباء فاجاب بأنها زيدت للفرق بين ايمان التسليم وهو قوله ويؤمن للمؤمنين أى يسلم لهم قولهم ويصدقهم فيما يقولونه وبين ايمان التصديق المقابل للكفر وهو قوله يؤمن بالله أى يصدق بالله وبوحدته (قوله ورحمة للذين آمنوا) أى أظهر والايمان منكم وهذه الرحمة بمعنى الرفق بهم وعدم كشف أسرارهم لا بمعنى التصديق لهم فان رحمته فى الدنيا عامة للبر والفاجر وفى الآخرة خاصة بالمؤمنين

الفاجر

الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم) أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه (ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) بالطاعة (إن كانوا مؤمنين) حقا وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أو خبر الله أو رسوله محذوف (ألم يعلموا أنه) أي الشأن (من يحادد) يشاقق (الله ورسوله فأن له نار جهنم) جزاء (خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر) يخاف (المنافقون أن تنزل عليهم) أي المؤمنين (سورة تنبئهم بما في قلوبهم) من النفاق وهم مع ذلك يستهزؤن (قل استهزؤا) أمر تهديد (إن الله مخرج) مظهر (ما تحذرون) اخراجه من نفاقكم (ولئن) لام قسم (سألتهم) عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك الى تبوك (ليقولن) معتذرين (إنما كنا نخوض ونلعب) في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك (قل) لهم (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا) عنه (قد كفرتم بعد إيمانكم) أي ظهر كفركم بعد اظهار الإيمان (إن نعف) بالياء مبنيا للمفعول والنون مبنيا للفاعل (عن طائفة منكم) باخلاصها وتوبتها كمخشي ابن حمير (تعذب) بالتاء والنون (طائفة بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق والاستهزاء (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أي متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد (يأمرون بالمنكر) الكفر والمعاصي (وينهون عن المعروف) الإيمان والطاعة (ويقبضون أيديهم) عن الإنفاق في الطاعة (نسوا الله)

الفاجر اذ هي تابعة لرحمة الله تعالى واحسانه (قوله يحلفون بالله لكم) أي يحلف المنافقون للمؤمنين انه ما وقع منهم الايذاء للنبي وقصدهم بذلك ارضاء المؤمنين ليذبوا عنهم اذا أراد رسول الله أن يفتك بهم وسبب نزولها أنه اجتمع ناس من المنافقين منهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في رسول الله قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبوا فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب (قوله ما أتوه) أي ما فعلوه وفي نسخة آذوه (قوله ليرضوكم) علة لقوله يحلفون (قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه) الجملة حالية من ضمير يحلفون والمعنى يحلفون لكم لارضائكم والحال ان الله ورسوله أحق بالارضاء (قوله ان كانوا مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه أي فليرضوا الله ورسوله (قوله وتوحيد الضمير الخ) أشار المفسر لثلاثة أجوبة عن سؤال وارد على الآية حاصله ان لفظ الجلالة مبتدأ ورسوله مبتدأ ثان معطوف عليه وجملة أحق أن يرضوه خبر والضمير مفرد وما قبله مثنى فلم أفرد الضمير فأجاب المفسر بأنه أفرده لان الرضاءين واحد لان رضا رسول الله تابع لرضا الله ولازمه فالكلام جملة واحدة أو الجملة خبر عن رسوله وحذف خبر لفظ الجلالة لدلالة ما بعده عليه أو خبر عن لفظ الجلالة وخبر رسوله محذوف لدلالة ما قبله عليه ففيه الحذف من الثاني لدلالة الاول عليه أو بالعكس (قوله ألم يعلموا) الاستفهام للتوبيخ (قوله من يحادد الله) من شرطية مبتدأ وقوله فان الخ خبر لمحذوف أي فحق ان له الخ والجملة جواب الشرط وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من ومجموع اسم الشرط وفعله وجزائه خبر ان الاولى وجملة ان الاولى من اسمها وخبرها سدت مسد مفعولي يعلم (قوله جزاء) تمييز (قوله خالدا فيها) حال مقدرة (قوله أن تنزل عليهم) أي على المؤمنين وقوله تنبئهم أي تخبر المؤمنين وقوله بما في قلوبهم أي المنافقين من الحقد والحسد للمؤمنين (قوله قل استهزؤا الخ) نزلت هذه الآية في اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا وعليه في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله بما قد أضمروا وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة هل عرفت من القوم أحدا فقال لم أعرف منهم أحدا يا رسول الله فقال رسول الله انهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفينا الله بالدبيلة وهي خراج من نار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم (قوله وهم سائرون معك) أي فكانوا يقولون هيهات هيهات يريد هذا الرجل أن يفتح حصون الشام وقصورها فأطلع الله نبيه على ما قالوه فقال لهم هل قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر علينا السفر (قوله أبالله) أي بفرائضه وحقوقه (قوله وآياته) أي كلماته القرآنية (قوله ورسوله) أي محمد صلى الله عليه وسلم (قوله عنه) أي الاستهزاء (قوله مبنيا للمفعول الخ) أي ونائب الفاعل عن طائفة وهما قراءتان سبعيتان (قوله كمخشي بن حمير) وفي بعض النسخ كجحش بن حمير أسلم وحسن اسلامه كان يضحك ولا يخوض وكان ينكر بعض ما يسمع فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم اني لا أزال أسمع آية تقرأ تقشعر منها الجلود وتخفق منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه (قوله المنافقون) أي وكانوا ثلثمائة (قوله والمنافقات) أي وكن مائة وسبعين (قوله أي متشابهون في الدين) أي الذي هو النفاق فهم على أمر واحد مجتمعون عليه (قوله ويقبضون أيديهم) كناية عن عدم الانفاق لان شأن المعطي بسط اليد وشأن الممسك قبضها

تركوا طاعته (فنسيهم) تركهم من لطفه (إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين

فيها هي حسبهم) جزاء وعقابا (ولعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (ولهم عذاب مقيم) دائم أنتم أيها المنافقون (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا) تمتعوا (بخلاقهم) نصيبهم من الدنيا (فاستمتعتم) أيها المنافقون (بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم) في الباطل والطعن في النبي صلى الله عليه وسلم (كالذي خاضوا) أي كخوضهم (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبأ) خبر (الذين من قبلهم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (وقوم ابراهيم وأصحاب مدين) قوم شعيب (والمؤتفكات) قرى قوم لوط أي أهلها (أتتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات فكذبوهم فاهلكوا (فما كان الله ليظلمهم) بأن يعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بارتكاب الذنب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز) لا يعجزه شيء عن انجاز وعده ووعيده (حكيم) لا يضع شيأ الا في محله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن) اقامة (ورضوان من الله أكبر) أعظم من ذلك كله أعطيتنا

(قوله تركوا طاعته) جواب عما يقال ان النسيان لا يؤاخذ به الانسان فاجاب بان المراد به الترك (قوله تركهم) جواب عما يقال ان النسيان مستحيل على الله تعالى فاجاب بان المراد به الترك (قوله هم الفاسقون) أي الكاملون في التمرد والفسق والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقريع (قوله وعد الله المنافقين) استعمل وعد في الخير والشر وانما يفترقان في المصدر فمصدر الاول وعد والثاني وعيد (قوله والكفار) أي المتجاهرون بالكفر فهو عطف مغاير (قوله خالدين فيها) حال مقدرة (قوله ولهم عذاب مقيم) أي غير النار كالزمهرير أو المراد عذاب في الدنيا (قوله كالذين من قبلكم) الجار والمجرور خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله أنتم وهذا خطاب للمنافقين ففيه التفات من الغيبة للخطاب والمثلية في الاوصاف المتقدمة وهي الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض اليد ونسيان حقوق الله الآتية بقوله فاستمتعوا الخ (قوله فاستمتعوا بخلاقهم) أي بحظوظهم الفانية والتشاغل بها عما يرضي الله تعالى (قوله أي كخوضهم) مشى المفسر على ان الذي حرف مصدري وهي طريقة ضعيفة لبعض النحاة وعليه فيقدر في الكلام مفعول مطلق ليكون مشبها بالمصدر المأخوذ من الذي والتقدير وخضتم خوضا كخوضهم والصحيح أن الذي اسم موصول صفة لموصوف محذوف والعائد محذوف تقديره كالخوض الذي خاضوه (قوله ألم يأتهم) أي المنافقين والاستفهام للتقرير (قوله قوم نوح الخ) أي وقد أهلكوا بالطوفان وعاد أهلكوا بالريح العقيم وثمود أهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم أهلكوا بسلب النعمة عنهم وبالبعوض وأصحاب مدين أهلكوا بالظلة (قوله والمؤتفكات) أي المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها (قوله فما كان الله ليظلمهم) معطوف على مقدر قدره المفسر بقوله فكذبوهم فاهلكوا (قوله بان يعذبهم بغير ذنب) تفسير للظلم المنفي أي الواقع أن الله لم يعذبهم بغير ذنب بل لو فرض أنه عذبهم بغير ذنب لم يكن ظلما لان الظلم هو التصرف في ملك الغير من غير اذنه ولا ملك لاحد معه سبحانه وتعالى لكن تفضل الله بانه لا يعذب بغير ذنب ولا يجوز عليه شرعا أن يعذب في الآخرة عبدا بغير ذنب وان جاز عقلا (قوله والمؤمنون والمؤمنات الخ) لما بين حال المنافقين والمنافقات عاجلا وآجلا ذكر حال المؤمنين والمؤمنات عاجلا وآجلا (قوله أولياء بعض) أي في الدين وعبر عنهم بذلك دون المنافقين فعبر في شأنهم بمن اشارة الى أن نسبة المؤمنين في الدين كنسبة القرابة وأما المنافقون فنسبتهم طبيعية نفسانية فهم جنس واحد (قوله يأمرون بالمعروف) أي يحبونه لانفسهم ولاخوانهم والمعروف كل ما عرف في الشرع وهو كل خير (قوله وينهون عن المنكر) أي ينفرون منه ولا يرضون به والمراد بالمنكر كل ما خالف الشرع (قوله ويطيعون الله ورسوله) أي باللسان والجنان وسائر الاعضاء (قوله سيرحمهم الله) أي في الدنيا بالايمان والمعرفة وفي الآخرة بالخلود في الجنة ونعيمها ورضا الله عنهم وهذه الأوصاف مقابلة لاوصاف المنافقين المتقدمة (قوله عن انجاز وعده) أي للمؤمنين والمؤمنات (قوله ووعيده) أي للمنافقين والمنافقات فهو لف ونشر مشوش (قوله وعد الله المؤمنين والمؤمنات) هذا تفصيل لما أجمل في قوله أولئك سيرحمهم الله (قوله جنات) أي بساتين لكل مؤمن ومؤمنة ليس فيها شركة لاحد (قوله تجري من تحتها) أي بارضها (قوله خالدين فيها) حال من المؤمنين والمؤمنات (قوله ومساكن طيبة) أي تستطيبها النفوس وتألفها فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله في جنات عدن) أي في بساتين اقامة لا تحول ولا تزول روي أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام (قوله ورضوان من الله أكبر) التنوين للتقليل أي أقل رضوان يأتيهم من الله أكبر من ذلك كله فتنة لانه أكثره ورد أن الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد

أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأى شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً (قوله ذلك) أى الرضوان (قوله هو الفوز العظيم) أى الظفر بالمقصود الذى لا يتناهى (قوله بالسيف) المراد به جميع آلات الحرب (قوله باللسان والحجة) أى لا بالسيف لنطقهم بالشهادتين فالمراد بجهادهم بذل الجهد فى نصيحتهم وتخويفهم (قوله بالانتهار والمقت) المراد به القتل بالنسبة للكفار والاهانة والزجر بالنسبة للمنافقين (قوله ومأواهم جهنم) جملة مستأنفة بيان لعاقبة أمرهم (قوله يحلفون بالله ما قالوا) هذا بيان لقبحهم وخباثة باطنهم (قوله كلمة الكفر) قيل هى كلمة الجلاس ابن سويد حيث قال ان كان محمد صادقاً فيما يقول فنحن شر من الحمير وقيل هى كلمة ابن أبى ابن سلول حيث قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل (قوله أظهروا الكفر الخ) دفع بذلك ما يقال ان ظاهر الآية يقتضى أنهم مسلمون ثم كفروا بعد ذلك مع أنهم لم يسلموا أصلا فأجاب بأن المراد أظهروا الكفر بعد ان أظهروا الاسلام (قوله من الفتك) مثلث الفاء الاخذ على حين غفلة (قوله ليلة العقبة) أى التى بين تبوك والمدينة (قوله وهم بضعة عشر رجلا) قيل اثنا عشر وقيل أكثر من ذلك لكن لم يبلغوا العشرين وقد أجمع رأيهم على أن يفتكوا بالنبى فى العقبة ليقع فى الوادى فيموت فأخبره الله بما دبروه فلما وصل الى العقبة نادى منادى رسول الله بأمره ان رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره واسلكوا يا معشر الجيش بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادى وسلك النبى العقبة وكان ذلك فى ليلة مظلمة فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة فلما ازدحموا على رسول الله نفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم فولوا مدبرين وأمر عمار بن ياسر وقيل حذيفة بضرب وجوه رواحلهم فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فقال له النبى هل عرفت أحداً منهم قال لا كانوا متلثمين والليلة مظلمة قال هم فلان وفلان حتى عدهم قال هل عرفت مرادهم قال لا قال انهم مكروا وأرادوا الفتك بى وان الله أخبرنى بمكرهم فلما أصبح جمعهم وأخبرهم بما مكروا فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا فنزلت الآية ويؤخذ من ذلك أنهم سافروا مع رسول الله الى تبوك وتقدم أنهم تخلفوا ويمكن الجمع بان البعض سافر والبعض تخلف (قوله فضرب عمار بن ياسر) وقيل حذيفة (قوله وما نقموا أنكروا) أى ما كرهوا وما عابوا وفى الآية تأكيد المدح بما يشبه الذم لانه قيل ليس له صفة تكره وتعاب الا اغناءهم من فضله بعد أن كانوا فقراء وهذه ليست صفة ذم فحينئذ ليس له صفة تذم أصلا (قوله وليس مما ينقم) أى يعاب ويكره (قوله وان تولوا) أى داموا عليه (قوله ومنهم) أى المنافقين وظاهر الآية انه حين المعاهدة كان منافقا وليس كذلك بل كان مسلما مجيداً وكان يلزم المسجد والجماعة حتى لقب بحمامة المسجد فجعله منهم باعتبار ما آل اليه أمره ففيه مجاز الاول (قوله لئن آتانا) تفسير لقوله عاهد واللام موطئة لقسم محذوف وان شرطية وآتانا فعل الشرط وجملة لنصدقن جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالته عليه ولتأخره على حد قول ابن مالك

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت فهو ملتزم

(قوله فيه ادغام التاء الخ) أى والاصل لنتصدقن قلبت التاء صاداً ثم أدغمت فى الصاد (قوله ولنكونن من الصالحين) أى فى صرف المال بأن نصل به الارحام وننفقه فى وجوه البر والخير (قوله وهو ثعلبة ابن حاطب) كان أولا محبا بالجلباب لازما للجمعة والجماعة والمسجد ثم رآه النبى يسرع بالخروج اثر الصلاة فقال له رسول الله لم تفعل فعل المنافقين فقال انى افتقرت ولى ولامرأتى ثوب أجئ به للصلاة ثم أذهب فانزعه لتلبسه وتصلى به فادع الله أن يوسع فى رزقى * وحاصل قصته أنه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال له مثل ذلك فقال له رسول الله أما لك فى أسوة حسنة والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال له والذى بعثك

(ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) باللسان والحجة (واغلظ عليهم) بالانتهار والمقت (ومأواهم جهنم وبئس المصير) المرجع هى (يحلفون) أى المنافقون (بالله ما قالوا) ما بلغك عنهم من السب (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) أظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) من الفتك بالنبى ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلا فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا (وما نقموا) أنكروا (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) بالغنائم بعد شدة حاجتهم المعنى لم ينلهم منه الا هذا وليس مما ينقم (فان يتوبوا) عن النفاق ويؤمنوا بك (يك خيراً لهم وان يتولوا) عن الايمان (يعذبهم الله عذاباً أليما فى الدنيا) بالقتل (والآخرة) بالنار (وما لهم فى الارض من ولى) يحفظهم منه (ولا نصير) يمنعهم (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الصاد (ولنكونن من الصالحين) وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو له أن يرزقه الله مالا

ويؤدي منه كل ذي حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى

(فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون فأعقبهم) أي فصير عاقبتهم (نفاقا) ثابتا (في قلوبهم الى يوم يلقونه) أي الله وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) فيه فجاء بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم بزكاته فقال ان الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها الى أبي بكر فلم يقبلها ثم الى عمر فلم يقبلها ثم الى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه (ألم يعلموا) أي المنافقون (أن الله يعلم سرهم) ما أسروه في أنفسهم (ونجواهم) ما تناجوا به بينهم (وأن الله علام الغيوب) ما غاب عن العيان * ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير فقال المنافقون مراء وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله غني عن صدقة هذا فنزل (الذين) مبتدأ (يلمزون) يعيبون (المطوعين) المتنفلين (من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم) طاقتهم فيأتون به (فيسخرون منهم) والخبر (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم (ولهم عذاب أليم استغفر) يا محمد (لهم أو لا تستغفر لهم) تخيير له في الاستغفار وتركه

يا ليتني رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود فكان يصلي مع رسول الله الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا له يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فلما نزلت آية الصدقة بعث رسول الله رجلا من بني سليم ورجلا من بني جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب وعلى رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وقرآ عليه كتاب رسول الله فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ما هذا عليك قال خذاه فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي فانطلقا فلما رآهما رسول الله قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فأخبراه بالذي صنع ثعلبة فنزلت الآية (قوله ويؤدي منه الخ) الجملة حالية من فاعل سأل (قوله فدعا له) أي في المرة الثالثة (قوله فوسع عليه) أي بأن رزق غنما فصارت تنمو كالدود (قوله بخلوا به) أي حيث منع الزكاة لما جاءه السعاة لأخذها وقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية (قوله فأعقبهم نفاقا) أي فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم (قوله الى يوم يلقونه) غاية لتمكن النفاق في قلوبهم وحكمة الجمع في هذه الضمائر مع أن سبب نزولها في شخص واحد الاشارة الى أن حكم هذه الآية باق لكل من اتصف بهذا الوصف من أول الزمان لآخره وليس مخصوصا بثعلبة (قوله بما أخلفوا الله) الباء سببية وما مصدرية والمعنى ذلك بسبب اخلافهم الله الوعد وورد آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان (قوله فجاء بعد ذلك) أي غير تائب في الباطن وانما ذلك خوفا من أن يحكم بردته فيقتل ويؤخذ ماله كله ففعله ذلك لأجل حفظ دمه وماله لا توبة من ذنبه والا لقبل الله (قوله يحثو التراب) أي يهيله على رأسه (قوله ثم جاء الى أبي بكر) أي في خلافته وكذا في خلافة عمر وعثمان (قوله أي المنافقون) أي لا بقيد كونهم الذين عاهدوا الله لأن آيتهم قد انقضت بقوله يكذبون (قوله ما أسروه) أي أخفوه (قوله ما غاب عن العيان) أي بالنسبة للعباد لا بالنسبة لله فان الكل عنده عيان وليس شيء غائبا عن علمه سبحانه وتعالى (قوله جاء رجل) هو عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة فاجعلها يا رسول الله في سبيل الله وأمسكت لعيالي أربعة فقال له النبي بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبورك له حتى صولحت احدى زوجاته الأربع بعد وفاته عن ربع الثمن بثمانين ألفا وأعتق من الرقاب ثلاثين ألفا وأوصى بخمسين ألف دينار وبألف فرس في سبيل الله وأوصى لمن بقي من البدريين اذ ذاك وكان الباقي مائة أوصى لكل منهم بأربعمائة دينار وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف (قوله وجاء رجل فتصدق بصاع) أي وهو أبو عقيل الانصاري جاء بصاع تمر وقال بت ليلتي أجر بالجرير أي الحبل الذي يستقى به الماء وكان أجيرا يسقي الزرع بالماء من البئر فقال وكانت أجرتي صاعين من تمر فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره النبي أن ينثره على الصدقات (قوله فقالوا ان الله غني الخ) أي وانما أتى به تمر بضعا بفقره ليعطى من الصدقات (قوله الذين يلمزون) مبتدأ خبره سخر الله منهم والذين لا يجدون عطف على الذين الأول وقوله فيسخرون عطف على قوله يلمزون (قوله المطوعين) أصله المتطوعين أبدلت التاء طاء ثم أدغمت في الطاء (قوله الا جهدهم) الجهد الشيء اليسير الذي يعيش به المقل (قوله استغفر لهم الخ) خبر جيء به في صورة الأمر والمعنى استغفارك لهم وعدمه سواء (قوله

قال

قال صلى الله عليه وسلم اني خيرت فاخترت يعني الاستغفار رواه البخاري (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قيل المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار وفي البخاري حديث لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضا وسأزيد على السبعين فبين له حسم المغفرة بآية سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين فرح المخلفون) عن تبوك (بمقعدهم) أي بقعودهم (خلاف) أي بعد (رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا) أي قال بعضهم لبعض (لا تنفروا) تخرجوا الى الجهاد (في الحر قل نار جهنم أشد حرا) من تبوك فالاولى بأن يتقوها بترك التخلف (لو كانوا يفقهون) يعلمون ذلك ما تخلفوا (فليضحكوا قليلا) في الدنيا (وليبكوا) في الآخرة (كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) خبر عن حالهم بصيغة الامر (فان رجعك) ردك (الله) من تبوك (الى طائفة منهم) ممن تخلف بالمدينة من المنافقين (فاستأذنوك للخروج) معك الى غزوة أخرى (فقل) لهم (لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم ولما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبي نزل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) لدفن أو زيارة (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) كافرون (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق) تخرج (أنفسهم

قال صلى الله عليه وسلم) دليل على التخيير (قوله قيل المراد بالسبعين الخ) هذا بناء على أن العدد لا مفهوم له (قوله غفر) جواب لو الثانية وقوله لزدت جواب لو الاولى (قوله وقيل المراد الخ) بناء على أن العدد له مفهوم (قوله لحديثه) أي البخاري (قوله حسم المغفرة) أي قطعها (قوله ذلك) أي عدم المغفرة لهم (قوله بأنهم كفروا) الباء سببية وأن مصدرية والتقدير بسبب كفرهم (قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يوصلهم لما فيه رضاه (قوله فرح المخلفون) جمع مخلف اسم مفعول والفاعل الكسل أي الذين خلفهم الكسل وكانوا اثني عشر (قوله أي بعد) أشار بذلك الى أن خلاف ظرف زمان أو مكان ويصح أن يكون مصدرا بمعنى مخالفة والمعنى على الاول فرحوا بقعودهم في خلاف رسول الله أي بعد سفره أو بمكانه الذي سافر منه وعلى الثاني فرحوا بمخالفة رسول الله حيث اتصفوا بالقعود واتصف هو بالسفر (قوله وكرهوا أن يجاهدوا) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول كرهوا والمعنى كرهوا الجهاد لان الانسان بطبعه ينفر من اتلاف النفس والمال سيما من ينكر الآخرة (قوله وقالوا) أي قال بعضهم لبعض (قوله لا تنفروا) أي الى تبوك لانها كانت في شدة الحر والقحط (قوله أشد حرا) أي لان حر الدنيا يزول ولا يبقى وحر جهنم دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون فمن آثر الشهوات على ما يرضي مولاه كان مأواه جهنم ومن آثر رضا ربه على شهوته كان مأواه الجنة ولذا ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (قوله ما تخلفوا) جواب لو (قوله فليضحكوا قليلا) أي بالنسبة لبكاء الآخرة وان كان في نفسه كثيرا (قوله وليبكوا كثيرا) أي على ما فاتهم من النعيم الدائم وورد عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت (قوله جزاء) اما مفعول لاجله أو مصدر منصوب بفعل مقدر تقديره يجزون جزاء (قوله خبر عن حالهم) أي العاجل والآجل وانما جيء به على صورة الامر اشارة الى انه لا يتخلف لان الامر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور (قوله فان رجعك الله) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدم جمعهم معه في مشاهد الخير بعد ذلك يؤخذ من ذلك أن أهل الفسوق والعصيان لا يرافقون ولا يشاورون (قوله ممن تخلف) بيان للضمير في منهم (قوله من المنافقين) بيان للطائفة (قوله أول مرة) أي وهو الخروج لغزوة تبوك (قوله وغيرهم) أي كالمرضى (قوله على ابن أبي) اسمه عبد الله وأبي اسم أبيه وسلول اسم أمه وكان رئيس الخزرج وكان له ولد مسلم صالح فدعا النبي ليصلي عليه وسأله أن يكفنه في قميصه ففعل ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه ويروى أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم (قوله منهم) صفة لاحد وكذا قوله مات أبدا (قوله ولا تقم على قبره) أي لا تتول دفنه (قوله انهم كفروا) علة لما قبله ولما نزلت هذه الآية ما صلى على منافق ولا قام على قبره بعدها (قوله كافرون) أي وانما عبر عنهم بالفسق اشارة الى أن الكافر قد يكون عدلا في دينه بخلاف الفاسق فأفعاله خبيثة لا ترضي أحدا وليس له دين يقر عليه فعبر عنهم بالفسق بعد التعبير عنهم بالكفر اشارة الى انهم جمعوا بين الوصفين الكفر وخسة الطبع (قوله ولا تعجبك أموالهم وأولادهم الخ) الحكمة في تكرارها المبالغة في التحذير من هذا الشيء الذي وقع الاهتمام به وعبر في الآية الاولى بالفاء وهنا بالواو لان ما سبق له تعلق بما قبله فحسن العطف بخلاف ما هنا فلا تعلق له بما قبله وأتى بلا فيما تقدم وأسقط من هنا اعتناء بنفي الاولاد هنالك وبين هنا أنهم سواء وأتى باللام في ليعذبهم هنالك وبأن هنا اشارة الى أن اللام بمعنى أن وليست للتعليل وأتى فيما تقدم بالحياة وهنا باسقاطها اشارة الى خسة حياة الدنيا بحيث لا تستحق أن تذكر وقال هنالك كارهون وهنا كافرون اشارة الى أنهم يموتون

كفرهم قبل موتهم ويشاهدون الاماكن التي أعدت لهم في نظيره فمن حيث تلك المشاهدة تزهق أرواحهم وهم كافرون كارهون بخلاف المؤمن فانه يشاهد مقعده في الجنة ولا تخرج روحه الا وهو كاره للدنيا محب للآخرة (قوله وهم كافرون) الجملة حالية (قوله أي طائفة من القرآن) أي سواء كانت تلك الطائفة سورة كاملة أو بعضها (قوله ذو والغنى) أي السعة من المال وقيل الرؤساء وخصوا بالذكر لانهم قادرون على السفر وتركوه نفاقا اذ العاجز لا يحتاج لاستئذان (قوله وقالوا) عطف على استأذنك (قوله أي النساء) ويصح أن يراد بهم الرجال الذين لا خير فيهم من قولهم رجل خالفة أي لا خير فيه (قوله لكن الرسول) استدراك على ما قد يتوهم أن كسل هؤلاء يجر غيرهم (قوله الخيرات في الدنيا والآخرة) أي بالنصر والغنيمة والجنة والكرامة (قوله أعد الله لهم) أي هيأ وأحضر ويؤخذ من ذلك أن الجنة موجودة الآن (قوله ذلك) أي الجنة المستفادة من قوله أعد الله لهم جنات (قوله وجاء المعذرون) أي الطالبون قبول العذر وهذا شروع في ذكر أحوال منافقي الاعراب بعد بيان أحوال منافقي المدينة (قوله بادغام التاء في الاصل) أي وأصله المعتذرون أبدلت التاء ذالا وأدغمت في الذال وقيل انه لا أصل له بل هو جمع معذر بالتشديد بمعنى متكلف العذر كذبا وليس بمعذور (قوله من الاعراب) أي سكان البوادي الناطقون بالعربية والعرب من نطق بالعربية مطلقا سكن البوادي أم لا فهو أعم من الأعراب (قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أي فهم فريقان فريق جاء واعتذر لرسول الله كذبا وهم أسد وغطفان اعتذروا بالجهد وكثرة العيال وفريق لم يأت أصلا وكذبوا بالتخفيف باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بالتشديد (قوله الذين كفروا) أي استمروا عليه وأتى بمن اشارة الى أن بعضهم أسلم وهو كذلك (قوله عذاب اليم) أي في الدنيا بالقتل والاسر والآخرة بالخلود في النار (قوله ليس على الضعفاء) هذا تخصيص لقوله فيما تقدم انفروا خفافا وثقالا والضعفاء جمع ضعيف وهو ضعيف البنية النحيف (قوله كالشيوخ) أي والنساء والصبيان (قوله والزمنى) من الزمانة وهي العجز والابتلاء (قوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) أي لفقرهم وعجزهم كجهينة ومزينة وبني عذرة (قوله حرج) اسم ليس حذف من الاولين لدلالة الثالث عليه (قوله اذا نصحوا) شرط في قوله حرج والمعنى ليس على هؤلاء حرج وقت نصحهم لله ورسوله (قوله بعدم الارجاف) أي اثارة الفتن (قوله والتثبيط) أي تكسيل من أراد الخروج (قوله والطاعة) معطوف على عدم الارجاف والمعنى أن نصحهم كائن بالطاعة لله ورسوله بأن يخلصوا الايمان ويسعوا في ايصال الخير الى المجاهدين ويقوموا بمصالح بيوتهم وبعدم اثارة الفتن وبعدم تكسيل غيرهم بل لينشطوا ويرغبوا في الجهاد ويهوا من أراد التخلف (قوله ما على المحسنين من سبيل) انما أظهر في مقام الاضمار اشارة الى انتظامهم بنصحهم في سلك المحسنين ومن زائدة للتأكيد والجار والمجرور خبر مقدم ومن سبيل مبتدأ مؤخر ويصح أن يكون فاعلا بالجار والمجرور لاعتماده على النفي (قوله ولا على الذين) أي ليس عليهم سبيل (قوله اذا ما أتوك) ما اذا وقعت بعد اذا تكون صلة (قوله الى الغزو) أي وهي غزوة تبوك (قوله وهم سبعة من الانصار) أي ويقال لهم البكاؤون فحمل العباس منهم اثنين وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذي جهزه وحمل يامين بن عمرو والنضري اثنين (قوله وقيل بنو مقرن) أي وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان وقيل هم أصحاب أبي موسى الاشعري وقد كان حلف أن لا يحملهم ثم أتي له صلى الله عليه وسلم بابل من السبي فأرسلها لهم ليحملوا عليها فقالوا الا نركب حتى نسأل رسول الله فانه قد حلف أن لا يحملنا فلعله نسي اليمين فجاؤه فقال ما معناه لا أرى خيرا مما حلفت عليه الا فعلته ومثل هذه اليمين لا تكفر عند مالك لوجود بساط اليمين حين الحلف فكان يمينه مقيدة بعدم وجود ما يحملهم عليه وتكفر عند الشافعي (قوله قلت لا أجد) أي ليس عندي ما تحملون عليه وفي هذا التعبير مزيد لطف بهم (قوله حال) أي من الكاف في أتوك ويصح أن تكون هي الجواب وجملة تولوا مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره

وهم كافرون وإذا أنزلت سورة) أي طائفة من القرآن (أن) أي بأن (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول)

ذوو الغنى (منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) الخير (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات) في الدنيا والآخرة (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون) بادغام التاء في الاصل في الذال أي المعتذرون بمعنى المعذورين وقرئ به (من الاعراب) الى النبي صلى الله عليه وسلم (ليؤذن لهم) في القعود لعذرهم فأذن لهم (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) في ادعاء الايمان من منافقي الاعراب عن المجيء للاعتذار (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء) كالشيوخ (ولا على المرضى) كالعمى والزمنى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) في الجهاد (حرج) اثم في التخلف عنه (اذا نصحوا لله ورسوله) في حال قعودهم بعدم الارجاف والتثبيط والطاعة (ما على المحسنين) بذلك (من سبيل) طريق بالمؤاخذة (والله غفور) لهم (رحيم) بهم في التوسعة في ذلك (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) معك الى الغزو وهم سبعة من الانصار وقيل بنو مقرن (قلت لا أجد ما أحملكم عليه) حال (تولوا) جواب اذا أي انصرفوا

(وأعينهم تفيض) تسيل (من) للبيان (الدمع حزنا) لاجل (ألا يجدوا ما ينفقون) في الجهاد (انما السبيل على الذين يستأذنونك) في التخلف (وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) تقدم مثله (يعتذرون اليكم) في التخلف (اذا رجعتم اليهم) من الغزو (قل) لهم (لا تعتذروا لن نؤمن لكم) نصدقكم (قد نبأنا الله من أخباركم) أي

أخبرنا بأحوالكم (وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون) بالبعث (الى عالم الغيب والشهادة) أي الله (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم) رجعتم (اليهم) من تبوك أنهم معذورون في التخلف (لتعرضوا عنهم) بترك المعاتبة (فأعرضوا عنهم انهم رجس) قذر لخبث باطنهم (ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أي عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله (الاعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن (وأجدر) أولى (أن) أي بأن (لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) من الاحكام والشرائع (والله عليم) بخلقه (حكيم) في صنعه بهم (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق) في سبيل الله (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفا وهم بنو أسد وغطفان (ويتربص) ينتظر (بكم الدوائر) دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلصوا (عليهم دائرة السوء) بالضم والفتح أي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم (والله سميع) لاقوال عباده (عليم) بأفعالهم (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) كجهينة ومزينة (ويتخذ ما ينفق) في سبيله (قربات) تقربه (عند الله و) وسيلة الى (صلوات) دعوات (الرسول) له

فاذا حصل لهم (قوله وأعينهم) الجملة حالية من فاعل تولوا (قوله للبيان) أي لجنس الفائض (قوله أن لا يجدوا ما ينفقون) أشار المفسر الى أنه مفعول لاجله والعامل فيه حزنا الواقع مفعولا له أو حالا (قوله انما السبيل) أي طريق العقاب (قوله وهم أغنياء) الجملة حالية من فاعل يستأذنونك (قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) اما مستأنف أو حال وقد مقدرة (قوله تقدم مثله) أي فذكره هنا للتأكيد وعبر هنا بالعلم وهنالك بالفقه اشارة الى أن معناهما واحد اذ الفقه هو العلم والعلم هو الفقه (قوله يعتذرون) أي المتخلفون بالباطل والاكاذيب استئناف لبيان اعتذارهم عند العود اليهم روي أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤا يعتذرون اليه والى أصحابه بالباطل (قوله قل لا تعتذروا) أي جوابا لهم (قوله لن نؤمن لكم) تعليل للنهي وقوله قد نبأنا الله علة للعلة (قوله وسيرى الله عملكم) أي السيء ومفعول يرى الثاني محذوف تقديره مستمرا والمعنى سيظهر تعلق علمه بأعمالكم لعباده (قوله أي الله) أشار بذلك الى أنه اظهار في موضع الاضمار زيادة في التشديد عليهم (قوله بما كنتم تعملون) أي بعملكم أو بالذي كنتم تعملونه (قوله سيحلفون بالله) تأكيد لعذرهم بالكذب (قوله انهم معذورون في التخلف) هذا هو المحلوف عليه (قوله فأعرضوا عنهم) أي غير راضين بفعلهم (قوله انهم رجس) علة لقوله فأعرضوا عنهم (قوله فان ترضوا عنهم) شرط حذف جوابه لدلالة قوله فان الله لا يرضى الخ أشار له المفسر بقوله ولا ينفع رضاكم الخ (قوله أي عنهم) أشار بذلك الى أن المقام للاضمار وانما أظهر زيادة في التشنيع والتقبيح عليهم بحيث وصفهم بالخروج عن الطاعة (قوله الاعراب) أي جنسهم وهو اسم جمع لا جمع عرب لئلا يلزم عليه كون الجمع أخص من مفرده فان الاعراب سكان البوادي والعرب المتكلمون باللغة العربية سكنوا البوادي أم لا (قوله لجفائهم) علة لقوله أشد كفرا ونفاقا (قوله من الاحكام والشرائع) بيان للحدود (قوله لانه لا يرجو ثوابه) أي لعدم ايمانه بالآخرة وهو تعليل لاتخاذ المذكور (قوله ويتربص) عطف على يتخذ (قوله الدوائر) جمع دائرة وهي ما يحيط بالانسان من المصائب (قوله فيتخلصوا) أي من الانفاق (قوله بالضم والفتح) أي فهما قراءتان سبعيتان وهذا دعاء عليهم بنظير ما أرادوه للمسلمين (قوله ومن الاعراب الخ) اعلم أن الاعراب أقسام منهم المنافقون وقد تقدم ذكرهم في قوله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ومنهم مؤمنون وقد ذكروا هنا (قوله كجهينة ومزينة) أي وغفار وأسلم قبائل عظام (قوله ويتخذ) فعل مضارع ينصب مفعولين الاول الاسم الموصول والثاني قربات على حذف مضاف أي سبب قربات وقوله عند الله ظرف متعلق بمحذوف صفة لقربات وقوله وصلوات الرسول معطوف على قربات أي وسبب صلوات الرسول (قوله قربات) بضم الراء باتفاق السبعة جمع قربة بضم الراء وسكونها فعلى الضم الامر ظاهر وعلى السكون فضم راء الجمع للاتباع لضم قافه أو جمعا لمضموم الراء وقد قرئ بهما في السبع ومعنى كونها قربات أنها تقرب العبد لرضا الله عليه وليس معناه أن الله في مكان وتلك النفقة تقربه من ذلك المكان فانه مستحيل تعالى الله عنه (قوله وصلوات الرسول) أي دعواته لانه الواسطة العظمى في كل نعمة فتجب ملاحظته في كل عمل لله لان الله تعبدنا بالتوسل به قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فمن زعم أنه يصل الى رضا الله بدون اتخاذه صلى الله عليه وسلم واسطة ووسيلة بينه وبين الله تعالى ضل سعيه وخاب رأيه قال العارف ابن مشيش ولا شيء الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط وقال بعضهم

وأنت باب الله أي امرئ * أتاه من غيرك لا يدخل

فهو باب الله الاعظم وسره الافخم والوصول اليه وصول الى الله لان الحضرتين واحدة ومن فرق لم يذق

للمرفقطعها (قوله ألا انها) ألا أداة استفتاح يؤتى بها لاجل الاعتناء بما بعدها (قوله قربة) أى تقربهم لرضا ربهم حيث أنفقوها مخلصين فيها متوسلين بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله جنته) أشار بذلك الى أن المراد بالرحمة الجنة من اطلاق الحال وارادة المحل لان الجنة محل للرحمة (قوله والسابقون) مبتدأ والاولون صفته وقوله من المهاجرين والانصار حال والذين اتبعوهم معطوف على السابقون والخبر قوله رضى الله عنهم الخ (قوله والانصار) أى وهم الاوس والخزرج (قوله وهم من شهد بدرا) أى لانهم أفضل الناس بعد الانبياء والمرسلين وعليه فتكون من للتبعيض (قوله أو جميع الصحابة) أى فتكون من بيانية وقيل المراد بهم أهل بيعة الرضوان وكانوا ألفا وخمسمائة وقيل المراد بهم أهل أحد وقيل كل من دخل الاسلام قبل الفتح لقوله تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى (قوله الى يوم القيامة) أى فيشمل صلحاء كل زمان (قوله رضى الله عنهم) أى قبل أعمالهم وأثابهم عليها وأعطاهم ما لم يعط أحدا من خلقه (قوله ورضوا عنه) أى قبلوا ما أعطاهم الله لما فى الحديث ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شئ أفضل من هذا فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط بعده أبدا (قوله وفى قراءة بزيادة من) أى وهى سبعية لابن كثير ومعلوم انه يقرأ بالصلة فى قراءته وصل اتبعوهم وعنهم ولهم بأن يشبع ضمة الميم فى الجميع (قوله ذلك) أى ما تقدم من الرضا والجنان (قوله الفوز العظيم) أى الظفر بالمقصود الذى لا يتناهى (قوله وممن حولكم) خبر مقدم ومنافقون مبتدأ مؤخر ومن الاعراب بيان لمن ومن أهل المدينة خبر مقدم والمبتدأ محذوف وفى تقدير منافقون أيضا وجملة مردوا على النفاق صفة لذلك المحذوف فيكون من عطف الجمل أو خبر بعد خبر توسط بينهما المبتدأ أو يكون من عطف المفردات (قوله كاسلم الخ) أى بعض هذه القبائل فلا ينافى ما تقدم من مدحهم فى قوله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق قربات (قوله مردوا على النفاق) أى تمرنوا عليه ولم يتوبوا منه (قوله لا تعلمهم) ان قلت كيف نفى علمه بحال المنافقين هنا وأثبته فى قوله ولتعرفنهم فى لحن القول فالجواب ان آية النفى نزلت قبل آية الاثبات (قوله بالفضيحة أو القتل) أشار بذلك الى أنه اختلف فى المرة الاولى ولكن القول الاول هو الصحيح لان أحكام الاسلام فى الظاهر جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يؤسروا والفضيحة باخراجهم من المسجد لما فى الحديث عن ابن مسعود خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان منكم منافقين فمن سميته فليقم ثم قال قم يا فلان فانك منافق حتى سمى ستة وثلاثين (قوله وعذاب القبر) هذه هى المرة الثانية وستأتى الثالثة فى قوله ثم يردون الى عذاب عظيم فقد صار عذاب المنافقين ثلاث مرات (قوله وآخرون) حاصله أن من تخلف عن تبوك ثلاثة أقسام قسم منافقون استمروا على النفاق وقد تقدم ذكرهم فى قوله وممن حولكم من الاعراب الى قوله عظيم وقسم تائبون اعترفوا بذنوبهم وبادروا بالعذر لرسول الله وقد ذكرهم فى قوله وآخرون اعترفوا الى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون وقسم لم يبادروا بالعذر وقد ذكرهم الله بقوله وآخرون مرجون الى قوله حكيم (قوله اعترفوا بذنوبهم) أى أقروا بذنوبهم لربهم وتابوا منها وليس المراد اعترفوا للناس وهتكوا أنفسهم فان ذلك أمر لا يجوز (قوله وهو جهادهم قبل ذلك) أى قبل هذا التخلف (قوله وآخر سيئا) الواو بمعنى الباء والمعنى انهم جمعوا بين العمل الصالح والعمل السيئ (قوله وهو تخلفهم) أى من غير عذر واضح (قوله عسى الله أن يتوب عليهم) أى يقبل توبته والترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق لان عسى ونحوها تفيد الاطماع ومن أطمع انسانا فى شئ ثم حرمه منه كان عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا فى شئ ثم لا يعطيه اياه لانه وعد وهو لا يتخلف وهذه الجملة مستأنفة ويصح أن تكون خبرا وجملة خلطوا حالية وقد مقدرة (قوله نزلت فى أبى لبابة) وهو رفاعة بن عبد المنذر كان من أهل الصفة ربط نفسه فى سارية ثمان ليال فى سلسلة ثقيلة وكانت ابنته تحله للصلاة وقضاء الحاجة وتقدم فى سورة الانفال انه أوثق نفسه مرة أخرى بسبب فرطة حتى نزلت توبته

(الا انها) أى نفقتهم (قربة) بضم الراء وسكونها (لهم) عنده (سيدخلهم الله فى رحمته) جنته (ان الله غفور) لاهل طاعته (رحيم) بهم (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) وهم من شهد بدرا أو جميع الصحابة (والذين اتبعوهم) الى يوم القيامة (باحسان) فى العمل (رضى الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار) وفى قراءة بزيادة من (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) يا أهل المدينة (من الاعراب منافقون) كاسلم وأشجع وغفار (ومن أهل المدينة) منافقون أيضا (مردوا على النفاق) لجوا فيه واستمروا (لا تعلمهم) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) بالفضيحة أو القتل فى الدنيا وعذاب القبر (ثم يردون) فى الآخرة (الى عذاب عظيم) هو النار (و) قوم (آخرون) مبتدأ (اعترفوا بذنوبهم) من التخلف نعته والخبر (خلطوا عملا صالحا) وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك (وآخر سيئا) وهو تخلفهم (عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) نزلت فى أبى لبابة

(قوله

وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا لا يحلهم الا النبي صلى الله عليه وسلم فحلهم لما نزلت (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها (وصل عليهم) أي ادع لهم (ان صلواتك سكن) رحمة (لهم) وقيل طمأنينة بقبول توبتهم (والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ) يقبل (الصدقات وأن الله هو التواب) على عباده بقبول توبتهم (الرحيم) بهم والاستفهام للتقرير والقصد به تهييجهم الى التوبة والصدقة (وقل) لهم أو للناس (اعملوا) ما شئتم (فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون) بالبعث (الى عالم الغيب والشهادة) أي الله (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (وآخرون) من المتخلفين (مرجون) بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة (لأمر الله) فيهم بما يشاء (اما يعذبهم) بأن يميتهم بلا توبة (واما يتوب عليهم والله عليم) بخلقه (حكيم) في صنعه بهم وهم الثلاثة الآتون بعد مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية تخلفوا كسلا وميلا الى الدعة لا نفاقا ولم يعتذروا الى النبي صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد (و) منهم (الذين اتخذوا مسجدا) وهم اثنا عشر من

(قوله وجماعة) قيل عشرة وقيل ثمانية وقيل خمسة وقيل ثلاثة وقد كانوا تخلفوا عن تبوك ثم ندموا بعد ذلك ولما قدم رسول الله من المدينة حلفوا اليمين بعض أنفسهم بالسواري ولا يطلقونها حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقها ففعلوا فلما رجع رسول الله رآهم فقال من هؤلاء فقيل له هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم أنت وترضى عنهم فقال وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم فنزلت هذه الآية فعذرهم وأطلقهم (قوله ما نزل في المتخلفين) أي من الوعيد الشديد حيث قال الله فيهم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية (قوله فحلهم لما نزلت) أي آية وآخرون اعترفوا بذنوبهم (قوله خذ من أموالهم) من للتبعيض والجار والمجرور حال من صدقة وجملة المسوغ وهو وصفها بقوله تطهرهم وتزكيهم بها والمعنى خذ بعض الاموال التي خرجوا عنها لله ورسوله وذلك أنه لما نزلت فيهم الآية وحلهم رسول الله أتوا وقالوا هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت خذ من أموالهم الآية (قوله تطهرهم وتزكيهم) الاقرب أن التاء للخطاب وحذف قوله بها من الاول لدلالة الثاني عليه والمعنى خذ يا محمد بعض أموالهم صدقة حال كونك مطهرا لهم بها ومزكيهم بها ومعنى تزكيهم تنميهم وتزيدهم بسبب أخذها خيرا (قوله فأخذ ثلث أموالهم) أي كفارة لذنوبهم ويؤخذ من ذلك أن من قال مالي صدقة في سبيل الله أو للفقراء يكفيه ثلثه وهو مذهب مالك وعموم الآية يشمل الصدقة الواجبة والمندوبة (قوله ان صلواتك) بالجمع والافراد هنا وفي هود في قوله أصلواتك تأمرك قراءتان سبعيتان والمعنى دعواتك رحمة لهم وطمأنينة وهذا في حياة رسول الله وأما بعد وفاته فدعاء الخليفة يقوم مقام دعاء النبي وأيضا الاعمال تعرض عليه صباحا ومساء فان رأى خيرا حمد الله وان رأى غير ذلك استغفر لنا كما ورد في الحديث حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تعرض علي أعمالكم في الصباح وفي المساء فان وجدت خيرا حمدت الله وان وجدت سوأ استغفرت لكم فدعاء رسول الله حاصل في حياته وبعد موته ولا عبرة بمن ضل وزاغ عن الحق وخالف في ذلك (قوله والله سميع عليم) أي بالاقوال والافعال (قوله ألم يعلموا) أي التائبون (قوله أن الله هو يقبل التوبة) هو مبتدأ وجملة يقبل خبره والجملة خبران وجملة ان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي يعلم أو مفعولها (قوله عن عباده) متعلق بيقبل وعن بمعنى من ويجوز أن تكون باقية على معناها للمجاوزة والمعنى يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم (قوله ويأخذ الصدقات) أي يثيب صاحبها عليها وعبر عن القبول بالاخذ ترغيبا لهم في بذل الاموال (قوله والاستفهام للتقرير) أي وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله تهييجهم) أي حثهم وترغيبهم (قوله لهم أو للناس) تفسيران في الآية (قوله اعملوا ما شئتم) في ذلك وعد عظيم للطائعين ووعيد للعاصين والمعنى اعملوا أيها التائبون أو أيها الناس عموما ما شئتم من خير فيجازيكم عليه بالثواب أو شر فيجازيكم عليه بالعقاب أو يعفو الله عنكم (قوله فسيرى عملكم) أي يحصيه ويجازيكم عليه فالاستقبال بالنظر للجزاء (قوله ورسوله) أي لان الاعمال تعرض عليه (قوله والمؤمنون) أي فيكون ذلك الجزاء امافرحا وسرورا بين أهل الموقف أو حزنا وسوأ بينهم (قوله فينبئكم بما كنتم تعملون) أي فيحاسبكم على جميع ما قدمتموه (قوله بالهمز) أي المضموم وتركه أي مع سكون الواو قراءتان سبعيتان (قوله عن التوبة) أي عن قبولها والافقد وقعت منهم التوبة غير أنهم لم يعتذروا والنبي صريحا وانما ندموا وحزنوا وصمموا على التوبة سرا (قوله اما يعذبهم) اما للابهام بالنسبة للمخاطبين والمعنى أن الله أبهم على المخاطبين أمرهم (قوله واما يتوب عليهم) أي يقبل توبتهم (قوله حكيم في صنعه) أي لا يسئل عما يفعل فلا يعترض على أحكامه سبحانه وتعالى (قوله وهم الثلاثة) أي وكانوا من أهل المدينة (قوله مرارة) بضم الميم (قوله الى الدعة) أي الراحة والكسل (قوله ولم يعتذروا) أي لشدة ما نزل بهم من الحزن والاسف على ما فرطوا (قوله فوقف أمرهم خمسين ليلة) أي في نظير مدة التخلف لانها كانت خمسين ليلة فلما تمتعوا بالراحة فيها مع تعب غيرهم في السفر عوقبوا بهجرهم تلك المدة (قوله والذين اتخذوا)

المنافقين (ضرارا) مضارة لاهل مسجد قباء (وكفرا) لانهم بنوه بامر أبي عامر الراهب ليكون معقلا له يقدم فيه من يأتي من عنده وكان ذهب
ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي صلى الله عليه وسلم (وتفريقا بين المؤمنين) الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم

(وإرصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) أي قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور (وليحلفن إن) ما (أردنا) ببنائه (إلا) الفعلة (الحسنى) من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين (والله يشهد إنهم لكاذبون) في ذلك وكانوا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي فيه فنزل (لا تقم) تصل (فيه أبدا) فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف (لمسجد أسس) بنيت قواعده (على التقوى من أول يوم) وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما في البخاري (أحق) منه (أن) أي بأن (تقوم) تصلي (فيه فيه رجال) هم الأنصار (يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) أي يثيبهم وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء روى ابن خزيمة في صحيحه عن عويمر بن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قباء فقال إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفي حديث رواه البزار فقالوا نتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك

بالواو ودونها قراءتان سبعيتان والاحسن اعراب الاسم الموصول مبتدأ وعلى كل خبره محذوف قدره المفسر بقوله منهم والواو اما للعطف على الجمل المتقدمة كقوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من عاهد الله عطف قصة على قصة أو للاستئناف (قوله ضرارا) اما مفعول لاجله أو مفعول ثان لاتخذوا (قوله لاهل مسجد قباء) أشار بذلك الى أن متعلق الضرار محذوف (قوله بأمر أبي عامر الراهب) أي وهو والد حنظلة غسيل الملائكة (قوله معقلا له) أي ملجأ (قوله وكان ذهب الخ) حاصل ذلك ان أبا عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به قال النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال أبو عامر فأنا عليها فقال له النبي انك لست عليها قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية قال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا غريبا وحيدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه أبا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر فخرج هاربا الى الشام فأرسل الى المنافقين ان أعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة وانا نحب أن تأتينا وتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله أتيناكم فصلينا فيه فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك راجعا نزل بذي أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه أن يأتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزلت هذه الآية وأخبره جبريل خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر ابن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك أنظروني حتى أخرج اليكم بنار فدخل على أهله فأخذ من سعف النخل فأوقده ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فأحرقوه وهدموه وتفرق أهله وأمر رسول الله ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام طريدا وحيدا غريبا (قوله الا الحسنى) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله الفعلة (قوله يشهد) أي يعلم (قوله في ذلك) أي الحلف (قوله وكانوا سألوا النبي الخ) أي بعد فراغهم من بنائه وكان متجهزا لغزوة تبوك فوعدهم بذلك حين يقدم (قوله لمسجد) اللام للابتداء ومسجد مبتدأ وأسس نعته وأحق خبره (قوله يوم حللت بدار الهجرة) أي وهو يوم الاثنين فأقام فيه الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة وقيل صلى به الجمعة وهي أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا على القول بأنه أقام بقباء أربعة أيام وقيل أقام أربعة عشر وقيل اثنين وعشرين يوما (قوله أحق أن تقوم فيه) اسم التفضيل ليس على بابه أو باعتبار زعم المنافقين أو باعتبار ذات المسجد فان الخبث في نيتهم لا في ذات المسجد (قوله فيه رجال) هم بنو عامر بن عوف (قوله يحبون أن يتطهروا) يحتمل ان المراد الطهارة المعنوية من الذنوب والقبائح وذلك موجب للثناء والمدح والقرب من الله وقيل المراد الطهارة الحسية من النجاسات والاحداث وهو الاقرب لان مدحهم الذي مدحوا عليها مبالغتهم في طهارة الظاهر وأما طهارة الباطن فأمر مشترك بين المؤمنين وقيل المراد ما هو أعم فقد حازوا طهارة الظاهر والباطن (قوله وفيه ادغام التاء الخ) أي فأصله المتطهرين أبدلت التاء طاء وأدغمت في الطاء (قوله في الطهور) بضم الطاء في هذا وفيما يأتي لان المراد به الفعل (قوله فغسلنا كما غسلوا) أي بعد المسح بالاحجار بدليل الرواية الثانية (قوله نتبع الحجارة بالماء) أي وهذا هو الاكمل في

الاستنجاء

الاستنجاء فان لم يوجد حجر فالمدر يقوم مقامه والا فالماء فقط أو الحجر فقط أو المدر فقط (قوله فعليكموه) أى الزموه (قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى الخ) فى الكلام استعارة مكنية حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يعتمد عليه البنيان وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو التأسيس فاثباته تخييل والتأسيس كناية عن احكام أمور الدين والاعمال الصالحة (قوله أم من أسس بنيانه) أى أحكم أمور دينه على ضلال وكفر ونفاق (قوله بضم الراء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جانب) الاحسن ماقاله غيره ان المراد به البئر التى لم تطو (قوله هار) اما أصله هاور أو هاير فقدمت اللام على العين فصار كقاض فاعرابه بحركات مقدرة أو حذفت عينه تخفيفا بعد قلبها همزة فاعرابه بحركات ظاهرة واما أصله هور أو هير تحركت الواو أو الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا مثل باب واعرابه بحركات ظاهرة كالذى قبله (قوله فى نار جهنم) ورد أنهم رأوا الدخان حين حفر وأساسه (قوله خير) قدره اشارة الى أن خبر من الثانية محذوف (قوله ريبة) أى سبب ريبة أو بوائح فيه حتى جعل نفس الريبة (قوله الا أن تقطع قلوبهم) مستثنى من محذوف والتقدير لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم فى كل وقت أو كل حال الا وقت أو حال تقطيع قلوبهم وفيها قراءتان سبعيتان الاولى بفتح التاء وتشديد الطاء بحذف احدى التاءين وقلوبهم فاعل الثانية بضم التاء وقلوبهم نائب فاعل وقرئ شذوذا تقطع بالتخفيف وقرئ أيضا الا أن تقطع بضم التاء وكسر الطاء المشددة وقلوبهم مفعول به والفاعل ضمير يعود على النبى (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الاشياء فى محالها ومنه جريان عادة الله فى كل حسود لاهل الدين والصلاح أنه لايزال الكمد به حتى يموت على أسوا الاحوال (قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الخ) لما ذكر قبائح المتخلفين لغير عذر وما فاتهم من الخير العظيم ذكر فضل المجاهدين وما أعد لهم من الفوز الاكبر حيث عظم أنفسهم وأموالهم بأن جعل الجنة ثمنا لهما ومن المعلوم أن المثمن أغلى من الثمن واشارة الى أن الجنة خلقت لهم ولم يخلقوا الا لها (قوله يبذلوها فى طاعته) أى يصرفوها فى مرضاته (قوله بأن لهم الجنة) لم يقل بالجنة اشارة الى أن الجنة مختصة بهم وواصلة اليهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم ثم ان قوله اشترى من المؤمنين الخ كناية عن التعويض عن بذل النفوس والاموال بالجنة والا فحقيقة الشراء أخذ ما لايملك بعوض وهذا مستحيل فى حق الله تعالى بل معناه أثابهم وقبلهم فى نظير ذلك منهم فشبهت الاثابة والقبول بالشراء واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الشراء اشترى بمعنى أثابهم وقبلهم وانما عبر عنه بالشراء تلطفا ورفقا بهم (قوله بيان للشراء) الاوضح أن يقول بيان للبيع الذى يستلزمه الشراء (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى فيقتل بعضهم ويقاتل الباقى) أشار بذلك الى أنه لا يتوقف الفضل على الجمع بين الامرين بل المدار على نية اعلاء كلمة الله حصلا أو أحدهما أو لا ولا (قوله بفعلهما المحذوف) أى والتقدير وعده وعدا وحقه حقا (قوله فى التوراة الخ) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لوعدا والمعنى وعدا مذكورا فى التوراة والانجيل والقرآن وخص التوراة والانجيل بالذكر لاقامة الحجة على من عارض من اليهود والنصارى وحينئذ فلاينافى ان هذا الوعد مذكور فى الكتب السماوية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ماشئت قال أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قال اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولانستقيل فنزلت هذه الآية بشارة لهم (قوله أى لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله فاستبشروا) خطاب للمؤمنين لمزيد الاعتناء بهم والسين والتاء للتصيير أى صرتم لكم البشرى بذلك فى الدنيا والآخرة (قوله التائبون الخ) هذه أوصاف تسعة للمؤمنين الستة الاولى متعلقة بحقوق الله وحده والاثنان بعدها متعلقان بحقوق الخلق والاخير عام (قوله بتقدير مبتدا) أى هم التائبون (قوله من الشرك والنفاق) متعلق بالتائبون والتوبة شرطها الندم على ما وقع والعزم على عدم العود والاقلاع ورد المظالم الى أهلها (قوله الحامدون

فعليكموه (أفمن أسس بنيانه على تقوى) مخافة (من الله و) رجاء (رضوان) منه (خير أم من أسس بنيانه على شفا) طرف (جرف) بضم الراء وسكونها جانب (هار) مشرف على السقوط (فانهار به) سقط مع بانيه (فى نار جهنم) خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول اليه والاستفهام للتقرير أى الاول خير وهو مثال مسجد قباء والثانى مثال مسجد الضرار (والله لايهدى القوم الظالمين لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة) شكا (فى قلوبهم الا أن تقطع) تنفصل (قلوبهم) بأن يموتوا (والله عليم) بخلقه (حكيم) فى صنعه بهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) بأن يبذلوها فى طاعته كالجهاد (بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) جملة استئناف بيان للشراء وفى قراءة بتقديم المبنى للمفعول أى فيقتل بعضهم ويقاتل الباقى (وعدا عليه حقا) مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف (فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) أى لا أحد أوفى منه (فاستبشروا) فيه التفات عن الغيبة (ببيعكم الذى بايعتم به وذلك) البيع (هو الفوز العظيم) النيل غاية المطلوب (التائبون) رفع على المدح بتقدير مبتدا من الشرك والنفاق (العابدون) المخلصون

العابدون لله (الحامدون) له على كل حال (السائحون) الصائمون (الراكعون الساجدون) أى المصلون (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) لأحكامه بالعمل بها (وبشر المؤمنين) بالجنة * ونزل فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) ذوى قرابة (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) النار بأن ماتوا على الكفر (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه) بقوله سأستغفر لك ربى رجاء أن يسلم (فلما تبين له أنه عدو لله) بموته على الكفر (تبرأ منه) وترك الاستغفار له (ان ابراهيم لأواه) كثير التضرع والدعاء (حليم) صبور على الأذى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) للاسلام (حتى يبين لهم ما يتقون) من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الاضلال (ان الله بكل شئ عليم) ومنه مستحق الاضلال والهداية (ان الله له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وما لكم) أيها الناس (من دون الله) أى غيره (من ولى) يحفظكم منه (ولا نصير) يمنعكم عن ضرره (لقد تاب الله) أى أدام توبته (على النبى والمهاجرين والأنصار

العابدون لله) أى المتمسكون فى طاعة الله سرا وجهرا (قوله الحامدون له على كل حال) أى فى السراء والضراء قال عليه الصلاة والسلام أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله على كل حال فى السراء والضراء أى بأن يكون عن الله راضيا فى جميع الأحوال كالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك (قوله السائحون) من السياحة وهى فى الأصل الذهاب فى الأرض للعبادة سمى الصائمون بذلك لأن من شأن السائح ترك اللذات كلها من المطعم والمشرب والملبس والمنكح ولاشك أن الصائم كذلك والصيام عند العامة ترك شهوتى البطن والفرج وعند الخاصة ترك ما سوى الله تعالى قال العارف الجيلى

صيامى هو الامساك عن رؤية السوى * وفطرى أنى نحو وجهك راجع

(قوله أى المصلون) أشار بذلك الى أنه أطلق الجزء وأراد الكل وخص الركوع والسجود بالذكر من دون أركانها لأن بهما التقرب الى الله تعالى لما فى الحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد والركوع يلى السجود فى التواضع والذل (قوله والناهون عن المنكر) انما عطف هذا بالواو على ما قبله لوجود المضادة بينهما لأن الأمر طلب الفعل والنهى طلب الترك (قوله والحافظون لحدود الله) هذا أعم الأوصاف المتقدمة ولذا عطف بالواو وهذا معنى التقوى اذ هى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ولذا حكى ان السرى السقطى سأل ابن أخته الجنيد عن التقوى وهو صغير فقال له أن لا يراك حيث نهاك وأن لا يفقدك حيث أمرك فقال له أخاف أن يكون حظك من الله لسانك (قوله وبشر المؤمنين) اظهار فى مقام الاضمار اعتناء بهم وتشريفا لقدرهم وحذف المبشر به اشارة الى أنه لا يدخل تحت حصر بل لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله لعمه أبى طالب) أى لأنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب حين حضرته الوفاة يا عم قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال النبى لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عن الاستغفار فنزلت وقصد النبى بهذا الاستغفار تأليفه للاسلام لعله يهتدى والا فرسول الله يعلم أن الله لا يغفر أن يشرك به (قوله ما كان للنبى) أى لا ينبغى ولا يصح (قوله بأن ماتوا على الكفر) أى فلا يجوز لهم الاستغفار حينئذ وأما الاستغفار للكافر الحى ففيه تفصيل فان كان قصده بذلك الاستغفار هدايته للاسلام جاز وان كان قصده أن تغفر ذنوبه مع بقائه على الكفر فلا يجوز (قوله وما كان استغفار ابراهيم الخ) هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره ان شرعنا هو بعينه شرع ابراهيم وقد استغفر ابراهيم لأبيه فأجاب الله عن ابراهيم بما ذكر (قوله لأبيه) تقدم الخلاف فى كونه أباه أو عمه وانما سمى أبا لأن عادة العرب تسمى العم أبا والقرآن نزل بلغة العرب (قوله وعدها اياه) أى ان ابراهيم وعد أباه بالاستغفار قبل تبين أنه لا ينفع فيه الاستغفار لاصراره على الكفر (قوله انه عدو لله) أى انه مصر ومستمر على الكفر والعداوة لأن الذى تبين بالموت انما هو اصراره على الكفر والا فأصله كان حاصلا ومتبينا من قبل (قوله ان ابراهيم) هذا بيان للحامل له على الاستغفار قبل التبين (قوله لأواه) من التأوه وهو التوجع والاكثار من قول آه واختلف فى معناه فقيل هو الخاشع المتضرع وقيل كثير الدعاء وقيل المؤمن التواب وقيل الرحيم بعباد الله وقيل الموقن وقيل المسبح وقيل المعلم للخير وقيل الراجع عما يكره الله الخائف من النار (قوله حليم) معناه صفوح عن المسئ اليه مقابل له باللطف والرفق وذلك كما فعل ابراهيم مع أبيه حين قال له لئن لم تنته لأرجمنك الخ فأجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربى وكعدم دعائه على النمروذ حيث ألقاه فى النار (قوله وما كان الله ليضل قوما) سبب نزولها أن بعض الصحابة كانوا يستغفرون لآبائهم الكفار وماتوا قبل نزول آية النهى فظن بعض الصحابة أن الله يؤاخذهم فبين الله أنه لا يؤاخذ أحدا بذنب الا بعد أن يبين حكمه فيه (قوله بعد اذ هداهم) أى بعد وقت هدايتهم وتوفيقهم للايمان (قوله ومنه) أى من الشئ (قوله ان الله له ملك السموات والأرض) أى ففوضوا أموركم اليه لأنه الموجد لكل شئ الذى منه العون والنصر (قوله لقد تاب الله) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله أى أدام توبته) جواب عما يقال

الذين

ان النبي معصوم من الذنوب والمهاجرون والانصار لم يفعلوا ذنبا بل سافروا معه واتبعوه من غير امتناع وأجيب أيضا بأن معنى توبته على النبي عدم مؤاخذته في اذنه للمتخلفين حتى يظهر المؤمن من المنافق ومعنى توبته على المهاجرين والانصار من أجل ما وقع في قلوبهم من الخواطر والوساوس في تلك الغزوة فانها كانت في شدة الحر والعسر وقيل ان ذكر النبي تشريف لهم وانما المقصود ذكر قبول توبتهم لانه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم ذنب أصلا حتى يحتاج للتوبة (قوله الذين اتبعوه) أي وكانوا سبعين ألفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (قوله أي وقتها) أشار بذلك الى أن المراد بالساعة الزمانية لا الفلكية والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة وجيشها يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في المركب والزاد والماء فكان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان تمرهم يسيرا جدا حتى ان أحدهم اذا جهده الجوع يأخذ التمرة فيلوكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها لصاحبه حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى الا النواة وكانوا من شدة الحر والعطش يشربون الفرث ويجعلون ما بقي على كبدهم قال أبو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك خيرا فادع الله قال أتحب ذلك قال نعم فرفع رسول الله يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت فملؤوا ما معهم من الاوعية ثم ذهبنا ننظرها فلم نجدها جاوزت العسكر (قوله من بعد ما كاد) هذا بيان لبلوغ الشدة حدها حتى ان بعضهم أشرف على الميل الى التخلف واسم كاد ضمير الشأن وجملة تزيغ في محل نصب خبرها (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم تاب عليهم) ذكر التوبة أولا قبل الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكرها بعده تعظيما لشأنهم وتأكيدا لقبول توبتهم (قوله انه بهم رؤف رحيم) هذا تأكيد لما تقدم والرؤف الرفيق بعباده اللطيف بهم والرحيم المحسن المتفضل (قوله وعلى الثلاثة) قدر المفسر تاب اشارة الى أنه معطوف على قوله على النبي ويصح عطفه على الضمير في قوله ثم تاب عليهم وهو الاقرب لاعادة الجار قال ابن مالك

وعود خافض لدى عطف على ✽ ضمير خفض لازما قد جعلا

وان كان يمكن أن يقال انما أعاده تأكيدا (قوله على الثلاثة) انما لم يسمهم الله لكونهم معلومين بين الصحابة والتوبة هنا على حقيقتها بمعنى أنه قبل عذرهم وسامحهم وغفر لهم ما سلف منهم وأما التوبة فيما تقدم فمستعملة في مجازها بمعنى دوام العصمة للنبي والحفظ للمهاجرين والانصار ففي الآية استعمال التوبة في حقيقتها ومجازها (قوله عن التوبة عليهم) أي عن قبولها من الله وسبب تأخير القبول من الله عدم اظهار توبتهم كما فعل أبو لبابة وقيل المراد خلفوا عن الغزو ولم يخرجوا مع رسول الله ﴿ وفي صحيح البخاري ما نصه ﴾ باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب حين عمي قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا في غزوة تبوك وكان من خبري اني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك ولم يذكرني رسول الله حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي فطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما أي قرب قدومه زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت الصدق وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد

الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أي وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث (من بعد ما كاد تزيغ) بالتاء والياء تميل (قلوب فريق منهم) عن اتباعه الى التخلف لما هم فيه من الشدة (ثم تاب عليهم) بالثبات (انه بهم رؤف رحيم و) تاب (على الثلاثة الذين خلفوا) عن غزوة تبوك والتوبة عليهم بقرينة

فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا
بضعة وثمانين رجلا فقبل رسول الله منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله فجئته فلما
سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد
ابتعت ظهرك فقلت بلى اني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من
سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا أي فصاحة ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى
به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد أي تغضب علي فيه اني لأرجو فيه
عفو الله لا والله ما كان لي من عذر ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وبادر رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي
والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك
فوالله ما زالوا يلومونني لوما عنيفا حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد قالوا
نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن
أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس فتغيروا لنا
حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في
بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف
في الاسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك
شفتيه برد السلام علي أم لا ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي أقبل الي فاذا التفت نحوه
أعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي
وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله
ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي
وتوليت حتى تسورت الجدار حتى اذا مضت أربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأتيني فقال ان رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال بل اعتزلها ولا
تقربها وأرسل الى صاحبي مثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر
فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت بفتح الميم لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا فلما
صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر
الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع
بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله أي أعلم
الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض
رجل الي فرسا وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما
جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته اياهما ببشراه والله ما أملك من الثياب غيرهما
يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنونني بالتوبة
يقولون لتهنك بفتح التاء توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم جالس حوله الناس فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام الي رجل
من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو
يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم
من عند الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك

(حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) أى مع رحبها أى سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون اليه (وضاقت عليهم أنفسهم) قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس (وظنوا) أيقنوا (أن) مخففة (لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم) وفقهم للتوبة (ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) بترك معاصيه (وكونوا مع الصادقين) فى الايمان والعهود بأن تلزموا الصدق (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) اذا غزا (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهو نهى بلفظ الخبر (ذلك) أى النهى عن التخلف (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) جوع (فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا) مصدر بمعنى وطأ (يغيظ) يغضب (الكفار ولا ينالون من عدو) لله (نيلا) قتلا أو أسرا أو نهبا (الا كتب لهم به عمل صالح) ليجازوا عليه (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أجرهم بل يثيبهم (ولا ينفقون) فيه (نفقة صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة ولا يقطعون واديا) بالسير (الا كتب لهم) ذلك (ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) أى جزاءه

ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعا فنزل (وما كان المؤمنون لينفروا) الى الغزو (كافة فلولا) فهلا (نفر من كل فرقة) قبيلة (منهم طائفة) جماعة ومكث الباقون (ليتفقهوا) أى الماكثون (فى الدين ولينذروا قومهم

منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتى ان انخلع من مالى صدقة الى الله والى رسول الله قال رسول الله أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت فانى أمسك سهمى الذى بخيبر وأنزل الله على رسوله لقد تاب الله على النبى الى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد ان هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله اه (قوله حتى اذا ضاقت عليهم الارض الخ) أى لم يطمئنوا ولم يسكنوا الى شئ منها واذا صلة أو ثم لاستقامة المعنى (قوله أى مع رحبها) بضم الراء وأما بفتحها فمعناه المكان المتسع (قوله فلا يسعها سرور) العبارة فيها قلب أى فلا تسع سرورا (قوله ان مخففة) أى واسمها ضمير الشان (قوله لا ملجأ الخ) لا نافية للجنس وملجأ اسمها ومن الله خبرها والجملة سدت مسد مفعولى ظنوا (قوله من الله الا اليه) أى من سخطه الا بالتضرع اليه (قوله ثم تاب عليهم) أى قبل توبتهم (قوله ليتوبوا) أى ليحصلوا التوبة وينشؤها (قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) خطاب عام لكل مؤمن (قوله مع الصادقين) مع بمعنى من بدليل القراءة الشاذة المروية عن ابن مسعود (قوله ما كان لاهل المدينة) أى لا يصح ولا ينبغى ولا يجوز لهم التخلف عن رسول الله الخ والمعنى اذا خرج رسول الله بنفسه للغزو فلا يجوز لاحد من المؤمنين التخلف بل ينفرون كافة (قوله ولا يرغبوا بأنفسهم) يجوز فيه النصب عطفا على يتخلفوا والجزم على أن لا ناهية (قوله بأن يصونوها الخ) هذا بيان لحاصل المعنى وايضاحه أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط وان يتلقوا الشدائد معه صلى الله عليه وسلم علما بأنه أعز نفس وأكرمها عند الله فاذا تعرضت مع عزتها وكرامتها للخوض فى شدة وهول وجب على سائر الانفس أن تتعرض مثلها (قوله وهو نهى بلفظ الخبر) أى ما ذكر من قوله ما كان لاهل المدينة الخ أى فكأنه قيل لا يتخلف واحد منهم (قوله ظمأ) أى ولو يسيرا وكذا يقال فيما بعده (قوله ولا يطؤن موطئا) أى لا يدوسون بأرجلهم وحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم دوسا (قوله يغيظ) بفتح الياء باتفاق السبعة وان كان يجوز فى اللغة ضمها (قوله ولا ينالون) أى يصيبون (قوله قتلا أو أسرا أو نهبا) أمثلة للنيل بسبب جعله مصدرا ويصح أن يكون بمعنى الشئ المنال أى المأخوذ (قوله الا كتب لهم) أى بكل واحد من الامور الخمسة (قوله أى أجرهم) غرضه بهذا أن المقام للاضمار والعدول عنه لاجل مدحهم وليفيد العموم وعلم انه خصوصية للمخاطبين بل هذا الفضل العظيم باق ومستمر الى يوم القيامة (قوله واديا) المراد به هنا مطلق الارض وان كان فى الاصل المكان المنفرج بين الجبال (قوله ذلك) أى ما ذكر من كل من النفقة وقطع الوادى (قوله أى جزاءه) يشير بهذا الى تقدير مضاف أى جزاء أحسن ما كانوا الخ (قوله ولما وبخوا على التخلف الخ) أى بسبب نزولها أنه لما وبخهم الله على التخلف وظهرت فضيحة المنافقين وتاب الله على من تاب أجمع رأيهم وحلفوا أنهم لا يتخلفون عن رسول الله ولا عن سرية بعثها فلما رجعوا من تبوك وبعث السرايا تهيأ المسلمون جميعا الى الغزو (قوله سرية) قيل هى اسم لما زاد على المائة الى الخمسمائة وما زاد الى ثمانمائة يقال له منسر وما زاد عليها الى أربعة آلاف يقال له جيش وما زاد عليها يقال له جحفل وجملة سراياه التى أرسلها رسول الله ولم يخرج معها سبعة وأربعون وغزواته التى خرج فيها بنفسه سبعة وعشرون قاتل فى ثمانية منها فقط (قوله وما كان المؤمنون) أى لا ينبغى ولا يجوز لهم أن ينفروا جميعا بل يجب عليهم أن ينقسموا قسمين طائفة تكون مع رسول الله لتلقى الوحى وطائفة تخرج للجهاد (قوله فهلا) أشار بذلك الى أن لولا للتحضيض (قوله ومكث الباقون) قدره اشارة الى أن قوله ليتفقهوا الخ علة لمحذوف ولا يصح أن يكون علة لقوله نفر من كل فرقة منهم طائفة (قوله ولينذروا قومهم) عطف على قوله ليتفقهوا وفيه اشارة الى أنه ينبغى لطالب العلم تحسين مقصده بأن يقصد بطلبه العلم تعليم غيره

إذا رجعوا إليهم) من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام (لعلهم يحذرون) عقاب الله بامتثال أمره ونهيه قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أي الأقرب فالأقرب منهم (وليجدوا فيكم غلظة) شدة أي اغلظوا عليهم (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعون والنصر (وإذا ما أنزلت سورة) من القرآن (فمنهم) أي المنافقين (من يقول) لأصحابه استهزاء (أيكم زادته هذه إيمانا) تصديقا قال تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) لتصديقهم بها (وهم يستبشرون) يفرحون بها (وأما الذين في قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) كفرا إلى كفرهم لكفرهم بها (وماتوا وهم كافرون أولا يرون) بالياء أي المنافقون والتاء أيها المؤمنون (أنهم يفتنون) يبتلون (في كل عام مرة أو مرتين) بالقحط والأمراض (ثم لا يتوبون) من نفاقهم (ولا هم يذكرون) يتعظون (وإذا ما أنزلت سورة) فيها ذكرهم وقرأها النبي صلى الله عليه وسلم (نظر بعضهم إلى بعض) يريدون الهرب يقولون (هل يراكم من أحد) إذا قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا (ثم انصرفوا) على كفرهم (صرف الله قلوبهم) عن الهدى (بأنهم قوم لا يفقهون) الحق لعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أي منكم محمد صلى الله عليه وسلم (عزيز) شديد (عليه ما عنتم) أي عنتكم أي مشقتكم ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) أن تهتدوا (بالمؤمنين رؤوف) شديد الرحمة (رحيم) يريد لهم الخير

والتعاظم هو في نفسه لا التكبر على العباد والتشدق بالكلام (قوله إذا رجعوا) أي من كان في الغزو وقوله إليهم أي إلى من مكث ليتفقه في الدين (قوله قال ابن عباس الخ) المقصود من ذلك دفع التعارض بين هذه الآية وما قبلها (قوله مخصوصة بالسرايا) أي وهي التي أرسلها ولم يخرج معها (قوله فيما إذا خرج النبي) أي لأنه لا عذر حينئذ في التخلف لأن صاحب الشريعة الذي يتعلمونها منه مصاحب لهم (قوله قاتلوا الذين يلونكم) ليست هذه الآية ناسخة لآية وقاتلوا المشركين كافة على التحقيق بل هذه الآية تعليم لآداب الحرب وهو أن يبدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فبهذا يتمكنون من قتالهم كافة لأن قتالهم دفعة واحدة لا يتصور ولذا قاتل رسول الله أولا قومه ثم انتقل إلى سائر العرب ثم إلى قتال أهل الكتاب ثم إلى قتال الروم والشام ثم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم انتقل أصحابه إلى قتال العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار (قوله يلونكم) من الولي وهو القرب وفي فعله لغتان وليه يليه وهو الأكثر والثانية من باب وعد والآية منها وهي قليلة الاستعمال فأصله يوليون حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها ثم نقلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما (قوله شدة) أي صبرا وتحملا (قوله أي اغلظوا عليهم) أشار بذلك إلى أن في الآية استعمال السبب في المسبب لأن وجدان الكفار الغلظة مسبب عن إغلاظ المسلمين عليهم (قوله وإذا ما أنزلت) المعنى إذا أنزلت سورة من القرآن والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين وقت النزول وليس فيها فضيحة لهم وأما ما يأتي فيحمل على ما إذا كانوا حاضرين ذلك والحال أن فيها بيان أحوالهم فلا تنافي بين المحلين كما يأتي (قوله لأصحابه) أي أو لضعفاء المؤمنين (قوله يفرحون بها) أي لأنه كلما نزل شيء من القرآن ازدادوا إيمانا وهذا الحكم باق إلى الآن فمن يفرح بكلام الله ويعمل به فهو من المؤمنين الصادقين ومن ينفر من سماعه ومن العمل به فهو إما كافر أو قريب من الكفر (قوله كفرا إلى كفرهم) أشار بذلك إلى أنه ضمن الزيادة معنى الضم والمعنى زادتهم كفرا منضما إلى كفرهم لأن كفرهم يزيد بزيادة جحدهم المنزل وسمى الكفر رجسا لكونه أقبح الأشياء والرجس هو الشيء المستقذر (قوله بالياء) أي فالاستفهام حينئذ للتوبيخ وقوله والتاء أي فالاستفهام للتعجب لأن الخطاب حينئذ للصحابة (قوله ثم لا يتوبون) أي لا يرجعون عما هم عليه (قوله فيها ذكرهم) أي بيان أحوالهم (قوله نظر بعضهم إلى بعض) أي يتغامزون بالعيون (قوله يريدون الهرب) أي خوفا من الفضيحة التي تحصل لهم (قوله ويقولون) أشار بذلك إلى أن قوله هل يراكم من أحد مقول لقول محذوف (قوله ثم انصرفوا على كفرهم) عبارته تفيد أن قوله ثم انصرفوا ليس مرتبا على كونهم لم يرهم أحد وليس كذلك فكان المناسب أن يقول قاموا وهو بمعنى ثم انصرفوا (قوله صرف الله قلوبهم) إخبار أو دعاء (قوله لا يفقهون الحق) أي لا يفهمونه (قوله لقد جاءكم) اللام موطئة لقسم محذوف أي وعزتي وجلالي لقد جاءكم الخ (قوله من أنفسكم) خطاب العرب قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وأنفسكم بضم الفاء باتفاق السبعة وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء من النفاسة والمعنى جاءكم رسول من أشرفكم وأرفعكم قدرا لما في الحديث إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار من خيار (قوله عزيز عليه ما عنتم) يصح أن يكون عزيز صفة لرسول وما مصدرية أو بمعنى الذي والمعنى يعز عليه عنتكم أو الذي عنتموه ويصح أن يكون عزيز خبرا مقدما وما عنتم مبتدأ مؤخرا (قوله حريص عليكم) أي محافظ على هداكم لتكون لكم السعادة الكاملة (قوله أن تهتدوا) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي حريص على هدايتكم (قوله رؤوف) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان والرأفة أخص من الرحمة قال الحسين بن الفضل لم يجمع الله

(فإن تولوا) عن الايمان بك (فقل حسبي) كافي (الله لا اله الا هو عليه توكلت) به وثقت لا بغيره (وهو رب العرش) الكرسي (العظيم) خصه بالذكر لانه أعظم المخلوقات وروى الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب قال آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول الى آخر السورة

﴿سورة يونس مكية الا فان كنت في شك الآيتين أو الثلاث أو ومنهم من يؤمن به الآية مائة وتسع أو عشر آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (الحكيم) المحكم (أكان للناس) أي أهل مكة استفهام انكار والجار والمجرور حال من قوله (عجبا) بالنصب خبر كان وبالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الاولى (ان أوحينا) أي ايحاؤنا (الى رجل منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (أن) مفسرة (أنذر) خوف (الناس) الكافرين بالعذاب (وبشر الذين آمنوا أن) أي بأن (لهم قدم) سلف (صدق عند ربهم) أي أجرا حسنا بما قدموه من الاعمال (قال الكافرون ان هذا) القرآن المشتمل على ذلك (لسحر مبين) بين وفي قراءة لساحر والمشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) من أيام الدنيا أي في قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهن في لمحة والعدول عنه

لأحد من أنبيائه اسمين من اسمائه تعالى الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال ان الله بالناس لرؤف رحيم (قوله فان تولوا) أي جميع الخلق مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم (قوله لا اله الا هو) هذا كالدليل لما قبله (قوله لا بغيره) أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول (قوله الكرسي) مرور على القول باتحاد العرش مع الكرسي وهو خلاف الصحيح والصحيح ان العرش غير الكرسي فالعرش جسم عظيم محيط بجميع المخلوقات والكرسي أقل منه (قوله العظيم) بالجر باتفاق السبعة صفة للعرش وقرئ شذوذا بالرفع صفة للرب (قوله خصه بالذكر) جواب عما يقال ان الله رب كل شئ فلم خص العرش بالذكر (قوله آخر آية) مراده الجنس والا فهما آيتان وهذا القول ضعيف لما تقدم ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعلى ما قاله المفسر يكونان مدنيتين وهو أحد قولين حكاهما المفسر أول السورة وهاتان الآيتان بهما الامان من كل مكروه وقد ورد من قرأهما ويكرر الآية الثانية سبعا صباحا وسبعا مساء أمن كل مكروه حتى الموت فاذا أراد الله موته أنساه قراءتهما

﴿سورة يونس﴾

سميت السورة بذلك لذكر اسمه فيها وقصته وقد جرت عادة الله بتسمية السورة ببعض أجزائها (قوله مكية) أي أنزلت قبل الهجرة (قوله أو الثلاث) أو لتنويع الخلاف وسببه الخلاف في أن آخر الآية الثانية من الخاسرين أو الاليم (قوله أو ومنهم الخ) أي فيكون المدني اما ثلاثا أو أربعا بزيادة ومنهم الخ وقال القرطبي نقلا عن فرقة ان من أولها نحوا من أربعين آية مكي وباقيها مدني (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا أحد أقوال تقدمت في البقرة ونحو أتمها وأسلمها (قوله أي هذه الآيات) يحتمل أن اسم الاشارة عائد على ما تقدم من أول القرآن الى هنا ويحتمل انه عائد الى الآيات التي ستذكر في هذه السورة وأتى باسم الاشارة البعيد اشارة الى بعد رتبته عن كلام البشر ورفعة قدره (قوله آيات الكتاب) خبر اسم الاشارة (قوله والاضافة) أي في قوله آيات الكتاب والمعنى تلك آيات من الكتاب لان المشار اليه بعض القرآن (قوله المحكم) أشار بذلك الى أن فعيلا بمعنى مفعول ومعناه الذي لا يتطرق اليه الفساد ولا تغيره الدهور ولا يعتريه الكذب ولا التناقض ويصح أن يكون بمعنى فاعل أي الحاكم أي ذو الحكم لاشتماله على الاحكام الدينية المتعبد بها (قوله استفهام انكاري) أي والمعنى لا يليق ولا ينبغي لأهل مكة أن يتعجبوا من ارساله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبي طالب (قوله عجبا) العجب استعظام أمر خفي سببه (قوله خبر كان) أي مقدم عليها (قوله والرفع اسمها) هذه قراءة شاذة فكان المناسب للمفسر أن ينبه عليها (قوله والخبر) مبتدأ وجملة أن أوحينا خبره وقوله وهو اسمها على الاولى اعتراض بين المبتدا والخبر (قوله مفسرة) أي بمعنى أي وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله أنذر الناس) أي ان استمروا على الكفر (قوله قدم صدق) من اضافة الموصوف للصفة وسمى الاجر الحسن قدم صدق لان الخير قد سبق لهم عند الله والشأن أن السعي يكون بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى بها (قوله أجرا حسنا) هذا أحد أقوال في تفسير قوله قدم صدق وهو لابن عباس وقيل هو الاعمال الصالحة وقيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل السعادة المكتوبة لهم أزلا في اللوح المحفوظ وقيل منزلة رفيعة في الجنة وكل هذه التفاسير ترجع الى ما قاله المفسر (قوله قال الكافرون) أي حيث رد عليهم في تعجبهم بأبلغ رد (قوله المشتمل على ذلك) أي الانذار والتبشير (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله المشار اليه) أي على القراءة الثانية (قوله ان ربكم الله) هذا رد عليهم في تعجبهم والمعنى لا ينبغي لكم التعجب من ارسال الرسول لان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الخ فمن كان قادرا على ذلك فلا يستغرب عليه ارسال الرسول (قوله أي في قدرها) جواب عن قوله لانه لم يكن ثم شمس الخ

لتعليم خلقه التثبت (ثم استوى على العرش) استواء يليق به (يدبر الامر) بين الخلائق (ما من) زائدة (شفيع) يشفع لاحد (الا من بعد اذنه)
رد لقولهم ان الاصنام تشفع لهم (ذلكم) الخالق المدبر (الله ربكم فاعبدوه) وحدوه (أفلا تذكرون) بادغام التاء في الاصل في
الذال (اليه) تعالى (مرجعكم جميعا وعد الله حقا) مصدران منصوبان بفعلهما المقدر (انه) بالكسر استئنافا والفتح على تقدير اللام (يبدأ الخلق) أي بدأه بالانشاء (ثم يعيده) بالبعث (ليجزي) يثيب (الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم) ماء بالغ نهاية الحرارة (وعذاب أليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم (هو الذي جعل الشمس ضياء) ذات ضياء أي نور (والقمر نورا وقدره) من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين منزلا في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما أو ليلة ان كان تسعة وعشرين يوما (لتعلموا) بذلك (عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك) المذكور (الا بالحق) لا عبثا تعالى عن ذلك (يفصل) بالياء والنون يبين (الآيات لقوم يعلمون) يتدبرون (ان في اختلاف الليل والنهار) بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان (وما
خلق الله في السموات) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك (و) في (الارض) من حيوان
وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها (لآيات) دلالات على قدرته تعالى (لقوم يتقون) ه فيؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها

(قوله لتعليم خلقه التثبت) أي التأني والتمهل في الامور وتخصيص الستة بذلك ولم تكن أقل ولا أكثر مما استأثر الله بعلمه (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف في تفويض علم المتشابه الى الله تعالى وطريقة الخلف يؤولونه بالاستيلاء والقهر والتصرف والى هذين الطريقتين أشار صاحب الجوهرة بقوله

وكل نص أوهم التشبيها * أوله أو فوض ورم تنزيها

فالاستواء كما يطلق على الركوب يطلق على الاستيلاء وهو المراد هنا ومنه قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

(قوله يدبر الامر) أي يتصرف في الخلائق بأسرها ولا يشغله شأن عن شأن (قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه) أي لا يشفع أحد عنده الا أن يأذن له في الشفاعة (قوله ربكم) أي خالقكم ومربيكم (قوله بادغام التاء في الاصل) أي فاصله تتذكرون قلبت التاء ذالا وأدغمت في الذال (قوله اليه مرجعكم جميعا) رد على منكري البعث حيث قالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر (قوله بفعلهما المقدر) أي وعدكم وعدا وحقه حقا (قوله بالكسر) أي وهي القراءة السبعية (قوله والفتح) أي وهي شاذة فكان عليه أن ينبه عليها (قوله بالقسط) أي العدل المصحوب بالفضل أو المراد بالقسط عدل العبيد بامتثالهم المأمورات واجتنابهم المنهيات فتكون الباء سببية (قوله والذين كفروا) غاير الاسلوب اشارة الى أنهم مستحقون العذاب بسبب أعمالهم وأما المؤمنون فثوابهم بفضل الله والى أن المقصود من البدء والاعادة انما هو الثواب وأما العقاب فكأنه عرض للكفار من سوء اعتقادهم وأفعالهم (قوله وعذاب اليم) أي غير الشراب (قوله أي بسبب كفرهم) أشار بذلك الى ان الباء سببية وما مصدرية (قوله هو الذي جعل الشمس ضياء) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله ذات ضياء) أشار بذلك الى ان ضياء مصدر ويحتمل انه جمع ضوء والمعنى ذات أضواء كثيرة والضوء النور القوي العظيم فهو أخص من مطلق نور وقيل الضياء ما كان ذاتيا والنور ما كان مكتسبا من غيره فما قام بالشمس يقال له ضياء وما قام بالقمر يقال له نور واعلم أن الشعاع الفائض من الشمس قيل جوهر وقيل عرض والحق أنه عرض لقيامه بالاجرام (قوله والقمر) معطوف على الشمس ونورا معطوف على ضياء ففيه العطف على معمولي عامل واحد وهو جائز بلا خلاف (قوله وقدره) الضمير عائد على القمر فقط وخص بالذكر وان كانت الشمس لها منازل أيضا لان سير القمر في المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين لان المعتبر في مثل الصيام والحج السنة القمرية ويحتمل أن الضمير عائد على كل من الشمس والقمر وأفرد باعتبار ما ذكر والاقرب الاول (قوله ثمانية وعشرين منزلا) أي وهي منقسمة على اثني عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث فيكون اقامته في كل برج ستة وخمسين ساعة وانتقالات الشمس في هذه الابراج مرتبة على الشهور القبطية لكن الشهر نصفه الاول من آخر برج ونصفه الآخر من أول برج آخر فتوت نصفه الاول من نصف السنبلة الاخير ونصفه الاخير من نصف الميزان الاول وهكذا (قوله ويستتر ليلتين) أي لا يرى وان كان سائرا (قوله لتعلموا) هذا هو حكمة التقدير (قوله والحساب) معطوف على عدد مسلط عليه تعلموا ولا يجوز جره عطفا على السنين لان الحساب لا يعلم عدده ولذا سئل أبو عمرو عن الحساب أتنصبه أم تجره فقال ومن يدري ما عدد الحساب كناية عن كونه لا يجوز جره (قوله المذكور) أي من كونه جعل الشمس ضياء والقمر نورا (قوله بالياء والنون) أي فهما قراءتان سبعيتان وعلى النون فيه التفات من الغيبة الى التكلم (قوله لقوم يعلمون) خصوا بالذكر لانهم هم المنتفعون بذلك (قوله ان في اختلاف الليل والنهار) أي في كون أحدهما يخلف الآخر ويعقبه (قوله بالذهاب والمجيء) تصوير للاختلاف (قوله والزيادة والنقصان) أي في كل واحد

يزيد

تزيد بتقدير ما نقص من الآخر (قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافونه ولا يؤمنون به (قوله واطمأنوا بها) أي فعلوا فعل المخلدين فيها (قوله أولئك) مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبر الثاني والثاني وخبره خبر الاول والجملة خبران (قوله بما كانوا يكسبون) أي بسبب كسبهم (قوله من الشرك والمعاصي) بيان لقوله يكسبون (قوله ان الذين آمنوا) هذا مقابل قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ وان حرف توكيد ونصب الذين اسمها آمنوا صلته وجملة يهديهم ربهم خبران (قوله آمنوا) أي صدقوا بالله ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره (قوله وعملوا الصالحات) أي الاعمال المرضية لله ورسوله (قوله يهديهم ربهم) أي توصلهم لدار السعادة حذف المعمول للعلم به (قوله بإيمانهم) أي بسبب تصديقهم بالله ورسله أي وبسبب أعمالهم الصالحة أيضا فالايمان والاعمال الصالحة سببان موصلان لدار السعادة أو المراد بالايمان الكامل ليشمل الاعمال (قوله بأن يجعل لهم نورا يهتدون به) أي وتصور لهم الاعمال الصالحة بصورة حسنة عند خروجهم من القبور وتقول لصاحبها كنت أسهرك في الدنيا وأتعبك فيها فاركب على ظهري وذلك قوله تعالى ونحشر المتقين الى الرحمن وفدا بخلاف الكافر فيحشر يوم القيامة أعمى لا يهتدي الى مقصوده ويأتيه عمله السيء فيقول له كنت مثلذذا بي في الدنيا فانا اركبك اليوم وذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم (قوله في جنات النعيم) أي بساتين التنعم وهذا الاسم يطلق على جميع الجنات والمعنى أن المؤمنين العاملين للصالحات يوصلهم ربهم لدار كرامته ومحل سعادته تجري الانهار بجانب قصورهم ينظرون اليها من أعلى أماكنهم (قوله طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا الخ) أي فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في جميع ما يطلبونه فاذا أرادوا الاكل مثلا قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم بالطعام على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم وذلك قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والمراد بما يشتهونه في الجنة ما كان محمودا في الدنيا فلا يقال ان نفوس الفساق قد تشتهي اللواط مثلا فيفيد انه يحصل في الجنة لانه يقال المراد بما يشتهونه ما ليس بشهوات شيطانية لانهم عصموا منها بالموت فلا تخطر ببالهم في الجنة ولا يميل اليها طبعهم وكذلك يقال في شهوة المحارم كالام والبنت وأيضا أهل الجنة لا أدبار لهم ولا يتغوطون فيها لما في الحديث أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس (قوله وتحيتهم فيها سلام) التحية ما يحيا به الانسان من الكلام الطيب (قوله فيما بينهم) أي أو تحية الملائكة لهم قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أو تحية الله لهم قال تعالى سلام قولا من رب رحيم (قوله وآخر دعواهم) أي خاتمة تسبيحهم في كل مجلس أن يقولوا الحمد لله رب العالمين وليس معناه انقطاع الحمد فان أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها (قوله مفسرة) اعترض بأن ضابط المفسرة مفقود هنا اذ ضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وهنا تقدمها مفرد فكان المناسب أن يقول مخففة من الثقيلة ويكون اسمها ضمير الشأن وجملة الحمد لله رب العالمين خبرها (قوله أن الحمد لله رب العالمين) أي فأهل الجنة يبتدؤن مطالبهم بالتسبيح ويختمونها بالتحميد فتلذذهم بالاكل والشرب وسائر النعيم لا يشغلهم عن ذكر الله وشكره (قوله ونزل لما استعجل المشركون العذاب) أي لما بين الله سبحانه وتعالى أنه يجيب الداعي بالخير أدب عباده بأنهم لا يطلبون الشر بل يطلبون الخير فيعطون وقوله لما استعجل المشركون قيل هم النضر بن الحرث وغيره حيث قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (قوله ولو يعجل الله للناس الشر) أي الذي طلبوه لانفسهم (قوله أي كاستعجالهم) أشار بذلك الى أن استعجالهم مصدر والاصل استعجالا مثل استعجالهم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف وأقيم

(ان الذين لا يرجون لقاءنا) بالبعث (ورضوا بالحياة الدنيا) بدل الآخرة لانكارهم لها (واطمأنوا بها) سكنوا اليها (والذين هم عن آياتنا) دلائل وحدانيتنا (غافلون) تاركون للنظر فيها (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) من الشرك والمعاصي (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم) يرشدهم (ربهم بإيمانهم) به بأن يجعل لهم نورا يهتدون به يوم القيامة (تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها) طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا (سبحانك اللهم) أي يا أالله فاذا ما طلبوه بين أيديهم (وتحيتهم) فيما بينهم (فيها سلام وآخر دعواهم أن) مفسرة (الحمد لله رب العالمين) * ونزل لما استعجل المشركون العذاب (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم) أي كاستعجالهم (بالخير

لقضى) بالبناء للمفعول وللفاعل (اليهم أجلهم) بالرفع والنصب بأن يهلكهم ولكن يمهلهم (فنذر) نترك (الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) يترددون متحيرين (واذا مس الانسان) الكافر (الضر) المرض والفقر (دعانا لجنبه) أي مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) أي في كل حال (فلما كشفنا عنه ضره مر) على كفره (كأن) مخففة واسمها محذوف أي كأنه (لم يدعنا الى ضر مسه كذلك) كما زين له الدعاء عند الضر والاعراض عند الرخاء (زين للمسرفين) المشركين (ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا القرون) الامم (من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) بالشرك (و) قد (جاءتهم رسلهم بالبينات) الدالات على صدقهم (وما كانوا ليؤمنوا) عطف على ظلموا (كذلك) كما أهلكنا أولئك (نجزي القوم المجرمين) الكافرين (ثم جعلناكم) يا أهل مكة (خلائف) جمع خليفة (في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا (واذا تتلى عليهم آياتنا) القرآن (بينات) ظاهرات حال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لا يخافون البعث (ائت بقرآن غير هذا) ليس فيه عيب آلهتنا (أو بدله) من تلقاء نفسك (قل) لهم (ما يكون) ينبغي (لي أن أبدله من تلقاء) قبل (نفسي ان) ما (أتبع الا ما يوحى الي اني أخاف ان عصيت ربي) بتبديله (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم) أعلمكم (به) ولا نافية عطف على ما قبله وفي قراءة بلام

المضاف اليه مقامه (قوله لقضى اليهم أجلهم) أي لهلكوا جميعا والمعنى ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعونه بالرزق والرحمة فلو أجابهم الله اذا دعوه بالشر الذي يستعجلونه به مثل ما يجيبهم اذا دعوه بالخير لاهلكهم ولكنه من فضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له بالشر فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بالبناء للمفعول وللفاعل) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالرفع والنصب) لف ونشر مرتب فالرفع نائب فاعل والنصب مفعول به (قوله بأن يهلكهم) أي قبل وقتهم (قوله ولكن يمهلهم) أي فضلا منه وكرما الى أن يأتي أجلهم فاذا جاء لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فالمؤمن يلقى النعيم الدائم والكافر يلقى العذاب الدائم (قوله الذين لا يرجون لقاءنا) أي الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (قوله في طغيانهم) أي الذي هو انكار البعث والمقالات الشنيعة (قوله يعمهون) حال من فاعل يرجون (قوله يترددون متحيرين) أي في الفرار من العذاب فلا يجدون لهم مفرا (قوله واذا مس الانسان الضر) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما وبخهم على الدعاء بالشر لانفسهم بين هنا غاية عجزهم وضعفهم وانهم لا يقدرون على ايجاد شيء ولا اعدامه (قوله الكافر) مثله ناقص الايمان المنهمك في المعاصي (قوله لجنبه) حال من فاعل دعانا واللام بمعنى على (قوله أو قاعدا أو قائما) يحتمل أن أو على بابها لان المضار اما ثقيلة تمنعه القيام والقعود أو خفيفة لا تمنع ذلك أو متوسطة تمنعه القيام دون القعود ويحتمل ان أو بمعنى الواو فهو اشارة لتنويع الاحوال والى هذا أشار المفسر بقوله أي في جميع الاحوال (قوله مر على كفره) أي استمر عليه (قوله كأن لم يدعنا) الجملة في محل نصب حال من فاعل مر والمعنى استمر هو على كفره مشبها بمن لم يدعنا أصلا أي رجع الى حالته الاولى وترك الالتجاء الى ربه (قوله المسرفين) أي المتجاوزين الحد (قوله ما كانوا يعملون) أي عملهم فالواجب على الانسان دوام الدعاء والتضرع والالتجاء لجانب الله في كل حال سواء في حال الصحة والغنى لانه يشدد عليه فيهما ما لا يشدد عليه في غيرهما (قوله ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) أي كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (قوله لما ظلموا) أي حين ظلمهم (قوله وجاءتهم) قدر المفسر قد اشارة الى أن الجملة حالية من فاعل ظلموا (قوله عطف على ظلموا) أي كأنه قيل حين ظلموا وحين لم يكونوا مؤمنين والمعنى أن سبب اهلاكهم شيآن ظلمهم وعدم ايمانهم (قوله ثم جعلناكم عطف) على أهلكنا (قوله خلائف في الارض) أي متخلفون من بعد القرون بسبب أن الله أورثكم أرضهم وديارهم فمن يوم بعث الله محمدا فجميع الخلق الموجودين من يومئذ الى يوم القيامة من أمته سعداؤهم وكافرهم وهم خلفاء الارض (قوله لننظر) أي ليظهر متعلق علمنا وتعاملهم معاملة من ينظر وفي الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حال العباد مع ربهم بحال رعيته مع سلطانها في امهالهم لينظر ماذا تفعل واستعير الاسم الدال على المشبه به للمشبه على سبيل التمثيل والتقريب ولله المثل الاعلى (قوله كيف تعملون) أي فهل تصدقون رسلنا أو تكذبونهم (قوله واذا تتلى عليهم) فيه التفات من الخطاب للغيبة (قوله ائت بقرآن غير هذا) أي من عندك ان كنت صادقا في أنه من عند الله (قوله أو بدله) أي بأن تجعل مكان سب آلهتنا مدحهم ومكان الحرام حلالا وهذا الكلام من الكفار يحتمل أن يكون على سبيل الاستهزاء والسخرية ويحتمل أنه على سبيل الامتحان ليعلموا كونه من عند الله فلا يقدر على تغييره ولا تبديله أو من تلقاء نفسه فيقدر على ذلك والاول هو المتبادر من حالهم (قوله قل ما يكون لي أن أبدله الخ) أي لا يليق مني ولا يصح (قوله اني أخاف) تعليل لما قبله (قوله قل لو شاء الله) مفعول شاء محذوف أي عدم انزاله (قوله ولا أدراكم) أدرى فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والكاف مفعول به (قوله ولا نافية) أي وجملة لا أدراكم مؤكدة لما قبلها عطف عام على خاص والمعنى لو شاء الله عدم انزاله ما تلوته عليكم ولا أعلمكم به مني ولا من غيري (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله بلام) أي وهي للتأكيد والمعنى على هذه لو شاء الله

جواب لو أي لا أعلمكم به على لسان غيري (فقد لبثت) مكثت (فيكم عمرا) سنينا أربعين (من قبله) لا أحدثكم بشيء (أفلا

تعقلون) أنه ليس من قبلي (فمن) أي لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (أو كذب بآياته) القرآن (انه) أي الشأن (لا يفلح) يسعد (المجرمون) المشركون (ويعبدون من دون الله) أي غيره (ما لا يضرهم) ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) ان عبدوه وهو الاصنام (ويقولون) عنها (هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل) لهم (أتنبئون الله) تخبرونه (بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) استفهام انكار اذ لو كان له شريك لعلمه اذ لا يخفى عليه شيء (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يشركون) به معه (وما كان الناس الا أمة واحدة) على دين واحد وهو الاسلام من لدن آدم الى نوح وقيل من عهد ابراهيم الى عمرو ابن لحي (فاختلفوا) بأن ثبت بعض وكفر بعض (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الجزاء الى يوم القيامة (لقضي بينهم) أي الناس في الدنيا (فيما فيه يختلفون) من الدين بتعذيب الكافرين (ويقولون) أي أهل مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) كما كان للانبياء من الناقة والعصا

واليد (فقل) لهم (انما الغيب) ما غاب عن العباد أي أمره (لله) ومنه الآيات فلا يأتي بها الا هو وانما علي التبليغ (فانتظروا) العذاب ان لم تؤمنوا (اني معكم من المنتظرين واذا أذقنا الناس) أي كفار مكة (رحمة) مطرا وخصبا (من بعد ضراء) بؤس وجدب (مستهم اذا لهم مكر في آياتنا)

عدم تلاوتي ما تلوته عليكم ولا أعلمكم به غيري بأن ينزله على لسان نبي غيري ونتيجة هذا القياس محذوفة تقديره لكن شاء الله انزاله علي فانا أتلوه عليكم وأنا أعلمكم به (قوله فقد لبثت فيكم عمرا) هذا هو وجه الاحتجاج عليهم والمعنى أن كفار مكة شاهدوا رسول الله قبل مبعثه وعلموا أحواله وانه كان أميا لم يقرأ كتابا ولا تعلم من أحد وذلك مدة أربعين سنة ثم بعد ها جاءهم بكتاب عظيم الشأن مشتمل على نفائس العلوم والاحكام والآداب ومكارم الاخلاق فكل من له عقل سليم وفهم ثابت يعلم أن هذا القرآن من عند الله لا من عند نفسه (قوله سنينا) منصوب بفتحة ظاهرة وقد مر المفسر على طريقة من يجعله مثل حين ومثل حديث اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف في احدى الروايتين (قوله أفلا تعقلون) أي أعميتم عن الحق فلا تعقلونه (قوله أي لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله بنسبة الشريك اليه) أشار المفسر الى أن الخطاب متوجه لهم والمعنى على ذلك انكم افتريتم على الله الكذب فزعمتم أن له شريكا والله منزه عنه وثبت عندكم صدقي بالقرآن فكذبتم بآياته (قوله ويعبدون) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة بيان لقبائحهم وفي الحقيقة عبادتهم غير الله تسبب عنه ما تقدم من افترائهم وتكذيبهم بآيات الله (قوله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) ما اسم موصول أو نكرة موصوفة ونفي الضر والنفع هنا باعتبار ذواتهم واثباتهما في قوله تعالى يدعو لمن ضره أقرب من نفعه باعتبار السبب (قوله وهو الاصنام) بيان لما (قوله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعاني توهموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا بأهل أن نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله قال تعالى اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان قلت انهم ينكرون البعث ففي أي وقت يشفعون لهم على زعمهم أجيب بأنهم يريدون شفاعتهم في الدنيا في اصلاح معاشهم (قوله بما لا يعلم) المقصود نفي وجود الشريك بنفي لازمه لان علمه تعالى محيط بكل شيء فلو كان موجود العلمه الله وحيث كان غير معلوم لله وجب أن لا يكون موجودا وهذا مثل مشهور فان الانسان اذا أراد نفي شيء وقع منه يقول ما علم الله ذلك مني أي لم يحصل ذلك مني قط (قوله في السموات ولا في الارض) حال من العائد المحذوف في يعلم (قوله استفهام انكار) أي بمعنى النفي (قوله الا أمة واحدة) أي متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف (قوله من لدن آدم الى نوح الخ) ويجمع بينهما بأن عبادة الله وحده استمرت من آدم الى نوح فظهر في أمة نوح من يعبد غير الله قال تعالى في شأنهم وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية فأخذوا بالطوفان واستمر من يعبد الله وحده الى زمن ابراهيم فظهر في أمته من يعبد غير الله فأهلكوا بالبعوض واستمر من يعبد الله وحده الى أن ظهر عمرو بن لحي وهو أول من بحر البحائر وسيب السوائب في الجاهلية الى أن ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ولولا كلمة) المراد بها حكمه الازلي بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة (قوله فيما فيه يختلفون) أي في الدين الذي يختلفون بسببه (قوله بتعذيب الكافرين) متعلق بقضي (قوله هلا) أشار بذلك الى أن لولا تحضيضية (قوله آية من ربه) أي معجزة كما كان للانبياء قال تعالى حكاية عنهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية (قوله فقل انما الغيب لله) أي مختص به لا يقدر على الاتيان بشيء منه الا الله وانما لم يجابوا بعين مطلوبهم لعلمه بقاء هذه الامة وهذا الدين الى يوم القيامة وقد جرت عادته سبحانه وتعالى ان القوم الذين يطلبون الآيات اذا جاءت ولم يؤمنوا بها يعجل لهم الهلاك فعدم اجابتهم على طبق ما طلبوا رحمة بهم (قوله اني معكم من المنتظرين) أي لما يفعل بكم (قوله واذا أذقنا الناس رحمة) هذا جواب آخر عن قول أهل مكة لولا أنزل عليه آية من ربه وذلك أنه لما اشتد من أهل مكة العناد وعدم الاذعان ابتلاهم الله بالقحط سبع سنين ثم رحمهم بعد ذلك بانزال المطر والخصب فجعلوا ذلك هزوا وسخرية وأضافوا المنافع الى الاصنام وقالوا لو كان القحط بسبب ذنوبنا كما يقول محمد ما حصل لنا بعد ذلك الخصب لانا لم نتب فاذا كان كذلك فعلى تقدير أن يعطوا ما سألوا

بالاستهزاء والتكذيب (قل) لهم (الله أسرع مكرا) مجازاة (إن رسلنا) الحفظة (يكتبون ما تمكرون) بالتاء والياء (هو الذي يسيركم) وفي قراءة ينشركم (في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك) السفن (وجرين بهم) فيه التفات عن الخطاب (بريح طيبة) لينة (وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف) شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم) أي أهلكوا (دعوا الله مخلصين له الدين) الدعاء (لئن) لام قسم (أنجيتنا من هذه) الاهوال (لنكونن من الشاكرين) الموحدين (فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق) بالشرك (يا أيها الناس انما بغيكم) ظلمكم (على أنفسكم) لان اثمه عليها هو (متاع الحياة الدنيا) تتمتعون فيها قليلا (ثم الينا مرجعكم) بعد الموت (فننبئكم بما كنتم تعملون) فنجازيكم عليه وفي قراءة بنصب متاع أي تتمتعون (انما مثل) صفة (الحياة الدنيا كماء) مطر (أنزلناه من السماء فاختلط به) بسببه (نبات الارض) واشتبك بعضه ببعض (مما يأكل الناس) من البر والشعير وغيرهما (والانعام) من الكلا (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) بهجتها من النبات (وازينت) بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايا وأدغمت في الزاي (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ثمارها (أتاها أمرنا) قضاؤنا أو عذابنا (ليلا أو نهارا فجعلناها) أي زرعها (حصيدا) كالمحصود بالمناجل

من انزال ما طلبوه لا يؤمنون (قوله بالاستهزاء الخ) تفسير للمكر (قوله أسرع مكرا) أي أعجل عقوبة من سرعة مكرهم وتسمية عقوبة الله مكرا مشاكلة (قوله ان رسلنا) تعليل لاسرعية مكره وتنبيه على أن ما دبروه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير (قوله بالتاء والياء) أي لكن الاولى سبعية والثانية عشرية (قوله هو الذي يسيركم) الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر أي لا مسير لكم في البر والبحر الا هو وهذا من جملة أدلة توحيده (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا من النشر وهو البث والتفريق والمعنى يفرقكم ويبثكم في البر والبحر والرسم متقارب لكن طولت السنة الثانية وهي النون في القراءة الثانية وطولت السنة التي قبل الراء وهي الياء على القراءة الاولى (قوله في البر) أي مشاة وركبانا (قوله حتى اذا كنتم في الفلك) غاية للسير في البحر والفلك يستعمل مفردا وجمعا فحركته في المفرد كحركة قفل وحركته في الجمع كحركة بدن وهنا مستعمل في الجمع بدليل وجرين وفي آية في الفلك المشحون مستعمل مفردا (قوله فيه التفات عن الخطاب) أي الى الغيبة وحكمته زيادة التقبيح على الكفار لان شأنهم عدم شكر النعمة وأما الخطاب أولا فهو لكل شخص مسلم أو كافر بتعداد النعم عليهم (قوله بريح طيبة) أي توصل المقصود بلطف (قوله وفرحوا بها) الجملة حالية من ضمير بهم وقد مقدرة (قوله وظنوا) أي أيقنوا (قوله أي أهلكوا) أي ظنوا الهلاك لقيام الاسباب بهم (قوله مخلصين) أي غير مشركين معه شيأ من آلهتهم (قوله لئن أنجيتنا) هذا مقول لقول محذوف بيان لحصول الدعاء والتقدير قائلين وعزتك وجلالك لئن أنجيتنا (قوله من الشاكرين) أي على نعمائك الموحدين لك (قوله اذا هم يبغون) اذا للفجاءة والمعنى ففي انجاهم فاجؤا الفساد وبادروا اليه (قوله بغير الحق) اما وصف كاشف أو احترز به عن البغي بحق كاستيلاء المسلمين على الكفار وتخريب دورهم واتلاف أموالهم كما فعل رسول الله بقريظة (قوله انما بغيكم على أنفسكم) الكلام على حذف مضاف أي اثم بغيكم كما أشار له المفسر بقوله لان اثمه عليها والمعنى أن وبال بغيكم راجع لانفسكم لا يضر الله منه شئ كما لا تنفعه طاعة المطيع قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وقال العارف ماذا يضرك وهو عاص أو يفيدك وهو طائع فاشراك المشرك لا يثبت لله شريكا بل هو محض افتراء وكذب ووباله على صاحبه وتوحيد الموحد لا يثبت لله وحدة بل هي ثابتة أزلا وأبدا بل معنى وحدت ربي قامت وحدته بقلبي وامتزجت بلبي وليس المعنى أنه أثبت له وحدة لم تكن فان هذا هو الكفر بعينه وفي ذلك قال العارف

ماوحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد

(قوله متاع الحياة الدنيا) قدر المفسر هو اشارة الى أنه بالرفع خبر لمحذوف (قوله تتمتعون فيها قليلا) أي زمنا قليلا (قوله ثم الينا مرجعكم) أي لا مفر لهم من ذلك وانما امهالهم وتأخيرهم من حلمه سبحانه وتعالى (قوله فنجازيكم عليه) أي على ما عملتم من خير وشر (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله بنصب متاع) أي مفعول لفعل محذوف قدره المفسر بقوله أي تتمتعون (قوله انما مثل الحياة الدنيا) بيان لشأن الدنيا وان مدتها قصيرة والمعنى صفتها في سرعة انقضائها وكونكم متعززين بها كماء الخ (قوله كماء أنزلناه من السماء) حكمة تشبيهها بماء السماء دون ماء الارض اشارة الى أن الدنيا تأتي بلا كسب من صاحبها ولا تمان منه كماء السماء بخلاف ماء الارض فينال بالآلات (قوله وغيرهما) أي كالذرة والحمص واللوبيا والفول ونحو ذلك (قوله من الكلا) هو العشب رطبا أو يابسا (قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها) غاية لمحذوف أي ما زال ينمو ويزهو حتى الخ والمعنى حتى استوفت واستكملت الارض زخرفها من النبات وتم سرور أهلها بها أتاها أمرنا الخ (قوله بالزهر) أي أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر وغير ذلك (قوله وأدغمت في الزاي) أي بعد تسكينها وأتي بهمزة الوصل لاجل النطق بالساكن فلما دخلت الواو حذفت للاستغناء عنها (قوله متمكنون من تحصيل ثمارها) أي من أخذ ما أنبتته من ثمار وزروع وبقول (قوله أتاها أمرنا) جواب اذا (قوله كالمحصود) أي المقطوع (قوله

كأن لم تغن بالامس) أى كأن لم تكن تلك الاشجار والنباتات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الارض وهذا مثل للراغب فى زهرة الدنيا وبهجتها الراكن لها المعرض عن الآخرة فكما أن النبات الذى عظم الرجاء فيه والانتفاع به أتته المتلفات بغتة ويئس منه كذلك المتمسك بالدنيا اذا افتخر بها وتعزز بها يأتيه الموت بغتة فيسلب ما كان فيه من نعيم الدنيا ولذتها (قوله بالامس) المراد به الزمن الماضى لا خصوص اليوم الذى قبل يومك (قوله كذلك) أى كما فصلنا فى ضرب المثل (قوله نفصل الآيات لقوم يتفكرون) أى فليس هذا المثل قاصرا على شخص دون شخص بل هو عبرة لمن كان له بصيرة وتدبر فينبغى للانسان أن ينزل القرآن فى خطاباته على نفسه ويتأمل فيها ويتدبر ليأتمر بأوامره وينتهى بنواهيه (قوله والله يدعو الى دار السلام) لما ذكر سبحانه وتعالى صفة الدنيا ورغب فى الزهد فيها والتجنب لزخارفها رغب فى الآخرة ونعيمها حيث أخبر أنه بعظمته وجلاله وكبريائه يدعو الى دار السلام والسلام اسم من أسمائه تعالى ومعناه المنزه عن كل نقص المتصف بكل كمال وأضيفت الدار للسلام لانها سالمة من الآفات والكدرات كما أن معنى السلام السالم من كل نقص وقيل المراد بالسلام السلامة من الآفات والنقائص وعليه درج المفسر (قوله وهى الجنة) أشار بذلك الى أن المراد بهذا الاسم ما يشمل جميع الجنات لا خصوص المسماة بهذا الاسم من باب تسمية الكل باسم البعض وكذا يقال فى باقى دورها كدار الجلال وجنة النعيم وجنة الخلد وجنة المأوى والفردوس وجنة عدن فهذه الاسماء كما تطلق على مسمياتها يطلق كل اسم منها على جميع دورها لصدق الاسم على المسمى فى كل (قوله بالدعاء للايمان) أى فهو سبب لدخول الجنة وان كان صاحبه عاصيا فالمدار فى استحقاق الجنة على مجرد الايمان (قوله ويهدى من يشاء) أى يوصله الى السعادة الكاملة (قوله هدايته) هذا هو مفعول يشاء (قوله الى صراط مستقيم) أى طريق قويم لا اعوجاج فيه وحذف مقابل ويهدى من يشاء الخ تقديره ويضل من يشاء عنه فالضلال والهدى بيد الله يعطى أيهما شاء لمن شاء (قوله للذين أحسنوا) خبر مقدم والحسنى مبتدأ مؤخر (قوله بالايمان) أى ولو صحبه ذنوب فعصاة المؤمنين لهم الحسنى وزيادة وان كانت مراتب أهل الجنة متفاوتة فليس المنهمكون فى طاعة الله كغيرهم (قوله هى النظر اليه تعالى) هذا قول جمهور الصحابة والتابعين وقيل المراد بالزيادة رضوان الله الاكبر وقيل مضاعفة الحسنات وقيل الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة أبواب ولكن القول الاول هو الذى عليه المعول لان النظر اليه تعالى يستلزم جميع ذلك ويدل له ما ورد اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما يعطون شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد فى رواية ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة واعلم أن الناس جميعا فى الجنة ينظرون اليه سبحانه وتعالى فى مثل يوم الجمعة من الاسبوع وفى مثل يوم العيد من السنة وهذه هى الرؤية العامة لجميع أهل الجنة والخواص مراتب متفاوتة فمنهم من يراه فى كل صباح ومساء ومنهم من يراه فى مثل أوقات الصلوات الخمس ومنهم من لا يحجب عن الرؤية أبدا ما قيل ان لله رجالا لو حجبوا عن الرؤية طرفة عين لطلبوا الخروج من الجنة (قوله ولا يرهق) الجملة مستأنفة (قوله سواد) أى وغبار فأهل الجنة بيض الوجوه فى غاية من البسط والجمال فلا يعتريهم نكد ولا كدر قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة (قوله أولئك) أى المحدث عنهم بأن لهم الحسنى وزيادة (قوله هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها أبدا (قوله والذين كسبوا السيآت) شروع فى ذكر صفات أهل النار اثر ذكر صفات أهل الجنة (قوله عطف على للذين أحسنوا) أى ويكون فيه العطف على معمولى عاملين مختلفين لان الذين معطوف على الذين الاول والعامل فيه المبتدأ الذى هو الحسنى وقوله جزاء سيئة معطوف على الحسنى والعامل فيه الابتداء وهذا الوجه فيه خلاف بين النحويين ولذا حاول بعضهم اعراب الآية حتى ذكر فيه سبعة أوجه أحسنها أن قوله الذين مبتدأ أول وجزاء سيئة مبتدأ ثان وجملة خبر الثانى والثانى وخبره خبر

(كان) مخففة أى كأنها (لم تغن) تكن (بالامس كذلك نفصل) نبين (الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو الى دار السلام) أى السلامة وهى الجنة بالدعاء الى الايمان (ويهدى من يشاء) هدايته (الى صراط مستقيم) دين الاسلام (للذين أحسنوا) بالايمان (الحسنى) الجنة (وزيادة) هى النظر اليه تعالى كما فى حديث مسلم (ولا يرهق) يغشى (وجوههم قتر) سواد (ولا ذلة) كآبة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين) عطف على للذين أحسنوا أى وللذين (كسبوا السيآت) عملوا الشرك (جزاء سيئة

الاول والباء زائدة فى بدل لزيادتها قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (قوله بمثلها) أشار بذلك الى الفرق بين الحسنات والسيآت فالحسنات مضاعفة بفضل الله والسيآت جزاؤها مثلها عدلا منه سبحانه وتعالى قال صاحب الجوهرة

فالسيآت عنده بالمثل * والحسنات ضوعفت بالفضل

(قوله وترهقهم ذلة) أى يغشاهم الذل والكآبة (قوله مالهم من الله) أى من عذابه وسخطه (قوله كأنما اغشيت) أى غطيت (قوله واسكانها) أى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى على الاولى كان أجزاء الليل غطتهم ولبستهم وعلى الثانية كان جزأ من الليل غشيهم وغطى وجوههم وهذه الآية بمعنى الآية الاخرى وهى قوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة وما مشى عليه المفسر من أن القطع بالسكون الجزء هو أحد أقوال فى تفسيره وقيل هو سواد الليل وقيل هو ظلمة آخر الليل (قوله مظلما) حال من الليل (قوله أولئك) أى الموصوفون بما ذكر (قوله أصحاب النار) أى المستحقون لها (قوله هم فيها خالدون) أى ماكثون على سبيل الخلود والتأبيد (قوله ويوم نحشرهم) شروع فى ذكر مجادلة أهل الشرك مع معبوداتهم اثر بيان أصحاب النار ويوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله نصب بالزموا) أى على أنه مفعول به والمعنى الزموا هذا المكان ولا تبرحوا عنه أو ظرف بجعل الزموا بمعنى قفوا (قوله تأكيد للضمير المستتر) أى الذى هو الواو وتسميته مستترا فيه مسامحة اذ الواو من الضمائر البارزة وقد يجاب بأن المراد بالاستتار عدم الذكر بالفعل (قوله المقدر) أى الذى هو الزموا والاخبار بهذا الامر المتهديد يصدر من الله على لسان ملك لا مباشرة لقوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيامة (قوله فزيلنا) من التزييل وهو التفريق والتمييز يقال زلت الشئ من مكانه أى فرقت بينهما وميزت هذا من هذا ووزنه فعل بالتضعيف فهو من باب ذوات الياء أو فيعل وأصله زيول اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء فهو من باب ذوات الواو (قوله بينهم وبين المؤمنين) هكذا فهم المفسر وهو بعيد من سابق الكلام ولاحقه وقيل ميزنا بينهم وبين معبوداتهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا وهو الاقرب لان الكلام فيه (قوله وقال شركاؤهم) انما أضيفت الشركاء لهم لانهم اتخذوها شركاء لله فى العبادة (قوله ما كنتم ايانا تعبدون) قال مجاهد تكون فى القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا فيقولون والله ايا كم كنا نعبد فتقول الآلهة لهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين (قوله للفاصلة) أى تناسب رؤس الآى (قوله لغافلين) أى لاعلم لنا بذلك (قوله هنالك) اشارة للمكان البعيد وهو الموقف الذى يدهش العقول (قوله تبلو) أى تختبر وتعلم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا من التلاوة أى تقرأ ما أسلفته وقدمته فتجده مسطرا فى صحف الملائكة قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك أو من التلو أى تتبع وتطلب ما أسلفته من أعمالها وفى قراءة أيضا نبلو بالنون بعدها باء موحدة أى نختبر نحن وكل بالنصب مفعول به عليها وهى شاذة (قوله وردوا) أى المشركون (قوله الثابت الدائم) أى الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى غاب عنهم افتراؤهم بقولهم ر الحق فلا ينافى انهم معهم فى النار وهكذا كل من اعتمد على غير الله تعالى له هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت الآية فينبغى للانسان أن يسعى فى خلاص قلبه من الوهم الذى يلجئه الى الاعتماد على غير الله من جاه أو مال أو علم أو عمل أو غير ذلك ليرى الحق حقا والباطل باطلا فيتبع الحق ويجتنب الباطل وبهذا الامر يتبين الولى من العاصى فالولى يرى الاشياء كلها ظاهرا وباطنا من الله فهو دائما مطمئن ساكن مسلم لله فى كل ما يفعله والعاصى يعتقد ذلك بقلبه غير أن الوهم يخيل له أن لغير الله ضرا أو نفعا فيكون دائما فى تعب ونصب وقد أشار العارف لذلك بقوله

وما الخلق فى التمثال الا كثلجة * وانت بها الماء الذى هو نابع

بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من) زائدة (عاصم) مانع (كأنما أغشيت) ألبست (وجوههم قطعا) بفتح الطاء جمع قطعة واسكانها أى جزأ (من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون و) اذكر (يوم نحشرهم) أى الخلق (جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) نصب بالزموا مقدرا (أنتم) تأكيد للضمير المستتر فى الفعل المقدر ليعطف عليه (وشركاؤكم) أى الاصنام (فزيلنا) ميزنا (بينهم) وبين المؤمنين كما فى آية وامتازوا اليوم أيها المجرمون (وقال) لهم (شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان) مخففة أى انا (كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك) أى ذلك اليوم (تبلو) من البلوى وفى قراءة بتاءين من التلاوة (كل نفس ما أسلفت) قدمت من العمل (وردوا الى الله مولاهم الحق) الثابت الدائم (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) عليه من الشركاء

(قل) لهم (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أمن يملك السمع) بمعنى الأسماع أي خلقها (والابصار) ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر) بين الخلائق (فسيقولون) هو (الله فقل) لهم (أفلا تتقون) ـه فتؤمنون (فذلكم) الفعال لهذه الاشياء (الله ربكم الحق) الثابت (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام تقرير أي ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال (فأنى) كيف (تصرفون) عن الايمان مع قيام البرهان (كذلك) كما صرف هؤلاء عن الايمان (حقت كلمة ربك على الذين فسقوا) كفروا وهي لاملأن جهنم الآية أوهي (أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون) تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق) بنصب الحجج وخلق الاهتداء (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق) وهو (أحق أن يتبع أمن لا يهدي) يهتدي (الا أن يهدى) أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أي الاول أحق (فما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه (وما يتبع أكثرهم) في عبادة الاصنام (الا ظنا)

فذو الكشف لم يشهد سوى الماء وحده * تبدى بوصف الثلج من غير انتفاء
ومن حجبته صورة الثلج جاهل * تغطى عليه الامر من لمع أضواء

(قوله قل لهم من يرزقكم الخ) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقيم الحجة على المشركين ويبطل ما هم عليه من الاشراك بأسئلة ثمانية أجاب المشركون عن الخمسة الاولى وأجاب رسول الله عن الاثنين بعدها بتعليم الله وجواب الاخير لم يذكر للعلم به وقد صرح به المفسر (قوله من السماء والارض) أي رزقا مبتدأ من السماء والارض (قوله بالمطر) أي فهو سبب لاخراج نبات الارض فصح كون الرزق من السماء (قوله أمن يملك السمع) أي يخلقه ويحفظه من الآفات في كل لحظة اذ هو معرض للزوال لولا حفظ الله له ما ثبت (قوله بمعنى الاسماع) انما قال ذلك ليوافق الابصار (قوله والابصار) جمع بصر والمعنى أن الله تعالى هو الخالق للابصار الواضع للنور فيها الذي به الابصار وهو الحافظ له (قوله ومن يخرج الحي من الميت الخ) تقدم ان المراد بالحي الانسان والطير وبالميت النطفة والبيضة (قوله ومن يدبر الامر) عطف عام على خاص لان تدبير الامر عام في كل شئ (قوله فسيقولون الله) أي جوابا لما تقدم (قوله أفلا تتقون) أي أتدومون على الشرك فلا تتقونه ويؤخذ من هذا ان المعرفة ليست هي الايمان اذ لو كانت هي الايمان لكان اقرارهم بأن الله هو الفعال لهذه الاشياء توحيدا وايمانا بل الايمان هو حديث النفس التابع للمعرفة أي قول النفس آمنت وصدقت على التحقيق (قوله الثابت) أي الذي لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله استفهام تقرير) المناسب انكار بدليل قوله أي قوله أي ليس بعده غيره (قوله وقع في الضلال) أي الباطل وهو الشرك لانه لا واسطة بين الحق والباطل (قوله فأنى تصرفون) أي تمنعون وهو استفهام تعجبي (قوله كذلك) الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف والتقدير مثل صرفهم عن الحق بعد الاقرار به حقت الخ (قوله وهي لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي فالمراد نفاذ القضاء والقدر بأن جهنم تمتلئ من الجن والانس حتى تقول قط قط (قوله أوهي أنهم لا يؤمنون) أو لتنويع الخلاف أي فالمراد بكلمة الله على هذا القول نفوذ قضاء الله وقدره بعدم ايمانهم (قوله قل هل من شركائكم الخ) هذا هو السؤال السادس (قوله من يبدأ) أي ينشئ الخلق من العدم (قوله ثم يعيده) أي الخلق في القيامة للحساب والجزاء وانما لم يجيبوا عن هذا السؤال وتولى الله الجواب عنه لانهم منكرون للبعث فلو أجابوا لكان ذلك اقرارا منهم بالبعث وصح أن يكون حجة عليهم لقيام الادلة والبراهين عليه فلا يستطيعون أن ينازعوا في ذلك (قوله قل هل من شركائكم) هذا هو السؤال السابع والمعنى هل من شركائكم من يقيم الحجج ويرسل الرسل ويوفق العبيد لرشادهم ولما لم يكونوا مسلمين ذلك تولى الله جوابه أيضا (قوله قل الله يهدي للحق) أي فهو أحق بالاتباع لا هذه الاصنام التي لا تهتدي بنفسها (قوله أفمن يهدي الى الحق) هذا هو السؤال الثامن وقد ذكر المفسر جوابه بقوله الاول أحق (قوله أحق أن يتبع) خبر قوله أفمن يهدي والمعنى أفمن يهدي الى الحق حقيق بالاتباع أم من لا يهدي اليه (قوله أم من لا يهدي) أصله يهتدي نقلت فتحة التاء الى الهاء وأبدلت التاء دالا وأدغمت في الدال ويهدي بفتح الهاء وكسرها وبكسر الياء والهاء معا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية فكسر الهاء للتخلص من التقاء الساكنين وكسر الياء اتباعا لكسر الهاء (قوله الا أن يهدى) استثناء من أعم الاحوال والمعنى لا يهتدي في حال من الاحوال الا في حال اهداء الغير اياه ومعنى هداية الاصنام كونها تنتقل من مكان لآخر فالمعنى لا تنتقل من مكان لآخر الا أن تحمل وتنقل وهذا ظاهر في الاصنام وأما مثل عيسى والعزير فمعنى لا يهدي لا يخلق الهدى لا في نفسه ولا في غيره فالخلق كلهم عاجزون اذ لا يملكون لانفسهم شيأ فضلا عن غيرهم (قوله فما لكم) أي أي شئ ثبت لكم في هذه الحالة (قوله كيف تحكمون) أي بالباطل وتجعلون لله شركاء (قوله وما يتبع أكثرهم) يفيد أن الاقل يعرفون أن الله منزه عن كل نقص متصف بكل كمال غير أنهم يكفرون عنادا

(قوله حيث قلدوا فيه آباءهم) أي فقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون (قوله ان الظن لا يغني من الحق شيأ) المراد بالظن خلاف التحقيق فيشمل الشك والوهم وهذا الكلام في حق الكفار الذين اتبعوا غيرهم في الكفر وقلدوهم فيه فلا عذر لهم في التقليد دنيا ولا أخرى وأما المؤمن المخلص الذي امتلا قلبه بالايمان حيث عجز عن قيام الادلة على التوحيد وقلد العارف فيه فليس من هذا القبيل بل هو مؤمن جزما لانه ليس عنده ظن بل جزم مطابق للواقع وربما ان دام على الصدق ومتابعة من يقلده يرتقي في التوحيد الى مقام أعلى وأجل من مقام من قلده وأما القول بأنه كافر فاغما يعرف لابي هاشم الجبائي من المعتزلة فلا يعول عليه (قوله ان الله عليم بما يفعلون) هذا تهديد لهم على ما وقع منهم من الافعال الشنيعة والاحوال القبيحة (قوله وما كان هذا القرآن) المقصود من هذا الكلام الرد على من كذب بالقرآن وزعم انه ليس من عند الله والمعنى لا ينبغي لهذا القرآن أن يختلق ويفتعل لان تراكيبه الحسنة أعجزت العالمين وذلك لان حسن الكلام على حسب سعة علم المتكلم واطلاعه ولا أحد أعلم من رب العالمين فلذلك أعجز الخلائق جميعا لكونه في أعلى طبقات البلاغة ولذلك قال صاحب الهمزية

أعجز الانس آية منه والجـ ـن فهلا تأتي به البلغاء

الى ان قال

سور منه أشبهت صورا منـ ـا ومثل النظائر النظراء

(قوله أي افتراء) أشار بذلك الى ان خبر كان ان وما دخلت عليه في تأويل مصدر (قوله ولكن تصديق الذي بين يديه) هذا الاستدراك وقع أحسن موقع لانه وقع بين نقيضين الكذب والصدق وتصديق بالنصب خبر لكان مقدرة والتقدير ولكن كان تصديق الخ أو مفعول لاجله بفعل محذوف قدره المفسر بقوله أنزل وتصديق بمعنى مصدق أو بولغ فيه حتى جعل نفس التصديق على حد زيد عدل وكذا يقال في قوله وتفصيل الكتاب (قوله من الكتب) أي السماوية المنزلة على الانبياء (قوله وتفصيل الكتاب) أي مفصل لما في الكتاب وهو اللوح المحفوظ فالقرآن مفصل لما كتب في اللوح المحفوظ من علم ما كان وما يكون وما هو كائن في الدنيا والآخرة فمن أعطى شيأ من أسرار القرآن فلا يحتاج للاطلاع على اللوح المحفوظ بل يأخذ منه ما أراده (قوله وغيرها) أي من المغيبات (قوله لا ريب فيه) حال من التصديق والتفصيل وهذا هو الاظهر (قوله متعلق بتصديق أو بأنزل) أي ويكون قوله لا ريب فيه معترضا بين المتعلق والمتعلق (قوله وقرئ) أي شاذا (قوله أم يقولون افتراه) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والمعنى انهم أصروا على تلك المقالة ولم يذعنوا للحق (قوله اختلقه محمد) أي افتعله وليس من عند الله (قوله قل فأتوا بسورة) هذا تبكيت لمقالتهم الفاسدة وهو جواب شرط مقدر والتقدير ان كان الامر كما تزعمون فأتوا بسورة مثله واعلم ان مراتب تحدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن أربعة أولها أنه تحداهم بجميع القرآن قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثانيها أنه تحداهم بعشر سور قال تعالى قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ثالثها أنه تحداهم بسورة واحدة قال تعالى قل فأتوا بسورة مثله رابعها أنه تحداهم بحديث مثله كما قال تعالى فليأتوا بحديث مثله (قوله من استطعتم من دون الله) أي من آلهتكم وغيرها من جميع المخلوقات (قوله ان كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه أي فأتوا بسورة وادعوا الخ (قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أي بفهم ألفاظه ومعانيه المخلصة فتكذيبهم لعدم فهمهم معناه وجهلهم بفضله ففي المثل من جهل شيأ عاداه وقال البوصيري

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ٭ وينكر الفم طعم الماء من سقم

(قوله ولما يأتهم تأويله) أي لم ينزل بهم الوعيد فيحملهم على التصديق قهرا فتكذيبهم لامرين جهلهم بفضله وعدم اتيان الوعيد لهم (قوله من الوعيد) أي وهو العذاب الموعود به (قوله كذلك التكذيب) أشار بذلك الى أن الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك التكذيب

حيث قلدوا فيه آباءهم (ان الظن لا يغني من الحق شيأ) فيما المطلوب منه العلم (ان الله عليم بما يفعلون) فيجازيهم عليه (وما كان هذا القرآن أن يفترى) أي افتراء (من دون الله) أي غيره (ولكن) أنزل (تصديق الذي بين يديه) من الكتب (وتفصيل الكتاب) تبيين ما كتبه الله من الاحكام وغيرها (لا ريب) شك (فيه من رب العالمين) متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرئ برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو (أم) بل (يقولون افتراه) اختلقه محمد (قل فأتوا بسورة مثله) في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فانكم عربيون فصحاء مثلي (وادعوا) للاعانة عليه (من استطعتم من دون الله) أي غيره (ان كنتم صادقين) في أنه افتراه فلم تقدروا على ذلك قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أي القرآن ولم يتدبروه (ولما) لم (يأتهم تأويله) عاقبة ما فيه من الوعيد (كذلك) التكذيب (كذب الذين من قبلهم) رسلهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك

كذبوا

كذبوا رسلهم (قوله فمكنا لك من إهلاك هؤلاء) أي بأن نسلطكم عليهم فتقتلوهم وليس المراد الهلاك العام بالخسف والمسخ مثلا فان ذلك مرفوع ببركته صلى الله عليه وسلم (قوله ومنهم) أي من أهل مكة المكذبين (قوله من يؤمن به) أي في المستقبل والمعنى ان أهل مكة المكذبين للقرآن اقتسموا قسمين قسم آمن بعد وقسم لم يؤمن (قوله وان كذبوك) أي داموا على تكذيبك (قوله أي لكل جزاء عمله) أي جزاء ما عمله من خير أو شر (قوله وهذا منسوخ بآية السيف) أي فبعد نزولها لم يقل ذلك وفيه أن شرط الناسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية ثابت لم ترفعه آية السيف اذ مدلول هذه الآية اختصاص كل بعمله وبراءة كل من عمل الآخر وهذا حاصل مطلقا فالوجه أنه لا نسخ في هذه الآية (قوله ومنهم من يستمعون اليك) أي من كفار مكة المكذبين للقرآن فريق يصغون الى قراءتك بآذانهم ولم يذعنوا بقلوبهم فلا تطمع في ايمانهم لوجود الختم على قلوبهم فلا يفقهوا الحق ولا يتبعوه وفي هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لا تحزن على عدم ايمانهم فانك لا تقدر أن تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون (قوله أفأنت تسمع الصم) الاستفهام انكاري بمعنى النفي والمعنى أنت لا تقدر أن تسمع من سلبه الله السمع (قوله شبههم) أي الكفار وقوله بهم أي بالصم وقوله في عدم الانتفاع هذا هو وجه الشبه أي فكما أن معدوم السمع لا ينتفع بالاصوات فكذلك الكفار لا ينتفعون بسماع القرآن لوجود الحجاب على قلوبهم (قوله ولو كانوا لا يعقلون) أي ولو كان مع الصمم عدم العقل وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وجملة الشرط معطوفة على محذوف تقديره أأنت تسمع الصم ان عقلوا بل ولو كانوا لا يعقلون فأنت لا تسمعهم فيكون المعنى أنت لا تسمع الصم عقلوا أو لم يعقلوا فهم كالأنعام بل هم أضل (قوله ومنهم من ينظر اليك) أي يبصرك بعينه (قوله أفأنت تهدي العمي) يقال فيه ما قيل فيما قبله (قوله ولو كانوا لا يبصرون) أي لا يتأملون ولا يتفكرون بقلوبهم فيما جئت به من الدلائل العظيمة والشمائل الفخيمة والمعنى أنت لا تهدي عمي القلوب أبصروا أو لم يبصروا (قوله بل أعظم) أي لانهم عدموا البصيرة والمشبه بهم عدموا البصر وفقد البصيرة أعظم في الضرر من فقد البصر (قوله ان الله لا يظلم الناس شيأ) هذه الآية سيقت لدفع توهم أن الله حيث سلبهم العقل والسمع والبصر فتعذيبهم على عدم الهدى ظلم فدفع ذلك بان الظلم هو التصرف في ملك الغير ولا ملك لاحد معه سبحانه وتعالى فتقديره الشقاوة على أهل اليأس لا ظلم منه لانه هو المالك الحقيقي وهو يتصرف في ملكه كيف يشاء (قوله ولكن الناس أنفسهم يظلمون) انما قال ذلك لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب الاختياري فالله سبحانه وتعالى يعذب الشقي على ما اقترفه بالنظر للكسب الاختياري فان قيل هو الخالق لذلك الكسب يقال لا يسئل عما يفعل (قوله ويوم نحشرهم) أي نجمعهم للحساب والضمير عائد على المشركين المنكرين للبعث والمعنى ويوم نجمع المشركين في القيامة ويعرف بعضهم بعضا حال كونهم في وقت حشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا زمنا قليلا من النهار (قوله لهول ما رأوا) أي فبسبب ذلك يعد الزمن السابق عليه يسيرا وان كان في نفسه طويلا (قوله حال من الضمير) أي في نحشرهم (قوله اذا بعثوا) دفع بذلك ما يقال ان هذا معارض لقوله فلا أنساب بينهم وحاصل الجواب أنهم يتعارفون أولا فاذا اشتد الهول نسي بعضهم بعضا (قوله والجملة حال) أي من الواو في يلبثوا أو من الضمير في نحشرهم وعلى هذا فالظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر (قوله أو متعلق الظرف) أي فهو معمول له والتقدير يتعارفون وقت حشرهم (قوله قد خسر الذين كذبوا) هذا اخبار من الله بحالهم الشنيع (قوله وما كانوا مهتدين) معطوف على جملة قد خسر والمعنى وما كانوا واصلين للجنة أبدا (قوله واما نرينك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لا تحزن فاما نرينك عقوبتهم في حياتك أو نؤخرهم الى يوم القيامة فهم لا يفلتون من عذابنا على كل حال فاصبر ولا تضق فان الامر لنا فيهم (قوله فذاك) أي هو المراد وقد حصل ذلك بأن بلغ الله نبيه الآمال فيمن عاداه بسبب تسليمه الامر فيهم لمالكهم وهكذا يفعل الله بالظالم اذا سلم المظلوم أمره لسيده ولم يعترض على أفعاله وصبر على أحكامه فمن هنا ينال رضا الله ويظفر بمطلوبه

(ومنهم) أي أهل مكة (من يؤمن به) لعلم الله ذلك منه (ومنهم من لا يؤمن به) أبدا (وربك أعلم بالمفسدين) تهديد لهم (وان كذبوك فقل) لهم (لي عملي ولكم عملكم) أي لكل جزاء عمله (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وهذا منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن (أفأنت تسمع الصم) شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم (ولو كانوا) مع الصمم (لا يعقلون) يتدبرون (ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) شبههم بهم في عدم الاهتداء بل أعظم فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم نحشرهم كأن) أي كأنهم (لم يلبثوا) في الدنيا أو القبور (الا ساعة من النهار) لهول ما رأوا وجملة التشبيه حال من الضمير (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) بالبعث (وما كانوا مهتدين واما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما المزيدة (نرينك بعض الذي نعدهم) به من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف أي فذاك (أو نتوفينك) قبل تعذيبهم

(فالينا مرجعهم ثم الله شهيد) مطلع (على ما يفعلون) من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب (ولكل أمة) من الأمم (رسول فاذا جاء رسولهم) اليهم فكذبوه (قضى بينهم بالقسط) بالعدل فيعذبوا وينجى الرسول ومن صدقه (وهم لا يظلمون) بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب (ان كنتم صادقين) فيه (قل لا أملك لنفسي ضرا) أدفعه (ولا نفعا) أجلبه (الا ما شاء الله) ان يقدرني عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب (لكل أمة أجل) مدة معلومة لهلاكهم (اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون) يتأخرون عنه (ساعة ولا يستقدمون) يتقدمون عليه (قل أرأيتم) أخبروني (ان أتاكم عذابه) أي الله (بياتا) ليلا (أو نهارا ماذا) أي شيء (يستعجل منه) أي العذاب (المجرمون) المشركون فيه وضع الظاهر موضع المضمر وجملة الاستفهام جواب الشرط كقولك اذا أتيتك ماذا تعطيني والمراد به التهويل أي ما أعظم ما استعجلوه (أثم اذا ما وقع) حل بكم (آمنتم به) أي الله أو العذاب عند نزوله والهمزة لانكار التأخير فلا يقبل منكم ويقال لكم (آلآن) تؤمنون (وقد كنتم به تستعجلون) استهزاء (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد) أي الذي تخلدون فيه (هل) ما (تجزون الا) جزاء (بما كنتم تكسبون ويستنبئونك) يستخبرونك (أحق هو) مبتدأ أي ما وعدتنا به من العذاب والبعث (قل اي) نعم (وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين)

من ظالمه وفي هذا المعنى قلت

أرح قلبك العاني وسلم له القضا * تفز بالرضا فالاصل لا يتحول
علامة أهل الله فينا ثلاثة * ايمان وتسليم وصبر مجمل

(قوله فالينا مرجعهم) هذا هو جواب الشرط (قوله ثم الله شهيد) ثم لترتيب الاخبار لا للترتيب الزماني (قوله رسول) أي أرسله الله لهم (قوله فكذبوه) قدره اشارة الى أن قوله قضى بينهم بالقسط مرتب على محذوف لا على قوله فاذا جاء رسولهم (قوله وهم لا يظلمون) أي لان تعذيبهم بسبب كسبهم لما تقدم ان الرحمة قد تأتي من غير سابقة تقتضيها وأما العذاب فلابد وأن يكون بسبب عمل يقتضيه (قوله ويقولون) أي كفار مكة (قوله متى هذا الوعد) أي الذي تعدنا به وهذا القول منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية (قوله ان كنتم صادقين) خطاب للنبي والمؤمنين (قوله قل لا أملك لنفسي ضرا الخ) أي لا أستطيع أن أدفع الضر عن نفسي ان أراد الله نزوله بي ولا أستطيع جلب نفع أراد الله منعه عني (قوله الا ما شاء الله) يحتمل أن يكون متصلا والتقدير الا ما شاء ان أملكه وأقدر عليه أو منقطعا والتقدير لكن ما شاء الله من ذلك فاني أملك لكم الضر وأجلب العذاب (قوله لكل أمة أجل) هذا من جملة ما أجابهم به والمعنى حيث كان لكل أمة أجل محدود لا تتعداه فلا معنى لاستعجالكم العذاب (قوله يتأخرون الخ) أشار بذلك الى أن السين في يستأخرون ويستقدمون زائدة والمعنى انه اذا جاء الاجل الذي قدره الله لكل أمة فلا يتأخرون عنه ولا يتقدمون عليه ان لم يجيء. ان قلت ورد ان الصدقة تزيد في العمر فالجواب ان المراد بالزيادة البركة لان الاجل الذي سبق في علم الله لا يتغير (قوله قل أرأيتم) أي قل للذين يستعجلون العذاب (قوله موضع المضمر) أي وهو الواو التي مع تاء المخاطب والتقدير ماذا تستعجلون وعدل عنه لاجل الوصف بالاجرام تبكيتا عليهم (قوله وجملة الاستفهام جواب الشرط) أي على تقدير الفاء لان الجملة اسمية (قوله والمراد به) أي بالاستفهام (قوله لانكار التأخير) أي المستفاد من ثم والتقدير أأخرتم ثم آمنتم به اذا وقع والمعنى لا ينبغي هذا التأخير لان الايمان في هذه الحالة غير نافع (قوله آلآن) منصوب على الظرفية والعامل فيه محذوف قدره المفسر بقوله تؤمنون والفعل المقدر ومعموله على اضمار القول وهو يقال لكم وآلآن بهمزتين الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة أل المعرفة فاذا اجتمع هاتان الهمزتان وجب في الثانية اما تسهيلها أو مدها بقدر ثلاث ألفات وهما قراءتان سبعيتان وقد وقع ذلك في القرآن في ستة مواضع اثنان في الانعام آلذكرين مرتين وثلاثة في هذه السورة آلآن مرتين وآلله أذن لكم وواحد في النمل آلله خير وأما تحقيق الهمزتين فلا يجوز (قوله وقد كنتم به تستعجلون) الجملة حالية من فاعل آمنتم (قوله استهزاء) أي تستعجلون على سبيل الاستهزاء (قوله ثم قيل للذين ظلموا) اخبار عما يقع لهم في القيامة (قوله هل تجزون) الواو نائب الفاعل مفعول أول وقوله بما كنتم تكسبون مفعول ثان وقوله الا جزاء مفعول مطلق لتجزون والمعنى لا تجزون الا الجزاء الذي كنتم تكسبونه من الكفر والتكذيب (قوله ويستنبئونك) السين والتاء للطلب والمعنى يسألونك أن تخبرهم عما وعدتهم به من العذاب أحق هو الخ ويستنبئونك فعل مضارع والواو فاعل والكاف مفعول أول وجملة أحق هو في محل المفعول الثاني وحق مبتدأ وهو خبر أو بالعكس أو هو فاعل بحق أغنى عن الخبر والشرط موجود وهو اعتماد المبتدا على الاستفهام (قوله قل أي وربي الخ) هذا أمر من الله لرسوله بان يجيبهم بثلاثة أشياء أي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين (قوله نعم) أشار المفسر بذلك الى أن اي من أحرف الجواب ولكنها مختصة بالقسم لا تستعمل في غيره ومنه قول الناس اي والله وقولهم ايوه فالواو للقسم والهاء مأخوذة من الله ويحتمل ان الهاء للسكت والمقسم به محذوف للعلم به تقديره اي والله وهذا هو الاقرب لان تقطيع اسم الجلالة غير لائق (قوله انه لحق) جواب القسم (قوله وما أنتم بمعجزين) يصح أن يكون معطوفا على أي فيكون من جملة مقول القول ويصح أن يكون جملة مستأنفة خطابا من الله لهم وليس من جملة مقول القول وما يحتمل انها حجازية فاسمها الضمير وبمعجزين خبرها أو تميمية وما بعدها

مبتدأ أو خبر (قوله بفائتين العذاب) أي فارين منه بل هو مدرككم لا محالة (قوله ولو أن لكل نفس ظلمت الخ) المعنى امتنع افتداء كل نفس من العذاب لامتناع ملكها ما تفتدي به وهو جميع ما في الارض (قوله كفرت) أي وماتت على كفرها (قوله لافتدت به) أي لجعلته فداء لها من العذاب لكنه لا يحصل ذلك (قوله وأسروا الندامة) الضمير عائد على الرؤساء والاسرار على حقيقته والمعنى أن الرؤساء حين يروا العذاب يخفون الندامة خوف التعيير وهذا ما مشى عليه المفسر وقيل ان أسروا بمعنى أظهروا من تسمية الاضداد ولعل هذا هو الاقرب قال تعالى أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله الآية (قوله لما رأوا العذاب) ظرف لاسروا بمعنى حين أو شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله مخافة التعيير) أي التوبيخ الواقع من الاتباع لهم (قوله بين الخلائق) أي فيقضي للمسلمين بالجنة وللكفار بالنار ويصح أن يكون المعنى بين الظالمين والمظلومين (قوله العدل) أي وهو عدم الجور والظلم (قوله ألا) أداة تنبيه يؤتى بها لاعتناء بما بعدها ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أن كل نفس كافرة تتمنى أنها لو تملك ما في الارض لافتدت به بين هنا أنه لا يمكن ذلك لعدم ملكها فان لله ما في السموات والارض (قوله ألا ان وعد الله حق) أي لا محيص عنه بل هو واقع ولا بد (قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي لقصور عقولهم بسبب استيلاء الغفلة عليهم فينكرون ذلك والتعبير بالاكثر اشارة الى أن الاقل يعلم ذلك وهو واحد من الف لما تقدم في الحديث يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك فيخرج من كل ألف واحد للجنة والباقي للنار (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أي خيرها وشرها (قوله أي أهل مكة) أشار بذلك الى أن الخطاب لهم ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله موعظة) مصدر وعظ بمعنى ذكر وأرشد لما ينفع من محاسن الاعمال وازجر عما يضر من قبائحها (قوله من ربكم) صفة لموعظة وفي هذا تنزل من الله لعباده كأن الله يقول الفناء في الآخرة لا ينفع وأما في الدنيا فذلك نافع (قوله وشفاء لما في الصدور) المراد بها القلوب من باب تسمية الحال باسم المحل والمعنى أن القرآن مذكر وواعظ وبه الشفاء لما في القلوب من الحقد والحسد والبغض والعقائد الفاسدة (قوله وهدى) أي نور يقذف في قلوب الكاملين يميزون به بين الحق والباطل وفي هذه الآية اشارة الى الشريعة والطريقة والحقيقة فأشار للشريعة بقوله موعظة من ربكم لان الشريعة بها تطهير الظواهر وأشار للطريقة بقوله وشفاء لما في الصدور لان الطريقة بها تطهير البواطن عن كل ما لا ينبغي وأشار للحقيقة بقوله وهدى ورحمة للمؤمنين لان بالحقيقة التحلي بالانوار الساطعة في القلوب التي يرى بها الاشياء على ما هي عليه عيانا فعند ذلك يرى الله في كل شئ وأقرب اليه من كل شئ علما وذوقا لا علما يقينيا فالحقيقة ثمرة الطريقة لا تحصل الا بعد التخلق بالطريقة والشريعة ولذا قيل حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة (قوله قل بفضل الله الخ) متعلق بمحذوف دل عليه ما بعده والاصل ليفرحوا بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة الحصر ثم دخلت الفاء لافادة السببية والمعنى أن من اتصف بهذه الصفات المتقدمة فينبغي له أن يفرح ويشكر ما أنعم الله به عليه ويجود بروحه وجسمه في خدمة ربه ولا يتوانى فمن قذف الله في قلبه نور حكمته فالواجب عليه افناء جسمه في خدمته كي يتم له ذلك النور ويزداد السرور وهذه المحبة هي التي يعبر عنها العارفون بالخمرة والشراب والخيالات بها السكر والفناء عما سوى الله تعالى قال العارف رضي الله عنه

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ※ سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقال العارف

ولا تنظر لجسمي يا عذولي ※ فان الجسم مطوي بلاه

ولا تنكر شرابي حين آتي ※ فان القلب مجبور بسقاه

قال العارف مرخصا لهذه الخمرة

فذلك خمر الشهود باطني ※ لا خمرة الكرم والدنان

ومن ذلك المعنى قوله تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا فالمعنى فيه فسأل الله

بفائتين العذاب (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت (ما في الارض) جميعا من الاموال (لافتدت به) من العذاب يوم القيامة (وأسروا الندامة) على ترك الايمان (لما رأوا العذاب) أي أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير (وقضي بينهم) بين الخلائق (بالقسط) بالعدل (وهم لا يظلمون) شيأ (ألا ان لله ما في السموات والارض ألا ان وعد الله) بالبعث والجزاء (حق) ثابت (ولكن أكثرهم) أي الناس (لا يعلمون) ذلك (هو يحيي ويميت واليه ترجعون) في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم (يا أيها الناس) أي أهل مكة (قد جاءتكم موعظة من ربكم) كتاب فيه ما لكم وعليكم وهو القرآن (وشفاء) دواء (لما في الصدور) من العقائد الفاسدة والشكوك (وهدى) من الضلال (ورحمة للمؤمنين) به (قل بفضل الله) الاسلام (وبرحمته) القرآن (فبذلك) الفضل والرحمة (فليفرحوا)

سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل محبته وأن يحشرنا في زمرة أهل قربه ومودته (قوله هو خير مما يجمعون) أي من الدنيا وزخارفها وأبهمها اشارة الى أنها خسيسة لا تساوي جناح بعوضة (قوله بالياء والتاء) راجع لقوله يجمعون وأما فليفرحوا فالتاء عشرية والياء سبعية (قوله قل أرأيتم) أشار المفسر الى أن أرأيتم بمعنى أخبروني وحينئذ فتنصب مفعولين الاول الموصول وصلته والثاني جملة آلله أذن لكم وقل تأكيد للاولى وليست من جملة المفعول الثاني (قوله كالبحيرة والسائبة) مثالان للحرام وتقدم ان البحائر والسوائب نعم يوقفونها على الاصنام يحرمون ظهورها ونتاجها وألبانها ولحومها وقوله والميتة مثال للحلال (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله أم بل) أشار المفسر الى أنها منقطعة بمعنى بل ويصح أن تكون متصلة معادلة للهمزة والمعنى أخبروني أحصل اذن من الله لكم أم ذلك افتراء منكم وكذب فهو استفهام لطلب التعيين وهو الاولى (قوله وما ظن الذين) ما اسم استفهام مبتدأ وظن خبره ويوم ظرف متعلق بظن والمعنى أي شئ ظنهم بالله يوم القيامة (قوله أيحسبون الخ) قدر المفسر هذه الجملة اشارة الى أن مفعولي الظن محذوفان وهذه الجملة سدت مسدهما (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري أي لا ينبغي هذا الظن ولا يليق ولا ينفع وأما قوله في الحديث أنا عند ظن عبدي بي فذلك في حق المؤمن فظن الخير بالله ينفع المؤمن وأما الكافر فلا ينفعه ذلك ما دام على كفره (قوله لذو فضل على الناس) أي الطائع منهم والعاصي وذلك في الدنيا فنعم الدنيا ليست تابعة للتقوى بل هي ثابتة بالقسمة الازلية للمؤمن والكافر (قوله بامهالهم) أي تأخير عذابهم (قوله والانعام عليهم) أي بأنواع النعم كالعقل والسمع والبصر وغير ذلك (قوله لا يشكرون) أي لا يصرفون النعم في مصارفها وحينئذ فلا تنفعهم تلك النعم الا اذا صحبها الايمان والشكر فان عدموا الايمان صارت النعم نقما وقوله ولكن أكثرهم يفيد ان القليل هو الشاكر وهو كذلك قال تعالى وقليل من عبادي الشكور (قوله وما تتلو منه) الضمير اما عائد على الشأن أو على الله كما قال المفسر فعلى الاول تكون من للتعليل وعلى الثاني تكون ابتدائية وقوله من قرآن من صلة والمعنى وما تتلو من أجل هذا الشأن قرآنا أو وما تتلو قرآنا مبتدأ أو صادرا من الله (قوله الا كنا عليكم شهودا) استثناء من أعم الاحوال والمعنى ما تتلبسون بشئ من هذه الثلاثة في حال من الاحوال الا في حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذا علمت ذلك فكان المناسب للمفسر أن يعيد الضمير في فيه لكل من الثلاثة وقد يجاب بأنه أعاده على العمل لعمومه وشموله لباقي الثلاثة (قوله اذ تفيضون) ظرف لقوله شهودا (قوله وما يعزب) بضم الزاي وكسرها قراءتان سبعيتان (قوله عن ربك) أي عن علمه (قوله أصغر نملة) وقيل هو الهباء وقيل أصغر بعوضة (قوله في الارض ولا في السماء) أي في سائر الموجودات وعبر عنه بالسماء والارض لمشاهدة الخلق لهما واعلم ان عالم الملك ما يشاهده الخلق كالارض وما تحته وما ظهر من السماء وعالم الملكوت ما لا يشاهد كما فوق السماء من العرش والكرسي والملائكة وغير ذلك وعالم الجبروت هو عالم الاسرار وعالم العزة هو ما استأثر الله بعلمه كعلم ذاته وصفاته ومراداته (قوله ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان فالرفع اما على الابتداء والخبر أو على أن لا عاملة عمل ليس والخبر على كلا الاعرابين قوله الا في كتاب مبين فتكون الجملة مستأنفة منقطعة عما قبلها والنصب على أنها عاملة عمل ان لان أصغر وأكبر شبيهان بالمضاف تعلق بهما شئ من تمام معناهما وهو العمل في الجار والمجرور وهاتان القراءتان هنا فقط وأما في سبأ فبالرفع باتفاق السبعة (قوله الا في كتاب مبين) الاستثناء منقطع والمعنى لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فهو استدراك على ما توهم نفيه لان قوله لا يعزب عن ربك الخ ربما يتوهم منه انه لم يحط بها غير علم الله فدفع ذلك بقوله الا في كتاب مبين أي لكن جميع الاشياء مثبتة في كتاب مبين أيضا ولا يصح أن يكون متصلا لانه يصير المعنى لا يغيب عن علمه شئ في حال من الاحوال الا في حال كونه مثبتا في كتاب مبين فيغيب فيفيد أن ما في الكتاب المبين غائب عن علم الله وذلك باطل وهذا الاشكال لا يرد الا على جعل قوله ولا أصغر ولا أكبر معطوفا

هو خير مما يجمعون) من الدنيا بالياء والتاء (قل أرأيتم) أخبروني (ما أنزل الله) خلق (لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا) كالبحيرة والسائبة والميتة (قل آلله أذن لكم) في ذلك التحريم والتحليل لا (أم) بل (على الله تفترون) تكذبون بنسبة ذلك اليه (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) أي أي شئ ظنهم به (يوم القيامة) أيحسبون أنه لا يعاقبهم لا (ان الله لذو فضل على الناس) بامهالهم والانعام عليهم (ولكن أكثرهم لا يشكرون وما تكون) يا محمد (في شأن) أمر (وما تتلو منه) أي من الشأن أو الله (من قرآن) أنزله عليك (ولا تعملون) خاطبه وأمته (من عمل الا كنا عليكم شهودا) رقباء (اذ تفيضون) تأخذون (فيه) أي العمل (وما يعزب) يغيب (عن ربك من مثقال) وزن (ذرة) أصغر نملة (في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر

على مثقال وأما ان جعل مستأنفا كما تقرر فلا يرد الاشكال فتأمل (قوله الا) أداة تنبيه يؤتى بها لتنبيه السامع لما يعدها ولو يعتنى به لعظمه (قوله أولياء الله) جمع ولى من الولاء وهو العز والنصر سموا بذلك لانهم هم المنصورون بالله المعززون به لا يطمعون في شئ سوى القرب منه وولى فعيل اما بمعنى فاعل أى متولى خدمة ربه بكل ما أمكنه بروحه وجسمه ودنياه أو بمعنى مفعول أى تولى الله اكرامه وعطاياه ونفحاته فلم يكله لشئ سواه فحيث تولى الخدمة تولاه الله بالنعمة والنفحة وهو سر قوله في الحديث يادنيا من خدمنى فاخدميه فحينئذ صار معنى الولى المنهمك في طاعة ربه الذي أفيضت عليه الانوار والاسرار الواردة من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة وعلامة الولى كما في الحديث سئل رسول الله عن علامة الاولياء فقال هم الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى وسبب ذلك ظهور أنوار المعرفة الكائنة في قلوبهم على ظواهرهم وذلك سر قوله تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود وقال أبو بكر الاصم أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله تعالى والدعوة اليه والولى من الولاء وهو القرب والنصرة فولى الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في نور معرفة جلال الله تعالى فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقرب به الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفات أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال تعالى الله ولى الذين آمنوا وروى عن أبى مالك الاشعرى قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفى ناحية القوم اعرابى فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه رسول الله البشرى فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وروى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا بأمرهم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى ان أوليائى من عبادى الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم (قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لحفظ الله لهم في الدنيا من الاسباب التى توجب الخوف والحزن في الآخرة (قوله في الآخرة) أى لما في الحديث لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس (قوله الذين آمنوا) قدر المفسر هم اشارة الى أن الاسم الموصول خبر لمبتدا محذوف وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما صفات أولياء الله فاجاب بأنهم الذين اتصفوا بالايمان والتقوى والمعنى أن أولياء الله هم الذين اتصفوا بالايمان وهو الاعتقاد الصحيح المبنى على الدلائل القطعية والتقوى وهى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات على طبق الشرع ولذا قال القشيرى شرط الولى أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور ومخادع وقال الامام الشافعى وأبو حنيفة اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى وذلك في العالم العامل بعلمه (قوله فسرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة الخ) أى لانه لم يبق من النبوة الا المبشرات وهى الرؤيا الصالحة وفى الحديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وقيل المراد بالبشرى في الحياة الدنيا نزول الملائكة بالبشارة من عند الله عند الموت ويدل عليه قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ومن البشرى في الحياة الدنيا الثناء الحسن وشهرة الخلق لهم ما ... [illegible]

الا في كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) في الآخرة هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله بامتثال أمره ونهيه (لهم البشرى في الحيوة الدنيا) فسرت في حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له (وفى الآخرة) بالجنة والثواب (لا تبديل لكلمات الله)

عن أبي ذر قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه فقال عاجل بشرى المؤمن وورد أيضا اذا أحب الله عبدا نادى جبريل فيقول له اني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فيظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فذلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقيل البشرى في الحياة الدنيا ظهور الكرامات وقضاء الحوائج بسهولة فكلما توجه العبد المحبوب لشيء من أموره قضي عاجلا والاحسن أن يراد بالبشرى في الدنيا جميع ما تقدم وأعظمها التوفيق لخدمة الله وراحة الجسد في طاعة الله وانشراح الصدر لذلك وأما البشرى في الآخرة فالجنة وما فيها من النعيم الدائم قال تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم (قوله لاخلف لمواعيده) أي التي وعد الله بها أولياءه وأهل طاعته في كتابه وعلى ألسنة رسله والمعنى لاتغيير لذلك الوعد (قوله ذلك) أي الوعد المتقدم من كونهم لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ولهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة وكون هذا الوعد لايتغير ولايتبدل (قوله هو الفوز العظيم) أي الظفر بالمقصود الكامل الذي لايضاهى (قوله ولايحزنك) اما بفتح الياء وضم الزاي من باب نصر أو بضم الياء وكسر الزاي من باب أكرم قراءتان سبعيتان والمعنى لاتهتم بأقوالهم ولاتحزن لها فان الله معزك وناصرك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من أذاهم وتبشير له بالنصر والظفر بالمقصود (قوله استئناف) أشار بذلك الى أن الوقف تم عند قوله قولهم وقوله ان العزة الخ كلام مستأنف من كلام الله تعالى في قوة التعليل لقوله ولايحزنك قولهم أو واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ان الله أمره بعدم الحزن من أجل قولهم مع ان أقوالهم توجب الحزن فأجاب الله تعالى بأن العزة لله يعطيها لمن يشاء فأقوالهم لاتفيد شيأ فحينئذ لايبالي بهم ولا بقولهم (قوله ان العزة لله) أي الغلبة والسلطنة الكاملة ثابتة لله يعطيها على من يشاء ولذا قال في سورة المنافقون ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (قوله جميعا) حال من العزة (قوله فيجازيهم) أي على ماقدموا من خير وشر (قوله وينصرك) أي على من عاداك وهذا يقال لكل من سلك طريقة سيد المرسلين وعمل بمقتضاها وتعرض له الحساد بالايذاء فيقال له لايحزنك قولهم وعيبهم وحسدهم لان العزة مملوكة وثابتة لله يعطيها لمن أراد فلا تنزعج منهم ولاتلتفت لهم (قوله ألا) أداة تنبيه (قوله من في السموات ومن في الارض) من واقعة على العاقل فالمراد بمن في السموات الملائكة وبمن في الارض الانس والجن وخصهم بالذكر لشرفهم وليعلم ان غيرهم من باقي المخلوقات مملوكون لله بالطريق الاولى وهذا وجه الحكمة في تعبيره في الآية الاولى بما وفي هذه الآية بمن أو يقال في الحكمة ان التغاير اشارة الى أن الخلق جميعا في قبضته ومملوكون له سبحانه وتعالى فان ما مستعملة في غير العاقل كثيرا ومن بالعكس فأفاد أن جميع مافي السموات ومافي الارض مملوكون له حقيقة (قوله وما يتبع الذين) ما نافية ويتبع فعل مضارع والذين فاعل ويدعون صلته ومن دون الله متعلق بيدعون وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف قدره المفسر بقوله أصناما والمعنى لايتبع الذين يعبدون غير الله أصناما شركاء حقيقة فالمنفي كونها شركاء حقيقة وأما ادعاؤهم الشركة لله فثابت وهذا نتيجة قوله ألا ان لله من في السموات ومن في الارض فيصير المعنى حيث ثبت ان له جميع مافي السموات وما في الارض عقلاء وغيرهم تحقق وثبت أنه ليس له شريك أصلا اذ ليس شيء مما جعلوه الها خارجا عن السموات والارض فكيف يكون المملوك شريكا تعالى الله عن ذلك (قوله ان يتبعون الا الظن) أي لانهم مقلدون لآبائهم حيث قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون (قوله وان هم الا يخرصون) هذا من حصر الموصوف في الصفة أي ليس لهم صفة الا الكذب والخرص في الاصل الحزر والتخمين والمراد منه هنا الكذب كما أفاده المفسر (قوله يكذبون في ذلك) أي اتباعهم الظن

لاخلف لمواعيده (ذلك) المذكور (هو الفوز العظيم ولايحزنك قولهم) لك لست مرسلا وغيره (ان) استئناف (العزة) القوة (لله جميعا هو السميع) للقول (العليم) بالفعل فيجازيهم وينصرك (ألا ان لله من في السموات ومن في الارض) عبيدا وملكا وخلقا (وما يتبع الذين يدعون) يعبدون (من دون الله) أي غيره أصناما (شركاء) له على الحقيقة تعالى عن ذلك (ان) ما (يتبعون) في ذلك (الا الظن) أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم (وان) ما (هم الا يخرصون) يكذبون في ذلك

(قوله

(قوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) هذا من جملة الادلة القطعية على انفراده بالتصرف وفي هذه الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر فحذف من الاول وصف الليل وهو مظلما وذكر حكمته وحذف من الثاني الحكمة وذكر وصفه والاصل هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا وتتحركوا فيه (قوله لتسكنوا فيه) أي لتستريحوا من تعب النهار (قوله مجاز) أي عقلي من الاسناد للظرف (قوله ان في ذلك) أي الجعل المذكور (قوله لقوم يسمعون) خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك (قوله أي اليهود) أي حيث قالوا عزير ابن الله وقوله والنصارى أي حيث قالوا المسيح ابن الله وقوله ومن زعم أي وهم مشركو العرب (قوله سبحانه) أي تقدس وتنزه عن ذلك قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا الآية (قوله هو الغني) أي المستغني عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه وهو دليل لما قبله (قوله له ما في السموات الخ) دليل لقوله هو الغني (قوله استفهام توبيخ) أي تقريع وتهديد لهم (قوله قل) أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن ينبههم على سوء عاقبتهم لعلهم ينزجرون عما هم عليه (قوله لا يسعدون) أي لا يفوزون بمطلوبهم بل هم خائبون خاسرون وان تكاثرت عليهم النعم فمآلها الزوال (قوله متاع) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وحينئذ فالوقف على قوله لا يفلحون وهذا جواب عما يقال انا نراهم في حظوظ كثيرة وسعة عيش وسلامة بدن وغير ذلك من أنواع النعم الدنيوية فدفع ذلك بقوله متاع قليل أي فلا يستمر وليس بنافع في الآخرة (قوله بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم (قوله واتل عليهم) لما ذكر سبحانه وتعالى أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من القبائح وما وعظهم الله به على لسانه صلى الله عليه وسلم شرع في ذكر ما وقع للانبياء مع أممهم ليكون ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وعبرة للكفار لعلهم يؤمنون (قوله نبأ نوح) أي بعض نبئه اذ لم يذكر جميع خبره وتقدم أن اسمه عبد الغفار بن لمك بن متوشلخ بن ادريس ونوح ابنه وبينه وبين ادريس ألف سنة وقدم قصة قوم نوح لانهم أول الامم هلاكا وأشدهم كفرا (قوله كبر) بضم الباء في المعاني وأما في الاجسام فهو بكسر الباء (قوله مقامي) بفتح الميم باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بضمها فالاول ثلاثي والثاني رباعي وهو من باب الاسناد المجازي وحق الاسناد أن يكون للذات تقول ثقل علي ظله (قوله لبثي فيكم) أي مكثي بينكم وقوله وتذكيري الخ الواو بمعنى مع والمعنى ان كان عظم عليكم مكثي بينكم مع تذكيري بآيات الله فاجمعوا أمركم الخ وذلك لانه مكث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى توحيد الله في الحقيقة الذي شق عليهم انما هو دعاؤه الى التوحيد ونصيحته لهم لان النصيحة لا يقبلها الا الطبع السليم (قوله فعلى الله توكلت) أي وثقت به لا بغيره وفوضت أموري اليه (قوله فاجمعوا) هذا هو جواب الشرط وجملة فعلى الله توكلت اعتراض بين الشرط وجوابه ولا يصح أن تكون جوابا لانه لا يحسن ترتبها على الشرط اذ هو متوكل على الله دائما وأجمعوا بهمزة القطع هنا باتفاق السبعة وهو يتعدى بنفسه وبحرف الجر وأما ما يأتي في طه في قوله فاجمعوا كيدكم فبهمزة الوصل والقطع قراءتان سبعيتان فأجمع بهمزة القطع مستعمل في المعاني كثيرا وبهمزة الوصل في الاجسام كثيرا يقال أجمعت أمري وجمعت جيشي (قوله اعزموا) أي صمموا ولا ترددوا (قوله على أمر تفعلونه) أي كيلا كي (قوله الواو بمعنى مع) أي فشركاءكم منصوب على المعية لا معطوف على أمركم لان الشركاء ذوات لا يتسلط عليه أجمعوا الا بقلة ويصح النصب باضمار فعل لائق والتقدير فأجمعوا أمركم وأجمعوا شركاءكم بهمزة الوصل على حد علفتها تبنا وماء باردا أو بتقدير مضاف في المعطوف والتقدير أمر شركائكم (قوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أي لا يكن أمركم خفيا بل اظهروه واعلنوا فيه منا أمركم فاني لست مباليا بكم لان توكلي على ربي فالغمة مأخوذة من قولهم غم الهلال اذا خفي على الناس (قوله ثم اقضوا الي) أي أدوا الي ما أردتموه وأوصلوه لي وقرئ شذوذا ثم افضوا الي بقطع الهمزة وبالفاء من

(هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) اسناد الابصار اليه مجاز لانه يبصر فيه (إن في ذلك لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يسمعون) سماع تدبر واتعاظ (قالوا) أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتخذ الله ولدا) قال تعالى لهم (سبحانه) تنزيها له عن الولد (هو الغني) عن كل أحد وانما يطلب الولد من يحتاج اليه (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (ان) ما (عندكم من سلطان) حجة (بهذا) الذي تقولونه (أتقولون على الله ما لا تعلمون) استفهام توبيخ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) بنسبة الولد اليه (لا يفلحون) لا يسعدون لهم (متاع) قليل (في الدنيا) يتمتعون به مدة حياتهم (ثم الينا مرجعهم) بالموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بعد الموت (بما كانوا يكفرون واتل) يا محمد (عليهم) أي كفار مكة (نبأ) خبر (نوح) ويبدل منه (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر) شق (عليكم مقامي) لبثي فيكم (وتذكيري) وعظي اياكم (بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم) اعزموا على أمر تفعلونه بي (وشركاءكم) الواو بمعنى مع (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) مستورا بل اظهروه وجاهروني به (ثم اقضوا الي) امضوا في ما أردتموه (ولا تنظرون) تمهلون فاني لست مباليا بكم (فان توليتم) عن تذكيري (فما سألتكم من أجر)

ثوابي عليه فتولوا (ان) ما (أجري) ثوابي (الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في

الفلك) السفينة (وجعلناهم) أي من معه (خلائف) في الارض (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من اهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذب (ثم بعثنا من بعده) أي نوح (رسلا الى قومهم) كابراهيم وهود وصالح (فجاؤهم بالبينات) المعجزات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) أي قبل بعث الرسل اليهم (كذلك نطبع) نختم (على قلوب المعتدين) فلا تقبل الايمان كما طبعنا على قلوب أولئك (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه) قومه (بآياتنا) التسع (فاستكبروا) عن الايمان بها (وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين) بين ظاهر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر (أسحر هذا) وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة (ولا يفلح الساحرون) والاستفهام في الموضعين للانكار (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتردنا (عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء) الملك (في الارض) أرض مصر

(وما نحن لكما بمؤمنين) مصدقين (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم) فائق في علم السحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى) بعد ماقالوا له اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين (ألقوا

أفضى بالشيء اذا انتهى اليه وأسرع والمعنى ثم اسرعوا الى عقابي ثم عليه (قوله فان توليتم) أي دمتم على التولي والكفر وجواب الشرط محذوف تقديره فلا ضرر علي وقوله فما سألتكم الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله ثواب عليه) أي على التذكير (قوله فتولوا) منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية وفيه حذف احدى التاءين والاصل فتتولوا (قوله ان أجري الا على الله) أي ثوابي عليه لا على غيره فاطلبه منه (قوله وأمرت أن أكون من المسلمين) أي المنقادين لامتثال أوامره واجتناب نواهيه في نفسي وتبليغ غيري (قوله فكذبوه) أي داموا واستمروا على تكذيبه (قوله فنجيناه) أي أعقبنا تكذيبه النجاة له ولمن آمن معه (قوله ومن معه) أي من الانس وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة (قوله في الفلك) تقدم انه يستعمل مفردا وجمعا (قوله وجعلناهم) أي صيرناهم (قوله وأغرقنا) انما أخر ذكره عن الانجاء اشارة الى أن الرحمة سابقة عن الغضب ولتعجيل المسرة لمن يمتثل الامر (قوله فكذلك نفعل بمن كذب) هذا هو المقصود من ذكر هذه القصص (قوله رسلا الى قومهم) أي فكل رسول بعث الى قومه (قوله كابراهيم) أي فكذبوه وآذوه حتى رموه في النار (قوله وهود) أي فكذبوه وآذوه فاهلكهم الله (قوله فجاؤهم) أي جاء الانبياء لاقوامهم ملتبسين بالآيات (قوله فما كانوا ليؤمنوا) أي لا يصح ولا يستقيم لهؤلاء الايمان فالمراد بعدم الايمان الاصرار على الكفر والتكذيب (قوله كذلك) أي مثل هذا الطبع (قوله فلا تقبل الايمان) أي لوجود الحجاب المانع منه في الحقيقة لا يمكنهم الايمان وان كانوا في الظاهر مختارين (قوله ثم بعثنا من بعدهم) هذا عطف قصة على قصة وخاص على عام لمزيد الغرابة في وقائع موسى مع فرعون وكل هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله موسى وهرون) أي فكل منهما رسول الى فرعون وقومه لكن هرون وزير لموسى ومعين له قال تعالى حكاية عن موسى وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردأ يصدقني الآية وهذا لا ينافي أن كلا منهما رسول من عند الله فمن أنكر رسالة واحد منهما كفر (قوله وملئه) تقدم ان الملا بالقصر والهمز الاشراف الذين يملؤن العيون بمهابتهم والمجالس باجسامهم والقلوب بجلالتهم ولكن المفسر فسرهم هنا بالقوم فحينئذ يكون المراد بهم ما يشمل الاتباع وقيل المراد بالملا خصوص الاشراف وخصوا بالذكر لان غيرهم تبع لهم فاذا آمن الرؤساء آمن الاتباع واذا كفروا كفر الاتباع (قوله التسع) تقدم منها في الاعراف ثمانية العصا واليد والسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وستأتي التاسعة هنا في قوله ربنا اطمس على أموالهم الآية (قوله فاستكبروا) الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق له (قوله عن الايمان بها) أي بتلك الآيات التسع وفي نسخة بهما أي موسى وهرون (قوله فلما جاءهم الحق) أي الآيات التسع ففيه اظهار في مقام الاضمار وفي الحقيقة أصل نزاعهم ودعواهم أن ما جاء به سحر انما هو في اليد والعصا (قوله قالوا ان هذا لسحر مبين) هذه المقالة وقعت منهم بعد مجيء السحرة وابتلاع العصا حبال السحرة وعصيهم (قوله قال موسى) أي ردا عليهم بثلاث جمل الاولى أتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر الثانية أسحر هذا الثالثة ولا يفلح الساحرون (قوله انه لسحر) مقول لقوله أتقولون حذف لدلالة ماقبله عليه ولانه لا ينبغي أن يذكر (قوله وقد أفلح من أتى به) الجملة حالية (قوله ولا يفلح الساحرون) أي لا يفوزون بمطلوبهم والجملة حالية من فاعل أتقولون (قوله للانكار) أي فالمعنى لا يليق ولا ينبغي أن يقال هذا الكلام (قوله قالوا أجئتنا) لما لم يجدوا حجة يعارضونه بها رجعوا للتقليد المحض فقالوا ما ذكر (قوله عما وجدنا عليه آباءنا) أي من عبادة الاصنام (قوله وتكون) معطوف على تلفتنا أي ولتكون (قوله الملك) أي وسمي بالكبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمور الدنيا ولانه يورث الكبرياء والعز (قوله وقال فرعون) ليس هذا مرتبا على ما تقدم فان هذا القول وقع في ابتداء القصة فالمقصود هنا بيان ذكر القصة لا بقيد ترتيبها فان الواو لا تقتضي ترتيبا ولا تعقيبا (قوله فلما جاء السحرة) عطف على محذوف تقديره فأتوا بالسحرة (قوله بعد ماقالوا له الخ) أشار بذلك الى أنه معطوف على محذوف وأصل الكلام فلما جاء السحرة

و جمعوا

وجمعوا حبالهم وعصيهم وقالوا لموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال موسى الخ (قوله ما أنتم ملقون) أبهمه اشارة الى تحقيره (قوله فلما ألقوا) أي السحرة وتقدم انهم كانوا اثنين الفا (قوله حبالهم وعصيهم) أي وتقدم أنها كانت حمل ثلثمائة بعير (قوله استفهامية) أي أي شيء جئتم به وهو للتوبيخ والتحقير (قوله بدل) أي من ما الاستفهامية وأعيدت همزة الاستفهام لتكشف استفهام المبدل منه على حد قول ابن مالك

وبدل المضمن الهمز يلي * همزا كمن ذا أسعيد أم علي

(قوله بهمزة واحدة اخبار) أي باسقاط همزة الاستفهام ووجهت هذه القراءة بأن ما اسم موصول مبتدأ وصلتها جئتم به والخبر السحر والحاصل ان في همزة السحر الثانية وجهين التسهيل والمد اللازم بقدر ثلاث ألفات وهاتان القراءتان على جعل ما استفهامية وخبرها جئتم به والسحر بدل من ما وأما على اسقاطها فالجملة خبرية وما اسم موصول مبتدأ وجئتم به صلته والسحر خبر وتحذف همزة أل عند الدرج (قوله سيمحقه) أي ولا يبقى له أثر أصلا (قوله ان الله الخ) تعليل لقوله سيبطله (قوله ويحق الله الحق) عطف على قوله سيبطله (قوله ولو كره المجرمون) أي الكافرون (قوله فما آمن لموسى الا ذرية) الذرية اسم يقع على القليل من القوم (قوله أي فرعون) أشار بذلك الى أن الضمير في قومه عائد على فرعون والمراد بذرية قومه ناس يسير منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وأولاد خازنه وماشطته وقيل ان الضمير عائد على موسى وهم ناس من بني اسرائيل نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل بني اسرائيل كانت المرأة من بني اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشؤا بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقيل هم بنو اسرائيل وهو الاقرب (قوله على خوف) أي مع خوف (قوله وملئهم) أي ملأ الذرية الذين نشؤا بينهم على التفسير الثاني أو أقاربهم حقيقة على التفسير الاول الذي ذكره المفسر (قوله أن يفتنهم) أي فرعون وافرد لانه هو المباشر للفتنة والخوف من الملأ انما كان بواسطته هو (قوله وقال موسى) أي تطمينا لقلوبهم وهذا يؤيد ان الضمير في قومه عائد على موسى وقد يجاب عن المفسر بانه سماهم قومه من حيث انه مرسل لهم (قوله ان كنتم آمنتم) جوابه فعليه توكلوا وقوله ان كنتم مسلمين شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير توكلوا عليه أو هو شرط في الشرط لان الشرطين متى لم يترتبا في الوجود فالشرط الثاني شرط في الاول (قوله ان كنتم مسلمين) أي منقادين لاحكام الله (قوله فقالوا) أي جوابا لموسى (قوله ربنا لا تجعلنا الخ) دعاء منهم لله سبحانه وتعالى (قوله أي لا تظهرهم علينا) أي لا تجعلهم ظاهرين علينا وغالبين لنا (قوله ونجنا) أي خلصنا (قوله برحمتك) أي احسانك وانعامك (قوله من القوم الكافرين) أي الجاحدين لآياتك (قوله ان تبوآ) يحتمل أن ان تفسيرية لوجود ضابطها وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه ويحتمل أنها مصدرية أي أوحينا التبوأ والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أوحى الى موسى وأخيه ان يتخذ القوم مساكن بارض مصر يتوطنون بها ويعبدون الله فيها رغما على أنف عدوهم فرعون وهذا طمأنينة للقوم فانهم كانوا خائفين من فرعون (قوله لقومكما) الاقرب أن اللام زائدة في المفعول الاول وبيوتا مفعول ثان (قوله بمصر) متعلق بتبوآ والمراد بمصر مصر القديمة (قوله واجعلوا بيوتكم قبلة) أي اجعلوا مساكنكم مصلى والمراد بالقبلة مكان التوجه لله لا خصوص الجهة المعلومة واختلف في قبلتهم قيل هي الكعبة وقيل بيت المقدس (قوله وكان فرعون منعهم من الصلاة) أي في أول أمرهم فامر الله موسى ومن معه أن يصلوا في بيوتهم خفية لئلا يظهر واعليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وذلك كما كان عليه المسلمون في أول الاسلام بمكة (قوله أتموها) أي بشروطها وأركانها المعلومة عندهم (قوله وبشر المؤمنين) أي قومك الذين آمنوا بك وهذا خطاب لموسى وحده لان البشارة على لسانه وما قبله من قوله واجعلوا وأقيموا خطاب لموسى وقومه لاشتراكهم في ذلك (قوله وقال موسى) أي لما رأى فرعون وقومه طغوا وبغوا ولم ينقادوا للاسلام واستمروا على الكفر والعناد جاءه الاذن من الله بالدعاء

ما أنتم ملقون فلما ألقوا) حبالهم وعصيهم (قال موسى ما) استفهامية مبتدأ خبره (جئتم به السحر) بدل وفي قراءة بهمزة واحدة اخبار فما موصول مبتدأ (ان الله سيبطله) أي سيمحقه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق) يثبت ويظهر (الله الحق بكلماته) بمواعيده (ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية) طائفة (من) أولاد (قومه) أي فرعون (على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم) يصرفهم عن دينه بتعذيبه (وان فرعون لعال) متكبر (في الارض) أرض مصر (وانه لمن المسرفين) المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ) اتخذا (لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة) مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة (وأقيموا الصلاة) أتموها (وبشر المؤمنين) بالنصر والجنة

(وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه

عليهم وقلبهم بسبب الدعاء وهو بطر النعم اذ هو من أعظم المعاصي الموجبة لغضب الله وسلب النعم (قوله زينة)
هي عبارة عما يتزين به من اللباس والمال والامور الجميلة قال ابن عباس كان من فسطاط مصر الى أرض
الحبشة جبال فيها ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (قوله ربنا) كرره تأكيدا للاول وتلذذا بخطاب الله (قوله
ليضلوا) متعلق بآتيت في كلام الله وأما قول المفسر آتيتهم ذلك فهو تتميم للجملة المؤكدة واللام للعاقبة
والصيرورة والى هذا أشار المفسر بقوله في عاقبته (قوله عن سبيلك) أي طاعتك وتوحيدك (قوله ربنا
اطمس على أموالهم) أي أزل صورها وهيآتها قال قتادة بلغنا ان أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم
صارت حجارة ودنانيرهم ودراهمهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا وأثلاثا وهذا الطمس آخر
الآيات التسع (قوله واشدد على قلوبهم) أي اربط عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان وانما دعا بذلك
لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم فكان ترجمانا عن
مراد الله وأما الدعاء على الكافر المجهول العاقبة بموته على الكفر فلا يحصل (قوله فلا يؤمنوا) عطف على
ليضلوا فيكون منصوبا أو هو مجزوم بجعل لا دعائية (قوله دعاء عليهم) الاقرب انه خبر مبتدأ محذوف
تقديره هذا دعاء عليهم أي قوله فلا يؤمنوا الخ ودفع بذلك ما قيل انه خبر وليس من جملة الدعاء فتأمل (قوله
وأمن هرون على دعائه) أي والمؤمن أحد الداعيين فصحت التثنية في قوله دعوتكما وهو جواب عما يقال
ان الداعي موسى فلم ثنى الضمير في دعوتكما (قوله فمسخت أموالهم) أي الدنانير والدراهم والنخيل والزروع
والثمار والخبز والبيض وغير ذلك وقيل مسخت صورهم أيضا فكان الرجل مع أهله فصارا حجرين والمرأة
قائمة تخبز صارت حجرا وهذا القول ضعيف لان موسى دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ (قوله
فاستقيما) أي دوما على الاستقامة (قوله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) خطاب لموسى وهرون والمراد
غيرهما على حد لئن أشركت ليحبطن عملك والمعنى لا تسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون أنه متى دعا
الانسان أجيب بعين مطلوبه في الحال لان الاجابة على مراد الله فربما يجاب الشخص بغير مطلوبه أو تتأخر
اجابته لحكم يعلمها الله وفي تتبعان ثلاث قراآت سبعيات تشديد النون مع تشديد التاء فقط وتخفيفها مع
تشديد التاء وتخفيفها فعلى الاولى تكون النون للتوكيد الثقيلة وكسرت تشبيها بنون المثنى والفعل مجزوم
بحذف النون وعلى الثانية والثالثة تكون الجملة اسمية والنون نون الرفع والتقدير وأنتما لا تتبعان (قوله
روى أنه) أي نزول العذاب بهم مكث أربعين سنة من حين الدعوة وهذا التأخير لحكمة يعلمها الله (قوله
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الخ) لما استجاب الله دعاء موسى وهرون بالطمس على أموالهم والربط على
قلوبهم أوحى الله الى موسى وهرون أن أسر بعبادي وأخرجهم من أرض مصر وورد أن يعقوب لما دخل
مصر مع ذريته لاجتماعهم بيوسف كانوا اثنين وسبعين فلما خرج موسى بهم كانوا ستمائة ألف وكان فرعون
غافلا عن ذلك فلما سمع أنهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج في عقبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين
المخلص والبحر أمامنا والعدو وراءنا فلما قربوا أوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق
فقطعه موسى وبنو اسرائيل فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه ثمانمائة ألف حصان على لون
حصانه سوى سائر الالوان وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى وميكائيل يسوقهم حتى لا يبقى منهم أحد فدنا
جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يتمالك فرعون نفسه فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا
جميعا في البحر وهم أولهم بالخروج انطبق عليهم وحصان بوزن كتاب وجمعه حصن ككتب كذا في القاموس
وجاوزنا من المجاوزة وهي التخطية والتعدية والمعنى جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم
حتى بلغوا الشط (قوله البحر) أي بحر السويس (قوله لحقهم) أي مشى خلفهم (قوله بغيا) أي في الاقوال
وعدوا أي في الافعال ففرعون متعد على بني اسرائيل بالاقوال الكاذبة والافعال الجائرة (قوله مفعول له)
أي لاجله ويصح نصبهما على الحال أي باغين معتدين (قوله حتى اذا أدركه الغرق) غاية لاتباعه (قوله وفي

زينة وأموالا في الحياة
الدنيا ربنا) آتيتهم ذلك
(ليضلوا) في عاقبته (عن
سبيلك) دينك (ربنا اطمس
على أموالهم) امسخها
(واشدد على قلوبهم)
اطبع عليها واستوثق
(فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم) المؤلم دعاء
عليهم وأمن هرون على
دعائه (قال) تعالى (قد
أجيبت دعوتكما) فمسخت
أموالهم حجارة ولم يؤمن
فرعون حتى أدركه الغرق
(فاستقيما) على الرسالة
والدعوة الى أن يأتيهم
العذاب (ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون) في
استعجال قضائي روى أنه
مكث بعدها أربعين سنة
(وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر فأتبعهم) لحقهم
(فرعون وجنوده بغيا
وعدوا) مفعول له (حتى
اذا أدركه الغرق قال
آمنت أنه) أي بأنه وفي
قراءة بالكسر

مخافة أن تناله الرحمة وقال له (آلآن) تؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) بضلالك واضلالك عن الايمان (فاليوم ننجيك) نخرجك من البحر (ببدنك) جسدك الذى لا روح فيه (لتكون لمن خلفك) بعدك (آية) عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس أن بعض بنى اسرائيل شكوا فى موته فأخرج لهم ليروه (وان كثيرا من الناس) أى أهل مكة (عن آياتنا لغافلون) لا يعتبرون بها (ولقد بوأنا) أنزلنا (بنى اسرائيل مبوأ صدق) منزل كرامة وهو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا) بأن آمن بعض وكفر بعض (حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين بانجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين (فان كنت) يا محمد (فى شك مما أنزلنا اليك) من القصص فرضا (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب) التوراة (من قبلك) فانه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال صلى الله عليه وسلم لا أشك ولا أسأل (لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) الشاكين فيه (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت) وجبت (عليهم كلمت ربك) بالعذاب (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) فلا ينفعهم حينئذ (فلولا) فهلا (كانت قرية)

قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله استئنافا) أى واقعا فى جواب سؤال مقدر أو على اضمار القول والتقدير قائلا انه الخ (قوله كرره ليقبل منه) أى كرر الاقرار بالايمان ثلاث مرات وقوله آمنت وقوله انه الخ وقوله وأنا من المسلمين (قوله فلم يقبل) أى فمات على كفره وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما قيل من أنه مات مؤمنا فلا يلتفت له (قوله ودس جبريل) أى بأمر من الله وهو لا يسئل عما يفعل وذلك نظير أمرنا بقتل الكفار وبهذا تعلم جواب اشكال الفخر الرازى فى هذا المقام (قوله من حمأة البحر) بسكون الميم وتحريكها وهى الطين الاسود (قوله مخافة أن تناله الرحمة) أى وليس من أهلها لسابق علم الله بعدم ايمانه ان قلت ما الحكمة فى عدم قبوله مع كون الايمان وقع منه ثلاث مرات أجيب بأجوبة منها انه انما آمن عند نزول العذاب وهو حينئذ غير نافع قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ومنها ان الايمان بالله من غير اقرار للرسول بالرسالة غير نافع وفرعون لم يقر برسالة موسى عليه السلام فلم يصح ايمانه ومنها ان قوله آمنت ليس قاصدا به الايمان حقيقة بل قصد به النجاة من البحر على حكم عادته اذا أصابته مصيبة رجع واستجار وحكى ان جبريل عليه السلام أتى الى فرعون بفتوى ما قول الامير فى عبد نشأ فى مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته أن يغرق فى البحر فلما غرق رفع جبريل اليه خطه (قوله وقال له) معطوف على قوله ودس وقدره اشارة الى أن قوله آلآن ظرف لمحذوف والجملة مقول لذلك القول المقدر (قوله آلآن) استفهام توبيخ وتقريع (قوله وقد عصيت قبل) الجملة حالية والمعنى آلآن تتوب وقد ضيعت الايمان فى وقته الذى يقبل فيه وهو غير وقت العذاب (قوله فاليوم ننجيك) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله ببدنك) حال من الضمير فى ننجيك والمعنى فاليوم نخرجك من البحر متلبسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك وقيل المراد بالبدن الدرع لان له درعا كان يعرف بها فلما أتى على وجه الارض وعليه درعه عرفوه (قوله فيعرفوا عبوديتك) أى ويبطل ادعاؤك الوهيتك لان الاله لا يموت ولا يتغير (قوله شكوا فى موته) انما وقع منهم الشك لشدة ما حصل فى قلوبهم من الرعب منه فأمر الله البحر فألقاه على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا (قوله ولقد بوأنا بنى اسرائيل) هذا امتنان من الله تعالى على بنى اسرائيل بنعم عظيمة (قوله مبوأ صدق) أى أنزلناهم منزلا حميدا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيأ أضافته الى الصدق يقولون هذا قدم صدق ورجل صدق (قوله وهو الشام ومصر) أى وقيل مصر فقط لانها التى كانت تحت أيدى فرعون وقومه (قوله فما اختلفوا) أى من فعلنا بهم هذا الفعل من بنى اسرائيل وذلك أنهم كانوا قبل مبعث النبى مؤمنين به غير مختلفين فى نبوته لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وكفر بعض (قوله حتى جاءهم العلم) أى القرآن وذلك أن اليهود كانوا يخبرون بمبعثه وصفته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر (قوله فرضا) جواب عما يقال ان الشك محال على رسول الله فأجاب بأنه على فرض المحال وأجيب أيضا بأن الخطاب له والمراد غيره وهذا هو الاتم فى تلك الآيات (قوله فاسأل الذين يقرؤن الخ) أى فان ذلك محقق عندهم ثابت فى كتبهم (قوله يخبروك) مجزوم فى جواب الامر وهو اسأل (قوله لقد جاءك الحق) أى اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا وهذا كلام منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره والله لقد جاءك الحق الخ (قوله فلا تكونن من الممترين) أى دم على ما أنت عليه من عدم الشك والامتراء (قوله ان الذين حقت عليهم كلمت ربك) أى ثبت حكمه وقضاؤه وحتمه على الكفر ولا أن عدم الايمان أصلا اذ لا معقب لحكمه سبحانه وتعالى (قوله حتى يروا) غاية فى النفى (قوله فلا ينفعهم حينئذ) أى كما لم ينفع فرعون (قوله فلولا) أشار المفسر بقوله

هلا الى انها تحضيضية وهو التوبيخ مع النفي وكان فعل ماض تام وقرية فاعلها وآمنت صفة قرية وقوله فنفعها معطوف على آمنت عطف مسبب على سبب والمعنى لم تكن قرية من تلك القرى التى تقدمت قوم يونس كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى آمنت فيتسبب على ايمانها كونه نافعا لها والحاصل أن الآية تضمنت تحضيضا وتوبيخا ونفيا فالنفي راجع لما مضى والتوبيخ والتحضيض راجعان لما يستقبل (قوله أريد أهلها) أشار بذلك الى أن فى الكلمة مجازا مرسلا من باب تسمية الحال باسم المحل لا مجازا بالحذف (قوله الا قوم يونس) أشار المفسر الى أن الاستثناء منقطع حيث عبر بلكن وضابط الاستدراك موجود وهو رفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه فأتى به هنا لدفع توهم أنهم كغيرهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب فرفع ذلك التوهم بأن قوم يونس آمنوا قبل نزول العذاب بل عند حضور أماراته ولذلك نفعهم ايمانهم وأما غيرهم فلم يؤمن قبل نزوله أعم من أن يكون آمن وقت نزوله أو لم يؤمن أصلا (قوله ولم يؤخر والى حلوله) أى بل عجلوا الايمان عند ظهور أماراته وحاصل قصتهم على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية تسمى نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فأرسل الله عز وجل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فأبوا عليه فقيل له اخبرهم أن العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثى ميل فلما دعوا كشفه الله عنهم وقال قتادة قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا العذاب أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله فى قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض للبعض فحنت الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات ولجؤا جميعا الى الله تعالى وتضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله وأخلصوا النية فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعدما أظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم أنهم ردوا المظالم فيما بينهم حتى انه كان الرجل يأتى الى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقلعه فيرده وروى الطبرانى بسنده قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا ياحى حين لا حى وياحى يحيى الموتى وياحى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله فلما خرج يونس جعل ينتظر العذاب فلم ير شيأ فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف أرجع اليهم فيجدونى كذابا وكان كل من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فنزل فى سفينة فلما بلغت وسط البحر وقفت وكان من عادتهم أن السفينة لا تقف الا اذا كان فيها عبد آبق فضربوا القرعة فخرجت على يونس فالقوه فى البحر فالتقمه الحوت فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجاب الله نداءه وأخرجه من بطن الحوت ضعيفا فانبت الله عليه شجرة القرع ورجع الى قومه وكانوا يزيدون عن مائة ألف ففرحوا به وأحبوه وآمنوا به فهنيأ لمن رجع الى مولاه وندم على ما جناه فان الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت (قوله انقضاء آجالهم) تفسير للحين ودفع بذلك ما قيل ان قوم يونس من المنظرين لا يموتون الا عند النفخة الاولى فاجاب المفسر بأن معنى الحين انقضاء آجالهم (قوله ولو شاء ربك) مفعول شاء محذوف أى ايمان جميع الناس (قوله كلهم) توكيد ان وجميعا حال منها والمعنى لو أراد الله ايمان من فى الارض لآمنوا

أريد أهلها (آمنت) قبل نزول العذاب بها (فنفعها ايمانها الا) لكن (قوم يونس لما آمنوا) عند رؤية أمارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) انقضاء آجالهم (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا

أفأنت تكره الناس) بما لم يشأه الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) لا (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله) بإرادته (ويجعل الرجس) العذاب (على الذين لا يعقلون) يتدبرون آيات الله (قل) لكفار مكة (انظروا ماذا) أي الذي (في السموات والأرض) من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى (وما تغني الآيات والنذر) جمع نذير أي الرسل (عن قوم

لا يؤمنون) في علم الله أي ما تنفعهم (فهل) فما (ينتظرون) بتكذيبك (إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) من الأمم أي مثل وقائعهم من العذاب (قل فانتظروا) ذلك (إني معكم من المنتظرين ثم ننجي) المضارع لحكاية الحال الماضية (رسلنا والذين آمنوا) من العذاب (كذلك) الإنجاء (حقا علينا ننج المؤمنين) النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين تعذيب المشركين (قل يا أيها الناس) أي أهل مكة (إن كنتم في شك من ديني) أنه حق (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أي غيره وهو الأصنام لشككم فيه (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) يقبض أرواحكم (وأمرت أن) أي بأن (أكون من المؤمنين و) قيل لي (أن أقم وجهك للدين حنيفا) مائلا إليه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع) تعبد (من دون الله ما لا ينفعك) إن عبدته (ولا يضرك) إن لم تعبده (فإن فعلت) ذلك فرضا (فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك

الله بضر) كفقر ومرض (فلا كاشف) رافع (له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد) دافع (لفضله) الذي أرادك به (يصيب به) أي بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس) أي أهل مكة (قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) لأن ثواب اهتدائه له (ومن ضل فإنما يضل عليها)

كلهم حال كونهم مجتمعين (قوله أفأنت تكره الناس) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتحزن على عدم إيمانهم وتتأسف عليه فأنت تكره الخ (قوله لا) أي لست بمكره للناس على الإيمان والمعنى ليس عليك إلا البلاغ لا خلق الإيمان في قلوبهم وإكراههم عليه فإن الأمر لله لا لخالق سواه (قوله وما كان لنفس أن تؤمن الخ) بيان وتعليل لما قبله والمعنى ما ثبت لنفس من الأنفس أن تؤمن في حال من الأحوال إلا في حال إرادة الله الإيمان لها (قوله ويجعل الرجس) معطوف على محذوف والتقدير فيريد الله الإيمان للبعض ويجعل الرجس الخ (قوله قل انظروا) بضم اللام وكسرها قراءتان سبعيتان فالضم على نقل ضمة الهمزة إلى اللام والكسر على أصل التخلص والمعنى تفكروا وتأملوا واتعظوا (قوله من الآيات) بيان لما (قوله وما تغني الآيات) أي المذكورة في قوله ماذا في السموات والأرض ففي الكلام إظهار في مقام الإضمار والمعنى لا تنفع الآيات والنذر قوما لا يؤمنون (قوله أي مثل وقائعهم من العذاب) أي وهو القتل بالسيف (قوله فانتظروا ذلك) أي مثل وقائع الأمم السابقة (قوله ثم ننجي) بالتشديد باتفاق العشرة وبثبوت الياء لفظا وخطا (قوله رسلنا) أي من سبق على محمد (قوله كذلك) صفة لمصدر محذوف أي إنجاء مثل ذلك الإنجاء والعامل فيه ننج المؤمنين وحقا علينا جملة معترضة بين العامل والمعمول (قوله ننج المؤمنين) بالتخفيف والتشديد وتحذف منه الياء لفظا وخطا (قوله حين تعذيب المشركين) أي في الدنيا والآخرة (قوله أي أهل مكة) أي الكفار المعارضون (قوله من ديني) أي الذي جئت به عن ربي (قوله أنه حق) بدل من ديني والمعنى إن كنتم في شك من حقية ديني وصحته فلا أعبد الخ (قوله لشككم فيه) أي في ديني الحق أي فالحامل لكم على عبادة غير الله شككم في حقية ديني وأما أنا فليس عندي شك في حقيته فلذلك لا أعبد غير الله فكفرهم بالشك لأنه لا يتأتى منهم إنكار كون الله حقا ودين الإسلام حقا على سبيل الجزم بذلك لقيام الأدلة العقلية القطعية على ذلك (قوله الذي يتوفاكم) خص هذا الوصف بالذكر تهديدا وتخويفا لهم (قوله أن أكون) أن مصدرية مجرورة بالباء المقدرة كما قال المفسر أي بكوني من المؤمنين المصدقين بما جاء من عند الله لأنه مرسل لنفسه فهو واجب عليه الإيمان بما أرسل به (قوله وأن أقم) قدر المفسر القول إشارة إلى أن أن وما دخلت عليه في محل نصب مقول لذلك القول (قوله مائلا إليه) أي مخلصا له العمل ظاهرا وباطنا فعلى المكلف أن يتخلق بخلق رسول الله بأن لا يميل لغير الله ظاهرا وباطنا بل يكون كله لله ولا يشرك معه غيره أصلا لا في الظاهر ولا في الباطن فكما أن الخالق لا شريك له فيما خلقه كذلك ينبغي للمخلوق أن لا يشرك في عبادته غيره (قوله ولا تدع من دون الله) أي غيره (قوله فرضا) جواب عما يقال إن عبادة النبي غير الله مستحيلة فكيف يخاطب بذلك أجاب المفسر بأن ذلك على سبيل الفرض والتقدير وأجيب أيضا بأن الخطاب له والمراد غيره (قوله فلا كاشف له إلا هو) أي لا دافع ولا مانع له إلا الله حقيقة فنسبة النفع أو الضر لغير الله باعتبار أن الله أجرى على أيديهم ذلك لا باعتبار أنهم الخالقون له فإن نسبة ذلك لهم من هذه الحيثية كفر (قوله وإن يردك بخير) عبر في جانب الخير بالإرادة دون المس إشارة إلى أن الخير لا يتوقف إتيانه على سبب وشيء من العبد بخلاف الضر فلا بد من تقدم سببه قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم (قوله وهو الغفور) أي الستار للذنوب الماحي لها (قوله الرحيم) أي المنعم المحسن فالغفور المنجي من النار بسبب محو الذنوب والرحيم المدخل للجنة بسبب الإنعام والإحسان (قوله الحق) أي القرآن ومن جاء به وهو النبي صلى الله عليه وسلم (قوله لأن ثواب اهتدائه له) أي فلا يحصل لله من ذلك نفع ولا من الضلال ضرر فتنزه سبحانه وتعالى عن أن يتكمل بمخلوق (قوله

لان وبال ضلاله عليها (وما أنا عليكم ١٦٢ بوكيل) فأجبركم على الهدى (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على الدعوة وأذاهم (حتى يحكم الله) فيهم بأمره (وهو خير الحاكمين) أعدلهم وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية

﴿ سورة هود مكية الا أقم الصلوة الآية أو الا فلعلك تارك الآية وأولئك يؤمنون به الآية مائة واثنتان أو ثلاث وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر) الله أعلم بمراده بذلك هذا (كتاب أحكمت آياته) بعجيب النظم وبديع المعانى (ثم فصلت) بينت بالاحكام والقصص والمواعظ (من لدن حكيم خبير) أى الله (أن) أى بأن (لا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير) بالعذاب ان كفرتم (وبشير) بالثواب ان آمنتم (وأن استغفروا ربكم) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطاعة (يمتعكم) فى الدنيا (متاعا حسنا) بطيب عيش وسعة رزق (الى أجل مسمى) هو الموت (ويؤت) فى الآخرة (كل ذى فضل) فى العمل (فضله) جزاءه (وان تولوا) فيه حذف احدى التاءين أى تعرضوا (فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير) ومنه الثواب والعذاب * ونزل لما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما فيمن كان يستحى أن يتخلى أو يجامع فيفضى الى السماء

لان وبال ضلاله عليها) أى عذاب ضلاله على نفسه فلا يشاركه أحد لا فى هدايه نفسه ولا فى ضلاله بل كل امرئ بما كسب رهين (قوله بوكيل) أى بحفيظ موكول الى أمركم وانما أنا بشير ونذير (قوله فأجبركم على الهدى) أى أكرهكم عليه (قوله ما يوحى اليك) أى من القرآن (قوله على الدعوة) أى دعائك اياهم للايمان (قوله وأذاهم) أى لانه كان رسول الله يسمع سبه بأذنه ولا يتكلم (قوله أعدلهم) أى فلا يتطرق فى حكمه أصلا وأما غيره فتارة يخطئ فى حكمه وتارة يعدل فأفعاله سبحانه وتعالى دائرة بين الفضل والعدل فاثابته المؤمن بالفضل وتعذيبه العاصى بالعدل (قوله بالقتال) أى الجهاد وأشار المفسر بذلك الى قول ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بآية القتال والله أعلم

﴿ سورة هود ﴾

بالصرف وتركه فان لوحظ انه اسم للسورة منع الصرف وان لوحظ أن المراد السورة المذكورة فيها هود صرف ومثل ذلك يقال فى سورة نوح لان هذه الاسماء مصروفة وسورة مبتدأ أخبر عنه بخبرين قوله مكية وقوله مائة الخ (قوله الا أقم الصلوة) التلاوة بالواو فالصواب أن يقول الا وأقم الصلاة الخ وهذا قول ابن عباس وقوله أو الا فلعلك الخ هو قول مقاتل فالحاصل أن المدنى عند ابن عباس آية واحدة وهى وأقم الصلاة الآية وعند مقاتل آيتان قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الآية وقوله أولئك يؤمنون به الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا هو الاسلم فى تفسير الحروف المقطعة (قوله كتاب) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا يدل عليه قوله فى آية أخرى ذلك الكتاب واسم الاشارة يصح عوده على ما ذكر فى هذه السورة فقط أو على جميع القرآن وتقدم ذلك (قوله أحكمت) صفة الكتاب اما من الاحكام أى الاتقان فعله متعد والمعنى اتقنت آياته لفظا ومعنى فلا يحيط بمعنى آيات القرآن غيره تعالى ولم يوجد تركيب بديع الصنع عديم النظير نظير القرآن أو الهمزة للنقل من حكم بضم الكاف بمعنى صار حكيمة (قوله ثم فصلت) يحتمل ان ثم لمجرد الاخبار والمعنى أخبرنا الله بأن القرآن محكم أحسن الاحكام مفصل أحسن التفصيل كما تقول فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل ويحتمل أنها للترتيب الزمانى بحسب النزول لانها أحكمت أولا حين نزلت جملة واحدة ثم فصلت ثانيا بحسب الوقائع (قوله من لدن حكيم خبير) صفة ثانية لكتاب وفيه طباق حسن لان حكيم يناسب أحكمت وخبير يناسب فصلت ويصح أن يكون من باب التنازع أعمل الاول وهو أحكمت وأضمر فى الثانى وحذف والاحسن الاول (قوله الا تعبدوا) الاحسن أن أن تفسيرية لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهى قوله ثم فصلت (قوله منه) يصح عود الضمير على الله أو على الكتاب (قوله ان كفرتم) أى دمتم على الكفر (قوله وأن استغفروا) عطف على قوله أن لا تعبدوا والسين والتاء للطلب والمعنى اسألوه الغفران لذنوبكم فيما مضى وقوله ثم توبوا اليه أى فى المستقبل لان شرط التوبة الندم على ما فات والاقلاع فى الحال والعزم على عدم العود فى المستقبل فلا يقال ان الاستغفار هو التوبة بل بينهما التغاير (قوله يمتعكم) جواب الامر (قوله بطيب عيش) أى فى أمن وراحة ورضا فمن تاب من ذنوبه وأخلص عبادة ربه عاش فى أمن وراحة ورضا وان ضيقت عليه الدنيا فهى رفع درجات له بوجود رضا الله عليه ومن لم يتب وأصر على المعاصى والكفر عاش فى خوف ونصب وسخط وان وسعت عليه ملاذ الدنيا اذ لا خير فى عيش بعده النار وحينئذ فلا ينافى هذا كون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (قوله فيه حذف احدى التاءين) أى والاصل تتولوا (قوله أى تعرضوا) أى عن الاوامر والنواهى وتدوموا على الكفر وجواب الشرط محذوف والتقدير فلا تلوموا الا أنفسكم وقوله فانى أخاف الخ تعليل للجواب المحذوف (قوله الى الله مرجعكم) أى فلا مفر لكم منه (قوله ومنه الثواب) أى من الشئ المقدور عليه (قوله فيمن كان يستحى) أى من المسلمين (قوله أن يتخلى) أى يقضى حاجته من البول والغائط (قوله فيفضى) معطوف على يتخلى وتنزيل الآية على حكمه هذا القول باعتبار تعليم المؤمنين المراقبة لان الله يقول لهم لا تغطوا أن تغطى ...

فنزل

صحيحاً لأن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فلا ينافي أن التغطية عند التخلي والجماع مندوبة وليس المراد
ذمهم على هذا الفعل إذ هو مطلوب حياء من الله والجن والملائكة (قوله وقيل في المنافقين) قال ابن عباس
نزلت في الأخنس بن شريق من منافقي مكة وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله ﷺ بما يحب
وينطوي بقلبه على ما يكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويستغشى
بثوبه ويقول الكفر ويظن أن الله لا يعلمه في تلك الحالة (قوله ألا إنهم يثنون صدورهم) من الثني وهو طي
الشيء ليكون مستوراً فالمراد يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر ليكون خفياً مستوراً وأصله يثنيون
نقلت ضمة الياء إلى ما قبلها ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو وهذا المعنى على أن سبب النزول في المنافقين
وأما على أنه فيمن يستحيي حال قضاء الحاجة والجماع فالمراد بثني الصدر انحناؤه بظهره حال قضاء الحاجة
وتغطيته بثوبه حين قضاء الحاجة والجماع فتأمل (قوله ليستخفوا منه) هذا هو علة ثني الصدر على ما فيه (قوله
ألا حين يستغشون ثيابهم) أي يأوون إلى فراشهم ويتدثرون بثيابهم (قوله ما يسرون) أي في قلوبهم وقوله
وما يعلنون أي بأفواههم (قوله أي بما في القلوب) أي فالمراد بالصدور القلوب وما فيها والخواطر فأطلق
المحل وأريد الحال فيه (قوله وما من دابة) النكرة في سياق النفي تعم فدخلت جميع الدواب عاقلة وغير عاقلة
(قوله هي ما دب عليها) أي مشى وسار (قوله إلا على الله رزقها) ليس المراد أن ذلك واجب عليه تنزه سبحانه
وتعالى بل المراد أنه التزم به وتكفل به التزاماً لا يتخلف في الحقيقة على معنى من أنواع التعبير بعلى ليزداد العبد
ثقة به وتوكلاً عليه وإن أخذ في الأسباب فلا يعتمد عليها بل يثق بالله ويعتمد عليه ولكن أخذه في الأسباب
امتثالاً لأمره تعالى لأن الله يكره العبد البطال وخص دواب الأرض بالذكر لأنهم المحتاجون للأرزاق وأما
دواب السماء كالملائكة والحور العين فليسوا محتاجين لذلك بل قوتهم التسبيح والتهليل (قوله ويعلم
مستقرها ومستودعها) أتى بذلك دفعاً لما يتوهم من كونه متكفلاً لكل دابة في الأرض برزقها أنه ربما يخفى
عليه بعض أماكن تلك الدواب فدفع ذلك التوهم بأنه يعلم مكان كل دابة فلا تخفى عليه خافية والمعنى أنه أحاط
علمه بمكان كل دابة وزمانها (قوله بعد الموت) أي وهو القبر (قوله كل مما ذكر) أي من الدابة ورزقها
ومستقرها ومستودعها فاللوح المحفوظ أحاط بجميع أرزاق الدواب وأمكنتها وأزمنتها وأحوالها وهذا
من باهر قدرته تعالى لزيادة طمأنينة العبيد ومراجعة الملائكة الموكلين بالأرزاق لا خوفاً من نسيانه إذ هو
مستحيل عليه تعالى (قوله وهو الذي خلق السموات) هذا بيان لكونه قادراً على جميع الممكنات وما تقدم
بيان لكونه عالماً بالمعلومات كلها (قوله والأرض) أي وما فيهما من الأقوات والحيوانات وغير ذلك والكلام
على التوزيع إذ خلق السموات في يومين والأرض في يومين والأقوات في يومين كما يأتي في سورة فصلت
(قوله أولها الأحد) تقدم أن هذا مشكل لأنه لم يكن ثم زمان فضلاً عن تفصيله أياماً فضلاً عن تخصيص كل
يوم باسم وتقدم الجواب عنه بأن ذلك باعتبار ما تعلق به علمه سبحانه وتعالى لأن كل شيء كان أو يكون فهو في
علمه على ما هو عليه فالمعنى أولها الأحد الذي علم الله أنه يكون (قوله على الماء) أي لم يكن بينهما حائل بل هو في
مكانه الذي هو فيه الآن وهو ما فوق السموات السبع والماء في المكان الذي هو فيه الآن وهو ما تحت
الأرضين السبع وذلك أن أول ما خلق الله النور المحمدي ثم خلق منه العرش ونشأ الماء من عرق العرش
فخلق الله منه الأرضين والسموات فالأرضون من زبده والسموات من دخانه (قوله ليختبركم) أي ليتميز
المحسن من المسيء بتلك النعم فمن شكر فهو المحسن ومن كفر فهو المسيء والمعنى ليظهر بين الناس المطيع فيثيبه
في الآخرة على طاعته والعاصي فيعاقبه في الآخرة على عصيانه (قوله أيكم أحسن عملاً) مبتدأ وخبر والجملة
في محل نصب مفعول ليبلوكم علق عنها بالاستفهام (قوله ولئن قلت) اللام موطئة للقسم المحذوف وإن حرف
شرط وقوله ليقولن جواب القسم وحذف جواب الشرط لتأخره قال ابن مالك

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت فهو ملتزم

وقيل في المنافقين (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) أي الله (ألا حين يستغشون ثيابهم) يتغطون بها (يعلم) تعالى (ما يسرون وما يعلنون) فلا يغني استخفاؤهم (إنه عليم بذات الصدور) أي بما في القلوب (وما من) زائدة (دابة في الأرض) هي ما دب عليها (إلا على الله رزقها) تكفل به فضلاً منه تعالى (ويعلم مستقرها) مسكنها في الدنيا أو الصلب (ومستودعها) بعد الموت أو في الرحم (كل) مما ذكر (في كتاب مبين) بين هو اللوح المحفوظ (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) أولها الأحد وآخرها الجمعة (وكان عرشه) قبل خلقهما (على الماء) وهو على متن الريح (ليبلوكم) متعلق بخلق أي خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم (أيكم أحسن عملاً) أي أطوع لله (ولئن قلت) يا محمد لهم (إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن) ما (هذا) القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله

(الا سحر مبين) بين وفي قراءة ساحر والمشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى) مجيء (أمة) أوقات (معدودة
ليقولن) استهزاء (ما يحبسه) ما يمنعه من النزول قال تعالى (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا)

عنهم مدفوعا (عنهم وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب (ولئن أذقنا الانسان) الكافر (منا رحمة) غنى وصحة (ثم نزعناها منه انه ليؤس) قنوط من رحمة الله (كفور) شديد الكفر به (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء) فقر وشدة (مسته ليقولن ذهب السيآت) المصائب (عني) ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها (انه لفرح) بطر (فخور) على الناس بما أوتي (الا) لكن (الذين صبروا) على الضراء (وعملوا الصالحات) في النعماء (أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) هو الجنة (فلعلك) يا محمد (تارك بعض ما يوحى اليك) فلا تبلغهم اياه لتهاونهم به (وضائق به صدرك) بتلاوته عليهم لاجل (أن يقولوا لولا) هلا (أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) يصدقه كما اقترحنا (انما أنت نذير) فلا عليك الا البلاغ لا الاتيان بما اقترحوه (والله على كل شيء وكيل) حفيظ فيجازيهم (أم) بل أ (يقولون افتراه) أي القرآن (قل فأتوا بعشر سور مثله) في الفصاحة والبلاغة (مفتريات) فانكم عربيون
فصحاء مثلي تحداهم بها أولا ثم بسورة (وادعوا) للمعاونة على ذلك (من استطعتم من دون الله) أي غيره (ان كنتم صادقين) في
أنه افتراء (فان لم يستجيبوا لكم) أي من دعوتموهم للمعاونة (فاعلموا) خطاب للمشركين (انما أنزل) ملتبسا (بعلم الله) وليس افتراء عليه (وأن)

كذا يقال فيما بعده (قوله الا سحر) أي كالسحر فالكلام على التشبيه البليغ من حيث انه كلام مزين الظاهر فاسد الباطن (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله ولئن أخرنا عنهم العذاب) أي الذي استعجلوه (قوله الى أمة) أي طائفة من الازمنة (قوله معدودة) أي قليلة (قوله ليقولن) الفعل مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الامثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعله وأعرب مع وجود نون التوكيد ولم يبن لان نون التوكيد لم تباشره اذ الاصل ليقولونن حذفت نون الرفع لتوالي الامثال فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما والمحذوف لعلة كالثابت وهذا بخلاف ليقولن المتقدم فانه مبني لمباشرة النون في اللفظ والتقدير (قوله ما يحبسه) أي أي شيء يمنعه من النزول وهذا الاستفهام على سبيل السخرية (قوله ألا يوم يأتيهم) الا أداة افتتاح داخلة على ليس في المعنى ويوم معمول لخبر ليس واسمها ضمير فيها يعود على العذاب وكذلك فاعل يأتيهم ضمير يعود على العذاب والتقدير الا ليس هو أي العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم العذاب ففي هذه الآية تقدم معمول خبر ليس عليها (قوله من العذاب) بيان لما (قوله ثم نزعناها منه) أي أخذناها قهرا (قوله قنوط) أي لقلة صبره وعدم رجائه في ربه (قوله ليقولن ذهب السيآت عني) أي على حسب عادة الدهر ولا ينظر لفضل الله في ذلك فهو مغضوب عليه على كل حال (قوله الا الذين صبروا) مستثنى من قوله ولئن أذقنا الانسان الخ وقد أشار المفسر الى أن هذا الاستثناء منقطع حيث عبر بلكن ويصح أن يكون متصلا باعتبار أن المراد بالانسان الجنس لا واحد بعينه (قوله لهم مغفرة) أي لذنوبهم (قوله وأجر كبير) أي عظيم مدخر لهم في الآخرة (قوله فلعلك تارك) لعل تأتي للترجي في الامر المحبوب كما تقول لعل الحبيب قادم وتأتي للتوقع في الامر المكروه كما تقول لعل العدو قادم والآية من هذا الثاني غير أن التوقع ليس على بابه اذ مستحيل على رسول الله كتم بعض ما أمر بتبليغه والعزم على ذلك بل المقصود منه الاستفهام الانكاري والتحضيض على التبليغ مع عدم المبالاة بمن عاداه كأن الله يقول لنبيه بلغ ما أمرت به ولو كره المشركون ذلك ولا تترك التبليغ محافظة على عدم استهزائهم وذلك أن رسول الله كان اذا قرأ آية فيها سب المشركين وآلهتهم نفروا وقالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ونحن نتبعك فرد الله عليهم ذلك حيث حضه على التبليغ ونهاه عن الكتم (قوله بعض ما يوحى اليك) أي وهو ما فيه سب آلهتهم (قوله وضائق به صدرك) أي لا يكن منك ضيق صدر بسبب استهزاء الكفار بك فان الله حافظك وناصرك عليهم ومخذلهم (قوله أن يقولوا) أي فقد قالوا ان كنت صادقا في الرسالة من عند الله الذي تصفه بالقدرة التامة وانك حبيبه وعزيز عنده مع أنك فقير فهلا أنزل عليك ما تستغني به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملك يشهد لك بالرسالة (قوله كنز) أي مال كثير وسمي بذلك لان شأنه أن يكنز (قوله فلا عليك الا البلاغ) أي فلا تبال بقولهم ولا تغتم منهم (قوله حفيظ) أي فيحفظك ويجازيهم (قوله أم يقولون) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة والاضراب انتقالي والهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب (قوله افتراه) أي اختلقه من عند نفسه (قوله قل فأتوا الخ) رد لما قالوه والمعنى أنكم عربيون مثلي فأتوا بكلام مثل هذا الكلام الذي جئت به فانكم تقدرون على ذلك بل أنتم أقدر مني لممارستكم الاشعار والوقائع (قوله مثله) نعت لسور وان كان بلفظ الافراد فانه يوصف به المثنى والجمع والمذكر والمؤنث (قوله تحداهم بها أولا) أي بعد أن تحداهم بجميع القرآن كما في سورة الاسراء قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الآية ثم تحداهم بعشر سور كما هنا ثم بسورة كما في البقرة ويونس فالاسراء قبل هود نزولا ثم هود ثم يونس ثم البقرة (قوله على ذلك) أي الاتيان (قوله أي غيره) أي من الاصنام أو من جميع المخلوقات (قوله فان لم يستجيبوا لكم) أي أيها المشركون وقوله أي من دعوتموهم تفسير للواو في يستجيبوا (قوله بعلم الله) أي فكما أن علمه لا يشابهه علم كذلك كلامه لا يشابهه كلام لان الكلام على

بحسب علم المخاطبين فكما أن كان المتكلم متسع العلم فان كلامه بحسب ماله يخلو لأوسع من علم الله لأنه أحاط بكل شئ علما (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشان (قوله أى أسلموا) أى فهو استفهام فيه معنى الطلب أى زوال العذر المانع من ذلك (قوله من كان يريد الحيوة الدنيا) اختلف فى سبب نزولها فقيل فى اليهود والنصارى وقيل فى المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله الغنائم لانهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل فى المرائين والحمل على العموم أولى فيندرج فيه الكافر والمنافق والمؤمن الذى يأتى بالطاعات على وجه الرياء والسمعة (قوله وزينتها) أى ما يتزين به فيها من الصحة والامن والسعة والرياسة وغير ذلك (قوله بان أصروا على الشرك) هذا شامل للقولين المتقدمين (قوله وقيل هى فى المرائين) أى ومعنى قوله أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار أى ابتداء ثم بعد استيفاء ما عليه يخرج منها ويدل على أن له هذا الوعيد الشديد ما روى يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه وهذا القول اختاره البيضاوى لحديث يقال لاهل الرياء صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك ثم قال ان هؤلاء أول من تسعر بهم النار رواه أبو هريرة ثم بكى بكاء شديدا ثم قال صدق رسول الله من كان يريد الحياة الدنيا الخ (قوله نوف) بالنون مبنيا للفاعل وفيه ضمير يعود على الله وبالياء مبنيا للمفعول وأعمالهم بالرفع نائب فاعل والفاء مشددة على كل حال قراءتان الاولى سبعية والثانية شاذة (قوله أى جزاء ما عملوه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله بان توسع عليهم رزقهم) أى فهذا جزاء أعمالهم الحسنة فى الدنيا وأما فى الآخرة فليس لهم فى نظير ذلك شئ قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والجزاء الآخرة بالجنة ونعيمها مخصوص بالمؤمن (قوله فلا ثواب له) أى لانهم قد استوفوا فى الدنيا جزاء أعمالهم الحسنة فلم يبق لهم فى الآخرة الا العذاب قال تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب (قوله وباطل ما كانوا يعملون) أى فى الدنيا من الخيرات (قوله أفمن كان على بينة من ربه) لما تقدم ذكر أوصاف أهل الدنيا الغافلين عن الآخرة وعاقبة أمرهم ذكر أوصاف أهل الآخرة الذين يريدون باعمالهم وجه ربهم واسم الموصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر فيما يأتى بقوله كمن ليس كذلك وجواب الاستفهام محذوف قدره بقوله لا وقد صرح بهذين المحذوفين فى قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون (قوله بيان) أى نور واضح ودليل ظاهر وذلك نظير قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (قوله وهو النبى) أى وعليه فالجمع للتعظيم فى قوله أولئك يؤمنون به وقوله أو المؤمنون والجمع فيها ظاهر وفى نسخة والمؤمنون وهى ظاهرة (قوله وهو القرآن) تفسير البينة وقد أخذ هذا التفسير مما يأتى فى سورة البينة فى قوله تعالى حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة (قوله ويتلوه) الضمير عائد على من (قوله وهو جبريل) تفسير الشاهد والمعنى من كان متمسكا بالحق والحال أنه يتبعه شاهد من الله يصدقه على ذلك وهو جبريل لانه متبوع ومصدق للرسول ويصح أن يكون المراد بالشاهد معجزات القرآن والضمير فى منه اما عائد على الله أو على القرآن والمعنى على هذا ويتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله وهو الاعجاز فى نظمه واشتماله على عجائب المغيبات فى معناه فلا يستطيع أحد أن يأتى بمثله كلا أو بعضا ويصح أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يد رسول الله مطلقا (قوله ومن قبله) الجار والمجرور حال من كتاب موسى الواقع معطوفا على شاهد (قوله شاهد له أيضا) الاوضح أن يقول يتلوه أيضا اذ هو المسلط عليه (قوله اماما) أى مقتدى به (قوله ورحمة) أى احسانا ولطفا لمن أنزل اليهم (قوله أى من كان على بينة من ربه) أشار بذلك الى أن اسم الاشارة عائد على قوله أفمن كان على بينة (قوله ومن يكفر به) اسم الموصول راجع لقوله كمن ليس كذلك فهو لف ونشر مرتب (قوله فلا تك) أصله تكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وحذفت النون تخفيفا (قوله فى مرية) بكسر الميم باتفاق السبعة وقرئ شذوذا

مخففة أى انه (لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون) بعد هذه الحجة القاطعة أى أسلموا (من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها) بأن أصر على الشرك وقيل هى فى المرائين (نوف اليهم أعمالهم) أى جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم (فيها) بأن نوسع عليهم رزقهم (وهم فيها) أى الدنيا (لا يبخسون) ينقصون شيأ (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط) بطل (ما صنعوه) (فيها) أى الآخرة فلا ثواب له (وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة) بيان (من ربه) وهو النبى صلى الله عليه وسلم أو المؤمنون وهى القرآن (ويتلوه) يتبعه (شاهد) له يصدقه (منه) أى من الله وهو جبريل (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) التوراة شاهد له أيضا (اماما ورحمة) حال كمن ليس كذلك لا (أولئك) أى من كان على بينة (يؤمنون به) أى بالقرآن فلهم الجنة (ومن يكفر به من الاحزاب) جميع الكفار (فالنار موعده فلا تك فى مرية) شك (منه) من القرآن

بضدها وهي لغة قليلة وهو خطاب للنبي والمراد غيره (قوله أي الحق) أي الثابت الذي لا شك فيه (قوله ولكن أكثر الناس) يفيد أن الاقل مؤمن وهو كذلك في كل زمن الى يوم القيامة وانما خص المفسر أهل مكة لكون أصل الخطاب لهم (قوله أي لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي وهذا شروع في ذكر أوصافهم وقد ذكر منها هنا أربعة عشر وصفا أولها قوله ومن أظلم وآخرها قوله لا جرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون (قوله أولئك يعرضون على ربهم) أي عرض فضيحة وهتك ستر (قوله وهم الملائكة) أي والنبيون والاصفياء (قوله ألا لعنة الله) هذا من كلام الله تعالى يقوله لهم يوم القيامة فيطردون بذلك عن الرحمة الحاصلة في الآخرة وليس المراد أنهم يطردون عن رحمة الدنيا (قوله الذين يصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام والمعنى أنهم كما ضلوا في أنفسهم يضلون غيرهم (قوله ويبغونها عوجا) أي ينسبونها للاعوجاج والحال أنه قائم بقلوبهم (قوله أولئك لم يكونوا معجزين) أي فارين من عذاب الله لان الله وان أمهلهم لا يهملهم (قوله من أولياء) من زائدة في اسم كان والمعنى ليس لهم أنصار من غير الله يمنعون عذاب الله عنهم (قوله باضلالهم غيرهم) أشار بذلك الى جواب سؤال وارد على الآية وحاصله ان المضاعفة مخصوصة بالحسنات وأما السيئات فلا تضاعف قال تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فأجاب المفسر بان معنى المضاعفة الشدة لانهم يعذبون عذابين عذابا على ضلالهم في أنفسهم وعذابا على اضلالهم غيرهم (قوله ما كانوا يستطيعون السمع) أي لم يقبلوه لوجود الحجاب على قلوبهم (قوله وما كانوا يبصرون) أي لم يقدروا على ذلك (قوله أولئك) أي الذين لا يستطيعون السمع ولا الابصار (قوله من دعوى الشريك) بيان لما (قوله لا جرم) اختلف العلماء في معنى لا جرم على ثلاثة أوجه أولها ان لا نافية لاماني الكفار وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت وقوله انهم في الآخرة هم الاخسرون الجملة في محل رفع فاعل بجرم ويصير المعنى لا عبرة بامانيهم بل حق وثبت خسرانهم في الآخرة وهذا الوجه أحسنها ثانيها أن لا كذلك وجرم بمعنى كسب وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعوله والفاعل ما دل عليه السياق والمعنى ما كسب لهم كفرهم وأمنياتهم الا خسرانهم في الآخرة ثالثها أن لا جرم بمعنى لابد أي لابد أنهم في الآخرة هم الاخسرون فلا نافية للجنس وجرم اسمها مبني معها على الفتح وجملة انهم في محل رفع خبرها فاذا علمت ذلك فقول المفسر حقا لم يوافق واحدا من هذه الثلاثة الا أن يقال انه مر على الاول ويكون حقا مفعولا مطلقا لفعل محذوف والتقدير حق حقا وقد وردت هذه اللفظة في القرآن في خمسة مواضع ويقال في كل واحد منها ما قيل هنا (قوله ان الذين آمنوا) لما ذكر الله أحوال الكفار وما آل اليه أمرهم أتبعهم بذكر المؤمنين وما آل اليه أمرهم (قوله وأخبتوا) من الاخبات وهو الخشوع والخضوع ويتعدى باللام والى فان عدي باللام فمعناه خشع وخضع وان عدي بالى فمعناه اطمأن وسكن وقد اقتصر المفسر على هذا الثاني (قوله أولئك أصحاب الجنة) التعبير بأصحاب اشارة الى أن أهل الجنة مالكون لمنازلها ملكا لا يحول ولا يزول (قوله مثل الفريقين) لما ذكر أحوال الكفار وما هم عليه من الصمم والعمى عن اتباع الحق وذكر أحوال المؤمنين وما هم عليه من التبصر وسماع الحق واتباعه أتبع ذلك بذكر مثل لكل فريق (قوله كالاعمى والاصم) هذا كناية عن كون الله سلبهم الانتفاع بالحق لسبق شقاوتهم في علم الله والمراد من الاعمى والاصم ذات واحدة اتصفت بهذين الوصفين فانه هو الذي لا يقبل الهدى لمقصوده بأي وجه كان ومثل ذلك يقال في نظيره وهو البصير والسميع (قوله مثلا) تمييز محول عن الفاعل والاصل هل يستوي مثلهما (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري (قوله أفلا تذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعميتم وتركتم الهدى فلا تذكرون وهو خطاب للمشركين الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم

الشريك والولد اليه (أولئك يعرضون على ربهم) يوم القيامة في جملة الخلق (ويقول الاشهاد) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) المشركين (الذين يصدون عن سبيل الله) دين الاسلام (ويبغونها) يطلبون السبيل (عوجا) معوجة (وهم بالآخرة هم) تأكيد (كافرون أولئك لم يكونوا معجزين) الله (في الارض وما كان لهم من دون الله) أي غيره (من أولياء) أنصارا يمنعونهم من عذابه (يضاعف لهم العذاب) باضلالهم غيرهم (ما كانوا يستطيعون السمع) الحق (وما كانوا يبصرون) أي لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك (أولئك الذين خسروا أنفسهم) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يفترون) على الله من دعوى الشريك (لا جرم) حقا (أنهم في الآخرة هم الاخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا) سكنوا واطمأنوا أو أنابوا (الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل) صفة (الفريقين) الكفار والمؤمنين (كالاعمى والاصم) هذا مثل الكافر (والبصير والسميع) هذا مثل المؤمن (هل يستويان مثلا) لا (أفلا تذكرون) (قوله

فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال تتذكرون (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى) أى بأنى وفى قراءة بالكسر على حذف القول (لكم نذير مبين)
بين الانذار (أن) أى بأن (لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم) ان عبدتم غيره (عذاب يوم أليم) مؤلم فى الدنيا والآخرة

(فقال الملأ الذين كفروا من قومه) وهم الاشراف (ما نراك الا بشرا مثلنا) ولا فضل لك علينا (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أسافلنا كالحاكة والاساكفة (بادى الرأى) بالهمز وتركه أى ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أى وقت حدوث أول رأيهم (وما نرى لكم علينا من فضل) فتستحقون به الاتباع منا (بل نظنكم كاذبين) فى دعوى الرسالة أدرجوا قومه معه فى الخطاب (قال ياقوم أرأيتم) أخبرونى (ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى رحمة) نبوة (من عنده فعميت) خفيت (عليكم) وفى قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول (أنلزمكموها) أنجبركم على قبولها (وأنتم لها كارهون) لا نقدر على ذلك (وياقوم لا أسألكم عليه) على تبليغ الرسالة (مالا) تعطونيه (ان) ما (أجرى) ثوابى (الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) كما أمرتمونى (انهم ملاقوا ربهم) بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) عاقبة أمركم (وياقوم من

ينصرنى) يمنعنى (من الله) أى عذابه (ان طردتهم) أى لا ناصر لى (أفلا) فهلا (تذكرون) بادغام التاء الثانية فى الاصل فى الذال تتعظون
(ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا) انى (أعلم الغيب

(قوله فيه ادغام التاء الخ) أى والاصل تتذكرون أبدلت التاء الثانية ذالا وادغمت فى الذال وفى قراءة سبعية بحذف احدى التاءين تخفيفا (قوله ولقد أرسلنا نوحا) جرت عادة الله فى كتابه العزيز انه اذا أقام الحجج على الكفار ووبخهم وضرب لهم الامثال يذكر لهم بعض قصص الانبياء المتقدمين وأممهم اعلاما لهم يهتدون وفى هذه السورة سبع قصص الاولى قصة نوح مع قومه الثانية قصة هود مع قومه الثالثة قصة صالح مع قومه الرابعة قصة ابراهيم مع الملائكة الخامسة قصة لوط مع قومه السادسة قصة شعيب مع قومه السابعة قصة موسى مع فرعون وذكر هذه القصص على حسب الترتيب الزمانى وتقدم ان نوحا اسمه عبد الغفار ونوح لقبه سمى بذلك لكثرة نوحه لما ورد انه رأى كلبا مجذوما فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله اليه أعبتنى أم عبت الكلب فكان ذلك عتابا له فاستمر ينوح صلى الله عليه وسلم على نفسه فسمى بذلك (قوله أى بأنى) أشار بذلك الى أن قراءة الفتح على اضمار حرف الجر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله على حذف القول) أى ومتى وقعت ان بعد القول كسرت (قوله مبين) أى بين الانذار وواضحه (قوله انى أخاف عليكم) هذا فى قوة التعليل لقوله ان لا تعبدوا الا الله (قوله أليم) صفة لليوم وأسنده له مبالغة على سبيل المجاز العقلى وحق الاسناد للعذاب (قوله ما نراك الا بشرا مثلنا) اعلم انهم احتجوا عليه بثلاث حجج أولها قوله ما نراك الا بشرا مثلنا وآخرها قوله بل نظنكم كاذبين وقد أجابهم عنها اجمالا بقوله أرأيتم ان كنت على بينة من ربى الخ وتفصيلا بقوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله الخ (قوله الا بشرا مثلنا) أى آدميا مثلنا (قوله ولا فضل لك علينا) أى لا مزية لك علينا وهذا من فرط جهلهم حيث استبعدوا فضل الله على البشر وظنوا أن الرسل لا يكونون الا من الملائكة (قوله أراذلنا) أما جمع الجمع فهو جمع أرذل بضم الذال جمع رذل بسكونها ككلب وأكلب وأكالب أو جمع المفرد وهو أرذل كأكبر وأكابر وأبطح وأباطح (قوله كالحاكة) جمع حائك وهو القزاز (قوله والاساكفة) جمع اسكاف وهو صانع النعال وهذه عادة الله فى الانبياء والاولياء ان أول من يتبعهم ضعفاء الناس لذلهم فلا يتكبرون عن الاتباع (قوله بالهمز وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من غير تفكر فيك) أى ولو تفكروا ما اتبعوك (قوله من فضل) أى مزية من مال وغيره (قوله فى الخطاب) أى فى قوله وما نرى لكم بل نظنكم (قوله قال ياقوم) هذا خطاب فيه غاية التلطف بهم (قوله بيان) أى حجة وبرهان (قوله فعميت) أى النبوة أى خفيت عليكم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله والبناء للمفعول) أى والاصل أعماها الله عليكم أى أخفاها فأطلق العمى وأريد لازمه وهو الخفاء لان الاعمى تخفى عليه الاشياء فلا يهتدى ولا يهدى غيره (قوله أنجبركم على قبولها) أى لا قدرة لنا على الزامكم اياها والحال انكم كارهون لها لان الايمان انما هو بالرضا والتسليم الباطنى والمعنى أخبرونى ان كنت على حجة ظاهرة من ربى وأعطانى نبوة من عنده فأخفاها عليكم أأجبركم على قبولها والايمان بها والحال أنكم كارهون منكرون لها لا أستطيع ذلك بل لا قدرة لى الا على البلاغ (قوله الا على الله) أى فهو المتكفل لى بالثواب والعطايا (قوله كما أمرتمونى) أى فقد قالوا له امنع واطرد هؤلاء الاسافلة عنك ونحن نتبعك فانا نستحى أن نجلس معهم فى مجلسك وهذا كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم كما فى سورة الانعام فنزل ردا عليهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية (قوله فيجازيهم) أى على ما قدموا من الاعمال الصالحة (قوله تجهلون) أى لا تحسنون خطابا (قوله أى لا ناصر لى) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى (قوله أفلا تذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتأمرونى بطردهم فلا تذكرون (قوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله) هذا رد لقولهم وما نرى لكم علينا من فضل والمراد بخزائن الله فضله [illegible] الاهم (قوله ولا أعلم الغيب) [illegible]

فاطلع على بواطنكم (قوله ولا أقول انى ملك) رد لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا (قوله تزدرى) أصله تزترى وقلبت تاء الافتعال دالا (قوله لن يؤتيهم الله خيرا) أى توفيقا وهدى (قوله الله أعلم بما فى أنفسهم) أى من ايمان وكفر (قوله قد جادلتنا) أى شرعت فى جدالنا (قوله به) قدره اشارة الى أن عائد الموصول محذوف ويصح أن تكون ما مصدرية والمعنى بوعدك ايانا (قوله فيه) أى فى الوعد (قوله تعجيله) أشار بذلك الى أن مفعول شاء محذوف (قوله بفائتين الله) أى بفارين من عذابه (قوله وجواب الشرط) أى الاول وهذا مرور على مذهب البصريين القائلين ان جواب الشرط لا يتقدم عليه وجوزه الكوفيون وحينئذ يكون تقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحى وذلك لان القاعدة اذا اجتمع فى الكلام شرطان وجواب يجعل الجواب للثانى والشرط الثانى وجوابه جوابا عن الاول (قوله أى كفار مكة) هذا أحد قولين والثانى وعليه أكثر المفسرين أن هذه الآية من جملة قصة نوح ويكون الضمير فى افتراه عائدا على الوحى الذى جاءهم به نوح (قوله أى عقوبته) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله وأوحى) الجمهور على أنه مبنى للمفعول وانه بالفتح فى تأويل مصدر نائب فاعل وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وانه بالكسر اما على اضمار القول أى أوحى الله الى نوح قائلا له انه الخ أو بتضمين الايحاء معنى القول (قوله انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن) أى لن يستمر على الايمان الا من ثبت ايمانه وحصل فاندفع ما يقال ان فيه تحصيل الحاصل (قوله فدعا عليهم) أى بعد اليأس من ايمانهم وحصول غاية المشقة له منهم فكانوا يضربونه حتى يسقط فيلفونه فى اللبد ويلقونه فى بيت يظنون موته فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم الى الله وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وكان الوالد منهم يوصى أولاده بعدم اتباعه ويقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيأ فلما أوحى اليه بعدم ايمانهم دعا عليهم كما قال المفسر (قوله واصنع الفلك) يطلق مفردا وجمعا والمراد هنا المفرد وكان طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين وطولها فى السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب وهذه أشهر الروايات وقيل كان طولها ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل غير ذلك وجعلها ثلاث طبقات فالسفلى للوحوش والسباع والهوام وفى الوسطى الدواب والانعام وركب هو ومن معه فى العليا وقيل السفلى للدواب والوحوش والوسطى للانس والعليا للطير وأول ما حمله نوح الذرة وآخر ما حمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فاستثقل رجلاه وجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل ولو كان الشيطان معك فدخل فقال له نوح ما أدخلك على يا عدو الله قال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى يا عدو الله قال لابد أن تحملنى معك هكذا قيل وقيل انه لم يحمله معه فى السفينة وهو الصحيح لانه لم يثبت فى حمله خبر صحيح ومكث فى صنع السفينة مائتى سنة مائة فى غرس الاشجار ومائة فى عملها وهى من خشب الساج (قوله بمرأى) أى منا وحفظنا دفع بذلك ما يقال ان ظاهره مستحيل لاستحالة الاعين بمعنى الجارحة المعلومة على الله فأجيب بأنه أطلق الملزوم وأراد اللازم لانه يلزم من كون الشئ بالاعين أنه مبالغ فى حفظه (قوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى لا تراجعنى فى شأنهم فان الهلاك لابد لهم منه (قوله حكاية حال ماضية) أى فالمضارع بمعنى الماضى (قوله وكلما مر عليه ملأ) الجملة حالية والتقدير يصنع الفلك والحال أنه كلما مر الخ استهزؤا به أى فقالوا صرت نجارا بعد أن كنت نبيا وكان يعمل السفينة فى برية لا ماء فيها واستهزاؤهم اما لكونهم لا يعرفون السفينة ولا الانتفاع بها أو لكونهم يعرفونها غير أنهم تعجبوا من صنعه لها فى أرض لا ماء بها (قوله فانا نسخر منكم) أى ننسب لكم السخرية والاستهزاء لان من كان على أمر باطل فهو أحق بالاستهزاء والسخرية ولا حاجة لكون الكلام من باب المشاكلة (قوله موصولة) أى وعلم عرفانية تنصب مفعولا واحدا ويصح

قلوبهم (انى اذا) ان قلت ذلك (لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا) به من العذاب (ان كنت من الصادقين) فيه (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) تعجيله لكم فان أمره اليه لا الى (وما أنتم بمعجزين) بفائتين الله (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى اغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحى (هو ربكم واليه ترجعون) قال تعالى (أم) بل أ (يقولون) أى كفار مكة (افتراه) اختلق محمد القرآن (قل ان افتريته فعلى اجرامى) ثمى أى عقوبته (وأنا برىء مما تجرمون) من اجرامكم فى نسبة الافتراء الى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس) تحزن (بما كانوا يفعلون) من الشرك فدعا عليهم بقوله رب لا تذر على الارض الخ فأجاب الله دعاءه وقال (واصنع الفلك) السفينة (بأعيننا) بمرأى منا وحفظنا (ووحينا) أمرنا (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) كفروا بترك اهلاكهم (انهم مغرقون ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ) جماعة (من قومه سخروا منه) أى استهزؤا به (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا نجونا وغرقتم (فسوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (يأتيه

عذاب يخزيه ويحل) ينزل (عليه عذاب مقيم) دائم (حتى) غاية للصنع (اذا جاء أمرنا) باهلاكهم (وفار التنور) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (قلنا احمل فيها) في السفينة (من كل زوجين) أي ذكر وأنثى أي من كل أنواعها (اثنين) ذكرا وأنثى وهو مفعول وفي القصة ان الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيحملهما في السفينة (وأهلك) أي زوجته وأولاده (الا من سبق عليه القول) أي منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة (ومن آمن وما آمن معه الا قليل) قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وقال) نوح (اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) بفتح الميمين وضمهما مصدران أي جريها ورسوها أي منتهى سيرها (ان ربي لغفور رحيم) حيث لم يهلكنا (وهي تجري بهم في موج كالجبال) في الارتفاع والعظم (ونادى نوح ابنه) كنعان (وكان في معزل) عن السفينة (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين)

ان تكون استفهامية وعلم على بابها من كونها متعدية لاثنين ويكون الثاني محذوفا (قوله عذاب) أي وهو الغرق (قوله غاية للصنع) أي في قوله ويصنع الفلك (قوله وفار التنور) وكان من حجارة وكان من أمه حواء والاشهر أنه كان بالكوفة على يمين الداخل مما يلي باب كندة والتنور مما اتفق فيه لغة العرب والعجم كالصابون (قوله الخباز) أي وهي امرأة نوح وكان فورانه وقت طلوع الفجر (قوله وكان ذلك) أي فوران التنور وغليانه (قوله علامة لنوح) أي على الطوفان وكان في ثالث عشر من رجب في شدة القيظ (قوله من كل زوجين) المراد بالزوجين كل اثنين لا يستغني أحدهما عن الآخر كالذكر والانثى ويقال لكل منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وأنثى قال الحسن لم يحمل نوح معه الا ما يلد أو يبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين كالبق والبعوض فلم يحمل منه شيأ وروى بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحا وقالا احملنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا أحملكما فقالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضرا (قوله وهو مفعول) أي لفظ اثنين وقوله من كل زوجين حال منه مقدم عليه (قوله أي زوجته) أي التي أسلمت لانه كان له زوجتان احداهما آمنت فحملها والاخرى لم تؤمن فتركها (قوله وأولاده) أي الثلاثة وزوجاتهم (قوله الا من سبق عليه القول) أي القضاء بالغرق (قوله أي منهم) أخذ هذا التقييد من سورة المؤمنون (قوله وهو زوجته) أي التي لم تؤمن واسمها واعلة وقيل واعكة وورد أنه قبل مجيء الطوفان بأربعين سنة أصيبوا بالعقم فلم يلد في تلك المدة كي لا تصيبهم الرحمة من أجل وجود الصغار بينهم (قوله بخلاف سام) وهو أبو العرب وحام وهو أبو السودان ويافث وهو أبو الترك (قوله ثمانون) أي اثنان وسبعون من الامة وهو وأولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله وقال اركبوا) خطاب لمن معه (قوله بسم الله مجراها ومرساها) حال من الواو في اركبوا والتقدير قائلين بسم الله الخ وبسم الله خبر مقدم وقوله مجراها ومرساها مبتدأ مؤخر روي أنه كان اذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست (قوله بفتح الميمين) سبق قلم اذ فتح مرساها شاذ فالصواب أن يقول بضم الميمين أو فتح الاولى مع ضم الثانية (قوله مصدران) راجع لكل من الفتح والضم (قوله أي جريها) هذا يناسب الفتح وأما الضم فيقال في تفسيره أي اجراؤها وارساؤها (قوله كالجبال) روي أن الله أرسل المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا حتى أغرق كل شيء وروي أنه لما كثر الماء في السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء الى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي ولا ينافي ما تقدم من أنهم أصابهم العقم أربعين سنة لجواز أن يكون هذا الولد ابن أكثر من أربعين (قوله ونادى نوح ابنه) أي قبل سير السفينة (قوله وكان في معزل) الجملة حالية من ضمير ابنه وقوله يا بني الخ هذا هو المنادى به وبني بثلاث ياآت الاولى ياء التصغير والثانية لام الكلمة والثالثة ياء المتكلم تحركت ياء المتكلم وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما وأدغمت احدى الياءين في الاخرى فيقرأ بفتح الياء وكسرها قراءتان سبعيتان وقوله اركب معنا باظهار الباء وادغامها في الميم سبعيتان (قوله ولا تكن مع الكافرين) أي في البعد عن الركوب معنا ان قلت لا يخلو الحال اما أن يكون هذا الولد مسلما أو كافرا فان كان مسلما فما معنى كونه في معزل وان كان كافرا فلم عطف عليه وناداه مع علمه بكفره أجيب بأنه ذكر العلماء أنه كان منافقا يظهر الاسلام ويخفي الكفر فعند مجيء الطوفان أظهر ما كان يخفيه ولا مانع من كون الله يخرج الكافر من المؤمن وبالعكس وهذا الولد قيل كان من صلبه وهو الراجح وقيل ابن زوجته من نكاح غيره وقيل كان ولد

قوله وانتصر ما قبلها أي بحسب الاصل من قوله [illegible] أي بحسب الاصل اذ أصله [illegible] بسكون الواو لان [illegible] دخول العوامل [illegible] اهـ

﴿ ٢٣ — صاوي — ني ﴾

خبث ولد تنزو وجده على فراشه ولم يعلم به وهذا القول غير وجيه لقول ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط (قوله سآوي) أي ألتجئ (قوله الا من رحم) عبر المفسر بلكن اشارة الى أن الاستثناء منقطع لان ما بعد الا هو المعصوم وما قبلها هو العاصم ولاشك أنه غيره (قوله وحال بينهما) أي بين نوح وابنه (قوله فكان من المغرقين) أي الهالكين بالماء وورد أنه أوى الى جبل عال فدخل في غار فيه وسد على نفسه من كل جهة فغرق في بوله وغائطه (قوله وقيل يا أرض الخ) أي أمر الله الارض بذلك والمراد تعلقت قدرته بزوال الماء على حد قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وهذا القول وقع يوم عاشوراء ونزول نوح السفينة لعشر خلون من رجب فكان مكثهم في السفينة ستة أشهر فلما نجوا صاموا جميعا حتى الطيور والوحوش يوم عاشوراء شكرا لله على النجاة ومرت السفينة بهم بالبيت الحرام فطافت به سبع مرات وأودع الله الحجر الاسود في جبل أبي قبيس وورد أن نوحا حمل أباه آدم معه في السفينة (قوله فصارا أنهارا وبحارا) أي فماء السماء بقي فصار أنهارا وبحارا وماء الارض ابتلعته الارض فصار في باطنها (قوله نقص) أي ولم يذهب بالكلية لما علمت من بقاء ماء السماء (قوله جبل بالجزيرة) هي مدينة بالعراق وروي ان الله أوحى الى الجبال ان السفينة ترسى على واحد منها فتطاولت وبقي الجودي لم يتطاول تواضعا لله فاستوت السفينة عليه وبقيت على أعوادها وفي الحديث لقد بقي منها شيء أدركه أوائل هذه الامة وورد أنهم لما خرجوا من السفينة بنوا قرية وسموها الثمانين لانهم كانوا ثمانين (قوله وقيل بعدا) منصوب على المصدر بفعل مقدر أي بعدوا بعدا فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم (قوله للقوم الظالمين) أي فهلكوا جميعا حتى البهائم والطيور والاطفال على القول بأنهم لم يعقموا ولا يسئل عما يفعل وهذا الغرق عقوبة للكافرين لا لغيرهم قال بعضهم هذه الآية أبلغ آية في القرآن لاحتوائها على أحد وعشرين نوعا من أنواع البديع والحال أن كلماتها تسعة عشر وخوطبت الارض أولا بالبلع لان الماء نبع منها أولا قبل أن تمطر السماء (قوله ونادى نوح ربه) أي قبل سير السفينة (قوله فقال) هذا تفصيل النداء (قوله وقد وعدتني بنجاتهم) أي المدلول عليها بقوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك (قوله الناجين أو من أهل دينك) أشار المفسر الى أن الكلام اما على حذف الصفة أو على حذف المضاف (قوله أي سؤالك) أشار بذلك الى أن الضمير في انه عائد على نوح على حذف مضاف والمعنى قال الله يا نوح ان سؤالك عمل غير صالح أي غير مقبول لان الله لا يقبل الشفاعة الا في المسلمين فسؤالك خطأ أوقعت نظير استغفار ابراهيم لابيه وهذا غير قادح في منصب النبوة لان نوحا كان يظن اسلام ولده لانه كان يظهره ومن المعلوم أن الرسل يحكمون بالظاهر وقيل ان الضمير عائد على الولد ويقال في الاخبار عنه بعمل ما قيل في زيد عدل وهو الراجح (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله ونصب غير) أي على المفعولية لعمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فعلى التخفيف تسكن اللام وعلى التشديد تفتح اللام وفي قراءة التخفيف وجهان حذف الياء واثباتها وفي قراءة التشديد ثلاث فتح النون مع حذف الياء لا غير وكسر النون مع حذف الياء واثباتها وكل هذا في حال الوصل وأما عند الوقف فلا تثبت أصلا (قوله ما ليس لك به علم) أي ما لا تعلم أنه صواب أم لا (قوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين) هذا العتاب فيه رفق وتلطف والمعنى كان الله يقول له ان مقامك عظيم فشأنك أن لا تسأل ولا تشفع الا فيمن ترجى فيه النجاة وأما فيمن تجهل قبول الشفاعة فيه فلا يليق منك أن تقدم على السؤال فيه (قوله اني أعوذ بك) أي أتحصن بك (قوله أن أسألك) أي بعد ذلك (قوله ما فرط مني) أي تقدم وسلف وهو الاقدام على سؤال ما ليس لي به علم وهذا لا يقتضي معصية ولا ذنبا من نوح اذ هو معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها لان الله وعد نوحا عليه السلام بأن ينجيه وأهله فنادى نوح بظاهر اللفظ واتبع التأويل حيث ظن ان ولده من جملة أهله الناجين فلما [illegible] رجع على نفسه باللوم والندم [illegible] والمغفرة والرحمة وذلك [illegible] وقع له من ترك الاولى [illegible] حسنات الابرار سيئات المقربين

قال سآوي الى جبل يعصمني) يمنعني (من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله) عذابه (الا) لكن (من رحم) الله فهو المعصوم قال تعالى (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا أرض ابلعي ماءك) الذي نبع منك فشربته دون ما نزل من السماء فصار أنهارا وبحارا (ويا سماء أقلعي) امسكي عن المطر فأمسكت (وغيض) نقص (الماء وقضي الامر) تم أمر هلاك قوم نوح (واستوت) وقفت السفينة (على الجودي) جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا) هلاكا (للقوم الظالمين) الكافرين (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني) كنعان (من أهلي) وقد وعدتني بنجاتهم (وان وعدك الحق) الذي لا خلف فيه (وأنت أحكم الحاكمين) أعلمهم وأعدلهم (قال) تعالى (يا نوح انه ليس من أهلك) الناجين أو من أهل دينك (انه) أي سؤالك اياي بنجاته (عمل غير صالح) فانه كافر ولا نجاة للكافرين وفي قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير لابنه (فلا تسألن) بالتشديد والتخفيف (ما ليس لك به علم) من انجاء ابنك (اني أعظك أن تكون من الجاهلين) بسؤالك ما لم تعلم (قال رب اني أعوذ بك) من (أن أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي) ما فرط مني (وترحمني أكن من الخاسرين)

(قوله

قيل يانوح اهبط) انزل من السفينة (بسلام) بسلامة أو بتحية (منا وبركات) خيرات (عليك وعلى أمم ممن معك) في السفينة أي من أولادهم وذرياتهم وهم المؤمنون (وأمم) بالرفع ممن معك (سنمتعهم) في الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب أليم) في الآخرة وهم الكفار (تلك) أي هذه الآيات المتضمنة قصة نوح (من أنباء الغيب) أخبار ما غاب عنك (نوحيها إليك) يا محمد (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) القرآن (فاصبر) على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح (إن العاقبة) المحمودة (للمتقين و) أرسلنا (إلى عاد أخاهم) من القبيلة (هودا قال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (ما لكم من) زائدة (إله غيره إن) ما (أنتم) في عبادتكم الأوثان (إلا مفترون) كاذبون على الله (يا قوم لا أسألكم عليه) على التوحيد (أجرا إن) ما (أجري إلا على الذي فطرني) خلقني (أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (إليه) بالطاعة (يرسل السماء) المطر وكانوا قد منعوه (عليكم مدرارا) كثير الدرور (ويزدكم قوة إلى) مع (قوتكم) بالمال والولد (ولا تتولوا مجرمين) مشركين (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) برهان على قولك (وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك) أي لقولك (وما نحن لك بمؤمنين إن) ما (نقول) في شأنك (إلا اعتراك) أصابك (بعض آلهتنا بسوء) فخبلك لسبك إياها فأنت تهذي (قال إني أشهد الله) علي (واشهدوا أني بريء مما تشركون) به (من دونه فكيدوني) احتالوا في هلاكي (جميعا) أنتم وأوثانكم

(قوله قيل يا نوح اهبط بسلام) أي بسلامة وأمن ودخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة (قوله انزل من السفينة) ورد أنه لما نزل منها أراد أن يبعث من يأتيه بخبر الأرض فقال له الدجاج أنا فأخذه وختم على جناحه وقال لها أنت مختومة بخاتمي لا تطيري أبدا تنتفع بك أمتي فبعث الغراب فأصاب جيفة فوقع عليها فاحتبس فلعنه ودعا عليه بالخوف فلذلك يقتل في الحل والحرم ولا يألف البيوت وبعث الحمامة فلم تجد قرارا فوقفت على شجرة بأرض سبأ فحملت ورقة زيتون ورجعت إلى نوح فعلم أن الماء لم تتمكن من الأرض ثم بعثها بعد ذلك فطارت حتى وقفت بوادي الحرم فإذا الماء قد ذهب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءت إلى نوح فقالت بشراي منك أن تهب لي الطوق في عنقي والخضاب في رجلي وأن أسكن الحرم فمسح يده على عنقها وطوقها ووهب لها الحمرة في رجليها ودعا لها ولذريتها بالبركة (قوله أي من أولادهم الخ) أشار بذلك إلى أن من تبعيضية والكلام على حذف مضاف والمعنى وعلى أمم من ذرية من معك (قوله وأمم سنمتعهم) يقال فيه ما قيل فيما قبله أي وأمم من ذرية من معك سنمتعهم الخ والمعنى أن ذرية الأمم الذين معه بعضهم مؤمن فعليه السلام وبعضها كافر فيمتع في الدنيا ثم يمسه العذاب الأليم في الآخرة والذرية المذكورة لم تكن إلا من أولاده الثلاثة كما تقدم فهو الأب الثاني للخلق بعد آدم (قوله تلك) مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أخبار (قوله ما كنت تعلمها) أي تفصيلا (قوله فاصبر) هذا هو المقصود من ذكر تلك القصة أي فتسل ولا تحزن على عدم إيمان المشركين ولا تنزعج من أذاهم (قوله وإلى عاد) الجملة معطوفة على جملة ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه عطف قصة على قصة وأخر هودا لأنه متأخر عن نوح في الزمن إذ هو من أولاد سام بن نوح وبين هود ونوح ثمانمائة سنة وعاد اسم قبيلة تنسب إلى أبيها عاد من ذرية سام بن نوح وهود ينسب له لأنه من تلك القبيلة لأن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد وعاش هود أربعمائة سنة وأربعا وستين سنة (قوله وحدوه) أي وسمي التوحيد عبادة لأنه أساسها ورأسها (قوله ما لكم من إله غيره) ما نافية ولكم خبره قدم وإله مبتدأ مؤخر وغيره صفته ومن زائدة كما قال المفسر (قوله كاذبون على الله) أي حيث ادعيتم أن لله شركاء وعبدتموهم (قوله لا أسألكم عليه أجرا) أي ليس مقصدي من تبليغ التوحيد والأحكام لكم أنكم تعطوني أجرا على ذلك من مال أو غيره والمقصود من ذلك الخطاب راحة قلوبهم والتلطف بهم عسى أن يقبلوا ما جاء به بقلب سليم وعبر هنا بأجرا وفي قصة نوح بمالا تفننا (قوله إن أجري إلا على الذي فطرني) أي لأنه هو المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر فلا أطلب من غيره (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتجهلون وتعميتم فلا تعقلون (قوله استغفروا ربكم) أي من كل ذنب مضى وقوله وتوبوا إليه أي اقلعوا واعزموا على عدم الرجوع في المستقبل (قوله وكانوا قد منعوه) أي ثلاث سنين (قوله مدرارا) حال من السماء أي كثيرة النزول والتتابع (قوله كثير الدرور) أي فيقال در يدر درا ودرورا فهو مدرار (قوله بالمال والولد) أي وكانت قد عقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد (قوله قالوا يا هود) أي استهزاء وعنادا (قوله ببينة) أي معجزة وكانت معجزته التي قامت بها الحجة عليهم ما يأتي في قوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فعصمته منهم هي معجزته وكذا معجزة نوح التي قامت بها الحجة عليهم هي قوله فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة الآية وأما الريح والطوفان وإن كان كل معجزة فهما إهلاك لهم لا لإقامة الحجة عليهم (قوله برهان) أي دليل واضح على صحته (قوله أي لقولك) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى لام التعليل (قوله إن نقول) أي في شأنك (قوله فخبلك) أي أفسد عقلك (قوله لسبك) علة لقوله فخبلك (قوله فأنت تهذي) أي تتكلم بالهذيان وهو الكلام الساقط الذي لا معنى له (قوله إني بريء مما تشركون) أي خال ومتبرئ من جميع ما تشركونه مع الله (قوله فكيدوني) بإثبات الياء وصلا ووقفا هنا لجميع القراء والتي في المرسلات بحذفها لجميعهم وأما التي

ثم لا تنظرون) تمهلون (انى توكلت على الله ربى وربكم ما من) زائدة (دابة) نسمة تدب على الارض (الا هو آخذ بناصيتها) أى مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر الا باذنه وخص الناصية بالذكر لان من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل (ان ربى على صراط مستقيم) أى طريق الحق والعدل (فان تولوا) فيه حذف احدى التاءين أى تعرضوا (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيأ) باشراككم (ان ربى على كل شئ حفيظ) رقيب (ولما جاء أمرنا) عذابنا (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة) هداية (منا ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (وتلك عاد) اشارة الى آثارهم أى فسيحوا في الارض وانظروا اليها ثم وصف أحوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) جمع لان من عصى رسولا عصى جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤا به وهو التوحيد (واتبعوا) أى السفلة (أمر كل جبار عنيد) معاند للحق من رؤسائهم (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة) من الناس (ويوم القيامة) لعنة على رؤس الخلائق (ألا ان عادا كفروا) جحدوا (ربهم ألا بعدا) من رحمة الله (لعاد قوم هود و) أرسلنا (الى ثمود أخاهم) من القبيلة (صالحا قال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (ما لكم من اله غيره هو أنشأكم) ابتدأ خلقكم (من الارض) بخلق أبيكم آدم منها (واستعمركم فيها) جعلكم عمارا تسكنون بها (فاستغفروه) من الشرك (ثم توبوا) ارجعوا (اليه) بالطاعة (ان ربى قريب) من خلقه بعلمه (مجيب) لمن سأله (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا) نرجو أن تكون سيدا (قبل هذا) الذى صدر منك (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) من الاوثان (وانا لفى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب)

في الاعراف فن باآت الزوائد فتحذف وقفا ويجوز حذفها واثباتها في الوصل (قوله ثم لا تنظرون) أى لا تؤخرون حتى آتى بشئ يحفظنى من قراءة أو سلاح أو غير ذلك وهذا من شدة وثوقه بربه واعتماده عليه (قوله انى توكلت) أى فوضت أمورى اليه واعتمدت عليه (قوله ربى وربكم) هذا تبكيت عليهم (قوله فلا نفع ولا ضرر الا باذنه) أى وأنتم من جملة الدواب فليس لكم تأثير في شئ أصلا (قوله فان تولوا) شرط حذف جوابه لدلالة قوله فقد أبلغتكم الخ عليه والتقدير فلا عذر لكم ولا مؤاخذة على فقد أبلغتكم الخ (قوله ويستخلف ربى الخ) هذا وعيد شديد مترتب على اعراضهم والمعنى فان تعرضوا عن الايمان فلا مؤاخذة على بل يقابلنى ربى ويهلككم ويستخلف غيركم ولا تضرونه شيأ باعراضكم بل ما ضررتم الا أنفسكم (قوله ان ربى على كل شئ حفيظ) أى فلا يخفى عليه أحوالكم بل يجازى كل أحد بعمله (قوله عذابنا) أى وهو الريح الصرصر المذكور في قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال الآية فأصابهم صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال وكان يدخل في أنف الواحد ويخرج من دبره فيرفعه في الجو فيسقط على الارض فتتقطع أعضاؤه وقد تقدم بسطها في الاعراف (قوله والذين آمنوا معه) أى وكانوا أربعة آلاف (قوله وتلك عاد) مبتدأ وخبر على حذف مضاف كما أشار له المفسر أى آثار عاد (قوله في الارض) أى أرضهم (قوله وانظروا اليها) أى لتعتبروا وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأمته ولكن المراد الامة (قوله لان من عصى رسولا الخ) جواب عما يقال لم جمع الرسل مع انهم عصوا رسولا واحدا وهو هود (قوله عنيد) أى معاند متجاوز في الظلم (قوله لعنة) أى طردا وبعدا (قوله ويوم القيامة لعنة) أى طردا عن رحمة الله وهى الجنة وما فيها لاتصافهم بالشقاوة الدائمة الموجبة للخلود في النار (قوله ألا ان عادا كفروا ربهم) هذا بيان لسبب استحقاقهم للعنتين (قوله ألا بعدا لعاد) هذا هو معنى قوله وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة وذكر تأكيدا واشارة الى أنهم مستحقون لذلك (قوله قوم هود) بدل من عاد واحترز به عن عاد الثانية المسماة بثمود وهى قوم صالح الآتية قصتهم بعد (قوله والى ثمود) عطف على قوله ولقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة وقدر المفسر أرسلنا اشارة الى أن قوله أرسلنا الاول مسلط عليه فهو من عطف الجمل وثمود هنا ممنوع الصرف باتفاق القراء العشرة وقرئ شاذا بالصرف بخلاف ما يأتى في قوله ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود فبالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان وثمود اسم أبى القبيلة سميت باسمه لشهرته وبين صالح وبينه خمسة أجداد وبين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتى سنة وثمانين سنة (قوله هو أنشأكم) هذا دليل على كونه المستحق للعبادة دون غيره (قوله من الارض) أى مباشرة أو بواسطة فالاول خلق أبينا آدم منها والثانى خلق مواد النطف التى منها النوع الانسانى (قوله جعلكم عمارا تسكنون بها) أى خلفاء في الارض ويصح أن يكون المعنى جعلكم معمرين لها بعد أن خربت (قوله فاستغفروه) أى من الذنوب التى مضت (قوله ثم توبوا اليه) أى اقلعوا عن الذنوب في المستقبل (قوله بعلمه) أى فالمراد قرب مكانة ورفعة والمعنى ان الله قريب من خلقه قربا معنويا منزها عن الاحاطة والجهة فهو أقرب من نور العين لها ومن سمع الاذن لها ومن لمس الجسم له ومن شم الانف له سبحانه وتعالى (قوله مجيب) أى فلا يخيب سائلا (قوله نرجو أن تكون سيدا) أى لانه كان يعين ضعيفهم ويعطى فقيرهم وكانوا يرجعون اليه في الامور قبل تلك المقالة فلما حصلت قالوا انقطع رجاؤنا فيك (قوله الذى صدر منك) أى وهو نهيهم عن عبادة الاوثان (قوله أتنهانا أن نعبد) أى أتنهانا عن عبادة الذى كان يعبده آباؤنا وقوله من الاوثان بيان لما (قوله واننا) هذا هو الاصل ويصح واننا بنون واحدة مشددة ولذا قرئ به في سورة ابراهيم (قوله مريب) وصف الشك والاسناد

مجازى وحق الاسناد لصاحبه (قوله موقع فى الريب) أى الدائم (قوله أرأيتم) أى اخبرونى (قوله ان كنت على بينة) أى بان مشا كانة لاعتقادهم فيه ومسايرة لطباعهم (قوله بيان) أى برهان وحجة واضحة (قوله أى عذابه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ان عصيته) أى على فرض وقوع المعصية منى والا فهى مستحيلة عليه كبيرها وصغيرها قبل النبوة وبعدها (قوله بأمركم لى بذلك) أى بعصيانه وموافقتكم (قوله تضليل) أى لى ان اتبعتكم والمعنى اخبرونى ان كنت على بينة ونبوة من ربى فلا أحد يمنعنى من عذاب الله ان اتبعتكم وعصيته وحينئذ أكون خاسرا مضيعا لما أعطانى الله من الحق وهل رأيتم نبيا صار كافرا وكل هذا تنزل منه لهم (قوله هذه ناقة الله) أى وقد طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من صخرة عينوها حيث قالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء فدعا الله فتمخضت الصخرة كما تتمخض النساء عند الولادة فخرجت منها ناقة كما وصفوا فولدت الناقة فى الحال فصيلا قدرها فى الجثة يشبهها وأضيفت الناقة لله تشريفا أى لا اختصاص لاحد بها (قوله تأكل فى أرض الله) أى من العشب والنبات وفى الكلام اكتفاء أى وتشرب من ماء الله على حد سرابيل تقيكم الحر أى والبرد (قوله قريب) أى عاجل لا يتأخر عنهم الا ثلاثة أيام (قوله عقرها قدار) أى ابن سالف حيث ضرب بها فى رجلها فنحروها واقتسموا لحمها وقدار هذا من أشقى الاشقياء (قوله فى داركم) أى أرضكم (قوله ثلاثة أيام) والحكمة فى ذلك بقاء الفصيل ينوح على أمه ثلاثة أيام ثم فتحت له الصخرة ودخل فيها فقالوا وما العلامة قال تصبحون فى اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفى اليوم الثانى وجوهكم محمرة وفى اليوم الثالث وجوهكم مسودة (قوله غير مكذوب فيه) أشار المفسر بتقدير فيه الى أنه من باب الحذف والايصال (قوله برحمة منا) أى وهى الايمان (قوله من خزى يومئذ) أى يوم اهلاكهم بالصيحة (قوله لاضافته الى مبنى) أى فهى من أسباب البناء (قوله وهو الاكثر) أى عربية وأما فى القراءة فمستويان (قوله وأخذ الذين ظلموا) حذفت تاء التأنيث من الفعل اما لكون المؤنث مجازيا كما يقال طلع الشمس أو للفصل بالمفعول كأتى القاضى بنت الواقف (قوله الصيحة) أى مع الزلزلة فتقطعت قلوبهم والمراد صيحة جبريل عليهم من السماء فسمعوا فيها صوت كل شئ فماتوا جميعا (قوله ألا بعدا) أى طردا دائما عن رحمة الله فقد نزعوا من دائرة الحلم والرحمة (قوله بالصرف وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على معنى الحى) راجع للصرف وقوله والقبيلة راجع لتركه فهو لف ونشر مرتب وقد تقدم بسط تلك القصة فى الاعراف (قوله ولقد جاءت رسلنا) أتى هنا بقصة ابراهيم توطئة لقصة لوط لا استقلالا لان الهلاك هنا لم يكن لقوم ابراهيم ولذا غاير الاسلوب فلم يقل وأرسلنا ابراهيم الى قومه مثلا ورسلنا بضم السين واسكانها قراءتان سبعيتان فى جميع القرآن متى أضيفت رسل للضمير فان أضيفت للظاهر قرئ بضم السين لا غير واختلف فى عدة الرسل الذين جاؤه فعن ابن عباس ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل تسعة وقيل اثنا عشر وقيل غير ذلك وعاش ابراهيم من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة وبينه وبين نوح ألفا سنة وستمائة وأربعون سنة وابنه اسحق عاش مائة وثمانين سنة ويعقوب بن اسحق عاش مائة وسبعا وأربعين سنة (قوله بالبشرى) هى الخبر السار سميت بذلك لانبساط البشرة عند حصولها (قوله باسحق ويعقوب بعده) أفاد المفسر أن المراد بالبشرى هنا هى ما يأتى فى قوله فبشرناها باسحق الخ ويحتمل أن المراد بقوله هنا بالبشرى ما هو أعم من ذلك فيشمل بشراه بنجاة لوط وهلاك الكافرين وغير ذلك (قوله قالوا سلاما) هذه تحيتهم الواقعة منهم وهو منصوب بفعل محذوف والتقدير سلمنا عليك سلاما (قوله مصدر) أى نائب عن لفظ الفعل (قوله قال سلام) انما أتى ابراهيم بالجملة الاسمية فى الرد لتفيد الدوام والثبوت فيكون الرد أحسن من الابتداء لان الجملة الاسمية أشرف من الفعلية وقوله عليكم قدره المفسر اشارة الى أن سلام مبتدأ والخبر محذوف والمسوغ للابتداء بالنكرة التعظيم على حد شر أهر ذا ناب أو الدعاء (قوله فما لبث أن جاء بعجل) ما نافية ولبث فعل ماض وأن جاء فى تأويل مصدر فاعل والمعنى لم يتأخر

موقع فى الريب (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة) بيان (من ربى وآتانى منه رحمة) نبوة (فمن ينصرنى) يمنعنى (من الله) أى عذابه (ان عصيته فما تزيدوننى) بأمركم لى بذلك (غير تخسير) تضليل (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) حال عاملها الاشارة (فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء) عقر (فيأخذكم عذاب قريب) ان عقرتموها (فعقروها) عقرها قدار بأمرهم (فقال) صالح (تمتعوا) عيشوا (فى داركم ثلاثة أيام) ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) فيه (فلما جاء أمرنا) باهلاكهم (نجينا صالحا والذين آمنوا معه) وهم أربعة آلاف (برحمة منا و) نجيناهم (من خزى يومئذ) بكسر الميم اعرابا وفتحها بناء لاضافته الى مبنى وهو الاكثر (ان ربك هو القوى العزيز) الغالب (وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (كأن) مخففة واسمها محذوف أى كأنهم (لم يغنوا) يقيموا (فيها) فى دارهم (ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) بالصرف وتركه على معنى الحى والقبيلة (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) باسحق ويعقوب بعده (قالوا سلاما) مصدر (قال سلام) عليكم (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ)

مشوى (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم) بمعنى أنكرهم (وأوجس) أضمر في نفسه (منهم خيفة) خوفا (قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط) لنهلكهم (وامرأته) أى امرأة ابراهيم سارة (قائمة) تخدمهم (فضحكت) استبشارا بهلاكهم (فبشرناها باسحق ومن وراء) بعد (اسحق يعقوب) ولده تعيش الى أن تراه (قالت ياويلتى) كلمة تقال عند أمر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة (أألد وأنا عجوز) لى تسع وتسعون سنة (وهذا بعلى شيخا) له مائة أو وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه ما فى ذا من الاشارة (ان هذا الشىء عجيب) أن يولد ولد لهرمين (قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته (رحمت الله وبركاته عليكم) يا (أهل البيت) بيت ابراهيم (انه حميد) محمود (مجيد) كريم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الخوف (وجاءته البشرى) بالولد أخذ (يجادلنا) يجادل رسلنا (فى) شأن (قوم لوط ان ابراهيم لحليم) كثير الاناة (أواه منيب) رجاع فقال لهم أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا قال أفرأيتم ان كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها الخ فلما أطال مجادلتهم قالوا (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء أمر ربك) بهلاكهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) حزن بسببهم

مخيئه بعجل حنيذ (قوله مشوى) أى على الحجارة المحماة فى حفرة فى الارض وهو من فعل أهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك كما فى آية الذاريات وكان عامة مال ابراهيم البقر (قوله فلما رأى أيديهم) هذا مرتب على محذوف كما فى الآية الاخرى فقربه اليهم فقال ألا تأكلون فلما رأى الخ فى بعض الروايات قالوا لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل قال وحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا (قوله خوفا) أى من أجل امتناعهم من طعامه فخاف منهم الخيانة على عادة الناس انه لا يأكل طعام من أراد خيانته ان قلت كيف خاف ابراهيم منهم مع كونه خليل الرحمن وهم مصورون فى بيته أجيب بأن خوفه لما رأى فيهم من جلالة الله وهيبته فخوفه من ربه لا من ذواتهم (قوله قالوا لا تخف) أى عجوابا لقوله لهم كما فى سورة الحجر انا منكم وجلون (قوله الى قوم لوط) أى وهو ابن أخى ابراهيم الخليل وهو أول من آمن به وأبوه هاران أخو ابراهيم (قوله لنهلكهم) أخذ هذا المقدر من قوله فى سورة الذاريات لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة الخ (قوله تخدمهم) أى على عادة نساء العرب لا يتحاشون خدمة الضيوف (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد وهى بنت عمه (قوله فضحكت) فى سبب ذلك الضحك أقوال قيل للبشرى بهلاك قوم لوط كما قال المفسر وقيل من خوف ابراهيم وهو فى خدمه وحشمه وقيل سرورا بالولد وقيل تعجبا من اتيان الولد على كبر وقيل لموافقة مجىء الملائكة بهلاك قوم لوط لما قالته لابراهيم فانها قالت له قبل مجىء الملائكة اضمم اليك ابن أخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه وقيل غير ذلك (قوله فبشرناها) انما نسبت البشارة لها دونه لانها كانت أشوق منه الى الولد لانه لم يأتها ولد قط بخلافه هو فقد أتاه اسمعيل قبل اسحق بثلاثة عشر سنة (قوله باسحق) ولد بعد البشارة بسنة فاسمعيل أسن منه بأربعة عشر سنة (قوله يعقوب) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان (قوله كلمة تقال) أى على سبيل التعجب من مخالفة العادة لا من قدرة الله فان ذلك كفر حاشاها منه (قوله عند أمر عظيم) أى خيرا كان أو شرا ولكن المراد هنا الخير (قوله والالف مبدلة من ياء الاضافة) أى فيقال فى اعرابها ويلتى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا منع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة المأتى بها عن الكسرة لمناسبة الالف وويلتى مضاف والالف مضاف اليه مبنى على السكون فى محل جر وترسم بالياء وتقرأ بالالف والامالة (قوله وهذا بعلى) سمى الزوج بذلك لان البعل هو المستعلى على غيره ولا شك أن الزوج مستعل على المرأة قائم بأمورها (قوله رحمة الله وبركاته) هذا دعاء من الملائكة لهم (قوله أهل البيت) أشار المفسر بتقدير يا الى أن أهل البيت منصوب على النداء ويصح أن يكون منصوبا على الاختصاص (قوله حميد) أى كثير الحمد (قوله مجيد) أى عظيم شريف (قوله فلما ذهب) جوابها محذوف قدره المفسر بقوله أخذ (قوله وجاءته البشرى) أى بعد الروع (قوله يجادل رسلنا) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ان ابراهيم لحليم) أى فالحامل له على المجادلة حلمه ورقة قلبه فغرضه تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم عليه من القبائح (قوله كثير الاناة) أى التأنى فى الامور وعدم العجلة (قوله أواه) فى تفسيره أقوال كثيرة تقدم بعضها فى سورة براءة (قوله فقال لهم) هذه صورة المجادلة والحاصل انه سألهم خمسة أسئلة وأجابوه عنها (قوله الى آخره) أى الى آخر ما فى سورة العنكبوت (قوله أمر ربك) أى قضاؤه وحكمه (قوله غير مردود) أى غير مصروف عنهم فانه قضاء مبرم لا محيص عنه (قوله ولما جاءت رسلنا) أى الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم والمعنى أنهم ارتحلوا من عند ابراهيم حتى أتوا قرية لوط وتسمى سدوم بلد بحمص وبينها وبين الخليل أربعة فراسخ نصف النهار فوجدوا لوطا يعمل فى أرض له وقيل كان يحتطب وقد قال الله للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى بهم ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها أشر قرية فى الارض عملا قال ذلك أربع مرات فدخلوا

(وضاق بهم ذرعا) صدرا لانهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه (وقال هذا يوم عصيب) شديد (وجاءه قومه) لما علموا بهم (يهرعون) يسرعون (اليه ومن قبل) قبل مجيئهم (كانوا يعملون السيئات) وهي اتيان الرجال في الادبار (قال) لوط (ياقوم هؤلاء بناتي) فتزوجوهن (هن أطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون) تفضحوني (في ضيفي) أضيافي (أليس منكم رجل رشيد) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق) حاجة (وانك لتعلم مانريد) من اتيان الرجال (قال لو أن لي بكم قوة) طاقة (أو آوي الى ركن شديد) عشيرة تنصرني لبطشت بكم فلما رأت الملائكة ذلك (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) بسوء (فأسر بأهلك بقطع) طائفة (من الليل ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يرى عظيم ماينزل بهم (الا امرأتك) بالرفع بدل من أحد وفي قراءة بالنصب استثناء من الاهل أي فلا تسر بها (انه مصيبها ما أصابهم) فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا (ان موعدهم الصبح) فقال اريد أعجل من ذلك قالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا) باهلاكهم (جعلنا عاليها) أي قراهم (سافلها) أي بأن رفعها جبريل الى السماء وأسقطها مقلوبة الى الارض (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) طين طبخ بالنار (منضود) متتابع (مسومة) معلمة عليها اسم من يرمى بها (عند ربك) ظرف لها (وما هي) الحجارة أو بلادهم (من الظالمين) أي أهل مكة

معه حتى دخلوا منزله وقيل انه مر مع الملائكة على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة أخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك فقال لوط مثل ماقال أولا حتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا مارأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم (قوله وضاق بهم ذرعا) الاصل فيه أن البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوته فاذا حمل عليه ضعف ومد عنقه وضاق ذرعه فأطلق الذرع وأريد منه الصدر فالمراد ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه (قوله فخاف عليهم قومه) منصوب بنزع الخافض أي من قومه (قوله عصيب) مأخوذ من العصب وهو الشدة ومنه العصابة التي يشد بها الرأس (قوله لما علموا بهم) أي اما لانهم رأوهم مع لوط في الطريق أو أعلمتهم زوجته (قوله يهرعون) أي يسوق بعضهم بعضا (قوله كانوا يعملون السيئات) أي فلا حياء عندهم منها لاعتيادهم لها (قوله قال ياقوم) هذا الخطاب وقع من لوط وهم خارج الباب (قوله هؤلاء بناتي فتزوجوهن) أي وكان في شرعه يجوز تزوج الكافر بالمسلمة وقيل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقيل قال ذلك لتخليص أضيافه لا لاباحة التزوج بهن لعلهم اذا رأوه قد فدى أضيافه ببناته ينزجروا ويرتدعوا ويتركوا هذا الامر وقيل المراد ببناته نساء قومه وأضافهن اليه لان كل نبي لقومه كالاب لاولاده في الشفقة واللطف بهم (قوله هن أطهر لكم) ان قلت ان ذلك الفعل لاطهارة فيه أجيب بأن افعل التفضيل ليس على بابه نظير قوله تعالى أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم (قوله تفضحون) أي تعيبوني (قوله في ضيفي) أي في شأنه (قوله أليس منكم) استفهام توبيخ (قوله قال لو أن لي بكم قوة) أي لو ثبت أن لي بكم قوة أو أني آوي وجواب لو محذوف قدره المفسر بقوله لبطشت بكم وانما قال ذلك لانه لم يكن من قومه نسبا بل كان غريبا فيهم لانه كان أولا بالعراق مع ابراهيم ببابل فهاجر الى الشام بأمر من الله فنزل ابراهيم بأرض فلسطين ونزل لوط بالاردن فأرسله الى أهل سدوم فمن ذلك الوقت لم يرسل الله رسولا الا من قومه (قوله قالوا يالوط انا رسل ربك) أي فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب ودخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه فضرب بهما وجوههم فأعماهم وطمس أعينهم حتى ساوت وجوههم فصاروا لايعرفون الطريق فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة في بيت لوط سحرة قد سحرونا يالوط ستري منا غدا ماترى (قوله فأسر) بقطع الهمزة ووصلها فهما أسرى وسرى وهما قراءتان سبعيتان (قوله بأهلك) أي وهم بنتاه فخرجوا وطوى الله لهم الارض حتى وصلوا الى ابراهيم في وقته (قوله بقطع) الباء للمصاحبة والمعنى نصف الليل (قوله ولا يلتفت منكم) خطاب له ولبنتيه (قوله بالرفع) بدل من أحد أي والمعنى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك فانها تلتفت (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله فقيل لم يخرج بها) راجع لقراءة الرفع (قوله وقيل خرجت والتفتت) راجع لقراءة النصب (قوله أن رفعها جبريل الى السماء) أي بأن أدخل جناحه تحتها وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربعة آلاف ألف فرفع جبريل المدن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ولم يتكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها (قوله وأمطرنا عليها) أي على أهلها الخارجين عنها في الاسفار وغيرها وقيل على القرى بعد قلبها فيكون جملة ماوقع ان رجلا منهم كان في الحرم فجاءه حجر ووقف في الهواء أربعين يوما ينتظر ذلك الرجل حتى خرج من الحرم فسقط عليه فقتله (قوله متتابع) أي في النزول (قوله عليها اسم من يرمى بها) أي مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به (قوله الحجارة أو بلادهم) هذان تفسيران في مرجع الضمير [illegible]

(بعيد و) أرسلنا (الى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير) نعمة تغنيكم عن التطفيف (وانى أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم محيط) بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه (و يا قوم أوفوا المكيال والميزان) أتموهما (بالقسط) بالعدل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوهم من حقهم شيأ (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا (بقيت الله) ورزقه الباقى لكم بعد ايفاء الكيل والوزن (خير لكم) من البخس (ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) رقيب أجازيكم بأعمالكم انما بعثت نذيرا (قالوا) له استهزاء (يا شعيب أصلواتك تأمرك) بتكليف (أن نترك ما يعبد آباؤنا) من الاصنام (أو) نترك (أن نفعل فى أموالنا ما نشاء) المعنى هذا الامر باطل لا يدعو اليه داع بخير (انك لأنت الحليم الرشيد) قالوا ذلك استهزاء (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا) حلالا أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف (وما أريد أن أخالفكم) وأذهب (الى ما أنهاكم عنه) فأرتكبه (ان) ما (أريد الا الاصلاح) لكم بالعدل (ما استطعت وما توفيقى) قدرتى على ذلك وغيره من الطاعات (الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) أرجع (و يا قوم لا يجرمنكم) يكسبنكم (شقاقى) خلافى فاعل يجرم والضمير مفعول أول والثانى (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح) من العذاب (وما قوم لوط) أى منازلهم أو زمن هلاكهم (منكم ببعيد) فاعتبروا (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم) بالمؤمنين (ودود) محب لهم (قالوا) ايذانا بقلة المبالاة (يا شعيب ما نفقه) نفهم (كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا

القرى المهلكة وعلى الاول فهو وعيد عظيم لكل ظالم من هذه الامة فى الحديث سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن المراد بالظالمين فقال له جبريل يعنى ظالمى أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة (قوله ببعيد) أى بمكان بعيد بل بمكان قريب يمرون عليها فى أسفارهم (قوله والى مدين) معطوف على قوله ولقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة ومدين اسم قبيلة سميت باسم جدهم مدين بن ابراهيم و يسمى شعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه (قوله أخاهم شعيبا) أى فى النسب لا الدين لانه ابن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم (قوله اعبدوا الله) أمرهم بالتوحيد أولا لانه أهم الاشياء وأصلها وغيره فرع فاذا صلح الاصل صلح الفرع (قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان) نقص يتعدى لمفعولين فالمفعول الاول قوله المكيال والميزان والمفعول الثانى محذوف تقديره شيأ والمعنى لا تنقصوهما شيأ أصلا عند الاخذ ولا عند الدفع فنقصهما عند الدفع ظاهر ونقصهما عند الاخذ بأن يزيد على حقه فى المبيع وهو فى الحقيقة نقص من الثمن قال تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون (قوله انى أراكم بخير) أى فاقنعوا بما أعطاكم الله ولا تطففوا الكيل والميزان (قوله ووصف اليوم به) أى بقوله محيط (قوله مجاز) أى عقلى فى الاسناد للزمان (قوله ولا تبخسوا) كرر ذلك ثلاث مرات أولها قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وثانيها قوله و يا قوم أوفوا المكيال والميزان وثالثها قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم تأكيدا لكونهم مصرين على ذلك العمل القبيح متمكنين فيه (قوله أشياءهم) أى أموالهم ودخل فى ذلك من يسوم السلع و ينقص قيمتها وهو مشهور وتتعدى به الناس فالواجب اعطاء كل سلعة قيمتها واعطاء كل ذى حق حقه وحينئذ فهو عطف عام على خاص (قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين) هذا أعم مما قبله والمعنى لا تكونوا من المفسدين فى الارض بالمعاصى بل كونوا مصلحين لدينكم ودنياكم (قوله بقيت الله) ترسم بالتاء المجرورة وعند الوقف عليها للاضطرار يجوز بالتاء المجرورة أو المربوطة وليس فى القرآن غيرها (قوله خير لكم) أى لوجود البركة فيه (قوله ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين بما أمرتكم به ونهيتكم عنه وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه أى فارضوا بما قسم الله لكم من الحلال (قوله وما أنا عليكم بحفيظ) أى حافظ لكم من القبائح ولا حافظ عليكم النعم انما أنا مبلغ لكم الاحكام (قوله يا شعيب) خاطبوه باسمه من غير اقتران بالتعظيم لقباحتهم وسوء فعلهم (قوله أصلواتك تأمرك) أى وكان كثير الصلاة وقيل المراد بها الدين وخصت بالذكر لانها أعظم الشعائر (قوله بتكليف) قدره دفعا لما يقال ان الترك من وصفهم وفعلهم لا فعل شعيب والانسان يؤمر بفعل نفسه لا فعل غيره (قوله من الاصنام) بيان لما (قوله أو أن نفعل) قدر المفسر نترك اشارة الى أنه معطوف على ما يعبد آباؤنا (قوله قالوا ذلك استهزاء الخ) أى أو أرادوا السفيه الغاوى من باب تسمية الاضداد أو المراد الحليم الرشيد فى زعمك (قوله أرأيتم) أى اخبرونى (قوله على بينة) أى نبوة وصدق (قوله أفأشوبه) أى أخلطه (قوله من البخس والتطفيف) بيان للحرام (قوله وما أريد أن أخالفكم) أى فأنا آمركم بما آمر به نفسى وليس قصدى أن أنهاكم عن شئ وأفعله (قوله ما استطعت) أى مدة استطاعتى (قوله وما توفيقى) أى وما كونى موفقا (قوله عليه توكلت) أى فوضت أمورى اليه (قوله يكسبنكم) أى فهو متعد لمفعولين الاول الضمير والثانى أن وما دخلت عليه والمعنى لا يكسبنكم شقاقى مكسبا لكم اصابة مثل ما ذكر ولا تستمروا على مخالفتى حتى يصيبكم بسبب تلك المخالفة مثل ما أصاب الخ (قوله أى منازلهم) أى لانهم كانوا مجاورين لقوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم وقوله أو زمن هلاكهم أى فقد كان زمن هلاك قوم لوط قريبا من قوم شعيب (قوله واستغفروا ربكم) أى اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم (قوله ثم توبوا اليه) أى ارجعوا اليه بفعل الطاعات (قوله ودود)

ضعيفا ذليلا (ولولا رهطك) عشيرتك (لرجمناك) بالحجارة (وما أنت علينا بعزيز) كريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعزة (قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله) فتتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله (واتخذتموه) أي الله (وراءكم ظهريا) منبوذا خلف ظهوركم لا تراقبونه (إن ربي بما تعملون محيط) علما فيجازيكم (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) حالتكم (إني عامل) على حالتي (سوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا) انتظروا عاقبة أمركم (إني معكم رقيب) منتظر

(ولما جاء أمرنا) بإهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح بهم جبريل (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) باركين على الركب ميتين (كأن) مخففة أي كأنهم (لم يغنوا) يقيموا (فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) برهان بين ظاهر (إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) سديد (يقدم) يتقدم (قومه يوم القيامة) فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا (فأوردهم) أدخلهم (النار وبئس الورد المورود) هي (وأتبعوا في هذه) أي الدنيا (لعنة ويوم القيامة) لعنة (بئس الرفد) العون (المرفود) رفدهم (ذلك) المذكور مبتدأ خبره (من أنباء القرى نقصه عليك) يا محمد (منها) أي القرى (قائم) هلك أهله دونه (و) منها (حصيد) هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل (وما ظلمناهم) بإهلاكهم بغير ذنب (ولكن ظلموا أنفسهم) بالشرك (فما أغنت) دفعت

صيغة مبالغة إما بمعنى فاعل أي محب لهم كما قال المفسر أو بمعنى مفعول أي أن عباده يحبونه ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه (قوله ضعيفا) أي لا قوة لك (قوله لرجمناك) أي رميناك بالحجارة وقيل المعنى لشتمناك وأغلظنا عليك القول (قوله هم الأعزة) أي لموافقتهم لهم في الدين (قوله ظهريا) منسوب للظهر والكسر من تغييرات النسب والقياس فتح الظاء والهاء مفعول أول وظهريا مفعول ثان لاتخذتموه وراءكم ظرف له (قوله منبوذا خلف ظهوركم) أي جعلتموه نسيا منسيا (قوله اعملوا على مكانتكم) هذا وعيد عظيم وتهديد لهم (قوله سوف تعلمون) استئناف بياني كأن قائلا قال فماذا يكون بعد ذلك (قوله موصولة) أي بمعنى الذي (قوله ومن هو كاذب) معطوف على قوله من يأتيه والمعنى سوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه وتعلمون الكاذب (قوله صاح بهم جبريل) أي فخرجت أرواحهم جميعا وهذا في أهل قريته وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بعذاب الظلة وهي سحابة بها ريح طيبة باردة فأظلتهم حتى اجتمعوا جميعا فألهبها الله عليهم نارا ورجفت الأرض من تحتهم فاحترقوا وصاروا رمادا (قوله ألا بعدا) أي هلاكا (قوله كما بعدت ثمود) أي كما هلكت ثمود والتشبيه من حيث أن هلاك كل بالصيحة (قوله ولقد أرسلنا موسى) هذه هي القصة السابعة (قوله بآياتنا) أي التسع تقدم منها ثمانية في الأعراف والتاسعة في يونس وتقدم الكلام عليها (قوله وسلطان مبين) قيل المراد به العصا وخصت بالذكر لكونها أكبر الآيات وأعظمها وقيل المراد به المعجزات الباهرة والحجج الظاهرة وسميت الحجة سلطانا لأن بها قهر الخصم كما أن السلطان به قهر غيره فيكون عطف عام (قوله وملئه) أي جماعته وأتباعه (قوله فاتبعوا أمر فرعون) أي ما هو عليه من الكفر بتلك الآيات العظيمة (قوله سديد) أي صاحب محمود العاقبة بل لا يدعو إلى خير (قوله يقدم) مضارع قدم كنصر ومصدره قدم كقفل وقدوم بمعنى تقدم (قوله كما اتبعوه في الدنيا) أي في دخول البحر والكفر والضلال (قوله فأوردهم النار) الورود في الأصل يقال للمرور على الماء للاستقاء منه فشبه النار بماء يورد وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الورود فإثباته تخييل وشبه فرعون في تقدمه على قومه إلى النار بمن يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش على سبيل التهكم (قوله هي) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله لعنة) أي طردا وبعدا عن الرحمة (قوله ويوم القيامة) هذا وقف تام وقدر المفسر لعنة إشارة إلى أن فيه الحذف من الآخر لدلالة الأول عليه (قوله بئس الرفد المرفود) المراد بالرفد اللعنة الأولى وقوله المرفود أي المعان باللعنة الثانية والمعنى أن اللعنة الأولى أردفت بلعنة أخرى تقويها وتعاونها وتسميتها رفدا تهكم (قوله ذلك) أي ما تقدم في هذه السورة من القصص (قوله من أنباء القرى) أي أخبار أهل القرى وهم الأمم الماضية (قوله نقصه عليك) أي نخبر به قومك ليعتبروا (قوله قائم) أي أثره قائم موجود (قوله حصيد هلك بأهله) أي محي فلم يبق له أثر وفيه تشبيه القائم والحصيد بالزرع الذي بعضه قائم على ساقه وبعضه قد حصد وذهب أثره (قوله لما جاء) أي حين جاء (قوله وما زادوهم) الضمير المرفوع للأصنام والمنصوب لعابديها وعبر عنها بواو العقلاء لتنزيلهم منزلتهم (قوله غير تتبيب) التتبيب الخسران يقال تببه وتبت يده وتبب بمعنى خسرت (قوله وهي ظالمة) الجملة حالية (قوله أليم شديد) أي غير مرجو الخلاص منه (قوله إن الله ليملي للظالم) أي يمهله بطول العمر وسعة الرزق ونفوذ الكلمة (قوله ثم قرأ الخ) أي فيؤخذ من ذلك أن من أقدم على ظلم

(عنهم آلهتهم التي يدعون) يعبدون (من دون الله) أي غيره (من) زائدة (شيء لما جاء أمر ربك) عذابه (وما زادوهم) بعبادتهم لها (غير تتبيب) تخسير (وكذلك) مثل ذلك الأخذ (أخذ ربك إذا أخذ القرى) أريد أهلها (وهي ظالمة) بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء (إن أخذه أليم شديد) روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك الآية (إن في ذلك) المذكور

يجب عليه أن يتوب ويرجع عما هو عليه ويرد المظالم لاهلها لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم فان هذه الآية ليست مخصوصة بالامم الماضية بل هي عامة في كل ظالم غير أن هذه الامة المحمدية لا ينزل بها عذاب على سبيل الاستئصال اكراما لنبيها صلى الله عليه وسلم (قوله من القصص) أي السبع (قوله لمن خاف عذاب الآخرة) أي لانه اذا تأمل ما حصل لهؤلاء في الدنيا من العذاب كان ذلك باعثا له على الخوف من ذلك اليوم (قوله فيه) أشار بذلك الى أن اللام بمعنى في والمعنى أن يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الانس والجن وغيرهما (قوله يشهده) أي يحضره (قوله وما نؤخره) أي ذلك اليوم وهو يوم القيامة (قوله لوقت معلوم) أي وهو مدة الدنيا (قوله يوم يأتي ذلك اليوم) ان قلت ان اليوم لا يصلح أن يكون ظرفا لليوم والا لزم تعيين الشيء بنفسه وأجيب بأن الكلام على حذف مضاف أي هوله وعذابه أو المعنى حين يأتي ذلك اليوم الخ (قوله لا تكلم نفس الا باذنه) أي فجميع الخلائق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد الا باذنه ان قلت كيف يجمع بين ما هنا وبين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين أجيب بأن القيامة مواطن مختلفة ففي بعضها لا يقدرون على الكلام لشدة الهول وفي بعضها يتحاجون ويتجادلون أو المراد لا تكلم نفس بما ينفع وينجي بل قد يتكلم الكفار بكلام لا نفع به بل لاظهار بطلان حججهم (قوله كتب من الاول) أي وظهرت الخاتمة على طبق ما كتب (قوله في علمه) أي وهم من ماتوا كفارا وان تقدم منهم ايمان (قوله لهم فيها زفير وشهيق) الزفير في الاصل ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الاضلاع والشهيق رد النفس الى الصدر وهذا التفسير الذي ذكره المفسر لابن عباس وقيل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره وقيل الزفير صوت الحمار والشهيق صوت البغل وقيل غير ذلك (قوله أي مدة دوامهما) أشار بذلك الى أن ما مصدرية ظرفية ودام تامة لانها بمعنى بقيت أي مقدار دوامهما (قوله في الدنيا) أي فالمراد سموات الدنيا وأرضها (قوله غير ما شاء ربك) أفاد ان الا بمعنى غير والمعنى أنهم يخلدون في النار مقدار مكث الدنيا غير الزيادة التي شاءها الله وما شاءه الله قد بين في آيات أخر منها قوله خالدين فيها أبدا ومنها وما هم بخارجين من النار ومنها قوله لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون (قوله ان ربك فعال لما يريد) دفع بذلك ما يتوهم من التعبير بالمشيئة انها قد تتخلف فأجاب بقوله ان ربك فعال لما يريد فلا تخلف لمشيئة الله بخلود الكافر لانه متى أراد شيأ حصل ولا بد وما قيل ان وعيده قد يتخلف فالمراد وعيد العاصي لا وعيد الكافر (قوله وأما الذين سعدوا) هذا مقابل قوله فأما الذين شقوا وفي هذه الآية من المحسنات البديعية الجمع والتفريق والتقسيم فالجمع في قوله يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه والتفريق في قوله فمنهم شقي وسعيد والتقسيم في قوله فأما الذين شقوا الخ وأما الذين سعدوا الخ (قوله بفتح السين وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان فالفتح من قولهم سعد الرجل بمعنى قامت به السعادة والضم من قولهم سعده الله أي أسعده فالاول قاصر والثاني متعد والمعنى ان الذين سبقت لهم السعادة من الله بموتهم على الايمان وان سبق منهم الكفر في الدنيا فهم في الجنة والمراد بالسعادة رضا الله على العبد وعلامة ذلك أن يكون العبد مشتغلا بالسعي في مرضاته دائم الاقبال على طاعته راضيا بأحكامه (قوله في الجنة) المراد بها دار النعيم بجميع دورها فشمل جنة الفردوس وغيرها (قوله ما دامت السموات والارض) أي مدة دوامهما في الدنيا والمعنى قدر مكث السموات والارض من أول الدنيا الى آخرها (قوله كما تقدم) أي فيقال غير ما شاء ربك من الزيادة التي لا منتهى لها فالمعنى خالدين فيها أبدا ويدل على ذلك قوله تعالى خالدين فيها أبدا فالزيادة التي شاءها الله فسرت في آيات أخر بالخلود المؤبد (قوله دل عليه) أي على الخلود المؤبد وقوله فيهم أي السعداء (قوله عطاء) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أعطاهم ذلك عطاء وعطاء اسم مصدر وأعطى والمصدر اعطاء (قوله مقطوع) أي ولا ممنوع بل هو عطاء دائم لا يزول ولا

يحول

من القصص (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة ذلك) أي يوم القيامة (يوم مجموع له) فيه (الناس وذلك يوم مشهود) يشهده جميع الخلائق (وما نؤخره الا لأجل معدود) لوقت معلوم عند الله (يوم يأت) ذلك اليوم (لا تكلم) فيه حذف احدى التاءين (نفس الا باذنه) تعالى (فمنهم) أي الخلق (شقي و) منهم (سعيد) كتب كل في الازل (فأما الذين شقوا) في علمه تعالى (ففي النار لهم فيها زفير) صوت شديد (وشهيق) صوت ضعيف (خالدين فيها ما دامت السموات والارض) أي مدة دوامهما في الدنيا (الا) غير (ما شاء ربك) من الزيادة على مدتهما مما لا منتهى له والمعنى خالدين فيها أبدا (ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا) بفتح السين وضمها (ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا) غير (ما شاء ربك) كما تقدم ودل عليه فيهم قوله (عطاء غير مجذوذ) مقطوع وما تقدم من التأويل

يحول (قوله هو الذى ظهر) أى من نحو عشرين وجها فى تفسير تلك الآية منها أن المراد بالسموات والارض سقف الجنة والنار وأرضهما ويحتمل الاستثناء فى جانب أهل الشقاوة على عصاة الامة فيكون المعنى خالدين فيها أبدا الا عصاة المؤمنين الذين نفذ فيهم الوعيد فلا يخلدون أبدا بل يخرجون بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم والاستثناء حينئذ اما منقطع لعدم دخول هؤلاء فى الاشقياء أو متصل بجعل هؤلاء أشقياء باعتبار وسعداء باعتبار آخر وفى جانب أهل السعادة على عصاة المؤمنين أيضا لكن باعتبار تعذيبهم أولا فيتأخرون فى الدخول مع السابقين فتحصل أن الاستثناء فى كل محمول على العصاة لكن فى جانب أهل الشقاوة مستثنون من الخلود وفى جانب أهل السعادة مستثنون من المبدا كانه قال فاما الذين سعدوا ففى الجنة من أول الامر الا ما شاء ربك من العصاة فليسوا فى الجنة من أول الامر بل هم فى النار يعذبون ثم يخرجون ومنها ان المراد بالذين شقوا الكفار وبالذين سعدوا المؤمنون والاستثناء باعتبار أن بعض الكفار قد ينقل من النار لغيرها كالزمهرير وبعض المؤمنين قد ينقل من النعيم فيما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين الى أعلى منه وهو رؤية وجه الله الكريم ومشاهدته ومنها ان الاستثناء راجع لمدة تأخرهم عن دخول الجنة والنار كمدة الدنيا والبرزخ لانهم لم يدخلوهما حين خلقوا سعداء وأشقياء ومنها غير ذلك وما تقدم من أن نعيم الجنان وعذاب النار دائم هو ما دلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وما ورد خلاف ذلك أقوال يجب تأويلها والاخذ بظاهرها كفر فمنها ما قيل ان الجنة والنار يتفضيان بدليل ظاهر هذه الآية ومنها ان أهل النار تنقلب عليهم النار نعيما حتى لو صب عليهم ماء الجنة يتأذون ومنها أن النار تخرب حتى لا يصير فيها أحد ومنها غير ذلك وهذه الاقوال باطلة ونسبتها لمحيى الدين بن العربى كذب وعلى فرض صحة نقلها عنه يجب تأويلها (قوله فلا تك فى مرية) هذا شروع فى ذكر أحوال المخالفين من هذه الامة اثر بيان المخالفين من غيرهم وهذا الخطاب للنبى والمراد غيره (قوله من الاصنام) بيان لما (قوله ما يعبدون) أى فليس لهم فى ذلك الا محض تقليد آبائهم (قوله وقد عذبناهم) أى آباءهم وانما قدره لتتم المشابهة (قوله وانا لموفوهم) أى هؤلاء (قوله أى تاما) أشار بذلك الى أن قوله غير منقوص حال من نصيب مبينة له (قوله فاختلف فيه) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم أى فلا تحزن على ما وقع لك فانه قد وقع لغيرك (قوله لقضى بينهم) أى لجوزى المحسن على احسانه والمسىء على اساءته فى الدنيا (قوله أى المكذبين به) أى بالقرآن (قوله لفى شك منه) أى من القرآن (قوله موقع فى الريبة) أى لانهم اذا نظروا الى آبائهم وما كانوا عليه قالوا لو كان ما هم عليه ضلالا ما اجتمعوا عليه واذا نظروا الى النبى ومعجزاته الظاهرة قالوا انه الحق وما جاء به صدق فهم فى شك ولا شك انه كفر وكل هذا ناشئ من الطبع على قلوبهم والا فالحق ظاهر لمن تدبره (قوله وان كلا) أى من الطائعين والعاصين وأتى بالجملة الاسمية المؤكدة بان ولام القسم زيادة فى تأكيد بشرى الطائع ووعيد العاصى (قوله بالتشديد والتخفيف) أى ولما كذلك فتكون القراآت أربعا وكلها سبعية (قوله أى كل الخلائق) أشار بذلك الى أن التنوين عوض عن المضاف اليه (قوله ما زائدة) أى والاصل ليوفينهم فاستثقل اجتماع اللامين ففصلت بينهما ما لدفع ذلك الثقل (قوله واللام موطئة) أى والاخرى للتأكيد (قوله أو فارقة) أى فارقة بين المهملة والنافية وتوقف بأن ان عاملة على كل حال فليست حينئذ فارقة فكان المناسب حذف قوله أو فارقة الا أن يقال انها مهملة وكلا منصوب بفعل مقدر تقديره وان يرى كلا وفيه أن هذا تكلف والا كافة فيه خبر ما قيل كافة وما ذكره المفسر من الاعراب مبنى على قراءة تشديد ان وتخفيفها مع تخفيف لما وتوضيحه أن يقال ان حرف توكيد ونصب وكلا اسمها واللام موطئة لقسم محذوف وما زائدة واللام الثانية للتأكيد ويوفينهم فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والهاء مفعول وربك فاعل وجملة القسم فى محل رفع خبر ان (قوله بمعنى الا فان نافية) هذا ظاهر على قراءة تخفيف ان وحينئذ فيقال ان نافية وكلا منصوب بفعل مقدر والتقدير وان يرى كلا الا ليوفينهم الخ ولم يتكلم على تشديدهما وهذا حاصل تقرير المفسر ولا يخفى

هو الذى ظاهر وهو خال من التكلف والله أعلم بمراده (فلا تك) يا محمد (فى مرية) شك (مما يعبد هؤلاء) من الاصنام أنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) أى كعبادتهم (من قبل) وقد عذبناهم (وانا لموفوهم) مثلهم (نصيبهم) حظهم من العذاب (غير منقوص) أى تاما (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيامة (لقضى بينهم) فى الدنيا فيما اختلفوا فيه (وانهم) أى المكذبين به (لفى شك منه مريب) موقع فى الريبة (وان) بالتخفيف والتشديد (كلا) أى كل الخلائق (لما) ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر أو فارقة وفى قراءة بتشديد لما بمعنى الا فان نافية (ليوفينهم ربك أعمالهم)

عليك عافيه من المناقشة والكلفة والاعراب السالم من ذلك كله أن يقال ان القراآت السبعية أربع تخفيفهما وتشديدهما وتخفيف ان فقط وتخفيف لما فقط مع نصب كلا في الجميع فعلى الاولى ان مخففة من الثقيلة وكلا اسمها واللام الاولى لام الابتداء وما اسم موصول واللام الثانية موطئة لقسم محذوف وليوفينهم جواب القسم وجملة القسم وجوابه صلة الموصول والموصول وصلته خبر ان وعلى الثانية ان عاملة ولما أصله لمن ما بدخول اللام على من الجارة قلبت النون ميما فتوالى الامثال حذفت احدى الميمات وأدغمت احدى الميمين في الاخرى فما اسم موصول وجملة ليوفينهم قسمية صلة الموصول وهو وصلته خبر ان وعلى الثالثة فان المخففة عاملة واصل لما لمن ما فعل بها ما تقدم وعلى الرابعة ان المشددة عاملة واللام لام الابتداء وما اسم موصول وليوفينهم جملة قسمية صلة الموصول وهو وصلته خبر ان فتحصل ان ان عاملة وما اسم موصول في جميع الاوجه كلها واللام الثانية موطئة للقسم والاولى لام الابتداء فتأمل وما قررناه زبدة كلام طويل في هذا المقام فليحفظ (قوله أي جزاءها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فاستقم) أي دم على الاستقامة التي أمرت بها في خاصة نفسك كقيام الليل وتبليغ ما أمرت بتبليغه للخلق وعدم فرارك من قتال الكفار ولو اجتمعت أهل الدنيا وغير ذلك من التكاليف العامة له ولغيره والخاصة به (قوله ومن تاب معك) قدر المفسر قوله ليستقم جواب عما يقال ان قوله من تاب معطوف على الضمير المستتر في استقم فيلزم عليه أن فعل الامر قد رفع الظاهر فأجاب المفسر بان ذلك من عطف الجمل والمحذور انما يلزم لو كان من عطف المفردات ويجاب أيضا بأنه قد يغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع (قوله ولا تطغوا) خطاب للنبي والامة ولكن المراد الامة فان الطغيان مستحيل على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية صعبة التكليف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود وأخواتها (قوله الى الذين ظلموا) أي بالكفر أو المعاصي (قوله بموادة) مصدر وادد كقاتل أي محبة (قوله أو مداهنة) أي مصانعة فالمداهنة بذل الدين لاصلاح الدنيا (قوله أو رضا باعمالهم) أي وتزيينها لهم ولا عذر في الاحتجاج بضرورات الدنيا فان الله هو الرزاق ذو القوة المتين (قوله فتمسكم النار) أي لان المرء يحشر مع من أحب (قوله يحفظونكم منه) أي من عذاب النار (قوله طرفي النهار) منصوب على الظرفية لاضافته الى الظرف (قوله الغداة والعشي) تفسير للطرفين (قوله أي الصبح) راجع للغداة وقوله والظهر والعصر راجع للعشي (قوله وزلفا) بضم ففتح كغرف وقوله جمع زلفة أي كغرفة (قوله ان الحسنات) أي الواجبة أو المندوبة (قوله نزل فيمن قبل أجنبية) أي وهو أبو اليسر قال أتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت لها ان في البيت تمرا أطيب من هذا فدخلت معي البيت فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أخلفت رجلا غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا وأطرق طويلا حتى أوحى اليه وأقم الصلاة الى الذاكرين فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فقلت ألي هذا خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة (قوله ذلك) أي المذكور من الامر بالاستقامة وما بعده (قوله واصبر) أي ولا تنزعج من قومك (قوله فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي بل يعطيهم فوق ما يطلبون (قوله فلولا كان من القرون الخ) لما بين سبحانه وتعالى ما حل بالامم الماضية من عذاب الاستئصال بين هنا ان السبب في ذلك أمران الاول عدم وجود من ينهى عن الفساد الثاني عن رجوعهم عما هم فيه (قوله فهلا) أفاد المفسر ان لولا تحضيضية والمراد بها النفي (قوله من قبلكم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للقرون وأولوا فاعل كان وقوله من القرون حال من فاعل كان (قوله وأصحاب دين وفضل) أي وسموا أولو بقية لان أهل البقاء بهم لا يتحولون عما هم عليه من الدين والصلاح فلهم البقاء والنجاة من الهلاك (قوله المراد به) أي بالتحضيض المستفاد من لولا (قوله الا قليلا) هذا استثناء منقطع ولذا عبر المفسر بلكن فالمستثنى منه القرون المهلكة بالعذاب لعدم نهيهم عن المنكر والمستثنى من أنجاه الله

أي جزاءها (انه بما يعملون خبير) عالم بواطنه كظواهره (فاستقم) على العمل بأمر ربك والدعاء اليه (كما أمرت و) ليستقم (من تاب) آمن (معك ولا تطغوا) تجاوزوا حدود الله (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم به (ولا تركنوا) تميلوا (الى الذين ظلموا) بموادة أو مداهنة أو رضا باعمالهم (فتمسكم) تصيبكم (النار ومالكم من دون الله) أي غيره (من) زائدة (أولياء) يحفظونكم منه (ثم لا تنصرون) تمنعون من عذابه (وأقم الصلاة طرفي النهار) الغداة والعشي أي الصبح والظهر والعصر (وزلفا) جمع زلفة أي طائفة (من الليل) أي المغرب والعشاء (ان الحسنات) كالصلوات الخمس (يذهبن السيآت) الذنوب الصغائر * نزلت فيمن قبل أجنبية فأخبره صلى الله عليه وسلم فقال ألي هذا فقال لجميع أمتي كلهم رواه الشيخان (ذلك ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) بالصبر على الطاعة (فلولا) فهلا (كان من القرون) الامم الماضية (من قبلكم أولو بقية) أصحاب دين وفضل (ينهون عن الفساد في الارض) المراد به النفي أي ما كان فيهم ذلك (الا) لكن (قليلا ممن أنجينا منهم) نهوا فنجوا ومن للبيان

من العذاب بسبب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر (قوله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أى داموا على شهواتهم ولم يتذكروا عذاب الله (قوله نعموا) أى من النعيم الذى يغضب الله تعالى فالمعنى ان سبب هلاكهم اشتغالهم بالشهوات المغضبة لله تعالى وعدم رجوعهم عنها (قوله وكانوا مجرمين) الجملة حالية أى والحال أنهم فاعلون الجرائم مصرون عليها (قوله وما كان ربك ليهلك القرى) هذا كالدليل لما قبله والمعنى ما صح أن يهلك القرى بظلم منه لها والحال أن أهلها مصلحون سمى الاخذ من غير ذنب ظلما تكرما منه والا فحقيقة الظلم التصرف فى ملك الغير من غير اذنه ولا ملك لاحد معه وهو بهذا المعنى مستحيل عقلا على الله وأما أخذه بغير ذنب فهو وان كان جائزا عقلا فمستحيل شرعا لانه سماه ظلما تفضلا منه ونزه نفسه سبحانه عنه كما ألزم نفسه بالرحمة تفضلا منه (قوله منه لهم) ويصح أن يكون المعنى بظلم منهم ويراد بالظلم الشرك والمعنى انه لا يهلك أهل القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين فيما بينهم لفرط مسامحته تعالى فى حقوقه ولذلك تقدم حقوق العباد على حقوق خالقهم (قوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أى لكنه لم يشأ ذلك فلم يجعلهم أمة واحدة فلو امتناعية والمعنى امتنع ذلك لعدم مشيئة الله له (قوله أهل دين واحد) أى وهو دين الاسلام (قوله ولا يزالون مختلفين) أى على أديان شتى واستفيد من هذا أن الاختلاف كما كان حاصلا فى الامم الماضية لا يزال مستمرا فى هذه الامة فمنهم الكافر والمؤمن والطائع والعاصى ولذلك ورد فى الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وستفترقون ثلاثا وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة والمراد بالفرقة الواحدة أهل السنة والجماعة (قوله فلا يختلفون فيه) بل هم على دين واحد لا يتفرقون قال تعالى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (قوله ولذلك خلقهم) اللام للعاقبة والصيرورة والمعنى خلق أهل الاختلاف ليكون عاقبة أمرهم هو الاختلاف وخلق أهل الرحمة لتكون عاقبة أمرهم الرحمة (قوله وتمت) أى حقت ووجبت (قوله لاملأن جهنم) أى حتى تقول قط قط بمعنى يكفى يكفى كما فى الحديث وذلك بعد أن تمد أعناقها وتطلب الزيادة فيتجلى الله عليها بصفة الجلال فتخضع وتذل وتقول قط قط (قوله من الجنة والناس) أى الكفار منهم لان الامتلاء على سبيل الخلود لا يكون الا من الكفار (قوله نصب بنقص) أى على أنه مفعول له (قوله من أنباء الرسل) أى أخبارهم (قوله ما نثبت به فؤادك) أى القصص والاخبار التى بها يزداد فؤادك ثباتا على أداء الرسالة وتحمل أذى قومك وعلما بفضل أمتك وشرفها حيث انقاد منها خلق كثير فى مدة يسيرة بخلاف الامم الماضية (قوله الانباء) أى الاخبار وقوله أو الآيات تفسيران والمراد بالآيات آيات هذه السورة وخصت بالذكر وان كان جاء الحق فى جميع السور تشريفا لها لكونها جمعت من قصص الامم الماضية ما لم يكن فى غيرها (قوله وموعظة) أى اتعاظ وقوله وذكرى أى تذكر وتدبر (قوله حالتكم) أى وهى الكفر (قوله على حالتنا) أى وهى الايمان (قوله تهديد لهم) أى تخويف وليس المراد الامر بدوامهم على الكفر بل هو على حد اذا لم تستح فاصنع ما شئت (قوله انا منتظرون ذلك) أى عاقبة أمركم (قوله ولله غيب السموات والارض) قال كعب الاحبار خاتمة التوراة هى خاتمة سورة هود (قوله أى علم ما غاب فيهما) أى فلم يكلفنا بمعرفته (قوله للمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد (قوله الامر كله) أى أمر الخلائق كلهم فى الدنيا والآخرة من خير وشر (قوله فينتقم ممن عصى) أى ويثيب من أطاع (قوله فاعبده) هذا مفرع على قوله ولله غيب السموات والارض الخ أى فحيث كان هو العالم بما غاب فى السموات والارض واليه مرجع الامور كلها فهو حقيق بعبادته هو لا غيره وحقيق بالتوكل عليه وتفويض الامور اليه (قوله ثق به) أى اعتمد عليه ولا تلتفت لغيره فانه لا يضر ولا ينفع بل الضار النافع المعطى المانع هو الله وحده اعلم أن التوكل أمر زائد على التوحيد فالتوحيد ينفى الشرك والتوكل ينفى الاوهام المعطلة عن مراتب الاخيار (قوله وما ربك بغافل عما يعملون) ما حجازية وربك اسمها وبغافل خبرها منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية

(واتبع الذين ظلموا) بالفساد وترك النهى (ما أترفوا) نعموا (فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) منه لها (وأهلها مصلحون) مؤمنون (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أهل دين واحد (ولا يزالون مختلفين) فى الدين (الا من رحم ربك) أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه (ولذلك خلقهم) أى أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها (وتمت كلمة ربك) وهى (لاملأن جهنم من الجنة) الجن (والناس أجمعين وكلا) نصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف اليه أى كل ما يحتاج اليه (نقص عليك من أنباء الرسل ما) بدل من كلا (نثبت) نطمئن (به فؤادك) قلبك (وجاءك فى هذه) الانباء أو الآيات (الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها فى الايمان بخلاف الكفار (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) حالتكم (انا عاملون) على حالتنا تهديد لهم (وانتظروا) عاقبة أمركم (انا منتظرون) ذلك (ولله غيب السموات والارض) أى علم ما غاب فيهما (واليه يرجع) بالبناء للفاعل وللمفعول يعود (الامر كله) فينتقم ممن عصى (فاعبده) وحده (وتوكل عليه) ثق به فانه كافيك (وما ربك بغافل عما يعملون)

وانما أخبرهم لقومهم فى قراءة بالفوقانية

أيضا (قوله بالفوقانية) أي خطابا للنبي والمؤمنين

﴿ سورة يوسف عليه السلام ﴾

مناسبة هذه السورة لما قبلها جمع قصص الانبياء فان ما قبلها ذكر فيها سبع قصص للانبياء وهذه من محاسن قصص الانبياء وأيضا التسلي للنبي صلى الله عليه وسلم بما وقع للانبياء من أذى الاقارب والاباعد على ما وقع له من أذى قومه الاقارب والاباعد وحكمة قص القصص عليه ليتأسى بهم و يتخلق باخلاقهم فيكون جامعا لكمالات الانبياء * وسبب نزول هذه السورة أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف وهذه السورة فيها من الفوائد الشريفة والحكم المنيفة ما لا يدخل تحت حصر ولذا قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم تتفكه بهما أهل الجنة في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها (قوله مكية) خبر أول عن سورة وقوله مائة الخ خبر ثان (قوله تلك آيات الكتاب) مبتدأ وخبر وأشير اليها باشارة البعيد اشارة لبعد رتبتها عن كلام الحوادث وعلو شأنها (قوله هذه الآيات) أي آيات هذه السورة (قوله المظهر للحق) أي فهو مأخوذ من أبان المتعدي و يصح أخذه من اللازم و يكون المعنى البين حلاله وحرامه (قوله انا أنزلناه) أي نحن بعظمتنا وجلالنا (قوله عربيا) نعت للقرآن والعربي منسوب للعرب لكونه نزل بلغتهم والمعنى ان القرآن نزل بلغة العرب فليس فيه شئ غير عربي فان قلت قد ورد فيه شئ غير عربي كسجيل ومشكاة واستبرق وغير ذلك أجيب بأن هذا مما توافقت فيه اللغات أو المراد أن تراكيبه وأساليبه عربية وان ورد فيه غير عربي فهو على أسلوب العرب لا على أسلوب غيرهم وانما كان عربيا لان تلك اللغة أفصح اللغات ولانها لغة أهل الجنة في الجنة (قوله لعلكم تعقلون) علة لكونه عربيا والمعنى لكي تفهموا معانيه وتتأملوا فيها فتعلموا أنه من عند الله (قوله أحسن القصص) صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق والتقدير قصصا أحسن القصص والقصص في اللغة من قص الاثر تتبعه سمي الكلام الذي يحكى عن الغير بذلك لان المتكلم يقص الخبر شيأ فشيأ والمعنى نحن نبين لك أخبار الامم السابقة أحسن البيان وقيل المراد خصوص قصة يوسف وانما كانت أحسن القصص لما فيها من الحكم والنكت وسير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على الاذى والتجاوز عنه أحسن التجاوز وغير ذلك من المحاسن (قوله بايحائنا) الباء سببية وأشار بذلك الى أن ما مصدرية والجار والمجرور متعلق بنقص (قوله هذا القرآن) اسم الاشارة مفعول لاوحينا والقرآن بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان أو نعت (قوله وان كنت من قبله) الجملة حالية (قوله لمن الغافلين) أي لم تخطر ببالك تلك القصة ولم تسمعها قط بل كنت خالي الذهن منها وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم حيث يخبر عن المتقدمين والمتأخرين بأحسن تعبير وأبلغ وجه ولذا قال البوصيري كفاك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتم فأكبر دليل على فضل الانسان غزارة علمه وسعة اطلاعه على ما أعطاه الله من العلوم اللدنية والمعارف الربانية (قوله اذكر) قدره اشارة الى أن اذ ظرف لمحذوف وقيل معمول لقوله قال يا بني وهو الاولى لما فيه من عدم الحذف (قوله يوسف) اسم عبراني ممنوع من الصرف وعاش من العمر مائة وعشرين سنة وعاش أبوه مائة وسبعا وأربعين سنة وعاش جده اسحق مائة وثمانين سنة وعاش جده ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة (قوله بالكسر) أي وأصلها يا أبي حذفت الياء وعوض عنها تاء التأنيث ونقلت كسرة ما قبلها لها وفتحت الباء لمناسبة تاء التأنيث وتقول في اعرابها يا حرف نداء وأبت منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المعوض عنها تاء التأنيث (قوله والفتح) أي وأصلها أبي بكسر الباء وفتح الياء ففتحت الباء ثم تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا حذفت الالف وعوض عنها تاء التأنيث وفتحت للدلالة على الالف المحذوفة وتعويض تاء التأنيث عن ياء المتكلم مختص بلفظين أبت وأمت وهذان الوجهان زائدان على أوجه المنادى المضاف لياء المتكلم وهي خمس جمعها ابن مالك في قوله

﴿ سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم

الر) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (المبين) المظهر للحق من الباطل (انا أنزلناه قرآنا عربيا) بلغة العرب (لعلكم) يا أهل مكة (تعقلون) تفهمون معانيه (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا) بايحائنا (اليك هذا القرآن وان) مخففة أي وانه (كنت من قبله لمن الغافلين) اذكر (اذ قال يوسف لابيه) يعقوب (يا أبت) بالكسر دلالة على ياء الاضافة المحذوفة والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء

واجعل منادى صح أن يضف ليا * كعبد عبدى عبد عبدا عبديا

فيكون في أبت وأمت ستة أوجه يجوز منها وجهان قراءة لا غير (قوله انى رأيت) هذه الرؤية كانت ليلة الجمعة ليلة القدر وكان سنه اذ ذاك اثنتى عشرة سنة وقيل سبع سنين وقيل سبع عشرة سنة وبين هذه الرؤية واجتماعه بأبيه واخوته في مصر أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل اثنان وعشرون وقيل ثمانية عشر وسيأتى تحقيق ذلك والمراد بالسجود هنا قيل الخضوع والانحناء وقيل حقيقة السجود (قوله أحد عشر كوكبا) أى وهى جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروخ والفرغ ووثاب وذو الكتفين قد رأى الجميع نزلن من السماء وسجدن له وجريان بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الياء التحتية وقابس بقاف وموحدة وسين مهملة وعمودان تثنية عمود والفليق بفاء آخره قاف والمصبح اسم مفعول والفرغ بفاء وراء مهملة ساكنة وغين معجمة ووثاب بتشديد المثلثة وذو الكتفين تثنية كتف (قوله تأكيد) أى هذه الجملة تأكيد للجملة الاولى ويصح أن يكون قوله رأيتهم لى جوابا لسؤال مقدر نشأ من قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر كأن قائلا قال له كيف رأيتهم فقال رأيتهم لى ساجدين (قوله جمع بالياء والنون) أى قوله ساجدين (قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك) انما نهاه أبوه عن ذلك لانه فهم من رؤياه ان الله تعالى يصطفيه لرسالته ويفوق اخوته فخاف عليه حسدهم ويؤخذ من ذلك أن الانسان اذا رأى خيرا في منامه فلا يخبر به الا حبيبا أو لبيبا غير حسود لما قيل ان الرؤيا على رجل طائر متى قصت وقعت بخلاف رؤيا المكروه فلا يقصها لما في الحديث اذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به الا من يحب واذا رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان وشرها فانها لن تضره (قوله والشمس أمك والقمر أبوك) حكمة تأويل أمه بالشمس لانها تظهر منها الاقمار وهم الانبياء وأبيه بالقمر لان القمر يهتدى به في الظلام فكذا الرسول يهتدى به في ظلمات الجهل والشرك والاخوة بالكواكب لان نورهم لا يبلغ نور أبيهم اما لانهم أنبياء فقط وليسوا برسل أو أولياء فقط وليسوا بانبياء وما مشى عليه المفسر من ان المراد بالشمس أمه أحد قولين وقيل ان أمه راحيل قد ماتت والمراد بالشمس خالته ليا (قوله ان الشيطان للانسان عدو مبين) أى فيوقع الانسان في المعاصى لفرط عداوته له واعلم ان ما وقع من اخوة يوسف معه مما يأتى في القصة باق على ظاهره ولا تأويل فيه على القول بعدم نبوتهم لان الولى يجوز عليه المعصية ولكن لا يصر عليها بل يتوب وهؤلاء آل أمرهم لحسن التوبة وأما على القول بنبوتهم فهو مشكل غاية الاشكال اذ كيف يقع ذلك من الانبياء فاجاب العلماء عن ذلك بان هذا مبنى على ان النبى معصوم بعد النبوة لا قبلها أو كانوا لم يبلغوا الحلم وكل هذا ليس بسديد بل الحق أن النبى معصوم ظاهرا وباطنا قبل النبوة وبعدها وانما الجواب الذى يشفى الغليل ويبرد العليل أن يقال ان الله أطلعهم على أن يوسف يعطى النبوة والملك بمصر ولا يتصور ذلك الا بهذا الفعل فهم مأمورون به باطنا مخالفون ظاهرا اذ ليسوا مشرعين ولا يكلفون الا بخلوص بواطنهم مع ربهم ونظير ذلك قصة الخضر مع موسى حيث قال بعد ما فعل ما فعل وما فعلته عن أمرى فهم مأمورون بحكم الباطن مخالفون بحكم الظاهر وقصة آدم في أكله من الشجرة وتقدم ما فيه ذلك في البقرة بأبلغ وجه (قوله وكذلك يجتبيك ربك) أى كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا العظيمة يختارك ويصطفيك ربك (قوله تعبير الرؤيا) أى تفسيرها (قوله ويتم نعمته عليك) أى بوصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (قوله وعلى آل يعقوب) لم يقل بالنبوة اشارة للخلاف في نبوتهم (قوله ابراهيم واسحق) اما بدل من أبويك أو عطف بيان عليه (قوله عليم بخلقه) أى فيصطفى من يشاء وقوله حكيم في صنعه أى فيضع الاشياء في محلها (قوله لقد كان) اللام موطئة لقسم محذوف والتقدير والله لقد كان الخ (قوله وهم أحد عشر) أى وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشجر وهؤلاء الستة من بنت خال يعقوب ليا ثم بعد موتها تزوج أختها راحيل وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع بين الاختين محرما في شرعه فولدت له بنيامين ويوسف وأما الاربعة الباقية دان ونفتالى وجاد وأشر فمن سريتين زلفة وبلهة (قوله آيات للسائلين) أى وغيرهم ففيها كفاء وذلك ان اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل

(انى رأيت) في المنام (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم) تأكيد (لى ساجدين) جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذى هو من صفات العقلاء (قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) يحتالوا في هلاكك حسدا لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس أمك والقمر أبوك (ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة (وكذلك) كما رأيت (يجتبيك) يختارك (ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا (ويتم نعمته عليك) بالنبوة (وعلى آل يعقوب) أولاده (كما أتمها) بالنبوة (على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم) بخلقه (حكيم) في صنعه بهم (لقد كان في خبر (يوسف واخوته) وهم أحد عشر (آيات) عبر (للسائلين) عن خبرهم أذكر (اذ قالوا) أى بعض اخوة يوسف لبعضهم

(ليوسف) مبتدأ (وأخوه) شقيقه بنيامين (أحب) خبر (الى أبينا منا ونحن عصبة) جماعة (ان أبانا لفي ضلال) خطأ (مبين) بين بايثارهما علينا (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا) أى بأرض بعيدة (يخل لكم وجه أبيكم) بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم (وتكونوا من بعده) أى بعد قتل يوسف أو طرحه (قوما صالحين) بأن تتوبوا (قال قائل منهم) هو يهوذا (لا تقتلوا يوسف وألقوه) اطرحوه (فى غيابت الجب) مظلم البئر وفى قراءة بالجمع (يلتقطه بعض السيارة) المسافرين (ان كنتم فاعلين) ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون) لقائمون بمصالحه (أرسله معنا غدا) الى الصحراء (نرتع ونلعب) بالنون والياء فيهما ننشط ونتسع (وانا له لحافظون قال انى ليحزننى أن تذهبوا) أى ذهابكم (به) لفراقه (وأخاف أن يأكله الذئب) المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب (وأنتم عنه غافلون) مشغولون (قالوا لئن) لام قسم (أكله الذئب ونحن عصبة) جماعة (انا اذا لخاسرون) عاجزون فأرسله معهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا) عزموا (أن يجعلوه فى غيابت الجب) وجواب لما محذوف أى فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه واهانته وارادة قتله وأدلوه فلما وصل الى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط فى الماء

سألوا عن انتقال أولاد يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر فذكر لهم تلك القصة فوجدوها مطابقة لما فى التوراة وحينئذ فهى من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم حيث قص عليهم تلك القصة بأبلغ وجه مع كونه لم يسبق له تعلم من أحد ولا قرأ ولا كتب (قوله ليوسف) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله بنيامين) بكسر الباء وفتحها وهو أصغر من يوسف (قوله أحب خبر) أى عن يوسف وأخوه ولم تحصل المطابقة لانه اسم تفضيل مجرد وهو يلزم التذكير والتوحيد قال ابن مالك

وان لمنكور يضف أو جردا * ألزم تذكيرا وأن يوحدا

وأحب مصوغ من حب المبنى للمفعول وهو سماعى ولو جاء على القياس لتوصل اليه بأشد قال ابن مالك

وأشدد أو أشد أو شبههما * يخلف ما بعض الشروط عدما

واعلم أن مادة الحب والبغض اذا بنى أفعل التفضيل منها تعدى للفاعل بالى وللمفعول باللام أو بفى والآية الكريمة من الاول فان الاب هو فاعل المحبة واذا قلت زيد أحب لى من عمرو وأحب فى منه كان معناه أن زيدا يحبنى أكثر من عمرو (قوله ونحن عصبة) الجملة حالية والعصبة قيل العشرة من الاربعين وقيل من الثلاثة الى عشرة وقيل من عشرة الى خمسة عشر وقيل غير ذلك (قوله خطأ) أى فى أمر الدنيا وما يصلحها لانا أشد قوة وأكبر سنا وأكثر منفعة من يوسف فلم آثره علينا فى المحبة ان هذا الخطأ بين وليس المراد الخطأ فى الدين فان اعتقاده كفر (قوله بايثارهما) أى تقديمهما (قوله اقتلوا يوسف الخ) انما قالوا ذلك لان خبر المنام بلغهم فتشاوروا فى كيده بين أحد أمرين اما قتله أو تغريبه بأرض بعيدة (قوله أى بأرض) أشار بذلك الى ان قوله أرضا منصوب على نزع الخافض ويصح نصبه على الظرفية لان المقصود أى أرض بعيدة (قوله وجه أبيكم) أى قلبه والمعنى لا يكون لكم منازع فى محبته فيكم حينئذ (قوله بأن تتوبوا) أى تصلحوا دينكم بعد هذه الفعلة (قوله قال قائل) هذا رأى ثالث أرفق بيوسف مما تقدم من الخصلتين (قوله هو يهوذا) بدال مهملة وأصله بالعبرانية بالمعجمة لكن لما استعملته العرب أهملته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا وقيل القائل روبيل (قوله فى غيابة الجب) الغيابة الشئ المظلم والجب البئر التى لم تطو والمعنى اطرحوه فى قعر البئر المظلم وكان بأرض بيت المقدس وقيل بالاردن وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب (قوله يلتقطه بعض السيارة) أى لان هذا الجب كان يرد عليه كثير من المسافرين (قوله فاكتفوا بذلك) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف (قوله قالوا يا أبانا) هذا مرتب على محذوف وذلك انهم قالوا أولا ليوسف اخرج معنا الى الصحراء الى مواشينا فنستبق ونصيد وقالوا له سل أباك ان يرسلك معنا فسأله فتوقف يعقوب فقالوا مالك الخ والمعنى أى شئ ثبت لك فى عدم أمننا (قوله تأمنا) اتفق القراء على اخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا أيضا على ادغامها مع الاشمام كما فى الخطيب ومن الشواذ ترك الادغام كما فى أبى السعود (قوله لقائمون بمصالحه) أى لعاطفون عليه حافظون له (قوله غدا) منصوب على الظرفية والغد اليوم الذى بعد يومك (قوله بالنون والياء فيهما) أى فى نرتع ونلعب وهما قراءتان سبعيتان والرتع التمتع فى أكل الفواكه ونحوها واللعب بالاستباق والانتضال تمرينا لقتال الاعداء وهو غرض صحيح مباح لما فيه من تعلم المحاربة والاقدام على العدو (قوله ليحزننى) الحزن ألم القلب بفراق المحبوب (قوله وأخاف أن يأكله الذئب) بالهمز وتركه قراءتان سبعيتان وسبب خوفه انه كان رأى فى المنام ان ذئبا تعرض ليوسف فكان يخاف عليه الذئب (قوله قالوا لئن أكله الذئب) هذا جواب عن عذره الثانى وهو قوله وأخاف أن يأكله الذئب وأما الاول وهو قوله انى ليحزننى الخ فلم يجيبوا عنه لان غرضهم حصوله (قوله ونحن عصبة) الجملة حالية (قوله عاجزون) أى فالخسران مجاز عن الضعف والعجز لانه يشبهه (قوله فلما ذهبوا به) تقدم انه كان بين ذهابهم به واجتماعه بأبيه أربعون سنة وقيل ثمانون سنة لم يجتمع فيها يعقوب (قوله بأن نزعوا قميصه الخ) روى أنهم لما برزوا به الى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فصار يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتمونى على أن لا تقتلوه فأتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها

وتزعوا

ثم أوى الى صخرة فنادوه فأجابهم فظن رحمتهم فارادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهودا (وأوحينا اليه) في الجب وهي حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطمينا لقلبه (لتنبئنهم) بعد اليوم (بأمرهم) بصنيعهم (هذا وهم لا يشعرون) بك حال الانباء (وجاؤا أباهم عشاء) وقت المساء (يبكون قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) نرمي (وتركنا يوسف عند متاعنا) ثيابنا (فأكله الذئب وما أنت بمؤمن) بمصدق (لنا ولو كنا صادقين) عندك لاتهمتنا في هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وأنت تسيء الظن بنا (وجاؤا على قميصه) محله نصب على الظرفية أي فوقه (بدم كذب) أي ذي كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا انه دمه (قال) يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم (بل سولت) زينت (لكم أنفسكم أمرا) ففعلتموه به (فصبر جميل) لا جزع فيه وهو خبر مبتدإ محذوف أي أمري (والله المستعان) المطلوب منه العون (على ما تصفون) تذكرون من أمر يوسف (وجاءت سيارة) مسافرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف (فأرسلوا واردهم) الذي يرد الماء ليستقي منه (فأدلى) أرسل (دلوه) في البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه (قال يا بشراي) وفي قراءة بشرى ونداؤها مجاز أي احضري فهذا وقتك (هذا غلام)

ونزعوا قميصه ولطخوه بالدم وجاؤا به على أبيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي أتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسونك ويؤنسونك وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق ودفعه اسحق الى يعقوب فجعله في قصبة من فضة وجعلها في عنق يوسف فألبسه الملك اياه حين ألقي في الجب وأضاء له الجب وسيأتي أنه القميص الذي أرسله مع البشير بأمر جبريل وأخبره انه لا يلقى على مبتلى الا عوفي (قوله ثم أوى الى صخرة) أي جاء له بها الملك فأجلسه عليها قال الحسن لما ألقي يوسف في الجب عذب ماؤها فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض ليذهب فقال له انك اذا خرجت استوحشت فقال اذا رهبت من شيء فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس في الجب وفرج الله عنه بخروجه من ليلته وقيل انه مكث في الجب ثلاثة أيام فكان اخوته يرعون حوله وكان يهودا يأتيه بالطعام (قوله أو دونها) قيل خمسة عشر وقيل اثنى عشر وقيل سبعة (قوله لتنبئنهم) أي كما سيأتي في قوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه الآية (قوله عشاء) أي ليكونوا في الظلمة ليقبل اعتذارهم فلما بلغوا منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وسألهم فأجابوه بما ذكر (قوله وما أنت بمؤمن لنا الخ) في هذا الكلام فتح باب اتهام لهم كما لا يخفى (قوله لاتهمتنا الخ) قصد المفسر الاشارة الى أن لو شرطية وجوابها محذوف والاسهل من هذا جعل الواو حالية ولو زائدة والتقدير وما أنت بمؤمن لنا والحال أنا كنا صادقين في نفس الامر (قوله محله نصب) أي على الظرف بمعنى فوق (قوله أي ذي كذب) أشار بذلك الى أن وصف الدم بالكذب على حذف مضاف ويصح أن يكون مبالغة على حد زيد عدل (قوله سخلة) هي الصغيرة من الغنم (قوله وذهلوا عن شقه) أي عن تمزيقه لان العادة ان الذئب اذا أكل الانسان يشق قميصه وقد ذهلوا عن هذه الحيلة كي لا تتم لهم (قوله لما رآه صحيحا) روي انه قال ما أحلم هذا الذئب يأكل ابني ولا يقد قميصه وقيل انهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدي وثمرة فؤادي فأنطقه الله وقال والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الانبياء فقال له يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم فأخذوني وأتوا بي اليك فأطلقه يعقوب (قوله بل سولت) أي سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما فعملتموه بيوسف وهونتموه في أعينكم (قوله لا جزع فيه) فسر المفسر الصبر الجميل بانه الذي لا جزع فيه والاولى أن يفسره كما في الحديث بانه الذي لا شكوى فيه لغير الله وأما الهجر الجميل فهو الذي لا ايذاء معه وأما الصفح الجميل فهو الذي لا عتاب بعده وقد تحقق بجميعها كل من يوسف ويعقوب (قوله المطلوب منه العون) أي فالسين والتاء للطلب (قوله على ما تصفون) أي على تحمل المكاره التي تذكرونها في أمر يوسف (قوله وجاءت سيارة) جمع سائر أي مسافر سموا بذلك لسيرهم في الارض (قوله من مدين الى مصر) أي فأخطؤا الطريق ونزلوا بأرض قفراء قريبا من الجب (قوله فأرسلوا) ذكر باعتبار المعنى ولو راعى اللفظ لقال فأرسلت واردها (قوله واردهم) وهو مالك بن ذعر الخزاعي وهو من أهل مدين (قوله فأدلى دلوه) يقال أدلى الدلو اذا أرسلها في البئر ودلاه بالتضعيف اذا نزعه والدلو مؤنث وقد يذكر (قوله فأخرجه) أي بعد ان مكث فيها ثلاثة أيام على ما قيل ولما أخرج صارت جدران البئر تبكي عليه (قوله قال يا بشراي) منادى مضاف لياء المتكلم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله ونداؤها مجاز) أي انزلها منزلة العاقل (قوله هذا غلام) انما استبشر لانه كان عليه السلام حسن الوجه جميل [illegible] ... مستوي الخلق أبيض اللون [illegible] ... وكان اذا تبسم ظهر النور من ضواحكه [illegible]

الا سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فان يوسف أعطى شطر الحسن ورسول الله أعطى الحسن كاملا قال البوصيري

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

ان قلت اذا كان كذلك فلم تفتتن النساء بجمال النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما افتتن بجمال يوسف أجيب بان جمال محمد قد ستره الله بالجلال كالشمس لا يستطيع أحد ان يتأمل فيها اذا قرب منها ولذا لم ترو الشمائل الشريفة الا عن صغار الصحابة كالحسن والحسين وعبد الله بن عمر وغيرهم لا عن كبارهم لقيام الجلال بقلوبهم فمنعهم من وصفه وأما جمال يوسف فهو ظاهر لم يستر بجلال كالبدر فحينئذ يتأمل فيه المتأمل ويصفه الواصف غير أنه يعجز عن استيعاب محاسنه ومن هذا المعنى قول ابن الفارض

لو اسمعوا يعقوب بعض ملاحة * في وجهه نسي الجمال اليوسفي

(قوله فعلم به اخوته) أي حين نظروا الى القافلة واجتمعوا على البئر فأتوهم وقد ظنوا موت يوسف فرأوه أخرج حيا فضربوه وشتموه وقالوا هذا عبد آبق منا فان أردتم بعناه لكم ثم قالوا له بالعبرانية لا تنكر العبودية نقتلك فاقر بها فاشتراه مالك بن ذعر الخزاعي (قوله وأسروه) الضمير عائد على السيارة بمعنى بعضهم وهو مالك بن ذعر والمعنى أن البائع والمشتري أخفوا أمره وجعلوه بضاعة أي قالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وانما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منهم الشركة فيه وقوله جاعليه حال من فاعل أسروه وقوله بضاعة معمول لذلك الحال ومدا في الحقيقة وأما بحسب الظاهر فهو حال من الواو في أسروه ومعنى قوله بضاعة انه ملك للغير أعطوه له ليبيعه لهم ويصح ان يعود الضمير على الاخوة ويكون معنى البضاعة الشيء المتمول الذي يباع ويشرى وعليه درج المفسر (قوله بما يعملون) أي من العمل الذي ظاهره قبيح وباطنه حسن حيث ترتب عليه من الاسرار والفوائد العظيمة ما لا يدخل تحت حصر وهذا تعليم من الله لعباده التفويض والتسليم له في شأن اخوة يوسف والمعنى لا تخض أيها السامع في شأنهم بسوء فان الله عليم بما يعملون (قوله باعوه) أي اخوته وقوله منهم أي السيارة والمعنى باعه اخوته للسيارة أي لبعضهم وهو مالك بن ذعر الخزاعي (قوله ناقص) أي عن قيمته لو كان رقيقا وقيل ان البخس معناه الحرام لانه ثمن حر وهو حرام (قوله معدودة) أشار بذلك الى أنها قليلة لانهم كانوا لا يزنون ما قل عن أربعين درهما ويأخذونها عددا ويزنون ما بلغها وهو أوقية (قوله أي اخوته) ويصح أن يعود الضمير على السيارة وانما زهدوا فيه لخوفهم منه حيث وصف لهم بالاباق (قوله الذي اشتراه) أي وهو مالك بن ذعر الخزاعي قوله بعشرين دينار الخ وقيل لما عرض للبيع ترافع الناس في ثمنه حتى أبلغ وزنه ذهبا وقيل فضة وقيل مسكا وقيل حريرا وكان وزنه أربعمائة رطل (قوله وهو قطفير العزيز) أي كان وزير الريان ملك مصر وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقد اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ومكث يوسف في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة (قوله زليخاء) بفتح الزاي وكسر اللام والمد أو بضم الزاي وفتح اللام (قوله عسى أن ينفعنا) أي يكفينا بعض أمورنا اذا قوي وبلغ أو يربح اذا أردنا بيعه (قوله أو نتخذه ولدا) أي نتبناه وأومانعة خلو تجوز الجمع وهو المقصود لهما (قوله وكان حصورا) أي لا يأتي النساء أو عقيما (قوله وكذلك) الى قوله نجزي المحسنين معترض بين وصية العزيز وما وقع من زوجته (قوله من القتل) أي الذي عزم عليه اخوته وقوله والجب أي الذي رموه فيه (قوله وعطفنا عليه قلب العزيز) أي خلقنا فيه الميل والمحبة حيث دفع فيه المال الكثير وأوصى زوجته عليه (قوله مكنا ليوسف) أي أعطيناه مكانة ورتبة عالية في الارض (قوله حتى بلغ ما بلغ) أي من السلطنة والعز (قوله لنعلمه) اما من الملك بكسر الميم أي نجعله مالكا لما فيها أو من الملك بضمها أي نجعله سلطانا على أهلها (قوله أو الواو زائدة) أي المعنى مكنا ليوسف في الارض لنعلمه الخ (قوله لا يعجزه شيء) أي لانه

فعلم به اخوته فأتوهم (وأسروه) أي أخفوا أمره جاعليه (بضاعة) بأن قالوا هذا عبدنا أبق وسكت يوسف خوفا أن يقتلوه (والله عليم بما يعملون وشروه) باعوه منهم (بثمن بخس) ناقص (دراهم معدودة) عشرين أو اثنين وعشرين (وكانوا) أي اخوته (فيه من الزاهدين) فجاءت به السيارة الى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين (وقال الذي اشتراه من مصر) وهو قطفير العزيز (لامرأته) زليخا (أكرمي مثواه) مقامه عندنا (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) وكان حصورا (وكذلك) كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز (مكنا ليوسف في الارض) أرض مصر حتى بلغ ما بلغ (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا أي لنملكه أو الواو زائدة (والله غالب على أمره) تعالى لا يعجزه شيء (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) ذلك

يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فلا راد لما قضى (قوله ولما بلغ أشده) جمع شدة كنعمة وأنعم ولم يقل هنا واستوى كما قال في حق موسى لأن موسى بلغ الأربعين وهي سن النبوة فقد استوى وتهيأ لحمل أسرار النبوة وأما يوسف فلم يكن اذ ذاك بلغ هذا السن (قوله حكمة) أي العلم مع العمل (قوله وعلما) عطف عام (قوله كما جزيناه) أي بكل خير (قوله نجزي المحسنين) أي فاعلي الاحسان والمعنى لا خصوصية ليوسف بذلك بل سنة الله في خلقه أن كل محسن له من الله الجزاء الحسن (قوله وراودته) هذه الآية مرتبطة بقوله وقال الذي اشتراه من مصر الخ وما بينهما اعتراض قصد به بيان عواقب صبر يوسف من السيادة والخير العظيم والمراودة مفاعلة وهي في الاصل تكون من الجانبين ولكنها هنا من جانب واحد ولما كان الجانب الآخر سببا في حصول الفعل نزل منزلته فقيل فيه مفاعلة وذلك أن جمال يوسف سبب لميلها وطلبها له فالمفاعلة ليست على بابها نظيره داواة المريض فان سبب المداواة المرض القائم بالمريض (قوله هي زليخاء) أي ولم يصرح باسمها استهجانا له وسترا وتعليما للادب كأن الله يقول من الآداب أن لا يذكر أحد زوجته باسمها بل يكنى عنها ولم يذكر في القرآن اسم امرأة الا مريم وتقدم الجواب عنه بأن النصارى زعموا انها زوجة لله فذكرها باسمها ردا عليهم كأنه يقول ان أحدكم يستنكف عن ذكر اسم زوجته بين الناس فلو كانت زوجة له كما تزعمون لكنى عنها كما يكنى الرجل عن زوجته (قوله أي طلبت منه) أشار بذلك الى أن المراودة من جانبها فقط (قوله وغلقت الابواب) أي وكانت سبعة (قوله هيت لك) أي بفتح الهاء والتاء ككيف (قوله وفي قراءة بكسر الهاء) أي مع فتح التاء كقيل وقوله وأخرى بضم التاء أي مع فتح الهاء كحيث فهذه ثلاث قراآت وبقي قراءتان وهما هئت بكسر الهاء وبالهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها وكلها سبعية (قوله واللام للتبيين) أي تبيين المفعول الذي هو المخاطب كأنها تقول الخطاب لك نظير سقيا لك ورعيا لك (قوله معاذ الله) منصوب على انه مصدر نائب عن الفعل والاصل أعوذ بالله معاذا كسبحان الله بمعنى أسبح الله (قوله انه ربي) الهاء اسم ان وربي خبرها وأحسن جملة حالية أو خبر ثان وما درج عليه المفسر من ان (٢) الضمير للحال والشان ومراده بربه الذي اشتراه أحد تفسيرين والآخر أن الضمير يعود على الله تعالى وهو الاقرب والاظهر (قوله أحسن مثواي) تعهدي حيث أمرك باكرامي فلا يليق مني ان أخونه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بلطف (قوله قصدت منه الجماع) أي مع العزم والتصميم (قوله قصد ذلك) أي بمقتضى الطبع البشري من غير رضا ولا تصميم كميل الصائم للماء البارد ولكن يمنعه دينه عنه وهذا لا يؤاخذ به الانسان بل في مدافعته الثواب الجزيل والاجر الجميل فمخالفة النفس عن شهواتها مع وجود ميل الطبع أعلى وأجل من تركها لعدم الميل لها ولذا يباهي الله بالشاب التارك لشهواته الملائكة الكرام قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى (قوله قال ابن عباس) أي وفي رواية انه انفرج سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه وفي رواية انه نودي يا يوسف أتواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق عليه وانما مثلك ان واقعتها مثل الطير اذا وقع على الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيأ ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك اذا واقعتها كمثل الثور اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه وبالجملة فقد كثرت عليه الواردات في هذا الشان (قوله وجواب لولا لجامعها) أي فيكون المعنى امتنع جماعه لها لرؤيته برهان ربه وقيل ان قوله وهم بها هو الجواب والمعنى ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها أي امتنع همه بها لرؤيته برهان ربه فلم يقع منه هم أصلا وحينئذ فالوقف على قوله ولقد همت به وهذا هو الاحسن في هذا المقام لخلوه من الكلفة والشبهة (قوله كذلك أريناه الخ) أشار بذلك الى ان الكاف مع مجرورها في محل نصب معمول لمحذوف وقوله لنصرف متعلق بذلك المحذوف (قوله لمخلصين في الطاعة) أي الذين لا يشركون في طاعته غيره (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله بفتح اللام) أي اسم مفعول من أخلصه أي اجتباه واختاره (قوله واستبقا الباب) حكمة افراد الباب

(ولما بلغ أشده) وهو ثلاثون سنة أو وثلاث (آتيناه حكما) حكمة (وعلما) فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا (وكذلك) كما جزيناه (نجزي المحسنين) لانفسهم (وراودته التي هو في بيتها) هي زليخا (عن نفسه) أي طلبت منه أن يواقعها (وغلقت الابواب) للبيت (وقالت) له (هيت لك) أي هلم واللام للتبيين وفي قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء (قال معاذ الله) أعوذ بالله من ذلك (انه) أي الذي اشتراني (ربي) سيدي (أحسن مثواي) مقامي فلا أخونه في أهله (انه) أي الشان (لا يفلح الظالمون) الزناة (ولقد همت به) قصدت منه الجماع (وهم بها) قصد ذلك (لولا أن رأى برهان ربه) قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله وجواب لولا لجامعها (كذلك) أريناه البرهان (لنصرف عنه السوء) الخيانة (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) في الطاعة وفي قراءة بفتح اللام أي المختارين (واستبقا الباب) بادر اليه يوسف للفرار وهي

(٢) قوله الضمير للحال والشان لا يناسبه الاعراب الذي قبله وعبارة الجلال بعيدة من ذلك اه

هذا وجه فيما تقدم أنها لم تتمكن من المراودة الا بعد غلق تلك الابواب وأما فراره وتسابقهما فلم يكن الا عند باب من تلك الابواب ان قلت مقتضى قوة الرجولية انه يسبقها ولم يسبقه عائق أجيب بأن الذي عاقه عن السبق انما هو الاشتغال بفتح الابواب (قوله للتشبث) أي التعلق (قوله فامسكت ثوبه) أي وقطعت منه قطعة بقيت في يدها (قوله لدى الباب) أي الباب البراني الاقصى (قوله فنزهت نفسها) أي بادرت بذلك (قوله ماجزاء من أراد الخ) ما يحتمل ان تكون نافية أو استفهامية ومن اما موصولة أو نكرة موصوفة (قوله الا أن يسجن أو عذاب أليم) في ذلك اشارة لطيفة الى ان زليخا لشدة حبها ليوسف بدأت بذكر السجن لخفته وأخرت العذاب لشدته لان المحب لايسعى في ايلام المحبوب وأيضا فان قولها الا أن يسجن فيه اشارة الى أنها أرادت تخفيف السجن والا فلو أرادت التطويل والتعذيب بالسجن لقالت الا جعله من المسجونين كما قال فرعون لموسى لاجعلنك من المسجونين (قوله قال هي راودتني الخ) انما قال ذلك لكونها اتهمته والا فلو سكتت لما كان يوسف متكلما بشيء من ذلك (قوله من أهلها) أي ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف وهي منفية عنه بأمور منها انه خرج هاربا والطالب لايهرب ومنها كونها متزينة بأكمل الوجوه ومنها شقها للقميص من خلف (قوله ابن عمها) وقيل ابن خالها (قوله روي انه كان في المهد) أي في الاحاديث الصحيحة وهو أحد قولين وقيل كان كبيرا حكيما وكان في ذلك الوقت جالسا مع الملك فلما رآهما خارج الباب وحصل منهما ما حصل قال ان كان الخ فكان ذلك على سبيل الفتيا (قوله ان كان قميصه الخ) ان قلت ان قد القميص أمر ثابت من قبل فلا معنى للتعليق عليه والجواب أن يقال ان المعنى ان ثبت ان قميصه قد من قبل الخ (قوله فصدقت) الكلام على تقدير قد لتصحيح دخول الفاء في الجواب لان جواب الشرط لايقرن بالفاء الا اذا كان لايصلح لمباشرة الاداة وهذا ماض متصرف يصلح لمباشرتها (قوله ان كيدكن عظيم) أي فيما يتعلق بامر الجماع والشهوة والافالرجال أعظم في الحيل والمكايد وانما وصف كيد النساء بالعظم وكيد الشيطان بالضعف لان كيد النساء أقوى بسبب انهن حبائل الشيطان فكيدهن مقرون بكيد الشيطان فهما كيدان بخلاف كيد الشيطان دونهن فكيد واحد ولذا قال بعضهم أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال في حق النساء ان كيدكن عظيم (قوله واستغفري لذنبك) ان قلت انهم قوم مشركون فلا يعرفون ذنبا مع خالقهم فما الذنب الذي يطلب الاستغفار منه أجيب بأن المراد بالذنب خيانتها لزوجها وفي هذا اشارة الى ان العزيز قليل الغيرة ولذا قال بعضهم ان تربة مصر تقتضي ذلك ولذا لاينشأ فيها الاسد ولو دخل فيها لايبقى (قوله الآثمين) أي برمي يوسف وهو بريء (قوله واشتهر الخبر) قدره اشارة الى أن قوله وقال نسوة مرتب على محذوف وهذا الاشتهار منها وذلك أنها أخبرت بعض النساء بذلك وأمرتهن بالكتم فلم يكتمن (قوله وقال نسوة في المدينة) اختلف في عدتهن فقيل خمس وقيل أربعون وجمع بينهما بأن أصل الاشاعة كان من خمس وهن امرأة صاحب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه ونسوة اسم جمع لاواحد له من لفظه (قوله امرأت العزيز) مبتدأ وقوله تراود فتاها خبر أول وقوله قد شغفها حبا خبر ثان وحبا تمييز محول عن الفاعل والاصل قد شغف حبه قلبها (قوله فتاها) الفتى هو الشاب القوي (قوله أي دخل حبه شغاف قلبها) الشغاف جلدة رقيقة على القلب تمنع أذى الطعام والشراب عن القلب وحينئذ يكون المعنى أن حبه خرق تلك الجلدة ووصل للقلب وسكنه وقيل ان معنى شغفها صار محيطا بقلبها كما يحيط الشغاف بالقلب حتى لاتكاد تنظر لغيره (قوله خطأ مبين) أي حيث تركت ما يليق بها من العفة والستر وأحبت غير زوجها (قوله بمكرهن) أي حديثهن وسمي مكرا لانهن طلبن بذلك رؤية يوسف لانه قد وصف لهن حسنه وجماله فتعلقن به وأحببن أن يرينه (قوله غيبتهن) انما سميت الغيبة مكرا لاخفائها عن المغتاب كما يخفى المكر (قوله أرسلت اليهن) أي وكن أربعين امرأة من أشراف المدينة فصنعت لهن ضيافة عظيمة (قوله وأعتدت) أي هيأت وأحضرت (قوله متكأ)

التشبث فأمسكت ثوبه وجذبته اليها (وقدت) شقت (قميصه من دبر والفيا) وجدا (سيدها) زوجها (لدى الباب) فنزهت نفسها ثم (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوأ) زنا (الا أن يسجن) يحبس أي سجن (أو عذاب أليم) مؤلم بأن يضرب (قال) يوسف متبرئا (هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها) ابن عمها روي أنه كان في المهد فقال (ان كان قميصه قد من قبل) قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر) خلف (فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى) زوجها (قميصه قد من دبر قال انه) أي قولك ماجزاء من أراد الخ (من كيدكن) أيها النساء (ان كيدكن عظيم) ثم قال يا (يوسف أعرض عن هذا) الامر ولاتذكره لئلا يشيع (واستغفري) يازليخا (لذنبك انك كنت من الخاطئين) الآثمين واشتهر الخبر وشاع (وقال نسوة في المدينة) مدينة مصر (امرأة العزيز تراود فتاها) عبدها (عن نفسه قد شغفها حبا) تمييز أي دخل حبه شغاف قلبها أي غلافه (انا لنراها في ضلال) خطأ (مبين) بينٍ بحبها اياه (فلما سمعت بمكرهن) غيبتهن لها (أرسلت اليهن وأعتدت) أعدت (لهن متكأ) طعاما يقطع بالسكين للاتكاء عنده

سمى الطعام بذلك لانه يتكأ عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الاتكاء (قوله وهو الاترج) بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء وتشديد الجيم جمع أترجة ويقال فيه ترنج والاولى هى الفصحى (قوله سكينا) أى خنجرا وكان من عادتهن أكل الفواكه واللحم بالسكين (قوله وقالت اخرج عليهن) أى وقد زينته باحسن الزينة وحبسته فى مكان آخر (قوله فلما رأينه) مرتب على محذوف تقديره فخرج فلما رأينه الخ (قوله أعظمنه) أى بهتنه ودهشن عند رؤيته من شدة حسنه وجماله يقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل أن يخرج من الجنة وقيل انهن أعظمنه لانهن رأين عليه آثار النبوة والمهابة وعدم الالتفات اليهن فوقع الرعب فى قلوبهن وتعجبن منه (قوله وقطعن أيديهن) أى جرحنها حتى سال الدم قال وهب ماتت منهن جماعة (قوله وقلن حاش) باثبات الف بعد الشين وحذفها قراءتان سبعيتان وهذا بالنظر للنطق واما فى الرسم فلا تكتب فيه ألف بعد الشين (قوله ما هذا بشرا) أى معاذ الله أن يكون هذا بشرا انما هذا ملك كريم على ربه (قوله ان هذا الا ملك كريم) المقصود من هذا اثبات الحسن العظيم ليوسف لما علم أنه لا شئ أحسن من الملك ولانه لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة مهابا لا تحكم عليه الصورة شبه به (قوله شطر الحسن) أى نصفه والمعنى أن الله خلق حسنا فاعطى يوسف نصفه وقسم نصفه بين الخلائق (قوله فذلكن) ذا اسم اشارة القريب لحضوره بالمجلس وقرن باللام المفيدة للبعد اشارة لبعد رتبته عن غيره ولذا فسرها المفسر بهذا التى للقريب (قوله الذى لمتننى فيه) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله امتنع) أشار بذلك الى أن السين والتاء زائدتان (قوله ولئن لم يفعل) اللام موطئة لقسم محذوف وان شرطية وقوله ليسجنن جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة فى اجتماع الشرط والقسم انه يحذف جواب المتأخر منهما (قوله وقلن له أطع مولاتك) وردأنه ما من امرأة الا دعته لنفسها (قوله قال رب) لما اشتد به الكرب توجه لربه فى الفرج (قوله أحب الى) اسم التفضيل ليس على بابه اذ ليس له فيما يدعونه اليه محبة ورغبة * ان قلت هو مجاب الدعوة فلم طلب النجاة بالسجن ولم يطلب النجاة العامة * أجيب بانه اطلع على ان السجن محتم عليه فدعا به لان النبى لا ينطق عن الهوى (قوله مما يدعوننى) فعل مضارع مبنى على سكون الواو والنون الاولى للنسوة فاعل والثانية نون الوقاية وهو مثل النسوة يعفون فالواو ليست ضميرا بل هى لام الكلمة (قوله والقصد بذلك) أى بقوله والا تصرف عنى الخ كأنه قال اللهم اصرف عنى كيدهن لاجل ان لا أصير من الجاهلين لانك ان لم تصرفه عنى صرت منهم اذ لا قدرة لى على الامتناع الا باعانتك لى (قوله ثم بدا لهم) أى للعزيز وأصحابه وذلك ان زليخا قالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس يخبرهم انى قد راودته عن نفسه فاما أن تأذن لى فاخرج واعتذر اليهم واما ان تسجنه فظهر لهم سجنه لما فيه من المصلحة بحسب رأيهم مع علمهم ببراءته ونزاهته (قوله ان يسجنوه) ان وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل بدا (قوله ليسجننه) اللام موطئة لقسم محذوف والجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف والتقدير ثم ظهر لهم سجنه قائلين والله ليسجننه (قوله حتى حين) أى وهو سبع سنين أو اثنتا عشرة سنة وسيأتى ذلك (قوله ودخل معه) أى بصحبته والمعنى كانا مقارنين له فى الدخول وهذا مرتب على قول المفسر فسجن (قوله غلامان) تثنية غلام وهو اسم للشخص من حين ولادته الى ان يشب وقوله للملك أى ملك مصر وهو الريان بن الوليد العمليقى (قوله أحدهما ساقيه) أى واسمه سرهم وقوله والآخر صاحب طعامه أى واسمه برهم وسبب سجنهما ان جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا لهما رشوة على ان يسما الملك فى طعامه وشرابه فاجاباهم ان الساقى ندم ورجع والخباز قبل الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز لا تشرب أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب من الشراب فشرب وقال للخباز كل من الطعام فأبى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق انهما دخلا مع يوسف (قوله فرأياه يعبر الرؤيا) أى ينشر علمه ويقول انى أعبر الاحلام (قوله لنختبرنه) أى لنمتحننه ليظهر لنا حاله

وهو الاترج (وآتت) أعطت (كل واحدة منهن سكينا وقالت) ليوسف (اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه (وقطعن أيديهن) بالسكاكين ولم يشعرن بالالم لشغل قلبهن بيوسف (وقلن حاش لله) تنزيها له (ما هذا) أى يوسف (بشرا ان) ما (هذا الا ملك كريم) لما حواه من الحسن الذى لا يكون عادة فى النسمة البشرية وفى الصحيح أنه أعطى شطر الحسن (قالت) امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن (فذلكن) فهذا هو (الذى لمتننى فيه) فى حبه بيان لعذرها (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) امتنع (ولئن لم يفعل ما آمره به ليسجنن وليكونا من الصاغرين) الذليلين فقلن له أطع مولاتك (قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب) أمل (اليهن وأكن) أصر (من الجاهلين) المذنبين والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى (فاستجاب له ربه) دعاءه (فصرف عنه كيدهن انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (ثم بدا) ظهر (لهم من بعد ما رأوا الآيات) الدالات على براءة يوسف ان يسجنوه دل على هذا (ليسجننه حتى) الى (حين) ينقطع فيه كلام الناس فسجن (ودخل معه السجن فتيان) غلامان للملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا

لتعبيرنه (قال أحدهما) وهو الساقي (اني أراني أعصر خمرا) أي عنبا (وقال الآخر) صاحب الطعام (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل
الطير منه نبئنا) خبرنا (بتأويله) تعبيره (انا نراك من المحسنين قال) لهما مخبرا انه عالم بتعبير الرؤيا (لا يأتيكما طعام
ترزقانه) في منامكما (الا
نبأتكما بتأويله) في اليقظة
(قبل أن يأتيكما) تأويله
(ذلكما مما علمني ربي) فيه
حث على ايمانهما ثم قواه
بقوله (اني تركت ملة) دين
(قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالآخرة هم) تأكيد
(كافرون واتبعت ملة
آبائي ابراهيم واسحق
و يعقوب ما كان) ينبغي
(لنا أن نشرك بالله من)
زائدة (شيء) لعصمتنا (ذلك)
التوحيد (من فضل الله علينا
وعلى الناس ولكن أكثر
الناس) وهم الكفار
(لا يشكرون) الله
فيشركون ثم صرح
بدعائهما الى الايمان
فقال (ياصاحبي) ساكني
(السجن أأرباب متفرقون
خير أم الله الواحد القهار)
خير استفهام تقرير
(ماتعبدون من دونه)
أي غيره (الا أسماء
سميتموها) سميتم بها
أصناما (أنتم وآباؤكم
ما أنزل الله بها) بعبادتها
(من سلطان) حجة و برهان
(ان) ما (الحكم) القضاء (الا
لله) وحده (أمر ألا تعبدوا
الا اياه ذلك) التوحيد
(الدين القيم) المستقيم
(ولكن أكثر الناس) وهم
الكفار (لا يعلمون)
ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون (ياصاحبي السجن أما أحدكما) أي الساقي فيخرج بعد ثلاث (فيسقي ربه) سيده الامر)
(خمرا) على عادته (وأما الآخر) فيخرج بعد ثلاث (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) هذا تأويل رؤياكما فقالا ما رأينا شيأ فقال (قضي) تم

(قوله قال أحدهما) أي بعد مضي خمس سنين من دخولهم السجن (قوله اني أراني) أرى تنصب مفعولين الياء مفعول أول وجملة أعصر خمرا مفعول ثان (قوله أي عنبا) أي فتسميته خمرا من باب مجاز الاول أي عنبا يؤول الى كونه خمرا وفي القصة أنه قال رأيت في المنام كأني في بستان وفيه شجرة وعليها ثلاثة عناقيد من العنب وكان كأس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك (قوله اني أراني) أي رأيتني فالتعبير بالمضارع استحضار للحال الماضية (قوله أحمل فوق رأسي خبزا) وذلك أنه قال رأيت في المنام كان فوق رأسي ثلاث سلال وفيها الخبز وألوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها (قوله انا نراك من المحسنين) أي العالمين بتعبير الرؤيا وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يعود المرضى و يقوم الليل و يصوم النهار و يصبر أهل السجن و يبشرهم و يواسي فقيرهم فكان يقول اصبروا وابشروا فيقولون بارك الله لنا فيك يافتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن أين أنت قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختر أي بيوت السجن شئت (قوله مخبرا انه عالم) أي لاجل ان يقبلوا عليه و يؤمنوا به وهكذا ينبغي للعالم الخامل ان يظهر نفسه ليقتدى به و يؤخذ عنه وانما أخبرهما بذلك توطئة لدعائهما الى الايمان (قوله في منامكما) أي فالمعنى أي طعام رأيتماه في المنام وأخبرتماني به الا فسرته لكما قبل أن يقع في الخارج وخص رؤية الطعام لانهما من أهل الطعام والشراب والشأن أن رؤيا المنام تتعلق باشتغال الشخص في اليقظة وقيل المراد اتيان الطعام لهما في اليقظة والمعنى لا يأتيكما طعام ترزقانه من منازلكما الا أخبرتكما بقدره وكيفيته والوقت الذي يأتي فيه قبل أن يصلكما فهو اشارة الى ان من معجزاته الاخبار بالمغيبات وهذا مثل معجزة عيسى حيث قال وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف هذا من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ذلكما مما علمني ربي الخ (قوله فيه حث) أي تعريض لطلب الايمان (قوله اني تركت) المراد بالترك عدم التلبس بالشيء من أول الامر (قوله واتبعت ملة آبائي) لما بين أنه ادعى النبوة وأظهر المعجزة بين هنا انه لا غرابة في ذلك لانه من بيت النبوة وذلك لان ابراهيم واسحق و يعقوب كانوا مشهورين بالرسالة وذكر الفخر الرازي أنه نبيء في السجن ولا مانع انه نبيء قبل الاربعين كيحيى وعيسى بل ذلك لان اخوته رموه في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ومكث تحت يد العزيز ثلاث عشرة سنة من جملتها مدة السجن فتكون الجملة ثلاثين سنة (قوله ما كان لنا) أي لا يصح ولا يليق منا معشر الانبياء أن نشرك بالله شيأ مع اصطفائه لنا وانعامه علينا بانواع النعم وفي هذا تعريض لهم بترك ما هم عليه من الشرك كأنه قال لا يصح للعبد الضعيف العاجز المفتقر ان يعبد غير من هو مفتقر اليه ومنعم عليه (قوله لعصمتنا) أي فليس المراد انه حرم ذلك عليهم بل المراد انه طهرهم من الكفر (قوله من فضل الله علينا) أي بالوحي وقوله وعلى الناس أي بارشادهم (قوله ياصاحبي السجن) قدر المفسر ساكني اشارة الى أن الاضافة لادنى ملابسة و يصح أن يكون المعنى ياصاحبي في السجن فالاضافة للظرف (قوله متفرقون) أي من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك (قوله ماتعبدون) خطاب لاهل السجن جميعا (قوله سميتموها) أي فكأنكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه للالوهية عقل ولا نقل ثم أخذتم تعبدونها (قوله المستقيم) أي الذي لا اعوجاج فيه (قوله ما يصيرون) قدره اشارة الى ان مفعول يعلمون محذوف (قوله ياصاحبي السجن) هذا شروع في تعبير رؤياهما (قوله فيخرج بعد ثلاث) أي من الايام وهي العناقيد الثلاثة التي عصرها (قوله سيده) أي وهو الملك (قوله وأما الآخر فيخرج بعد ثلاث) أي من الايام وهي السلال الثلاث (قوله فقالا ما رأينا شيأ) هذا أحد قولين وقيل انهما رأيا ذلك حقيقة فرآهما مرعوبين فسألهما عن شأنهما فذكر كل واحد له رؤياه (قوله قضي

الامر) المراد به الجنس أى قضى أمر كل واحد وما يؤول اليه شأنه كذب أو صدق (قوله سألتما) تفسير لتستفتيان فالمراد من المضارع الماضى (قوله وقال للذى ظن انه ناج) ان كان الظن واقعا من الساقى فالامر ظاهر وان كان من يوسف فهو بمعنى اليقين كما قال المفسر على حد الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم (قوله سيدك) أى وهو الملك (قوله محبوسا) أى طال حبسه ظلما خمس سنين (قوله أى الساقى) أى والمعنى أنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك وذلك للحكم الباهرة التى ستظهر وهذا أحد قولين وقيل ان الضمير عائد على يوسف والمعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حين استغاث بمخلوق واسناد الانساء للشيطان لانه يفرح به ويحب ظاهرا أن يوسف يطرد بذلك والا فالذى أنساه ذلك ربه لا الشيطان فانه لا تسلط له على المرسلين قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فما وقع من يوسف ذلك عوتب بمقامه فى السجن تلك المدة من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله قيل سبعا) أى وهى مدة مكث أيوب فى البلاء وقوله وقيل اثنى عشرة هذا قول ثان فى مدة السجن وقيل خمسا ونصفا قبل قوله اذكرنى وسبعا بعده وقيل أربع عشرة سنة خمس قبل القول وتسع بعده وحكمة مكثه تلك المدة فى السجن ليؤمن أهل السجن وليصل أمره للملك فيخرج والحال أنه مطلوب لا طالب فيتحقق له العز الذى بشر به سابقا فترتب على طلبه السجن وابتلائه فيه الزمن الطويل من الحكم العظيمة والاسرار الفخيمة والعز والسودد ما لا يحيط به العبارة ولا تحصيه الاشارة فأمور يوسف صلوات الله وسلامه عليه ظاهرها ذل وباطنها غاية العز على حد قول البوصيرى لو يمس النضار هون من النا * ر لما اختير للنضار الصلاء فبلايا الانبياء والمقربين لا تزيدهم الا رفعة وعزا (قوله وقال الملك الخ) أى لما أراد الله الفرج عن يوسف واخراجه من السجن رأى ملك مصر رؤيا عجيبة أهالته فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله جميعا ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن (قوله اى رأيت) أشار بذلك الى أن المضارع بمعنى الماضى استحضارا للحال الماضية وحاصل رؤياه أنه رأى فى منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج بعدهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال والضعف فابتلعت العجاف السمان ودخلت فى بطونها ولم ير منهن شئ ولم يتبين على العجاف شئ منها ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدن فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتهن شئ (قوله جمع عجفاء) أى جمع سماعى والقياس عجف قال ابن مالك * فعل لنحو أحمر وحمرا * (قوله خضر) أى انعقد حبها وقوله وأخر يابسات أى بلغت أوان الحصاد وهو معطوف على سبع ويكون قد حذف اسم العدد منه لدلالة ما قبله عليه (قوله يا أيها الملأ) أى السحرة والمعبرون (قوله تعبرون) من عبر بالتخفيف يقال عبر البحر جاوزه وعبر الرؤيا فسرها كان المعبر لما فسر الرؤيا خلص من ورطتها كالذى يجاوز البحر وزيدت اللام فى للرؤيا لتقوية العامل لتأخره عن معموله (قوله فاعبروها لى) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله (قوله أضغاث أحلام) أى تخاليطها جمع ضغث وأصله ما جمع وحزم من النبات كالحزمة من الحشيش استعير للرؤيا الكاذبة والمعنى انهم قالوا ان هذه الرؤيا أخلاط أحلام من الشيطان فلا تعبر وهذا القول عجزهم وجهلهم بتعبيرها على العادة أن من جهل شيأ عاداه (قوله وقال الذى نجا الخ) أى بعد أن جلس بين يدى الملك وقال له ان فى السجن رجلا عالما بتعبير الرؤيا (قوله وادكر) اما حال من الذى أو عطف على نجا (قوله فيه ابدال التاء) أى تاء الافتعال والاصل اذتكر بتاء بعد الذال قلبت التاء دالا فاجتمع متقاربان فأبدل الاول من جنس الثانى وأدغم (قوله وادغامها فى الذال) المناسب قلب العبارة بأن يقول وادغام الذال فى الدال أى بعد قلبها دالا (قوله بعد أمة) بضم الهمزة وتشديد الميم هى فى الاصل الجماعة من الناس ثم أطلق على الجماعة من الايام (قوله حين) أى وهو سنتان أو سبع أو تسع (قوله حال يوسف) أى من كونه عالما بتعبير الرؤيا (قوله فارسلون) انما جمع وان كان الخطاب لواحد لاجل التعظيم (قوله

(الامر الذى فيه تستفتيان) سألتما عنه صدقتما أم كذبتما (وقال للذى ظن) أيقن (أنه ناج منهما) وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) سيدك فقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما فخرج (فأنساه) أى الساقى (الشيطان ذكر) يوسف عند (ربه فلبث) مكث يوسف (فى السجن بضع سنين) قيل سبعا وقيل اثنى عشرة (وقال الملك) ملك مصر الريان بن الوليد (انى أرى) أى رأيت (سبع بقرات سمان يأكلهن) يبتلعهن (سبع) من البقر (عجاف) جمع عجفاء (وسبع سنبلات خضر وأخر) أى سبع سنبلات (يابسات) قد التوت على الخضر وعلت عليها (يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى) بينوا لى تعبيرها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) فاعبروها لى (قالوا) هذه (أضغاث) أخلاط (أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما) أى من الفتيين وهو الساقى (وادكر) فيه ابدال التاء فى الاصل دالا وادغامها فى الذال أى تذكر (بعد أمة) حين حال يوسف (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون)

فارسلوه فاتى يوسف فقال يا (يوسف أيها الصديق) الكثير الصدق (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس) أى الملك وأصحابه (لعلهم يعلمون) تعبيرها (قال تزرعون) أى ازرعوا (سبع سنين دأبا) متتابعة

وهى تأويل السبع السمان (فما حصدتم فذروه) أتركوه (فى سنبله) لئلا يفسد (الا قليلا مما تأكلون) فادرسوه (ثم يأتى من بعد ذلك) أى السبع المخصبات (سبع شداد) مجدبات صعاب وهى تأويل السبع العجاف (يأكلن ما قدمتم لهن) من الحب المزروع فى السنين المخصبات أى تأكلونه فيهن (الا قليلا مما تحصنون) تدخرون (ثم يأتى من بعد ذلك) أى السبع المجدبات (عام فيه يغاث الناس) بالمطر (وفيه يعصرون) الاعناب وغيرها لخصبه (وقال الملك) لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها (ائتونى به) أى بالذى عبرها (فلما جاءه) أى يوسف (الرسول) وطلبه للخروج (قال) قاصدا اظهار براءته (ارجع الى ربك فاسأله) ان يسأل (ما بال) حال (النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى) سيدى (بكيدهن عليم) فرجع فأخبر الملك فجمعهن (قال ما خطبكن) شأنكن (اذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص) وضح (الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى فأخبر يوسف بذلك فقال (ذلك) أى طلب البراءة (ليعلم) العزيز (أنى لم أخنه) فى أهله (بالغيب) حال (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) ثم تواضع لله فقال (وما أبرئ نفسى) من الزلل (ان النفس) الجنس (لأمارة) كثيرة الامر (بالسوء الا ما) بمعنى من (رحم ربى) فعصمه (ان ربى غفور رحيم)

(قوله فارسلوه) أشار بذلك الى أن فى الكلام حذف ثلاث جمل وجملة مجىء الرسول ليوسف فى السجن أربع مرات الاولى فى قوله فارسلون يوسف الخ والثانية فى قوله فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك والثالثة فى قوله ذلك ليعلم انى لم أخنه الخ والرابعة فى قوله وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى الخ (قوله الكثير الصدق) وصفه بذلك لانه جربه فى السجن فى تعبير الرؤيا وغيره (قوله أى الملك) أى ومن عنده (قوله أى ازرعوا) انما حمله على الامر مناسبة قوله فذروه والا فالمناسب ابقاؤه على حاله من الاخبار لانه تفسير للرؤيا وفيه اشارة الى أن الله أمر بذلك لتحتم حصوله فى علمه تعالى (قوله دأبا) بفتح الهمزة وسكونها قراءتان سبعيتان وهو مصدر واقع موقع الحال (قوله وهى تأويل السبع السمان) أى والسبع الخضر (قوله لئلا يفسد) أى يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ومنعه من الفساد ببقائه فى سنبله من خصوصيات يوسف والافى زمننا بقاؤه فى سنبله لا يدفع عنه الفساد (قوله وهى تأويل السبع العجاف) أى والسبع اليابسات (قوله أى تأكلون فيهن) أشار بذلك الى أن الاسناد مجازى من الاسناد للظرف كما فى نهاره صائم (قوله تدخرون) أى للبذر (قوله ثم يأتى من بعد ذلك عام الخ) هذه بشارة لهم زيادة على تعبير الرؤيا (قوله يغاث الناس) اما من الغوث وهو الفرج وزوال الكرب أو من الغيث وهو المطر والمعنى فيه يزول كرب الناس ويفرج عنهم بنزول المطر وتتابع الخير عليهم (قوله الاعناب) أى يعصرون ونها خمرا وقوله وغيرها أى كالزيتون والسمسم والكتان والقصب وغير ذلك (قوله وقال الملك) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله لما جاءه الرسول الخ وذلك ان الساقى لما رجع الى الملك وأخبره بما عبر به يوسف رؤياه واستحسنه الملك وعرف أن الذى قاله كائن لا محالة قال ائتونى به حتى أبصره فرجع الساقى وقال له أجب الملك فقال له ارجع الخ (قوله فلما جاءه الرسول) مرتب على محذوف أى فذهب الرسول الى طلبه فلما جاءه الخ (قوله اظهار براءته) أى لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما (قوله الى ربك) أى وهو الملك (قوله ان ربى سيدى) أى فالمراد به العزيز وهو استشهاد بكونه يعلم مكرهن وكيدهن ويصح ان يكون المراد بالرب الله تعالى وحينئذ يكون فى كلامه التفويض لله تعالى وهو الاقرب (قوله فجمعهن) أى وكانت زليخا معهن وخاطبهن جميعا ولم يخص زليخا بالخطاب سترا عليها (قوله من سوء) أى خيانة (قوله قالت امرأت العزيز) هذا اقرار منها بالحق والحامل لها على ذلك كون يوسف راعى جانبها حيث قال ما بال النسوة الخ ولم يذكرها مع أن الفتن كلها انما نشأت من جهتها فكافأته بأن اعترفت بأن الذنب منها (قوله وضح) أى اتضح (قوله فأخبر يوسف بذلك) أى بجواب النسوة المذكور (قوله فقال) أى يوسف وهذا أحد قولين وقيل ان قوله ذلك ليعلم من كلام زليخا ويكون المعنى ذلك الذى قلته ليعلم يوسف انى لم أخنه ولم أكذب عليه وجئت بما هو الحق الواقع وما أبرئ نفسى من الخيانة ان النفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (قوله ليعلم العزيز) أى زوج زليخا (قوله حال) أى اما من الفاعل أى وأنا غائب عنه أو من المفعول أى وهو غائب عنى (قوله لا يهدى كيد الخائنين) أى لا يسدده (قوله ثم تواضع لله) أى فوقع منه هذا القول على سبيل التواضع والا فيستحيل فى حقه أن تأمره نفسه بالسوء لعصمته (قوله وما أبرئ نفسى) هذه الجملة حالية من محذوف والتقدير طلبت البراءة ليعلم الخ والحال أنى لم أقصد بذلك تنزيه نفسى ولا ابراءها الخ (قوله الجنس) أى جنس النفوس (قوله كثيرة الامر) أى لصاحبها واعلم أن النفس واحدة ولها صفات فأول أمرها تكون أمارة بالسوء تدعو الى الشهوات وتميل اليها ولا تبالى وهذه نفس الكفار والعصاة المصرين فاذا أراد الله لها بالهدى جعل لها واعظا يأمرها وينهاها فينشأ تقصير ولوامة تلوم صاحبها على ارتكاب الرذائل فينشأ عن ذلك مجاهدته وتوبته ورجوعه لمولاه فاذا كثرت بذلك واستمر صاحبها على ذلك كما قدمت قوتها الله

وقدره راضية بأحكامه فتستحق من الله العطايا والتحف قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وهذا هو مقام الواصلين وقيل ذلك يسمى مقام السائرين (قوله وقال الملك) أي وهو الريان بن الوليد وذلك أنه لما ظهر له في يوسف من المزايا التي لم توجد في غيره قال ما ذكر (قوله فجاءه الرسول الخ) قدر المفسر هذه الجمل وهي ثمانية اشارة الى ان قوله تعالى فلما كلمه مرتب على محذوف (قوله ودعا لهم) أي بقوله اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار (قوله ثم اغتسل) أي فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء (قوله ولبس ثيابا حسانا) يؤخذ من هذا ان مما ينبغي عند الدخول على السلاطين الطهارة وتحسين الهيئة وهذه الثياب يحتمل أنها كانت عنده أو أرسلها له الملك (قوله ودخل عليه) وردّ أنه لما دخل سلم عليه بالعربية فقال الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له ما هذا اللسان أيضا فقال هذا لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا ولم يعرف هذين اللسانين وكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به فتعجب الملك من أمره مع صغر سنه لانه كان اذ ذاك ابن ثلاثين سنة ثلاث عشرة منها مدة اقامته مع زليخا والسجن وسبع عشرة قبلها وعلى هذا فدعواه اعادة اتيانه في السجن امانوة قبل الاربعين أو نصيحة منه لدين آبائه على عادة العلماء وتأسيا بالنبوة (قوله مكين أمين) أي قريب المنزلة رفيع الرتبة مؤتمن على سرنا (قوله قال فماذا ترى ان نفعل الخ) روي ان الملك قال ليوسف عليه السلام أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاها قال نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما أنت تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمئه سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضرع ولا اخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن واذا سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات أخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما أنت تقول في نفسك أي شيء هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد أصولهن في الثرى والماء اذ هبت ريح فذرت الاوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحترقن فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت فيها شيأ فما شأن هذه الرؤيا وان كانت عجبا فما هي بأعجب مما سمعت منك وما ترى من تأويل رؤياي أيها الصديق قال يوسف عليه السلام أرى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه وسنبله فانه أبقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس ان يدفعوا الخمس من زرعهم أيضا ليكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر النواحي للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لم يجتمع لاحد من قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه لي ويبيعه لي ولو جمعت أهل مصر ما أطاقوا ذلك ولم يكونوا فيه أمناء فقال يوسف عند ذلك اجعلني الخ (قوله قال اجعلني على خزائن الارض) ان قلت ان في ذلك القول طلب التقدم والامارة وهو لا يليق بالاخيار أجيب بان محل هذا ما لم يتعين عليهم والا فيجب طلبها وأيضا ذلك بوحي من الله وكان بين ذلك القول وتوليته على الخزائن سنة وانما أخره الملك سنة قبل التولية بالفعل مع زيادة رغبته فيه ليشتهر قبل التولية بين أهل المملكة في أطراف القطر وبمصر مع والخاص والعام وانه ذو المكانة والامانة عند الملك (قوله اني حفيظ عليم) تعليل لما قبله ومفعول اجعل الثاني محذوف والتقدير اجعلني أمينا على خزائن الارض فاني حفيظ عليم ان قلت ان في هذا تزكية النفس وقد نهى الله عن ذلك بقوله فلا تزكوا أنفسكم أجيب بانه محل النهي حيث قصد مدح النفس والا فهو جائز او انه جعل ذلك ...

وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) أجعله خالصا لي دون شريك فجاءه الرسول وقال أجب الملك فقام وودع أهل السجن ودعا لهم ثم اغتسل ولبس ثيابا حسانا ودخل عليه (فلما كلمه قال) له (انك اليوم لدينا مكين أمين) ذو مكانة وأمانة على أمرنا فماذا ترى أن نفعل قال اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وادخر الطعام في سنبله فتأتي اليك الخلق ليمتاروا منك فقال ومن لي بهذا (قال) يوسف (اجعلني على خزائن الارض) أرض مصر (اني حفيظ عليم) ذو حفظ وعلم بامرها وقيل كاتب حاسب (وكذلك) كانعامنا عليه بالخلاص من السجن

اتصال النفع للغير والاخبار بالواقع فلا فخر في ذلك بل ذلك من باب التحدث بالنعم وهو مأمور به شرعا (قوله مكنا ليوسف في الأرض) أي مكناه إياها (قوله بعد الضيق والحبس) أي بعد صبره على الضيق حين وضع في الجب وحين حبس (قوله وفي القصة ان الملك الخ) قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سؤال يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له ثلاثين فراشا وستين مادبة وضرب له عليه حلة من استبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال الزمخشري ان يوسف قال للملك اما السرير فاشد به ملكك وأما الخاتم فادبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال له الملك قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك وكان للملك مصر خزائن كثيرة فسلمها ليوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضاءه نافذا حتى بمملكته ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت له أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وبنتا واسمها رحمة زوجة أيوب عليه السلام وميشا هو جد يوشع بن نون وأقام في مصر العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم أكلة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط كان أول من أصابه الجوع الملك فجاع نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط فهلك في السنة الاولى من سني القحط ما أعدوه في السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار الا أخذه منهم وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منه شيء وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والانعام حتى لم تبق دابة ولا ماشية الا احتوى عليها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بايدي الناس عبد ولا أمة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكه فصار والجميعا عبيدا ليوسف عليه السلام فقال أهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى في هؤلاء قال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع قال فاني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقتهم عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم هو وكثير من الناس ومات في حياة يوسف وأما العزيز فلم يثبت اسلامه (قوله ومات بعد) أي مات العزيز بعد عزله (قوله فزوجه امرأته) أي بعد أن ذهب مالها وعمي بصرها من بكائها على يوسف فصارت تتكفف الناس وكان يوسف يركب في كل أسبوع في موكب زهاء مائة ألف من عظماء قومه فقيل لها لو تعرضت له لعله يسعفك بشيء فلما ركب في موكبه قامت فنادت باعلى صوتها سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف ما هذه فأتوا بها اليه فردها فرق لها وبكى بكاء شديدا ثم دخل منزله وأمر بها فهيئت ثم زفت اليه فدخل يوسف عليها [illegible] الله وقامت وراءه فسأل الله تعالى ان يعيد اليها شبابها وجمالها وبصرها فرد الله عليها ذلك حتى عادت أحسن ما كانت يوم راودته اكراما له عليه السلام لما عف عن محارم الله [illegible] [illegible] بشرى الله [illegible] في قلب يوسف [illegible] [illegible] [illegible]

(مكنا ليوسف في الارض) أرض مصر (يتبوأ) ينزل (منها حيث يشاء) بعد الضيق والحبس وفي القصة ان الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله ومات بعد فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر

وذلت له الرقاب (نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير) من أجر الدنيا (للذين آمنوا وكانوا يتقون) ودخلت سنو القحط وأصاب أرض كنعان والشام (وجاء إخوة يوسف) إلا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه (فدخلوا عليه فعرفهم) أنهم إخوته (وهم له منكرون) لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم ما أقدمكم بلادي فقالوا للميرة فقال لعلكم عيون قالوا معاذ الله قال فمن أين أنتم قالوا من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله قال وله أولاد غيركم قالوا نعم كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه وبقي شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه فأمر بإنزالهم وإكرامهم (ولما جهزهم بجهازهم) وفى لهم كيلهم (قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم) أي بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم (ألا ترون أني أوفي الكيل) أتمه من غير بخس (وأنا خير المنزلين فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) أي ميرة (ولا تقربون) نهي أو عطف على محل فلا كيل أي تحرموا ولا تقربوا (قالوا سنراود عنه أباه) سنجتهد في طلبه منه (وإنا لفاعلون) ذلك (وقال لفتيته) وفي قراءة لفتيانه غلمانه (اجعلوا بضاعتهم) التي أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم (في رحالهم) أوعيتهم (لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم) وفرغوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون) إلينا لأنهم لا يستحلون إمساكها (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) إن لم ترسل أخانا إليه (فأرسل معنا أخانا نكتل) بالنون والياء (وإنا له لحافظون قال هل) ما (آمنكم عليه

مرة فقالت الملائكة الذي جعلك الله عبداً لي ذلك من كل شيء (قوله ولعبن) أي رتبة (قوله وذلت له الرقاب) أي خضعت له الناس (قوله نصيب برحمتنا من نشاء) أي نخص بنعمتنا من أردنا (قوله ولا نضيع أجر المحسنين) أي بل نضاعفه لهم (قوله ولأجر الآخرة خير) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله الذين آمنوا) أي اتصفوا بالإيمان وقوله وكانوا يتقون أي يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي (قوله ودخلت سنو القحط الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله وجاء إخوة يوسف مرتب على محذوف أي سبب مجيئهم أنه لما فرغت سنو الخصب وأتت سنو القحط والجدب واحتاجت الناس للطعام فبلغ يعقوب أن عزيز مصر يبيع الطعام للمحتاجين فبعثهم ليأتوا بالطعام (قوله وجاء إخوة يوسف) أي وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات من أرض فلسطين وهي ثغور الشام وكانوا أهل بادية وإبل وشياه وحكمة ذهاب العشرة جميعاً أنه بلغهم أن الملك لا يزيد الواحد عن حمل بعير قصداً للعدل بين الناس فقصدوا بذلك أن تكون الأحمال عشرة (قوله ليمتاروا) أي ليحملوا الميرة وهي الطعام المجلوب من بلد آخر (قوله لبعد عهدهم به) قال أبو صالح عن ابن عباس كان بين أن ألقوه في الجب وبين دخولهم عليه اثنان وعشرون سنة فلذا أنكروه ولأنه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وزي الملوك (قوله فقالوا للميرة) أي لأخذها (قوله لعلكم عيون) أي جواسيس تطلعون على عوراتنا وتخبرون بها أعداءنا (قوله ولما جهزهم بجهازهم) أي هيأ لهم الطعام وأكرمهم في النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه في سفرهم (قوله قال ائتوني بأخ لكم) أي إن كنتم صادقين في ذلك فأنا أكتفي منكم بذلك قالوا إن أبانا يحزن لفراقه قال فاتركوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني به فاقترعوا فيما بينهم فأصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده وقوله بأخ لكم ولم يقل بأخيكم زيادة في الإبهام عليهم وذلك الفرق بين قولك رأيت غلاماً لك وغلامك فإن الأول يقتضي أن عندك به نوع معرفة دون الثاني (قوله ألا ترون الخ) غرضه بذلك الترغيب في العود مرة أخرى (قوله وأنا خير المنزلين) أي خير من يكرم الضيفان (قوله فلا كيل لكم عندي) أي إذا عدتم مرة أخرى (قوله أي ميرة) أشار بذلك إلى أن المراد بالكيل المكيل (قوله نهي) أي والفعل مجزوم بحذف النون وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً وهذه النون للوقاية (قوله أو عطف على محل فلا كيل) أي وهو الجزم لأنه جواب الشرط وحينئذ فلا نافية ونون الرفع محذوفة للجازم على كل حال وعليه فيكون المعنى فلا كيل ولا قرب (قوله وإنا لفاعلون ذلك) أي المراودة والاجتهاد (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً وكل من فتية وفتيان جمع فتى لكن الأول جمع قلة والثاني جمع كثرة (قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أي فقد وكل بكل رحل واحداً من غلمانه يضع فيه ثمن الطعام الذي في هذا الرحل (قوله وكانت دراهم) وقيل كانت نعالاً وجلوداً والأقرب الأول لأن شأن الدراهم أن تخفى ولا شك أنهم لم يعلموا بها إلا عند تفريغ أوعيتهم (قوله لأنهم لا يستحلون إمساكها) أي لأن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة له إذا وجدوها لأنهم مطهرون من أكل ما لا يحل لهم وقيل قصد يوسف بذلك مواساة أبيه وإخوته خوفاً أن لا يكون عندهم شيء من المال وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه ليكون ذلك باعثاً لهم على الرجوع وقيل رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤماً وقيل أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه منة ولا عيب (قوله فلما رجعوا) أي السبعة لما تقدم أنه أخذ شمعون رهينة على أن يأتوه ببنيامين (قوله منع منا الكيل) أي بعد هذه المرة (قوله بالنون والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان وأصل نكتل نكتيل تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله هل آمنكم) الاستفهام إنكاري ولذا فسر هل بما والمعنى كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم وإنكم ذكرتم مثل هذا في شأن يوسف حيث قلتم وإنا له لحافظون فلم يحصل

الا كما أمنتكم على أخيه) يوسف (من قبل) وقد فعلتم به ما فعلتم (فالله خير حفظا) وفي قراءة حافظا تمييز كقولهم لله دره فارسا (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن يمن بحفظه (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي) ما استفهامية أي أي شيء نطلب من اكرام الملك أعظم من هذا وقرئ بالفوقانية خطابا ليعقوب وكانوا ذكروا له اكرامه لهم (هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا) نأتي بالميرة لهم وهي الطعام (ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير) لأخينا (ذلك كيل يسير) سهل على الملك لسخائه (قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا) عهدا (من الله) بأن تحلفوا (لتأتنني به الا أن يحاط بكم) بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان به فأجابوه الى ذلك (فلما آتوه موثقهم) بذلك (قال الله على ما نقول) نحن وأنتم (وكيل) شهيد وأرسله معهم (وقال يا بني لا تدخلوا) مصر (من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) لئلا تصيبكم العين (وما أغني) أدفع (عنكم) بقولي ذلك (من الله من) زائدة (شيء) قدره عليكم وانما ذلك شفقة (ان) ما (الحكم الا لله) وحده (عليه توكلت) به وثقت (وعليه فليتوكل المتوكلون) قال تعالى (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان يغني عنهم من الله) أي قضائه (من) زائدة (شيء الا) لكن (حاجة في نفس يعقوب قضاها) وهي ارادة دفع العين شفقة (وانه لذو علم لما علمناه) لتعليمنا اياه وقال (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) الهام الله لأصفيائه (ولما دخلوا على يوسف آوى) ضم (اليه أخاه قال اني أنا أخوك فلا تبتئس) تحزن (بما كانوا يعملون) من الحسد لنا وأمره أن لا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده

الحفظ هنالك فكيف أأمنكم هنا (قوله الا كما أمنتكم) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف والتقدير الا ائتمانا مثل ائتماني لكم على أخيه الخ (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله تمييز) أي على كل من القراءتين (قوله فأرجو أن يمن بحفظه) أي ولا يجمع علي مصيبتين قال كعب الاحبار لما قال يعقوب ذلك قال الله له لأردن عليك كليهما حيث توكلت علي واستحفظتني عليه (قوله ولما فتحوا متاعهم) أي بحضرة أبيهم (قوله وجدوا بضاعتهم) أي وهي ثمن الميرة (قوله أعظم من هذا) وردّ أنهم قد كانوا ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على ارساله بنيامين معهم فلما وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا أي شيء نطلب بعد هذا الاكرام أوفى لنا الكيل ورد لنا الثمن لو كان رجلا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى مصر فاقرؤوه مني السلام وقولوا له ان أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا (قوله ونزداد كيل بعير) أي على أحمالنا (قوله لتأتنني به) هذا هو جواب القسم (قوله الا أن يحاط بكم) استثناء من عموم الاحوال والتقدير لتأتنني به في كل حال الا حال الاحاطة بكم (قوله فلما آتوه موثقهم) أي بقولهم بالله رب محمد لنأتينك به والموثق العهد المؤكد باليمين (قوله من أبواب متفرقة) أي وكانت أبواب مصر اذ ذاك أربعة (قوله لئلا تصيبكم العين) انما خاف عليهم العين لكمالهم وجمالهم وقوتهم واشتهارهم بين أهل مصر باكرام الملك لهم واحترامه لهم فأمرهم بالتفرق ليسلموا من اصابة العين فانها كما قال أهل السنة سبب عادي للضرر كالسم والسيف يوجد الضرر عنده لا بهما وقالت الفلاسفة ان العائن ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعيون فيهلك أو يفسد فأثبتوا للعين تأثيرا بنفسها وهو كلام باطل واعتقاده كفر وأعظم نافع في الرقى من العين سورتا المعوذتين (قوله من الله) أي من قضائه (قوله وانما ذلك) أي القول (قوله شفقة) أي رأفة بكم ان قلت لم أمرهم بذلك في هذه المرة ولم يأمرهم في المرة الاولى أجيب بجوابين الاول لكون معهم بنيامين وهو عزيز عليه فخاف عليهم من أجل كونه معهم والثاني أنهم اشتهروا في مصر بأنهم أولاد رجل واحد وفيهم نور النبوة والشهامة والجمال سيما وقد كانوا عند الملك بمنزلة بخلاف المرة الاولى (قوله عليه توكلت) أي فوضت أموري واعتمدت عليه لا على ما أمرتكم به لان الاخذ في الاسباب مع التوكل أفضل من ترك الاسباب (قوله ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) اختلف في جواب لما فقيل هو قوله ما كان يغني الخ والمعنى أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يدفع عنهم مما قدره الله شيأ بل الدخول متفرقا كالدخول مجتمعا بالنسبة لقضاء الله وقيل هو قوله آوى اليه أخاه وهو جواب لما الثانية أيضا لان المقصود بدخول المدينة الدخول على يوسف والمقصود به ايواء الاخ فلما الثانية مرتبة على لما الاولى فصلح أن يكون جوابهما واحدا (قوله من حيث أمرهم أبوهم) أي من أبواب متفرقة (قوله ما كان يغني) أي يدفع عنهم التفرق ففاعل يغني ضمير يعود على التفرق (قوله الا حاجة) استثناء منقطع ولذا فسره بلكن والمعنى لم يكن تفرقهم دافعا عنهم من قدر الله شيأ لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي دفع العين عنهم التي كانت تصيبهم عند دخولهم مجتمعين فان التفرق في الدخول دفعها بارادة الله (قوله لتعليمنا اياه) أشار بذلك الى أن ما مصدرية (قوله ولما دخلوا على يوسف) أي منزله ومحل حكمه وهذا الدخول غير الدخول السابق فان المراد به دخول المدينة قال المفسرون لما دخلوا عليه قالوا أيها الملك هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فأنا أجلسه معي فأخذه وأجلسه معه على مائدة وجعل يؤاكله فلما دخل الليل أمرهم بمثل ذلك من الفراش وقال كل اثنين ينامان على فراش واحد فبقي بنيامين وحده

(فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) هى صاع من ذهب مرصع بالجواهر (فى

رحل أخيه) بنيامين (ثم أذن مؤذن) نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف (أيتها العير) القافلة (انكم لسارقون قالوا و) قد (أقبلوا عليهم ماذا) ما الذى (تفقدون) ه (قالوا نفقد صواع) صاع (الملك ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام (وأنا به) بالحمل (زعيم) كفيل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين) ما سرقنا قط (قالوا) أى المؤذن وأصحابه (فما جزاؤه) أى السارق (ان كنتم كاذبين) فى قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم (قالوا جزاؤه) مبتدأ خبره (من وجد فى رحله) يسترق ثم أكد بقوله (فهو) أى السارق (جزاؤه) أى المسروق لا غير وكانت سنة آل يعقوب (كذلك) الجزاء (نجزى الظالمين) بالسرقة فصرفوا ليوسف لتفتيش أوعيتهم (فبدأ بأوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء أخيه) لئلا يتهم (ثم استخرجها) أى السقاية (من وعاء أخيه) قال تعالى (كذلك) الكيد (كدنا ليوسف) علمناه الاحتيال فى أخذ أخيه (ما كان) يوسف (ليأخذ أخاه) رقيقا عن السرقة (فى دين الملك) حكم ملك مصر لان جزاءه عنده الضرب

وتغريم مثلى المسروق لا الاسترقاق (الا أن يشاء الله) أخذه

فقال يوسف هذا ينام عندى على فراشى فقام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريح أبيه منه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم انى أرى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان فأنا أضمه الى فيكون معى فى منزلى ثم انه أنزلهم وأجرى لهم الطعام فقال روبيل ما رأينا مثل هذا فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال فهل لك من ولد قال عشرة بنين قال فهل لك من أخ لام قال كان لى أخ فهلك قال يوسف أتحب أن أكون أنا أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال انى أنا أخوك الخ وقال كعب لما قال له يوسف انى أنا أخوك قال بنيامين أنا لا أفارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك عندى ازداد غمه ولا يمكننى هذا الا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك الى ما لا يحمد فقال لا أبالى افعل ما بدا لك فانى لا أفارقك قال يوسف فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بالسرقة لاحتال فى ردك بعد اطلاقك قال فافعل ما شئت فذلك قوله تعالى فلما جهزهم الخ (قوله فلما جهزهم) عبر هنا بالفاء اشارة الى طلب سرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم بخلاف المرة الاولى فان المطلوب طول اقامتهم ليتعرف حالهم (قوله هى صاع من ذهب) وكان يشرب فيه الملك فسمى سقاية باعتبار أول حاله وصاعا باعتبار آخر أمره لان الصاع آلة الكيل (قوله مرصع بالجواهر) أى مزين ومحلى بها (قوله بعد انفصالهم عن مجلس يوسف) أى خروجهم وسيرهم بل قيل انهم وصلوا الى بلبيس وردوا من عندها (قوله أيتها العير) هى فى الاصل كل ما يحمل عليه من ابل وحمير ويقال أطلقت وأريد أصحابها فهو مجاز علاقته المجاورة (قوله وأقبلوا) قدر المفسر قد اشارة الى أن الجملة حالية والمعنى أنهم التفتوا اليهم وخاطبوهم بما ذكر (قوله ماذا تفقدون) أى أى شئ ضاع منكم (قوله صواع الملك) أى آلة كيله وانما اتخذ آلة كيل لعزة ما يكال به فى ذلك الوقت وفيه قراآت كثيرة السبعية منها واحدة وهى صواع وما عداها شاذ (قوله حمل بعير) أى جعلا له (قوله قالوا تالله الخ) انما قالوا ذلك لما ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم حيث كانوا مواظبين على الطاعات والخيرات حتى بلغ من أمرهم أنهم سدوا أفواه دوابهم لئلا تأكل شيأ من أموال الناس (قوله لقد علمتم) اللام موطئة لقسم محذوف تأكيدا لما قبله (قوله ووجد فيكم) الجملة حالية والمعنى فما جزاؤه ان كنتم صادقين فى قولكم والحال انه ظهر خلاف ما قلتم (قوله خبره من وجد) أى فمن اسم موصول ووجد صلتها والكلام على حذف مضاف أى استرقاق من وجد أشار له المفسر بقوله يسترق (قوله وكانت سنة آل يعقوب) أى طريقتهم وشريعتهم يسترق السارق سنة (قوله كذلك الجزاء) أى المذكور وهو استرقاق السارق (قوله فصرفوا) أى ردوا من المكان الذى لحقهم فيه جماعة الملك (قوله فبدأ بأوعيتهم) أى فكان يفتح وعاء وعاء ويفتشه ثم بعد فراغه منه يستغفر الله مما قذفهم به الى أن وصل الى رحل بنيامين فقال ما أظن هذا أخذ شيأ فقالوا والله لا نتركك حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه (قوله ثم استخرجها من وعاء أخيه) أى فلما أخرجها منه نكس الاخوة رؤسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له فضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل ما زال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه فى البرية ان الذى وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم (قوله كذلك الكيد) أى الحيلة وهى استفتاء يوسف من اخوته (قوله كدنا ليوسف) أى ألهمناه أن يضع الصاع فى رحل أخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته (قوله علمناه الاحتيال الخ) أى فما وقع من يوسف فى تلك الواقعة بوحى من الله تعالى وحينئذ فلا يقال كيف نادى على اخوته بالسرقة واتهمهم بما يعلم انهم بريئون (قوله لان جزاءه عنده الضرب الخ) أى وهذه الطريقة لا توصله الى أخذ أخيه (قوله مثلى المسروق) أى مثلى قيمته (قوله الا أن يشاء الله) استثناء منقطع والمعنى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك ولكن أخذه بشريعة يعقوب لمشيئة الله لا أخذه اذ لو شاء عدم

أخذه الا باعلامه ثلاث الحيل (قوله بحكم أبيه) أي شريعته (قوله بالاضافة والتنوين) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفوق) خبر مقدم وعليم مبتدأ مؤخر والمعنى ان اخوة يوسف وان كانوا علماء الا أن الله جعل يوسف فوقهم في العلم بل فضله عليهم بمزايا عظيمة منها الرسالة والملك والانعام عليهم وغير ذلك (قوله قالوا ان يسرق الخ) سبب هذه المقالة أنه لما أخرج الصاع من رحل بنيامين افتضح الاخوة ونكسوا رؤسهم فقالوا تبرئة لساحتهم ان يسرق الخ وأتوا بان المفيدة للشك لانه ليس عندهم تحقق سرقته بمجرد اخراج الصاع من رحله وبالمضارع لحكاية الحال الماضية (قوله وكان سرق لابي أمه صنما الخ) هذا أحد أقوال في السرقة التي نسبوها اليه وقيل جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناولها للسائل وقيل أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها لسائل وقيل كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقيل لم يسرق أصلا لا ظاهرا ولا باطنا وانما كان تهمة فقط وذلك ان عمته حضنته بعد موت أمه فاحبته حبا شديدا فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأتاها فقال لاخته يا أختاه سلمي الي يوسف فوالله ما أقدر ان يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال والله ما أنا بتاركه عندك فقالت دعه عندي أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد اسحق وكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقال يعقوب ان كان فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت (قوله لئلا يعبده) أي يدوم على عبادته (قوله والضمير للكلمة الخ) أي فهو عائد على متأخر لفظا ورتبة وحينئذ يكون في الكلام تقديم وتأخير والتقدير قال أنتم شر مكانا وأسرها في نفسه وهذا أحد قولين وقيل انه عائد على قوله فقد سرق أخ له من قبل ومعنى قوله أسرها لم يرد لها جوابا (قوله أنتم شر مكانا) أي منزلة والمعنى أن ما ظهرتم به شر مما ظهر به يوسف وأخوه فانهما اتهما بالسرقة ظاهرا وأنتم سرقتم يوسف من أبيه وفعلتم به ما فعلتم (قوله سرقتكم أخاكم من أبيكم) أي وهو يوسف (قوله عالم) أشار بذلك الى ان اسم التفضيل ليس على بابه اذ لا مشاركة بين الحادث والقديم (قوله قالوا يا أيها العزيز الخ) سبب هذه المقالة أنه لما استخرج الصاع من رحل بنيامين غضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شيء وكان اذا صاح ألقت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع ذلك اذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدهم وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب فقال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفوني أنتم الاسواق وأنا أكفيكم الملك أو اكفوني أنتم الملك وأنا أكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك لتردن علينا أخانا أو لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا وضعت حملها وقامت كل شعرة في جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن صغير له قم الى جنب هذا فمسه أو خذ بيده فأتى به فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم فقالوا لم يصبك منا أحد فقال روبيل ان هنا بذرا من بذر يعقوب فغضب ثانيا فقام يوسف اليه فوكزه برجله وأخذ بيده من يده فوقع على الارض وقال لهم أنتم يا معشر العبرانيين تزعمون ان لا أحد أشد منكم فلما رأوا ما نزل بهم ورأوا ان لا سبيل الى الخلاص خضعوا وذلوا وقالوا يا أيها العزيز الخ (قوله كبيرا) أي في السن أو القدر لانه نبي من أولاد الانبياء (قوله استعبده) أي استرقه (قوله مكانه) منصوب على الظرفية أو ضمن خذ معنى اجعل فمكانه مفعول ثان (قوله من المحسنين) أي في أفعالك والينا في توفية الكيل وحسن الضيافة وغير ذلك (قوله انا اذا لظالمون) أي في أخذ أحدكم مكانه (قوله يئسوا) أشار بذلك الى ان السين والتاء زائدتان (قوله اعتزلوا) أي مجلس الملك (قوله نجيا) هو حال والمعنى خلصوا حال كونهم متناجين ومتشاورين في أمر هذه القضية (قوله في أخيكم) أي في رده (قوله ما زائدة) أي والجار والمجرور متعلق بفرطتم (قوله وقيل ما مصدرية مبتدأ) أي وهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر

والتنوين في العلم كيوسف (وفوق كل ذي علم) من المخلوقين (عليم) أعلم منه حتى ينتهي الى الله تعالى (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) أي يوسف وكان سرق لابي أمه صنما من ذهب فكسره لئلا يعبده (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها) يظهرها (لهم) والضمير للكلمة التي في قوله (قال) في نفسه (أنتم شر مكانا) من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له (والله أعلم) عالم (بما تصفون) تذكرون في أمره (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه (فخذ أحدنا) استعبده (مكانه) بدلا منه (انا نراك من المحسنين) في أفعالك (قال معاذ الله) نصب على المصدر حذف فعله وأضيف الى المفعول أي نعوذ بالله من (أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) لم يقل من سرق تحرزا من الكذب (انا اذا) ان أخذنا غيره (لظالمون فلما استيأسوا) يئسوا (منه خلصوا) اعتزلوا (نجيا) مصدر يصلح للواحد وغيره أي يناجي بعضهم بعضا (قال كبيرهم) سنا روبيل أو رأيا يهوذا (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا) عهدا (من الله) في أخيكم (ومن قبل ما) زائدة (فرطتم في يوسف) وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل

(فلن أبرح) أفارق (الارض) أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) بالعود اليه (أو يحكم الله لي) بخلاص أخي (وهو خير الحاكمين) أعدلهم
(ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا
ان ابنك سرق وما شهدنا) عليه (الا بما علمنا) تيقنا من
مشاهدة الصاع في رحله
(وما كنا للغيب) لما غاب عنا
حين اعطاء الموثق (حافظين)
ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه
(واسأل القرية التي كنا
فيها) هي مصر أي أرسل
الى أهلها فاسألهم (والعير)
أي أصحاب العير (التي
أقبلنا فيها) وهم قوم من
كنعان (وانا لصادقون) في
قولنا فرجعوا اليه وقالوا
له ذلك (قال بل سولت)
زينت (لكم أنفسكم أمرا)
ففعلتموه اتهمهم لما سبق
منهم من أمر يوسف (فصبر
جميل) صبري (عسى الله
أن يأتيني بهم) بيوسف
وأخويه (جميعا انه هو
العليم) بحالي (الحكيم) في
صنعه (وتولى عنهم) تاركا
خطابهم (وقال يا أسفى)
الالف بدل من ياء الاضافة
أي يا حزني (على يوسف
وابيضت عيناه) انمحق
سوادهما وبدل بياضا
من بكائه (من الحزن)
عليه (فهو كظيم) مغموم
مكروب لا يظهر كربه
(قالوا تالله) لا (تفتأ) تزال
(تذكر يوسف حتى تكون
حرضا) مشرفا على الهلاك
لطول مرضك وهو مصدر
يستوي فيه الواحد وغيره
(أو تكون من الهالكين)
الموتى (قال) لهم (انما
أشكو بثي) هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبث الى الناس (وحزني الى الله) لا الى غيره فهو الذي تنفع الشكوى اليه

مبتدأ فالمبتدأ في الحقيقة المصدر المنسبك والمعنى وتفريطكم كائن من قبل تفريطكم في بنيامين واعترض هذا الاعراب بأن الظروف المقطوعة عن الاضافة لا تقع خبرا وأجيب بأن محل ذلك ما لم يتعين المضاف اليه كما هنا (قوله فلن أبرح الارض) أشار بذلك الى أن أبرح ضمنت معنى أفارق فالارض مفعول به وأبرح تامة (قوله أو يحكم الله) اما معطوف على يأذن أو منصوب بأن مضمرة في جواب النفي كأنه قال فلن أبرح الارض الا أن يحكم الله كقولهم لالزمنك أو تقضيني حقي أي الا أن تقضيني حقي (قوله فقولوا يا أبانا الخ) انما أمرهم بذلك لنزول التهمة عنهم عند أبيهم (قوله ان ابنك سرق) انما نسبوه للسرقة لانهم شاهدوا الصواع قد أخرج من متاعه فغلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الحال لا في الحقيقة (قوله وما كنا للغيب حافظين) أي وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين أعطيناك الموثق انه سيسرق وتصاب به كما أصبت بيوسف (قوله أي أرسل الى أهلها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف وكذا في قوله والعير (قوله وهم قوم من كنعان) أي وكانوا جيرانا ليعقوب (قوله وانا لصادقون) أي سواء نسبتنا الى التهمة أم لا وليس غرضهم أن يثبتوا صدق أنفسهم بهذه المقالة لان دعوى الخصم لا تثبت بنفسها (قوله فرجعوا) أي التسعة وقدره اشارة الى أن قوله قال بل سولت الخ مرتب على محذوف (قوله فصبر جميل) خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله صبري وتقدم أن الصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه لمخلوق ولا جزع من فعل الخالق ولذلك فوض أمره لله ولم يسأل العير ولم يرسل يستخبر من القرية التي كانوا فيها بل استسلم للقضاء ولم يقطع الرجاء (قوله عسى الله أن يأتيني بهم) انما قال ذلك لانه لما طال حزنه واشتد كربه علم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا لانه اذا اشتد الكرب كان الى الفرج أسرع وقيل ان يعقوب أطلعه الله على باطن الامر وان أولاده احياء لم يصابوا بشيء وانه سيجتمع عليهم غير انه أمر بكتم ذلك فلوح بذلك الاشارة الى ما علمه (قوله وأخويه) أي بنيامين وكبيرهم (قوله الحكيم في صنعه) أي لانه يضع الاشياء في محالها (قوله وتولى عنهم) مرتب على ما ذكر قوله (قوله الالف بدل من ياء الاضافة) أي والاصل يا أسفي بكسر الفاء وفتح الياء قلبت الكسرة فتحة ثم تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فيقال في اعرابه أسفى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا (قوله على يوسف) انما جدد حزنه على يوسف عند اخباره بواقعة بنيامين لان الحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن وليس في هذا اظهار جزع بل هو شكوى لله لا لخلق فمعنى يا أسفى أشكو الى الله شدة حزني فلا ينافي قوله فصبر جميل (قوله وابيضت عيناه) قيل معناه عمى فلم يبصر شيأ ست سنين وهذا بناء على جوازه في هذا على الانبياء بعد التبليغ واشتهار الامر وقيل معناه ضعف بصره من كثرة البكاء واتصال الدمع بعضه ببعض ولم يكن عمى حقيقة بل من كثرة البكاء صار على انسان العين غشاوة مانعة له من النظر ولم يذهب أصلا وهذا هو الاقرب (قوله فهو كظيم) أي مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يذكره لاحد قال قتادة الكظيم الذي يردد حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا (قوله قالوا تالله) أي تسلية له على ما نزل به من الحزن العظيم ان قلت كيف حلفوا على شيء لا يعلمون حقيقته أجيب بأنهم حلفوا على غلبة الظن وهي بمنزلة اليقين فهو من لغو اليمين الذي لا يؤاخذ به العبد (قوله تفتأ تذكر يوسف الخ) انما قدر المفسر لا لان القسم المثبت جوابه مؤكد بالنون أو اللام عند الكوفيين أو بهما عند البصريين فلما رأينا الجواب هنا خاليا منهما علمنا ان القسم على النفي بمعنى ان جوابه منفي لا مثبت فلو قيل والله أحبك كان المراد لا أحبك وهو من قبيل التورية ومن ذلك اذا قال والله أجيئك غدا فجئت بالمجيء بخلاف ما اذا قال لا أجيئك فيحنث به [illegible] (قوله حتى تكون حرضا) هو من باب تعب يقال حرض حرضا أشرف على الهلاك (قوله [illegible]) أي الموتى والجمع والمذكر والمؤنث (قوله قال لهم) أي جوابا لقولهم (قوله انما أشكو بثي) [illegible] لان الانسان اذا اشتد الحزن [illegible] وانه كان هما [illegible]

فتحسسوا من يوسف وأخيه) اطلبوا خبرهما (ولا تيأسوا) تقنطوا (من روح الله) رحمته (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) فانطلقوا نحو مصر ليوسف (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفا أو غيرهما (فأوف) أتم (لنا الكيل وتصدق علينا) بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا (إن الله يجزي المتصدقين) يثيبهم فرق عليهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم (قال) لهم توبيخا (هل علمتم ما فعلتم بيوسف) من الضرب والبيع وغير ذلك (وأخيه) من هضمكم له بعد فراق أخيه (إذ أنتم جاهلون) ما يؤول إليه أمر يوسف (قالوا) بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين (أئنك) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من) أنعم (الله علينا) بالاجتماع (إنه من يتق) يخف الله (ويصبر) على ما يناله (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قالوا تالله لقد آثرك) فضلك

ورد أنه كان ليعقوب شخص مواخ له فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال له يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي أن تشكو إلى غيري فقال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو وإنما عوتب يعقوب بهذا لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين لأن العتاب على قدر المرتبة (قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون) أي من رحمته وإحسانه (قوله وهو حي) أي لما روي أن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف قال لا فطابت نفس يعقوب وطمع في رؤيته (قوله يا بني اذهبوا الخ) سبب تلك المقالة أن أولاده لما أخبروه بسيرة ملك مصر وكمال حاله في جميع أقواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يا بني الخ (قوله فتحسسوا) هو بالحاء المهملة طلب الخبر بالحاسة والتجسس بمعناه روي أن يعقوب حين أمر أولاده أن يذهبوا ليأتوا بخبر يوسف وأخيه كتب لهم كتابا إلى يوسف لما حبس عنده بنيامين من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر أما بعد فإنا أهل بيت وكل بنا البلاء أما جدي إبراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار فصبر لأمر الله وأما عمي إسمعيل فابتلي بالغربة في صغره فصبر لأمر الله وأما أبي إسحق فابتلي بالذبح ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه فكنت أتسلى به وإنك حبسته وزعمت أنه سرق وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته إلي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكاؤه وقل صبره وأظهر نفسه لإخوته (قوله وأخيه) لم يقل وأخويه لأنه كان يعلم أن الثالث مقيم بمصر فلم يخف عليه حاله (قوله اطلبوا خبرهما) أي بالحاسة كما أن التجسس طلب الخبر بالجاسة أيضا فهما بمعنى واحد ولذا قرئ هنا بالجيم شذوذا (قوله من روح الله) بالفتح مصدر بمعنى الرحمة وهو في الأصل استراحة القلب من غمه والمعنى لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله (قوله فانطلقوا نحو مصر) قدره إشارة إلى أن قوله فلما دخلوا عليه مرتب على محذوف (قوله مدفوعة) أي مردودة (قوله وكانت دراهم زيوفا) أي معيبة (قوله أو غيرها) أو لتنويع الخلاف فقيل كانت نعالا وقيل صوفا (قوله فأوف لنا الكيل) أي أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد فإنا نريد أن تقيم لنا الناقص مقام الزائد (قوله بالمسامحة) وقيل برد أخينا بنيامين * فإن قلت إن ما فعلوه خلاف ما أمرهم به أبوهم من التجسس من يوسف وأخيه * أجيب بأن أبواب التجسس كثيرة وهذا منها لأن الاعتراف بالعجز وضيق اليد وشدة الحاجة مما يرقق القلب فإن كان يوسف فسيظهر لهم حاله لحصول الرقة والعطف منه لهم وإن كان غيره فلا يرق ولا يعطف (قوله ورفع الحجاب الخ) قيل هو اللثام الذي كان يتلثم به وقيل هو الستر الذي كان يكلمهم من خلفه وقيل هو تاج الملك الذي كان يضعه على رأسه وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولإسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها (قوله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أي هل علمتم عاقبة ما فعلتم بهما من تسليم الله إياهما من كل مكروه وإنعام الله عليهما بتلك النعم العظيمة (قوله من هضمكم له) أي ظلمكم وإذايتكم له (قوله إذ أنتم جاهلون) أي وقت جهلكم بعاقبة أمرهما (قوله من شمائله) أي أخلاقه (قوله وإدخال ألف بينهما الخ) أي فالقراآت أربع التحقيق والتسهيل الثاني مع الألف بينهما وبدونها وبقي قراءة خامسة سبعية أيضا وهي إنك بهمزة واحدة (قوله قال أنا يوسف) إنما صرح باسمه تعظيما لما نزل به من ظلم إخوته ولما عوضه الله من النصر والملك (قوله إنه من يتق) بإثبات الياء وصلا ووقفا وحذفها فيهما قراءتان سبعيتان فعلى الإثبات تكون من موصولة والفعل بعدها مرفوع على الحذف تكون شرطية والفعل مجزوم بحذفها (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أي والأصل لا يضيع أجرهم (قوله فضلك)

أي كالصبر والصفح والحلم (قوله لخاطئين) يقال خطئ اذا كان عن عمد واخطأ اذا لم يكن عن عمد ولذا عبر بخاطئين دون مخطئين (قوله قال لا تثريب) أي لا توبيخ ولا لوم عليكم (قوله اليوم) خبر ثان أو متعلق بالخبر فالوقف عليه وهو الاقرب ولذا مشى عليه المفسر وقوله يغفر الله لكم استئناف ويصح أن يكون ظرفا لقوله يغفر فالوقف على قوله عليكم (قوله يغفر الله لكم) الجملة دعائية (قوله وهو أرحم الراحمين) أي يقبل التوبة ويعفو عن المذنبين ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه قالوا له انك تدعونا بكرة وعشيا الى الطعام ونحن نستحي منك لما تقدم منا فقال ان أهل مصر كانوا ينظرون الي بعين العبودية ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام (قوله وسألهم عن أبيه) أي حين وقع التعارف وهو تمهيد لقوله اذهبوا بقميصي (قوله وهو قميص ابراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار) أي لانه لما ألقي فيها عريانا أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب وجعله في قصبة من فضة وسد رأسها وعلقها في عنق يوسف حفظا من العين فلما ألقي في الجب عريانا أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص من القصبة وألبسه اياه (قوله وقال) أي جبريل (قوله يأت بصيرا) يحتمل أن يأت بمعنى يصير فبصيرا مفعول ثان وهو الذي درج عليه المفسر ويحتمل انها بمعنى يجيء فبصيرا حال (قوله بأهلكم أجمعين) أي وكانوا اثنين وسبعين ما بين رجل وامرأة وقيل ثلاثا وسبعين فأرسل لهم مائتي راحلة وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذراري والضعفاء وكانت الذرية اذ ذاك ألف ألف ومائتي ألف فقد بورك فيهم حتى بلغوا هذا العدد في تلك المدة اليسيرة لانه كان بين يعقوب وموسى أربعمائة سنة (قوله خرجت من عريش مصر) أي متوجهة الى أرض كنعان والعريش بلدة من وقيل آخر بلاد مصر وأول بلاد الشام وما ذكره المفسر أحد قولين والآخر أن المراد خرجت من نفس مصر (قوله ان حضر من بنيه وأولادهم الخ) مقتضى هذا ان الاولاد لم يذهبوا جميعا لمصر بل بقي بعضهم وقال غيره ان الاولاد ذهبوا جميعا وهذا الخطاب لاولادهم (قوله اني لأجد ريح يوسف) أي ريح الجنة من قميص يوسف فالاضافة لادنى ملابسة وفي هذا دليل على أن كل سهل فهو في مدة المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل حيث وصل اليه ريح القميص من المكان البعيد عند انقضاء مدة الفراق ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدى البلدتين من الاخرى في تلك المدة العظيمة ومن ذلك قول العارف ابن الفارض

اعوام اقباله كاليوم في قصر * ويوم اعراضه في الطول كالحجج

(قوله أوصلته اليه الصبا) هي ريح تهب من مطلع الشمس ان قلت ان ريح الصبا تقابل الذاهب من مصر الى الشام فاذا كانت تقابله فكيف تحمل الريح من القميص الذي معه الى جهة الشام فمقتضى العادة ان التي حملت هي الدبور لانها هي التي تذهب من جهة مصر الى الشام أجيب بان هذا خرق عادة أو يقال ان هذا ظاهر اذا كانت حملته لمقابلها فقط وأما ما حصل فقد فاح شذاه على جميع الدنيا ولذا قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة من ذلك القميص وحينئذ فحمل الصبا الريح ظاهر لانها لم تحمل ريحه ليعقوب فقط بل حملته لاهل الدنيا وقد بالغ الناس في مدح الصبا حتى قال بعض الحكماء لو توالت على الارض سبعة أيام لانبتت الزعفران وقال بعضهم مادحا لها

أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الي نسيمها

فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

أجد بردها أو تشف مني حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها

(قوله أو أكثر) قيل عشرة وقيل شهر (قوله لولا أن تفندون) أي [illegible]

(وان) مخففة أي انا (كنا لخاطئين) آثمين في أمرك فأذلنا لك (قال لا تثريب) عتب (عليكم اليوم) خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فغيره أولى (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) وسألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فقال (اذهبوا بقميصي هذا) وهو قميص ابراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار كان في عنقه في الجب وهو من الجنة أمره جبريل بارساله وقال ان فيه ريحها ولا يلقى على مبتلى الا عوفي (فألقوه على وجه أبي يأت) يصر (بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير) خرجت من عريش مصر (قال أبوهم) لمن حضر من بنيه وأولادهم (اني لأجد ريح يوسف) أوصلته اليه الصبا باذنه تعالى من مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر (لولا أن تفندون) تسفهون لصدقتموني

مبتدأ خبره محذوف وجوبا وجواب لولا محذوف أيضا وتقدير الكلام لولا تفنيدكم لي موجود لصدقتموني والتفنيد هو تضعيف الرأي (قوله قالوا) أي من حضر عنده من أولاد بنيه (قوله انك لفي ضلالك القديم) أي من ذكر يوسف وعدم نسيانك اياه لانه كان عندهم قد مات وهلك (قوله فاحب أن يفرحه) أي فقال لاخوته اني ذهبت بالقميص ملطخا بالدم فانا اذهب بهذا القميص فافرحه كما احزنته فحمله وخرج به حافيا حاسرا ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما وصل اليه سلمه في نظير تلك البشارة كلمات كان ورثها عن أبيه اسحق وهو عن أبيه ابراهيم وهي يا لطيفا فوق كل لطيف الطف بي في أموري كلها كما احب ورضني في دنياي وآخرتي (قوله فارتد بصيرا) أي رجع بصره لحالته الاولى (قوله قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) أي من أمور باطنية لانه وان كانتم تنظرون للظاهر وانا انظر للباطن (قوله قالوا يا أبانا الخ) أي لما ظهر الحق وتبين اعتذروا اليهم عما وقع منهم (قوله استغفر لنا) أي اطلب لنا من ربنا غفران ذنوبنا (قوله انا كنا خاطئين) أي آثمين (قوله أخر ذلك الى السحر) أي فلما انتهى الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما أتوا الي والى أخيهم يوسف فأوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين (قوله أو الى ليلة الجمعة) أي وقيل الى الاجتماع بيوسف ليجتمع معه على الاستغفار والدعاء لهم ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام وقال ان الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهذا ان صح فهو دليل على نبوتهم ويجاب عما وقع منهم عامر (قوله ثم توجهوا الى مصر) قال أصحاب الاخبار لما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر وعرفه بمجيء أبيه وأهله فخرج يوسف في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يهوذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل خل يعقوب يبدأ بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني وبينك وخرج يوسف للقاء أبيه في أربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خز وقصب فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفا ولما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته نظر الى الصحراء مملوأة بالفرسان مزينة بالالوان فنظر اليهم متعجبا فقال جبريل انظر الى الهواء فان الملائكة قد حضرت سرورا بحالك كانوا باكين محزونين مدة لاجلك وهاجت الفرسان بعضهم في بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضربت الطبول والبوقات فصار كأنه يوم القيامة قيل وكان دخولهم يوم عاشوراء (قوله فلما دخلوا) أي يعقوب وأولاده (قوله في مضربه) أي خيمته وكان ذلك خارج المدينة على عادة الملوك (قوله آوى اليه أبويه) أي قربهما منه (قوله وأمه) أي على القول بحياتها حينئذ وقوله أو خالته أي واسمها ليا وهذا على القول بموت أمه راحيل وقيل المراد بخالته امرأة أخرى غير ليا تزوجها يعقوب بعدهما وقيل أحيا الله أمه بعد موتها وسجدت له تحقيقا لرؤياه والله أعلم بحقيقة الحال (قوله ادخلوا مصر) هذا الدخول غير الدخول الاول لان المراد هنا دخول نفس المدينة وأما الاول فالمراد به دخول خيمته خارج البلد (قوله ان شاء الله آمنين) أي من كل مكروه لان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلوها الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم لانكم أنتم مني فلا تخافون من أحد (قوله فدخلوا الخ) فيه اشارة الى أن قوله ورفع أبويه معطوف على محذوف (قوله وخروا له سجدا) [illegible]

(قالوا) له (تالله انك لفي ضلالك) خطئك (القديم) من افراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد (فلما أن) زائدة (جاء البشير) يهوذا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فاحب أن يفرحه كما أحزنه (ألقاه) طرح القميص (على وجهه فارتد) رجع (بصيرا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) أخر ذلك الى السحر ليكون أقرب الى الاجابة أو الى ليلة الجمعة ثم توجهوا الى مصر وخرج يوسف والاكابر لتلقيهم (فلما دخلوا على يوسف) في مضربه (آوى) ضم (اليه أبويه) أباه وأمه أو خالته (وقال) لهم (ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) فدخلوا وجلس يوسف على سريره (ورفع أبويه) أجلسهما معه (على العرش) السرير (وخروا) أي أبواه واخوته (له سجدا)

سجود انحناء لاوضع جبهة وكان تحيتهم فى ذلك الزمان (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى) الىّ (اذ أخرجنى من السجن) لم يقل من الجب تكرما لئلا تخجل اخوته (وجاء بكم من البدو) البادية (من بعد أن نزغ) أفسد (الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم) بخلقه (الحكيم) فى صنعه وأقام عنده أبوه أربعا وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة وكانت مدة فراقه ثمانى عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه الى الملك الدائم فقال (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث) تعبير الرؤيا (فاطر) خالق (السموات والارض أنت ولى) متولى مصالحى (فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) من آبائى فعاش بعد ذلك أسبوعا أو أكثر ومات وله مائة وعشرون سنة وتشاح المصريون فى قبره فجعلوه فى صندوق من مرمر ودفنوه فى أعلى النيل لتعم البركة جانبيه فسبحان من لا انقضاء لملكه (ذلك) المذكور من أمر يوسف (من أنباء الغيب) أخبار ما غاب عنك يا محمد (نوحيه اليك وما كنت

الثانى ويجمع بأنه بعد الدخول وجلوس يوسف وأبويه على السرير (قوله سجود انحناء) أى على عادة تحية الملوك وهذا أحد قولين وقيل المراد بالسجود حقيقته وهو وضع الجبهة على الارض ولا يشكل على هذا أن حقيقة السجود لا تكون الا لله لانه يقال ان يوسف جعل كالقبلة لذلك السجود وما قيل فى سجود الملائكة لآدم يقال هنا * ان قلت كيف رضى يوسف بسجود أبيه له مع أنه أكبر منه وكان الواجب مراعاة الادب * أجيب بأن هذا بأمر من الله تحقيقا لرؤيا يوسف لان رؤيا الانبياء وحى (قوله هذا) أى السجود (قوله حقا) أى صدقا حيث وجدت وتحققت فى الخارج على طبق ما فى النوم (قوله وقد أحسن بى) أى أنعم علىّ (قوله لئلا تخجل اخوته) أى ولان نعمة الله عليه فى الخروج من السجن كانت سببا لوصوله الى الملك بخلاف اخراجه من الجب فانه أعقبه الرق والتهمة والسجن وليس فى ذلك ادخال سرور على أبويه (قوله وجاء بكم من البدو) عطف على أخرجنى والمعنى وقد أنعم علىّ وقت اخراجى من السجن ووقت مجيئكم من البدو (قوله ان ربى لطيف) ضمنه معنى مدبر فعداه باللام واللطيف معناه الرفيق المحسن (قوله وكانت مدة فراقه ثمانية عشر الخ) حاصله أنه اختلف فى مدة فراق يوسف لابيه فذكر المفسر ثلاثة أقوال وقيل اثنان وعشرون وقيل ستة وثلاثون وقيل خمس وثلاثون وقيل سبعون ولا يعلم الحقيقة الا الله واتفقوا على ان عمر يوسف مائة وعشرون سنة (قوله فوصى يوسف أن يحمله الخ) أى وقد فعل فحمله فى تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت عيصو أخى يعقوب وكانا قد ولدا فى بطن واحد فدفنا فى قبر واحد (قوله ولما تم أمره) أى فى سلكه (قوله وعلم أنه) أى الملك (قوله الى الملك الدائم) أى وهو نعيم الآخرة (قوله فقال) أى طلب الملك الدائم بوفاته على الاسلام وما قبل ذلك فهو ثناء على الله قدم على الدعاء لمراعاة الادب اشارة الى أن الانسان ينبغى له اذا أراد أن يدعو يقدم الثناء على الله اعترافا بالنعم ثم بعد ذلك يسأل مطلوبه (قوله من الملك) أى بعضه وهو ملك مصر اذ لم يملك جميع الاقطار الا أربعة اثنان مسلمان اسكندر ذو القرنين وسليمان بن داود واثنان كافران بختنصر وشداد بن عاد (قوله فاطر السموات والارض) يصح أن يكون نعتا للرب أو بدلا أو عطف بيان أو نداء ثانيا (قوله توفنى مسلما) ان قلت كيف يطلب الموت مع أن تمنيه لا يجوز أجيب بأنه علم بالوحى قرب أجله فطلب ما يكون عند الموت وهو اللحوق بالصالحين فمحط طلب الموت على ما بعده * ان قلت ان كل نبى مقطوع بموته على الاسلام فلم طلب ذلك * أجيب بأن الله تجلى على يوسف بخوف الاجلال فطلب ذلك لان المعصوم عند ذلك ينسى العصمة (قوله من آبائى) أى ابراهيم واسحق ويعقوب فالمراد لحوقا خاصا الذى هو أعلى المراتب (قوله ومات) أى وقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعد يوسف مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت أيديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه الى أن بعث موسى عليه السلام وأغرق فرعون وقومه وقطع الله الفراعنة منها وأورثها الله بنى اسرائيل (قوله وتشاح المصريون فى قبره) أى حتى هموا أن يقتتلوا ثم اصطلحوا على أن يدفنوه فى أعلى النيل من جهة الصعيد لتعم بركته الجميع فجعلوه فى صندوق من مرمر وهو نوع من أجود الرخام ودفنوه فى الجانب الايمن فأخصب وأجدب الجانب الايسر فنقل له فأخصب وأجدب الجانب الايمن فدفنوه فى وسط النيل وربطوه بسلسلة فأخصب الجانبان فبقى أربعمائة سنة فلما أمر الله موسى بالخروج من مصر أمره بأخذ يوسف معه ودفنه فى الارض المقدسة بقرب آبائه فلم يهتد الى مكانه فدلته عليه عجوز قيل انها من أولاد يعقوب وشرطت عليه أن تكون معه فى الجنة فضمن لها ذلك وشرطت عليه أيضا أن يدعو لها أن ترجع شابة كلما هرمت فدعا لها فكانت كلما وصلت فى السن خمسين سنة رجعت بنت ثلاثين فعاشت ألفا وستمائة سنة فحمله موسى ودفنه بالارض المقدسة فهو الآن هنالك * وأما اخوته فلم يثبت فى محل دفنهم شئ وما قيل من أنهم مدفونون فى المحل المعروف بالقرافة الكبرى فهو بالظن فقط (قوله المذكور) أى من أمر يوسف وقصته (قوله من أنباء الغيب) أى الاخبار المغيبة التى لم تكن تعلمها قبل الوحى (قوله وما كنت

لديهم) لدى يوسف (اذ أجمعوا أمرهم) في كيده أي عزموا عليه (وهم يمكرون) به أي لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها وانما حصل
لك علمها من جهة الوحي (وما أكثر الناس) أي أهل مكة (ولو حرصت) على ايمانهم (بمؤمنين وما تسألهم عليه) أي القرآن (من أجر)
تأخذه (ان) ما (هو) أي القرآن (الا ذكر) عظة (للعالمين وكأين) وكم (من آية) دالة على وحدانية الله (في السموات والأرض يمرون عليها)
يشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يتفكرون فيها (وما يؤمن أكثرهم بالله) حيث يقرون بأنه الخالق الرازق (الا وهم
مشركون) به بعبادة الاصنام ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يعنونها (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) نقمة تغشاهم (من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت اتيانها قبله (قل) لهم (هذه سبيلي) وفسرها بقوله (أدعو الى) دين (الله على بصيرة) حجة واضحة (أنا ومن اتبعني) آمن بي عطف على أنا المبتدأ المخبر عنه بما قبله (وسبحان الله) تنزيها له عن الشركاء (وما أنا من المشركين) من جملة سبيله أيضا (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (اليهم) لا ملائكة (من أهل القرى) الامصار لانهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم (أفلم يسيروا) أي أهل مكة (في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي آخر أمرهم من اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (ولدار الآخرة) أي الجنة (خير
للذين اتقوا) الله (أفلا يعقلون) بالياء والتاء أي يا أهل مكة هذا فتؤمنون ماض)
(حتى) غاية لما دل عليه وما أرسلنا من قبلك الا رجالا أي فتراخى نصرهم حتى (اذا استيأس) يئس (الرسل وظنوا) أيقن الرسل (أنهم قد
كذبوا) بالتشديد تكذيبا لا ايمان بعده والتخفيف أي ظن الامم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر (جاءهم نصرنا فنجي) بنونين
مشددا ومخففا وبنون مشددا

لديهم) كالعلة لقوله من أنباء الغيب ولقوله نوحيه اليك (قوله وهم يمكرون) أي يحتالون فيما دبروه (قوله وانما حصل لك علمها من جهة الوحي) أي فيكون اخبارهم بها معجزة لانه لم يطالع الكتب القديمة ولم يأخذ عن أحد من البشر فاتيانه بتلك القصة العظيمة على أبلغ وجه من غير غلط ولا تحريف غاية الاعجاز (قوله وما أكثر الناس الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله ولو حرصت) هذه الجملة معترضة بين ما وخبرها (قوله وكأين) مبتدأ ومن آية تمييز وهو تسلية أخرى له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتعجب من اعراضهم عنك فان اعراضهم عن هذه الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته أغرب وأعجب (قوله كم) أشار بذلك الى أن كأين بمعنى كم الخبرية التي للتكثير (قوله في السموات والارض) صفة لآية وقوله يمرون عليها خبر المبتدا (قوله وهم عنها معرضون) الجملة حالية (قوله وما يؤمن أكثرهم بالله) أي وما يعترف أكثرهم بالتوحيد حيث يقولون الله هو الخالق الرازق المعطي المانع وغير ذلك (قوله يعنونها) أي الاصنام بقولهم الا شريكا هو لك (قوله نقمة تغشاهم) أي عقوبة تشملهم وتحيط بهم (قوله هذه سبيلي) أي طريقي وشريعتي (قوله أدعو الى الله) أي أدل الناس على طاعته ودينه (قوله حجة واضحة) أي بها تتميز الحق من الباطل (قوله عطف على أنا المبتدا الخ) أي فأنا مبتدأ ومن اتبعني عطف عليه وقوله على بصيرة جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم فالوقف على قوله أدعو الى الله ويكون في المقام جملتان الاولى تنتهي لقوله ادعوا الى الله والثانية مبدؤها قوله على بصيرة الخ وهذا ما جرى عليه المفسر في الاعراب (قوله من جملة سبيله) راجع لقوله وسبحان الله وما أنا من المشركين فهما معطوفان على قوله أدعو الى الله كأنه قال شريعتي أدعو الى الله وأسبح الله وكوني لست من المشركين على بصيرة أنا ومن اتبعني (قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) رد على أهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله الينا ملكا والمعنى كيف تتعجبون من ذلك مع أن جميع رسل الله الذين كانوا من قبلك بشر مثلك (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله لجفائهم) أي غلظ طبعهم وهو مقابل لقوله اعلم وقوله وجهلهم مقابل لقوله واحلم فهو لف ونشر مشوش (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا فلم يسيروا والاستفهام للتوبيخ (قوله في الارض) أي في أسفارهم (قوله الذين من قبلهم) أي كقوم هود وصالح ولوط وغيرهم ممن هلكوا (قوله من اهلاكهم) بيان لآخر أمرهم (قوله ولدار الآخرة) أي الدار الآخرة (قوله خير الذين اتقوا) أي وأما لغيرهم فليست خيرا لهم لحرمانهم من نعيمها (قوله الله) قدره اشارة الى أن مفعول اتقوا محذوف (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله يا أهل مكة) راجع لقراءة التاء فيكون خطابا لهم وعلى الياء يكون اخبارا عنهم (قوله غاية لما دل عليه وما أرسلنا الخ) أي والمعنى فيكون المعنى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فكذبهم أممهم فتراخى نصرهم حتى الخ (قوله أيقن الرسل) هذا راجع لقراءة التشديد والمعنى أيقن الرسل بالوحي من الله بأن قومهم كذبوهم تكذيبا لا ايمان بعده وأما قراءة التخفيف فالظن على بابه (قوله والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من النصر) بيان لما (قوله بنونين مشددا الخ) حاصل ما ذكره ثلاث قراآت التشديد والتخفيف مع النونين والتشديد مع النون الواحدة وظاهر كلامه أن جميعها سبعي وليس كذلك بل التشديد مع النونين قراءة شاذة (قوله

ماضٍ (من نشاء ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) المشركين (لقد كان في قصصهم) أي الرسل (عبرة لأولي الألباب) أصحاب العقول (ما كان) هذا القرآن (حديثا يفترى) يختلق (ولكن) كان (تصديق الذي بين يديه) قبله من الكتب (وتفصيل) تبيين (كل شيء) يحتاج إليه في الدين (وهدى) من الضلالة (ورحمة لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم

ماضٍ) أي مبني للمفعول ومن نشاء نائب فاعل (قوله في قصصهم) القصص بالفتح مصدر قص إذا تتبع الأثر والخبر والمراد الأخبار (قوله الرسل) أي كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم ويحتمل أن الضمير عائد على يوسف وإخوته بدليل قوله تعالى في أول السورة نحن نقص عليك أحسن القصص والمعنى أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب والسجن ومن عليه بالعز والملك وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة قادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وإعلاء كلمته وإظهار دينه رغما على أنف كل معارض (قوله عبرة) أي تفكر واتعاظ (قوله لأولي الألباب) تعريض بأنهم ليسوا أولي ألباب (قوله هذا القرآن) أي الذي تقدم ذكره في قوله إنا أنزلناه قرآنا عربيا (قوله تصديق الذي بين يديه) هذه أخبار أربعة أخبر بها عن كان المحذوفة التي قدرها المفسر والمعنى أن هذا القرآن مصدق لما تقدم قبله من الرسل ومن الكتب التي جاؤا بها فقول المفسر من الكتب لا مفهوم له (قوله في الدين) أي من الحلال والحرام والمواعظ وغير ذلك (قوله ورحمة) أي إنعاما وإحسانا

﴿سورة الرعد﴾

﴿سورة الرعد﴾ مكية إلا ولا يزال الذين كفروا الآية ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية أو مدنية إلا ولو أن قرآنا الآيتين ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم المر) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والإضافة بمعنى من (والذي أنزل إليك من ربك) أي القرآن مبتدأ خبره (الحق) لا شك فيه (ولكن أكثر الناس) أي أهل مكة (لا يؤمنون) بأنه من عنده تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) أي العمد جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلا (ثم استوى على العرش) استواء يليق به (وسخر) ذلل (الشمس والقمر كل) منهما (يجري) في فلك (لأجل مسمى) يوم القيامة

مبتدأ وقوله مكية خبر أول وقوله ثلاث الخ خبر ثان (قوله مكية إلا ولا يزال الذين كفروا الآية) وقيل المدني منها قوله تعالى هو الذي يريكم البرق إلى قوله له دعوة الحق (قوله أو مدنية إلا ولو أن قرآنا الآيتين) وقيل مدنية كلها وقيل مكية كلها فتحصل أن فيها خمسة أقوال وسميت بالرعد لذكره فيها * ومن فضائلها أن قراءتها عند المحتضر تسهل خروج الروح (قوله ثلاث أو أربع الخ) حاصل ما ذكره من الخلاف في عدد آياتها أربعة أقوال (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول هو الأسلم في تفسير تلك الأحرف المقطعة (قوله هذه الآيات) أي آيات السورة وأشير لها باعتبار علم الله بها أو باعتبار وجودها في اللوح المحفوظ فلا يقال إن اسم الإشارة لا بد أن يكون لحاضر وهي لم توجد في الخارج ويصح أن يعود اسم الإشارة على ما مضى من أول القرآن إلى هنا (قوله والذي أنزل إليك) اسم الموصول مبتدأ وأنزل صلته ومن ربك متعلق به أو حال وقوله الحق خبر كما قال المفسر والمعنى أن القرآن الذي أنزل عليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه (قوله أي أهل مكة) هذا تفسير للناس باعتبار النزول وإلا فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فأكثر الناس لا يؤمنون في كل زمان (قوله لا يؤمنون) أي لا يصدقونك بذلك والمعنى لا تعتبرهم فإنهم لا يعول عليهم (قوله الله الذي رفع الخ) هذا شروع في ذكر الأدلة على وجوب وجوده تعالى واتصافه بالكمالات وبدأ بأدلة من العالم العلوي وأعقبها بأدلة من العالم السفلي بقوله وهو الذي مد الأرض الخ (قوله جمع عماد) أي على غير قياس وقياسه أن يجمع على عمد بضمتين وقد قرئ به شاذا وقيل جمع عمود (قوله وهو الأسطوانة) ويقال لها السارية (قوله وهو صادق بأن لا عمد أصلا) أي وهو المراد فالنفي منصب على القيد وقيده أي لم تروها لعدم وجودها وقيل إن لها عمدا على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة فالنفي منصب على القيد دون المقيد وعلى ذلك فجملة ترونها صفة لعمد والضمير عائد عليها وقيل إن ترونها حال من السموات والتقدير رفع السموات حال كونها مرئية لكم بغير عمد وقيل إنها جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وعلى هذين القولين فالضمير عائد على السموات (قوله ثم استوى على العرش) ثم لمجرد العطف لا للترتيب إذ لا ترتيب بين رفع السموات والاستواء على العرش والاستواء في الأصل الركوب والتمكن وذلك مستحيل عليه تعالى لاستلزامه الجسمية والجهة والمراد به هنا القهر والغلبة والاستيلاء لأن شأن من ركب على شيء أن يكون قاهرا غالبا له * ومن ذلك قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وهذه طريقة الخلف وما مشى عليه المفسر طريقة السلف وكل من الطريقتين صحيح (قوله وسخر الشمس والقمر) أي لنفع العالم بهما (قوله يوم القيامة) أي وحينئذ فيلقيان في النار بعد ذهاب

(يدبر الامر) يقضي أمر ملكه (يفصل) يبين (الآيات) دلالات قدرته (لعلكم) يا أهل مكة (بلقاء ربكم) بالبعث (توقنون وهو الذي مد)
بسط (الارض وجعل) خلق (فيها ٢٠٦ رواسى) جبالا ثوابت (وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) من كل نوع (يغشى)

يغطي (الليل) بظلمته (النهار ان في ذلك) المذكور (لآيات) دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يتفكرون) في صنع الله (وفي الارض قطع) بقاع مختلفة (متجاورات) متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى (وجنات) بساتين (من أعناب وزرع) بالرفع عطفا على جنات والجر على أعناب وكذا قوله (ونخيل صنوان) جمع صنو وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها (وغير صنوان) منفردة (تسقى) بالتاء أي الجنات وما فيها والياء أي المذكور (بماء واحد ونفضل) بالنون والياء (بعضها على بعض في الاكل) بضم الكاف وسكونها فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى (ان في ذلك) المذكور (لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (وان تعجب) يا محمد من تكذيب الكفار لك (فعجب) حقيق بالعجب (قولهم) منكرين للبعث (أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) لان القادر على انشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على
اعادتهم وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على
الوجهين وتركها وفي قراءة بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني وأخرى عكسه (أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك)

نور هما المعذب بها عبادهما وما درج عليه المفسر من أن المراد بالاجل المسمى هو يوم القيامة أحد تفسيرين والآخر ان المراد به الوقت المعين لقطع الفلك فان الشمس تقطعه في سنة والقمر في شهر لا يختلف جري واحد منهما كما قال تعالى والشمس تجري لمستقر لها الخ وكل يجري (قوله يدبر الامر) أي أمر العالم العلوي والسفلي وذلك بالاحياء والاماتة والاعزاز والاذلال وغير ذلك من أنواع التصرفات (قوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون) أي لان من قدر على ذلك كله فهو قادر على احياء الانسان بعد موته (قوله وهو الذي مد الارض) شروع في ذكر أدلة من العالم السفلي (قوله بسط الارض) أي طولا وعرضا ليرتاح الحيوان عليها (قوله ثوابت) أي لتمسكها عن الاضطراب باهلها وفي الحديث أول بقعة وضعت من الارض موضع البيت ثم مدت منها الارض وأول جبل وضعه الله على وجه الارض أبو قبيس ثم مدت منه الجبال (قوله ومن كل الثمرات) متعلق بجعل ومفعولها الثاني محذوف تقديره لكم (قوله زوجين اثنين) بيان لاقل مراتب العدد والافقد يكون أكثر من نوعين كما هو بالمشاهدة والمراد بالثمر ما يشمل الحب وتعداد الاصناف المذكورة اما باعتبار الالوان كالبياض والسواد والطعوم كالحلاوة والملوحة والحموضة والمزوزة أو القدر كالكبر والصغر أو الكيفية كالحرارة والبرودة والنعومة والخشونة وغير ذلك (قوله يغطي الليل بظلمته النهار) أي يزيل ظلمة الليل بضياء النهار فيهم كالابوجود الآخر في الآية اكتفاء (قوله يتفكرون) أي يتأملون فيستدلون بتلك الصنعة على وجود صانعها ويعرفون ان لها صانعا حكيما قادرا متصفا بالكمالات وخص المتفكرون بالذكر لانهم هم الذين يحصل لهم الاعتبار والايمان (قوله طيب) أي ينبت وقوله وسبخ أي لا ينبت شيئا (قوله وهو) أي هذا الاختلاف (قوله بالرفع) أي له وللثلاثة بعده وقوله والجر أي كذلك فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهي النخلات) أي الصنوان (قوله بالتاء) أي وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون والياء وقوله والياء أي وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون لا غير فالقرا آت ثلاث وكلها سبعية خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع (قوله في الاكل) أي وغيره كاللون والرائحة والقدر والحلاوة والحموضة وغير ذلك وهذا كمثل بني آدم منهم الصالح الهين اللين والخبيث الغليظ الطبع خلقوا من آدم ويفضل الله من شاء على من شاء ولذا قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وأنزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل الله عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم وتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع (قوله بضم الكاف وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان بمعنى مأكول (قوله لقوم يعقلون) خصوا بالذكر لانهم الذين ينتفعون بالتفكر والاعتبار (قوله وان تعجب) بادغام الباء في الفاء وبتحقيقها قراءتان سبعيتان والعجب استعظام أمر خفي سببه (قوله من تكذيب الكفار لك) أي مع كونك كنت مشهورا بينهم بالامانة والصدق فلما جئت بالرسالة كذبوك (قوله فعجب قولهم) لابد هنا من صفة محذوفة لتتم الفائدة والتقدير فعجب عظيم أو أي عجب وعجب خبر مقدم وقولهم مبتدأ مؤخر (قوله منكرين للبعث) حال من الضمير في قولهم (قوله أئذا كنا ترابا) مع ما بعده في محل نصب مقول القول وهو أحسن ما يقال (قوله لان القادر الخ) تعليل لقوله تعالى فعجب قولهم (قوله وما تقدم) أي من رفع السموات بغير عمد وتسخير الشمس والقمر وغير ذلك من الامور المتقدمة (قوله قادر على اعادتهم) أي لانه اذا تعلقت قدرته بشيء كان فلا فرق بين الابتداء والاعادة وأما قوله تعالى وهو أهون عليه فذلك باعتبار عادة المخلوقات أن القادر على الابتداء تسهل عليه الاعادة بالاولى والا فالكل في قدرته تعالى سواء (قوله وفي الهمزتين في الموضعين الخ) من هنا الى قوله وتركها أربع قرا آت (قوله وفي قراءة بالاستفهام في الاول الخ) وفي ذلك ثلاث قرا آت تحقيق الهمزتين من غير ادخال ألف بينهما وتحقيق الاولى وتسهيل الثانية

٢٧

مع ادخال ألف بينهما وبدونها (وقوله وأخرى عكسه) قراءتان التحقيق مع الالف ودونها ولا يجوز تسهيل الثانية فتكون القراآت تسعا وكلها سبعية واختلف القراء في هذا الاستفهام المكرر اختلافا منتشرا وهو في أحد عشر موضعا في تسع سور من القرآن فأولها ما في هذه السورة والثاني والثالث في الاسراء بلفظ واحد أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا والرابع في المؤمنون أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون والخامس في النمل أئذا كنا ترابا أئنا لمخرجون والسادس في العنكبوت أئنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال والسابع في الم السجدة أئذا ضللنا في الارض أئنا في خلق جديد والثامن والتاسع في الصافات أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون والعاشر في الواقعة أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون والحادي عشر في النازعات أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة والوجه في الاستفهام في الموضعين ان الاول للانكار والثاني تأكيد له والوجه في كونه في موضع واحد حصول الانكار به واحدى الجملتين مرتبطة بالاخرى فاذا انكر في احداهما حصل الانكار في الاخرى (قوله الاغلال) جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في أعناقهم (قوله أصحاب النار) أي لا محيص لهم عنها فهم ملازمون لها كالصاحب الملازم لصاحبه (قوله ونزل في استعجالهم العذاب) أي وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (قوله قبل الحسنة) أي وهي تأخير العذاب عنهم (قوله وقد خلت من قبلهم) الجملة حالية (قوله جمع المثلة) بفتح الميم وضم المثلثة أي وهي النقمة تنزل بالشخص فتجعل مثالا يرتدع به غيره (قوله بوزن السمرة) أي وهو شجر الطلح أي الموز (قوله لذو مغفرة) المراد بها ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها حالا بل تؤخر الاخذ بها فان تاب الشخص ورجع دام ذلك الستر عليه والا أخذه أخذ عزيز مقتدر (قوله على ظلمهم) الجملة حالية أي والحال أنهم ظالمون لانفسهم بالمعاصي (قوله لمن عصاه) أي ودام على ذلك فرحمة الله في الدنيا غلبت غضبه لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم وأما في الآخرة فقد انفردت رحمته للمؤمنين خاصة (قوله ويقول الذين كفروا) أي تعنتا (قوله هلا) أشار بذلك الى أن لولا للتحضيض (قوله كالعصا واليد) أي وغير ذلك مما اقترحوا قال تعالى حكاية عنهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية (قوله انما أنت منذر) أي ليس عليك الا الانذار بما أوحي اليك لانهم معاندون كفار ليس قصدهم بذلك الايمان بل التعنت في الكفر (قوله ولكل قوم هاد) الجملة مستأنفة وهاد باثبات الياء وحذفها في الوقف وبحذفها في الوصل لا غير ثلاث قراآت سبعية وأما في الرسم فهي محذوفة (قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي لانه الخالق المصور فلا تخفى عليه خافية ويعلم عرفانية متعدية لواحد وما اسم موصول مفعوله والعائد محذوف (قوله وغير ذلك) أي من أوصاف الحمل من كونه أبيض أو أسود قصيرا أو طويلا سعيدا أو شقيا قويا أو ضعيفا (قوله تنقص الارحام من مدة الحمل) أي المعتادة وهي تسعة أشهر فهو يعلم الحمل الناقص عن تلك المدة وقوله وما تزداد أي وما تزداده فهو يعلم الناقص عن تلك المدة والزائد علما لا يخفى عليه شئ من أوقات الحمل ولا من أحواله وقيل النقصان السقط والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وأقل مدة الحمل ستة أشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش (قوله وكل شئ عنده بمقدار) هذا أعم مما قبله فالشئ يشمل الحمل وغيره من أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم فقد دبر سبحانه وتعالى العالم بأسره على طبق ما تعلقت به قدرته وارادته ولا يعجزه شئ ولا يشغله شأن عن شأن قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة فينبغي للانسان ان لا يدبر لنفسه شيأ ولا يشتغل بشئ تكفل به بل يسلم لمن بيده زمام الامور ويفوض له أحواله ويترك الاوهام التي تحجب القلوب عن مطالعة الغيوب (قوله بقدر وحد لا يتجاوزه) أي لا ينفك شئ عن الحد الذي قدره الله له من سعادة وشقاوة ورزق وغير ذلك (قوله ما غاب وما شوهد) أي ما غاب عنا وما شاهدناه والا فالكل بالنسبة له سواء لا فرق بين ما في أعلى السموات وما في تخوم الارضين (قوله الكبير)

الاغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء (ويستعجلونك بالسيئة) العذاب (قبل الحسنة) الرحمة (وقد خلت من قبلهم المثلات) جمع المثلة بوزن السمرة أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها (وان ربك لذو مغفرة للناس على) مع (ظلمهم) والا لم يترك على ظهرها دابة (وان ربك لشديد العقاب) لمن عصاه (ويقول الذين كفروا لولا) هلا (أنزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة قال تعالى (انما أنت منذر) مخوف الكافرين وليس عليك اتيان الآيات (ولكل قوم هاد) نبي يدعوهم الى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك (وما تغيض) تنقص (الارحام) من مدة الحمل (وما تزداد) منه (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر وحد لا يتجاوزه (عالم الغيب والشهادة) ما غاب وما شوهد (الكبير) العظيم

الذي يصغر كل شيء عند ذكره وليس المراد به كبر الجثة اذ هو مستحيل عليه تعالى فالمراد بالكبير المتصف بكل كمال أزلا وأبدا (قوله المتعال) أي المنزه عن كل نقص (قوله بياء ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان في الوصل والوقف وأما في الرسم فالياء محذوفة لا غير (قوله سواء منكم الخ) سواء خبر مقدم ومن أسر القول ومن جهر به مبتدأ مؤخر ولم يثن الخبر لانه في الاصل مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع ومنكم حال من الضمير المستتر في سواء لانه بمعنى مستو (قوله في علمه تعالى) أي فهو يعلم الجميع على حد سواء لا يتفاوت من جهر على من أسر (قوله من أسر القول) أي في نفسه فلم يسمعه غيره (قوله ومن جهر به) أي سمعه غيره والمعنى سواء ما أضمرته القلوب وما نطقت به الالسنة (قوله ومن هو مستخف بالليل) أي وسواء من استخفى في ظلام الليل ومن هو ظاهر في النهار لانه الخالق لليل وظلمته والنهار ونوره وما تفعله العبيد فيهما من خير وشر وهذه الآية من تدبرها وعمل بمقتضاها أورثته الاخلاص في أعماله فيستوي عنده اسرار العبادة واظهارها ليلا أو نهارا والمراقبة لانه اذا علم ان هذه الاشياء مستوية عنده ولا يخفى عليه شيء منها لا يستطيع أن يقدم على ما نهي عنه لا ظاهرا ولا باطنا (قوله في سربه) بفتح السين وسكون الراء يقال سرب في الارض سربا وسروبا اذا ذهب فيها ذهابا والسرب بفتحتين بيت في الارض لا منفذ له وهو الوكر وليس مرادا هنا بل المراد الطريق الظاهرة وهي بفتح السين وسكون الراء (قوله الانسان) أي مؤمن أو كافر وهذا من مزيد التكرمة للنوع الانساني والاذى والحافظ لكل شيء (قوله ملائكة) قيل خمسة بالليل وخمسة بالنهار واحد على اليمين يكتب الحسنات وواحد على الشمال يكتب السيآت وواحد موكل بناصيته فاذا تواضع رفعه واذا تكبر وضعه وواحد موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وواحد موكل بفمه يمنع عنه الهوام والصحيح أنهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار كما في شراح الجوهرة نقلا عن حديث البخاري ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين كانوا من قبل فيسألهم الله ويقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ولا يفارقون الشخص أبدا الى الممات فاذا مات فقد فرغ حفظهم له وهم واحد على يمينه وآخر على شماله وآخر أمامه وآخر خلفه واثنان على عينيه وواحد على شفتيه واثنان على فيه يحفظان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وواحد آخذ بناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر خفضه وهؤلاء العشرة غير رقيب وعتيد كاتبي الحسنات والسيآت على المعتمد وحكمة هذا السؤال وان كان الله عالما بكل شيء تشريف بني آدم بين أهل الملأ الأعلى وحكمة اجابة الملائكة بقولهم تركناهم وهم يصلون ولم يذكروا الكافر والتارك للصلاة أن العمل الصالح يرفع لاهل السماء فيتشرف بنو آدم على العموم وتنزل عليهم الرحمة وتكثر أرزاقهم لان الرحمة تعم الطائع والعاصي فاخبار الملائكة بطاعة بني آدم على العموم لاستجلاب الرحمة لهم من عالم الغيب (قوله من أمر الله) اختلف المفسرون في من فقيل بمعنى الباء والمحفوظ منه محذوف والتقدير يحفظونه بأمر الله من الحوادث وقيل ان من على حقيقتها والمحفوظ منه مذكور بقوله من أمر الله أي يحفظونه من الجن والحوادث وغير ذلك اذا علمت ذلك فالمفسر قد أفاد القول الأول (قوله من الحالة الجميلة) أي وهي الطاعة والمعنى انه جرت عادة الله انه لا يقطع نعمة عن قوم الا اذا بدلوا أحوالهم الجميلة بأحوال قبيحة وبمعنى هذه الآية قوله تعالى ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقوله عليه الصلاة والسلام اذا رأيت قسوة في قلبك وحرمانا في رزقك ووهنا في بدنك فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك فالنعم تأتي من الله بلا سبب وسلبها يكون بسبب المعاصي (قوله واذا أراد الله بقوم سوأ) اذا شرطية وجوابها قوله فلا مرد له والعامل فيها محذوف لدلالة الجواب عليه تقديره لم يرد أو وقع والمعنى متى سبق في علم الله نزول البلاء بقوم فلا يقدر على دفعه أحد من الملائكة ولا من غيرهم اذا علمت ذلك تعلم جهل من يقول لو كانت الاولياء موجودين ما نزل علينا البلاء (قوله وما لهم من دونه من وال) أي ناصر يدفعه قال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم [illegible] المؤمن بما أن يأذن الله [illegible] (قوله هو الذي يريكم البرق) [illegible]

(المتعال) على خلقه بالقهر بياء ودونها (سواء منكم) في علمه تعالى (من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف) مستتر (بالليل) بظلامه (وسارب) ظاهر بذهابه في سربه أي طريقه (بالنهار له) للانسان (معقبات) ملائكة تعتقبه (من بين يديه) قدامه (ومن خلفه) ورائه (يحفظونه من أمر الله) أي بأمره من الجن وغيرهم (ان الله لا يغير ما بقوم) لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الحالة الجميلة بالمعصية (واذا أراد الله بقوم سوأ) عذابا (فلا مرد له) من المعقبات ولا غيرها (وما لهم) لمن أراد الله بهم سوأ (من دونه) أي غير الله (من) زائدة (وال) يمنعه عنهم (هو الذي يريكم البرق)

أخبر سبحانه وتعالى بقوله وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له رتب عليه قوله هو الذي يريكم البرق الخ إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى منه الرحمة والعقاب (قوله البرق) هو لمعان يظهر من خلال السحاب وقيل لمعان المخاريق الذي يزجر به السحاب (قوله خوفا وطمعا) منصوبان على الحال من الكاف في يريكم وليس مفعولا لأجله لعدم اتحاد الفاعل فإن فاعل الإراءة الله وفاعل الخوف والطمع العبد وبعضهم جعله مفعولا لأجله بتأويل يريكم بيجعلكم رائين فتخافون وتطمعون (قوله للمسافرين) لا مفهوم له بل المقيمون الذين يضرهم المطر كمن يجفف الثمار والحبوب كذلك وقوله وطمعا للمقيم الخ لا مفهوم له أيضا بل المسافر المحتاج للمطر للشرب مثلا كذلك فالبرق تارة يكون خيرا وتارة يكون شرا للمسافرين والمقيمين فينبغي للإنسان أن يكون دائما خائفا راجيا لأن الله تعالى قد يأتي بالخير فيما ظاهره شر ويأتي بالشر فيما ظاهره خير (قوله وينشئ السحاب) هو ثمر شجرة في الجنة يخلقه الله وينزل فيه الماء من السماء فالسحاب من الجنة وماؤه من الجنة تهب الريح من تحت ساق العرش فتخرج الحامل والمحمول من الجنة وهذا مذهب أهل السنة وقالت المعتزلة إن السحاب له خراطيم كالإبل فينزل فيشرب من البحر المالح ويرتفع في الجو فتنسفه الرياح فيحلو فينزله الله على من أراد من خلقه (قوله هو ملك موكل بالسحاب الخ) هذا هو المشهور بين المفسرين وعليه فاسمه هو صوت تسبيح الملك الموكل بالسحاب فإذا سمعته الملائكة ضجت معه بالتسبيح فعند ذلك ينزل المطر وقيل هو صوت الآلة التي يضرب بها السحاب (قوله أي يقول سبحان الله وبحمده) أي تنزيهه عن النقائص واتصافه بالكمالات (قوله ملتبسا) أشار بذلك إلى أن الباء للملابسة (قوله والملائكة) قيل المراد بهم أعوان ملك السحاب وقيل المراد جميع الملائكة (قوله من خيفته) أي هيبته وجلاله (قوله وهي نار الخ) وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار (قوله تخرج من السحاب) أي فإذا نزلت من السماء فربما تغوص في البحر فتقتل الحيتان (قوله نزل في رجل) أي من طواغيت العرب وقد اختصرها المفسر * وحاصلها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله تعالى ورسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد الذي يدعوني إليه فهل هو من ذهب أم فضة أم حديد أم نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا أكفر قلبا ولا أجرأ على الله تعالى من هذا الرجل فقال ارجعوا إليه فرجعوا فلم يزدهم على مقالته الأولى شيئا بل قال أخبث منها فرجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم ارجعوا إليه فرجعوا فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا إلى النبي والنبي صلى الله عليه وسلم فبادرهم وقال لهم احترق صاحبكم فقالوا من أين علمت قال قد أوحي إلي ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء (قوله بقحف رأسه) بكسر القاف عظم الرأس الذي فوق الدماغ (قوله وهو شديد المحال) بكسر الميم من المماحلة وهي المكايدة وقيل من المحل وهو القوة والأخذ وهو الأولى ولذا مشى عليه المفسر (قوله له دعوة الحق) أي شرعها وأمر بها (قوله وهي لا إله إلا الله) أي مع عديلتها وهي محمد رسول الله فهي كلمة الحق جعلت مفتاحا للإسلام فلا يقبل من أحد إلا بالإقرار بها (قوله بالياء والتاء) أما الياء فمتواترة وأما التاء فشاذة وكان المناسب للمفسر التنبيه عليها (قوله لا يستجيبون لهم) أي لا يجيبونهم (قوله إلا استجابة) أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير مصدر مضاف إلى المفعول والمعنى أن الأصنام التي يعبدها الكفار لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر فلا تجيب عابديها بشيء أصلا وقد ضرب الله مثلا لعدم إجابتها لهم بقوله إلا كباسط الخ والمعنى أن من بسط كفيه للماء ليدخل في فيه لا يجيبه الماء لعدم إشعاره ببسط كفيه وعطشه وعدم قدرته على ذلك فكذلك من يدعو الأصنام ليدفع عنه كربة أو تواليه نعمة لا تجيبه بشيء لعدم قدرتها على ذلك لنفسها فضلا عن غيرها (قوله وما هو) أي الماء (قوله عبادتهم الأصنام أو حقيقة) هذان قولان في تفسير الدعاء

خوفا) للمسافرين من الصواعق (وطمعا) للمقيم في المطر (وينشئ) يخلق (السحاب الثقال) بالمطر (ويسبح الرعد) هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبسا (بحمده) أي يقول سبحان الله وبحمده (و) يسبح (الملائكة من خيفته) أي الله (ويرسل الصواعق) وهي نار تخرج من السحاب (فيصيب بها من يشاء) فتحرقه نزل في رجل بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم من يدعوه فقال من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم فضة أم نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه (وهم) أي الكفار (يجادلون) يخاصمون النبي صلى الله عليه وسلم (في الله وهو شديد المحال) القوة أو الأخذ (له) تعالى (دعوة الحق) أي كلمته وهي لا إله إلا الله (والذين يدعون) بالياء والتاء يعبدون (من دونه) أي غيره وهم الأصنام (لا يستجيبون لهم بشيء) مما يطلبونه (إلا) استجابة (كباسط) أي كاستجابة باسط (كفيه إلى الماء) على شفير البئر يدعوه (ليبلغ فاه) بارتفاعه من البئر إليه (وما هو ببالغه) أي فاه أبدا فكذلك ما هم بمستجيبين لهم (وما دعاء الكافرين) عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء

والاقرب الاول بدليل قوله أولا والذين يدعون يعبدون (قوله ضياع) انما كان دعاؤهم ضائعا لانه طلب
من غير من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأما دعاؤهم لله فليس بضائع بل يستجيب لهم ان شاء فان كان بامور
الدنيا فظاهر وان كان بالجنة فيهديهم للايمان هذا هو الذي يجب المصير اليه ويؤيده قوله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فانها في مشركي مكة وحينئذ فما دعاء الكافرين الا
في ضلال نتيجة ماقبلها (قوله ولله يسجد من في السموات) أي وهم الملائكة ولا يكون الا طوعا وقوله
والارض) أي من الانس والجن وقوله طوعا وكرها حالان من الفاعل أي طائعين ومكرهين والكره في
المنافقين كما قال المفسر وأما باقي الكفار فلم يكن منهم سجود وهذا ان حمل السجود على حقيقته وهو وضع
الجبهة على الارض بالفعل وان أريد من السجود الامر به بقيت من على عمومها فيندرج تحتها الانس والجن
والملك ويصح حمله على معناه المجازي وهو الخضوع والانقياد والمعنى ولله يخضع وينقاد ويذل من في
السموات والارض جميعا وهو بمعنى قوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا وعلى
هذا فالمراد بمن في السموات والارض السموات والارض ومن فيهن وغلب العاقل لشرفه ولانه المكلف
بالسجود الحقيقي واللغوي فالعارف بربه المسلم لاحكامه ولو غير عاقل بدليل قالتا أتينا طائعين خضع طوعا
اجلالا لهيبة الله وجلاله والجاهل خضع كرها بمعنى جريان المقادير عليه رغما على أنفه (قوله وظلالهم)
معطوف على من مسلط عليه يسجد كما قدره المفسر ومعنى سجود الظل سجوده حقيقة كالصاحب به ان أريد
بالسجود حقيقته وخضوعه وانقياده ان أريد به المعنى المجازي وسجود الظلال كما لها وطاعتها لانها عن النفس
التي تحمل الانسان على عدم الرضا في الطاعة الكاره لها وهو النفس التي سواها الجسم وأما الجسم والظل
فخضوعهما طوعا ولذا قيل ان الكافر اذا سجد للصنم سجد ظله لله (قوله البكر) جمع بكرة وهي من أول
النهار (قوله والآصال) جمع أصيل وهو من بعد العصر الى الغروب فالمراد جميع الاوقات ان أريد
بالسجود الخضوع والانقياد وأوقات الصلوات ان أريد بالسجود حقيقته (قوله قل من رب السموات
والارض) هذا مرتب على ماقبله (قوله لا جواب غيره) أي لتعينه عليهم لاعترافهم به وانما يتركون هذا
الجواب عنادا (قوله قل أفاتخذتم الخ) المعنى أبعد اقراركم بأنه رب السموات والارض واعترافكم به يليق
بكم أن تتخذوا من دونه من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا (قوله وتركتم مالكهما) أي وهو الله (قوله استفهام
توبيخ) أي الثاني وأما الاول فهو للتقرير (قوله قل هل يستوي الاعمى والبصير) هذا ترق في الرد عليهم
(قوله الكافر والمؤمن) أي فالمراد بالاعمى أعمى القلب والبصير بصيره (قوله الكفر) أي وعبر عنه
بالظلمات جمعا لتعدد أنواعه بخلاف الايمان فوحد [illegible] بالنور [illegible] وسمي الكفر ظلمات لانه
موصل لدار الظلمات وهي النار وسمي الايمان بالنور لانه موصل لدار النور وهي الجنة (قوله لا) أشار
بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي ومعنى هذه الآية قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية
وقوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي الآية (قوله أم جعلوا) أي بل أجعلوا فأم منقطعة تفسر ببل والهمزة
(قوله شركاء) أي الاصنام (قوله خلقوا) أي الاصنام وقوله كخلقه أي الله والمعنى هل لهذه الاصنام خلق
كخلق الله فاشتبه خلقهم بخلقه فاستحقت العبادة لذلك وهو انكار عليهم أي لم يخلقوا أصلا بل ولا يستطيعون دفع
ما نزل بهم فكيف العاجز يعبد (قوله أي ليس الامر كذلك) أي لم يخلقوا كخلق الله حتى يشتبه خلق
الله بل الكفار يعلمون بالضرورة أن هذه الاصنام لم يصدر منها فعل ولا خلق ولا أثر أصلا
واذا كان كذلك فجعلهم اياها شركاء لله في الالوهية [illegible] (قوله وهو الواحد القهار)
أي المنفرد بالايجاد والاعدام [illegible] (قوله ضرب
مثلا) أي بين [illegible] (قوله فسالت أودية)
أي أنهار [illegible]
[illegible] (قوله بقدرها) [illegible]

(الا في ضلال) ضياع (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا) كالمؤمنين (وكرها) كالمنافقين ومن أكره بالسيف (و) يسجد (ظلالهم بالغدو) البكر (والآصال) العشايا (قل) يا محمد لقومك (من رب السموات والارض قل الله) ان لم يقولوه لا جواب غيره (قل) لهم (أفاتخذتم من دونه) أي غيره (أولياء) أصناما تعبدونها (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) وتركتم مالكهما استفهام توبيخ (قل هل يستوي الاعمى والبصير) الكافر والمؤمن (أم هل تستوي الظلمات) الكفر (والنور) الايمان لا (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق) أي خلق الشركاء بخلق الله (عليهم) فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام انكار أي ليس الامر كذلك ولا يستحق العبادة الا الخالق (قل الله خالق كل شيء) لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة (وهو الواحد القهار) لعباده ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال (أنزل) تعالى (من السماء ماء) مطرا (فسالت أودية بقدرها)

بقدرها أو ملئها (فاحتمل السيل زبدا رابيا) عاليا عليه هو ما على وجهه من قذر ونحوه (ومما توقدون) بالتاء والياء (عليه في النار) من جواهر الارض كالذهب والفضة والنحاس (ابتغاء) طلب (حلية) زينة (أو متاع) ينتفع به كالاواني اذا أذيبت (زبد مثله) أي مثل زبد السيل وهو خبثه الذي ينفيه الكير (كذلك) المذكور (يضرب الله الحق والباطل) أي مثلهما (فأما الزبد) من السيل وما أوقد عليه من الجواهر (فيذهب جفاء) باطلا مرميا به (وأما ما ينفع الناس) من الماء والجواهر (فيمكث) يبقى (في الارض) زمانا كذلك الباطل يضمحل وينمحق وان علا على الحق في بعض الاوقات والحق ثابت باق (كذلك) المذكور (يضرب) يبين (الله الامثال للذين استجابوا لربهم) أجابوه بالطاعة (الحسنى) الجنة (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفار (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) من العذاب (أولئك لهم سوء الحساب) وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء (ومأواهم جهنم وبئس المهاد) الفراش هي * ونزل في حمزة وأبي جهل (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق) فآمن به (كمن هو أعمى) لا يعلمه ولا يؤمن به لا (انما يتذكر) يتعظ (أولوا الالباب) أصحاب العقول (الذين يوفون بعهد الله) المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر أو كل عهد (ولا ينقضون الميثاق) بترك الايمان أو الفرائض (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الايمان والرحم

نقد ونحوه ذلك تكونا (قوله بقدرها أو ملئها) أي بما يلائم كل واحد بحسبه صغرا أو كبرا (قوله زبدا) الزبد ما يطفو ويعلو على وجه الماء من الرغوة أو على وجه القدر عند غليانه وقد تم المثل الاول (قوله ومما توقدون) الجار والمجرور خبر مقدم وزبد مثله مبتدأ مؤخر (قوله بالتاء والياء) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله في النار) متعلق بتوقدون وقوله ابتغاء حلية علة لتوقدون (قوله كالاواني) أي والمسكوك الذي ينتفع به الناس في معايشهم (قوله زبد مثله) أي في كونه يصعد ويعلو على أصله (قوله الكير) هو منفاخ الحداد وأما الكور فهو الموضع الذي توقد فيه النار كالكانون (قوله المذكور) أي من الامور الاربعة التي للحق والباطل (قوله فأما الزبد) لف ونشر مشوش (قوله مرميا به) أي يرميه الماء الى الساحل ويرميه الكير فلا ينتفع به (قوله والحق ثابت) أي ما كان الماء والجوهر ثابتان واضمحل زبدهما والمعنى أن مثل الباطل كمثل الرغوة التي تعلو على وجه الماء وخبث الجوهر الذي يصعد على وجهه عند نفخ النار عليه ومثل الحق كمثل الماء الصافي والجوهر الصافي كما أن الرغوة في كل لا قرار لها ولا ينتفع بها بل ترمى كذلك الباطل يضمحل ولا يبقى والحق ثابت ينتفع به كالجوهر والماء الصافيين وفي هذه الآية بشرى للامة المحمدية بأنها ثابتة على الحق لا يضرهم من خالفهم في العقائد بل وان علا وارتفع لا بد من اضمحلاله وزواله (قوله يضرب الله الامثال) أي لارشاد عبيده باللطف والرفق فان من جملة ما جاء به القرآن الامثال (قوله للذين استجابوا) خبر مقدم وقوله الحسنى مبتدأ مؤخر (قوله الجنة) أي وزيادة بدليل الآية الاخرى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله والذين) مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أمور الاول قوله لو أن لهم الثاني قوله أولئك لهم الخ الثالث قوله ومأواهم الخ والمعنى ان الكفار يتمنون ان لو كان لهم قدر ما في الارض جميعا مرتين ويفتدون به من العذاب النازل بهم يوم القيامة (قوله سوء الحساب) أي الحساب السيء فهو من اضافة الصفة للموصوف والمراد أنهم يناقشون الحساب ويسئلون عن النقير والقطمير ولذا ورد في الحديث من نوقش الحساب هلك (قوله ومأواهم جهنم) أي منزلهم المعد لهم (قوله وبئس المهاد) هو ما عهد أي يفرش وقدر هي اشارة الى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله ونزل في حمزة وأبي جهل) أي سبب نزول هذه الآيات مدح حمزة بالصفات الجميلة والوعد عليها بالخير وذم أبي جهل بالصفات القبيحة والوعيد عليها بالشر ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فآيات الوعد لحمزة ومن كان على قدمه وخلفه الى يوم القيامة وآيات الوعيد لابي جهل ومن كان على قدمه وخلفه الى يوم القيامة (قوله أفمن يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أيستوي المؤمن والكافر فمن يعلم الخ (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله أصحاب العقول) أي السليمة الكاملة (قوله الذين يوفون) بدل من من وحاصل ما ذكره من الصفات لهم ثمانية أولها قوله يوفون بعهد الله وآخرها قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة (قوله المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر) أي بالتوحيد وهو قول الله لهم ألست بربكم (قوله أو كل عهد) أي كل ميثاق أخذ عليهم كان للخالق أو للمخلوق ولو كافرا فيجب الوفاء بالعهد ولا تجوز الخيانة ولما كانت الاوصاف الآتية لازمة للوفي بالعهد قدم عليها وجعل ما بعده تفصيلا له وحينئذ فالمراد بالوفاء بالعهد امتثال المأمورات على حسب الطاقة واجتناب المنهيات (قوله ولا ينقضون الميثاق) تأكيد لما قبله ولازم له لان الموفي بالعهد غير ناقض للميثاق فالعهد هو الميثاق وقيل الميثاق هو التزام المخلوق بالوفاء بأمر الخالق والعهد هو أمر الله (قوله بترك الايمان) راجع للاول وقوله أو الفرائض راجع للثاني في تفسير العهد (قوله من الايمان) بيان لما والمعنى انهم يأتون بالايمان بشروطه وأركانه وآدابه (قوله والرحم) أي القرابة لما في الحديث يقول الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وصلة الرحم تكون ببذل المعروف والانفاق بحسب الاستطاعة

(قوله وغير ذلك) أي كالتوادد للناس وعيادة المريض وغير ذلك مما في الحديث التوادد مع الناس نصف العقل وفي الحديث وخالق الناس بخلق حسن والتوادد باعطاء من حرمك ووصل من قطعك والعفو عمن ظلمك (قوله ويخشون ربهم) أي يهابونه اجلالا وتعظيما فلا يخشون غيره ولا يلتفتون لما سواه (قوله ويخافون سوء الحساب) أي يخافون الحساب السيء المؤدي لدخول النار (قوله والذين صبروا على الطاعة الخ) أشار المفسر الى أن مراتب الصبر ثلاثة أعلاها الصبر عن المعصية وهو عدم فعلها رأسا ويليها الصبر على الطاعات أي دوام فعلها على حسب الطاقة ويليها الصبر على البلاء وأعلى الجميع الصبر عن الشهوات لانه مرتبة الاولياء والصديقين (قوله ابتغاء وجه ربهم) أي طلب مرضاته (قوله لا غيره من أغراض الدنيا) أي كالصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته أو لئلا يعاب على الجزع أو لئلا تشمت به الاعداء وغير ذلك من الامور التي تكون لغير وجه الله وفضل الصبر لوجه الله عظيم جدا قال تعالى وبشر الصابرين الآية وورد اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فتقول الى أين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم فيقولون من أنتم فيقولون نحن أهل الصبر قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصي الله وصبرناها على البلايا والمحن في الدنيا فتقول لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (قوله وأقاموا الصلاة) أي فرضا أو نفلا بالاتيان بها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله وأنفقوا في الطاعة) أي انفاقا واجبا كالزكاة والنفقات الواجبة أو مندوبا كالتطوعات (قوله سرا وعلانية) أي لم يعلم به أحد أو علم فالمدار على الاخلاص في النفقة أسر بها أو أعلن (قوله كالجهل بالحلم) أي فيدفع السفه والتعدي بالحلم وعدم المؤاخذة (قوله والاذى بالصبر) أي فلا يكافؤن الشر بالشر بل يدفعون الشر بالخير والصبر (قوله أولئك) مبتدأ وقوله لهم خبر مقدم وعقبى الدار مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدأ الاول وهي مستأنفة لبيان جزاء من ذكر (قوله أي العاقبة المحمودة في الدار) أشار بذلك الى أن النعت محذوف والاضافة على معنى في فالعقبى المحمودة هي الجنة (قوله جنات عدن) قدر المفسر هي اشارة الى أن جنات عدن خبر مبتدأ محذوف والمراد بجنات عدن الجنة بجميع دورها لا خصوص الدار المسماة بذلك (قوله هم ومن الخ) قدر الضمير للايضاح والا فالفصل حاصل بالضمير المنصوب (قوله من آبائهم) أي أصولهم وان علوا ذكورا واناثا (قوله وأزواجهم) أي اللاتي متن في عصمتهم (قوله وذرياتهم) أي فروعهم وان سفلوا (قوله وان لم يعملوا) أي الآباء والازواج والذريات (قوله تكرمة لهم) أي لان الله جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم تكن في ذلك كرامة للمطيع اذ كل من كان صالحا في عمله فله الدرجات العلية استقلالا (قوله أو القصور) جمع قصر وهو كما ورد خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها ألف باب مصاريعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب بالتحف والهدايا يقولون سلام عليكم بما صبرتم (قوله أول دخولهم للتهنئة) هذا التقييد لم يره لغيره بل في كلام غيره ما يدل على خلاف ذلك قال مقاتل ان الملائكة يدخلون في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم (قوله يقولون) قدره اشارة الى أن قوله تعالى سلام عليكم في محل نصب مقول لقول محذوف (قوله سلام عليكم) أي سلمكم الله من آفات الدنيا ودعاء لهم وتحية (قوله بما صبرتم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا الثواب الخ (قوله بصبركم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر (قوله فنعم عقبى الدار) المراد بالدار قيل الدنيا وقيل الآخرة (قوله عقباكم) قدره اشارة الى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله والذين ينقضون) جرت عادة الله في كتابه أنه اذا ذكر أوصاف أهل السعادة أتبعه بذكر أوصاف أهل الشقاوة وعدة أوصاف أبي جهل ومن حذا حذوه الى يوم القيامة (قوله من بعد ميثاقه) أي من بعد الاعتراف والقبول (قوله أولئك) أي من هذه صفاته (قوله وهي جهنم) تفسير للعاقبة السيئة (قوله الله يبسط الرزق الخ) هذا جواب عن شبهة الكفار حيث قالوا لو كان الله غضبانا علينا

وغير ذلك (ويخشون ربهم) أي وعيده (ويخافون سوء الحساب) تقدم مثله (والذين صبروا) على الطاعة والبلاء وعن المعصية (ابتغاء) طلب (وجه ربهم) لا غيره من أغراض الدنيا (وأقاموا الصلاة وأنفقوا) في الطاعة (مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن) يدفعون (بالحسنة السيئة) كالجهل بالحلم والاذى بالصبر (أولئك لهم عقبى الدار) أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة هي (جنات عدن) اقامة (يدخلونها) هم (ومن صلح) آمن (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) وان لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة يقولون (سلام عليكم) هذا الثواب (بما صبرتم) بصبركم في الدنيا (فنعم عقبى الدار) عقباكم (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض) بالكفر والمعاصي (أولئك لهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) العاقبة السيئة في الدار الآخرة وهي جهنم (الله يبسط الرزق)

كأن قائلا قال لهم أيها المؤمنون لم بسط لنا الارزاق ونعمنا في الدنيا فرد الله عليهم شبهتهم بذلك والمعنى ان بسط الرزق في الدنيا ليس تابعا للايمان بل ذلك بتقدير الله في الازل لمن يشاء فقد يبسط الرزق للكافر استدراجا ويضيقه على المؤمن امتحانا (قوله يوسعه لمن يشاء) أي مؤمن أو كافر وقوله ويضيقه لمن يشاء أي مؤمن أو كافر (قوله وفرحوا بالحياة الدنيا) هذا بيان لقبيح أحوالهم فهو مستأنف (قوله فرح بطر) أي لا فرح سرور وشكر لنعم الله (قوله في الآخرة) أي منسوبة للآخرة والمعنى وما الحياة الدنيا منسوبة في جنب الحياة الآخرة الا متاع (قوله يتمتع به ويذهب) أي فلا بقاء لها كما قال تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل (قوله هلا) أشار بذلك الى أن لولا تحضيضية (قوله آية من ربه) أي غير ما جاء به من نبع الماء وتسبيح الحصى وغير ذلك (قوله فلا تغني الآيات عنه شيأ) أي فمجيئها لا يفيدهم شيأ اذ ما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر فما قالوه في حق ما جاء به من كونه سحرا أو كهانة يقولونه في حق ما لم يأت به على فرض اتيانه به قال تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (قوله ويهدي اليه) أي يوصله لمرضاته ولما يحبه (قوله ويبدل من من) أي بدل كل ويصح جعله مبتدأ خبره الموصول الثاني وما بينهما اعتراض (قوله الذين آمنوا) أي اتصفوا بالتصديق الباطني الناشئ عن اذعان وقبول (قوله وتطمئن قلوبهم) هذه علامة المؤمن الكامل والطمأنينة بذكر الله هي ثقة القلب بالله والاشتغال به عمن سواه ثم اعلم أن هذه الآية تفيد أن ذكر الله تطمئن به القلوب وآية الانفال تفيد ان ذكر الله يحصل به الوجل والخوف فيقتضي ذلك أنه بين الآيتين تناف وأجيب بأن الطمأنينة هنا معناها السكون الى الله والوثوق به فينشأ عن ذلك عدم خوف غيره وعدم الرجاء في غيره فلا ينافي حصول الخوف من الله والوجل منه وهذا معنى آية الانفال وحينئذ فصار الغير عندها هباء منثورا ليس بيده دفع ضر ولا جلب نفع وبمعنى الآيتين قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فتحصل ان المؤمن الكامل هو المطمئن بالله الواثق به الخائف من هيبته وجلاله فلا يشاهد غيره لا في جلب نفع ولا دفع ضر لان الله هو المالك المتصرف في الامور كلها خيرها وشرها فحيث شاهد المؤمن وحدانية الله في الوجود أعرض عما سواه واكتفى به فلا يعرج على غيره أصلا وهذا أتم مما ذكره المفسر حيث دفع التنافي بان معنى الطمأنينة سكون القلب بذكر الوعد والبشارات والوجل بذكر الوعيد والنذارات (قوله تطمئن القلوب) أي الكاملة في الايمان (قوله طوبى) أصله طيبى وقعت الياء ساكنة بعد ضمة قلبت واوا والمعنى عيشة طيبة لهم وقد فسرت في آية أخرى بقوله تعالى فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية (قوله أو شجرة في الجنة) أي وأصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل كل ورقة منها تظل أمة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها فتنبت الحلل والحلي ويخرج منها الخيل المسرجة الملجمة والابل برحالها وأزمتها وما ذكره المفسر في تفسير طوبى قولان من أقوال كثيرة وقيل انه دعاء من الله لهم والتقدير طيب عيشكم وقيل غير ذلك (قوله وحسن مآب) أي ولهم حسن مرجع ومنقلب في الآخرة وهي الجنة (قوله كذلك أرسلناك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم أي لا تحزن على عدم ايمان قومك فانا أرسلنا الانبياء الى قومهم فكفروا ولم يطيعوا فليس من كذبك بأول مكذب (قوله في أمة) أي الى أمة (قوله قد خلت من قبلها أمم) أي سبقت ومضت (قوله وهم يكفرون بالرحمن) الجملة حالية (قوله لما أمروا بالسجود له) أي كما ذكر في سورة الفرقان بقوله تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وهذا القول منهم على سبيل العناد ويسمى عند أرباب المعاني تجاهل العارف فان الرحمن هو المنعم على عباده وهم يشاهدون نعمه عليهم ومع ذلك قالوا وما الرحمن وهذا كقول فرعون وما رب العالمين (قوله هو ربي) أي الرحمن الذي أنكرتموه هو خالقي (قوله عليه توكلت) أي فوضت أموري اليه (قوله متاب) أي توبتي ومرجعي

يوسعه (لمن يشاء ويقدر) يضيقه لمن يشاء (وفرحوا) أي أهل مكة فرح بطر (بالحياة الدنيا) أي بما نالوه فيها (وما الحياة الدنيا في) جنب حياة (الآخرة الا متاع) شيء قليل يتمتع به ويذهب (ويقول الذين كفروا) من أهل مكة (لولا) هلا (أنزل عليه) على محمد (آية من ربه) كالعصا واليد والناقة (قل) لهم (ان الله يضل من يشاء) اضلاله فلا تغني عنه الآيات شيأ (ويهدي) يرشد (اليه) الى دينه (من أناب) رجع اليه ويبدل من من (الذين آمنوا وتطمئن) تسكن (قلوبهم بذكر الله) أي وعده (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي قلوب المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى) مصدر من الطيب أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها (لهم وحسن مآب) مرجع (كذلك) كما أرسلنا الانبياء قبلك (أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو) تقرأ (عليهم الذي أوحينا اليك) أي القرآن (وهم يكفرون بالرحمن) حيث قالوا لما أمروا بالسجود له وما الرحمن (قل) لهم يا محمد (هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب)

ونزل لما قالوا له ان كنت نبيا فسير عنا جبال مكة واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) نقلت عن أماكنها (أو قطعت) شققت (به الأرض أو كلم به الموتى) بأن يحيوا لما آمنوا (بل لله الأمر جميعا) لا لغيره فلا يؤمن الا من شاء ايمانه دون غيره وان أوتوا ما اقترحوا ونزل لما أراد الصحابة اظهار ما اقترحوا طمعا في ايمانهم (أفلم ييأس) يعلم (الذين آمنوا أن) مخففة أي أنه (لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) الى الايمان من غير آية (ولا يزال الذين كفروا) من أهل مكة (تصيبهم بما صنعوا) بصنعهم أي كفرهم (قارعة) داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب (أو تحل) يا محمد بجيشك (قريبا من دارهم) مكة (حتى يأتي وعد الله) بالنصر عليهم (ان الله لا يخلف الميعاد) وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزئ بك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فأمليت) أمهلت (للذين كفروا ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) أي هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك (أفمن هو قائم) رقيب (على كل نفس بما كسبت) عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الأصنام لا دل على هذا (وجعلوا لله شركاء

(قوله ونزل لما قالوا) أي كفار مكة منهم أبو جهل وعبد الله بن أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم وقيل انه مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله فقال عبد الله بن أمية ان سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسح فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الأشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان الريح كما زعمت فلست أهون على ربك من سليمان وأحي لنا جدك قصيا فان عيسى كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه فنزلت هذه الآية (قوله أو قطعت به الأرض) أي من خشية الله عند قراءته فجعلت أنهارا وعيونا (قوله لما آمنوا) جواب لو والمعنى لو فعل الله ما ذكر وأجابهم لم يحصل منهم ايمان لأن الله علم عدم هدايتهم (قوله بل لله الأمر جميعا) أي القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته الجملة الشرطية من معنى النفي والمعنى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه الا أن ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون (قوله وان أوتوا ما اقترحوا) أي أعطوا ما طلبوه (قوله لما أراد الصحابة الخ) أي فقالوا يا رسول الله انك مجاب الدعوة فاطلب لهم ما اقترحوا عسى أن يؤمنوا (قوله يعلم) يطلق اليأس على العلم في لغة هوازن والنخع وأخذه من معناه فان الآيس من الشيء عالم بأنه لا يكون (قوله ان مخففة) أي واسمها ضمير الشأن وجملة لو يشاء الله الخ خبرها (قوله لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أي ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق مشيئته باهتدائهم ان قلت لم لم يجب الله نبيه بتبيين ما طلبوا كما أجاب صالحا في الناقة وعيسى في المائدة مع علمه بأنهم لا يؤمنون أجيب بأنه جرت عادة الله في عباده الكفار أنهم متى طلبوا شيئا من المعجزات وعاهدوا نبيهم على الايمان عند مجيئها ولم يؤمنوا أنه يهلكهم ويقطع دابرهم عن آخرهم وقد أراد الله ابقاء هذه الأمة المحمدية وعدم استئصالها بالهلاك اكراما لنبيها فلم تحصل الاجابة بتبيين ما طلبوا رحمة بهم واكراما لنبيهم (قوله ولا يزال الذين كفروا) اخبار من الله لنبيه بالنصر المرتب على صبره وقوله تصيبهم خبر يزال (قوله بصنعهم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية تسبك ما بعدها بمصدر والباء سببية أي بسبب صنعهم (قوله قارعة) التنوين للتنكير اشارة الى أنها ليست مخصوصة بشيء معين بل هي عامة في كل ما يهلكهم (قوله تقرعهم) أي تهلكهم (قوله أو تحل قريبا) معطوف على قارعة والمعنى تصيبهم بما صنعوا قارعة أو حلولك قريبا من دارهم والعطف يقتضي المغايرة فالمراد بالقارعة غير حلوله وان كان من أعظم القوارع وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى اصبر فانك منصور ومؤيد وهم مخذولون فان الدواهي مسلطة عليهم (قوله قريبا) أي مكانا قريبا وهو الحديبية (قوله بالنصر عليهم) أي بفتح مكة (قوله وقد حل بالحديبية) أي مرتين الأولى سنة ست حين أراد العمرة وبعث عثمان وقد صدوا النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن البيت فصالح الكفار النبي على أن يمكنوه من الدخول في السنة السابعة فدخلوا واعتمروا والثانية سنة ثمان حين أراد فتح مكة فانه حل بها هو وجيشه وأمرهم أن يتفرقوا ويوقد كل شخص نارا على حدة ارهابا للعدو وفي صبيحتها حصل الفتح العظيم ودخلوا مكة (قوله فأمليت للذين كفروا) هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى حيث عامل عباده معاملة ملك عادل في رعيته حيث أمرهم بطاعته مرة بعد مرة وأغدق عليهم النعم وكلما عصوه ستر عليهم وأمدهم بالعطايا فلما تكرر منهم العصيان وعدم الخوف أخذهم بالعقاب فهل هذا ظلم منه أو عدل وجواب الاستفهام أنه عدل ولو كان صادرا من سلطان في رعيته فكيف من الخالق الذي يستحيل عليه الظلم عقلا (قوله فكذلك أفعل بمن استهزأ بك) أي لا على العموم اكراما للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله أفمن هو قائم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعميتم وسويتم بين الله وبين خلقه فمن هو قائم الخ والمعنى أفمن كان حافظا للنفوس ورازقها وعالما بها كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن القيام بنفسه فضلا عن غيره (قوله لا) هذا هو جواب الاستفهام (قوله دل على هذا) أي على الجواب المحذوف وهذا نظير قوله تعالى أفمن

شرح

شرح الله صدره للاسلام أي كمن قسى قلبه يدل عليه قوله فويل للقاسية قلوبهم ونظيره قوله تعالى أفمن يخلق
كمن لا يخلق ولكنه صرح فيها بالمقابل (قوله قل سموهم) أي صفوهم وانظروا هل لهم تلك الاوصاف تستحق
العبادة (قوله من هم) أي بينوا حقيقتهم من أي جنس ومن أي نوع (قوله أم تنبئونه الخ) أم منقطعة فلذا
فسرها ببل والهمزة والمعنى أتخبرون الله بشريك لا يعلمه في الارض أي لا يعلم وجوده اذ لو وجد لعلمه وخص
الارض لكون آلهتهم التي جعلوها شركاء كائنين فيها (قوله أم بظاهر) أم هنا للاضراب الابطالي ولذا فسرها
ببل فقط والمعنى ان تسميتهم شركاء ظن باطل فاسد لا يعتبر وانما هو اسم من غير مسمى (قوله بل زين للذين
كفروا) اضراب عن محاججتهم كأنه قال لا تلتفت لهم ولا تعتبر بهم فانهم لا فائدة فيهم لانهم زين لهم ما هم عليه
من المكر والكفر (قوله وصدوا) بضم الصاد وفتحها قراءتان سبعيتان والمعنى منعوا عن طريق الهدى
أو منعوا الناس عنه * (فائدة) * قال الطيبي في هذه الآية احتجاج بليغ مبني على فنون من علم البيان أولها
أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن ليس كذلك احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد
الجهة الجامعة لهما ثانيها وجعلوا لله شركاء من وضع الظاهر موضع المضمر للتنبيه على انهم جعلوا شركاء لمن هو
فرد واحد لا يشاركه أحد في اسمه ثالثها قوله قل سموهم أي عينوا أسماءهم فقولوا فلان وفلان فهو انكار
لوجودها على وجه برهاني كما تقول ان كان الذي تدعيه موجودا فسمه لان المراد بالاسم العلم رابعها قوله أم
تنبئونه بما لا يعلم احتجاج من باب نفي الشيء بنفي لازمه وهو العلم وهو كناية خامسها قوله أم بظاهر من القول
احتجاج من باب الاستدراج والهمزة للتقرير لبعثهم على التفكر المعنى أتقولون بأفواهكم من غير رؤية
وتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه سادسها التدريج في كل من الاضرابات على ألطف وجه وحيث كانت الآية
مشتملة على هذه الاساليب البديعة مع اختصارها كان الاحتجاج المذكور مناديا على نفسه بالاعجاز وانه
ليس من كلام البشر اهـ (قوله وما لهم) خبر مقدم وواق مبتدأ مؤخر ومن الله متعلق به أي ليس لهم مانع
من عذاب الله اذا جاءهم (قوله مثل الجنة) مبتدأ والتي صفته ووعد المتقون صلة الموصول والخبر محذوف
والتقدير كائن فيما نقص عليك كما قال المفسر (قوله تجري من تحتها) أي من تحت قصورها وغرفها (قوله
الانهار) فسرت في آية أخرى في قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الخ (قوله
أكلها دائم) أي كل شيء يؤكل يتجدد غيره فلا تنقطع أنواع مأكولاتها ليست كثمار الدنيا تنقطع في بعض
الاحيان (قوله وظلها دائم) المراد بالظل فيها عدم الشمس فلا ينافي أنها نور ونورها حاصل من نور
العرش لانه سقفها ومع ذلك فأنوار أهلها تغلب على ضوء العرش (قوله عقبى الذين اتقوا) أي مآلهم
ومنتهاهم (قوله الذين اتقوا الشرك) تقدم ان هذا أدنى مراتب التقوى (قوله وعقبى الكافرين النار)
أي مآلهم ومنتهاهم (قوله والذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والانجيل فأل في الكتاب للجنس (قوله
من مؤمني اليهود) أي ومؤمني النصارى كأهل نجران والحبشة واليمن فانهم كانوا اذا سمعوا ما أنزل الى
الرسول فاضت أعينهم دموعا كما تقدم في المائدة (قوله لموافقته ما عندهم) أي في التوراة والانجيل (قوله
من ينكر بعضه) أي فكانوا اذا سمعوا شيئا يوافق هواهم سلموه وأقروا به واذا خالف هواهم أنكروه فمثل
القصص لا ينكرونها ومثل الدعاء الى التوحيد ينكرونه (قوله كذكر الرحمن) أي بالنسبة الى مشركي العرب
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب لهم كتاب الصلح يوم الحديبية قال فيه بسم الله الرحمن قالوا
وما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب أقول بعضهم مادحا له

سموت بالمجد يا ابن الاكرمين أبا * وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

وقد هجاه بعض الصحابة بقوله

سميت بالخبث يا ابن الاخبثين أبا * وأنت شر الورى لا زلت شيطانا

(قوله أعبد الله) أي أوحده (قوله اليه أدعو) أي الى عبادته وتوحيده (قوله مرجعي) أي في الآخرة

قل سموهم) له من هم
(أم) بل أ(تنبئونه) تخبرون
الله (بما) أي بشريك
(لا يعلمه) (في الارض)
استفهام انكار أي لا شريك
له اذ لو كان لعلمه تعالى عن
ذلك (أم) بل تسمونهم
شركاء (بظاهر من القول)
بظن باطل لا حقيقة له في
الباطن (بل زين للذين
كفروا مكرهم) كفرهم
(وصدوا عن السبيل)
طريق الهدى (ومن يضلل
الله فما له من هاد لهم عذاب
في الحياة الدنيا) بالقتل
والاسر (ولعذاب الآخرة
أشق) أشد منه (وما لهم من
الله) أي عذابه (من واق)
مانع (مثل) صفة (الجنة
التي وعد المتقون) مبتدأ
خبره محذوف أي فيما نقص
عليكم (تجري من تحتها
الانهار أكلها) ما يؤكل فيها
(دائم) لا يفنى (وظلها) دائم
لا تنسخه شمس لعدمها فيها
(تلك) أي الجنة (عقبى)
عاقبة (الذين اتقوا) الشرك
(وعقبى الكافرين النار
والذين آتيناهم الكتاب)
كعبد الله بن سلام وغيره
من مؤمني اليهود (يفرحون
بما أنزل اليك) لموافقته
ما عندهم (ومن الاحزاب)
الذين تحزبوا عليك بالمعاداة
من المشركين واليهود (من
ينكر بعضه) كذكر الرحمن
وما عدا القصص (قل انما
أمرت) فيما أنزل الي (أن)
أي بأن (أعبد الله ولا
أشرك به اليه أدعو واليه
مآب) مرجعي

(قوله وكذلك) أى مثل انزال الكتب السابقة (قوله حكما عربيا) حالان من الضمير فى أنزلناه والمعنى انزلناه حاكما بين الناس بلغة العرب وأسند الحكم له لانه ترجمان عن الله فطاعته طاعة الله (قوله فيما يدعونك اليه من ملتهم) أى كقولهم له اعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة وكالصلاة الى بيت المقدس بعد ما حولت عنه (قوله فرضا) أى على سبيل الفرض والتقدير والمقصود تحذير من يجوز عليه اتباع الهوى لان المعصوم اذا خوطب بمثل ذلك كان المقصود غيره (قوله ولا واق) أصله واقى استثقلت الكسرة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما (قوله لما عيروه بكثرة النساء) أى حيث قالوا لو كان مرسلا حقا لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا والنساء فرد الله تعالى عليهم مقالتهم بقوله ولقد أرسلنا الخ فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية وكان لابيه داود مائة امرأة ومع ذلك لم يقدح فى نبوتهم فكيف يجعلون ذلك قادحا فى نبوتك واعلم أن القوم كانوا يذكرون أنواعا من الشبهات فى ابطال النبوة فالشبهة الاولى قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وسيأتى ذكرها فى الفرقان الثانية قولهم رسول الله الى الخلق لابد وأن يكون من جنس الملائكة كما قالوا لولا أنزل عليه ملك وقالوا لوما تأتينا بالملائكة وسيأتى أيضا الثالثة قولهم لو كان رسولا من عند الله لما اشتغل بالنساء فأجاب الله بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الآية الرابعة قولهم لو كان رسولا من عند الله لكان أى شئ طلبناه من المعجزات أتى به فأجاب تعالى بقوله وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله الآية الخامسة قولهم لو كان رسولا لحصل ما أوعدنا به من نزول العذاب فأجاب الله تعالى بقوله لكل أجل كتاب أى لكل حادث وقت معين لا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه السادسة قولهم لو كان صادقا مانسخ الاحكام التى هى ثابتة فى التوراة والانجيل ومانسخ بعض الاحكام التى جاء بها فأجاب الله تعالى عنه بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت (قوله وذرية) أى وقد كان لرسول الله سبعة أولاد ثلاثة ذكور وأربع اناث وترتيبهم فى الولادة هكذا القاسم فزينب فرقية ففاطمة فأم كلثوم فعبد الله فابراهيم وكلهم من خديجة الا ابراهيم فمن مارية القبطية وكلهم ماتوا فى حياته الا فاطمة فماتت بعده بستة أشهر (قوله وما كان لرسول الخ) أى لم يجعل الله للرسول الاتيان بآية مما اقترحه قومه الا بارادته تعالى (قوله مربوبون) أى مقهورون مغلوبون (قوله لكل أجل كتاب) رد لاستعجالهم العذاب فانه كان يخوفهم بذلك فاستعجلوه عنادا (قوله مكتوب فيه) أى فى ذلك الكتاب وهو اللوح المحفوظ (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهو ما كتبه فى الازل) أى قدره بمعنى تعلق به علمه وارادته وما مشى عليه المفسر من أن الصحف واللوح المحفوظ يقع فيها التغيير والتبديل والمراد بأم الكتاب علم الله المتعلق بالاشياء أزلا هو أحد تفسيرين * ان قلت يرد على هذا ما ورد أن الله لما خلق اللوح والقلم وأمره بكتابة ما كان وما يكون وما هو كائن قال رفعت الاقلام وجفت الصحف * أجيب بأن المراد رفعت الاقلام عما هو مطابق لعلم الله والتفسير الآخر ان المحو والاثبات يقعان فى صحف الملائكة فقط والمراد بقوله وعنده أم الكتاب اللوح المحفوظ وهو لا يقبل التغيير ولا التبديل * والحاصل ان ما فى علم الله لا يقبل التغيير جزما وما فى الصحف يقبل التغيير جزما والخلاف فى اللوح المحفوظ والآية محتملة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله واما نرينك) ان شرطية مدغمة فى ما الزائدة كما قال المفسر ونرينك فعل الشرط والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول أول وبعض الذى مفعول ثان والمفعول الثالث محذوف قدره المفسر بقوله فى حياتك (قوله أى فذاك) مبتدأ خبره محذوف تقديره مشاف صدرك من أعدائك (قوله أو نتوفينك) معطوف على نرينك فهو شرط أيضا وجوابه محذوف والتقدير فلا لوم عليك وقوله فانما عليك البلاغ دليل المحذوف (قوله فنجازيهم) أى على أعمالهم خيرها وشرها وقد جمع الله لنبيه بين تعذيبهم على يده فى الدنيا ومجازاة الله لهم فى الآخرة (قوله أو لم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أينكرون ما وعدناهم به من العذاب ولم يروا الخ (قوله نقصد أرضهم) أى أرض أهل مكة فالمقصود نصر النبى والنعمة الكفار وملكه اياهم قال تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم الآية [illegible]

(وكذلك) الانزال (أنزلناه) أى القرآن (حكما عربيا) بلغة العرب يحكم به بين الناس (ولئن اتبعت أهواءهم) أى الكفار فيما يدعونك اليه من ملتهم فرضا (بعد ما جاءك من العلم) بالتوحيد (مالك من الله من) زائدة (ولى) ناصر (ولا واق) مانع من عذابه * ونزل لما عيروه بكثرة النساء (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) أولادا وأنت مثلهم (وما كان لرسول) منهم (أن يأتى بآية الا باذن الله) لانهم عبيد مربوبون (لكل أجل) مدة (كتاب) مكتوب فيه تحديده (يمحو الله) منه (ما يشاء ويثبت) بالتخفيف والتشديد فيه ما يشاء من الاحكام وغيرها (وعنده أم الكتاب) أصله الذى لا يتغير منه شئ وهو ما كتبه فى الازل (واما) فيه ادغام نون الشرطية فى ما المزيدة (نرينك بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف أى فذاك (أو نتوفينك) قبل تعذيبهم (فانما عليك البلاغ) لا عليك الا التبليغ (وعلينا الحساب) اذا صاروا الينا فنجازيهم (أو لم يروا) أى أهل مكة (أنا نأتى الارض) نقصد أرضهم (ننقصها من أطرافها) بالفتح على النبى صلى الله عليه وسلم (والله يحكم) فى خلقه بما يشاء

(لامعقب) لا راد (لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم) من الامم بانبيائهم كما مكر وابك (فلله المكر جميعا) وليس مكرهم كمكره لانه تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) فيعد لها جزاءه وهذا هو المكر كله لانه يأتيهم به من حيث لا يشعرون (وسيعلم الكافر)

والاخر ان المراد بالارض جميعها لا خصوص أرض الكفار و بنقص أطرافها موت العلماء والاشراف والكبراء والصلحاء وحينئذ فوجه مناسبة هذا لما قبله كان الله يقول ألم ينظروا الى التغيرات الحاصلة في الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والذل بعد العز فاذا كان هذا مشاهدا لهم فما المانع من أن الله يصير الكفار أذلاء بعد عزهم ومقهورين بعد قدرتهم (قوله لا معقب لحكمه) أي لا مغير ولا ناقض له (قوله وهو سريع الحساب) أي فيحاسبهم في زمن يسير (قوله وقد مكر الذين من قبلهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فلله المكر جميعا) أي لانه الخالق لهم العالم بأحوالهم فهو يوصل اليهم العذاب من جهة لا يعلمون بها (قوله فيعد لها) أي يهيئ و يحضر (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله قل كفى بالله شهيدا) أي لانه الخالق للمعجزات على يدي (قوله ومن عنده علم الكتاب) معطوف على لفظ الجلالة والمعنى أن الله ومن عنده علم الكتاب فيهم الكفاية في الشهادة بيني و بينكم وأل في الكتاب للجنس فيشمل التوراة والانجيل والفرقان فقوله من مؤمني اليهود والنصارى أي أو مطلقا فهو نظير قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين

﴿سورة ابراهيم عليه السلام﴾

سميت بذلك لذكر قصته فيها ان قلت ان قصة ابراهيم قد ذكرت في غير هذه السورة كالانبياء والبقرة أجيب بأن علة التسمية لا تقتضي اطراد التسمية بل التسمية أمر توقيفي (قوله الا آيتين) أي الى قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار (قوله احدى الخ) أي في آياتها أربعة أقوال (قوله هذا القرآن) قدره اشارة الى أن قوله كتاب خبر لمحذوف (قوله أنزلناه) أي لفظا ومعنى (قوله لتخرج الناس) هذا هو حكمة الانزال (قوله الكفر) عبر عنه بالظلمات جمعا لتعدد طرقه بخلاف الايمان فهو متحد لا تعدد فيه وحكمة التعبير عن الكفر بالظلمات انه يوصل لدار الظلمات وهي النار وعن الايمان بالنور لانه يوصل الى دار النور وهي الجنة (قوله باذن ربهم) فسره بالامر اشارة الى أن المعنى لتأمرهم بالخروج من الظلمات الى النور (قوله ويبدل من الى النور) أي باعادة الجار وهو بدل كل من كل (قوله طريق العزيز) أي وهو الاسلام وسمي بذلك لانه الموصل لدار السعادة (قوله بدل أو عطف بيان) أي من العزيز وهذا على القاعدة من أن نعت المعرفة اذا تقدم عليها يعرب بحسب العوامل وتعرب هي منه بدلا أو عطف بيان وحينئذ فالاصل الى صراط الله العزيز الحميد (قوله والرفع مبتدأ) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ملكا وخلقا وعبيدا) أي لا شريك له في شيء من ذلك (قوله وويل) قيل معناه دمار وهلاك للكافرين وقيل واد في جهنم لو وضعت فيه جبال الدنيا لذابت من حره وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به قصد الدعاء (قوله نعت) أي للكافرين وفيه الفصل بين النعت والمنعوت باجنبي وهو قوله من عذاب شديد فالاوضح أن يكون مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد (قوله يستحبون الحياة الدنيا) أي يختارونها و يؤثرونها زيادة على الآخرة والمعنى يقدمون الحياة الدنيا على الآخرة (قوله ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن الدين الحق (قوله ويبغونها عوجا) أي يطلبون العدول والانحراف عنها والمعنى أنهم يضلون غيرهم و يضلون في أنفسهم (قوله في ضلال بعيد) أي كفر مبعد لهم عن الرحمة والخير (قوله وما أرسلنا من رسول) أي محمد أو غيره ان قلت ان كان المراد بقومه الذين نشأ فيهم فظاهر وان كان المراد الذين أرسل لهم فرسول الله أرسل لكافة الخلق مع أنه لم ينطق بغير اللسان العربي وهو لسان بعض قومه أجيب بأن الله علمه جميع اللغات فكان يخاطب كل قوم بلغتهم وان لم يثبت انه تكلم باللغة التركية لانه لم يتفق انه خاطب أحدا من أهلها ولو خاطبه لكلمه بها (قوله فيضل الله من يشاء) استئناف منقطع عن قوله ليبين لهم (قوله وهو العزيز) أي الغالب على أمره وهو [illegible] الله من يشاء الخ (قوله الحكيم) أي الذي يضع الشيء في محله (قوله ولقد أرسلنا

المراد به الجنس وفي قراءة الكفار (لمن عقبى الدار) أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويقول الذين كفروا) لك (لست مرسلا قل) لهم (كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على صدقي (ومن عنده علم الكتاب) من مؤمني اليهود والنصارى

﴿سورة ابراهيم مكية الا ألم تر الى الذين بدلوا الآيتين احدى أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم

الر) الله أعلم بمراده بذلك هذا القرآن (كتاب أنزلناه اليك) يا محمد (لتخرج الناس من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (باذن) أمر (ربهم) ويبدل من الى النور (الى صراط) طريق (العزيز) الغالب (الحميد) المحمود (الله) بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة والرفع مبتدأ خبره (الذي له ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وويل للكافرين من عذاب شديد الذين) نعت (يستحبون) يختارون (الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون) الناس (عن سبيل الله) دين الاسلام

٢٨ صاوي [illegible] (ويبغونها) أي السبيل (عوجا) معوجة (أولئك في ضلال بعيد) عن الحق (وما أرسلنا من رسول الا بلسان) بلغة (قومه ليبين لهم) ليفهمهم ما يأتي به (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (ولقد أرسلنا

موسى بآياتنا) التسع وقلنا له (أن أخرج قومك) بنى اسرائيل (من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (وذكرهم بأيام الله) بنعمه (ان فى ذلك) التذكير (لآيات لكل صبار) على الطاعة (شكور) للنعم (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) المولودين (ويستحيون) يستبقون (نساءكم) لقول بعض الكهنة ان مولودا يولد فى بنى اسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون (وفى ذلكم) الانجاء أو العذاب (بلاء) انعام أو ابتلاء (من ربكم عظيم واذ تأذن) أعلم (ربكم لئن شكرتم) نعمتى بالتوحيد والطاعة (لأزيدنكم ولئن كفرتم) جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه (ان عذابى لشديد وقال موسى) لقومه (ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى) عن خلقه (حميد) محمود فى صنعه بهم (ألم يأتكم) استفهام تقرير (نبأ) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) لكثرتهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الواضحة على صدقهم (فردوا) أى الامم (أيديهم فى أفواههم) أى اليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) على زعمكم (وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب) موقع فى الريبة (قالت رسلهم أفى الله شك) استفهام انكار أى لا شك فى توحيده للدلائل الظاهرة عليه (فاطر) خالق (السموات والارض يدعوكم) الى طاعته (ليغفر لكم من ذنوبكم) من زائدة فان الاسلام يغفر به ما قبله أو [illegible] [illegible]

موسى) تفصيل لما أجمل فى قوله وما أرسلنا من رسول الآية (قوله التسع) تقدم منها ثمانية فى الاعراف والتاسعة فى يونس (قوله وقلنا له) لا حاجة لتقديره بل المناسب أن يفسر أن بأى التفسيرية لان ضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو أرسلنا ويصح جعلها مصدرية أى باخراج قومك وهذه الباء للتعدية وفى بآياتنا للحال (قوله بنعمه) أى فالمراد بالايام النعم وعبر عنها بالايام لحصولها فيها (قوله لكل صبار) أى كثير الصبر وقوله شكور أى كثير الشكر وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون بها (قوله واذكر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى اذكر لقومك ما وقع لموسى وقومه لعلهم يعتبرون (قوله يسومونكم) أى يذيقونكم (قوله سوء العذاب) أى العذاب السيئ وهو الشديد (قوله ويذبحون أبناءكم) عطفه بالواو هنا اشارة الى أنه غير العذاب السيئ المذكور وأما فى البقرة فهو تفسير لسوء العذاب فصح التغاير بهذا الاعتبار وان كانت القصة واحدة (قوله ويستحيون نساءكم) أى للخدمة فكانوا يستخدمونهن ويمنعونهن عن أزواجهن (قوله لقول بعض الكهنة) جمع كاهن وهو المخبر عن المغيبات المستقبلة وأما العراف فهو المخبر عن الامور الماضية (قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم) أى فالله سبحانه وتعالى يختبر عباده بالخير والشر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة لان النعمة أو البلية اذا أصابت الشخص فهو معرض اما لرضا الله ان شكر وصبر أو لغضبه ان جزع وكفر (قوله واذ تأذن ربكم) من جملة كلام موسى لقومه كأنه قيل واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم (قوله بالتوحيد والطاعة) أى ان وحدتمونى وداومتم على طاعتى (قوله لأزيدنكم) أى من خيرى الدنيا والآخرة فيحصل لكم النعم والرضا فتظفرون بالسعادتين (قوله ولئن كفرتم) لم يصرح بالجواب فى جانب الوعيد وصرح به فى جانب الوعد اشارة الى كرمه سبحانه وتعالى وان رحمته سبقت غضبه ونظير ذلك قوله تعالى بيدك الخير ولم يقل وبيدك الشر (قوله لأعذبنكم) هذا هو جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة أنه عند اجتماعهما يحذف جواب المتأخر (قوله وقال موسى) أى بعد ان أيس من ايمانهم (قوله فان الله لغنى) أى عن شكركم وايمانكم (قوله حميد) أى مستحق للحمد والمعنى ان كفركم بالله أنتم وأهل الارض جميعا لا ينقص من ملكه شيأ وايمانكم لا يزيد فى ملكه شيأ بل على حد سواء وانما ذلك راجع الى أنفسكم وهو غنى عنكم (قوله ألم يأتكم) من كلام موسى أيضا أو من كلام الله (قوله والذين من بعدهم) اما مبتدأ خبره قوله لا يعلمهم الا الله أو معطوف على قوله قوم نوح وقوله لا يعلمهم الا الله اعتراض (قوله جاءتهم رسلهم) مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ما قصتهم وما شأنهم (قوله فردوا أيديهم فى أفواههم) أى لكراهتهم ذلك فان شأن الانسان اذا كره شيأ واغتاظ منه ولم يقدر على دفعه يعض على يديه (قوله ليعضوا عليها) بفتح العين وضمها (قوله على زعمكم) أى والا فلم يعترفوا برسالة رسلهم (قوله وانا لفى شك الخ) أى والشك كفر فلا ينافى قولهم انا كفرنا بما أرسلتم به (قوله فى الريبة) أى وهى عدم اطمئنان النفس الى الشئ (قوله قالت رسلهم) أى جوابا لقول الامم انا كفرنا بما أرسلتم به (قوله أفى الله شك) الهمزة للاستفهام والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أثبت وشك فاعل بالجار والمجرور لاعتماده على الاستفهام أو الجار والمجرور خبر مقدم وشك مبتدأ مؤخر والاولى الاول لسلامته من الفصل بين الصفة وهو فاطر والموصوف وهو لفظ الجلالة بأجنبى وهو المبتدأ (قوله للدلائل الظاهرة) أى العقلية والنقلية (قوله فاطر السموات والارض) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله يدعوكم) الجملة حالية (قوله ليغفر لكم) أى لا لاحتياجه لطاعتكم بل ثمرة امتثالكم وطاعتكم عائدة عليكم (قوله من زائدة) [illegible] [illegible] الاخفش من أنها تزاد فى الاثبات وهى طريقة ضعيفة [illegible] [illegible]

(ويؤخركم) بلا عذاب (إلى أجل مسمى) أجل الموت (قالوا إن) ما (أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) من الأصنام (فأتونا بسلطان مبين) حجة ظاهرة على صدقكم (قالت لهم رسلهم إن) ما (نحن إلا بشر مثلكم) كما قلتم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة (وما كان) ما ينبغي (لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله) بأمره لأنا عبيد مربوبون (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يثقوا به (وما لنا ألا نتوكل على الله) أي لا مانع لنا من ذلك (وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا) على أذاكم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن) لتصيرن (في ملتنا) ديننا (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين) الكافرين (ولنسكننكم الأرض) أرضهم (من بعدهم) بعد هلاكهم (ذلك) النصر وإيراث الأرض (لمن خاف مقامي) أي مقامه بين يدي (وخاف وعيد) بالعذاب (واستفتحوا) استنصر الرسل بالله على قومهم (وخاب) خسر (كل جبار) متكبر عن طاعة الله (عنيد) معاند للحق (من ورائه) أي أمامه (جهنم) يدخلها (ويسقى) فيها (من ماء صديد) هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقيح والدم (يتجرعه) يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته (ولا يكاد يسيغه) يزدرده لقبحه وكراهته (ويأتيه الموت) أي أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب (من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه) بعد ذلك العذاب (عذاب غليظ) قوي متصل (مثل) صفة (الذين كفروا بربهم) مبتدأ ويبدل منه (أعمالهم) الصالحة كصلة وصدقة

في المسلم الأصلي وأما الكافر إذا أسلم فلا يتطهر لأن الإسلام يجب ما قبله ولو حقوق العباد وحينئذ فالجواب الأتم أن تجعل من بمعنى بدل أي يغفر لكم بدل عقوبة ذنوبكم أو ضمن يغفر معنى يخلص ومن على بابها للتعدية والتقدير ليخلصكم من ذنوبكم ولعل هذا الجواب هو الأقرب (قوله ويؤخركم) معطوف على يغفر والمعنى يدعوكم إلى طاعته لأمرين غفران ذنوبكم وتأخير العذاب إلى أجل مسمى بأن تعيشوا في الدنيا سالمين من الخزي كالخسف والمسخ فإذا متم على الإيمان دخلتم الجنة ففزتم بالسعادتين (قوله قالوا) أي الأمم جوابا لمقالة الرسل (قوله إلا بشر مثلنا) أي فلا مزية لكم علينا فلم اختصصتم بالنبوة دوننا (قوله أن تصدونا) أن مصدرية وتصدوا منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل ونا مفعوله (قوله من الأصنام) بيان لما (قوله حجة ظاهرة) أي غير ما جئتم به (قوله قالت لهم رسلهم) أي جوابا لمقالتهم (قوله ولكن الله يمن على من يشاء) أي فإننا وإن كنا بشرا مثلكم إلا أن الله فضلنا عليكم بالنبوة وأعطانا المعجزات على مراده فإن آمنتم فهو خير لكم وإن كفرتم فهو شر لكم فلا قدرة لنا على إتيان ما تطلبونه لأننا عبيد مقهورون (قوله بأمره) المناسب أن يقول بإرادته (قوله فليتوكل المؤمنون) أي يفوضون أمورهم إليه ويصبروا على ما أصابهم (قوله وما لنا) أي أي شيء ثبت لنا (قوله أي لا مانع لنا من ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله وقد هدانا سبلنا) أي أرشدنا إلى طرقنا الموصلة للسعادة العظمى (قوله ولنصبرن على ما آذيتمونا) أي فلا نبالي بكم ولا بإذايتكم (قوله على أذاكم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية (قوله فليتوكل المتوكلون) أي يدوموا على التوكل (قوله وقال الذين كفروا) أي المتعنتون المتمردون (قوله لنخرجنكم من أرضنا) أي فلا تخالطونا بل أريحونا من هذا التعب (قوله لتصيرن) دفع بذلك ما يقال إن العود يقتضي أنه سبق لهم التلبس بملتهم مع أن الرسل معصومون من ذلك فأجاب المفسر بأن المراد بالعود الصيرورة أي لتصيرن داخلين في ملتنا (قوله فأوحى إليهم) أي إلى الرسل بعد هذه المقالات لليأس من إيمانهم (قوله لنهلكن الظالمين) أي نستأصلهم بالهلاك فلا يبقى منهم أحد (قوله ذلك) مبتدأ خبره قوله لمن خاف الخ (قوله أي مقامه بين يدي) أي موقفه عندي يوم القيامة (قوله وخاف وعيد بالعذاب) في هذه الآية إشارة إلى أن الخوف من الله غير الخوف من وعيده لأن العطف يقتضي المغايرة (قوله واستفتحوا) أي طلب الرسل الفتح من الله لما أيسوا من إيمان قومهم (قوله استنصر الرسل) أي طلبوا من الله النصر (قوله وخاب) معطوف على مقدر والتقدير فنصروا وخاب الخ (قوله خسر) أي في الدنيا والآخرة (قوله متكبر عن طاعة الله) أي متعظم في نفسه محتقر لما سواه (قوله أي أمامه) أي فالوراء يستعمل في الأمام والخلف فهو من الأضداد وقيل هو اسم لما توارى عنه سواء كان من خلفك أو من أمامك (قوله صديد) بدل أو عطف بيان (قوله هو ما يسيل الخ) وقيل هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر (قوله يتجرعه) أي يتكلف تجرعه ويقهر عليه (قوله ولا يكاد يسيغه) أي لا يقرب من إساغته قال عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه أي جلدتها بشعرها فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره كما قال وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا (قوله وما هو بميت) أي فيستريح قال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (قوله بعد ذلك العذاب) أشار بذلك إلى أن الضمير في ورائه عائد على العذاب وقيل عائد على كل جبار والمعنى ويستقبل في وقت عذابا أشد مما هو فيه كالحيات والعقارب والزمهرير وغير ذلك أجارنا الله من ذلك (قوله متصل) أي لا ينقطع بل هو دائم مستمر (قوله ويبدل منه) أي من الموصول والأصل مثل

في عدم الانتفاع بها (كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر عليه والمجرور خبر المبتدأ (لا يقدرون) أي الكفار (مما كسبوا) عملوا في الدنيا (على شيء) أي لا يجدون له ثوابا لعدم شرطه (ذلك هو الضلال

البعيد) (ألم تر) تنظر يا مخاطب استفهام تقرير (أن الله خلق السموات والأرض بالحق) متعلق بخلق (إن يشأ يذهبكم) أيها الناس (ويأت بخلق جديد) بدلكم (وما ذلك على الله بعزيز) شديد (وبرزوا) خرجوا أي الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق وقوعه (لله جميعا فقال الضعفاء) الأتباع (للذين استكبروا) المتبوعين (إنا كنا لكم تبعا) جمع تابع (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا من عذاب الله من شيء) من الأولى للتبيين والثانية للتبعيض (قالوا) أي المتبوعون (لو هدانا الله لهديناكم) لدعوناكم إلى الهدى (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من) زائدة (محيص) ملجأ (وقال الشيطان) إبليس (لما قضي الأمر) وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه (إن الله وعدكم وعد الحق) بالبعث والجزاء فصدقكم (ووعدتكم) أنه غير كائن (فأخلفتكم وما كان لي عليكم من) زائدة (سلطان) قوة وقدرة أقهركم على متابعتي (إلا) لكن (أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) على إجابتي (ما أنا بمصرخكم) بمغيثكم (وما أنتم بمصرخيّ) بفتح الياء وكسرها (إني كفرت بما أشركتمون) بإشراككم إياي مع الله (من قبل) في الدنيا قال

أعمال الذين كفروا (قوله في عدم الانتفاع بها) أي فوجه الشبه وإن كانت أعمال البر لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطلها وأعجزها وإن كانت لا تتوقف على الإسلام تكون في الدنيا بتوسيع الرزق والعافية في البدن (قوله اشتدت به الريح) أي حملته وذهبت به (قوله لعدم شرطه) أي وهو الإيمان (قوله البعيد) أي الذي لا يرجى زواله (قوله ألم تر) الخطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر فليس خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم (قوله تنظر) أي تبصر وتتأمل ببصيرتك فتستدل على أن الخالق متصف بالكمالات (قوله استفهام تقرير) أي والمعنى أقر يا مخاطب بذلك واعترف ولا تعانده فإن القادر على خلق السموات لا يعجزه شيء فهو حقيق بالعبادة دون غيره (قوله بالحق) الباء إما للسببية أو الملابسة والمعنى خلق السموات والأرض بسبب الحق أو ملتبسا بالحق أي الحكمة الباهرة لا عبثا (قوله متعلق بخلق) أي أو بمحذوف حال من فاعل خلق (قوله إن يشأ يذهبكم) أي يعدمكم فإن القادر لا يصعب عليه شيء قال تعالى إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين (قوله وما ذلك) أي الإذهاب والإتيان بشديد على الله قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة (قوله وبرزوا) هذا إخبار من الله تعالى عن محاجة الكفار مع بعضهم ومع إبليس يوم القيامة والبروز الظهور والمعنى يظهرون من بين الخلائق فلا يغيب لهم شيء من أوصافهم أبدا (قوله خرجوا) أي من القبور للحساب والجزاء (قوله والتعبير الخ) جواب عما يقال إن هذه الأشياء لم تحصل فأجاب بأن ذلك لتحقق الوقوع أي لأن الله سبحانه وتعالى عالم بما كان وما يكون وما هو كائن فالماضي والمستقبل في علمه على حد سواء (قوله فقال الضعفاء) أي في الرأي (قوله إنا كنا لكم تبعا) أي في تكذيب الرسل والدخول في دينكم (قوله من الأولى للتبيين الخ) أي والكلام فيه تقديم وتأخير والتقدير فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله (قوله قالوا) أي جوابا لهم واعتذارا عما فعلوا بهم (قوله لو هدانا الله) أي لو وصلنا الله لدار السعادة في الدنيا بالإيمان لهديناكم لكن حصل لنا الضلال فأضللناكم فاخترنا لكم ما لأنفسنا (قوله سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) هذا من كلام جميع الكفار الأتباع والرؤساء ويؤيده ما روي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم ثم يقولون سواء علينا الخ والجزع القلق وعدم تحمل الشدائد (قوله ملجأ) أي محل هروب ننجو له (قوله وقال الشيطان الخ) أي حين يوضع له منبر من نار في النار فيجتمع عليه أهل النار يلومونه فيقول لهم إن الله وعدكم الخ (قوله لما قضي الأمر) أي نفذ قضاؤه باستقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار (قوله وعد الحق) أي الوعد الثابت الناجز وليس المراد الوعد بالخير بل المراد به الجزاء والبعث (قوله فصدقكم) أشار بذلك إلى أن في الكلام حذفا بدليل قوله فأخلفتكم (قوله أنه غير كائن) قدره إشارة إلى أن مفعول وعد الثاني محذوف (قوله فأخلفتكم) أي تبين خلافه (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن دعوته ليست من جنس السلطان (قوله فلا تلوموني) أي على وسوستي لكم (قوله ولوموا أنفسكم) أي وبخوها على اتباعي فإني لم أكن مكرها لكم على اتباعي بل جاءتكم البينات والرسل وسمعتم الدلائل الظاهرة على توحيد الله فتركتموها واتبعتموني (قوله على إجابتي) أي وقت استنفاري لكم (قوله بمغيثكم) أي من العذاب (قوله بفتح الياء وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان والأصل بمصرخين لي حذفت اللام للتخفيف والنون للإضافة فاجتمع مثلان أدغم أحدهما في الآخر فحركت ياء الإضافة بالفتح طلبا للخفة على إحدى القراءتين وكسرت على أصل التخلص من التقاء الساكنين على الأخرى (قوله إني كفرت بما أشركتمون) أي تبرأت وأنكرت إشراككم إياي مع الله حيث أطعتموني في وسوستي لكم بالشرك فكأنكم أشركتموه مع الله (قوله قال

تعالى

تعالى (ان الظالمين) الكافرين (لهم عذاب أليم) مؤلم (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين) حال مقدرة (فيها باذن ربهم تحيتهم فيها) من الله ومن الملائكة وفيما بينهم (سلام ألم تر) تنظر (كيف ضرب الله مثلا) ويبدل منه (كلمة طيبة) أى لا اله الا الله (كشجرة طيبة) هى النخلة (أصلها ثابت) فى الارض (وفرعها) غصنها (فى السماء تؤتى) تعطى (أكلها) ثمرها (كل حين باذن ربها) بارادته كذلك كلمة الايمان ثابتة فى قلب المؤمن وعمله يصعد الى السماء وينالة بركته وثوابه كل وقت (ويضرب) يبين (الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) يتعظون فيؤمنون (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هى الحنظل (اجتثت) استؤصلت (من فوق الارض مالها من قرار) مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لاثبات لها ولا فرع ولا بركة (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) هى كلمة التوحيد (فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أى فى القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما فى حديث الشيخين (ويضل الله الظالمين) الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لا ندرى كما فى الحديث (ويفعل الله ما يشاء ألم تر) تنظر (الى الذين بدلوا نعمة الله) أى شكرها (كفرا) هم كفار قريش (وأحلوا) أنزلوا (قومهم) باضلالهم اياهم (دار البوار) الهلاك (جهنم) عطف بيان (يصلونها) يدخلونها (وبئس القرار) المقر هى

تعالى) أشار بذلك الى أنه ليس من كلام ابليس وقيل من كلامه (قوله وأدخل الذين آمنوا) الخ لما ذكر أحوال الاشقياء شرع فى ذكر أحوال السعداء (قوله حال مقدرة) أى مقدرين الخلود فيها وتقدير الخلود قبل الدخول من تمام النعيم (قوله باذن ربهم) متعلق أدخل (قوله من الله) قال تعالى سلام قولا من رب رحيم (قوله ومن الملائكة) قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (قوله ألم تر) الخطاب اما للنبى أو لكل من يتأتى منه الخطاب (قوله مثلا) المثل تشبيه مجهول بمعلوم ليقاس عليه (قوله أى لا اله الا الله) خصها بالذكر لانها مفتاح الجنة ولا يقبل من أحد الايمان الا بها وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيح والتحميد والاستغفار وغير ذلك (قوله أصلها ثابت) أى عروقها ثابتة فى الارض ما كثة فيها حتى انها لا تحتاج لسقى بل تشرب من عروقها (قوله وفرعها فى السماء) أى جهة العلو (قوله كل حين) اختلف فى مقداره فقيل الحين كل سنة لان النخلة تثمر فى كل سنة مرة وقيل ستة أشهر لانه من وقت طلعها الى طيبها كذلك وقيل ثمانية أشهر لان حملها ظاهرا وباطنا كذلك وقيل أربعة أشهر لانه من حين ظهورها الى ادراكها كذلك وقيل شهران لانه من وقت أكلها الى قطع ثمرها كذلك وقيل كل وقت لان ثمر النخل يؤكل دائما فيؤكل منه الطلع والبلح والبسر والرطب والتمر وهو الاولى (قوله وعمله يصعد الى السماء) قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ووجه الشبه بين الايمان والشجرة ان الشجرة لها عرق راسخ وفرع عال وثمر يؤكل والايمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان فاذا أكثر الانسان من ذكر هذه الكلمة ظهرت عليه أنوارها ولمعت فى فؤاده أسرارها فدام نفعه بها فى العاجل والآجل ومن هنا اختص الصوفية بها بمعنى أنهم تلقوها عن أشياخهم بالسند المتصل وتلقوا بها فصارت شعارهم ودثارهم ولذا قال السنوسى فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من المعانى حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه فانه يرى لها من الاسرار والعجائب مالا يدخل تحت حصر (قوله هى كلمة الكفر) أى كل ما يدل عليه (قوله هى الحنظل) حكمة التشبيه بها أنها لاتغوص فى الارض بل عروقها فى وجه الارض ولا غصون لها تصعد لجهة السماء بل عروقها ممتدة على الارض كشجر البطيخ وثمرها ردىء وتسميتها شجرة مشاكلة لانها من النجم لا من الشجر لان الشجر ماله ساق والنجم مالا ساق له (قوله اجتثت) أى قلعت جثتها والمعنى على التشبيه أى كأنها لعدم ثبات أصلها وامتداده فى الارض كالشىء المقلوع جثته (قوله يثبت الله الذين آمنوا) هذا راجع للمثل الاول (قوله فى الحياة الدنيا) أى فلا يتزلزلون عن الدين اذا ابتلوا بالمصائب كالقتل وأخذ المال وفقد الاحباب والفتانات عند الممات وغير ذلك وهذه بشرى للمؤمنين بأن ايمانهم ثابت فى قلوبهم لا يتزلزل أبدا بل يثبتهم الله دنيا وأخرى (قوله أى فى القبر) خصه بالذكر لانه بعد سؤاله لا يفتنون فى التوحيد وانما يكون حسابهم فى الموقف على فروع الدين (قوله لما يسألهم الملكان) أى حين يحيى الله الميت حتى يسمع قرع نعال من كان ماشيا فى جنازته فيقعدانه ويقولان له ما ربك وما دينك ومن نبيك فأما المؤمن فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فيقولان له نم نومة العروس قد علمنا أن كنت لموقنا وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيأ فقلت مثل ما يقولون فيضرب بأنه بمطراق من نار فيصيح صيحة يسمعها من فى الارض غير الثقلين ويقولان له لا دريت ولا تليت (قوله ويفعل الله ما يشاء) أى بحكم لا معقب لحكمه وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم هدى هؤلاء وأضل هؤلاء فأجاب بأنه يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل (قوله ألم تر) استفهام تعجيب وهو خطاب لرسول الله ولكل عاقل (قوله أى شكرها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله هم كفار قريش) أى نعم الله التى بدلوا شكرها كفرا كونهم أشرف الانساب وبلدهم أشرف البلاد وكون الخلق تسعى اليهم ولا يسعون فبدلوا ذلك حيث كذبوا خير الخلق وعبدوا الاصنام (قوله قومهم) أى أتباعهم (قوله دار البوار) يقال بار يبور بوارا هلك وبار الشىء بوارا كسد فأطلق الازم وأريد الملزوم لانه يلزم من الكساد الهلاك (قوله يصلونها) حال

من القوم (قوله وجعلوا) عطف على بدلوا (قوله أندادا) جمع ند بمعنى النظير (قوله ليضلوا) اللام للعاقبة والصيرورة لأن اتخاذهم الانداد ليس لاجل الضلال بل اسكونهم يقربونهم الى الله زلفى (قوله بفتح الياء وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان والمعنى ليضلوا في أنفسهم وهذا على الفتح أو ليضلوا غيرهم وهذا على الضم (قوله بدنياكم) أي أو بعبادتكم الاصنام لانها من جملة الشهوات التي يتمتع بها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فان هذا تهديد لكل ظالم (قوله فان مصيركم الى النار) أي مآلكم اليها (قوله قل لعبادي) بثبوت الياء مفتوحة وبحذفها لفظا لا خطا قراءتان سبعيتان هنا وفي أربعة مواضع من القرآن في سورة الانبياء في قوله أن الارض يرثها عبادي الصالحون وفي العنكبوت في قوله يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة وقوله في سبأ وقليل من عبادي الشكور وقوله في سورة الزمر قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم والاضافة في عبادي للتشريف ولذا قال العارف

ومما زادني شرفا وتيها * وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي * وأن صيرت أحمد لي نبيا

(قوله الذين آمنوا) أي اتصفوا بالايمان وفي ذلك اشارة الى أن الصلاة والزكاة وغيرهما من وجوه البر لا تكون الا لمن اتصف بالايمان فلا تنفع الكافر في حال كفره فلا ينافي أنه مخاطب بفروع الشريعة لكن لا تصح منه الا بالاسلام وفائدة خطابه بها أنه يعذب عليها زيادة على عذاب الكفر بدليل قوله تعالى ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الآية (قوله وينفقوا مما رزقناهم) أي النفقة الواجبة كالزكاة والمندوبة كالتطوعات وقوله سرا وعلانية أي فالانسان مخير في الانفاق اما سرا أو جهرا لكن الافضل في الواجبة الجهر لئلا يتهم بقلة الدين وفي التطوعات السر لكونه أقرب الى الاخلاص (قوله فداء) مشى المفسر على أن المراد بالبيع الفداء ومشى غيره على ابقاء البيع على ظاهره أي لا شيء يباع فيه للفداء (قوله مخالة) أشار المفسر الى أن قوله خلال مصدر بمعنى المخالة وقال غيره ان خلال جمع خلة كقلال جمع قلة (قوله أي صداقة تنفع) هذا محمول على الكفار بدليل آية الزخرف الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فالمتقون لهم الاخلاء يوم القيامة وفي القبور وفي كل موطن مخوف والكفار قد تقطعت بهم الاسباب فليس لهم أخلاء نافعون أصلا (قوله الله الذي خلق) شروع في ذكر دلائل وحدانيته تعالى واتصافه بالكمالات وهذه الآية مشتملة على عشرة أدلة (قوله من السماء ماء) أي فالمطر من السماء كما ذكره أهل السنة (قوله من الثمرات) المراد بها ما يشمل المطعوم والملبوس (قوله رزقا لكم) حال من الثمرات (قوله السفن) أي الكبار والصغار وقوله بالركوب أي على ظهرها وقوله والحمل أي حمل الاثقال من محل الى آخر (قوله وسخر لكم الانهار) جمع نهر أي ذللها لكم في جميع الارض على ما تشتهي أنفسكم (قوله دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر يجريان من يوم خلقهما الله لا يختلفان ولا يفتران عن سيرهما الى آخر الدهر فالشمس نعمة النهار والقمر نعمة الليل وهما منافع للعالم بهما يهتدون ويعرفون السنين والحساب وتطييب ثمارهم وزروعاتهم فهما سبب عادي لنفع العالم يوجد النفع عنده ما لا بهما (قوله لا يفتران) أي لا يضعفان ولا ينكسران (قوله في فلكهما) أي مداريهما ومقرهما وهو السماء الرابعة للشمس وسماء الدنيا للقمر (قوله لتسكنوا فيه) أي تطمئنوا فيه من تعب النهار (قوله لتبتغوا من فضله) أي تسعوا في معايشكم ومصالحكم قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله (قوله وآتاكم من كل ما سألتموه) عطف عام على خاص ومن قيل صلة على مذهب الاخفش من زيادتها في الاثبات أي آتاكم كل ما سألتموه وقيل تبعيضية أي آتاكم بعض كل ما سألتموه أي احتجتم اليه ولو لم يحصل سؤال بالفعل فالمراد بشأنكم تسألون عنه لاحتياجكم اليه فان الله أعطانا النعم من غير سؤال منا والمعنى أعطى الله كل فرد فرد بعض كل ما يحتاج اليه العالم فأصول النعم اشتراك فيها جميع العالم عقلاء وغيرهم

(وجعلوا لله أندادا) شركاء (ليضلوا) بفتح الياء وضمها (عن سبيله) دين الاسلام (قل) لهم (تمتعوا) بدنياكم قليلا (فان مصيركم) مرجعكم (الى النار قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع) فداء (فيه ولا خلال) مخالة أي صداقة تنفع هو يوم القيامة (الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك) السفن (لتجري في البحر) بالركوب والحمل (بأمره) باذنه (وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) جاريين في فلكهما لا يفتران (وسخر لكم الليل) لتسكنوا فيه (والنهار) لتبتغوا فيه من فضله (وآتاكم من كل ما سألتموه)

مسلمين وكفار او ما يحتمل أن ما موصولة وهو الاتم والتقدير بعض كل الذي سألتموه أو مصدرية والتقدير بعض كل مسؤلكم (قوله على حسب مصالحكم) جواب عما يقال ان الانسان لم يعط بعض كل ما سأل فانه قد يسأل السلطنة مثلا ولا يعطاها فاجاب بان هذه العطية ليست على حسب ما يصلح للعبد بل على حسب مراد الله تعالى فعطاياه سبحانه وتعالى على حسب مراده في خلقه فمنهم من جعل رزقه واسعا ومنهم من جعل رزقه ضيقا وهكذا (قوله وان تعدوا نعمت الله) أى أفرادها فانها غير متناهية (قوله بمعنى انعامه) أشار بذلك الى ان المراد بالنعمة الانعام وهو صفة فعل ودفع بذلك ما يقال كيف يقول الله وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها مع أن كل نعمة دخلت الوجود متناهية ويمكن عدها فاجاب بان المراد بالنعمة الانعام بمعنى تجددها شيأ فشيأ (قوله الكافر) المراد به أبو جهل لانها نزلت فيه والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله واذ قال ابراهيم) اذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى اذكر لهم قصة ابراهيم ودعواته لما بنى البيت الحرام ولابنيه لعلهم يعتبرون فينزجرون واعماهم عليه فان لم يعتبروا فقد تعرضوا لما يحل بهم (قوله هذا البلد) قال الاشياخ حكمة تعريف البلد هنا وتنكيرها في البقرة ان ابراهيم تكرر منه الدعاء فما في البقرة كان قبل بنائها فطلب من الله ان يجعل بلدا وان تكون آمنا وما هنا بعد بنائها فطلب من الله ان تكون آمنا (قوله لا يسفك فيه دم انسان) أى لا يتمكن منه جبار يقصد اهانة البيت وأهله وما وقع من الحجاج في مقاتلته لابن الزبير وهدمه للبيت انما كان بقصد التعظيم للبيت بسبب دعواه ان ابن الزبير كان مخطئا في بنائه البيت على قواعد ابراهيم وقوله لا يسفك فيه دم انسان أى ولو قصاصا وهو مذهب أبي حنيفة وانما يضيق عليه ليخرج فاذا خرج اقتص منه (قوله ولا يظلم فيه أحد) أى ومن تجرأ وظلم فيه فقد تعرض لعذاب الله قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (قوله ولا يصاد صيده) أى يحرم صيد البر في الحرم على كل شخص محرما أو غيره (قوله ولا يختلى خلاه) أى لا يقطع حشيشه النابت بنفسه واستثنى العلماء من ذلك الاذخر والسنى والسواك والعصا وقطع الشجر للبناء محل لانه ينافي توسعته ان قلت ان قوله آمنا يعارضه ما روى ان ذا السويقتين يخرب البيت ويخيف أهله في آخر الزمان أجيب بان معنى الامن الطمأنينة ظاهرا وباطنا من سطوات الخالق والمخلوق للحيوان العاقل وغيره غالبا ولا ينافي حدوث النوادر من بعض الجبابرة وأجيب أيضا بأن المراد الامن من الخراب الى قرب الساعة فان ذا السويقتين يخرب الكعبة قرب الساعة بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام (فائدة) قول ابراهيم رب اجعل هذا البلد الخ يقتضي ان دأبه الدعاء وما ورد من قوله حين ألقي في النار حسبي من سؤالي علمه بحالي يقتضي انه لم يكن دأبه الدعاء فما السر في ذلك أجيب بانه كان في زمن القائه في النار في مقام الفناء والسكر وهو الغيبة عن شهود الخلق بشهود الحق فلا يشهد أثرا وفي زمن دعائه في مقام البقاء وجمع الجمع وهو البقاء بالله بمعنى شهود الآثار بعد شهود مؤثرها فمقامه في حال دعائه أعلى وأجل من مقامه في حال تركه ولا يقاس بمقامات الانبياء مقام بل بدايتهم أعلى وأجل من نهاية غيرهم فالاولياء وان عظموا لا يصلون لادنى رتب الانبياء وأما قول أبي الحسن الشاذلي واقرب مني بقدر ذلك قربا تمحق به عني كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك الخ فمعناه قربا يليق بي لا كقرب الخليل فقد طلب من الله أن يذيقه قطرة من بحار تجلياته التي تجلى بها على الخليل حتى أسكره فلم يشهد شيأ سواه (قوله واجنبني وبني) المراد أولاده وأولاد أولاده كاسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ان قلت ان الانبياء معصومون من الشرك فى دعائه تحصيل الحاصل والجواب الاتم ان دعاءه تشريع وتعليم وتذلل وتواضع مع كونه يعلم عصمة نفسه ويقال مثل هذا في دعوات باقي الانبياء التي جاءت بها معصومون منه كعذاب النار وغضب الجبار ونحو ذلك (قوله رب انهن) كرر النداء تأكيدا (قوله بعبادتهم لها) أشار بذلك الى ان نسبة الاضلال للاصنام مجاز لانها سبب في الضلال بسبب عبادتها (قوله فانه مني) أى من أهل ديني (قوله هذا قبل علمه الخ) جواب عما يقال ان الله لا يغفر

على حسب مصالحكم (وان تعدوا نعمت الله) بمعنى انعامه (لا تحصوها) لا تطيقوا عدها (ان الانسان) الكافر (لظلوم كفار) كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه (و) اذكر (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) مكة (آمنا) ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم انسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه (واجنبني) بعدني (وبني عن أن نعبد الاصنام رب انهن) أى الاصنام (أضللن كثيرا من الناس) بعبادتهم لها (فمن تبعني) على التوحيد (فانه مني) من أهل ديني (ومن عصاني فانك غفور رحيم) هذا قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك (ربنا اني أسكنت من ذريتي) أى بعضها

الشرك فيكذب بقول فانك غفور رحيم وأجيب أيضا بان قوله ومن عصاني أي بغير الكفر وبأن طلب الغفران للذرية الكفار ان ماتوا على الاسلام (قوله وهو اسمعيل مع أمه هاجر) وسبب ذلك الاسكان أن هاجر كانت جارية لسارة فوهبتها لابراهيم فولدت منه اسمعيل فغارت سارة منها لانها لم تكن قد ولدت قط فانشدته بالله أن يخرجهما من عندها فأمره الله تعالى بالوحي ان ينقلها الى أرض مكة وأتى له بالبراق فركب عليه هو وهاجر والطفل فأتى من الشام ووضعهما في مكة عند البيت مكان زمزم وليس بمكة أحد ولا بناء ولا ماء ثم قام ابراهيم منطلقا فتبعته هاجر وقالت أين تذهب وتتركني بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شئ فلم يلتفت فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعني ثم رجعت فانطلق ابراهيم ثم رفع يديه الى السماء وقال ربنا انى أسكنت الخ (قوله بواد) أى في واد والوادي هو المنخفض بين الجبلين (قوله غير ذي زرع) أى لا يصلح للزرع به لكونه أرضا حجرية لا تنبت شيأ (قوله الذي كان قبل الطوفان) أشار بذلك الى أن تسميته بيتا تسمية مجاز باعتبار ما كان ويصح أن يكون مجازا باعتبار ما يؤول اليه الامر لان الله أوحى اليه وأعلمه أن هنالك بيتا محرما وأنه سيعمره (قوله ربنا) كرر النداء لان الدعاء ينبغي فيه الاطناب وكثرة الابتهال (قوله ليقيموا الصلاة) اللام لام كي متعلقة بأسكنت والمعنى أسكنتهم بهذا الوادي الخالي من كل مرتفق ليشتغلوا بأشرف العبادات في أشرف الاماكن والمراد من الدعاء باقامة الصلاة توفيقهم لادائها على الوجه الاكمل (قوله تهوى) القراء السبعة على كسر الواو أى تسرع وتطير شوقا اليهم وقرئ شذوذا بفتح الواو وخرجت على زيادة الى أى تهواهم وخص الافئدة بالذكر لان القلوب سلاطين الاعضاء فاذا حنت اليهم القلوب بعثت الاجسام قهرا (قوله تميل وتحن) أشار بذلك الى أنه ضمن تهوى معنى تميل فعداه بالى والا فهو يتعدى باللام وفي هذا دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم الله حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بميل الناس اليهم لينتفعوا وينفعوا بهم فقد جمع في هذا الدعاء بين أمر الدين والدنيا للناس ولذريته (قوله لو قال أفئدة الناس الخ) أى ولكنه لم يقل ذلك فلم يحصل لسابقة علم الله تعالى أنه لا يحن اليهم جميع الناس لوجود الكفار منهم فابراهيم دعا بما سيحصل في الخارج المطابق لما علمه الله (قوله لعلهم يشكرون) أى يصرفون النعم في مصارفها (قوله وقد فعل بنقل الطائف اليه) أى وهو قطعة من أرض الشام من مكان يقال له حوران بدلت بقطعة من الحجاز فصارت العيون والاشجار بالطائف والحجارة والحصا والقفر بأرض حوران يشاهده كل من رآه وهو اجابة قوله وارزقهم من الثمرات وأما قوله فاجعل أفئدة من الناس الخ فقد حصل مبدأ اجابته بجرهم وذلك أن ابراهيم لما وضع اسمعيل وأمه ترك معهما جرابا من تمر وسقاء من ماء فلما نفد الماء عطشت هي وولدها فصعدت على الصفا لتنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات ولذلك شرع السعي بينهما سبعا فعند ذلك جاء جبريل وضرب زمزم بجناحه فخرج الماء فجعلت تحوطه عليه وتقول زمى زمى وفي الحديث يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم لكانت عينا معينا فجعلت تشرب منه فمكثوا كذلك حتى مرت جرهم قبيلة من جرهم كانوا ذاهبين الى الشام فعطشوا فرأوا الماء عندها فقالوا لها أتأذنين لنا أن ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء فقالوا لها أتشركيننا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فلما شب اسمعيل تعلم منهم العربية وكان أنفسهم فزوجوه بامرأة منهم وماتت أمه بعد ما تزوج (قوله ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن) أى تعلم ما نسره من جميع أمورنا وما نظهره منها أو المعنى تعلم ما نخفى من الوجد لفرقة اسمعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذي زرع وما نعلن أى من قول هاجر آلله أمرك بهذا وقولى لها نعم (قوله يحتمل أن يكون) أى قوله وما يخفى على الله من شئ الخ فعلى الاول هو اعتراض بين كلامي ابراهيم وعلى الثانى فهو من وضع الظاهر موضع المضمر (قوله الحمد لله الخ) هذا قاله ابراهيم [illegible]
[illegible]

وهو اسمعيل مع أمه هاجر (بواد غير ذي زرع) هو مكة (عند بيتك المحرم) الذي كان قبل الطوفان (ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة) قلوبا (من الناس تهوى) تميل وتحن (اليهم) قال ابن عباس لو قال أفئدة الناس لحنت اليه فارس والروم والناس كلهم (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقد فعل بنقل الطائف اليه (ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من) زائدة (شئ في الارض ولا في السماء) يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام ابراهيم (الحمد لله الذي وهب لى) أعطانى (على) مع (الكبر اسمعيل) ولد وله تسع وتسعون سنة (واسحق) ولد وله مائة واثنتا عشرة سنة

(قوله ان ربي لسميع الدعاء) أي مجيبه (قوله مقيم الصلاة) أي مواظبا عليها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله واجعل من ذريتي) أشار المفسر الى أن قوله ومن ذريتي معطوف على الياء في اجعلني فيكون الفعل مسلطا عليه (قوله وتقبل دعائي) بثبوت الياء وصلا ووقفا وحذفها كذلك قراءتان سبعيتان (قوله ربنا اغفر لي) ان قلت كيف يطلب المغفرة مع أنه نبي معصوم من جميع الذنوب أجيب بأن المغفرة لاتستدعي سبق ذنب بل تكون من الطاعات كما اذا ارتقى مقاما أعلى مما كان فيه فيستغفر الله مما كان فيه على حد ماقيل في قوله صلى الله عليه وسلم انى ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة (قوله هذا قبل ان يتبين لهم عدوانهم لله) جواب عما يقال كيف ساغ لابراهيم طلب المغفرة لابويه وهما كافران (قوله وقرئ) أي شذوذا في هذه راتي بعدها وقرئ شذوذا أيضا وولدي بضم الواو وسكون اللام فالقرا آت الشواذ ثلاث والدي مفردا و ولدي بالتثنية وولدي جمع ولد (قوله يثبت) أي يوجد و يظهر وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله لايرد دعاء خليله ابراهيم ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة (قوله ولاتحسبن) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان في هذه وفي قوله الآتي فلاتحسبن الله مخلف وعده رسله وفي هذه الآية تسلية لكل مظلوم ووعيد عظيم لكل ظالم فان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فانها وان كان نزولها في حق كفار قريش الاأن المراد عمومها لكل ظالم لان كل آية وردت في الكفار فانها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين (قوله غافلا) الغفلة في الاصل معنى يعتري الانسان من قلة التحفظ وقيل معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقائق الامور وهذا المعنى في حق الله مستحيل وظنه كفر بل المراد لازم الغفلة وهو عدم المجازاة لانه يلزم من الغفلة عن الشئ تركه فالمعنى لاتحسبن الله يامخاطب تاركا مجازاة الظالمين بل مجازيهم ولابد وامهالهم مدة حلم منه وسيعذبهم منه في الآخرة لماوردالظلمة وأعوانهم كلاب النار (قوله من أهل مكة) خصهم بالذكروان كان المراد العموم لان الآية نزلت فيهم (قوله انما يؤخرهم) في معنى التعليل لقوله ولاتحسبن الله غافلا الخ والتقدير لاتظن ان الله تارك مجازاتهم ولاتحزن بتأخير العذاب لان تأخيره للتشديد والتغليظ (قوله ليوم) أي لاجل حصول يوم أو اللام بمعنى الى التي للغاية (قوله تشخص فيه الابصار) أي فلاتقر في أماكنها (قوله مسرعين) أي الى الداعي وهو اسرافيل وقيل جبريل حيث ينادي على صخرة بيت المقدس وهي أقرب موضع من الارض الى السماء يقول أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء فعند ذلك ينفخ اسرافيل في الصور (قوله حال) أي من المضاف المحذوف والتقدير تشخص فيه أبصارهم حال كون أصحاب الابصار مهطعين الخ (قوله لايرتد اليهم طرفهم) أي لاينطبق لهم جفن لعظم الهول وهو تأكيد لشخوص البصر (قوله وأفئدتهم هواء) اما مستأنف أو حال (قوله خالية من العقل لفزعهم) أي خالية من الفهم لشدة الحيرة والدهشة والمعنى أن القلوب حينئذ تكون فارغة من الادراك والفهم والابصار شاخصة والرؤس مرفوعة الى السماء من هول ذلك اليوم وشدته (قوله يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لانذر على حذف مضاف أي أنذرهم هوله وشدته (قوله فيقول الذين ظلموا) فيه اظهار في مقام الاضمار لزيادة التشنيع عليهم (قوله الى أجل قريب) أي أخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا مدة من الزمان نستدرك فيها مافات (قوله نجب دعوتك) مجزوم في جواب الامر (قوله فيقال لهم) القائل لهم الملائكة أو الله (قوله حلفتم) أي كما حكى الله عنهم ذلك في سورة النحل بقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت (قوله وسكنتم) معطوف على أقسمتم (قوله في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) المراد بمساكنهم دار الدنيا لاخصوص منازل الذين ظلموا فان كفار قريش لم يسكنوا ديار الكفار الذين هلكوا قبلهم (قوله السابقة) أي كقوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم (قوله وتبين لكم) أي ظهر لكم بحالهم (قوله من العقوبة) بيان لقوله كيف فعلنا بهم (قوله وقد مكروا) أي أهل مكة (قوله حيث أرادوا قتله الخ) أي حين اجتمعوا بدار الندوة وتشاوروا في شأنه وما تقدم ذلك في الانفال في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الخ

(ربنا وتقبل دعائي) المذكور (ربنا اغفر لي ولوالدي) هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل وقيل أسلمت أمه وقرئ والدي مفردا وولدي (وللمؤمنين يوم يقوم) يثبت (الحساب) قال تعالى (ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الكافرون من أهل مكة (انما يؤخرهم) بلا عذاب (ليوم تشخص فيه الابصار) لهول ماترى يقال شخص بصر فلان أي فتحه فلم يغمضه (مهطعين) مسرعين حال (مقنعي) رافعي (رؤسهم) الى السماء (لايرتد اليهم طرفهم) بصرهم (وأفئدتهم) قلوبهم (هواء) خالية من العقل لفزعهم (وأنذر) خوف يامحمد (الناس) الكفار (يوم يأتيهم العذاب) هو يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) كفروا (ربنا أخرنا) بأن تردنا الى الدنيا (الى أجل قريب نجب دعوتك) بالتوحيد (ونتبع الرسل) فيقال لهم توبيخا (أولم تكونوا أقسمتم) حلفتم (من قبل) في الدنيا (مالكم من) زائدة (زوال) عنها الى الآخرة (وسكنتم) فيها (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر من الامم السابقة (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) من العقوبة فلم تنزجروا (وضربنا) بينا (لكم الامثال) في القرآن فلم

تعتبروا (وقد مكروا) بالنبي صلى الله عليه وسلم (مكرهم) حيث أرادوا قتله أو تقييده أو اخراجه

(قوله ما كان) فسر ان بما لأن اللام فى لتزول لام الجحود وهى لا تقع الا بعد كون منفى بما أو لم (قوله لا يعبأ به) أى لا يلتفت اليه (قوله والمراد بالجبال هنا) أى ففيها قولان قيل المراد حقيقتها وقيل شرائع الاسلام فهى مستعملة فى مجازها (قوله فى القرار والثبات) هذا هو وجه الشبه بينهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فان مخففة) أى واللام فى لتزول فارقة (قوله والمراد تعظيم مكرهم) أى على هذه القراءة الثانية فتحصل ان المعنى على القراءة الاولى ما كان مكرهم مزيلا للجبال لضعفه وعدم العبرة به وعلى الثانية والحال ان مكرهم لتزول منه الجبال لعظمه وشدته والمكر على القراءتين قيل تشاورهم فى شأن النبى وقيل كفرهم ولكن القول الثانى يوافق القراءة الثانية بدليل آية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا (قوله وعلى الاولى) أى القراءة الاولى وهى النافية (قوله ما قرئ) أى الذى قرئ وهى قراءة شاذة (قوله فلا تحسبن الله) هذا مفرع على قوله ولا تحسبن الله غافلا وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتهديد للظالمين (قوله مخلف وعده رسله) القراءة السبعية باضافة مخلف الى وعده ورسله بالنصب وقرئ شذوذا باضافته الى رسله ونصب وعده فيكون قد فصل بين المتضايفين بالمفعول وهذا نظير قراءة ابن عامر فى الانعام قتل أولادهم شركائهم (قوله اذكر) قدره اشارة الى أن قوله يوم ظرف معمول لمحذوف ويصح أن يكون معمولا لقوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ويصح أن يكون بدلا من يوم الاول فى قوله يأتيهم العذاب (قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) اختلف المفسرون فى هذا التبديل فقيل المراد تبديل صفاتهما فتسوى الجبال وتقلع الاشجار وتنشق الانهار وتذهب الكواكب من السموات وتكسف شمسها ويخسف قمرها وقيل تبدل ذاتهما فتبدل الارض بأرض نقية بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم وتبدل السموات بسماء من ذهب وعلى هذا القول فالخلائق يكونون قيل على الصراط وما زاد منهم يكون على متن جهنم وقيل يكونون فى ظلمة قبل الحشر وقيل على أكف ملائكة سماء الدنيا وجمع بين القولين بأن تبديل الصفات يكون أولا قبل نفخة الصعق وتبديل الذات يكون بعد النفخة الثانية (قوله فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية) أى ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس والضحاك أن الخلائق اذا جمعوا فى صعيد واحد الاولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله ملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم فيأخذ كل واحد منهم انسانا وشخصا من المبعوثين انسا وجنا ووحشا وطيرا ويحولوهم الى الارض التى تبدل وهى أرض بيضاء من فضة نورانية وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فاذا هم أكثر من أهل الارض بعشر مرات ثم ان الله يأمر ملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم حلقة واحدة واذا هم مثلهم عشرين مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذا هم مثلهم ثلاثين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس فى العرق على أنواع مختلفة الى الاذقان والى الصدور والى الحقوين والى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد فى الحمام ومنهم من يصيبه البلل كالعاطش اذا شرب الماء وكيف لا يكون القلق والعرق والارق وقد قربت الشمس من رؤسهم حتى لو مد أحدهم يده لنالها وتضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض كهيئتها يوم القيامة لاحترقت الارض وذاب الصخر ونشفت الانهار (قوله وبرزوا) عطف على تبدل فهو بمعنى المضارع أى يوم تبدل الارض وتبرز الخلائق (قوله وترى) معطوف على تبدل أيضا (قوله مشدودين مع شياطينهم) أى فيجمع أيديهم وأرجلهم فى أعناقهم ويقرن كل واحد مع شيطانه الذى كان معه فى الدنيا (قوله فى الاصفاد) جمع صفد بفتحتين وهو القيد

(وعند الله مكرهم) أى علمه أو جزاؤه (وان) ما (كان مكرهم) وان عظم (لتزول منه الجبال) المعنى لا يعبأ به ولا يضر الا أنفسهم والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الاسلام المشبهة بها فى القرار والثبات وفى قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فان مخففة والمراد تعظيم مكرهم وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وعلى الاولى ما قرئ وما كان (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) بالنصر (ان الله عزيز) غالب لا يعجزه شئ (ذو انتقام) ممن عصاه اذكر (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات) هو يوم القيامة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما فى حديث الصحيحين وروى مسلم حديث سئل صلى الله عليه وسلم أين الناس يومئذ قال على الصراط (وبرزوا) خرجوا من القبور (لله الواحد القهار وترى) يا محمد تبصر (المجرمين) الكافرين (يومئذ مقرنين) مشدودين مع شياطينهم (فى الاصفاد) القيود

والاغلال (سرابيلهم) قمصهم (من قطران) لانه أبلغ لاشتعال النار (وتغشى) تعلو (وجوههم النار ليجزي) متعلق ببرزوا (الله كل نفس ما كسبت) من خير وشر (ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (هذا) القرآن (بلاغ للناس) أي أنزل لتبليغهم (ولينذروا به وليعلموا) بما فيه من الحجج (أنما هو) أي الله (اله واحد وليذكر) بادغام التاء في الاصل في الذال يتعظ (أولو الالباب) أصحاب العقول

﴿ سورة الحجر مكية تسع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) هذه الآيات (آيات الكتاب) القرآن والاضافة بمعنى من (وقرآن مبين) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة (ربما) بالتشديد والتخفيف (يود) يتمنى (الذين كفروا) يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين (لو كانوا مسلمين) ورب للتكثير فانه يكثر منهم تمنى ذلك وقيل للتقليل فان الاهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك الا في أحيان قليل (ذرهم) اترك الكفار يا محمد (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم) يشغلهم (الامل) بطول العمر وغيره عن الايمان (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم وهذا قبل الامر بالقتال (وما أهلكنا من) زائدة (قرية) أريد أهلها (الا ولها كتاب) أجل (معلوم) محدود لاهلاكها (ما تسبق من) زائدة (أمة أجلها وما يستأخرون) يتأخرون عنه (وقالوا) أي كفار مكة للنبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) القرآن في زعمه (انك لمجنون)

(قوله والاغلال) جمع غل بالضم وهو طوق من حديد (قوله سرابيلهم من قطران) أي جلودهم تطلى بالقطران حتى يكون الطلاء كالقميص (قوله وتغشى وجوههم) أي وقلوبهم (قوله متعلق ببرزوا) أي وما بينهما اعتراض (قوله في قدر نصف نهار) أي لكل واحد يرى أنه يحاسب وحده (قوله هذا بلاغ للناس) في هذه الآية من المحسنات البديعية رد العجز على الصدر فقد افتتحت هذه السورة بقوله كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور (قوله لتبليغهم) أي توصيلهم الى ما فيه صلاحهم ورشدهم

﴿ سورة الحجر مكية ﴾

أي باجماع وسميت بالحجر لذكره فيها وهو واد بين المدينة والشام وستأتي قصة أصحابه (قوله الله أعلم بمراده) تقدم أن هذا هو التحقيق عند ذوي التحقيق (قوله هذه الآيات) أي آيات السورة (قوله والاضافة بمعنى من) أي لان الآيات بعض الكتاب (قوله عطف) أي مرادف وانما سوغه وحسنه تغاير اللفظ وزيادة الصفة في المعطوف فحينئذ يؤخذ من الآية أنه كما يسمى كتابا يسمى قرآنا (قوله بزيادة صفة) أي وهي قوله مبين (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان ولغتان في رب (قوله الذين كفروا) أي من أهل مكة وغيرهم (قوله اذا عاينوا حالهم) أي من العذاب (قوله وحال المسلمين) أي من النعيم المقيم (قوله لو كانوا مسلمين) يصح في لو أن تكون امتناعية وجوابها محذوف تقديره لسروا بذلك أو مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر معمول ليود والتقدير ربما يود الذين كفروا كونهم مسلمين (قوله ورب للتكثير) أي وما كافة لها عن الجر ان قلت ان رب اذا دخلت عليها ما الكافة اختصت بالفعل الماضي وهنا قد دخلت على المضارع أجيب بأن المضارع بالنسبة لعلم الله واقع ولا شك فلا تفاوت بين ماض ومستقبل بالنسبة لعلمه تعالى وانما ذلك بالنظر لعقولنا (قوله وقيل للتقليل) أي باعتبار الاوقات التي يفيقون فيها من الدهشة فالكفار من شدة الهول يدهشون فلا يفيقون الا في بعض الاوقات فاذا أفاقوا كثر منهم التمني (قوله ذرهم) لم يستعمل لهذا الامر ماض استغناء عنه بترك بل يستعمل منه المضارع وقد جاء منه الماضي قليلا قال عليه الصلاة والسلام ذروا الحبشة ما وذرتكم (قوله يأكلوا) مجزوم بحذف النون في جواب الامر وكذا قوله ويتمتعوا (قوله ويلههم) مجزوم أيضا بحذف الياء وفيه ثلاث قراآت سبعية كسر الهاء الثانية والميم وضمهما وكسر الهاء وضم الميم وأما الهاء الاولى فمكسورة لا غير لانها من بنية الكلمة (قوله الامل) فاعل يلههم (قوله عاقبة أمرهم) قدره اشارة الى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أي قوله ذرهم الخ فهذه الآية منسوخة بآية القتال (قوله زائدة) أي في المفعول (قوله أريد أهلها) أي ففيه مجاز اما بالحذف أو مرسل من اطلاق المحل وارادة الحال فيه (قوله الا ولها كتاب معلوم) الجملة حالية والمعنى وما أهلكنا قرية في حال من الاحوال الا في حال أن يكون لها كتاب أي أجل مؤقت لهلاكها وجعل الواو حالية أسهل من جعلها زائدة بين الصفة والموصوف (قوله من أمة) فاعل تسبق ومن زائدة في الفاعل للتأكيد (قوله أجلها) أي وهو الكتاب المتقدم (قوله يستأخرون عنه) أي الاجل (قوله وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر) نادوه صلى الله عليه وسلم بذلك على سبيل التهكم والاستهزاء لا اقرارا بأنه نزل عليه الذكر ولذا قال المفسر في زعمه فدفع به ما قد يقال ان في الآية مضاربة أولها لآخرها (قوله انك لمجنون) أي انك لتقول قول المجانين حيث تدعي أن الله نزل عليك الذكر وقولهم هذا كقول فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون والحاصل أنهم قالوا مقالتين الاولى يا أيها الذي نزل عليه الذكر والثانية لوما تأتينا بالملائكة وقد رد الله ذلك على سبيل اللف والنشر المشوش فقوله ما ننزل الملائكة رد للثانية وقوله انا نحن نزلنا الذكر رد

لوما) هلا (تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) فى قولك انك نبى وان هذا القرآن من عند الله قال تعالى (ما ننزل) فيه حذف احدى التاءين (الملائكة الا بالحق) بالعذاب (وما كانوا اذا) أى حين نزول الملائكة بالعذاب (منظرين) مؤخرين (انا نحن) تأكيد لاسم ان أو فصل (نزلنا الذكر) القرآن (وانا له لحافظون) من التبديل والتحريف والزيادة والنقص (ولقد أرسلنا من قبلك) رسلا (فى شيع) فرق من (الاولين وما) كان (يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (كذلك نسلكه) أى مثل ادخالنا التكذيب فى قلوب أولئك ندخله (فى قلوب المجرمين) أى كفار مكة (لا يؤمنون به) بالنبى صلى الله عليه وسلم (وقد خلت سنة الاولين) أى سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه) فى الباب (يعرجون) يصعدون (لقالوا انما سكرت) سدت (أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) يخيل الينا ذلك (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) اثنى عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهى منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان

للاولى (قوله لوما تأتينا) تستعمل لوما حرف تحضيض وحرف امتناع لوجود فالتحضيضية لا يليها الا الفعل ظاهرا أو مضمرا والامتناعية لا يليها الا الاسماء لفظا أو تقديرا اذا علمت ذلك فهى هنا التحضيضية ولذا فسرها بهلا (قوله بالملائكة) أى لتخبرنا بصدقك (قوله فيه حذف احدى التاءين) أى والاصل تتنزل وفى قراءة سبعية أيضا ننزل بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الزاى المشددة ونصب الملائكة على المفعولية وقرئ شذوذا ما تنزل بفتح التاء وسكون النون وكسر الزاى والملائكة فاعل (قوله الا بالحق) أى الا تنزيلا ملتبسا بالحق لا بما قلتم واقترحتم والمعنى جرت عادة الله فى خلقه أنه لا يظهر الملائكة الا لمن يريد اهلاكهم وهو لا يريد ذلك مع أمته صلى الله عليه وسلم لعلمه ببقائها وانه يخرج منها من يعبد الله ويوحده الى يوم القيامة فهم لا يجابون لما اقترحوا (قوله وما كانوا اذا منظرين) أصل اذن اذ بمعنى حين فضمت لها أن فصار اذان فاستثقلوا الهمزة فحذفوها فصار اذن ومجىء لفظة ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ كان ما طلبوه الخ (قوله انا نحن نزلنا الذكر) أى وليس انزاله بزعمك كما اعتقدوا (قوله أو فصل) أى ضمير فصل واعترض بأن ضمير الفصل لا يكون الا ضمير غيبة ولا يقع الا بين اسمين وهنا ليس كذلك وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقتصر على الاول (قوله وانا له لحافظون) أى حيث جعلناه معجزا للبشر مغايرا لكلامهم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه باق على ممر الدهور رسما وقد جعل الله له خدمة من البشر يحفظونه فترى الكبير العظيم اذا غلط وهو يقرأ يرده أصغر صغير فى المجلس مع عدم العيب فى ذلك بخلاف الكتب السماوية فقد دخل فيها التبديل والتغيير والزيادة والنقص ومن معنى هذه الآية قوله تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث الآية (قوله ولقد أرسلنا) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله رسلا) قدره اشارة الى أن مفعول أرسلنا محذوف وعدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر وقيل لا يعلم عدتهم الا الله تعالى (قوله فى شيع) جمع شيعة والمراد بها هنا الفرقة المتفقة فى مذهب كان حقا أو باطلا واضافة شيع للاولين على حذف مضاف أى فى شيع الامم الاولين (قوله وما يأتيهم) قدر المفسر كان اشارة الى أن المضارع بمعنى الماضى وأتى به مضارعا استحضارا للحال الماضية للتعجب منها (قوله يستهزؤن) أى يسخرون (قوله وهذا تسلية له) أى فاصبر ولا تحزن فلست بأول من سخر به قومه بل وقع لمن قبلك مثلك (قوله كذلك نسلكه) السلك بالفتح ادخال الخيط فى اللؤلؤة وبالكسر نفس الخيط (قوله أى مثل ادخالنا التكذيب) أى الذى دل عليه بقوله يستهزؤن (قوله وقد خلت سنة الاولين) أى طريقتهم والجملة مستأنفة (قوله وهؤلاء مثلهم) أى فانتظر ما نزل بالمكذبين من العذاب (قوله ولو فتحنا عليهم) أى على كفار مكة (قوله فظلوا) الضمير اما عائد على المشركين والمعنى لو فتحنا بابا السماء لهؤلاء المشركين وصعدوا الى السماء ورأوا عجائبها لقالوا الخ أو على الملائكة والمعنى لو كشفنا عن أبصار الكفار فرأوا باب السماء مفتوحا والملائكة تصعد منه لما آمنوا (قوله انما سكرت) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله سدت) أى فيقال سكرت النهر من باب قتل سددته والسكر بالكسر ما يسد به والمعنى سدت أبصارنا عن شهود أشيائنا المعتادة بتلك التخيلات (قوله بل نحن قوم مسحورون) اضراب انتقالى عما أفاده أولا من خصوص سحر العين بالحصر والمعنى أنهم يقولون انما سدت أبصارنا تخييل لها أمرا لا حقيقة له ولم يتجاوزها لقلوبنا ثم أضربوا عن ذلك وجعلوا السحر واصلا لقلوبهم (قوله ولقد جعلنا فى السماء بروجا) هذا من أدلة توحيده سبحانه وتعالى والبروج جمع برج والمراد منازل وطرق تسير فيها الكواكب السبعة (قوله اثنى عشر برجا) أى وقد جمعها بعضهم فى قوله

حمل الثور جوزة السرطان ✲ ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدى ✲ نزح الدلو بركة الحيتان

(قوله وهى منازل الكواكب) أى محل سيرها (قوله المريخ) بكسر الميم نجم فى السماء الخامسة وقد جمع الكواكب بعضهم فى قوله

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

فزحل فى السماء السابعة والمشترى فى السادسة والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الاولى وهى سماء الدنيا (قوله والشمس ولها الاسد) أى بيتها المنسوب لها فلا ينافى أنها تسير فى البروج كلها المنقسمة ثمان وعشرين منزلة لكل برج منزلتان وثلث وتقطعها الشمس فى سنة والقمر فى شهر وقد جعل الله بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالاكل والشرب يوجد النفع عندها لا بها فهى أسباب عادية (قوله وزيناها بالكواكب) أى جعلنا الكواكب زينة للسماء وهل الكواكب فى السماء الدنيا أو ثوابت فى العرش قولان للعلماء (قوله الناظرين) أى المتأملين بابصارهم وبصائرهم (قوله وحفظناها) أى السماء (قوله من كل شيطان رجيم) أى وذلك لان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات فيدخلونها ويأتون باخبارها الى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات ولما ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها ولما بعث رميت عليهم الشهب فكانت تخطئ وتصيب فلما عرج به صلى الله عليه وسلم صارت لا تخطئهم أبدا (قوله الا من استرق السمع) استثناء منقطع لان ما قبل الاستثناء دخولهم السماء وما بعده استراقهم من خارجها والمعنى ان الشياطين يركب بعضهم بعضا يريدون الاستراق فتكون الشهب بالمرصاد لهم كما صرحت به سورة الجن فى قوله وانا كنا نقعد منها الخ (قوله كوكب مضيء) وقيل الشهاب شعلة نار تنفصل من الكوكب وهو الصحيح (قوله أو يخبله) أى يفسد أعضاءه فيصير غولا فى الوادى يضل الناس (قوله والارض مددناها) الارض منصوب بفعل محذوف يفسره مددناها (قوله بسطناها) أى على الماء (قوله لئلا تتحرك باهلها) أى لان الله لما خلقها وبسطها على الماء تحركت واضطربت فثبتها بالجبال الرواسى فسكنت (قوله معلوم) أى لله فيعلم قدر ما يحتاج اليه الخلق فى معاشهم (قوله معايش) جمع معيشة وهى ما يعيش به الانسان من الاكل والمشرب والملبس وغير ذلك (قوله بالياء) أى باتفاق السبعة لانها فى المفرد أصلية فلا تقلب فى الجمع همزة بل تبقى على حالها بخلاف المدة الزائدة فى المفرد فانه يقلب همزة فى الجمع قال ابن مالك

والمد زيد ثالثا فى الواحد * همزا يرى فى مثل كالقلائد

وقرئ شذوذا بالهمز على التشبيه بشمائل (قوله ومن لستم له برازقين) مشى المفسر على انه معطوف على معايش حيث قدر قوله وجعلنا لكم (قوله من العبيد) أى والخدم وغيرهم فانتم تنتفعون بتلك الاشياء ولستم رازقين لها وانما رزقها على خالقها (قوله وان من شئ الا عندنا خزائنه) كالدليل لقوله وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين فهو اعلام بسعة فضله سبحانه وتعالى وقوله شئ نكرة فى سياق النفى فتعم كل شئ كان فى الدنيا أو الآخرة جليلا أو حقيرا (قوله الا عندنا خزائنه) أى الا يوجده الله اذا تعلقت قدرته وارادته به ففى الكلام مجاز حيث شبه سرعة ايجاده الاشياء بحصولها بالفعل وجعلها فى خزائن والجامع بينهما سرعة الحصول فى كل فالمعنى بيده الاشياء كلها خيرها وشرها جليلها وحقيرها فاذا أراد الله شيأ حصل فلا يطلب الانسان من غيره بل يطلب المفاتيح ممن بيده الخزائن والمفاتيح كناية عن التسهيل فمن أراد الله له شيأ أعطاه مفاتحه بمعنى سهل أسبابه (قوله الا بقدر معلوم) أى فيسعد هذا ويشقى هذا ويفقر هذا ويغنى هذا على حسب ما قدره الله اذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول على حسب تقدير الله فان الله تعالى ليس مراده مقيدا بمصالح عباده بل أفعاله على حسب ما أراده وعلمه والا فنجد الكافر يطول عمره وهو فى فقر ومرض ثم يختم له بالكفر ويكون فى النار فاى مصلحة فى ذلك (قوله وأرسلنا الرياح) جمع ريح وهو جسم لطيف منبث فى الجو سريع المرور (قوله لواقح) اما جمع ملقح من ألقح وحينئذ فجمعه ملاقح حذفت الميم تخفيفا أو جمع لاقح من لقح يقال لقحت الريح اذا حملت الماء الى السحاب واعلم ان الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح الاربعة لفائدة المطر فريح الصبا تثير السحاب من تحت شجرة فى الجنة وريح الشمال تجمعه وريح الجنوب

والشمس ولها الاسد والمشترى وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو (وزيناها) بالكواكب (للناظرين وحفظناها) بالشهب (من كل شيطان رجيم) مرجوم (الا) لكن (من استرق السمع) خطفه (فأتبعه شهاب مبين) كوكب يضئ يحرقه أو يثقبه أو يخبله (والارض مددناها) بسطناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت لئلا تتحرك باهلها (وأنبتنا فيها من كل شئ موزون) معلوم مقدر (وجعلنا لكم فيها معايش) بالياء من الثمار والحبوب (و) جعلنا لكم (من لستم له برازقين) من العبيد والدواب والانعام فانما يرزقهم الله (وان) ما (من) زائدة (شئ الا عندنا خزائنه) مفاتيح خزائنه (وما ننزله الا بقدر معلوم) على حسب المصالح (وأرسلنا الرياح لواقح)

تلقح السحاب فيمتلئ ماء (فأنزلنا من السماء) السحاب (ماء) مطرا (فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) أي ليست خزائنه بأيديكم (وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون) الباقون نرث جميع الخلق (ولقد علمنا المستقدمين منكم) أي من تقدم من الخلق من لدن آدم (ولقد علمنا المستأخرين) المتأخرين إلى يوم القيامة (وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم) في صنعه (عليم) بخلقه (ولقد خلقنا الإنسان) آدم (من صلصال) طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر (من حمأ) طين أسود (مسنون) متغير (والجان) أبا الجن وهو ابليس (خلقناه من قبل) أي قبل خلق آدم (من نار السموم) هي نار لا دخان لها تنفذ في المسام (و) اذكر (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته) أتممته (ونفخت) أجريت (فيه من روحي) فصار حيا وإضافة الروح إليه تشريفا لآدم (فقعوا له ساجدين) سجود تحية بالانحناء (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) فيه تأكيدان (إلا إبليس) هو أبو الجن كان بين الملائكة (أبى) امتنع من (أن يكون مع الساجدين قال) تعالى (يا إبليس ما لك) ما منعك (أن لا) زائدة (تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد)

تدره وريح الدبور تفرقه (قوله تلقح السحاب) أي تجمع الماء فيه (قوله السحاب) أي فالمراد بالسماء كل ما علا وارتفع ويصح أن يراد بالسماء حقيقتها لأن أصل ماء المطر من السماء (قوله فأسقيناكموه) الكاف مفعول أول والهاء مفعول ثان والمعنى جعلناه سقيا لكم ولارضكم ومواشيكم (قوله أي ليست خزائنه بأيديكم) أي بل خزائنه عند الله فهو من مشمولات قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه (قوله وإنا لنحن نحيي) أي جميع الخلق وإن حرف توكيد ونصب ونا اسمها وجملة نحيي خبرها وقوله لنحن ضمير منفصل توكيد لنا لا ضمير فصل لما تقدم أنه مردود بأن ضمير الفصل لا يقع إلا بين اسمين وهنا ليس كذلك (قوله ونحن الوارثون) الوارث في الأصل هو الذي يأخذ المال بعد موت مورثه ثم أطلق الإرث وأريد لازمه وهو البقاء بعد فناء غيره فإنه يلزم من أخذ الوارث مال المورث بقاؤه بعد موت صاحبه فهو سبحانه وتعالى وارث جميع الخلق بمعنى أنه يبقى بعد فنائهم (قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم) أي علما تفصيليا لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء (قوله المتأخرين) أشار بذلك إلى أن السين والتاء في المستقدمين والمستأخرين زائدتان والمعنى أن علمه محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم وطائعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه (قوله وإن ربك هو يحشرهم) أي يجمعهم للحساب ثم بعد ذلك ينقسمون فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير (قوله من صلصال) الصلصال بمعنى المصلصل كالزلزال بمعنى المزلزل ووزنه فعلال بتكرار اللام فقلبت الأولى منهما من جنس فاء الكلمة والصلصال طور رابع من أطوار آدم الطينية لأنه أولا كان ترابا ثم عجن بأنواع المياه فصار طينا ثم ترك حتى أنتن واسود فصار حمأ مسنونا ثم يبس بعد تصويره فصار صلصالا ثم نفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين سنة أربعين وهو طين وأربعين وهو حمأ مسنون وأربعين وهو صلصال مصور وهكذا أطوار أولاد آدم تمكث النطفة في الرحم أربعين يوما ثم تصير علقة مثل ذلك ثم تصير مضغة مثل ذلك ثم تنفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين يوما (قوله متغير) أي من طول مكثه حتى يتخمر (قوله أبا الجن وهو إبليس) هذا أحد قولين وقيل هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد والجان هو أبو الجن وعلى هذا تكون الأصول ثلاثة آدم وهو أبو البشر وإبليس وهو أبو الشياطين والجان وهو أبو الجن وعلى ما مشى عليه المفسر يكونان أصلين فقط آدم وإبليس (قوله هي نار لا دخان لها) أي ومنها تكون الصواعق (قوله تنفذ في المسام) أي تدخل فيها للطف المسام وشدة حرارة النار فإذا دخلت في الإنسان قتلته (قوله وإذ قال ربك) إذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله من صلصال) من لابتداء الغاية (قوله فإذا سويته) أي صورته إنسانا كاملا معتدل الأعضاء والطبائع (قوله ونفخت فيه من روحي) أي أفضت عليه روحا من الأرواح التي خلقتها فصار بها حيا وليس المراد النفخ حقيقة لاستحالته على الله (قوله وإضافة الروح إليه) أي كما يقال بيت الله وناقة الله (قوله فقعوا) الفاء واقعة في جواب إذا وقعوا فعل أمر من وقع يقع بمعنى سقط وخر (قوله بالانحناء) أي لا بوضع الجبهة وهذا أحد قولين وقيل المراد بالسجود حقيقته وآدم كالقبلة والسجود لله أو يقال إن السجود لذات آدم وقولهم السجود لغير الله كفر محله في غير ما أمر الله به وأما في مثل هذا فالكفر في المخالفة (قوله فيه تأكيدان) أي للمبالغة وزيادة الاعتناء فبالتأكيد الأول اندفع توهم المجاز وبالثاني استفيد أنهم سجدوا جملة واحدة (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى صحة الاستثناء ثم هو يحتمل أن يكون منقطعا لأنه لم يكن منهم حقيقة أو متصلا باعتبار أنه كان متصفا بصفاتهم وقيل إنه منهم والتحقيق خلافه (قوله أبى أن يكون مع الساجدين) استئناف مبين لكيفية عدم السجود (قوله قال تعالى) إن قلت إن مكالمة الله تعالى بدون واسطة تشريف وتعظيم وإبليس ليس من أهل ذلك أجيب بأن محل كونها تشريفا إن كانت على سبيل الإكرام وأما كلام الله لإبليس فهو على سبيل الإهانة والطرد فلم يكن تشريفا (قوله ما منعك الخ) حمله على هذا التفسير قوله في الآية الأخرى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ولذا قال لا زائدة ويصح أن تكون غير زائدة

زائدة والمعنى أى شئ ثبت لك فى عدم كونك مع الساجدين (قوله لا ينبغى لى) أى لا يصح ولا يليق (قوله لبشر خلقته الخ) أى وخلقتنى من نار فأنا خير منه لان النار جسم لطيف نورانى والصلصال جسم كثيف ظلمانى والنورانى خير من الظلمانى هذا وجه تكبره عن السجود وادعائه الخيرية وهى مردودة بان آدم مركب من العناصر الاربع بخلاف ابليس وأيضا فالفضل بيد الله يعطيه لمن يشاء (قوله وقيل من السموات) وهذا الخلاف مرتب على الخلاف فى ان السجود لآدم هل كان فى الجنة أو خارجها فمن قال بالاول جعل الضمير فى منها عائدا على الجنة ومن قال بالثانى جعله عائدا على السموات (قوله فانك رجيم) أى مرجوم والرجم كما فى القاموس اللعن والشتم والطرد والهجران (قوله الى يوم الدين) أى وبعد ذلك يزداد عذابا على اللعنة التى هو فيها (قوله الى يوم يبعثون) قصد اللعين بذلك انه لا يموت أبدا لانه اذا أمهل الى يوم البعث الذى هو يوم النفخة الثانية فقد أمهل الى الابد لانقطاع الموت حينئذ وقصد أيضا الفسحة فى الاجل لاجل الاغواء فاجابه الله الى الثانية دون الاولى (قوله وقت النفخة الاولى) أى فيموت فى جملة الخلائق ثم يبعث مع الناس فمدة موته أربعون سنة ولم يكن هذا الامهال اكراما له بل اهانة وشقاوة ليزداد عذابه (قوله والباء للقسم) وقيل السببية (قوله لازينن لهم) الضمير عائد على أولاد آدم وان لم يتقدم لهم ذكر للعلم بهم (قوله المخلصين) أى الذين أخلصوا فى أعمالهم فلا تسلط لى عليهم (قوله قال هذا صراط على مستقيم) أى هذا دين مستقيم لا اعوجاج فيه فعلى حفظه تفضلا واحسانا (قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) حاصل ذلك أن ابليس لما قال لازينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين أوهم بذلك أن له سلطانا على غير المخلص فبين تعالى أنه ليس له سلطان على أحد من العباد لا من المخلصين ولا من غيرهم بل من اتبعه فهو من طرده الله له لا من سلطنة ابليس ويؤيده قوله فى الآية الاخرى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وتقييد المفسر بالمؤمنين نظرا للصورة (قوله لكن) أشار بذلك الى ان الاستثناء منقطع (قوله لها سبعة أبواب) أى وأعلاها جهنم وهى لعصاة المؤمنين ثم لظى لليهود ثم الحطمة للنصارى ثم السعير للصابئين ثم سقر للمجوس ثم الجحيم لعباد الوثن ثم الهاوية للمنافقين (قوله لكل باب) أى طبقة من أطباقها (قوله جزء مقسوم) أى حزب معد لها (قوله ان المتقين) أى الذين اتقوا الشرك وهم المؤمنون ولو عصاة لان المتقى هو الآتى بالتقوى ولو مرة واحدة غير أن العاصى اذا مات مصرا على المعاصى تحت المشيئة ان شاء الله عذبه مدة ثم يعفو عنه بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وان شاء لم يعذبه وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وقال أبو هاشم الجبائى وجمهور المعتزلة ان المتقين هم الذين اتقوا جميع المعاصى فلا يثبت دخول الجنة الا لمن ترك جميع المعاصى وهذا مذهب باطل لمخالفته النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والذى يجب الايمان به أن الجنة تملك بالموت على كلمة التوحيد ولو بها أمثال الجبال من المعاصى غير أن أهل الجنة مراتب (قوله وعيون) يحتمل أن المراد بها الانهار التى قال الله فيها مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية ويحتمل أن تكون زيادة عليها وهل كل مؤمن له عدة بساتين وعدة أنهار أو كل له بستان ونهر لمقابلة الجمع بالجمع (قوله ويقال لهم) أى اذا أرادوا الانتقال من محل الى آخر والا فهم مستقرون فيها فأمرهم حينئذ بالدخول تحصيل حاصل والقائل يحتمل أن يكون الملائكة أو الله تعالى (قوله بسلام) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الواو فى ادخلوها أى ادخلوها حال كونكم مصحوبين بسلامة من الله من جميع المخاوف والمكاره وهذا على المعنى الاول الذى ذكره المفسر ويقال على المعنى الثانى ادخلوها مصحوبين بسلام من بعضكم لبعض ومن الملائكة أى يسلم بعضكم على بعض وتسلم الملائكة عليكم (قوله أى سلموا) تفسير للمعنى الثانى (قوله آمنين) قدر المفسر ادخلوا اشارة الى أنه حال ثانية وهى مرادفة للاولى ولا حاجة لهذا التقدير (قوله من كل فزع) أى وممن زوال ما هم فيه من النعيم المقيم وقوله بسلام آمنين [illegible] ... الى الجنة لان النعيم اذا لوحظ فيه عدم الانقطاع كان فى غاية السرور ولا شك أن [illegible] ... الا فى الدنيا فان ... الانقطاع ... كانت ... هم ...

لا ينبغى لى أن أسجد (لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السموات (فانك رجيم) مطرود (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) الجزاء (قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون) أى الناس (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وقت النفخة الاولى (قال رب بما أغويتنى) أى باغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لازينن لهم فى الارض) المعاصى (ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين) أى المؤمنين (قال) تعالى (هذا صراط على مستقيم) وهو (ان عبادى) أى المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) قوة (الا) لكن (من اتبعك من الغاوين) الكافرين (وان جهنم لموعدهم أجمعين) أى من تبعك معك (لها سبعة أبواب) أطباق (لكل باب) منها (منهم جزء) نصيب (مقسوم ان المتقين فى جنات) بساتين (وعيون) تجرى فيها ويقال لهم (ادخلوها بسلام) أى سالمين من كل مخوف أو مع سلام أى سلموا وادخلوا (آمنين) من كل فزع (ونزعنا ما فى صدورهم

(قوله من غل) الغل هو أمراض القلب كالحسد والكبر والعجب والشحناء والبغضاء روي أن المؤمنين يوقفون على باب الجنة وقفة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد فهم يحبون بعضهم بحبهم لربهم وشأن المحب أن لا يكون لمحبوبه غل في قلبه بل بينهم الصفاء والوفاء (قوله حال من هم) أي من ضمير صدورهم المضاف إليه والشرط موجود لأن المضاف جزء المضاف إليه أو المعنى ونزعنا ما في صدورهم من غل حال كونهم متآخين في المودة والمحبة (قوله على سرر) جمع سرير وهو كما قال ابن عباس من ذهب مكلل بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية (قوله حال أيضا) أي من الضمير في اخوانا (قوله لدوران الأسرة بهم) أي أنهم إذا اجتمعوا وتلاقوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم بحيث يبقى مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفاه إلى الجهة التي يسير لها السرير وهذا أبلغ في الأنس والإكرام (قوله لا يمسهم فيها نصب) أي إعياء بخلاف الدنيا ففيها الإعياء والتعب والكدرات والمشقات (قوله وما هم منها بمخرجين) أي بل هم خالدون فيها لا يزولون ولا يتحولون فالجنة خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان (قوله نبئ عبادي الخ) أي أخبر يا محمد عبادي المؤمنين العاصين بأني أنا الغفور الرحيم فلا يقنطون من رحمتي ولا يخافون عذابي وهذا من الله تعطف لعباده واستجلاب لهم للتوبة وقد أكد هذه الجملة بألفاظ ثلاثة أولها أني وثانيها أنا وثالثها تعريف الجملة بأل ولما ذكر العذاب لم يقل وأني أنا المعذب وهذا يدل على أن الرحمة تغلب الغضب فلا يستبعد العاصي رحمة الله بل يقبل على سيده بالتوبة والإنابة فإنه هو الغفور الرحيم فمتى كان في العبد أوصاف متعددة تقتضي الغضب ووصف واحد يقتضي الرحمة فإن وصف الرحمة يغلب (قوله وأن عذابي هو العذاب الأليم) أتى بهذه الآية لمناسبة ذكر النار أولا فقد ذكر النار والجنة ثم ذكر ما يناسب كلا على سبيل اللف والنشر المشوش واستفيد من هذه الآية أن العبد يكون بين الرجاء والخوف في الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال بلغنا عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم العبد قدر عفو الله ما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه إلى قتلها وعنه صلى الله عليه وسلم أنه مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون وبين أيديكم النار فنزل نبئ عبادي الخ (قوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم) معطوف على قوله نبئ عبادي الخ والمعنى وأخبر عبادي عن قصة ضيوف ابراهيم الخ واعلم أنه في هذه السورة أثبت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أولا ثم أتبع ذلك بذكر أدلة التوحيد ثم خلق آدم وما يتعلق به ثم بين أهل السعادة وأهل الشقاوة ثم أتبع ذلك بذكر قصص بعض الأنبياء لتكون عبرة للمعتبرين وأوقع في نفس الغافلين وقد ذكر هنا أربع قصص قصة ابراهيم ثم قصة لوط ثم قصة شعيب ثم صالح على سبيل الاختصار وقد تقدمت في سورة هود بأبسط مما هنا (قوله عن ضيف ابراهيم) الضيف في الأصل الميل سمي النازل للقرى بذلك لميله إليك ونزوله عندك وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقد يجمع ويثنى (قوله منهم جبريل) أي على كل من الأقوال الثلاثة (قوله إذ دخلوا) إذ ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر (قوله أي هذا اللفظ) أي لفظ سلاما وهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره سلمنا عليك أو سلم الله عليك سلاما ولم يذكر هنا رد السلام ولا بقية القصة اختصارا (قوله إنا منكم وجلون) تقدم أن سبب خوفه منهم أنه رأى فيهم جلال الله وهيبته (قوله قالوا لا توجل) قرأ السبعة بفتح التاء والجيم وفعله وجل كعلم وقرئ شذوذا بالبناء للمفعول وبإبدال الواو ألفا ولا تواجل بضم التاء وزيادة ألف بعد الواو فالقراءات الشاذة ثلاث (قوله أبشرتموني) هذا بهمزة الاستفهام في قراءة الجمهور وقرئ شذوذا بحذفها ويحتمل الاخبار والاستفهام محذوفة أداته [illegible] (قوله على أن مسني الكبر) أي فكان عمره إذ ذاك مائة واثني عشرة سنة
(قوله فبم تبشرون) [illegible]
وقرأ [illegible] بكسر النون [illegible]

من غل) حقد (اخوانا) حال من هم (على سرر متقابلين) حال أيضا أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم (لا يمسهم فيها نصب) تعب (وما هم منها بمخرجين) أبدا (نبئ) خبر يا محمد (عبادي أني أنا الغفور) للمؤمنين (الرحيم) بهم (وأن عذابي) للعصاة (هو العذاب الأليم) المؤلم (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي هذا اللفظ (قال) ابراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا (إنا منكم وجلون) خائفون (قالوا لا توجل) تخف (إنا) رسل ربك (نبشرك بغلام عليم) ذي علم كثير هو اسحق كما ذكر في هود (قال أبشرتموني) بالولد (على أن مسني الكبر) حال أي مع مسه إياي (فبم) فبأي شيء (تبشرون)

استفهام تعجب (قالوا بشرناك بالحق) بالصدق (فلا تكن من القانطين) الآيسين (قال ومن) أى لا (يقنط) بكسر النون وفتحها (من رحمة ربه الا الضالون) الكافرون (قال فما خطبكم) شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) كافرين أى قوم لوط لاهلاكهم (الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين) لايمانهم (الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين

فى العذاب لكفرها (فلما جاء آل لوط) أى لوطا (المرسلون قال) لهم (انكم قوم منكرون) لا أعرفكم (قالوا بل جئناك بما كانوا) أى قومك (فيه يمترون) يشكون وهو العذاب (وأتيناك بالحق وانا لصادقون) فى قولنا (فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم) امش خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم (وامضوا حيث تؤمرون) وهو الشام (وقضينا) أوحينا (اليه ذلك الامر) وهو (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) حال أى يتم استئصالهم فى الصباح (وجاء أهل المدينة) مدينة سدوم وهم قوم لوط لما أخبروا أن فى بيت لوط مردا حسانا وهم الملائكة (يستبشرون) حال طمعا فى فعل الفاحشة بهم (قال) لوط (ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون) بقصدكم اياهم بفعل الفاحشة بهم (قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن اضافتهم (قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين) ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن قال تعالى (لعمرك) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى

بكسرها مشددة (قوله استفهام تعجب) أى من أن يولد له ولد مع مس الكبر اياه وتعجبه بالنظر للعادة لا بالنظر لقدرة الله تعالى ولذا دفع ذلك بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون (قوله قالوا بشرناك بالحق) أى اليقين الذى لا لبس فيه (قوله أى لا يقنط) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله بكسر النون وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بضم النون (قوله قال فما خطبكم) أى الذى أرسلتم لاجله سوى البشارة فان البشارة يكفى فيها واحد فلا تحتاج لعدد (قوله الا آل لوط) يحتمل أن يكون مستثنى من الارسال والمعنى انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط فلم نرسل لهلاكهم بل أرسلنا لنجاتهم وحينئذ يكون الاستثناء متصلا أو مستثنى من قوم مجرمين فهو منقطع لانهم لم يدخلوا فى القوم المجرمين ويشير للثانى قول المفسر لايمانهم (قوله الا امرأته) الاقرب انه مستثنى من ضمير منجوهم (قوله قدرنا) اسناد التقدير للملائكة مجاز اذ المقدر حقيقة هو الله تعالى وهذا كما يقول خواص الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك (قوله الباقين فى العذاب) أى فيقال غبر الشئ بقى ويقال أيضا مضى فهو من الاضداد (قوله فلما جاء آل لوط) أى بعد أن خرجوا من عند ابراهيم وسافروا والقرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (قوله أى لوطا) أشار بذلك الى أن لفظة آل زائدة بدليل الآية الاخرى ولما جاءت رسلنا لوطا (قوله منكرون) أى تنكركم نفسى وتجزع منكم وانما جزع منهم لخوفه من قومه عليهم بدليل آية هود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (قوله وأتيناك بالحق) الباء للملابسة أى ملتبسين بالحق (قوله فأسر بأهلك) أى وهم بنتاه فلم يخرج من قريته الا هو وبنتاه (قوله بقطع من الليل) أى فى جزء منه (قوله امش خلفهم) أى لتطمئن عليهم (قوله لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم) أى فينزعج من ذلك (قوله وهو الشام) أى فطوى الله لهم الارض فى الوقت حتى نجوا ووصلوا الى ابراهيم (قوله أوحينا) أشار بذلك الى أن قضينا ضمن معنى أوحينا فعدى بما تعدى به (قوله وجاء أهل المدينة) الواو لا تقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فان هذا المجيء قبل اعلام الملائكة له بأنهم رسل الله فالقصة هنا على خلاف الترتيب الواقعى بخلافها فى هود (قوله مدينة سدوم) بالسين المهملة والذال المعجمة وأخطأ من قال بالمهملة (قوله يستبشرون) أى يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط وتقدم أن المخبر لهم بالضيوف امرأة لوط (قوله فلا تفضحون) أى لا تسيؤنى فيهم (قوله واتقوا الله) أى خافوا عقابه (قوله عن العالمين) أى عن تضييف أحد من الغرباء وكانوا يمنعونه من مخالطة الناس واضافتهم خوفا من أن يؤلفهم ويستعين بهم عليهم (قوله فتزوجوهن) أى ان أسلمتم ويحتمل أنه كان فى شريعته يحل تزوج الكافر بالمسلمة وتقدم فى هود أنه يحتمل أن المراد نساء أمته (قوله لعمرك) بفتح العين لغة فى العمر بضمتين وهو مدة حياة الانسان فى الدنيا ولكن لم يرد القسم فى كلام العرب الا بالفتح (قوله انهم) أى قوم لوط وقيل المراد قريش وعلى كل حال فهذه الجملة معترضة بين قصة قوم لوط (قوله أى وقت شروق الشمس) أى طلوعها وهذا بيان لانتهاء العذاب وابتداؤه كان وقت الصباح (قوله فجعلنا عاليها) أى وجه الارض وما عليه (قوله أى قراهم) أى وكانت أربعة فيها أربعمائة ألف مقاتل وقيل خمسة وفيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) تقدم فى هود أنه يحتمل أن المطر كان على من كان غائبا عن القرى ويحتمل أنه عليهم بعد قلبها بهم (قوله ان فى ذلك المذكور) أى من قصة ابراهيم ولوط (قوله للمتوسمين) أى المتفكرين الذين يتأملون الشئ فيعرفون حقيقته (قوله لم تندرس) أى آثارهم (قوله لعبرة للمؤمنين) خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بذلك (قوله وان كان أصحاب الايكة) شروع فى ذكر قصة شعيب مع قومه أصحاب الايكة وذكرت هنا مختصرة وسيأتى بسطها

وحياتك (انهم لفى سكرتهم يعمهون) يترددون (فأخذتهم الصيحة) صيحة جبريل (مشرقين) وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) أى قراهم (سافلها) بأن رفعها جبريل الى السماء وأسقطها مقلوبة الى الارض (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) طين طبخ بالنار (ان فى ذلك) المذكور (لآيات) دلالات على وحدانية الله (للمتوسمين) للناظرين المعتبرين (وانها) أى قرى قوم لوط (لبسبيل مقيم) طريق قريش الى الشام لم تندرس أفلا يعتبرون بهم (ان فى ذلك لآية) لعبرة (للمؤمنين وان)

في سورة الشعراء (قوله مخففة) أي واسمها ضمير الشان وكان ناقصة وأصحاب الايكة اسمها ولظالمين خبرها واللام للتوكيد والجملة خبران (قوله هي غيضة شجر) الغيضة في الاصل اسم الشجر الملتف والمراد بها هنا المكان الذي فيه الشجر الكثير ونسبوا لها لملازمتهم لها واقامتهم عندها وكان عامة شجرهم المقل أي الدوم (قوله بتكذيبهم شعيبا) أي وبخسهم الكيل والميزان وقطعهم الطريق (قوله بشدة الحر) أي فسلطه الله عليهم سبعة أيام حتى قرب وامن الهلاك فبعث الله لهم سحابة كالظلة فالتجؤا اليها واجتمعوا تحتها فالقى الله عليهم منها نارا فاحرقتهم جميعا فاهلاكهم أولا بشدة الحر وتم بالظلة وأما أهل مدين فاهلكوا بالصيحة كما تقدم في سورة هود من أنه أرسل لاهل مدين ولاصحاب الايكة (قوله طريق مبين) أي وسمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع لان الانسان اذا أراد الانتقال من موضع لآخر فانه يأتم بالطريق حتى يصل الى الموضع الذي يريده (قوله ولقد كذب أصحاب الحجر) شروع في قصة صالح (قوله واد بين المدينة والشام) أي وآثاره باقية يمر عليها الذاهب من الشام للحجاز (قوله لانه تكذيب لباقي الرسل) جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع انهم لم يكذبوا الا رسولا واحدا (قوله وآتيناهم) أضاف الايتاء لهم وان كان لصالح لانه مرسل لهم (قوله في الناقة) أشار بذلك الى أن الناقة وان كانت آية واحدة الا أنها اشتملت على آيات كخروجها من الصخرة وعظم جثتها وغزارة لبنها وولادتها فصيلا قدرها (قوله لا يتفكرون) أي لا يتأملون ولا ينظرون فيها (قوله وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أي ينقرون الجبال بالمعاول حتى تصير بيوتا من غير بنيان (قوله آمنين) أي من وصول اللصوص لهم ومن تخريب الاعداء لبيوتهم لشدة اتقانها (قوله فأخذتهم الصيحة) أي من السماء والزلزلة من الارض لما عقروا الناقة وتقدم في هود أن صالحا قال لهم قبل نزول العذاب بهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (قوله وقت الصباح) أي بعد مضي الثلاثة الايام (قوله ما كانوا يكسبون) ما اسم موصول أو مصدرية أو نكرة موصوفة فاعل أغنى والتقدير الذي كانوا يكسبونه أو كسبهم أو شيء يكسبونه (قوله من بناء الحصون الخ) بيان لما (قوله الا بالحق) أي الا خلقا ملتبسا بالحكمة والمصلحة والمنافع للعباد ودلائل على وحدانية الله (قوله وان الساعة) أي القيامة (قوله فيجازى كل واحد بعمله) أي فينتقم من المسيء وينعم على المحسن (قوله وهذا منسوخ) أي قوله فاصفح الصفح الجميل وهو أحد قولين والثاني أن الآية محكمة ولا ينافي أمره بالقتال فان المقصود أمره بأن يصفح عن الخلق الصفح الجميل ويعاملهم بالخلق الحسن فيعفو عن المسيء ويسامح المذنب وان كان مأمورا بقتال المشركين فقتاله الامر به لا لهوى نفسه ولذا قال البوصيري

ولو ان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء

(قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني) سبب نزولها أن سبع قوافل أتت من بصرى واذرعات في يوم واحد ليهود قريظة والنضير فيها أنواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله فنزلت والمعنى قد أعطيتكم سبع آيات هي خير من سبع قوافل ان قلت ان مقتضى ذلك أن تكون الآية مدنية مع انه تقدم أن السورة مكية باجماع أجيب بأنه لا مانع ان هذه الآية نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة (قوله هي الفاتحة) أي لانها سبع آيات فمن عد البسملة آية منها تكون الآية الاخيرة صراط الذين الخ ومن لم يعدها آية تكون السابعة قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهذا القول هو الراجح وعليه فيكون عطف قوله والقرآن العظيم من عطف الكل على الجزء أو من عطف العام على الخاص وقيل المراد بالسبع المثاني الحواميم وقيل السبع الطوال أولها البقرة وآخرها الانفال مع براءة وقيل جميع القرآن وعليه يكون العطف مرادفا (قوله لانها تثنى في كل ركعة) أي تعاد في كل ركعة [illegible] وقيل [illegible] لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء وقيل لانه [illegible] قوله الرحمن الرحيم [illegible]

مخففة أي انه (كان أصحاب الايكة) هي غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب (لظالمين) بتكذيبهم شعيبا (فانتقمنا منهم) بأن أهلكناهم بشدة الحر (وانهما) أي قرى قوم لوط والايكة (لبامام) طريق (مبين) واضح أفلا تعتبر ون بهم يا أهل مكة (ولقد كذب أصحاب الحجر) واد بين المدينة والشام وهم ثمود (المرسلين) بتكذيبهم صالحا لانه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد (وآتيناهم آياتنا) في الناقة (فكانوا عنها معرضين) لا يتفكرون فيها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين) وقت الصباح (فما أغنى) دفع (عنهم) العذاب (ما كانوا يكسبون) من بناء الحصون وجمع الاموال (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية) لا محالة فيجازى كل أحد بعمله (فاصفح) يا محمد عن قومك (الصفح الجميل) أعرض عنهم اعراضا لا جزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) لكل شيء (العليم) بكل شيء (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) قال صلى الله عليه وسلم هي الفاتحة رواه الشيخان لانها تثنى في كل ركعة (والقرآن العظيم

بمكة ومرتا بالمدينة وهما يسمعون السبع المثاني (قوله لا تمدن عينيك) أي لا ترغب بما متعنا به أصنافا من الكفار فانه مستحقر وفي الحديث عن أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوتي القرآن فرأى ان أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا (قوله ولا تحزن عليهم) أي لا جلهم (قوله ألن جانبك) أي تواضع لهم وارحمهم كالطائر الذي يخفض جناحه على أفراخه رحمة بها وشفقة عليها وقد فعل صلى الله عليه وسلم ما أمر به قال البوصيري في هذا المعنى

أحل أمته في حرز ملته * كالليث حل مع الاشبال في أجم

(قوله كما أنزلنا) الكاف حرف تشبيه وجر وما اسم موصول في محل جر والجار والمجرور متعلق بمحذوف والتقدير وقل اني أنا النذير لكم بالعذاب كالعذاب الذي أنزلناه على المقتسمين والماضي بمعنى المستقبل اذ الذي نزل بأهل مكة لم يكن واقعا حين نزول الآية بل وقع بعد الهجرة وكذا ما وقع للمقتسمين طرق مكة لم يكن واقعا حينئذ بل وقع يوم بدر ان قلت ان العذاب المنذر به ينبغي تشبيهه بشيء قد وقع ليحصل به الاتعاظ أجيب بانه سهل ذلك تحتم نزوله فكأنه واقع ولا بد وقد تحقق ذلك يوم بدر (قوله اليهود والنصارى) أي حيث اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها الذي وافق هواهم وكفروا بالبعض الذي خالفه (قوله الذين جعلوا) بيان للمقتسمين (قوله القرآن) المراد به على هذا التفسير معناه اللغوي فحينئذ صح تفسير المفسر له بكتبهم المنزلة عليهم (قوله عضين) جمع عضة وأصلها قيل عضو وقيل عضه فعلى الاول يكون من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء أي أجزاء متفرقة وعلى الثاني يكون من عضه اذا كذب والمعنى جعلوا القرآن أجزاء متفرقة أو جعلوه أكاذيب (قوله وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة) أي وهم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا أعتاب مكة وأنقابها وفجاجها يقولون لمن سلكها لا تغتر بهذا الخارج فينا يدعي النبوة فانه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما قالوا كاهن وسموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا هذه الطرق فاماتهم الله شر ميتة وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد فاذا سألوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صدق أولئك وما ذكره المفسر قولان من سبعة ذكرها القرطبي (قوله وقال بعضهم) معطوف على اقتسموا فالضمير في بعضهم عائد على الذين اقتسموا وهو اشارة الى ان المراد بالقرآن على هذا القول الكتاب المنزل على سيدنا محمد فجعلوه أجزاء حيث اختلفت أقوالهم فيه فقال بعضهم سحر وبعضهم كهانة أو المراد جعلوه أكاذيب فلم يؤمنوا به (قوله سؤال توبيخ) جواب عما يقال انه أثبت سؤالهم هنا ونفاه في سورة الرحمن حيث قال فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فحاصل الجواب أن المنفي هناك سؤال الاكرام والاحترام والمثبت هنا سؤال التوبيخ والتقريع (قوله فاصدع بما تؤمر) سبب نزولها أن رسول الله أول أمره كان يدعو الى الله مختفيا ويأمر كل من آمن به بالاختفاء فلما نزلت هذه الآية أظهر أمره وبالغ في اظهاره (قوله هذا قبل الامر بالجهاد) أي فتكون الآية منسوخة وقيل ليست منسوخة بل هي محكمة والمعنى لا تلتفت لهم ولا تبال بهم (قوله انا كفيناك المستهزئين) أي وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون به ويبالغون في ايذائه وانما عجلت لهؤلاء العقوبة لشدة ايذائهم لرسول الله وبغضهم له والا فالمستهزئون كثير كأبي لهب وزوجته وولده وأبي جهل (قوله وهم الوليد بن المغيرة) أي وقد مر برجل نبال وهو يجر ازاره فتعلقت قطعة من النبل بازار الوليد فمنعه الكبر أن يطأطئ رأسه وينزعها فجعلت تضرب في ساقه فخدشته فمرض منها فمات (وقوله والعاص بن وائل) خرج على راحلته يتنزه فنزل شعبا فدخلت شوكة في أخمص رجله فانتفخت حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه (وقوله وعدي بن قيس) الصواب الحرث بن قيس بن الطلاطلة كما ذكره في الهمزية وشراحها والخازن وغيرهم من كتب التفسير وقد هلك بان صار القيح يجري من أنفه وعينيه وفمه حتى مات (وقوله والاسود بن المطلب) رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك (وقوله والاسود بن عبد يغوث) أصابه مرض الاستسقاء فمات به وقيل ان الذي

لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا) أصنافا (منهم ولا تحزن عليهم) ان لم يؤمنوا (واخفض جناحك) ألن جانبك (للمؤمنين وقل اني أنا النذير) من عذاب الله أن ينزل عليكم (المبين) البين الانذار (كما أنزلنا) العذاب (على المقتسمين) اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن) أي كتبهم المنزلة عليهم (عضين) أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الاسلام وقال بعضهم في القرآن سحر وبعضهم كهانة وبعضهم شعر (فوربك لنسألنهم أجمعين) سؤال توبيخ (عما كانوا يعملون فاصدع) يا محمد (بما تؤمر) أي اجهر به وامضه (وأعرض عن المشركين) هذا قبل الامر بالجهاد (انا كفيناك المستهزئين) بك باهلاكنا كلا منهم بآفة وهم الوليد ابن المغيرة والعاصي بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث

كما هؤلاء الخمسة جبريل عليه السلام كفاناالله شرهم وقد أجاد صاحب الهمزية حيث قال في حقهم

وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء الـ * بيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب أي * عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث * أن سقاه كأس الردى استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا * ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقد سا * ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء

(قوله الذين يجعلون مع الله إلها آخر) أي يشركون في عبادته غيره (قوله فسوف يعلمون) هذا تهديد ووعيد لهم (قوله بما يقولون) أي بسبب قولهم وتكلمهم في شأنك فان شأن ذلك يضيق منه الصدر بحسب الطبيعة البشرية (قوله فسبح بحمد ربك) أي فافزع الى ربك والتجئ اليه يكفك ما يهمك من أمور الدنيا والآخرة ففي الحديث اعمل لوجه واحد يكفيك كل الاوجه (قوله أي قل سبحان الله وبحمده) أي تنزيهاله عن كل نقص واتصافاله بكل كمال (قوله المصلين) أشار بذلك الى ان الكلام فيه مجاز من اطلاق الجزء على الكل وخص السجود بالذكر لانه أشرف أركانها (قوله واعبد ربك) عطف عام على خاص والمعنى دم على عبادته (قوله حتى يأتيك اليقين) أي اعبد ربك في جميع زمن حياتك ولا تخل لحظة من عمرك من غير عبادة فان العمر ساعة فاجعله طاعة وهذا الخطاب وان كان للنبي الا أن المراد منه العموم (قوله الموت) أي وسمي يقينا لانه متيقن الوقوع والنزول

﴿سورة النحل مكية﴾

سميت بذلك لذكر قصة النحل فيها على سبيل العبرة العظيمة وتسمى أيضا سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها والمقصود من ذكر هذه السورة الدلالة على اتصافه تعالى بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحلة وشأنها في دقة فهمها واتخاذها البيت واختلاف ألوان ما يخرج منها وجعله شفاء مع أكلها من كل الثمرات النافعة والضارة الحلوة والمرة وغير ذلك (قوله الا وان عاقبتم) فانها نزلت بالمدينة في قتل حمزة وظاهر المفسر أنه لم يكن منها مدني الا تلك الآيات وهو المشهور وقيل مكية الا خمس آيات هؤلاء الثلاثة وقوله والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقيل غير ذلك (قوله لما استبطأ المشركون العذاب الخ) قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم أن القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم عليه حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شئ قالوا ما نرى شيئا فنزل اقترب للناس حسابهم فأشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا أنها قد جاءت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا (قوله أي الساعة) مشى المفسر على ان المراد بأمر الله القيامة وهو أحد قولين وقيل المراد بأمر الله عقوبة المكذبين في الدنيا بالسيف (قوله وأتى بصيغة الماضي) أي على سبيل المجاز في الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاتيان في المستقبل بالاتيان في الماضي بجامع تحقق الحصول في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاتيان في الماضي أتى بمعنى يأتي (قوله فانه واقع لا محالة) أي ولا مفر لكم منه (قوله عما يشركون) تنازعه كل من سبحانه وتعالى وقوله غيره قدر ما اشارة الى أن مفعول يشركون محذوف (قوله أي جبريل) أي وسمي روحا لانه يحيا به (قوله الوحي) أي وسمي روحا لان به حياة القلوب

الذين يجعلون مع الله إلها آخر) صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم (ولقد) للتحقيق (نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من الاستهزاء والتكذيب (فسبح) ملتبسا (بحمد ربك) أي قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) المصلين (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) الموت

﴿سورة النحل مكية الا وان عاقبتم الى آخرها مائة وثمان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما استبطأ المشركون العذاب نزل (أتى أمر الله) أي الساعة وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه أي قرب (فلا تستعجلوه) تطلبوه قبل حينه فانه واقع لا محالة (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يشركون) به غيره (ينزل الملائكة) أي جبريل (بالروح) بالوحي (من أمره)

الآتي

بإرادته (على من يشاء من عباده) وهم الأنبياء (أن) مفسرة (أنذروا) خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) خافون (خلق السموات والأرض بالحق) أي محقا (تعالى عما يشركون) به من الأصنام (خلق الإنسان من نطفة) مني إلى أن صيره قويا شديدا (فإذا هو خصيم) شديد الخصومة (مبين) بينها في نفي البعث قائلا من يحيي العظام وهي رميم (والأنعام) الإبل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره (خلقها لكم) في جملة الناس (فيها دفء) ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها (ومنافع) من النسل والدر والركوب (ومنها تأكلون) قدم الظرف للفاصلة (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونها إلى مراحها بالعشي (وحين تسرحون) تخرجونها إلى المرعى بالغداة (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (إلى بلد لم تكونوا بالغيه) واصلين إليه على غير الإبل (إلا بشق الأنفس) بجهدها (إن ربكم لرؤف رحيم) بكم حيث خلقها لكم (و) خلق (الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) مفعول له والتعليل بهما لتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين (ويخلق ما لا تعلمون) من الأشياء العجيبة الغريبة (وعلى الله قصد السبيل) أي بيان الطريق المستقيم

الناس تحيا به السعادة الأبدية ومن حاد عنها فقد هلك كما أن الروح بها حياة الأجسام وتفنى بفقدها بالكلية (قوله بإرادته) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمر الإرادة ومن بمعنى الباء (قوله أن مفسرة) أي وضابطها تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله ينزل الملائكة بالروح (قوله خوفوا الكافرين) أي بعد إعلامهم بالتوحيد (قوله بالعذاب) قدره إشارة إلى أن معمول الإنذار محذوف وقوله أنه لا إله إلا أنا معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله وأعلموهم (قوله فاتقون) أي امتثلوا أوامري واجتنبوا نواهي ففيه تنبيه على الأحكام الفرعية بعد التنبيه على التوحيد (قوله أي محقا) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور في محل نصب على الحال (قوله تعالى عما يشركون) أي تنزه عن إشراكهم به غيره (قوله خلق الإنسان) أي غير آدم (قوله من نطفة) من لابتداء الغاية وقوله إلى أن صيره قويا شديدا قدره جوابا عما يقال إن كونه خصيما مبينا لا يكون عقب خلقه من نطفة بل بعد قوته وشدته (قوله في نفي البعث) في للسببية والمعنى أنه يخاصم ويجادل بسبب كونه منكرا للبعث (قوله قائلا من يحيي العظام الخ) أشار بذلك إلى ما روي أن أبي بن خلف جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أتظن أن الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ففي هذه الآية رد على هذا الكافر ومن حذا حذوه (قوله والأنعام خلقها) هذا من جملة أدلة توحيده وتعداد نعمه وذلك أن الله تعالى لما ذكر خلق السموات والأرض أتبعه بذكر خلق الإنسان ثم بذكر ما يحتاج إليه في ضروراته من أكل ولبس فذكر الأنعام التي يكون منها ذلك (قوله في جملة الناس) أشار بذلك إلى أن الخطاب في لكم لقريش ولو حمل على العموم كما هو الواقع لاستغنى عن ذلك (قوله فيها دفء) هو بوزن حمل يطلق على كل ما يستدفأ به من ملبوس ومأكول (قوله وأصوافها) أي وأوبارها (قوله ومنافع) عطف عام على خاص (قوله والدر) أي اللبن (قوله والركوب) أي بالنسبة للمجموع (قوله للفاصلة) أي لا للحصر فإن الإنسان قد يأكل من غيرها وليس منهيا عنه قال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق (قوله ولكم فيها) أي الأنعام (قوله حين تريحون) قدم الإراحة على التسريح مع أنه خلاف الواقع لأن الجمال في الرواح أعظم منه في وقت التسريح لأن النعم تقبل من المرعى مملوءة البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها إلى المرعى فإنها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع وأكثر ما تكون هذه الإراحة أيام الربيع لحسن النعم إذ ذاك (قوله وتحمل) أي النعم والمراد بها خصوص الإبل (قوله أثقالكم) جمع ثقل وهو ما يحتاج إليه من آلات السفر والأحمال الثقيلة (قوله إلى بلد لم تكونوا بالغيه الخ) المراد أي بلد بعيد مكة أو غيرها وقال ابن عباس أريد بها اليمن ومصر والشام وقال عكرمة مكة والظاهر أنه عام لكل بلد بعيد كما علمت (قوله إلا بشق الأنفس) أي تعبها (قوله والخيل) معطوف على الأنعام ولذا قدر المفسر خلق (قوله والبغال) جمع بغل وهو المتولد بين الخيل والحمير (قوله مفعول له) أي لأجله وجر الأول باللام لأن الفاعل مختلف ففاعل الخلق هو الله وفاعل الركوب المخلوق (قوله بهما) أي الركوب والزينة (قوله لا ينافي خلقها لغير ذلك) أي فلا يفيد الحصر في الركوب والزينة بل خلقها للأكل أيضا وبذلك أخذ الشافعي وأما عند الأئمة الثلاثة فأكل الخيل حرام كباقي الدواب واستدلوا بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان أولى بالذكر فلما لم يذكره الله علمنا تحريمه ولأن الله خص الأنعام بالأكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل وفي الحقيقة الآية ليست صريحة في نهي ولا جواز وإنما مستند الأئمة السنة فمن حرم لحم الخيل حمل الحديث الصحيح على النسخ أو الاضطرار ومن جوزها قال الأصل عدم الاضطرار أو النسخ (قوله بحديث الصحيحين) أي وهو ما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه (قوله من الأشياء العجيبة) أي كالطيور والسباع والوحوش وغيرها من الحيوانات (قوله وعلى الله) أي تفضلا وإحسانا (قوله أي الطريق المستقيم)

أي طريق الهدى والحق وتبيينها بارسال الرسل وانزال الكتب (قوله ومنها جائر) أي سبيل جائر وهو سبيل الضلال والكفر والجور والعدول عن الاستقامة (قوله ولو شاء لهداكم أجمعين) أي وصلكم إلى الطريق المستقيم بأجمعكم ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل لما سبق في علمه أن الجنة لها أهل وان النار لها أهل (قوله هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر سبحانه وتعالى منته على بني آدم بخلق الحيوانات الخاصة بهم أعقبه بذكر نعمة عامة لكل الحيوانات آدميين وغيرهم وهي انزال الماء من السماء الناشئ عنه النباتات التي ينتفع بها جميع الحيوانات (قوله لكم) الجار والمجرور صفة لماء وقوله منه شراب ومنه أو خبر ان قلت انه ليس خاصا ببني آدم بل هو عام لكل حيوان أجيب بأن بني آدم هم المقصودون بالذات وغيرهم بالتبع والضمير في منه عائد على الماء أي تشربون من ماء السماء ان قلت ان غالب الشرب يكون من السحاب والأنهار والعيون وهي بالأرض أجيب بأن أصل الماء الكائن في الارض من السماء لقوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض (قوله ومنه شجر) المراد بالشجر هنا مطلق النبات سواء كان له ساق أم لا (قوله ينبت بسببه) أشار بذلك إلى أن من الثانية للسببية وأما الاولى فهي ابتدائية (قوله ينبت لكم به الزرع) المراد به الحب الذي يقتات وقدمه لان به قوام البدن وثنى بالزيتون لانه ادام ودهن وثلث بذكر النخيل لانه غذاء وتفكه وأخر الاعناب لانها تشبه النخيل في ذلك (قوله ومن كل الثمرات) عطف عام على خاص (قوله المذكور) أي من انزال الماء وانبات النبات (قوله لآية) ذكر لفظ الآية في هذه السورة سبع مرات خمس بالافراد وثنتان بالجمع والحكمة في ذلك أن ما جاء بلفظ الافراد فباعتبار المدلول الذي هو وحدانية الحق وما جاء بلفظ الجمع فباعتبار الدليل فان في كل شيء آية تدل على أنه الواحد (قوله وسخر لكم الليل والنهار) لما ذكر النعم الكائنة في العالم السفلي أعقبه بذكر النعم الكائنة في العالم العلوي وكل ذلك لنفع العالم وتمام نظامه (قوله بالنصب) أي في الشمس والقمر والنجوم ومسخرات قراءتان سبعيتان الرفع والنصب (قوله مسخرات بأمره) أي مذللات بارادته فهو سبحانه وتعالى المؤثر في العالم العلوي والسفلي فلا تتحرك ذرة في الدنيا ولا تسكن الا بتأثير الله فيها وانما هذه الاشياء أسباب عادية يوجد النفع عندها لا بها ففي هذه الآية رد على القائلين ان العالم العلوي هو المؤثر في العالم السفلي بطبع أو علة (قوله بالنصب حال) أي مؤكدة لعاملها وهو سخر (قوله لقوم يعقلون) عبر هنا بالعقل اشارة إلى أن العالم العلوي مغيب عن الابصار فيحتاج المتأمل فيه لمزيد العقل بخلاف العالم السفلي فهو مشاهد فيكفي فيه أدنى تأمل وتعقل والاسلم أن يقال ان التغاير في هذا وما قبله وما بعده تفنن في التعبير دفعا للثقل واشارة إلى أن من اتصف بواحد منها فقد اتصف بجميعها (قوله وما ذرأ) معطوف على الليل ولذا قدر المفسر الفعل (قوله من الحيوان والنبات) فهي مذللة لبني آدم ينتفعون بها ولا يعجزون عنها (قوله وغير ذلك) أي كالاشجار والمعادن والانهار (قوله مختلفا ألوانه) أي وطعومه (قوله وهو الذي سخر البحر) أي عذبا وملحا (قوله لركوبه) أي بالسفن والعوم (قوله والغوص) أي النزول فيه (قوله لحما طريا) وصف بالطراوة لانه يسرع اليه الفساد وحكمة ذلك انتفاع الناس به وعدم عزته عن الفقراء والا فلو كان يمكث من غير فساد لادخره الاغنياء وحرموا منه الفقراء (قوله وتستخرجوا منه) أي البحر وهو الملح فقط (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف (قوله عطف على لتأكلوا) أي وما بينهما اعتراض (قوله بالتجارة) أي يسافرون لها في البحر ويقطعون في أقل زمن (قوله أن تميد) قدر المفسر لا ليصح الكلام لان جعل الجبال في الارض لاجل عدم الميد لا لاجل حصوله والمراد بالميد الميل والتحرك والاضطراب (قوله طرقا) أي في الجبال (قوله وعلامات) أي أمارات (قوله وبالنجم) المراد به الثريا والفرقدان

به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك) المذكور (لآية) دالة على وحدانيته تعالى (لقوم يتفكرون) في صنعه فيؤمنون (وسخر لكم الليل والنهار والشمس) بالنصب عطفا على ما قبله والرفع مبتدأ (والقمر والنجوم) بالوجهين (مسخرات) بالنصب حال والرفع خبر (بأمره) بإرادته (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يتدبرون (و) سخر لكم (ما ذرأ) خلق (لكم في الأرض) من الحيوان والنبات وغير ذلك (مختلفا ألوانه) كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها (إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) يتعظون (وهو الذي سخر البحر) ذلله لركوبه والغوص فيه (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) هي اللؤلؤ والمرجان (وترى) تبصر (الفلك) السفن (مواخر فيه) تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (ولتبتغوا) عطف على لتأكلوا (من فضله) تعالى بالتجارة (ولعلكم تشكرون) الله على ذلك

(وألقى في الأرض رواسي) جبالا ثوابت (أن) لا (تميد) تتحرك (بكم و) جعل فيها (أنهارا) كالنيل (وسبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) إلى مقاصدكم (وعلامات) تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار (وبالنجم) بمعنى النجوم (هم يهتدون) والجدي

الى الطرق والقبلة بالليل (أفمن يخلق) وهو الله (كمن لا يخلق) وهو الاصنام حيث تشركونها معه في العبادة لا (أفلا تذكرون) هذا فتؤمنون (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) تضبطوها فضلا أن تطيقوا شكرها (ان الله لغفور رحيم) حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين تدعون) بالتاء والياء تعبدون (من دون الله) وهم الاصنام (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) يصورون من الحجارة وغيرها (أموات) لا روح فيهم خبر ثان (غير أحياء) تأكيد (وما يشعرون) أي الاصنام (أيان) وقت (يبعثون) أي الخلق فكيف يعبدون اذ لا يكون الها الا الخالق الحي العالم بالغيب (الهكم) المستحق العبادة منكم (اله واحد) لا نظير له في ذاته ولا صفاته وهو الله تعالى (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) جاحدة للوحدانية (وهم مستكبرون) متكبرون عن الايمان بها (لا جرم) حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فيجازيهم بذلك (انه لا يحب المستكبرين) بمعنى أنه يعاقبهم * ونزل في النضر بن الحرث (واذا قيل لهم ما) استفهامية (ذا) موصولة (أنزل ربكم) على محمد (قالوا) هو (أساطير) أكاذيب (الاولين) اضلالا للناس (ليحملوا) في عاقبة الامر (أوزارهم) ذنوبهم (كاملة) لم يكفر منها شيء (يوم القيامة ومن) بعض (أوزار الذين يضلونهم

والجدي فيهتدى بها الى الطريق والقبلة (قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق) أي أتسوون بين الخالق لتلك الاشياء العظيمة والنعم الفخيمة وبين من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره والكلام على القلب والتقدير أفمن لا يخلق كمن يخلق لانهم يشبهون من لا يخلق بمن يخلق في العبادة وانما أتى بالعبارة مقلوبة زيادة في التشنيع عليهم (قوله لا) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري (قوله وان تعدوا نعمة الله) هذا تذكير اجمالي بعد تفصيل بعض النعم (قوله حيث ينعم عليكم مع تقصيركم) أي ولم يقطع نعمه عنكم بسبب ذلك بل وسعها عليكم (قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ما تخفون من العقائد والاعمال وما تظهرون منه من ذلك (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان في قوله تدعون فقط وأما تسرون وتعلنون فبالتاء الفوقية سبعية والياء التحتية شاذة (قوله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) ليس تكرارا مع قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق لانه أولا أفاد أنهم لا يخلقون شيأ وهنا أفاد أنهم مع كونهم لم يخلقوا شيأ هم مخلوقون ففيه زيادة فائدة (قوله خبر ثان) أي والاول قوله يخلقون وقوله وما يشعرون خبر ثالث (قوله أي الخلق) ويصح أن يعود الضمير على الاصنام والمعنى أن الاصنام لا تشعر متى يبعثها الله قال ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطينها فتتبرأ من عابديها فيأمر الله بالكل الى النار (قوله الهكم اله واحد) هذا نتيجة ما قبله أي حيث ثبت أنه الخالق لتلك الاشياء المتقدم ذكرها فقد تقرر أنه المعبود المتصف بالوحدة في الذات والصفات والافعال فلا شريك له فيها (قوله فالذين لا يؤمنون بالآخرة) أي لا يصدقون بها وبما يحصل فيها من بعث وحساب وجزاء وهذا نتيجة قوله أتى أمر الله فلا تستعجلوه وحينئذ فيكون المعنى أتى أمر الله فآمنوا وصدقوا أخبارنا ولا تنكروها فالذين لا يؤمنون الخ (قوله متكبرون) أشار بذلك الى أن السين زائدة للتوكيد (قوله لا جرم) تقدم أن فيها ثلاثة أوجه أحسنها أن لا نافية ومنفيها محذوف وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت وأن وما دخلت عليه في محل رفع فاعل وحينئذ يصير المعنى لا عبرة بانكار الكفار واستكبارهم بل حق وثبت علم الله بما يسرونه وما يعلنونه وعلى هذا فقول المفسر حقا مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقا (قوله بمعنى أنه يعاقبهم) روى عن الحسين بن علي أنه مر بمساكين قد قدموا كسرا لهم وهم يأكلون فقالوا الغداء يا أبا عبد الله فنزل وجلس معهم وقال انه لا يحب المستكبرين ثم أكل فلما فرغوا قال قد أجبتكم فأجيبوني فقاموا معه الى منزله فأطعمهم وسقاهم وأعطاهم فانصرفوا وفي الحديث ان المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة تطؤهم الناس بأقدامهم لتكبرهم (قوله ونزل في النضر بن الحرث) أي في شأنه وسببه وكان عنده كتب التواريخ ويزعم أن حديثه أحسن مما أنزل على محمد (قوله واذا قيل لهم) القائل يحتمل أن يكون المسلمين أو الوافدين عليهم أو بعضهم لبعض على سبيل التهكم فان الكفار لا يقرون بأنه منزل من عند الله (قوله أساطير الاولين) جمع أسطورة كأحاديث وأكاذيب وأعاجيب جمع أحدوثة وأكذوبة وأعجوبة (قوله اضلالا للناس) علة للقول (قوله في عاقبة الامر) أشار بذلك الى أن اللام في ليحملوا لام العاقبة والصيرورة والمعنى أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك حملهم ذنوبهم (قوله كاملة) أي وبلاياهم التي أصابتهم في الدنيا لا تكفر عنهم شيأ يوم القيامة بل يعاقبون على جميع أوزارهم بخلاف بلايا المؤمنين فانها تكفر لذنوبهم أو رفع درجات لهم فالبلايا للمجرمين عقوبات وللابرار مكفرات وللعارفين درجات فقد يكون في السابق في علمه تعالى ان العارف لا ينال تلك الدرجة الا بمحنة فيوصلها الله له لينال تلك الدرجة (قوله ومن أوزار الذين يضلونهم) أي ويحمل الرؤساء الذين أضلوا غيرهم بعض أوزار الاتباع وهو السبب فمن هنا تبعيضية على ما قرره المفسر تبعا للبيضاوي وهو خلاف التحقيق بل التحقيق أن من بمعنى مثل والمعنى أن على الرؤساء مثل أوزار الاتباع ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه

لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ (قوله بغير علم) اما حال من المفعول أى يضلون الاتباع حال كون الاتباع غير عالمين بأن الرؤساء فى ضلال بل يعتقدون أنهم على خير حيث قلدوهم أو من الفاعل والمعنى يضلون غيرهم حال كونهم غير عالمين بما يستحقونه من العذاب فى مقابلة ضلالهم واضلالهم (قوله فاشتركوا فى الاثم) أى العقوبة فعقوبة المتبوعين بضلالهم واضلالهم وعقوبة التابعين بالطاوعة والتقليد ولا يعذرون بالجهل (قوله ألا ساء ما يزرون) ساء فعل ماض لانشاء الذم كبئس وما اسم موصول ويزرون صلته أو نكرة موصوفة ويزرون صفة لها والعائد على كل محذوف والتقدير يزرونه والمخصوص بالذم محذوف كما أشار له المفسر بقوله حملهم هذا (قوله قد مكر الذين من قبلهم) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وهو نمروذ) بضم النون وبالذال المعجمة وهو ابن كنعان وكان يدعى الالوهية وكان أعظم أهل الارض تجبرا (قوله بنى صرحا طويلا) أى ببابل وكان طوله لجهة السماء خمسة آلاف ذراع وقيل كان طوله فرسخين (قوله الاساس) بكسر الهمزة جمع أس بضمها كرماح جمع رمح أو فتحها جمع أسس بضمتين كعنق وأعناق (قوله فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها) أى فقصفته وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقى فأهلكهم وهم تحته (قوله فخر عليهم السقف) أى سقط ونزل عليهم (قوله أى وهم تحته) تفسير لقوله من فوقهم ودفع بقوله من فوقهم ما يتوهم انهم لم يكونوا تحته (قوله وقيل هذا تمثيل لافساد ما أبرموه) أى فان الآية محمولة على العموم وليس هناك بناء حقيقة بل هو مثل ضربه الله للذين مكروا بأنبياء الله فأهلكهم الله بمكرهم فمثلهم بقوم بنوا بنيانا شديدا فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم (قوله على لسان الملائكة) جرو رمنه على القول بأن الله لا يكلم الكفار وقيل ان الله يكلمهم وقوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيامة أى كلام رحمة وتعظيم (قوله أين شركائى) أى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب (قوله تشاقون) بفتح النون وكسرها قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بكسر النون مع التشديد والاصل تشاقونى فأدغم (قوله تخالفون المؤمنين) أى تنازعونهم فى شأنهم (قوله قال الذين أوتوا العلم) أى وهم فى الموقف (قوله شماتة بهم) أى فرحا بما حصل لهم جزاء لاستهزائهم بالمؤمنين فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة وظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات وعذاب أهل الباطل بأنواع العذاب فعند ذلك يفرح المؤمنون بذلك ويقول رؤساء المؤمنين ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان لكنه مع الياء يقرأ بالامالة والملائكة فاعل والمراد بهم عزرائيل وأعوانه وانما أنث الفعل على قراءة التاء لان لفظ الجمع مؤنث (قوله ما كنا نعمل من سوء) انما أنكروا ذلك رجاء أن يقبلوا (قوله ويقال لهم) أى عند خروج أرواحهم وحينئذ فيكون المراد بالدخول شهود أرواحهم دار العذاب أو يوم القيامة والدخول على حقيقته (قوله أبواب جهنم) أى طبقاتها والمعنى ليدخل كل صنف الطبقة التى أعدت له (قوله فلبئس مثوى المتكبرين) أى مقامهم ومنزلهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هو (قوله وقيل للذين اتقوا) مقابل قوله واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين والقائل وفود العرب القادمين على مكة للبحث عن حال القرآن وحال محمد فكانوا اذا صادفوا المسلمين سألوهم وقالوا لهم ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا واذا صادفوا الكفار سألوهم وقالوا ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين فكل اناء بالذى فيه ينضح (قوله ماذا أنزل ربكم) ماذا بتمامها اسم استفهام مفعول مقدم لانزل وحينئذ فتكون الجملة فعلية وهو أنسب ليطابق الجواب السؤال فان الجواب جملة فعلية أيضا لان خيرا معمول بفعل محذوف تقديره أنزل خيرا بخلاف ما تقدم فان ما اسم استفهام وذا اسم موصول وأنزل صلته فالجملة اسمية لمطابقة الجواب فانه مرفوع باتفاق السبع وما هنا منصوب باتفاق السبع والحاصل ... فى رفع الاول ونصب الثانى الفرق بين الجوابين الفرق [illegible] مطابق بين السؤال والجواب فماله ... واحد وجواب الجاحد [illegible] عدل عن السؤال فقال هو أساطير الاولين وليس من الانزال فى شئ (قوله للذين أحسنوا) هذا بيان لقوله خيرا ... قالوا أنزل [illegible] فالذى للطائفة [illegible]

بغير علم) لانهم دعوهم الى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا فى الاثم (ألا ساء) بئس (ما يزرون) يحملونه حملهم هذا (قد مكر الذين من قبلهم) وهو نمروذ بنى صرحا طويلا ليصعد منه الى السماء ليقاتل أهلها (فأتى الله) قصد (بنيانهم من القواعد) الاساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها (فخر عليهم السقف من فوقهم) أى وهم تحته (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من جهة لا تخطر ببالهم وقيل هذا تمثيل لافساد ما أبرموه من المكر بالرسل (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم (ويقول) لهم الله على لسان الملائكة توبيخا (أين شركائى) بزعمكم (الذين كنتم تشاقون) تخالفون المؤمنين (فيهم) فى شأنهم (قال) أى يقول (الذين أوتوا العلم) من الانبياء والمؤمنين (ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين) يقولونه شماتة بهم (الذين تتوفاهم) بالتاء والياء (الملائكة ظالمى أنفسهم) بالكفر (فألقوا السلم) انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين (ما كنا نعمل من سوء) شرك فتقول الملائكة (بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به ويقال لهم (فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى) مأوى (المتكبرين وقيل للذين اتقوا) الشرك (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا) [illegible]

حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة (قوله حياة طيبة) أي وهي تختلف باختلاف الاقبال على الله وعدمه فكلما ازداد العبد في الاقبال على ربه طابت حياته فيزداد ترقيا في القرب والمحبة والعلوم والمعارف والمشاهدة وغير ذلك من الكرامات التي تحصل له في الدنيا وما خفي كان أعظم قال تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة (قوله ولدار الآخرة) اللام موطئة لقسم محذوف أو للابتداء مؤكدة (قوله خير من الدنيا وما فيها) أي ولو حصل له في الدنيا غاية الرفعة والعز واسم التفضيل على بابه ان أعطي العبد النعيم في الجنة وليس على بابه ان لم يكن من أهل الجنة اذ لا خير في لذة بعدها النار بل كل من عظم تنعمه في الدنيا ولم يكن مرضيا عليه فتنعمه زيادة في عذابه قال تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وقال تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (قوله قال تعالى) انما قال ذلك اشارة الى أن جواب المؤمنين تم بقوله ولدار الآخرة خير وقوله ولنعم دار المتقين ثناء ومدح من الله لدار الآخرة التي هي خير (قوله هي) قدره اشارة الى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله جنات عدن) أي اقامة لا يطرأ عليها زوال ولا فناء بل دائمة بأهلها على سبيل التأبيد (قوله تجري من تحتها الانهار) أي من تحت قصورها وغرفها قال تعالى من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار والمراد بالانهار المذكورة في قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الخ (قوله ما يشاؤن) أي يطلبون مما تشتهي الانفس وتلذ الاعين (قوله كذلك) الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف معمول ليجزي والتقدير يجزي الله المتقين جزاء مثل ذلك الجزاء (قوله المتقين) أي الذين اجتنبوا الشرك وأل في المتقين للاستغراق (قوله نعت) أي للمتقين (قوله تتوفاهم الملائكة) أي تقبض أرواحهم (قوله طيبين) حال من ضمير تتوفاهم وحينئذ تبشرهم الملائكة عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة فلو خير المؤمن بين الرجوع الى الدنيا ويعطى جميع ما يشتهي فيها وبين الموت لاختار الموت ولا يرجع الى الدنيا لشهوده حقارة الدنيا بالنسبة لما رآه مهيأ له (قوله عند الموت) أي لما ورد اذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة (قوله في الآخرة) هذا أحد قولين وقيل ان القول المذكور يكون عند خروج الروح يكون الامر بالدخول للروح دون الجسم ويشهد له قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية بناء على أن هذه المقالة تقال للمؤمن عند خروج روحه (قوله بما كنتم تعملون) الباء سببية وما اسم موصول والعائد محذوف والتقدير بسبب الذي كنتم تعملونه (قوله هل ينظرون) الاستفهام انكاري بمعنى النفي ولذا فسره بما النافية والمعنى لا ينتظر الكفار الا أحد أمرين اما نزول الموت بهم أو حلول العذاب واو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو القيامة) أو لحكاية الخلاف (قوله وما ظلمهم الله) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله كذبوا رسلهم فأهلكوا (قوله فأصابهم) معطوف على فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض (قوله أي جزاؤها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف والاصل فأصابهم جزاء سيئات ما عملوا (قوله ما كانوا به يستهزؤن) أي جزاء الذي كانوا به يستهزؤن (قوله وقال الذين أشركوا الخ) هذا كلام صحيح في حد ذاته لكنهم توصلوا به الى أمر باطل وحاصل ذلك أنهم قالوا لو شاء الله عدم عبادتنا لغيره لحصل لكن وقعت منا العبادة لغيره فهي بمشيئته فهو راض بها واعتقدوا أن الارادة لازمة للرضا في حقه تعالى وهو اعتقاد باطل وحاصل الرد عليهم أن يقال ان الارادة لا تستلزم الرضا بل قد يريد شيأ ولا يرضى به لتنزهه عن الاغراض في الافعال والاحكام فلا تقاس أفعال الله على أفعال العباد وذلك لان ما يفعله الله لا يحصل له منه ضرر وما يرضيه لا يحصل له منه نفع بل معنى ذلك أنه يعاقب على ما يغضبه ويثيب على ما يرضيه بخلاف العباد فرضاهم لازم لارادتهم لان ما يرضيهم يحصل لهم به النفع فهو واقع منهم بارادتهم وما يغضبهم يحصل لهم به الضرر فهو غير واقع بارادتهم والكفار قاسوا بين الخالق والمخلوق فقالوا ما قالوا والقصد من هذه الشبهة ابطال ارسال الرسل وجعلوا عبادتهم

حياة طيبة (ولدار الآخرة) أي الجنة (خير) من الدنيا وما فيها قال تعالى فيها (ولنعم دار المتقين) هي (جنات عدن) اقامة مبتدأ خبره (يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك) الجزاء (يجزي الله المتقين الذين) نعت (تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من الكفر (يقولون) لهم عند الموت (سلام عليكم) ويقال لهم في الآخرة (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل) ما (ينظرون) ينتظر الكفار (الا أن تأتيهم) بالتاء والياء (الملائكة) لقبض أرواحهم (أو يأتي أمر ربك) العذاب أو القيامة المشتملة عليه (كذلك) كما فعل هؤلاء (فعل الذين من قبلهم) من الامم كذبوا رسلهم فأهلكوا (وما ظلمهم الله) باهلاكهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر (فأصابهم سيئات ما عملوا) أي جزاؤها (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) أي العذاب (وقال الذين أشركوا) من أهل مكة (لو شاء الله ما عبدنا

(كذلك فعل الذين من قبلهم) أى كذبوا رسلهم فيما جاؤا به (فهل) فما (على الرسل الا البلاغ المبين) الابلاغ البين وليس عليهم هداية (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) كما بعثناك فى هؤلاء (أن) أى بأن (اعبدوا الله) وحدوه (واجتنبوا الطاغوت) الاوثان أن تعبدوها (فمنهم من هدى الله) فآمن (ومنهم من حقت) وجبت (عليه الضلالة) فى علم الله فلم يؤمن (فسيروا) يا كفار مكة (فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) رسلهم من الهلاك (ان تحرص) يا محمد (على هداهم) وقد أضلهم الله لاتقدر على ذلك (فان الله لا يهدى) بالبناء للفاعل والمفعول (من يضل) من يريد اضلاله (وما لهم من ناصرين) مانعين من عذاب الله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى غاية اجتهادهم فيها (لا يبعث الله من يموت) قال تعالى (بلى) يبعثهم (وعدا عليه حقا) مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر أى وعد ذلك وحقه حقا (ولكن أكثر الناس) أى أهل مكة (لا يعلمون) ذلك (ليبين) متعلق بيبعثهم المقدر (لهم الذى يختلفون) مع المؤمنين (فيه) من أمر الدين بتعذيبهم واثابة المؤمنين (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) فى انكار البعث (انما قولنا لشئ اذا أردناه) أى أردنا ايجاده وقولنا مبتدأ خبره (أن نقول له كن فيكون) أى فهو يكون وفى قراءة بالنصب عطفا على نقول والآية لتقرير القدرة على البعث (والذين هاجروا فى الله) لاقامة دينه [illegible] (من بعد ما ظلموا) بالاذى من أهل مكة وهم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (لنبوئنهم) ننزلنهم (فى الدنيا) [illegible] (حسنة) [illegible] (ولأجر الآخرة) أى الجنة (أكبر) أعظم (لو كانوا يعلمون) أى الكفار أو المتخلفون عن الهجرة [illegible] (الذين صبروا) على أذى [illegible] (وعلى ربهم يتوكلون) [illegible]

الله عن ذلك (قوله من دونه من شئ) من الاولى ابتدائية والثانية زائدة (قوله فهو راض به) هذا هو شبهتهم التى ردوا ما ذكر عليها (قوله الابلاغ المبين) أشار بذلك الى أن البلاغ مصدر بمعنى الابلاغ (قوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) أى فلا خصوصية لك (قوله أى بأن اعبدوا) أشار بذلك الى أن أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية والضابط موجود لتضمن البعث معنى القول (قوله واجتنبوا الطاغوت) أى تباعدوا عن عبادة الطاغوت والمراد بالطاغوت قيل كل ما عبد من دون الله وقيل الشيطان (قوله فلم يؤمن) أفرد باعتبار لفظ من وفى نسخة فلم يؤمنوا بالجمع مراعاة للمعنى (قوله فسيروا) أمر لاهل مكة بالسير والنظر فى أحوال من تقدمهم (قوله كيف كان عاقبة المكذبين) أى مآلهم وآخر أمرهم على أى كيفية (قوله رسلهم) قدره اشارة الى أن قوله المكذبين مفعوله محذوف (قوله وقد أضلهم الله) الجملة حالية (قوله لاتقدر على ذلك) هذا هو جواب الشرط وقوله فان الله الخ تعليل للجواب (قوله لا يهدى من يضل) الجملة خبر ان والرابط ضمير مقدر فى يضل تقديره من يضله والظاهر أن هذا الرابط هو فاعل يضل العائد على الله وأما الضمير المفعول الذى هو الهاء فانه عائد على من ولا ربط فيه (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى أن من أراد الله اضلاله فلا تمكن هدايته فلا تتعب نفسك فى هداه ان قلت ان التكليف لمن أراد الله عدم هداه بالهدى تكليف بالمستحيل أجيب بأنه لا يسئل عما يفعل (قوله وما لهم من ناصرين) أى من يدفع اضلاله لا مانع له من عذاب الله اذا نزل به (قوله وأقسموا بالله) أى حلفوا به وقوله جهد أيمانهم أى لانهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم فاذا كان الامر عظيما حلفوا بالله (قوله أى غاية اجتهادهم) أى فالمراد بالجهد بالفتح الطاقة فقولهم الجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاقة بحسب الغالب (قوله قال تعالى) أى ردا لمقالتهم (قوله مصدران مؤكدان) أى للجملة المقدرة بعد بلى (قوله أى وعد ذلك الخ) الاوضح أن يقول أى وعد ذلك وعدا وحقه حقا (قوله لا يعلمون ذلك) أى أنهم يبعثون لجهلهم (قوله المقدر) أى بعد بلى (قوله من أمر الدين) أى وهو البعث (قوله بتعذيبهم الخ) متعلق ليبين والمعنى ليميز لهم الامر الذى يختلفون فيه باثابة المطيع وتعذيب العاصى (قوله وليعلم) معطوف على ليبين (قوله لشئ) تسميته شيأ باعتبار ما يؤول اليه والا فالمعدوم لا يسمى شيأ (قوله والآية لتقرير القدرة على البعث) أى فهى رد على من قال ان الله لا يبعث من يموت والامر كناية عن سرعة الايجاد عند تعلق الارادة بالايجاد وليس ثم كاف ولا نون والا لزم اما خطاب المعدوم حال عدمه وهو لا يعقل أو تحصيل الحاصل ان كان الخطاب له بعد وجوده وكلا الامرين محال (قوله والذين هاجروا) أى انتقلوا من مكة للمدينة (قوله لاقامة دينه) أشار بذلك الى أن فى بمعنى اللام والكلام على حذف مضافين (قوله أكبر) أى من دار الدنيا (قوله أو المتخلفون) تفسيران للضمير فى يعلمون (قوله أو المتخلفون) جواب الشرط (قوله الذين صبروا) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله وعلى ربهم يتوكلون) أى يثقون به ويفوضون أمورهم اليه والتعبير بالمضارع لاستحضار الحال الماضية اشارة الى أن توكلهم كان أعظم توكل وذلك انهم خرجوا عن أموالهم وأنفسهم فى مرضاة ربهم ورضوا بالذل بدل العز وبالفقر بدل الغنى فجازاهم الله بابدال الذل عزا والفقر غنى فصاروا سادات الناس فى الدنيا والآخرة قال البوصيرى رضى الله عنه

مالموسى ولا لعيسى حوار يو [illegible] ن فى فضلهم ولا نقباء

فيرزقهم الله من حيث لا يحتسبون (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) لا ملائكة (فاسئلوا ٢٤٢ أهل الذكر) العلماء بالتوراة والانجيل (ان كنتم لا تعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وأنتم الى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (بالبينات) متعلق بمحذوف أي أرسلناهم بالحجج الواضحة (والزبر) الكتب (وأنزلنا اليك الذكر) القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) فيه من الحلال والحرام (ولعلهم يتفكرون) في ذلك فيعتبرون (أفأمن الذين مكروا) المكرات (السيآت) بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة من تقييده أو قتله أو اخراجه كما ذكر في الانفال (أن يخسف الله بهم الارض) كقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) أي من جهة لا تخطر ببالهم وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدروا ذلك (أو يأخذهم في تقلبهم) في أسفارهم للتجارة (فما هم بمعجزين) بفائتين العذاب (أو يأخذهم على تخوف) تنقص شيأ فشيأ حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (أولم يروا الى ما خلق الله من شئ) له ظل كشجر وجبل (تتفيأ) تتميل (ظلاله عن اليمين والشمائل) جمع شمال أي عن جانبيهما أول النهار وآخره (سجدا لله) حال أي خاضعين بما يراد منهم (وهم) أي الظلال (داخرون) صاغرون نزلوا منزلة العقلاء (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) أي نسمة تدب عليها

(قوله فيرزقهم الله من حيث لا يحتسبون) نتيجة التوكل وليست معنى التوكل (قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا) سبب نزولها ان كفار مكة قالوا ما كان الله أن يرسل رسولا من الرجال بل اللائق أن يرسل ملكا (قوله فاسئلوا أهل الذكر) جواب شرط مقدر دل عليه قوله ان كنتم لا تعلمون تقديره ان شككتم في ذلك فاسئلوا (قوله ان كنتم لا تعلمون) أي على سبيل الفرض والتقدير والا فهم عالمون بذلك وانما كفرهم عناد (قوله أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد) أي لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب عندهم علم بالكتب القديمة وقد أرسل الله لهم رسلا كموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم وكانوا بشرا فاذا سألوهم فلا بد أن يجيبوا بأن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فحينئذ يزول عن قلوبهم الريب والشك (قوله تعلق بمحذوف) أي يجوابا لسؤال مقدر كأنه قال لم أرسلوا فقيل أرسلوا بالبينات والزبر وهذا أحسن ما قيل هنا (قوله القرآن) انما سمي القرآن ذكرا لانه مشتمل على المواعظ التي بها يتذكر العاقل وينتبه الغافل (قوله لتبين للناس ما نزل اليهم) أي ما أجمل من الاحكام فبيان المجمل من القرآن تكفل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحاديثه كالشرح والتفسير للقرآن (قوله أفأمن الذين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أعموا ولم يتفكروا فأمن الذين الخ (قوله السيآت) صفة لمصدر محذوف قدره المفسر بقوله المكرات بفتح الكاف جمع مكرة بسكونها المرة من المكر (قوله أن يخسف) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معمول لامن والتقدير أفأمنوا خسف الله بهم الارض (قوله وقد أهلكوا ببدر) أي أهلك سادتهم وهم الذين اجتمعوا في دار الندوة (قوله يقدروا ذلك) أي الهلاك أي يعتقدوه ويظنوه وهو بدل من يكونوا والمبدل من المجزوم مجزوم أو حذفت النون تخفيفا (قوله في تقلبهم) أي حال كونهم متقلبين في أسفارهم (قوله أو يأخذهم على تخوف) أي يهلكهم في حال خوفهم أو المراد بالتخوف التنقص كما قال المفسر من تخوفته اذا تنقصته روي أن عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو بكر يصف ناقته

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديوانا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم والرحل بالحاء المهملة رحل الناقة والتامك بالفوقية السنام والقرد بفتح القاف وكسر الراء هو المرتفع أو المتراكم والنبع شجر تتخذ منه القسي والسفن بفتحتين وهو المبرد أو القدوم والمعنى ان الرحل أثر في سنام تلك الناقة فأكله وانتقصه كما ينتقص المبرد أو القدوم العود من الشجر (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا ولم يروا والاستفهام للتوبيخ (قوله له ظل) خرج الملك والجن (قوله تتفيؤ) أي تنتقل من جانب الى آخر واختلف في الفيء فقيل هو مطلق الظل قبل الزوال أو بعده وهو الموافق لمعنى الآية هنا وقيل الظل ما كان قبل الزوال والفيء ما كان بعده وقيل غير ذلك (قوله عن اليمين والشمائل) أي يمين المستقبل للقبلة وشماله وذلك أن الشمس اذا طلعت من المشرق وأنت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الى الغروب كان ظلك عن يسارك وأفرد اليمين وجمع الشمال تفننا (قوله أي عن جانبيهما) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله حال) أي من قوله ظلاله (قوله بما يراد منهم) أي من طول وقصر وتحول من جانب لآخر (قوله وهم داخرون) الجملة حالية من الضمير في سجدا (قوله نزلوا) أي في جمعهم بالواو والنون كالعقلاء وذلك لاتصافها بالطاعة والانقياد لله وذلك من وصف العقلاء فجمعت بالواو والنون (قوله ولله يسجد ما في السموات وما في الارض) أي طوعا وكرها فسجود الملائكة وغير العاقل طوعا فقط

وسجود الاولين والظلال طوعا من مؤمنهم وكرها من كافرهم (قوله أي يخضع له) أشار بذلك الى أن المراد بالسجود معناه اللغوي (قوله والملائكة) عطف على ما في قوله ما في السموات (قوله تفضيلا) أي تشريفا وتعظيما (قوله يستكبرون عن عبادته) أي لا يتركون عبادة ربهم ولا يتكبرون عنها (قوله حال من هم) صوابه من ربهم بدليل قوله عاليا الخ والمعنى يخافون الله حال كونه سبحانه وتعالى مستعليا عليهم وقاهرا لهم فالمراد بالفوقية الاستعلاء والقهر لا الجهة لانها مستحيلة عليه تعالى (قوله ويفعلون ما يؤمرون) أي فلا يعصون ربهم أبدا بل هم ممتثلون لامره مجتنبون لنهيه (قوله وقال الله) أي لعباده (قوله لا تتخذوا إلهين اثنين) لا ناهية وتتخذوا مجزوم بحذف النون والواو فاعل وإلهين مفعول أول واثنين تأكيد له والمفعول الثاني محذوف تقديره معبودا ويعلم من النهي عن اتخاذ اثنين النهي عن اتخاذ الاكثر بالاولى (قوله إنما هو إله واحد) أتى به لاثبات الالوهية والوحدانية والمعنى أن المعبود لا يكون الا واحدا والا لم يوجد شيء من العالم قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض (قوله فإياي فارهبون) إياي مفعول لفعل محذوف يفسره قوله ارهبون أي ارهبوا إياي فارهبون والمعنى لا تخافوا غيري فان النفع والضر بيدي والالوهية وصفي فلا تخشوا غيري ولا ترجوا غيري (قوله وفيه التفات عن الغيبة) أي الى التكلم لانه أبلغ في التخويف (قوله وله ما في السموات والارض) فيه التفات من التكلم للغيبة وهذا دليل على انه المنفرد بالالوهية والوحدانية اذ غيره لا يخلو إما أن يكون في السموات أو الارض وكل ما فيهما مملوك لله فلا يصح ولا يليق اتخاذ غيره إلها (قوله ملكا وخلقا وعبيدا) أي فجميع ما في السموات والارض مملوكون مخلوقون له يتصرف فيهم كيف يشاء (قوله وله الدين) أي التدين والانقياد لا لغيره فالطاعة لا تكون الا لله وحده وطاعة الرسول والوالدين وأولي الامر من طاعة الله لامره بها (قوله والعامل فيه معنى الظرف) أي الاستقرار المفهوم من الجار والمجرور والمعنى استقر الدين له حال كونه دائما وهذا ظاهر على ان الدين فاعل بالجار والمجرور وأما ان جعل الدين مبتدأ مؤخرا والجار والمجرور خبرا مقدما فلا يصح ما قاله المفسر لان العامل في الحال هو العامل في صاحبها والمبتدأ ليس معمولا للخبر وحينئذ فالاولى أن يجعل حالا من الضمير الكائن في الظرف والتقدير والدين ثابت له حال كونه واصبا (قوله أفغير الله تتقون) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أتركتم عبادة الله ومخافته فغير الله تتقون (والاستفهام للانكار) أي والمعنى لا يليق منكم أن تتقوا غيره ولا تطيعوا غيره الا اذا كان الآمر بذلك هو الله كطاعة الوالد والرسول في الحقيقة التقوى لله (قوله وما بكم من نعمة) أي دنيوية أو أخروية (قوله وما شرطية) أي وفعل الشرط محذوف والتقدير أي ما نزل بكم وقوله فمن الله جواب الشرط وقوله من نعمة بيان لما ويرد عليه انه لا يحذف فعل الشرط الا بعد ان في موضعين الاول في باب الاشتغال نحو وان أحد من المشركين استجارك فأجره الثاني أن تكون لا النافية تالية لان مع وجود ما يدل على الشرط كقول الشاعر

فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرقك الحسام

فان لم توجد لا أو كانت الاداة غير ان لم يحذف الا ضرورة فالاحسن الاعراب الثاني (قوله أو موصولة) أي بمعنى الذي والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة ما ومن نعمة بيان لما وهو مبتدأ وخبره قوله فمن الله والفاء زائدة في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى أن الله هو ولي النعم لا غيره وتسمية غيره منعما باعتبار ان النعم أجريت على يده وهو مظهر لها (قوله تجأرون) من الجؤار بوزن غراب وهو رفع الصوت بالدعاء في كشف ما نزل من الضر (قوله ثم اذا كشف الضر عنكم) أي أزاله بايصال النفع لكم (قوله ليكفروا) اللام لام كي وهي متعلقة بيشركون أو لام العاقبة والصيرورة أو لام الامر للتهديد (قوله أمر تهديد) أي تخويف (قوله عاقبة ذلك) أي وهي الخلود في النار (قوله انها لا تضر ولا تنفع) أشار بذلك الى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله وهي الاصنام)

لا يستكبرون) يتكبرون عن عبادته (يخافون) أي الملائكة حال من ضمير يستكبرون (ربهم من فوقهم) حال من هم أي عاليا عليهم بالقهر (ويفعلون ما يؤمرون) به (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين) تأكيد (إنما هو إله واحد) أتى به لاثبات الالهية والوحدانية (فإياي فارهبون) خافون دون غيري وفيه التفات عن الغيبة (وله ما في السموات والارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وله الدين) الطاعة (واصبا) دائما حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف (أفغير الله تتقون) وهو الاله الحق ولا إله غيره والاستفهام للانكار أو التوبيخ (وما بكم من نعمة فمن الله) لا يأتي بها غيره وما شرطية أو موصولة (ثم اذا مسكم) أصابكم (الضر) الفقر والمرض (فإليه تجأرون) ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) من النعمة (فتمتعوا) باجتماعكم على عبادة الاصنام أمر تهديد (فسوف تعلمون) عاقبة ذلك (ويجعلون) أي المشركون (لما لا يعلمون) انها لا تضر ولا تنفع وهي الاصنام (نصيبا مما رزقناهم)

من الحرث والانعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا (تالله لتسئلن) سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة (عما كنتم تفترون) على الله من أنه أمركم بذلك (ويجعلون لله البنات) بقولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيها له عما زعموا (ولهم ما يشتهون) أي البنون والجملة في محل رفع أو نصب بيجعل المعنى يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزه عن الولد ويجعلون لهم الابناء الذين يختارونها فيختصون بالاسنى كقوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (واذا بشر أحدهم بالانثى) تولد له (ظل) صار (وجهه مسودا) متغيرا تغير مغتم (وهو كظيم) ممتلئ غما فكيف تنسب البنات اليه تعالى (يتوارى) يختفي (من القوم) أي قومه (من سوء ما بشر به) خوفا من التعيير مترددا فيما يفعل به (أيمسكه) يتركه بلا قتل (على هون) هوان وذل (أم يدسه في التراب) بأن يئده (ألا ساء) بئس (ما يحكمون) حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هي عندهم بهذا المحل (للذين لا يؤمنون بالآخرة) أي الكفار (مثل السوء) أي الصفة السوأى بمعنى القبيحة وهي وأدهم البنات مع احتياجهم اليهن للنكاح (ولله المثل الاعلى) الصفة العليا وهو أنه لا اله الا هو (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في خلقه (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بالمعاصي (ما ترك عليها) أي الارض (من دابة) نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون) عنه (ساعة ولا يستقدمون) عليه (ويجعلون لله ما يكرهون) لانفسهم من البنات والشريك في الرياسة واهانة الرسل (وتصف) تقول (ألسنتهم) مع ذلك (الكذب) وهو (أن لهم الحسنى) عند الله أي الجنة لقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى قال تعالى

تفسير لما والمعنى ويجعل المشركون للاصنام التي لا يعلمون منها نفعا ولا ضرا نصيبا الخ (قوله من الحرث) بيان لما والمراد بالحرث الزرع (قوله بقولهم) متعلق بيجعلون (قوله وفيه التفات عن الغيبة) أي لزيادة التوبيخ عليهم (قوله بقولهم الملائكة بنات الله) أي وليس المراد بالبنات بناتهم التي يلدونها لانهم يعترفون بأنها منسوبة لهم فلا يضيفونها لله وانما البنات التي يضيفونها لله هي الملائكة والقائل ذلك كنانة وخزاعة (قوله والجملة في محل رفع) المناسب أن يقول مستأنفة لان لهم خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر ولا محل لها من الاعراب (قوله أو نصب بيجعل) أي بالعطف على معمولي يجعل فان قوله لهم معطوف على لله وما معطوفة على البنات مسلط عليها الجعل وفيه العطف على معمولي عامل واحد وهو جائز باتفاق (قوله بالاسنى) أي الارفع والاشرف (قوله واذا بشر أحدهم) الجملة في محل نصب حال من الواو في يجعلون والمراد بالبشارة الاخبار (قوله صار) أشار بذلك الى ان ظل ليست على بابها من أنها تدل على الاقامة على تلك الصفة نهارا بل المراد منها الانتقال من حالة لاخرى (قوله من سوء ما بشر به) أي من أجل سوء الانثى التي بشر بها وسوؤها من حيث انه يخاف عليها الزنا ويتحمل عارها وكونها لا تكتسب وغير ذلك (قوله مترددا) فيه اشارة الى أن قوله أيمسكه الخ معمول لحال محذوفة ولا يصلح ان يكون حالا لانه جملة طلبية (قوله على هون) حال من المفعول والمعنى أيمسكه مهينا له (قوله أم يدسه) أي يخفيه (قوله بأن يئده) الوأد دفن البنت حية (قوله بهذا المحل) أي الرتبة وهي الحقارة والذل (قوله أي الصفة السوأى) أشار بذلك الى أن قوله مثل السوء من اضافة الموصوف لصفته والسوأى بضم السين والقصر بوزن طوبى (قوله ولله المثل الاعلى) أي فصفات الله أعلى الصفات وصفات الكفار أخسها حيث ينسبون لله ما يكرهون لانفسهم مع كونه منزها عن صفات الحوادث (قوله وهو العزيز في ملكه) أي الغالب فلا يعجزه شيء (قوله الحكيم في خلقه) أي يضع الشيء في محله (قوله ولو يؤاخذ الله الناس الخ) أي ولو يعجل الله للناس العقوبة بسبب عصيانهم لم يبق أحد (قوله ما ترك عليها) الضمير عائد على الارض المفهومة من السياق لان الدابة ما دب على وجه الارض (قوله من دابة) من زائدة في المفعول ووجه هلاك الجميع أن الله تعالى يمسك السماء عن المطر والارض عن النبات فاذا حصل ذلك هلك كل مرزوق لان كل دابة محتاجة للقوام فاذا أمسك قوامها هلكت عن آخرها وهو أقرب ما يقال في ذلك (قوله ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) أي ولكن سبقت حكمة الله بأن الدنيا تصير عمارا الى أن تنقضي المدة التي قدرها الله تعالى فاذا كان كذلك فلا يعاجلهم بالعقوبة بل يوفيهم أرزاقهم وآجالهم لغلبة الرحمة على الغضب فلو عاجلهم بالعقوبة لكان الغضب غالبا على الرحمة وهو خلاف ما سبق علمه به (قوله ولا يستقدمون) أي لا يتقدمون على الاجل المعين الذي حضر ان قلت انه لا يحسن ترتيبه على الشرط لان الاجل اذا جاء لا يتوهم التقدم عليه اذ هو مستحيل ولا ينفي الا ما يتوهم ثبوته أجيب بأن قوله ولا يستقدمون معطوف على جملة الشرط وجوابه كأنه قال فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ساعة واذا لم يجئ لا يستقدمون عليه (قوله ويجعلون لله ما يكرهون) هذا من جملة صفات السوء (قوله والشريك في الرياسة) أي وهو الاصنام جعلوها شركاء لله في الالوهية التي هي أعلى أوصاف الرياسة (قوله واهانة الرسل) أي كما أهانوا رسول الله فهم يكرهون البنات والشريك في الرياسة واهانة رسلهم ويجعلون ما يكرهونه لله فينسبون لله البنات ويشركون مع الله في الالوهية غيره ويهينون رسول الله (قوله الكذب) مفعول به وقوله أن لهم الحسنى بدل كل من كل والمعنى وتقول ألسنتهم زيادة على ما سبق منهم ان لهم الحسنى (قوله لقوله) دليل لقوله عند الله (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم وتكذيبا لهم

أرسلنا إلى أمم من قبلك) رسلا (فزين لهم الشيطان أعمالهم) السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فهو وليهم) متولي أمورهم (اليوم) أي في الدنيا (ولهم عذاب أليم) مؤلم في الآخرة وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أي لا ولي لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم (وما أنزلنا عليك) يا محمد (الكتاب) القرآن (إلا لتبين لهم) للناس (الذي اختلفوا فيه) من أمر الدين (وهدى) عطف على لتبين (ورحمة لقوم يؤمنون) به (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (إن في ذلك) المذكور (لآية) دالة على البعث (لقوم يسمعون) سماع تدبر (وإن لكم في الأنعام لعبرة) اعتبارا (نسقيكم) بيان للعبرة (مما في بطونه) أي الأنعام (من) للابتداء متعلقة بنسقيكم (بين فرث) ثفل الكرش (ودم لبنا خالصا) لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون وهو بينهما (سائغا للشاربين) سهل المرور في حلقهم لا يغص به (ومن ثمرات النخيل والأعناب) ثمر (تتخذون منه سكرا) خمرا يسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والخل والدبس (إن في ذلك) المذكور (لآية) على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) يتدبرون (وأوحى ربك

(قوله لا جرم) تقدم أن لا نافية لمعنى ناقبلها وجرم بمعنى حق وثبت وأن وما دخلت عليه في محل رفع فاعل والمعنى لا عبرة بقولهم الكذب بل حق وثبت كون النار لهم وتركهم فيها وتقدم أن قول المفسر حقا مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقا (قوله أو مقدمون إليها) أي معجلون إليها قبل غيرهم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله تالله لقد أرسلنا) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فزين لهم الشيطان أعمالهم) أي جعلها حسنة ليضلهم بها (قوله أي في الدنيا) هذا أحد قولين ذكرهما المفسر وعلى هذا القول فلا يحتاج لتأويل لأن مدة الدنيا كالوقت الحاضر بالنسبة للآخرة وقيل المراد باليوم يوم القيامة الخ أي وعليه فاليوم مستعمل في غير معناه الأصلي لأنه حقيقة في الزمان الحاضر المقارن للتكلم ولذا أوله المفسر بقوله على حكاية الحال الآتية أي فعبر عن الزمان الذي لم يحصل بما هو موضوع للحاضر المقارن لتحقق حصوله فكأنه حاضر الآن (قوله أي لا ولي لهم) أي لا ناصر ولا مغيث لهم غيره (قوله وهو عاجز الخ) الجملة حالية (قوله فكيف ينصرهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالولي على هذا القول الثاني الناصر وأما على الأول فمعناه القرين المتولي إغواءهم (قوله وما أنزلنا الخ) هذا من جملة تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله من أمر الدين) أي كالتوحيد وأحكام العبادات والمعاملات وغير ذلك (قوله وهدى) أي من الضلال (قوله ورحمة) أي إحسانا (قوله لقوم يؤمنون) خصهم لأنهم المنتفعون به دون غيرهم قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا (قوله والله أنزل من السماء ماء) شروع في ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله دالة على البعث) أي لأن القادر على إحياء الأرض بالماء بعد يبسها قادر على إعادة الأجسام بعد تفرقها وانعدامها (قوله سماع تدبر) أي فالمراد بالسماع سماع القلوب لا سماع الآذان (قوله وإن لكم في الأنعام) في للسببية والمعنى وإن لكم بسبب الأنعام لعبرة الخ (قوله لعبرة) أي اتعاظا وتذكارا يعتبر بها المعتبر ويستدل على أن الله هو الرحمن الرحيم الفعال لما يريد (قوله بيان للعبرة) أي لمتعلقها وهو المعتبر به (قوله مما في بطونه) من للتبعيض وقوله من بين فرث من ابتدائية كما قال المفسر والمعنى نسقيكم بعض الذي في بطونه لبنا خالصا ناشئا من بين فرث ودم وذكر الضمير في بطونه هنا مراعاة للفظ الأنعام وأنثه في سورة المؤمنون مراعاة للمعنى الذي هو جماعة الأنعام لأن الأنعام اسم جمع (قوله ثفل الكرش) بضم المثلثة وسكون الفاء والكرش بوزن الكبد (قوله لبنا) مفعول ثان لنسقيكم والأول هو الكاف (قوله وهو بينهما) وذلك لأن البهيمة إذا أكلت العلف طبخه الكرش فيجعل الله أسفله فرثا وأوسطه لبنا خالصا لا يشوبه شيء وأعلاه دما وبينهما حاجز بقدرة الله تعالى ثم يسلط الكبد عليه فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فينزل من غير جمود ثانيا (قوله سهل المرور) أي ولذا جعل غذاء لصغار الحيوانات التي ترضع من أمهاتها وأعظم مزيته يقال عقب أكله اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه بخلاف غيره من الأطعمة فيقال وعوضنا خيرا منه (قوله ومن ثمرات النخيل) خبر مقدم والمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله ثمر وقوله تتخذون نعت لذلك المحذوف والضمير في منه عائد على ذلك المحذوف (قوله خمرا) أي وقيل إنه اسم الخل بلغة الحبشة وقيل اسم العصير ما دام حلوا وتسميته سكرا باعتبار ما يؤول إليه وعلى هذين التفسيرين فالامتنان به باق لم ينسخ (قوله سميت بالمصدر) أي فالسكر مصدر سكر من باب فرح (قوله وهذا قبل تحريمها) أي لأن هذه السورة مكية وتحريم الخمر كان بالمدينة نزلت به سورة المائدة وهي مدنية (قوله والدبس) هو عسل الرطب ويطلق على عسل العنب (قوله المذكور) أي من إخراج اللبن على هذه الكيفية واتخاذ السكر والرزق من الثمرات (قوله وأوحى ربك إلى النحل) لما ذكر سبحانه وتعالى ما يدل على باهر قدرته وعظيم حكمته من إخراج اللبن من بين فرث ودم وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب ذكر إخراج العسل الذي جعله

شفاء

شفاء للناس من النحل وهي دابة ضعيفة لما فيه من العجائب البديعة والامور الغريبة وكل هذا يدل على وحدانية الصانع وقدرته وعظمته (قوله الى النحل) هو اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء كنخل ونخلة وشجر وشجرة ويذكر ويؤنث فمن التأنيث قوله هنا أن اتخذي ويجوز في غير القرآن تذكيره فيقال ان اتخذ (قوله وحي الهام) أي هداية وارشاد لا وحي نبوة اذ هي مستحيلة على غير المختصين من بني آدم فمن أثبتها لغير النوع الانساني فقد كفر (قوله مفسرة) أي لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله أوحى (قوله أو مصدرية) أي فهي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء والتقدير أوحى ربك الى النحل باتخاذها (قوله من الجبال بيوتا) أي أماكن ومن بمعنى في أي اتخذي في الجبال أماكن تأوين اليها الخ ومن عجيب قدرته تعالى ان ألهمها اتخاذ بيوت على شكل مسدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض وليس فيه فرج خالية ولا خلل وألهمها الله تعالى ان تجعل عليها أميرا كبيرا نافذا حكمه فيها وهي تطيعه وهذا الامير أكبرها جثة وأعظمها خلقة يسمى يعسوب وألهمها سبحانه وتعالى ان تجعل على كل باب خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول اليها وألهمها ان تخرج من بيوتها فتغدو وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها (قوله ومما يعرشون) أي وفيما يبنون لك أي فالنحل تارة تبني بيوتها التي هي من الشمع والماء تارة في الجبال وتارة في الاشجار وذلك في النحل الوحشي وتارة تبنيه في الخلايا وهذا في النحل الاهلي (قوله والا لم تأو اليها) أي والا بأن لم يلهمها الله اتخاذ البيوت في الاماكن الثلاثة لم تأو اليها فيضيع عسلها ولا ينتفع به (قوله من كل الثمرات) أي حلوها ومرها طيبها ورديئها (قوله وان توعرت) أي صعبت (قوله ولا تضلي) معطوف على قوله فلا تعسر عليك (قوله أي منقادة لما يراد منك) أي ممتثلة ولذا يقسم يعسوبها أعمالها بينها فالبعض يعمل الشمع والبعض يعمل العسل والبعض يأتي بالماء ويصبه في البيت والبعض يبني البيوت (قوله شراب مختلف ألوانه) أي ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من ألوان العسل واختلف في سبب اختلاف ألوانه فقيل بسبب اختلاف المرعى وقيل بسبب اختلاف سن النحل فالابيض لصغيرها والاصفر لكهلها والاحمر لمسنها ورد هذا بأنه لا دليل عليه (قوله قيل لبعضها) أي الاوجاع كالبلغم والبرودة وباقي الامراض الباردة (قوله أو لكلها) أي الاوجاع جميعها فالامراض التي شأنها البرودة هو نافع لها بنفسه والامراض التي شأنها الحرارة ينفع فيها بضمه وما لغيره ولذلك تجد غالب المعاجين لا تخلو عنه (قوله أقول وبدونها بنيته) أي بنية الشفاء الجازمة فان الله يخلق الشفاء عند استعماله لاخباره تعالى بذلك فتحصل أن في قوله تعالى فيه شفاء للناس أقوالا ثلاثة قيل شفاء لبعض الاوجاع التي شأنها البرودة وقيل شفاء لجميعها لكن في الامراض الباردة يستعمل خالصا والحارة يستعمل مشوبا بغيره وقيل شفاء لجميعها بالنية في كل حال ولكل أحد ولذا روي عن ابن عمر انه كان لا يشكو قرحة ولا شيأ الا جعل عليها عسلا حتى الدمل اذا خرج طلا عليه عسلا وحكى النقاش عن أبي وجرة انه كان يكتحل بالعسل ويتنشق بالعسل ويتداوى بالعسل (قوله وقد أمر به صلى الله عليه وسلم الخ) قد اختصر المفسر الحديث ونصه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ ولا عبرة باعتراض الملحدين الذين في قلوبهم مرض على هذا الحديث حيث قالوا ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال لان الاسهال يكون من أنواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والاخلاط وقد أجمع الاطباء على ان علاجه بالمعين على الاسهال الذي من الطبيعة مضر فهذا الحديث محمول على ذلك ولا نسلم ما ذكر من أطباء ... المعدة وخاصة من الغش (قوله ان في ذلك لآية) أي دلالة على وحدانية الصانع العالم القادر (قوله والله خلقكم) أي أنشأكم وأوجدكم (قوله ثم يتوفاكم) أي يميتكم (قوله

الى النحل) وحي الهام (ان) مفسرة أو مصدرية (اتخذي من الجبال بيوتا) تأوين اليها (ومن الشجر بيوتا (ومما يعرشون) أي الناس يبنون لك من أماكن والا لم تأو اليها (ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي) ادخلي (سبل ربك) طرقه في طلب المرعى (ذللا) جمع ذلول حال من السبل أي مسخرة لك فلا تعسر عليك وان توعرت ولا تضلي عن العود منها وان بعدت وقيل من الضمير في اسلكي أي منقادة لما يراد منك (يخرج من بطونها شراب) هو العسل (مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) من الاوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء أو لكلها بضميمته الى غيره أقول وبدونها بنيته وقد أمر به صلى الله عليه وسلم من استطلق عليه بطنه رواه الشيخان (ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) في صنعه تعالى (والله خلقكم) ولم تكونوا شيأ (ثم يتوفاكم) عند انقضاء آجالكم

القرآن لم يصر بهذه الحالة (ان الله عليم) بتدبير خلقه (قدير) على ما يريده (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) فمنكم غني وفقير ومالك ومملوك (فما الذين فضلوا) أي الموالي (برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم) أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم (فهم) أي المماليك والموالي (فيه سواء) شركاء المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له (أفبنعمة الله يجحدون) يكفرون حيث يجعلون له شركاء (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) أولاد الاولاد (ورزقكم من الطيبات) من أنواع الثمار والحبوب والحيوان (أفبالباطل) الصنم (يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون) باشراكهم (ويعبدون من دون الله) أي غيره (ما لا يملك لهم رزقا من السموات) بالمطر (والأرض) بالنبات (شيئا) بدل من رزقا (ولا يستطيعون) يقدرون على شيء وهو الأصنام (فلا تضربوا لله الأمثال) لا تجعلوا لله أشباها تشركونهم به (ان الله يعلم) أن لا مثل له (وأنتم لا تعلمون) ذلك (ضرب الله مثلا) ... (عبدا مملوكا) ...

ومنكم من يرد الخ) معطوف على محذوف والتقدير فمنكم من يبقى على قوة جسمه وعقله الى أن يموت ومنكم الخ (قوله الى أرذل العمر) أي أضعفه قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب أولها سن النشو والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهي من الاربعين الى ستين سنة وفي هذه المرتبة يشرع الانسان في النقص غير انه يكون خفيا ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات (قوله لكيلا يعلم بعد علم شيأ) اللام لام التعليل وكي مصدرية ولا نافية وشيأ تنازعه الفعل والمصدر فاعمل الثاني وأضمر في الاول وحذف والمعنى لاجل انتفاء علمه بالاشياء التي كان يعلمها قبل هذه الحالة فيرجع الى مبدئه في عدم المعرفة والعلم كالطفل الذي لا يدري شيأ (قوله من قرأ القرآن) أي عاملا به وكذلك العلماء العاملون لا يصيرون بهذه الحالة بل كلما ازدادوا في العمر ازدادوا في العلم والمعرفة والعقل كما هو مشاهد ولذا قالوا أعلى كلام العارفين ما صدر منهم في آخر عمرهم بل قالوا الرد لارذل العمر يكون للكفار والمنهمكين في الشهوات من عوام المؤمنين (قوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) المقصود من ذلك الرد على الكفار حيث جعلوا لله شريكا في ألوهيته كأنه قال الله جعل منكم أغنياء وفقراء كالاغنياء لا ترضى ان تشرك الفقراء في أوصافهم فكيف يجعلون لله شريكا في صفاته مع انه الغني المطلق عما سواه وهذا من ثمرات قوله ويجعلون لله ما يكرهون (قوله أي الموالي) المراد بهم السادة (قوله المعنى ليس لهم شركاء) أشار بذلك الى أن قوله فهم فيه سواء حذف منه أداة الاستفهام والتقدير أفهم فيه سواء ومعناه النفي أي ليسوا مستوين فيه أي لا ترضى الاغنياء بتسوية الفقراء معهم في غناهم ولا الموالي بتسوية العبيد معهم في سيادتهم فكيف يجعلون وصف الالوهية لغيره تعالى (قوله أفبنعمة الله) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف وهي داخلة على الفعل والمعنى أيشركون به فيجحدون نعمته (قوله يكفرون) أشار بذلك الى أنه ضمن قوله يجحدون معنى يكفرون فعداه بالباء والا فالجحد يتعدى بنفسه (قوله من أنفسكم) أي نوعكم وجنسكم (قوله فخلق حواء من ضلع آدم) أي الايسر القصير (قوله بنين) لم يذكر البنات لكراهتهم لهن فلم يمتن عليهم الا بما يحبونه (قوله أولاد الاولاد) أي وسموا حفدة لانهم يخدمون أجدادهم ويسارعون في طاعتهم لان الحفد معناه الخادم (قوله أفبالباطل يؤمنون) يقال فيه ما قيل فيما قبله فيكون التقدير أبعد تحقق ما ذكر من نعم الله يؤمنون بالباطل وهو استفهام توبيخ وتقريع (قوله ويعبدون) عطف على يكفرون (قوله ما لا يملك الخ) أي أصناما لا تستطيع جلب نفع ولا دفع ضر (قوله بالمطر) أي بانزاله (قوله بدل من رزقا) أي على ان الرزق اسم عين بمعنى المرزوق وفيه أن البدل اما للتوكيد أو البيان وشيأ لا يصلح لذلك وحينئذ فالمناسب جعله صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله يملك والتقدير ما لا يملك لهم ملكا شيأ أي قليلا أو كثيرا جليلا أو حقيرا (قوله تشركونهم به) أي فان ضرب المثل تشبيه حال بحال والله منزه عن الاحوال والكيفيات وأما ضرب المثل بمعنى تشبيه حال بعض المخلوقات بحال بعض لاجل الاستدلال على اتصافه بالكمالات فلا ينهى عنه بل ذكره الله في كتابه وعلمنا كيفية ضربه قال تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الى آخره وقال هنا ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الخ (قوله أن لا مثل له) وقيل المراد أن الله يعلم كيفية ضرب الامثال وأنتم لا تعلمون كيفيتها (قوله ضرب الله مثلا) هذا مرتب على قوله فلا تضربوا لله الامثال لان المراد بهذه الامثال التي تقصد تشبيه الله بغيره وأما المثل الذي يقصد التوضيح فقد ضرب به الله بقوله ضرب الله مثلا الخ (قوله صفة تميزه من الحر) ...

ولد أخرس (لا يقدر على شيء) لانه لا يفهم ولا يفهم (وهو كل) ثقيل (على مولاه) ولي أمره (أينما يوجهه) يصرفه (لا يأت) منه (بخير) بنجح وهذا مثل الكافر (هل يستوي هو) أي الابكم المذكور (ومن يأمر بالعدل) أي ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه (وهو على صراط) طريق (مستقيم) وهو الثاني المؤمن لا وقيل هذا مثل لله والابكم للاصنام والذي قبله في الكافر والمؤمن (ولله غيب السموات والارض) أي علم ما غاب فيهما (وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب) منه لانه بلفظ كن فيكون (ان الله على كل شيء قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ) الجملة حال (وجعل لكم السمع) بمعنى الاسماع (والابصار والافئدة) القلوب (لعلكم تشكرون) ه على ذلك فتؤمنون (ألم يروا الى الطير مسخرات) مذللات للطيران (في جو السماء) أي الهواء بين السماء

بأن المراد به الرقيق اذ الحر لا يسمى مملوكا عرفا وان كان يسمى عبد الله (قوله لا يقدر على شيء) أي من التصرفات واختلف العلماء في العبد هل يملك ما تحت يده من الاموال أو لا يملكها فقال مالك انه يملك غير ان ملكه غير تام وقال الشافعي لا يملك أصلا وانما الذي تحت يده ملك سيده والآية مفروضة في عبد لا يقدر على شيء وكون العبد يملك أو لا شيء آخر (قوله ومن) معطوف على عبدا (قوله حسنا) أي حلالا (قوله والاول مثل الاصنام والثاني مثله تعالى) أي فالمقصود من ذلك التوصل الى ابطال الشريك والرد على الكفار كأن الله يقول أنتم لا تسوون العبد المملوك العاجز بالحر الغني الذي يتصرف في ماله كيف يشاء فكيف تشركون الاصنام التي هي أضعف من العبد المملوك مع الله القادر المتصرف في خلقه (قوله هل يستوون) أي في الاجلال والتعظيم ولم يقل يستويان نظرا الى تعدد أفراد كل قسم واعلم بجمع المفسر الحر كما جمع العبيد اشارة الى أنه مثل متوصل به الى توحيد الله والله تعالى واحد فافرده تأدبا (قوله لا) هو جواب الاستفهام (قوله الحمد لله) هذا حمد من الله لنفسه في مقام الرد على المشركين أي هو المستحق لجميع المحامد المنعم المتفضل الخالق الرازق وأما هذه الاصنام فلا تستحق ذلك لانها جمادات عاجزة لا تنفع ولا تضر (قوله فيشركون) أي يعبدون غير الله مع ظهور البراهين والحجج الدالة على وحدانية الله تعالى (قوله أحدهما أبكم) أي والآخر ناطق قادر خفيف على مولاه أينما يوجهه يأتي بخير وقد حذف هذا المقابل لدلالة قوله ومن يأمر بالعدل الخ عليه (قوله ولد أخرس) المناسب تفسيره بالذي لا يسمع ولا يبصر ليظهر قوله لانه لا يفهم ولا يفهم (قوله أينما يوجهه الخ) أين اسم شرط جازم ويوجهه فعل الشرط وقوله لا يأت جواب الشرط مجزوم بحذف الياء (قوله بنجح) بضم النون بوزن قفل أي لا يأت بشيء نافع (قوله ومن يأمر بالعدل) معطوف على الضمير في يستوي والشرط موجود وهو الفصل بالضمير المنفصل (قوله وقيل هذا) أي من يأمر بالعدل (قوله والذي قبله) أي وهو قوله عبدا مملوكا ومن رزقناه وقيل كل في الكافر والمؤمن وقيل كل في المعبود بحق والمعبود بباطل فتكون الاقوال أربعة (قوله في الكافر والمؤمن) قيل محمول على العموم وقيل المراد بالكافر أبو جهل والمؤمن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك (قوله ولله غيب السموات) هذا دليل على كمال علمه وقدرته (قوله أي علم ما غاب) أي خفي وبطن (قوله وما أمر الساعة) أي قيام الخلق من القبور (قوله الا كلمح البصر) أي انطباق جفن العين أو فتحه (قوله لانه بلفظ كن فيكون) فيه تسامح اذ ليس ثم كاف ولا نون بل المراد سرعة الايجاد فاذا أراد شيأ أوجده سريعا (قوله لا تعلمون) أي لا تعرفون (قوله حال) أي من الكاف في أخرجكم (قوله وجعل لكم السمع) أفرده باعتبار كونه مصدرا في الاصل (قوله ألم يروا) أي ينظروا بأبصارهم (قوله مسخرات) هو حال من الطير (قوله في جو السماء) الجو الفضاء الكائن بين السماء والارض قال كعب الاحبار ان الطير يرتفع في الجو مسافة اثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك (قوله عند قبض أجنحتهن) هذا يفيد أنها في حال الطيران تقبض أجنحتها مع انه خلاف المشاهد فالمناسب أن يقول ما يمسكهن في حال طيرانهن الا الله فان ثقل أجسادها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا شيء تحتها يمسكها (قوله من جلود الانعام بيوتا) أي وذلك في بعض الناس كالسودان فانهم يتخذون خيامهم من الجلود (قوله كالخيام) جمع خيمة والقباب جمع قبة وهي دون الخيمة (قوله تستخفونها) أي يخف عليكم حملها في رحيلكم واقامتكم فلا يثقل عليكم حملها في الحالين

والارض (ما يمسكهن) عند قبض أجنحتهن وبسطها أن يقعن (الا الله) بقدرته (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) هي خلقها بحيث يمكنها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) كالخيام والقباب (تستخفونها) للحمل (يوم ظعنكم) سفركم (ويوم اقامتكم

(ومن أصوافها) أي الغنم (وأوبارها) أي الابل (وأشعارها) أي المعز (أثاثا) متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية (ومتاعا) تتمتعون به (الى حين) يبلى فيه (والله جعل لكم مما خلق) من البيوت والشجر والغمام (ظلالا) جمع ظل تقيكم حر الشمس (وجعل لكم من الجبال أكنانا) جمع كن وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب (وجعل لكم سرابيل) قمصا (تقيكم الحر) أي والبرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) حربكم أي الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (كذلك) كما خلق هذه الاشياء (يتم نعمته) في الدنيا (عليكم) بخلق ما تحتاجون اليه (لعلكم) يا أهل مكة (تسلمون) توحدونه (فان تولوا) أعرضوا عن الاسلام (فانما عليك) يا محمد (البلاغ المبين) الابلاغ البين وهذا قبل الامر بالقتال (يعرفون نعمت الله) أي يقرون بأنها من عنده (ثم ينكرونها) باشراكهم (وأكثرهم الكافرون و) اذكر (يوم نبعث من كل أمة شهيدا) هو نبيها يشهد لها وعليها وهو يوم القيامة (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم العتبى أي الرجوع الى ما يرضى الله (واذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب) النار (فلا يخفف عنهم) العذاب (ولا هم ينظرون) يمهلون عنه اذا رأوه (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) من الشياطين وغيرها (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا) نعبدهم (من دونك فألقوا اليهم القول) أي قالوا لهم (انكم لكاذبون) [illegible]
[illegible] (وألقوا الى الله يومئذ السلم) [illegible]

(قوله ومن أصوافها) معطوف على من جلود الانعام وقوله أثاثا معطوف على بيوتا ولم يذكر القطن والكتان لانهما لم يكونا ببلاد العرب (قوله كبسط) بضم الباء والسين وقد تسكن (قوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا) أي ما تستظلون به وذكر في مقام الامتنان لان بلاد العرب شديدة الحر فحاجتهم للظلال وما يدفع عنهم شدة الحر وقوته أكثر (قوله والغمام) أي السحاب (قوله جمع كن) أي غطاء والاكنة الاغطية ومنه وجعلنا على قلوبهم أكنة (قوله أي والبرد) أشار بذلك الى أن فيه حذف الواو مع ما عطفت ويسمى عند أهل المعاني اكتفاء (قوله كالدروع) أي دروع الحديد وقوله والجواشن جمع جوشن وهو الدرع فالعطف للتفسير (قوله فان تولوا) أي داموا على التولي والاعراض (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) مراده أن هذه الآية منسوخة وفيه أنه لا يظهر الا لو قدر جواب الشرط فلا تقاتلهم مثلا وأما لو قدر فلا عتب عليك ولا مؤاخذة لانك لا قدرة لك على خلق الايمان في قلوبهم فلا يظهر النسخ لانه لا ينافي الامر بقتالهم (قوله يعرفون نعمت الله) أي وهي ما تقدم من أول السورة الى هنا من النعم العظيمة يقرون بأنها من عند الله ولا يصرفونها في مصارفها (قوله ثم ينكرونها) أتى بثم اشارة الى أن انكارهم مستبعد بعد المعرفة لان من عرف النعمة حقه أن لا ينكرها بعد ذلك (قوله وأكثرهم الكافرون) أي يموتون كفارا وأقلهم يهتدي للاسلام فان أكثر صناديدهم مات كافرا والاقل منهم أسلم (قوله ويوم نبعث) يوم منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اذكر والمعنى اذكر يا محمد لقومك يوم نجعل لكل أمة شهيدا أو المراد بالبعث الاحياء أي يوم نحيي من كل أمة شهيدا والاول أقرب (قوله يشهد عليها) أي بالتكذيب والكفر وقوله ولها أي بالتصديق والايمان (قوله وهو يوم القيامة) أي لانه ورد أنه يؤتى بالامم الماضية وأنبيائهم فيقال للانبياء هل بلغتم أممكم فيقولون نعم بلغنا فيقال للامم هل بلغكم رسلكم فيقولون يا ربنا ما جاءنا من نذير فيؤتى بالامة المحمدية فتشهد للانبياء بالتبليغ وعلى الامم بالتكذيب فتقول الامم من أين أتى لكم ذلك وأنتم آخر الامم فيقولون أخبرنا نبينا بذلك عن ربنا وهو صادق عن صادق فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزكي أمته وأما الكفار من أمته فهو يقول يا رب قد بلغتهم فتنقطع حجتهم فهو مخصوص بأنه مقبول الشهادة من غير مزك له (قوله ثم لا يؤذن للذين كفروا) اختلف في متعلق الاذن المنفي فقال المفسر في الاعتذار ويدل له قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل لا يؤذن لهم في كثرة الكلام وقيل في الرجوع الى الدنيا والتكليف وقيل في التكلم وقت شهادة الشهود بل يسكتون وقتها ولا يقدر أحد منهم على التكلم اذ ذاك (قوله ولا هم يستعتبون) أي لا تزال عتباهم وهي ما يعتبون ويلامون عليها يقال استعتبت فلانا بمعنى أزلت عتباه فالسين والتاء للسلب نظير الهمزة في أعذر اليه على ألسنة المرسلين (قوله الى ما يرضى الله) أي من الرجوع الى الدنيا والعبادة فيها (قوله فلا يخفف عنهم) أي فهم لا يخفف عنهم وانما احتيج لتقدير المبتدأ لصحة دخول الفاء لان الفعل المضارع الصالح لمباشرة الاداة لا يقترن بالفاء فاحتيج لجعلها جملة اسمية لوجود الفاء (قوله العذاب) تفسير للضمير المستتر في الفعل (قوله واذا رأى) أي أبصر (قوله شركاءهم) مفعول به والاضافة لادنى ملابسة لكون الاشراك نشأ منهم وكذا يقال في قوله هؤلاء شركاؤنا (قوله قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) انما قصدوا بذلك توزيع العذاب بينهم (قوله فألقوا اليهم القول) المعنى فيخلق الله الحياة والعقل والنطق في تلك الاصنام ويقولون انكم لكاذبون في عبادتكم لنا فانكم ما [illegible] [illegible] (قوله أي استسلموا) [illegible] لا ينفعهم (قوله من أن آلهتهم تشفع لهم) [illegible] (قوله

الذين كفروا) مبتدأ خبره قوله زدناهم (قوله وصدوا عن سبيل الله) أي منعوا الناس عن الدخول في الايمان وهذه الآية تعم من يحمل الناس على الكفر ولو كان يقول لا اله الا الله (قوله قال ابن مسعود) أي في تفسير العذاب الزائد وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها أربعين خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني بزيادة العذاب خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار يسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها (قوله أنيابها كالنخل الطوال) أي وجسمها بالنسبة لانيابها كجسم أحدنا بالنسبة الى نابه فتكون عظيمة الجثة جدا أجارنا الله والمسلمين منها (قوله بما كانوا يفسدون) الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كونهم مفسدين (قوله ويوم نبعث) كرر لزيادة التهديد (قوله أي قومك) هذا أحد تفسيرين وقيل المراد بهؤلاء الانبياء لاستجماع شرعه شرائعهم وأما كونه شهيدا على أمته فقد علم مما تقدم فحملها عليه فيه تكرار الا أن يقال المراد بشهادته على أمته تزكيته وتعديله لهم حتى شهدوا على تبليغ الانبياء وهذا لم يعلم مما مر مع أنه الوارد في الحديث (قوله ونزلنا عليك) أي في الدنيا فهو كلام مستأنف (قوله تبيانا) حال أو مفعول لاجله وهو مصدر ولم يجيء من المصادر على وزن تفعال بالكسر الا تبيان وتلقاء وفي الاسماء كثير نحو التمساح والتمثال (قوله تبيانا) أي بيانا شافيا بليغا لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى (قوله لكل شيء) يحتاج اليه من أمر الشريعة ان قلت انا نجد كثيرا من أحكام الشريعة لم يعلم من القرآن تفصيلا كعدد ركعات الصلاة ونصاب الزكوات وغير ذلك فكيف يقول الله تبيانا لكل شيء أجيب بأن البيان اما في ذات الكتاب أو باحالته على السنة قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أو باحالته على الاجماع قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين الآية أو على القياس قال تعالى فاعتبروا يا أولي الابصار والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس فهذه أربعة طرق لا يخرج شيء من أحكام الشريعة عنها وكلها مذكورة في القرآن فكان تبيانا لكل شيء بهذا الاعتبار (قوله للمسلمين) تنازعه كل من هدى ورحمة وبشرى (قوله الموحدين) أي وأما الكفار فهو لهم خسران وعذاب وانذار (قوله ان الله يأمر بالعدل) هذه الآية من ثمرات قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء حتى قال العلماء ان لم يكن في القرآن غير هذه الآية لكفت في البيان والهدى والرحمة لانها آمرة بكل خير ناهية عن كل شر (قوله التوحيد) أي شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وهذا التفسير وارد عن ابن عباس وفي رواية عنه أيضا العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للمرء ما تحب لنفسك فان كان مؤمنا تحب أن يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب أن يكون أخاك في الاسلام وفي رواية العدل التوحيد والاحسان الاخلاص وكل هذا أفاده المفسر بقوله التوحيد والانصاف أي في كل الامور فالانصاف في التوحيد اعتقاد أن الله متصف بكل كمال منزه عن كل نقص والانصاف في الاعتقاد نسبة الافعال كلها لله ونسبة الكسب للعبد خلافا للجبرية والمعتزلة فالفرقة الاولى نفت الكسب أصلا وقالوا العبد كالريشة المعلقة في الهواء لا فعل له أصلا وتعذيب الله له ظلم وهؤلاء كفار والفرقة الثانية قالوا العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية وهؤلاء فساق وكلا المذهبين جور والانصاف نسبة الافعال كلها لله خيرها وشرها ظاهرها وباطنها ولكن من الافعال ما هو جبري وهذه لا كسب للعبد فيها ولذا لا يثاب عليها ولا يعاقب ومنها ما هو اختياري وهذه للعبد فيها نوع كسب ولذا يثاب عليه ان كان خيرا ويعاقب عليه ان كان شرا وهذا مذهب أهل السنة فخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين والانصاف في العبادات عدم التفريط والافراط فيها بل يكون بين ذلك قواما والانصاف في النفقات أن لا يسرف ولا يقتر قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والانصاف بين عباد الله يتسع لوجدانه وينصر المظلوم على الظالم ويعامل الخلق باللطف والرفق وغير ذلك (قوله والاحسان)

(الذين كفروا وصدوا) الناس (عن سبيل الله) دينه (زدناهم عذابا فوق العذاب) الذي استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود عقارب أنيابها كالنخل الطوال (بما كانوا يفسدون) بصدهم الناس عن الايمان (و) اذكر (يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) هو نبيهم (وجئنا بك) يا محمد شهيدا على هؤلاء أي قومك (ونزلنا عليك الكتاب) القرآن (تبيانا) بيانا (لكل شيء) يحتاج اليه الناس من أمر الشريعة (وهدى) من الضلالة (ورحمة وبشرى) بالجنة (للمسلمين) الموحدين (ان الله يأمر بالعدل) التوحيد أو الانصاف (والاحسان) أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه

عطاء (ذي القربى) القرابة خصه بالذكر اهتماما به (وينهى عن الفحشاء) الزنا (والمنكر) شرعا من الكفر والمعاصي (والبغي) الظلم للناس خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك (يعظكم) بالامر والنهي (لعلكم تذكرون) تتعظون وفيه ادغام التاء في الاصل في الذال وفي المستدرك عن ابن مسعود وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر (وأوفوا بعهد الله) من البيع والايمان وغيرها (اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) توثيقها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) بالوفاء حيث حلفتم به والجملة حال (ان الله يعلم ما تفعلون) تهديد لهم (ولا تكونوا كالتي نقضت) أفسدت (غزلها) ما غزلته (من بعد قوة) احكام له وبرم (أنكاثا) حال جمع نكث وهو ما ينكث أي يحل احكامه وهي امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه (تتخذون) حال من ضمير تكونوا أي لا تكونوا مثلها في اتخاذكم (أيمانكم دخلا) هو ما يدخل في الشيء وليس منه أي فسادا وخديعة (بينكم) بان تنقضوها (أن) أي لأن (تكون أمة) جماعة (هي أربى) أكثر (من أمة)

أي مع الله وفي عبادته فالاحسان مع الله اعتقاد انفراده على الوجه الاكمل والاحسان مع عباده أن تعفو
عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك (قوله كما في الحديث) أي فقد سأل جبريل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال له عليه الصلاة والسلام أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك والمعنى ان تعبد الله ملاحظا جلاله كأنك تراه ببصرك وهذا مقام المشاهدة فان لم تصل لهذه
المرتبة فلاحظ أنه يراك وانك في حضرته وهذا مقام المراقبة فمثل المشاهد كالبصير الجالس
في حضرة الملك فادبه من جهتين كونه رائيا الملك وكون الملك رائيا ومثل المراقب كمثل الاعمى الجالس
في حضرة الملك فأدبه من جهة ملاحظته كون الملك رائيا له (قوله وايتاء ذي القربى) أي
التصدق على القريب وهو آكد من التصدق على غيره لان فيه صدقة وصلة قال عليه الصلاة
والسلام ان أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم (قوله من الكفر والمعاصي) أي فيدخل فيه الزنا وغيره فهو
تعميم بعد تخصيص (قوله اهتماما به) أي لانه أعظم المعاصي بعد الكفر ولذا قال بعض العلماء
أعجل العقوبة على المعاصي العقوبة على البغي وفي الحديث لو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لانتقم
الله من الباغي وفيه أيضا الظلمة وأعوانهم كلاب النار (قوله كما بدأ بالفحشاء كذلك) أي اهتماما به لان
فيه ضياع الانساب والاعراض ويترتب عليه المقت والعقوبة من الله قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وساء سبيلا (قوله يعظكم) حال من فاعل يأمر وينهى أي يأمركم وينهاكم حال كونه واعظا
لكم (قوله في الاصل) أي فأصله تتذكرون قلبت التاء ذالا وادغمت في الذال (قوله هذه أجمع آية
الخ) روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال أعدها يا محمد ولما
قرأها قال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر ولكونها
أجمع آية استعملها الخطباء في آخر الخطبة (قوله وأوفوا بعهد الله) هذه من جملة المأمور به على سبيل
التفصيل وبدأ بالامر بالوفاء بالعهد لانه آكد الحقوق وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الاسلام ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله من البيع) بكسر الباء
جمع بيعة وهي المعاهدة على أمر شرعي (قوله والايمان) جمع يمين أي وأوفوا بما حلفتم عليه ولا تحنثوا
في أيمانكم أي اذا كان فيها صلاح والا فالحنث خير لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فرأى
غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه فهو عام مخصوص (قوله وغيرها) أي كالمواعيد
فالمراد من العهد كل ما يلزم الانسان الوفاء به سواء أوجبه الله على الشخص أو التزمه الشخص من نفسه
كعهود المشايخ التي يأخذونها على المريدين بأنهم يلازمون طاعة الله ولا يخالفونه في أمر فالواجب
على المريدين الوفاء بها حيث كانت المشايخ موزونين بميزان الشرع متصفين بالاخلاق الحميدة
والافعال السديدة (قوله بعد توكيدها) أي تغليظها والتوكيد مصدر وكد بالواو ويقال أكد بالهمزة
فمصدره التأكيد وهما لغتان (قوله كفيلا) أي شهيدا (قوله والجملة حال) أي من فاعل تنقضوا (قوله
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها) أي لا تنقضوا العهود التي عاهدتم عليها الخالق أو المخلوق في غير
معصية فتكونوا كالتي نقضت غزلها (قوله حال) أي أو منصوب على المصدرية لان معنى نقضت
نكثت فهو مطابق لعامله في المعنى (قوله جمع نكث) بكسر النون (قوله وهي امرأة حمقاء) أي
واسمها ريطة بنت سعد بن تيم قرشية فقد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة
على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلنه وقوله حمقاء
أي قليلة العقل (قوله كانت تغزل) أي الصوف والوبر والشعر (قوله تتخذون) أي تصيرون وأيمانكم
مفعول أول ودخلا مفعول ثان (قوله دخلا) أصل الدخل العيب الذي يدخل في الشيء وليس
من جنسه والمراد به هنا الفساد والخديعة كما قال المفسر (قوله أي لأن تكون) أشار بذلك الى أن
النصب على وجه التعليل أي لا تجعلوا أن تكون أمة [illegible]

وقوله هي أربى من أمة (قوله وكانوا) أي قريش وهو مشاهد في أهل زماننا حيث يتعجون لأرباب المناصب ما داموا في مناصبهم فإذا عزلوا أو انقضت مرتبتهم تركوهم ولم يلتفتوا لهم وكأنهم لم يعرفوهم وليس هذا من الايمان بل الايمان الوفاء بالعهد وعدم نقضه إن لم يكن في بقائه عصيان لله (قوله فإذا وجدوا أكثر منهم) أي مالا أو جاها (قوله حالفوا أولئك) الحلف بكسر فسكون العهد يكون بين القوم (قوله لينظر المطيع) أي ليظهر لكم المطيع من غيره فإن المطيع يدوم على العهد والود وإن ذهبت من حليفه حظوظ الظاهر وغيره يدور مع الظاهر (قوله أو يكون) معطوف على قوله بما أمر به وعليه فالضمير عائد على المصدر المنسبك من أن تكون والمعنى لا تتخذوا عهودكم حيلة وخداعا من أجل كون تلك الأمة التي عاهدتموها ذات مال أو جاه فإن انتقل المال أو الجاه لغيرهم نقضتم عهود الأوائل فصاحب هذه الأوصاف خائن لله ولعباده (قوله فيه تختلفون) أي تترددون (قوله ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله سؤال تبكيت) أي لا تفهم وقد أشار بذلك الى وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فالمثبت سؤال التبكيت والمنفي سؤال التفهم (قوله ولا تتخذوا أيمانكم) أي عهودكم (قوله دخلا بينكم) أي فسادا وخديعة (قوله كرره تأكيدا) أي كرر النهي عن اتخاذ الايمان خديعة وحيلة تأكيدا للاشارة الى أن هذا أمر فظيع جدا فإن نقض العهد فيه فساد الدين والدنيا والعرض والوفاء به فيه خير الدنيا والآخرة (قوله فتزل قدم) منصوب باضمار أن في جواب النهي وأفرد القدم ونكره اشارة الى أن زلة القدم ولو مرة واحدة أو أي قدم مضرة لأن من زل به القدم فقد طرد عن باب الله (قوله عن محجة الاسلام) أي طريقه ومثل ذلك من زل به القدم في عهد شيخه فنقضه فإنه مطرود عن طريقه ومتى طرد عن طريقه فقد سلب ما وهبه الله له من النور الالهي فلا يرجى له الفتح في طريقة أخرى لأن غاية الطرق واحدة وهو قد طرد عن الغاية (قوله العذاب) أي في الدنيا بدليل قوله ولكم عذاب عظيم في الآخرة (قوله عن سبيل الله) أي دينه الموصل لرضاته (قوله أي بصدكم عن الوفاء) هو من صد اللازم أي امتناعكم واعراضكم عن الوفاء (قوله أو بصدكم غيركم عنه) هو من صد المتعدي أي منعكم غيركم (قوله لأنه) أي ذلك الغير (قوله يستن) أي يقتدي بكم في نقض العهود (قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) أي لا تتركوا عهد الله في نظير عرض قليل تأخذونه (قوله بأن تنقضوه) أي العهد وقوله لأجله أي الثمن القليل وظاهره ولو من حلال وإذا كان نقض العهد لأجل القليل من الحلال مذموما فالحرام أولى بالذم والمراد بالثمن القليل أعراض الدنيا وإن كثرت (قوله إنما عند الله هو خير لكم) علة لما قبله وإن حرف توكيد ونصب وما اسم موصول اسمها وعند الله صلته وجملة هو خير لكم خبرها وقوله من الثواب بيان لما (قوله إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه وقدره المفسر بقوله فلا تنقضوا (قوله ما عندكم ينفد) مبتدأ وخبر والنفاد بالفتح الفناء والذهاب يقال نفد بالكسر ينفد بالفتح فني وفرغ وأما نفذ بالفتح والمعجمة ينفذ بالضم فمعناه مضى يقال نفذ حكم الأمير بمعنى مضى (قوله باق) يصح الوقف عليه بثبوت الياء وحذفها مع سكون القاف قراءتان سبعيتان (قوله دائم) أي لا يفرغ ولا يفنى (قوله بالياء والنون) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله على الوفاء بالعهود) أي والمراد مشاق التكاليف (قوله أجرهم) مفعول ثان ليجزي وقوله بأحسن الباء بمعنى على (قوله أحسن بمعنى حسن) أشار بذلك الى أن أفعل التفضيل ليس على بابه ودفع بذلك ما يتوهم من قصر المجازاة على الأحسن الذي هو الواجبات مع أنهم مجازون على الواجبات والمندوبات * وهناك تقرير آخر في الآية وهو أن الأحسن صفة لموصوف محذوف أي بثواب أحسن من عملهم أي أكثر منه تفضلا واحسانا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والباء لمجرد التعدية (قوله من عمل صالحا) من اسم شرط مبتدأ وعمل فعل الشرط وقوله فلنحيينه جوابه (قوله قيل هي حياة الجنة) هذا القول لمجاهد وقتادة ورواه عوف عن

وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا وحالفوا أولئك وحالفوهم (إنما يبلوكم) يختبركم (الله به) أي بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي أو يكون أمة أربى لينظر أتفون أم لا (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أهل دين واحد (ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن) يوم القيامة سؤال تبكيت (عما كنتم تعملون) لتجازوا عليه (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) كرره تأكيدا (فتزل قدم) أي أقدامكم عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) استقامتها عليها (وتذوقوا السوء) أي العذاب (بما صددتم عن سبيل الله) أي بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) من الدنيا بأن تنقضوه لأجله (إنما عند الله) من الثواب (هو خير لكم) مما في الدنيا (إن كنتم تعلمون) ذلك فلا تنقضوا (ما عندكم) من الدنيا (ينفد) يفنى (وما عند الله باق) دائم (ولنجزين) بالياء والنون (الذين صبروا) على الوفاء بالعهود (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أحسن بمعنى حسن (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) قيل هي حياة الجنة

الماشين وقال لا تطيب الحياة إلا في الجنة لأنها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة (قوله وقيل في الدنيا بالقناعة) هذا القول الحسن وقوله أو الرزق الحلال هو لسعيد بن جبير وعطاء وزيد على ما ذكره المفسر ما قيل هي حلاوة الطاعة وقيل رزق يوم بيوم وقيل الحياة الطيبة تحصل في القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقيل ما هو أعم فالحياة الطيبة في الدنيا بالتوفيق للطاعة والرزق الحلال وفي القبر بالراحة من النكد والتعب وفي الجنة بالنعيم المقيم (قوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أي في الجنة واستفيد من هذا أن الحياة الطيبة ليست هي الجزاء لأنه قد قيل بأنها تكون في الدنيا أو القبر وليس النعيم في ذلك جزاء بل الجزاء ما كان في الآخرة بالجنة وما فيها (قوله فإذا قرأت القرآن) حكمة التفريع على ما تقدم أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال فطلب بالاستعاذة عند قراءته ليحفظ من الضياع المترتب على الوساوس الشيطانية والمعنى إذا علمت مما تقدم أن عظم الجزاء على محاسن الأعمال فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن الذي هو أحسن الأعمال وأزكاها (قوله أي أردت قراءته) أشار بذلك إلى أن الأمر بالاستعاذة قبل القراءة وإليه ذهب أكثر الفقهاء والمحدثين ووجهه أن الاستعاذة تذهب الوسوسة فتقديمها أولى وذهب الأقل إلى إبقاء الآية على ظاهرها وأن الأمر بالاستعاذة بعد تمام القراءة ووجهه بأن القارئ يستحق الثواب العظيم على قراءته وربما حصلت له الوسوسة له في قلبه هل حصل له ذلك أم لا فأمر بالاستعاذة لتذهب تلك الوسوسة ويبقى الثواب خالصا لأن التردد في صدق الوعد بالثواب من أسباب منعه (قوله فاستعذ) السين والتاء للطلب أي اطلب من الله التعوذ والتحصن من شره والأمر للاستحباب وظاهر الآية أن الاستعاذة مطلوبة عند قراءة القرآن مطلقا في الصلاة وغيرها وبه أخذ الشافعي ووافقه مالك في النفل وكره الاستعاذة في صلاة الفرض لدليل أخذه من السنة (قوله أي قل أعوذ بالله الخ) هذا بيان للأفضل وإلا فامتثال الأمر يحصل بأي صيغة كانت وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وأراد بالقلم الذي نسخ به من اللوح المحفوظ ونزل به جبريل دفعة إلى سماء الدنيا وليس المراد به القلم الذي كتب في اللوح المحفوظ لأنه متقدم الرتبة على اللوح (قوله من الشيطان الرجيم) هو من شطن إذا بعد أو من شاط إذا احترق والرجيم بمعنى المرجوم أي المطرود عن رحمة الله (قوله إنه ليس له سلطان) تعليل لمحذوف والتقدير فإذا استعذت بالله كفيت شره ودخلت في أمان الله لأنه الخ (قوله تسلط) أي استيلاء وقهر (قوله على الذين يتولونه) مقابل قوله وعلى ربهم يتوكلون وقوله والذين هم به مشركون مقابل قوله على الذين آمنوا (قوله أي الله) أشار بذلك إلى أن الضمير راجع لربهم والباء للتعدية ويصح أن يعود على الشيطان وتكون الباء سببية وهي أولى لعدم تشتيت الضمائر (قوله وإذا بدلنا آية الخ) سبب نزولها أن المشركين من أهل مكة قالوا إن محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ما هذا إلا مفتري يتقوله من تلقاء نفسه (قوله والله أعلم بما ينزل) هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه أتي بها تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى والله أعلم بالناسخ والمنسوخ فكيف تعترض عليه فلا يحزنك ما قالوه (قوله تقوله من عندك) أي تختلقه من عند نفسك وليس بقرآن (قوله حقيقة القرآن) أي وهو أنه اللفظ المنزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته (قوله وفائدة النسخ) أي وهي المصالح التي تعود على العباد (قوله روح القدس) بضم الدال وسكونها قراءتان سبعيتان أي الروح المقدس بمعنى المطهر المنزه عن الرذائل فهو من إضافة الموصوف للصفة (قوله بالحق) الباء للملابسة أي نزله متلبسا بالحق (قوله بإيمانهم به) أي بسبب إيمانهم بالقرآن (قوله للمسلمين) أي وأما غيرهم ... فإنهم لا يزدادون به إلا ضلالا ...

وقيل في الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فإذا قرأت القرآن) أي أردت قراءته (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إنه ليس له سلطان) تسلط (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه) بطاعته (والذين هم به) أي الله (مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية) بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد (والله أعلم بما ينزل قالوا) أي الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم (إنما أنت مفتر) كذاب تقوله من عندك (بل أكثرهم لا يعلمون) حقيقة القرآن وفائدة النسخ (قل) لهم (نزله روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) متعلق بنزل (ليثبت الذين آمنوا) بإيمانهم به (وهدى وبشرى للمسلمين)

ضد ذلك أمر المسلمين (قوله ولقد نعلم) أي علما مستمرا لا تجدد فيه (قوله إنما يعلمه) إنما أداة حصر أي لا يعلم محمدا القرآن الا بشر لا جبريل كما يقول (قوله وهو قين) أي حداد وكان روميا وفي نسخة قن أي عبد واسمه جبر وهو غلام عامر بن الحضرمي وقيل يعنون جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل باللغة التي نزلا بها وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه ليتسلى بما وقع للانبياء قبله وقيل غير ذلك وعلى كل فقد ورد أنه أسلم ذلك البشر الذي نسبوا الرسول الله أنه تعلم منه (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم (قوله يميلون اليه) أي ينسبون اليه أنه يتعلم منه (قوله أعجمي) لا عجمي الذي لم يتكلم بالعربية (قوله وهذا لسان عربي) ولا يكون العربي متلقى من العجمي (قوله فكيف يعلمه أعجمي) أي لا يصح ولا يليق ذلك لاستحالته عادة (قوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) أي في علمه وقوله لا يهديهم الله أي في الخارج (قوله وأولئك هم الكاذبون) أي في قولهم إنما يعلمه بشر (قوله والتأكيد) مبتدأ وقوله رد خبر (قوله من كفر بالله من بعد ايمانه) نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر وذلك أنه من جملة السبعة السابقين للاسلام وهم عمار وأبوه ياسر وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم وذلك ان الكفار أخذوهم وعذبوهم ليرجعوا عن الايمان فاما سمية أم عمار فربطوها بين بعيرين وضربها أبو جهل بحربة في فرجها فماتت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين في الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه وقلبه كاره لذلك فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك فقال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئن بالايمان فجعل النبي يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وأما خباب فقد أوقدوا له نارا فلم يطفئها الا ودك ظهره وأما أبو بكر فحفظه الله بقومه وعشيرته وفيما فعله عمار دليل على جواز التلفظ بالكفر عند خوف القتل ولكن القتل أجل كما وقع من أبويه ولما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال ما تقول في قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال ما تقول في قال أنا أصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له (قوله على التلفظ بالكفر) أي أو فعله (قوله والخبر أو الجواب الخ) الاولى تقدير هذا قبل الاستثناء (قوله لهم وعيد) الاولى أن يقدره بالفاء لان الجواب اذا وقع جملة اسمية يقرن بالفاء والمبتدأ الذي يشبه الشرط يقرن خبره بالفاء أيضا لشبهه بالشرط (قوله دل على هذا) أي على الجواب أو الخبر (قوله ولكن من شرح) أتى بالاستدراك لانه ربما يتوهم من قوله الا من أكره انه من حين الاكراه يجوز التكلم بالكفر ولو انشرح صدره له في بعض الاحيان فدفع ذلك التوهم بالاستدراك ولا يبعد الوهم قوله مطمئن بالايمان ومن اما شرطية أو موصولة ولا يلزم تقدير مبتدأ قبل من وما قيل ان الاستدراك لا يقع في الشروط ممنوع (قوله بمعنى طابت به نفسه) أي قبله ومال اليه (قوله فعليهم) جمع مراعاة لمعنى من (قوله ذلك بأنهم) أي حاصل وثابت بسبب أنهم الخ فاسم الاشارة مبتدأ والجار والمجرور في محل رفع خبره (قوله لا يهدي القوم الكافرين) أي لا يوصلهم الى الايمان ولا يعصمهم من الزيغ (قوله أولئك الذين طبع الله على قلوبهم الخ) أي جعل عليها غلافا معنويا بحيث لا تدعن الحق ولا تسمعه ولا تبصره (قوله الخاسرون) أي لانهم ضيعوا أعمارهم في غير منفعة تعود عليهم والوجه في ذلك أنهم أن الله تعالى وصفهم بست صفات استحقاق الغضب والعذاب العظيم واختيار الدنيا على الآخرة وحرمانهم من الهدى والطبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وجعلهم من الغافلين (قوله ثم ان ربك) نزلت هذه الآية في عياش بن ربيعة وكان أخا أبي جهل من الرضاعة وقيل أمه وفي أبي جندل ابن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسيد الثقفي فتنهم المشركون

واقد) للتحقيق (نعلم أنهم يقولون انما يعلمه) القرآن (بشر) وهو قين نصراني كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخل عليه قال تعالى (لسان) لغة (الذي يلحدون) يميلون (اليه) أنه يعلمه (أعجمي وهذا) القرآن (لسان عربي مبين) ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم) مؤلم (انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) القرآن بقولهم هذا من قول البشر (وأولئك هم الكاذبون) والتأكيد بالتكرار وان وغيرهما رد لقولهم انما أنت مفتر (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره) على التلفظ بالكفر فتلفظ به (وقلبه مطمئن بالايمان) ومن مبتدأ أو شرطية والخبر أو الجواب لهم وعيد شديد دل على هذا (ولكن من شرح بالكفر صدرا) له أي فتحه ووسعه بمعنى طابت به نفسه (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك) الوعيد لهم (بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) اختاروها (على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) عما يراد بهم (لا جرم) حقا (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم (ثم ان ربك

وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم هاجروا وجاهدوا (قوله الذين هاجروا) متعلق بمحذوف هو خبر ان أي لغفور رحيم للذين هاجروا وهذا معنى قوله الآتي وخبر ان الاولى الخ (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وعليها فيحتمل أن الفعل لازم فيكون معنى قوله فتنوا افتتنوا بمعنى قامت بهم الفتنة وقد أشار له المفسر بقوله أي كفروا أو متعد كما قال أو فتنوا الناس عن الايمان (قوله يوم تأتي) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والامر للنبي صلى الله عليه وسلم أي اذكر يا محمد لقومك أهوال الآخرة وما يقع فيها لعلهم يعتبرون (قوله تحاج) أي تخاصم وتسعى في خلاصها (قوله عن نفسها) ان قلت ان ظاهر الآية مشكل لانه يقتضي ان النفس لها نفس وليس كذلك أجيب بان المراد بالنفس الاولى الانسان المركب من جسم وروح وحقيقة والمراد بالنفس الثانية الذات المركبة من جسم وروح غير ملاحظ فيها الحقيقة فاختلفا بالاعتبار فكأنه قال يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره والمراد بالمجادلة الاعتذار بما لا يقبل منهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين روي عن ابن عباس أنه قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فضعف عليه العذاب فيقول الجسد يا رب أنت خلقتني كالخشبة ليس لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لساني وبه أبصرت عيناي وبه مشت رجلاي فيضرب الله لهم مثلا أعمى ومقعدا دخلا حائطا أي بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يتناوله فحمل الاعمى المقعد فاصابا الثمر فعلى من يكون العذاب قالا عليهما قال عليكما جميعا العذاب اذا علمت ذلك تعلم أن هذا الوعيد خاص بالكافر وأما المؤمن فهو في أمن وأمان لا يحزنه الفزع الاكبر وان كان يحصل له الخوف من جلال الله وهيبته لان الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم يتجلى بالجلال على عباده فيخاف المسلمون والمشركون فالمشركون يخافون من العذاب اللاحق لهم والمسلمون يخافون هيبته تعالى وان كانوا مطمئنين بالايمان (قوله لا يهمها غيرها) أي لاشتغالها بها (قوله وهم لا يظلمون شيأ) أي لا يعذبون من غير ذنب أو المراد لا ينقصون من أجورهم شيأ والاول أولى لان نفي النقص من الاجر علم من قوله وتوفى كل نفس ما عملت (قوله وضرب الله مثلا) المثل تشبيه قول بقول آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما ويظهر (قوله هي مكة) هذا هو المشهور بين المفسرين وهو الصحيح وعليه فالآية مدنية لان الله تعالى وصف القرية بصفات ست كانت هذه الصفات في أهل مكة حين كان النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعلى القول بانها مكية يكون اخبارا بالغيب تنزيلا لما سيقع منزلة الواقع لتحقق الحصول (قوله رغدا) بفتح الراء والغين المعجمة يقال رغد العيش بالضم رغادة اتسع (قوله من كل مكان) أي من كل جهة من البر والبحر (قوله بأنعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعماء كأبؤس وبأساء (قوله بتكذيب النبي) الباء سببية (قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أي وذلك أن الله ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة وشربوا الدماء واشتد بهم الامر حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ما هذا دأبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم وفي رواية أنهم أرسلوا اليه أبا سفيان بن حرب في جماعة فقدموا عليه المدينة وقال له أبو سفيان ان يا محمد انك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون واعلم أن العلماء ذكروا في هذه الآية [illegible] الاستعارة الاولى تصريحية أصلية في الجوع والخوف من حيث [illegible] الناس [illegible] [illegible] [illegible]

للذين هاجروا) الى المدينة (من بعد ما فتنوا) عذبوا وتلفظوا بالكفر وفي قراءة بالبناء للفاعل أي كفروا أو فتنوا الناس عن الايمان (ثم جاهدوا وصبروا) على الطاعة (ان ربك من بعدها) أي الفتنة (لغفور) لهم (رحيم) بهم وخبر ان الاولى دل عليه خبر الثانية اذكر (يوم تأتي كل نفس تجادل) تحاج (عن نفسها) لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة (وتوفى كل نفس) جزاء (ما عملت وهم لا يظلمون) شيأ (وضرب الله مثلا) ويبدل منه (قرية) هي مكة والمراد أهلها (كانت آمنة) من الغارات لا تهاج (مطمئنة) لا يحتاج الى الانتقال عنها لضيق أو خوف (يأتيها رزقها رغدا) واسعا (من كل مكان فكفرت بأنعم الله) بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم (فأذاقها الله لباس الجوع) فقحطوا سبع سنين (والخوف)

بسرايا النبي صلى الله عليه وسلم (بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم) محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب) الجوع والخوف (وهم ظالمون فكلوا) أيها المؤمنون (مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم) أي لوصف ألسنتكم (الكذب هذا حلال وهذا حرام) لما لم يحله الله ولم يحرمه (لتفتروا على الله الكذب) بنسبة ذلك اليه (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) لهم (متاع قليل) في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) مؤلم (وعلى الذين هادوا) أي اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) في آية وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى آخرها (وما ظلمناهم) بتحريم ذلك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك (ثم ان ربك للذين عملوا السوء) الشرك (بجهالة ثم تابوا) رجعوا (من بعد ذلك وأصلحوا) عملهم (ان ربك من بعدها) أي الجهالة أو التوبة (لغفور) لهم (رحيم) بهم (ان ابراهيم كان أمة) اماما قدوة جامعا لخصال الخير (قانتا) مطيعا (لله حنيفا) مائلا الى الدين القيم (ولم يك من المشركين) [illegible] شاكرا لأنعمه اجتباه) اصطفاه (وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه) فيه التفات عن الغيبة (في الدنيا

بالطعم المر البشع وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الاذاقة فاثباتها تخييل الثالثة تبعية وتقريرها أن يقال شبه الابتلاء بالاذاقة واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاذاقة أذاقهم بمعنى ابتلاهم (قوله بسرايا النبي) الباء سببية والمراد بسراياه جماعته التي كان يبعثها للاغارة عليهم فكان أهل مكة يخافونهم (قوله بما كانوا يصنعون) أي بسبب صنعهم أو بسبب الذي كانوا يصنعونه (قوله ولقد جاءهم) أي أهل مكة (قوله رسول منهم) أي من جنسهم (قوله وهم ظالمون) الجملة حالية والمراد بالظالمين الكافرون (قوله فكلوا) مفرع على التمثيل أي فاذا علمتم ما حصل للكفار من الحرمان وما حل بهم بسبب كفر النعم فدوموا أيها المؤمنون على حالتكم المرضية وكلوا الخ (قوله حلالا طيبا) حالان من ما أي كلوا مما رزقكم الله به حال كونه حلالا طيبا (قوله تعبدون) أي تطيعون (قوله انما حرم عليكم الميتة الخ) شروع في ذكر المحرمات ليعلم أن ما عدا ذلك حلال طيب (قوله فمن اضطر غير باغ) أي خارج على الامام كالبغاة وقوله ولا عاد أي قاطع الطريق فلا يباح لهم تعاطي الميتة اذا اضطروا وامالميتة بوا وأما المضطر غير ما ذكر فيحل له الاكل منها والشبع والتزود عند مالك وعند الشافعي لا يحل له الا ما يسد رمقه (قوله ولا تقولوا) لا ناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل وقوله هذا حلال الخ مقول القول وقوله لما تصف اللام للتعليل وما مصدرية والكذب مفعول لتصف وقوله لتفتروا بدل من التعليل الاول والمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل وصف ألسنتكم الكذب افتراء على الله بنسبة ذلك اليه (قوله بنسبة ذلك) أي التحليل والتحريم (قوله لا يفلحون) أي لا يفوزون ولا يظفرون بمطلوبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة والوقف هنا وقوله متاع قليل كلام مستأنف (قوله متاع قليل) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وقدره مقدما ليكون مسوغا للابتداء بالنكرة (قوله وعلى الذين هادوا) شروع في ذكر ما يخص اليهود من التحريم اثر بيان ما يحل لاهل الاسلام وما يحرم عليهم وتحريم الشيء اما لضرر فيه واما لبغي المحرم عليهم فاشار للاول بقوله انما حرم عليكم الميتة الخ وأشار للثاني بقوله وعلى الذين هادوا الخ (قوله ثم ان ربك) لما بالغ في تهديد المشركين وبين ما أحل وما حرم ذكر ان فعل تلك القبائح لا يمنع من التوبة والرجوع والانابة بل باب التوبة مفتوح لكل كافر ما لم يغرغر ففيه ترغيب للكافر في الاسلام وللعاصي في التوبة والاقلاع عن الذنوب (قوله للذين) متعلق بمحذوف دل عليه خبران الآتي تقديره ثم ان ربك لغفور رحيم للذين عملوا السوء الخ (قوله بجهالة) أي بسبب جهل العواقب وجلال الله اذ لا يقع الذنب الا من جاهل بالعواقب أو جاهل بجلال الله ولو علم قدر العقاب المدخر للعاصي ما أقدم على معصيته قط (قوله من بعد ذلك) أي الشرك (قوله أو التوبة) أو لتنويع الخلاف في مرجع الضمير (قوله ان ابراهيم كان أمة) للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال قيل الامة معلم الخير أي انه كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا وقيل انه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده وقيل الامة الذي يقتدى ويؤتم به لانه كان اماما يقتدى به وفي الاصل الامة الجماعة واطلاق الامة بمعنى الجماعة عليه لجمعه أوصاف الكمالات التي تفرقت في الخلق ومنه قول الشاعر

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وقد ذكر الله في هذه الآيات من صفات ابراهيم عشرة أوصاف جميلة (قوله مائلا الى الدين القيم) أي تاركا لما عداه من الاديان الباطلة (قوله ولم يك من المشركين) هذا الوصف قد علم التزاما من قوله حنيفا وانما ذكره ردا على المشركين حيث زعموا أنهم على ملة ابراهيم (قوله شاكرا لانعمه) أي صار فاجميع ما أنعم الله به عليه الى ما خلق لاجله فهو معصوم عن الغفلة وعن كل شاغل يشغله عن الله ظاهرا أو باطنا (قوله اجتباه) أي اختاره من دون خلقه وهذا الوصف وما بعده ناشئ من الله خاصة لم يكن له فيه كسب اشارة الى أن ما اتصف به من الاوصاف الجميلة والاعمال الجليلة باختيار الله له لا بنفسه (قوله الى صراط مستقيم) أي دين قيم لا عوج فيه (قوله فيه التفات عن الغيبة) أي الى التكلم اشارة الى [illegible]

الاعتناء بشأنه (قوله هي الثناء الحسن) أي الذكر الجميل (قوله في كل أهل الاديان) أي عند كل أهل الملل فجميعهم يترضون عنه ولا يكفرون به ويزعمون أنهم على ملته (قوله لمن الصالحين) أي من أكملهم وأعلاهم درجة وهذا تتميم لقوله وآتيناه في الدنيا حسنة فان حسنة الدنيا لا تتم الا بحسنة الآخرة (قوله ثم أوحينا اليك) هذا هو الوصف العاشر ولما كان أعلى الاوصاف لابراهيم وأجلها وأكملها اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته فصله عما قبله حيث عطفه بثم (قوله ان اتبع) يصح أن تكون ان تفسيرية أو مصدرية فتكون مع ما دخلت عليه في محل نصب مفعول لقوله أوحينا (قوله ملة ابراهيم) أي شريعته ومعنى اتباع النبي فيما اتباعه في الاصول وهي عقائد التوحيد فرسول الله أمر باتباع ابراهيم بل وباتباع من تقدمه من الانبياء في التوحيد لانهم مشتركون فيه قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية (قوله حنيفا) حال من ابراهيم وهو وان كان مضافا اليه الا ان شرطه موجود وهو أن المضاف كالجزء من المضاف اليه لانه يصح الاستغناء بالثاني عن الاول (قوله ردا على زعم اليهود والنصارى) المناسب أن يقول ردا على المشركين لان اليهود والنصارى لم يكونوا مدعين الاشراك (قوله انما جعل السبت الخ) هذا رد على اليهود حيث كانوا يدعون ان تعظيم السبت من شريعة ابراهيم وهم متبعون له فرد الله عليهم بأنه ليس السبت من ملة ابراهيم التي زعمتم انكم متبعون لها بل كان من شريعته تعظيم يوم الجمعة ولذا اختاره الله للامة المحمدية لانه يوم تمام النعمة ويوم المزيد في الجنة (قوله على الذين اختلفوا فيه) أي خالفوا نبيهم حيث أمرهم على لسان نبيهم أن يعظموا يوم الجمعة بالتفرغ للعبادة فيه فأبوا واختاروا السبت فشدد عليهم بتحريم الاصطياد فيه عليهم وليس المراد بالاختلاف أن بعضهم رضي به والبعض لم يرض بل المراد امتناع الجميع (قوله واختاروا السبت) أي وقالوا لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض وما فيهما فنحن نوافق ربنا في ترك الاعمال يوم السبت واختارت النصارى يوم الاحد وقالوا لانه مبدأ الخلق فنجعله عيدا لنا (قوله من أمره) أي السبت (قوله أن يثيب الطائع) أي وهو من لم يصطد فيه وعظمه (قوله ويعذب العاصي) أي وهو من صنع الحيلة واصطاد فيه فعذبوا في الدنيا بمسخهم قردة وخنازير وفي الآخرة بالعذاب الدائم (قوله ادع) فعل أمر وفاعله مستتر وجوبا تقديره أنت ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله الناس وفي هذا اشارة الى أن بعثته عامة وعبر بالناس وان كان داعيا للجن أيضا باعتبار ما ظهر لنا فقط (قوله دينه) سمى الدين سبيلا لانه الموصل لدار السعادة الابدية والسيادة السرمدية (قوله بالقرآن) أي وسمي حكمة لانه العلم النافع (قوله والموعظة الحسنة) عطف خاص على عام لان القرآن مشتمل على مواعظ وغيرها والمراد بالموعظة الحسنة الترغيب والترهيب والحكمة في ذكر الموعظة الحسنة التشويق للعبادة والنشاط لها وسهولة البعد عن المخالفات لما في الحديث كان صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا أي يخالط كلامه بالترغيب والترهيب في بعض الاحيان لئلا يحصل لنا الملل من توالي الامر والنهي وتتابعهما من غير تخلل ما يشير وتروح النفوس ويشوقها ويحثها على فعل الطاعات واجتناب المنهيات (قوله أو القول الرفيق) تفسيران للموعظة الحسنة والمراد بالقول الرفيق الالفاظ التي فيها اللين والرفق كقوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار الآيات (قوله بالتي هي أحسن) أي التي يترتب على ذلك حصول الفائدة لهم والانقياد للطريق القويم (قوله بآياته) أي كقصة ابراهيم مع قومه حيث قال لهم حين جن عليه الليل ورأى كوكبا هذا ربي الخ (قوله والدعاء الى حججه) أي براهينه كقوله أفي الله شك فاطر السموات والارض الآية (قوله أي عالم) أشار بذلك الى أن اسم التفضيل ليس على بابه ودفع بذلك ما يقال ان اسم التفضيل يقتضي المشاركة مع ان صفات الله تعالى لا مشاركة لها (قوله بمن ضل عن سبيله) أي حاد وزاغ عنه (قوله وهو أعلم بالمهتدين) [illegible]
[illegible]

حسنة) هي الثناء الحسن في كل أهل الاديان (وانه في الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلى (ثم أوحينا اليك) يا محمد (أن اتبع ملة) دين (ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) كرر ردا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه (انما جعل السبت) فرض تعظيمه (على الذين اختلفوا فيه) على نبيهم وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته (ادع) الناس يا محمد (الى سبيل ربك) دينه (بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) مواعظه أو القول الرفيق (وجادلهم بالتي) أي بالمجادلة التي (هي أحسن) كالدعاء الى الله بآياته والدعاء الى حججه (ان ربك هو أعلم) أي عالم (بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) فيجازيهم

الضلال غير وانالك القطة و بدلوها بهداية الضلال ان قلت قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الخ يقتضى ان الاصل فى الانسان الضلال والهدى طارئ عليه أجيب بانه محمول على العالم الجسمانى أى ان الاصل فى الانسان باعتبار عالم الاجساد الخسران والضلال والهدى طارئ ببعثة الرسل وما فى هذه الآية محمول على عالم الارواح وهو الاصل الاصيل لان الله لما خاطب الارواح فى عالم الذر وقال لهم ألست بربكم قالوا جميعا بلى فالمهتدى فى عالم الاجساد استصحب ذلك الاصل ومن ضل فى عالم الاجساد فقد نسى ذلك العهد واتبع شهوات نفسه ثم اعلم أن مقتضى حل المفسر يقتضى ان المدعو بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن واحد وقال بعضهم الناس خلقوا ثلاثة أقسام الاول العلماء الراسخون فهم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة أى العلم النافع ليتفقهوا و ينفعوا الناس الثانى الذين لم يبلغوا حد الكمال وكانوا دون الاوائل وهم المشار اليهم بقوله والموعظة الحسنة الثالث الكفار أصحاب الجدال والخصام وهم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتى هى أحسن أى لينقادوا للحق و يرجعوا اليه (قوله وهذا قبل الامر بالقتال) أشار بذلك الى أن الآية منسوخة وقيل ليست بمنسوخة لان الامر بالمجادلة الحسنة ليس فيها نهى عن القتال بل المراد أدعهم وجادلهم برفق فى أول الامر فان امتثلوا فواضح والا فشئ آخر (قوله ونزل) أى بالمدينة (قوله لما قتل حمزة) أى فى السنة الثانية فى أحد وحمزة عم رسول الله وأخوه من الرضاع وقريبه من الام أيضا وكان أسن من النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين (قوله ومثل به) أى مثل به المشركون فقطعوا أنفه وأذنيه وذكره وأنثييه وبقروا بطنه (قوله وقد رآه) الجملة حالية (قوله والله لامثلن الخ) فى كلام المفسر اختصار للحديث ولفظه أما والله لئن ظفرنى الله بهم لامثلن الخ (قوله وان عاقبتم) أى أردتم المعاقبة (قوله ولئن صبرتم) أى عفوتم وتركتم القصاص (قوله لهو) بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله فكف) أى عن التمثيل بهم (قوله واصبر) الخطاب للنبى والمراد به العموم تعليما للامة حسن الادب (قوله وما صبرك الا بالله) أى باقداره لك عليه لا بنفسك فان الصبر كالحب والبغض قائم بالقلب والقلب بيد الله يقلبه كيف يشاء فمن خلق الله فيه الصبر صبر ومن لا فلا فليس للعبد مدخل فيه (قوله ولا تحزن عليهم) أى لا تتأسف على اعراضهم عن الهدى (قوله ولا تك فى ضيق) بفتح الضاد وكسرها قراءتان سبعيتان أى لا يكن قلبك فى ضيق فالكلام على القلب وانما أتى به مقلوبا اشارة الى أن الضيق اذا اشتد كان كالشئ المحيط وأتى هنا بحذف نون تك وفى النحل باثباتها تفننا لان حذفها للتخفيف وهو حذف غير لازم قال ابن مالك

ومن مضارع لكان منجزم ✽ تحذف نون وهو حذف ما التزم

لان أصل يك يكون دخل الجازم فسكن النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وحذفت النون تخفيفا (قوله أى لا تهتم بمكرهم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر (قوله بالعون والنصر) أشار بذلك الى أن المعية مع المتقين والمحسنين معية معنوية خاصة وهذا لا ينافى قوله تعالى ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا لان المعية خاصة وعامة فالعامة بالتصريف والتدبير لكل مخلوق والخاصة بالاعانة والنصر والرضا للمتقين والمحسنين أحياء وأمواتا فرضا الله على المتقين والمحسنين دائم مستمر لا ينقطع فاذا كان كذلك فينبغى زيارة الصالحين وخدمتهم لكونهم فى حضرة الرضا أحياء وأمواتا لا ينقطع عنهم مدد ربهم وقوله فى الحديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به الخ المراد ثواب أعمالهم المتجدد فلا يتجدد لهم ثواب عمل وأما ما ثبت لهم فى نظير العمل السابق فهو دائم مستمر وانما يتجدد لهم ثواب علم خلفوه أو ولد صالح الى آخر ما فى الحديث ومن هنا زيارة الصالح الحى أفضل من زيارة الصالح الميت لان الحى أعماله كلها مستمرة الصعود ما دام حيا و يتجدد له ثوابها ولذلك تفضل روح المؤمن الصالح بالحياة ولا تحب الموت لان فيه عزلها عن خدمة ربها التى هى أشرف الاشياء وأفضلها

﴿ سورة الاسراء مكية ﴾

وهذا قبل الامر بالقتال ✽ ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال صلى الله عليه وسلم وقد رآه والله لامثلن بسبعين منهم مكانك (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم) عن الانتقام (لهو) أى الصبر (خير للصابرين) فكف صلى الله عليه وسلم وكفر عن يمينه رواه البزار (واصبر وما صبرك الا بالله) بتوفيقه (ولا تحزن عليهم) أى الكفار ان لم يؤمنوا لحرصك على ايمانهم (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) أى لا تهتم بمكرهم فأنا ناصرك عليهم (ان الله مع الذين اتقوا) الكفر والمعاصى (والذين هم محسنون) بالطاعة والصبر بالعون والنصر

﴿ سورة الاسراء مكية ﴾

وتسمى سورة بني اسرائيل وتسمى سورة سبحان لانه سبحانه تعالى [illegible]
سورة [illegible] أو مكية [illegible] وقوله مائة [illegible] (قوله الا وان كادوا الخ) وقيل كلها مكية (قوله الا آيات
الثمان) أي وآخرها قوله تعالى سلطانا نصيرا لكن بحث البيضاوي فيه بأن قوله تعالى وقل رب أدخلني
مدخل صدق الخ نزلت بمكة حين أمر صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقد يجاب عن بحثه بأن المراد نزلت بعد
الامر بالهجرة التحقت بالمدني خصوصا وقد قال العلماء المدني ما نزل بعد الهجرة وان بأرض مكة (قوله
سبحان) هو في الاصل مصدر سماعي لسبح المشدد أو اسم مصدر له ثم صار علما على التنزيه أي وعلى كل فهو
مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أسبح فالمقصود منه اما التنزيه فقط أي تنزيه من هذا وصفه عن كل
نقص لان هذه معجزة لم تسبق لغيره صلى الله عليه وسلم أو المقصود التعجب فقط على حد سبحان الله المؤمن
لا ينجس أي عجبا لباهر قدرة فاعل هذا الفعل وكماله أو التنزيه مع التعجب كانه قال عجبا التنزيه الله تعالى عن
كل نقص حيث صدر منه هذا الفعل العجيب الخارق للعادة (قوله الذي) اسم موصول مضاف لسبحان
والموصول وان كان مبهما الا أنه تميز بالصلة فان هذه الصلة ليست لغيره تعالى سيما مع تصدير الجملة بالتسبيح
الذي هو مختص بالله (قوله أسرى) هو وسرى فعل لازم بمعنى سار في الليل فالهمزة ليست للتعدية الى المفعول
(قوله بعبده) لم يقل بنبيه ولا برسوله اشارة الى أن وصف العبودية أخص الاوصاف وأشرفها لانه اذا صحت
نسبة العبد لربه بحيث لا يشرك في عبادته أحدا فقد فاز وسعد ولذا ذكره الله في المقامات الشريفة كما هنا وفي
مقام الوحي قال تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وفي مقام الدعوة قال تعالى وأنه لما قام عبد الله يدعوه الخ
ولذا قال القاضي عياض

ومما زادني شرفا وتيها * وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي * وان صيرت أحمد لي نبيا

وهناك وجه آخر وهو خوف ضلال أمته به كما ضلت أمة عيسى به حيث قالوا ابن الله وقوله بعبده أي بروحه
وجسده على الصحيح خلافا لمن قال ان الاسراء بالروح فقط ونقل عن عائشة وهو مردود بأنها كانت صغيرة
السن اذ ذاك ولم تكن في عصمته صلى الله عليه وسلم (قوله محمد) انما لم يصرح به لعلمه من السياق ومن
سبب النزول (قوله وفائدة ذكره) أي مع علمه من ذكر الاسراء (قوله الى تقليل مدته) أي فقيل قدر
أربع ساعات وقيل ثلاث وقيل قدر لحظة قال السبكي في تائيته * وعدت وكل الامر في قدر لحظة *
(قوله من المسجد الحرام) من لابتداء الغاية (قوله أي مكة) انما فسره بذلك ليصدق بكل من القولين وهما
هل كان مضطجعا في المسجد أو في بيت أم هانئ وفي الحقيقة لا اختلاف لانه على القول بأنه كان في بيت أم هانئ
فقد احتملته الملائكة وجاؤا به الى المسجد وشقوا صدره هناك ثم أتوا له بالبراق بعد ذلك فلم يحصل الاسراء الا
من المسجد فالاولى للمفسر أن يبقي الآية على ظاهرها وكان المسجد اذ ذاك بقدر المطاف ثم وسعه الملوك وأول
من وسع فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانوا يشترون دور مكة ويدخلونها فيه (قوله الى المسجد
الاقصى) هو أول مسجد بني في الارض بعد الكعبة بناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة والحكمة في
الاسراء به الى بيت المقدس ليظهر شرفه على جميع الانبياء والمرسلين لانه صلى بهم اماما في محلهم وشأن الذي
يتقدم على الانسان في بيته يكون هو السلطان لان السلطان له التقدم على غيره مطلقا وليسهل على أمته الحشر
حيث وضع قدمه فيه فان الخلق يحشرون هناك (قوله بيت المقدس) من اضافة الموصوف لصفته أي
البيت المقدس أي المطهر عن عبادة غير الله [illegible] (قوله الذي باركنا حوله) أي بركة
دنيوية بالثمار والانهار كما قال المفسر وأما في [illegible] بل هي أشرف
المسجد الحرام (قوله لنريه) اللام للعلة أي سرينا به [illegible] من آياتنا [illegible] على قراءته
بالنون وقرأ الحسن ليريه بالياء فعلى الاولى يكون في الكلام التفات الاول من الغيبة للتكلم في قوله باركنا
والثاني من التكلم للغيبة في قوله انه هو السميع البصير [illegible]

الا وان كادوا ليفتنونك
الآيات الثمان مائة وعشر
آيات أو واحدى عشرة آية*
(بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان) أي تنزيه (الذي
أسرى بعبده) محمد صلى
الله عليه وسلم (ليلا) نصب
على الظرف والاسراء سير
الليل وفائدة ذكره الاشارة
بتنكيره الى تقليل مدته
(من المسجد الحرام) أي
مكة (الى المسجد الاقصى)
بيت المقدس لبعده منه
(الذي باركنا حوله) بالثمار
والانهار (لنريه من آياتنا)
عجائب قدرتنا

الاول من الغيبة في قوله بعبده الى التكلم في قوله باركنا الثاني من التكلم الى الغيبة في ليريه الثالث من الغيبة الى التكلم في قوله من آياتنا الرابع من التكلم الى الغيبة في قوله انه هو السميع البصير ومن في قوله من آياتنا للتبعيض أي لنريه بعض آياتنا وانما أتى بها لتعظيم الآيات الله أي ان محمدا وان رأى ما رأى من الآيات العظيمة والعجائب الفخيمة فهو بعض بالنسبة لآيات الله وعجائب قدرته ودلائل حكمته ان قلت انما هنا يقتضي التبعيض وقوله تعالى في حق ابراهيم وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أنه لا تبعيض فظاهر هذا أن ما رآه ابراهيم أكثر مما رآه محمد وهو خلاف الاجماع أجيب بأن ملكوت السموات والارض بعض الآيات العظيمة التي رآها محمد فابراهيم رأى بعض البعض (قوله انه هو السميع البصير) المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى أي وهو السميع للاقوال البصير بالاحوال والافعال وقيل الضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم وحكمة الاتيان بهذين الوصفين الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاهد ما شاهده وسمع ما سمع ولم يزغ بصره ولم يدهش سمعه فهو نظير قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى اشارة الى علو مقامه ورفعة شأنه ولذا قال العارف البرعي

وان قابلت لفظة لن تراني * بما كذب الفؤاد فهمت معنى

فان الله كلم ذاك وحيا * وكلم ذا مشافهة وأدنى

الى أن قال

فموسى خر مغشيا عليه * وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

(قوله على اجتماعه بالانبياء) أي الرسل وغيرهم وصلوا خلفه (قوله وعروجه الى السماء) أي صعوده اليها فوقا بالملائكة الكرام (قوله ورؤية عجائب الملكوت) أي كالملائكة والجنة والنار واعلم أن العوالم أربع عالم الملك وهو ما نشاهده وعالم الملكوت وهو ما خفي عنا وعالم الجبروت وهو العلوم والاسرار وعالم العزة وهو ما لا يمكن التعبير عنه كذات الله ويسمى سر السر قال السيد البكري وبسر سر سرك الذي لا تفي بالافصاح عن حقيقته الرقائق (قوله ومناجاته له تعالى) أي شفاهه مع رفع الحجاب (قوله فانه صلى الله عليه وسلم الخ) القصد من ذلك تفصيل ما أجمل في الآية الكريمة وقد اختلفت الروايات في الاسراء والمعراج جدا وقد اقتصر المفسر على هذه الرواية لكونها رواية البخاري ومسلم (قوله أتيت بالبراق) أي بعد أن جاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فأضجعوه وشقوا من ثغرة نحره الى أسفل بطنه وأخرجوا قلبه وغسلوه ثلاث مرات ثم ملؤه حلما وعلما ويقينا واسلاما ثم أطبقوه وختموا بين كتفيه بخاتم النبوة ثم أتى بالبراق بضم الباء مأخوذ من البرق لسرعة سيره أو من البريق لشدة صفاء لونه ولمعانه وهو من جملة أربعين ألف براق ترتع في رياض الجنة معدة له صلى الله عليه وسلم (قوله دابة) أي ليست ذكرا ولا أنثى وفي الاستعمال يجوز التذكير باعتبار كونه مركوبا ويؤنث باعتبار كونه دابة (قوله فوق الحمار ودون البغل) أي فهو متوسط بينهما (قوله عند منتهى طرفه) هو بسكون الراء البصر (قوله فركبته) أي وكان جبريل عن يمينه آخذا بركابه وميكائيل عن يساره آخذا بزمام البراق (قوله حتى أتيت بيت المقدس) في هذه الرواية اختصار وزيد في غيرها انه نزل بالمدينة ومدين وطور سيناء وبيت لحم فصلى في كل موضع ركعتين بأمر من جبريل عن الله لتحصل زيادة بركة لتلك الاماكن وليقتدي به غيره في العبادة بالاماكن المشرفة ورأى بين كل موضع والآخر عجائب وغرائب مذكورة في قصة النجم الغيطي (قوله فربطت الدابة) يقال ربط يربط من باب ضرب شده (قوله بالحلقة) بسكون اللام ويجوز فتحها والربط تعليما للاحتياط في الامور واشارة الى أن الاخذ في الاسباب لا ينافي التوكل (قوله التي تربط فيها الانبياء) أي الذين كانوا يأتون بيت المقدس لزيارته وفي رواية أن جبريل أخذ البراق من الباب وأدخله المسجد وخرق الصخرة بأصبعه وربط البراق فيها (قوله فصليت فيه ركعتين) أي اماما بالانبياء أجسادا وأرواحا والملائكة وأرواح المؤمنين وهذه الصلاة لم يعلم كونها فرضا أو نفلا لا غاية ما يقال

(انه هو السميع البصير) أي العالم بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله فأنعم عليه بالاسراء المشتمل على اجتماعه بالانبياء وعروجه الى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى فانه صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت

فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل أصبت الفطرة قال ثم عرج بي الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل من
أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل
من أنت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم فاذا هو مستند الى البيت المعمور

انه أمر بها وهو مطيع وفي الحديث اختصار لانه طوى ذكر صلاة الركعتين تحية المسجد حين اجتمع جميع الانبياء والملائكة وأرواح المؤمنين ويحتمل ان يقال ان الركعتين المذكورتين في الحديث هما تحية المسجد وطوى ذكر الركعتين اللتين أم فيهما الناس (قوله فجاءني جبريل) أي حين أخذني من العطش أشد ما أخذني (قوله أصبت الفطرة) أي الخلقة الاصلية وهي فطرة الاسلام وفي بعض الروايات ان جبريل قال له ولو اخترت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم الا القليل وفي رواية ان الآنية كانت ثلاثا والثالث فيه ماء وان جبريل قال له ولو اخترت الماء لغرقت أمتك (قوله قال) أي الراوي وهو أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ثم عرج بي) أي بعد أن أتي بالمعراج ووضع على صخرة بيت المقدس وهو سلم له عشر مراق احداها من ذهب والاخرى من فضة وأحد جانبيه من ياقوتة حمراء والآخر من ياقوتة بيضاء وهو مكلل بالدر سبع منها للسموات السبع والثامنة للسدرة والتاسعة للكرسي والعاشرة الى العرش فلما هما بالصعود نزلت المرقاة التي عند السماء الدنيا فركباها وصعدت بهما الى محلها ثم نزلت الثانية لهما وهكذا (قوله الى السماء الدنيا) أي وهي من موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء والكرسي من ياقوتة بيضاء والعرش من ياقوتة حمراء وأبواب السماء كلها من ذهب وأقفالها من نور ومفاتيحها اسم الله الاعظم (قوله فاستفتح جبريل) أي طلب الفتح من الملك الموكل بالباب وحكمة غلقها اذ ذاك لزيادة الاكرام بالسؤال والترحيب له صلى الله عليه وسلم (قوله قيل من أنت الخ) فيه اختصار وفي الرواية المشهورة قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء (قوله قيل وقد أرسل اليه) المعنى أجاء وقد أرسل اليه ان قلت ان رسالته ليست خافية عليهم حتى يسألوا عنها أجيب بأن المراد أرسل اليه للعروج الى السموات والمكالمة (قوله فاذا أنا بآدم) في بعض الروايات وعن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن يساره أسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر واذا نظر قبل شماله حزن وبكى فسأل جبريل عن ذلك فقال هذه الاسود نسم بنيه والباب الذي عن يمينه باب الجنة والذي عن يساره باب النار فاذا رأى من يدخل قبل يمينه ضحك واذا رأى من يدخل قبل يساره بكى (قوله فرحب بي) أي قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح (قوله ثم عرج بنا) أي أنا مع جبريل (قوله بابني الخالة) فيه مسامحة اذ عيسى ابن بنت خالة يحيى ويحيى ابن خالة أم عيسى لان عيسى ابن مريم وهي بنت حنة وحنة أخت اشاع واشاع أم يحيى وقد اتصف عيسى بصفات الملائكة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام (قوله شطر الحسن) أي نصفه والنصف الآخر قسم بين جميع الخلق وحسنه صلى الله عليه وسلم غير ذلك الحسن الذي أعطي يوسف شطره اذ هو غير منقسم ولم يعط منه شيء لغيره قال البوصيري

منزه عن شريك في محاسنه ❊ فجوهر الحسن فيه غير منقسم

(قوله بادريس) وهو أول من خاط الثياب وقبل ذلك كانوا يلبسون الجلود (قوله بهرون) في بعض الروايات ونصف لحيته سوداء ونصف لحيته بيضاء وذلك من مسك أخيه موسى لها حين جاء ووجد قومه قد عبدوا العجل (قوله فاذا أنا بموسى) في بعض الروايات وحوله نفر من قومه فلما جاوزته بكى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي فلوانه في نفسه لم أبال وفي رواية انه سأل الله تعالى أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأجابه الله (قوله بابراهيم) أي خليل الرحمن فقال له مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ودعا له بخير وقال أقرئ

أمتك

وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها

كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها قال فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك واني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى قال ما فعلت فقلت قد حط عني خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت له سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فان أمتك لا تطيق ذلك فقلت قد رجعت الى ربي

أمتك مني السلام وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (قوله وإذا هو) القصد من ذلك بيان أن الملائكة لا يعلم عددهم الا الله قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو (قوله ثم ذهب بي) أي عرج بي لان هذا هو المعراج الثامن (قوله الى سدرة المنتهى) أي الى أعلاها فان السدرة أصلها في السماء السادسة وأغصانها وفروعها فوق السماء السابعة (قوله كآذان الفيلة) أي في الشكل والانفتاح ورقة تظل هذه الامة (قوله كالقلال) جمع قلة وكانت معلومة عند المخاطبين وفي بعض الروايات كقلال هجر وهي بلدة القلة منها كالجرة الكبيرة (قوله فلما غشيها) أي قام بها من الحسن والبهاء (قوله قال فأوحى) فيه اختصار أي ثم رفع الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام وهو المعراج التاسع ثم دلي الرفرف فزج به في النور وعند ذلك تأخر جبريل فقال له أهنا يفارق الخليل خليله فقال له هذا مكاني فلو فارقته لاحترقت من النور رأى ذهب نوري وتلاشيت لشدة الانوار وظهورها قال رسول الله فخاطبني ربي ورأيته بعيني بصري وأوحى الى الخ (قوله ما أوحى) أبهم ذلك اشارة الى عظم ما أوحى به اليه وعدم احاطة جميع الخلق به * قال البوصيري

فان من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم

(قوله وفرض علي الخ) عطف خاص على عام واعلم انما صرح به لتعلقه بالامة وأما عطاياه التي تخصه فلم يعبر عنها اذ لا تحيط بها العبارة ولا تعمها الاشارة وقوله علي أي وعلى أمتي لان الاصل عدم الخصوصية الا لدليل يدل على التخصيص فذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على أمته (قوله فنزلت) أي ومررت على ابراهيم فلم يقل شيأ (قوله الى موسى) أي في السماء السادسة والحكمة في أن موسى اختص بالمراجعة دون غيره من الانبياء ان أمته كانت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها فثقلت عليهم فرق موسى بامة محمد صلى الله عليه وسلم لكونه طلب أن يكون منها وأيضا فقد طلب موسى الرؤية فلم ينلها ومحمد نالها من غير طلب فاحب مراجعته وترديده ليزداد من نور الرؤية فيقتبس موسى من تلك الانوار ليكون رائيا من رأى قال ابن الفارض

أبق لي مقلة لعلي يوما * قبل موتي أرى بها من رآك

وفي هذا المعنى قال ابن وفا

والسر في قول موسى اذ يردده * ليجتلي النور فيه حيث يشهده

يبدو سناه على وجه الرسول فيا * لله حسن جمال كان يشهده

(قوله وخبرتهم) أي جربتهم حيث كلفهم الله بركعتين في الغداة وركعتين في وقت الزوال وركعتين في العشي فلم يطيقوا ذلك وعجزوا عنه (قوله قال فرجعت الى ربي) أي الى المكان الذي ناجيت فيه ربي وليس المراد أن الله في ذلك المكان ورجع له فان اعتقاد ذلك كفر بل المراد أن الله جعل هذا المكان محلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يناجيه فيه ليجمع له بين الرفعتين الحسية والمعنوية (قوله ويحط عني) أي الله تعالى فجملة المرات تسع وكل مرة يرى فيها ربه كما رآه في المرة الاولى فقد رأى ربه في تلك الليلة عشر مرات (قوله حتى قال الخ) هذا حديث قدسي من هنا الى قوله كتبت سيئة واحدة (قوله بكل صلاة عشر) أي في المضاعفة والثواب فقد تفضل سبحانه وتعالى بتكثير الثواب على تلك الخدمة القليلة (قوله ومن هم بحسنة) المراد بالهم ترجيح الفعل دون عزم وتصميم لانه الذي يكتب في الخير ولا يكتب في الشر وأما العزم والتصميم فيكتب في الخير والشر وأما الهاجس والخاطر وحديث النفس فلا يؤاخذ الانسان بها لا في خير ولا شر وقد نظم بعضهم الخمسة بقوله

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا * فخاطر فحديث النفس فاستمعا

يليه هم فعزم كلها رفعت * سوى الاخير ففيه الاخذ قد وقعا

(قوله فنزلت) في بعض الروايات ان الله قال له قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي (قوله

استحييت) بياءين بعد الحاء المهملة (قوله رواه الشيخان) أي البخاري ومسلم والمعنى رويا معنى حديث الاسراء واتفقا عليه (قوله واللفظ لمسلم) أي وأما البخاري ففيه تغيير لبعض الالفاظ (قوله رأيت ربي) أي بعيني رأسي وأتى بهذا الحديث تتميما للقصة ثم بعد تمام الامر هبط من السموات السبع الى بيت المقدس فركب البراق وأتى مكة قبيل الصبح فلما أصبح قطع وعرف ان الناس تكذبه فقعد معتزلا فمر به أبو جهل فجلس اليه فقال له كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم أسري بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فقال أبو جهل اذا دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني به قال نعم فقال يا معشر بني كعب بن لؤي هلم واقبلوا حتى جلسوا اليهما فحدثهم صلى الله عليه وسلم بذلك فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه متعجبا وضجوا لذلك وعظموه فجاء أبو بكر فحدثه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صدقت صدقت فقالوا أتصدقه أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي الصديق فقال القوم صف لنا بيت المقدس فشرع في وصفه حتى ان جبريل نقله من مكانه ووضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم وجعل ينظر اليه ويصف لهم فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم عنها فلم يصدقوا وقالوا ان هذا السحر مبين فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس (قوله وآتينا موسى) معطوف على جملة سبحان الذي أسرى بعبده ومناسبتها لما قبلها أن كلا متعلقة بعطايا ربي فالاولى متعلقة بعطايا سيدنا محمد وهذه متعلقة بعطايا موسى عليهما السلام بجامع أن موسى أعطي التوراة بمسيره الى الطور وهو بمنزلة معراجه صلى الله عليه وسلم لانه منح ثمة التكليم وشرف باسم الكليم (قوله وجعلناه) أي موسى أو الكتاب (قوله هدى) أي هاديا من الضلالة والشرك (قوله أن لا تتخذوا) أن مصدرية ولا نافية والفعل منصوب بحذف النون ولام التعليل مقدرة كما زادها المفسر وهذا على قراءة التحتية وأما على قراءة التاء الفوقية فالفعل مجزوم بلا الناهية وأن زائدة والقول مقدر والتقدير وقلت لهم لا تتخذوا الخ وقوله من دوني في محل المفعول الثاني ووكيلا مفعول أول وهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى أي لا تتخذوا وكلاء غيري تلجؤون اليهم وتفوضون أموركم اليهم (قوله فأن زائدة) المناسب أن يقول مفسرة لان هذا ليس من مواضع زيادتها وحينئذ فيقدر جملة فيها معنى القول دون حروفه ولما كان وجه زيادتها ظاهرا اختصر المفسر على الصورة حمله المفسر عليه (قوله ذرية الخ) أشار به المفسر الى أنه منادى وحرف النداء محذوف وحينئذ فالمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح وحدوا الله واعبدوه واشكروه وقد جمع بالالتفات كما كان نوح انه كان عبدا شكورا وقوله انه كان الخ تعليل لمحذوف وهذا هو الاقرب والاسهل وبعضهم أعرب ذرية مفعولا ثانيا لتتخذوا ووكيلا مفعول أول أو ذرية بدل من وكيلا أو منصوب على الاختصاص فتحصل ان في اعراب ذرية أربعة أقوال أسهلها ما مشى عليه المفسر (قوله أوحينا) فسر القضاء بالوحي لتعديه بالى فان قضى يتعدى بنفسه أو بعلى ومعناه ... [illegible]

[illegible]

حتى استحييت رواه الشيخان واللفظ لمسلم وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي عز وجل قال تعالى (وآتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) لـ(أن) لا (تتخذوا من دوني وكيلا) يفوضون اليه أمرهم وفي قراءة يتخذوا بالفوقانية التفاتا فأن زائدة والقول مضمر يا (ذرية من حملنا مع نوح) في السفينة (انه كان عبدا شكورا) كثير الشكر لنا حامدا في جميع أحواله (وقضينا) أوحينا (الى بني اسرائيل في الكتاب) التوراة (لتفسدن في الارض) أرض الشام بالمعاصي (مرتين ولتعلن علوا كبيرا) تبغون بغيا عظيما (فاذا جاء وعد أولاهما) أولى مرتي الفساد (بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد) أصحاب قوة في الحرب والبطش (فجاسوا) ترددوا لطلبكم (خلال الديار) [illegible]

ويحيى وقصد قتل عيسى (قوله فبعث عليهم جالوت وجنوده) الصحيح ان الذى بعث عليهم فى المرة الاولى بختنصر قيل وقد كانت مدة ملكه سبعمائة سنة وأما جالوت وجنوده فلم يقع منهم تخريب لبيت المقدس بل جاؤا لغزو وهم فخرج اليهم داود وطالوت بجيوشهم فقتل الله جالوت على يد داود كما تقدم مفصلا فى سورة البقرة (قوله الدولة) فى المصباح تداول القوم الشىء وهو حصوله فى يد هذا تارة وفى يد هذا أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر كقصعة وقصع وجمع المضموم دول كغرفة وغرف اه (قوله والغلبة) تفسير (قوله وأمددنا كم بأموال وبنين) أى بعد النهب والقتل الاول (قوله أكثر نفيرا) أى أكثر الناس اجتماعا وذهابا للعدو ونفيرا منصوب على التمييز (قوله ان أحسنتم) الخطاب لبنى اسرائيل (قوله أحسنتم لانفسكم) أى فلا يصل الى شىء من طاعتكم اذ يستحيل على الله تعالى ان يصل له من عباده نفع أو ضر وحينئذ فلا ينبغى للانسان ان يفتخر بطاعته بل يعمل الطاعة وهو راج قبولها من ربه لانها علامة على دوام السعادة لصاحبها وانه من أهل النعيم ففى الحديث ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى وانما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه * وقال العارف

ماذا يضرك وهو عا * ص أو يفيدك وهو طائع

فمن ظن أن الله ينتفع بالعبادة فقد كفر لنسبته الافتقار له تعالى الله عنه (قوله فلها) خبر مبتدا محذوف قدره المفسر واللام بمعنى على وانما عبر بها للمشاكلة (قوله فاذا جاء) جواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله بعثناهم دل عليه جواب اذا الاولى (قوله الآخرة) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله المرة (قوله ليسوؤا وجوهكم) متعلق بهذا الجواب المحذوف وفيها ثلاث قرا آت سبعية الاولى بضمير الجماعة مع الياء فالواو فاعل الثانية بنون العظمة وفتح الهمزة آخرا والفاعل هو الله الثالثة بالياء المفتوحة والهمزة المفتوحة والفاعل اما الله واما الوعد واما البعث واما النفير تأمل (قوله بقتل يحيى) أى وقيل بقتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى (قوله فبعث عليهم بختنصر) هو بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معناه ابن ونصر بفتح النون وتشديد الصاد والراء المهملة اسم صنم وهو علم أعجمى مركب وسمى بذلك لانه وجد وهو صغير مطروحا عند صنم ولم يعرف له أب فنسب اليه قيل انه ملك الاقاليم كلها وقيل المسلط عليهم فى المرة الثانية خردوش ملك من ملوك بابل وسيأتى فى السيرة (قوله ألوفا) أى نحو الاربعين (قوله وسبى ذريتهم) أى نحو السبعين ألفا (قوله وقلنا فى الكتاب) أى التوراة (قوله وضرب الجزية عليهم) أى على باقيهم كاهل خيبر (قوله وسجنا) تفسير فيكون معنى حصيرا سجنا لانه يحصر الممبوس وقيل حصيرا فرشا كالحصير فيكون بمعنى قوله تعالى لهم من جهنم مهاد

(تتمة) يذكر فيها تلخيص القصة التى ذكرها المفسرون فى هذه الآيات قال محمد بن اسحق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان أول ما نزل بهم أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ويتبع الاحكام التى تنزل عليه فبعث الله معه شعيا ابن أمضيا عليه السلام وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى فى آخر مدة صديقة عظمت الاحداث فيهم والمعاصى فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فنزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت فى ساقه فاتاه شعيا اليه وقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب نزل بك هو وجنوده فقال يا نبى الله هل أتاك من الله وحى فيما حدث فتخبرنا به فقال لم يأتنى وحى فى ذلك وبينما هم على ذلك أوحى الله الى شعيا أن ائت الى ملك بنى اسرائيل فمره أن يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فانه ميت فاخبر شعيا بذلك فأقبل الملك على القبلة وصار يصلى ويتضرع الى الله وهو يبكى فاستجاب الله دعاء الملك وأوحى الى شعيا أن أخبر صديقة أن ربه استجاب له ورحمه وأخر اجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فلما قال له ذلك انقطع عنه

قبعث عليهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس (ثم رددنا لكم الكرة) الدولة والغلبة (عليهم) بعد مائة سنة بقتل جالوت (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) عشيرة وقلنا (ان أحسنتم) بالطاعة (أحسنتم لانفسكم) لان ثوابه لها (وان أسأتم) بالفساد (فلها) اساءتكم (فاذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم (ليسوؤا وجوهكم) يحزنوكم بالقتل والسبى حزنا يظهر فى وجوهكم (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس فيخربوه (كما دخلوه) وخربوه (أول مرة وليتبروا) يهلكوا (ما علوا) غلبوا عليه (تتبيرا) هلاكا وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس وقلنا فى الكتاب (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم (وان عدتم) الى الفساد (عدنا) الى العقوبة وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فسلط عليهم بقتل قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا وسجنا

الحزن وشرف ساجدا لله شاكرا لله متضرعا فلما رفع رأسه أوحى الله الى شعيا أن قل للملك يأتي بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فأخبره ففعل فشفاه الله فقال الملك لشعيا سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا سيصبحون موتى كلهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه فلما أصبح وجدوا الامر كذلك فخرج الملك والتمس سنحاريب فلم يجده في الموتى فبعث في طلبه فأدركه ومعه خمسة نفر أحدهم بختنصر فجعلوهم في أطواق الحديد وقال الملك لسنحاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم ونحن وأنتم غافلون فقال سنحاريب قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا وأوقعني في الشقوة قلة العقل فقال الملك سنحاريب ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه وانما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم ثم ان الملك أطال عليهم العذاب فقال سنحاريب له القتل خير مما يفعل فأوحى الله الى شعيا أن يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ففعل فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فأخبروهم الخبر فقال له قومه نهيناك فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنحاريب تخويفا لبني اسرائيل ثم كفاهم الله ما الى شرهم تذكرة وعبرة ثم ان سنحاريب لبث سبع سنين ومات فاستخلف على ملكه بختنصر فعمل بعمله واستمر متباعدا عن بني اسرائيل حتى مات ملكهم فتنافسوا في الملك وقتل بعضهم بعضا وشعيا ينهاهم فلم يقبلوا فأوحى الله لشعيا قم في قومك أوحى على لسانك فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي فقال يا سماء استمعي ويا أرض أنصتي فان الله يريد أن يقضي شأن بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها وضرب الله لهم مثلا ثم قال انه مثل ضربته لهم يتقربون الى بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا الى بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها يشيدون لي البيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوقون لي المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأي حاجة لي الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأي حاجة لي الى تزويق المساجد ولست أدخلها انما أمرت برفعها لاذكر وأسبح يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم انما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب دعاءهم وانما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد الى أن قال واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض أن أجعل النبوة في الاجراء وأن أجعل الملك في الرعاء والعز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحلم في الاميين فسلهم متى هذا ومن القائم بها من أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون فاني باعث لذلك نبيا أميا ليس أعمى من عميان ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنى أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [illegible]

لي توابا ناسي وانقلالا عالي يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا يقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون
من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة لي والتمجيد
لي في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم
رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي أوتيه من أشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا
عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى
قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله عليهم ملكا يقال له ناشية بن أموص وبعث لهم أرميا بن حلقيا نبيا
ثم عظمت الأحداث وارتكاب المعاصي فأوحى الله إلى أرميا أن ائت قومك من بني إسرائيل فاقصص
عليهم ما آمرك به إلى أن قال وإني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا
قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية ودخل بيت
المقدس بجنوده وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وكان من أجل البيوت ابتناه الله
لسليمان بن داود عليهما السلام سخر له الجن فأتوه بالذهب والفضة والمعادن وأتوه بالجوهر والياقوت
والزمرد وبنوه بهذه الأصناف فاحتمل تلك المعادن والأموال على سبعين ألفا ومائة ألف عجلة فأودعوا
ببابل وأقاموا يستخدمون بني إسرائيل بالخزي والنكال مائة عام إلى أن قال فذلك قوله تعالى فإذا جاء وعد
أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يعني بختنصر وأصحابه ثم إن بختنصر قام في سلطانه ما شاء الله
ثم رأى رؤيا عجيبة إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وكانوا
من ذراري الأنبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها قال ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها
وبتأويلها لأنزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله فأعلمهم بالذي سألهم فجاؤوا فقالوا رأيت تمثالا
قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه
من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك أرسل الله عليه صخرة فدقته فهي التي
أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا إنك أريت ملك الملوك بعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان
أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا فالفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة
أحسن من ذلك والذهب أحسن من الفضة ثم الحديد ملكك فهو أشد مما كان قبله والصخرة التي رأيت
أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه فلما تجبر بختنصر على أهل
الأرض ظن أنه بحوله وقوته فقال لأصحابه قد ملكت الأرض فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا
فأقتل من فيها وأتخذها ملكا فبعث الله عز وجل إليه بعوضة فدخلت في منخره حتى عضت على
أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى مات فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه
وارتحل من بقي من بني إسرائيل إلى الشام وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه وكانت التوراة قد
حرقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع إلى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج
عن الناس فبينما هو كذلك إذ جاءه ملك على صورة رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال أبكي على كتاب
الله وعهده الذي لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره قال أفتحب أن يرد إليك ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك
ثم موعدك هذا المكان غدا ففعل فأتى ذلك الرجل بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فتمثلت التوراة في
صدره فرجع إلى بني إسرائيل فأملاها لهم وعادت كما كانت ورجعت بنو إسرائيل لكثرة الأحداث
والمعاصي يكذبون الأنبياء ويقتلونهم وكان آخر من بعث إليهم زكريا ويحيى وعيسى فقتلوا زكريا ويحيى
وقصدوا إلى قتل عيسى فرفعه الله والسبب في قتل يحيى أن ملك بني إسرائيل كان يكرمه ويدني
مجلسه وأن الملك هوى بنت امرأته وقيل بنت أخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ
ذلك أمها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها

(ان هذا القرآن يهدى للتى) أى للطريقة التى (هى أقوم) أعدل وأصوب (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا و) يخبر (أن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا) أعددنا (لهم عذابا أليما) مؤلما هو النار (ويدع الانسان بالشر) على نفسه وأهله اذا ضجر (دعاءه) أى كدعائه له (بالخير وكان الانسان) الجنس (عجولا) بالدعاء على نفسه وعدم النظر فى عاقبته (وجعلنا الليل والنهار آيتين) دالتين على قدرتنا (فمحونا آية الليل) طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا

وألبسها الحلى وأرسلها الى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تعرض له نفسها فان أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته أن يأتيها برأس يحيى فى طشت ففعل وقيل غير ذلك فلم يزل دمه يغلى حتى بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم بأهل بابل فدخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤساء جنوده يقال له نبوزراذان فدخل بيت المقدس فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقال يا بنى اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلى أخبرونى خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلى فقال ما صدقتمونى وقتل منهم سبعمائة وسبعين روحا فلم يهدأ الدم فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فقال لهم يا بنى اسرائيل ويلكم اصدقونى قبل أن لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا أنثى الا قتلته فأخبروه أنه دم يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم ربكم منكم وآمن بالتوراة وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان هنا من جيش خردوش ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحدا فهدأ الدم باذن الله ورفع القتل عن بنى اسرائيل وقال لهم ان خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكرى وانى لا أستطيع أن أعصيه فأمرهم فحفروا خندقا وأتوا بالخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فأمر بذبحها حتى سال الدم فى العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من المواشى فلم يظن خردوش الا أن ما فى الخندق من دماء بنى اسرائيل فاكتفى بذلك وأمر برفع القتل وهذه هى الواقعة الأخيرة التى أنزل الله فيها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم الخ ثم انتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين الا أن بقايا بنى اسرائيل كثير وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك وكانوا فى نعمة الى أن بدلوا وأحدثوا فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوش الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا فى أمة الا وعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره اهـ

(قوله ان هذا القرآن) أى الذى أنزل على محمد (قوله يهدى) أى يرشد ويوصل (قوله للتى هى أقوم) أى فمن تمسك به نجا ومن حاد عنه هلك فى الحديث انى تارك فيكم ثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وعترتى (قوله أجرا كبيرا) أى لا يعلم قدره غيره تعالى وهذا الأجر ثابت لمن عمل الصالحات وان لم يكن حافظا الا لفاتحة القرآن بل المدار على امتثال الأوامر واجتناب النواهى (قوله ويخبر) أشار بذلك الى أن قوله وان الذين لا يؤمنون الخ معطوف على يبشر فهو غير داخل فى حيز البشارة (قوله أعددنا) أى هيأنا وأحضرنا (قوله ويدع الانسان) حذفت الواو لالتقاء الساكنين وحذفت من الخط تبعا لحذفها من اللفظ (قوله اذا ضجر) أى أصابه شدة الغم والغيظ (قوله أى كدعائه) أشار بذلك الى أن الكلام على التشبيه والمعنى أن الانسان اذا أصابه غم يدعو على نفسه وأهله بالشر كما يدعو لهم بالخير اذا كان منبسطا راضيا وتقدم فى قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم الآية أن الله يستجيب الدعاء بالخير ولا يستجيب الدعاء بالشر (قوله عجولا) أى لا يتأمل فى عاقبة ما يريد فعله بل يقدم على فعل كل ما خطر بباله فاذا كان كذلك فينبغى للانسان التأنى فى الأمور وتفويضها الى الله تعالى ليحصل له الراحة فى الدنيا والسعادة فى العقبى ولا يتعجل فى الأمور بحيث يسارع الى الانتقام ممن ظلمه والدعاء على من أساء عليه بل الواجب اما العفو عنه أو الدعاء للظالم بالهداية والتوفيق للخير (قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين) أى علامتين على عظيم قدرتنا وباهر حكمتنا حيث جعلناهما على منوال واحد ينقص هذا ويزيد هذا (قوله فمحونا آية الليل) أى خلقناه على هذه الحالة وليس المراد أنه كان مضيئا ثم محى ضوءه وفى الحقيقة فى الكلام حذف فالمعنى الأولى حكمة خلق الليل والنهار من حيث ذاتهما وهى الدلالة على باهر قدرة صانعهما والثانية حكمة كون الليل خلق مظلما والنهار خلق مضيئا وهى السكون فى الليل والسعى فى طلب الرزق فى النهار (قوله لتسكنوا

فيه) فالمراد أنه الله مرئية قاله وهو قوله في جانب النهار لتبتغوا الخ (قوله والاضافة للبيان) أي آية هي الليل
وكذا يقال في آية النهار (قوله أي مبصرا فيها) هو بفتح الصاد وأشار بذلك الى أن الكلام فيه الحذف
والايصال حذف الجار فاتصل الضمير فيكون فيه مجاز عقلي من اسناد الحدث الى زمانه (قوله لتبتغوا)
أي تطلبوا (قوله ولتعلموا بهما) أي فهو متعلق بكل من محونا وجعلنا لان علم عدد السنين والحساب
بمرور الليل والنهار جميعا (قوله والحساب) هو معطوف على عدد ولا يقال هو تكرار لانه يقال ان العدد
موضوع الحساب (قوله وكل شئ فصلناه) الاحسن أنه من باب الاشتغال فكل منصوب بفعل محذوف
يفسره قوله فصلناه وكذا يقال في قوله وكل انسان ألزمناه (قوله للاوقات) أي كآجال الديون وأوقات
الصلاة والحج والصوم والزكاة وغير ذلك من أمور الدين والدنيا (قوله تفصيلا) مصدر مؤكد لعامله
اشارة الى أن الله لم يترك شيئا من أمور الدين والدنيا الا بينه نظير قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ
(قوله وكل انسان ألزمناه طائره) فسر المفسر الطائر بالعمل وفسره غيره بالكتاب واليه يشير بقول مجاهد
وسمي العمل طائرا لان العرب اذا أرادوا فعل أمر نظروا الى الطير اذا طار فان طار متيامنا قدموا على
ذلك الامر وعرفوا أنه خير وان طار متياسرا تأخروا وعرفوا أنه شر فلما كثر ذلك منهم سموا نفس الخير
والشر بالطائر تسمية للشئ باسم لازمه (قوله خص بالذكر لان اللزوم فيه أشد) أي ولان العنق اما محل
الزينة كالقلادة ونحوها أو الشين كالاغلال ونحوها فان كان عمله خيرا كان كالقلادة في عنقه وهو مما
يزينه وان كان شرا كان كالغل في عنقه وهو مما يشينه (قوله مكتوب فيها شقي أو سعيد) خص مجاهد
السعادة والشقاوة وان كان الرزق والاجل مكتوبين فيها أيضا لان السعادة أو الشقاوة هما اللذان يبقيان
معه في الآخرة وأما الرزق والاجل فينقضيان بموته (قوله ونخرج له يوم القيامة كتابا) قال الحسن
بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان احدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ
حسناتك وأما الذي عن يسارك فيحفظ عليك سيآتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في
قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة (قوله اقرأ كتابك) روي أن الانسان يقرأ كتابه وان لم يكن قارئا في
الدنيا (قوله كفى بنفسك) الباء زائدة في فاعل كفى وحسيبا تمييز وعليك متعلق به وحسيبا اما بمعنى حاسب
أو كاف أو محاسب كما قال المفسر والمعنى أنه يكتفي بمحاسبة الشخص لنفسه فلا يحتاج لاحد يحاسبه بل اذا أنكر
تشهد عليه أعضاؤه بما عملت ثم ما مشى عليه المفسر من أن المراد بالطائر العمل يكتب ويوضع في عنقه وهو
في بطن أمه فيلزمه مادام في الدنيا فاذا كان يوم القيامة يخرج له كتابا من خزانة تحت العرش وهو الصحيفة
التي كانت الملائكة تكتبها عليه في الدنيا فيأخذها بيمينه ان كان مسلما أو بشماله ان كان كافرا فيقابله على
ما في عنقه هو أحد تفسيرين في الآية والآخر أن الكتاب واحد تكتبه الملائكة عليه مادام في الدنيا فاذا
مات طوي ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة أخرج من تلك الخزانة وألزمه في عنقه فيكون معنى
ألزمناه طائره في عنقه أي في يوم القيامة عند تطاير الصحف ويكون عطف قوله ونخرج له يوم القيامة
على ماقبله من عطف السبب على المسبب (قوله فانما يهتدي لنفسه) أي فانما تعود منفعة اهتدائه الى
نفسه لا تتعداها الى غيره (قوله فانما يضل عليها) أي فانما وبال ضلاله على نفسه لا على من عداه ممن لم يباشر
وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه (قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي
لا تحمل نفس مذنبة بل ولا غير مذنبة ذنوب نفس أخرى ان قلت ورد في الحديث من سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فمقتضاه أنه يحمل وزره فيكون منافيا لهذه الآية أجيب بأن
المراد بالوزر الذي يحمله في الحديث وزر التسبب ولا شك أن التسبب من فعل الشخص ومع ذلك فلا
ينقص من وزر الفاعل شئ فالمتسبب الفاعل يعاقب على فعله وتسببه والفاعل بدون تسبب يعاقب على فعله
فقط (قوله وما كنا معذبين) أي ولا مثيبين على الاعمال لان شرط صحة العبادات ووجوبها بلوغ الدعوة
فمن لم تبلغه الدعوة لا تجب عليه عبادة ولا تصح منه لو فعلها فلا يثاب عليها وعموم هذه الآية يدل على أن

فيه والاضافة للبيان
(وجعلنا آية النهار مبصرة)
أي مبصرا فيها بالضوء
(لتبتغوا) فيه (فضلا من
ربكم) بالكسب (ولتعلموا)
بهما (عدد السنين
والحساب) للاوقات
(وكل شئ) يحتاج اليه
(فصلناه تفصيلا) بيناه
تبيينا (وكل انسان ألزمناه
طائره) عمله يحمله (في
عنقه) خص بالذكر لان
اللزوم فيه أشد وقال
مجاهد ما من مولود يولد
الا وفي عنقه ورقة مكتوب
فيها شقي أو سعيد (ونخرج
له يوم القيامة كتابا) مكتوبا
فيه عمله (يلقاه منشورا)
صفتان لكتابا ويقال له
(اقرأ كتابك كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا) محاسبا
(من اهتدى فانما يهتدي
لنفسه) لان ثواب اهتدائه
له (ومن ضل فانما يضل
عليها) لان اثمه عليها (ولا
تزر) نفس (وازرة) آثمة
أي لا تحمل (وزر) نفس
(أخرى وما كنا معذبين)
أحدا (حتى نبعث رسولا)
يبين له ما يجب عليه (واذا
أردنا أن نهلك قرية أمرنا

أهل الفترة جميعا ناجون بفضل الله ولو غيروا أو بدلوا وما ورد من تعذيب بعض أفراد كحاتم الطائي وامرئ القيس بدخولهم النار فهي أحاديث آحاد لا تعارض القطعي (قوله مترفيها) الترفه التنعم بالنعمة والطعام الطيب والشيء الظريف (قوله منعميها) أي المتمكنين في شهواتهم الغافلين عن الآخرة (قوله بالطاعة) متعلق بأمرنا (قوله باهلاك أهلها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف أي دمرنا أهلها (قوله وكم أهلكنا) كم خبرية منصوبة بأهلكنا ومن القرون تمييز لكم (قوله من بعد نوح) خص بالذكر لانه أول من كذبه قومه (قوله وكفى بربك) الباء زائدة في الفاعل وخبيرا بصيرا تمييزان وبذنوب متعلق بخبيرا بصيرا وقوله عالما ببواطنها وظواهرها لف ونشر مرتب فالعلم بالبواطن هو معنى الخبير والعلم بالظواهر هو معنى البصير (قوله وبه يتعلق بذنوب) هكذا في النسخ التي بأيدينا ولعل فيه تحريفا والاصل وبذنوب متعلق بخبيرا بصيرا (قوله من كان يريد العاجلة) أي من كان همته الدنيا فهو صادق بالكافر والمنافق ويدخل في ذلك المراؤون بأعمالهم اذ لولا السمعة والثناء عليهم ما فعلوا الطاعات (قوله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) أي أعطيناه ما نريد في الدنيا الذي نشاؤه من سعة رزق وعافية وغير ذلك والمعنى لا نزيده على ما قدر له أزلا بل ما يعطى الا ما سبق في علمه تعالى أنه يعطاه فسعته في الدنيا لم تزده شيأ منها فينبغي الاخلاص في العبادة والتوجه لله تعالى والاقبال عليه ليحظى بسعادة الدارين (قوله بدل من له) أي ان قوله لمن نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل باعادة اللام وقوله عجلنا جواب الشرط وهو من وكان فعله ويريد خبر كان واسمها ضمير مستتر (قوله ثم جعلنا) أتى بثم اشارة الى أن دخول النار متأخر (قوله ملوما) أي ان الخلق في القيامة يلومونه على ما حصل منه في الدنيا (قوله مدحورا) من دحره يدحره من باب خضع فهو مدحور بمعنى أن الله طرده وأبعده عن جنته (قوله ومن أراد الآخرة) أي من كان قصده ونيته ومنتهى آماله الدار الآخرة بأن لم يجعل الدنيا قراره ولا وطنا بل جعلها سفينة موصلة لمقصوده (قوله سعيها) اما مفعول به أو مفعول مطلق والمعنى كما قال المفسر عمل عملها الذي يليق بها كأعمال البر والطاعات واجتناب المنهيات (قوله حال) أي من ضمير سعى (قوله فأولئك) جواب الشرط وفيه مراعاة معنى من وفيما قبله مراعاة لفظها وهو اشارة الى أن من جمع الثلاث خصال فهو من أهل الجنة الايمان والعمل الصالح والاخلاص ولذا قال بعضهم من لم تكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وهذا هو كمال الايمان (قوله مثابا عليه) أي فشكر الله لعباده قبولهم واثابتهم على أعمالهم (قوله كلا) مفعول لنمد (قوله من الفريقين) أي مريد الدنيا ومريد الآخرة (قوله بدل) أي من كلا بدل كل من كل كأنه قال نمد هؤلاء وهؤلاء الاول للفريق الاول والثاني للفريق الثاني فهو لف ونشر مرتب (قوله في الدنيا) أي كسعة الرزق والجاه والعافية وغير ذلك (قوله ممنوعا عن أحد) أي مؤمن أو كافر وأما في الآخرة فعطاؤه ممنوع عن الكافر وهو مختص بالمؤمن (قوله كيف) منصوب على الحال من فضلنا كأنه قال انظر تفضيلنا بعضهم على بعض كائنا على أي حالة (قوله من الدنيا) أي من درجاتها لان فضل الآخرة عظيم لا ينقطع بل هو دائم لا يفنى (قوله فينبغي الاعتناء بها) أي بالآخرة وقوله دونها أي الدنيا (قوله لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب اما للنبي والمراد غيره أو لكل مكلف وهو الاولى والمعنى لا تشرك أيها المكلف غير الله مع الله لا في ظاهرك ولا باطنك بل خلص قلبك من التعلق بغيره والمحبة لسواه ولا تجعل الغير في خيالك فانه نقص عن مراتب الاخيار ولذا قال ابن الفارض

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري يوما حكمت بردتي

(قوله فتقعد مذموما مخذولا) يصح أن تكون تقعد بمعنى تعجز فمذموما مخذولا حالان ويصح أن تكون بمعنى صار فمذموما مخذولا خبران لها (قوله لا ناصر لك) تفسير لمخذولا وتقدم تفسير مذموما بملوما والمعنى ملوما من الخلق بفعله ولا من الخالق لم يجعل له ناصرا (قوله وقضى ربك) [illegible]

مترفيها) منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا (ففسقوا فيها) فخرجوا عن أمرنا (فحق عليها القول) بالعذاب (فدمرناها تدميرا) أهلكناها باهلاك أهلها وتخريبها (وكم) أي كثيرا (أهلكنا من القرون) الامم (من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنها وظواهرها وبه يتعلق بذنوب (من كان يريد) بعمله (العاجلة) أي الدنيا (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) التعجيل له بدل من له باعادة الجار (ثم جعلنا له) في الآخرة (جهنم يصلاها) يدخلها (مذموما) ملوما (مدحورا) مطرودا عن الرحمة (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) عمل عملها اللائق بها (وهو مؤمن) حال (فأولئك كان سعيهم مشكورا) عند الله أي مقبولا مثابا عليه (كلا) من الفريقين (نمد) نعطي (هؤلاء وهؤلاء) بدل (من) متعلق بنمد (عطاء ربك) في الدنيا (وما كان عطاء ربك) فيها (محظورا) ممنوعا عن أحد (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الرزق والجاه (وللآخرة أكبر) أعظم (درجات وأكبر تفضيلا) من الدنيا فينبغي الاعتناء بها دونها (لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا) لا ناصر لك (وقضى) أمر (ربك)

هذه الآيات جملة من التكاليف نحو خمسة وعشرين حكما بعضها أصلي و بعضها فرعي وابتدأها بالتوحيد بقوله لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا وختم به بقوله ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا اشارة الى أنه رأس الامور وأساسها وما عداه من الاحكام مبني عليه ولما كان حق الوالدين آكد الحقوق بعد حق الله و رسوله ذكره بعد التوحيد وشدد فيه دون بقية التكاليف لان أمر العقوق فظيع وفيه الوعيد الشديد ففي الحديث قل للعاق والديه يفعل ما يشاء فان مصيره الى النار (قوله أمر) أي أمرا جازما وقيل ان قضى بمعنى أوصى وقيل بمعنى حكم وقيل بمعنى ألزم وقيل بمعنى أوجب وكل صحيح (قوله ألا تعبدوا الا اياه) بأن لا تشركوا معه في العبادة غيره فتمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه ويدخل في ذلك الاقرار لرسول الله بالرسالة ومحبته وتعظيمه لان ذلك من جملة المأمور به قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (قوله أي بأن) أشار بذلك الى أن أن مصدرية ويكون الفعل منصوبا بحذف النون ويصح أن أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولا ناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل على كل حال (قوله وبالوالدين) متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وأن تحسنوا والجملة معطوفة على جملة أن لا تعبدوا (قوله بأن تبروهما) أي تطيعوا أمرهما في غير معصية الله (قوله اما يبلغن) ان شرطية مدغمة في ما الزائدة والفعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم وأحدهما فاعل وكلاهما معطوف عليه وجواب الشرط هو قوله فلا تقل لهما أف وما عطف عليه من بقية الخمسة التي كلف بها الانسان في حق والديه (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وعليها فالفعل مجزوم بحذف نون الرفع والالف فاعل والنون المشددة المكسورة للتوكيد والتقييد بحالة الكبر خرج مخرج الغالب لان الولد غالبا انما يتهاون بوالديه عند حصول الكبر لهما ومعنى قوله عندك أن يكون في منزلك وكفالتك ومعدودا من عيالك وهذا بحسب الغالب والا فالولد مطلوب ببر والديه مطلقا كانا عنده أولا (قوله بفتح الفاء) أي من غير تنوين وقوله وكسرها أي منونا وغير منون فالتعميم راجع لقراءة الكسر خلافا لما يوهمه المفسر فالقراآت السبعية ثلاث وقرئ شذوذا بالرفع مع التنوين وتركه و بالفتح مع التنوين وبسكون الفاء فتكون الشواذ أربعا فجملة القراآت سبع هنا وفي الانبياء وفي الاحقاف ولغاتها أربعون لغة ذكرها ابن عطية في تفسيره (قوله مصدر بمعنى تبا) بفتح التاء وضمها أي خسرانا وقوله وقبحا أي لا تقل لهما قبحا لكما ولا أفا لكما والاوضح أن يقول اسم فعل مضارع أي لا تقل لهما أنا أتضجر من شئ يصدر منكما (قوله تزجرهما) أي عما لا يعجبك منهما باغلاظ بأن لا تأمرهما ولا تنهاهما ولو كان ذلك الامر غير مناسب بل اذا أحب أن يأمرهما أو ينهاهما فليكن على سبيل المشاورة باللطف والرفق (قوله وقل لهما قولا كريما) أي حسنا كأن يقول لهما يا أبتاه يا أماه ولا يسميهما باسمهما (قوله واخفض لهما جناح الذل) في الكلام استعارة تبعية في الفعل حيث شبهت الانة الجانب بخفض الجناح والجامع الرأفة في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الخفض اخفض بمعنى ألن وفي الجناح أصلية حيث شبه الجانب بالجناح واستعير اسم المشبه به للمشبه واضافة جناح للذل من اضافة الموصوف للصفة أي جانبك الذليل وقد أشار لذلك كله المفسر (قوله أي لرقتك عليهما) أشار بذلك الى أن من للتعليل والمعنى من أجل الرحمة لا خوفا من العار مثلا (قوله وقل رب ارحمهما) أي ادع لهما بالرحمة ولو في كل يوم وليلة خمس مرات ولو كافرين اذا كانا حيين لان من الرحمة أن يهديهما للاسلام (قوله كما ربياني صغيرا) الكاف للتعليل أي من أجل أو مثل رحمة تربيتهما لي صغيرا روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوي بلغا مني في الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيت حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما (قوله ربكم أعلم بما في نفوسكم) هذا وعد ووعيد والمعنى لا عبرة بادعاء البر باللسان فان الله عالم بالسرائر (قوله طائعين لله) أي في حق الوالدين

أن) أي بأن (لا تعبدوا الا اياه و) أن تحسنوا (بالوالدين احسانا) بأن تبروهما (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما) فاعل (أو كلاهما) وفي قراءة يبلغان فأحدهما بدل من ألفه (فلا تقل لهما أف) بفتح الفاء وكسرها منونا وغير منون مصدر بمعنى تبا وقبحا (ولا تنهرهما) تزجرهما (وقل لهما قولا كريما) جميلا لينا (واخفض لهما جناح الذل) ألن لهما جانبك الذليل (من الرحمة) أي لرقتك عليهما (وقل رب ارحمهما كما) رحماني حين (ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم) من اضمار البر والعقوق (ان تكونوا صالحين) طائعين لله

(قوله فانه كان للأوابين) مرتب على محذوف والتقدير وفهاتم معهم ما تقدم خلاف الأدب (قوله الرجاعين الى
طاعته) وقيل هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ثم يستغفرون منها وقيل غير ذلك وفي الحقيقة الأواب
هو التواب (قوله من بادرة) البادرة الزلة تقع خطأ (قوله وهم لا يضمرون عقوقا) اي غلا في البية (قوله وآت
ذا القربى) لما قدم حق الله وحق الوالدين ذكر حق الأقارب وغيرهما وحق المساكين وأبناء السبيل
الأجانب والخطاب في هذه الآيات اما للنبي والمراد هو وأمته لأن الأصل عدم الخصوصية أو لكل مكلف والأمر
للوجوب عند أبي حنيفة فعنده يجب على الموسر مواساة أقاربه المحارم كالأخ والأخت والندب عند غيره
ومحل الخلاف في المواساة بالمال بأن ينفق عليهم وأما صلتهم بمعنى عدم مقاطعتهم ومعاداتهم فواجبة اجماعا
كنفقة الأصول والفروع والآية شاملة لذلك كله (قوله من البر) أي الاحسان بالمال وقوله والصلة
أي مطلقا فهو عطف عام على خاص (قوله والمسكين) المراد به ما يشمل الفقير والمعنى وآت المسكين حقه
من البر والاحسان على حسب الطاقة فان ذلك من أوصاف المتقين قال تعالى ان المتقين في جنات وعيون
آخذين ما آتاهم ربهم الى أن قال وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (قوله وابن السبيل) أي
الغريب وسمي بذلك لأنه ملازم للطريق فكأنه ابن لها (قوله في غير طاعة الله) أي كالملاهي والشهوات
المنهي عنها بأن يزيد في الانفاق على المباح وهذا مذموم اذا كان المال حلالا أما ان كان حراما فلا يجوز له
الانفاق منه أصلا بل يجب عليه أن يرده لأربابه (قوله ان المبذرين الخ) هذا غاية في الذم (قوله كانوا اخوان
الشياطين) أي ولم يزالوا كذلك والمعنى أن المبذرين يشبهون الشياطين في أن كلا منهما ضل في نفسه وأضل
غيره فالشياطين صرفوا همهم وقوتهم وما أنعم الله عليهم به في معاصي الله ولم يصلحوا والمبذرون صرفوا
أموالهم فيما يغضب الله تعالى وأفسدوا ولم يصلحوا (قوله أي على طريقتهم) أي المقتدين بهم وملازمين
لأفعالهم لأن الملازم للشيء يسمى أخاله (قوله شديد الكفر لنعمه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف
مضاف والتقدير وكان الشيطان لنعم ربه كفورا (قوله فكذلك أخوه المبذر) أي فقد كفر نعم ربه حيث
صرفها في غير طاعة الله (قوله واما تعرضن) معطوف على محذوف تقديره وآت ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل ان كان بيدك شيء واما تعرضن الخ والمعنى لا تقطع رجاء الفقير منك بل اما أن تعطيه
ان كان معك شيء أو ترده بلطف كما كان من خلقه صلى الله عليه وسلم فكان اذا سئل أعطى أو وعد
بالعطاء (قوله وما بعده) أي المسكين وابن السبيل (قوله ابتغاء رحمة) مفعول لأجله وهو علة مقدمة
على المعلول والمعنى واما تعرضن عنهم لأجل عسرك فقل لهم قولا ميسورا اعتمادا على الله وانتظارا لرحمة من
ربك ترجوها وفي ذلك اشارة الى أن الانسان لا ينبغي له قطع رجائه من الله بل يعتمد على الله دائما في عسره
ويسره فان الغنى هو وثوق القلب بالله فلا يعتمد على سبب من الأسباب بل يتوكل على الله ولا يقطع رجاءه
منه ولا رجاء غيره فيه تقتير به (قوله بأن تعدهم) أي أو تدعو لهم بأن تقول أغنانا الله واياكم [illegible]
الخير وغير ذلك (قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) أي مضمومة وممسوكة عن الفعل وهو بالضم
الغين المعجمة طوق من حديد يجعل في العنق (قوله أي لا تمسكها عن الانفاق) أي فهو نهي عن البخل
على سبيل الكناية لأن شأن من جعل يده مغلولة الى عنقه عدم القدرة على التصرف فشأن البخيل عدم
التصرف في المال بالانفاق وغيره (قوله كل المسك) المناسب الامساك لأن الفعل رباعي وكأنه شاكل
قوله البسط (قوله كل البسط) أي بأن تنفق زيادة على ما تحتاجه وما يناسب (قوله فتقعد) أي تصير فقوله
ملوما خبر لتقعد ومحسورا معطوف عليه (قوله راجع للأول) أي البخيل (قوله محسورا راجع للثاني) [illegible]
أي فهو من حسر البعير اذا أعياه [illegible]
(قوله راجع للثاني) [illegible]
[illegible]

(فانه كان للأوابين)
الرجاعين الى طاعته
(غفورا) لما صدر منهم في
حق الوالدين من بادرة
وهم لا يضمرون عقوقا
(وآت) أعط (ذا القربى)
القرابة (حقه) من البر والصلة
(والمسكين وابن السبيل
ولا تبذر تبذيرا) بالانفاق
في غير طاعة الله (ان
المبذرين كانوا اخوان
الشياطين) أي على
طريقتهم (وكان الشيطان
لربه كفورا) شديد الكفر
لنعمه فكذلك أخوه
المبذر (واما تعرضن
عنهم) أي المذكورين من
ذي القربى وما بعده فلم
تعطهم (ابتغاء رحمة من
ربك ترجوها) أي لطلب
رزق تنتظره يأتيك
تعطيهم منه (فقل لهم
قولا ميسورا) لينا سهلا
بأن تعدهم بالاعطاء عند
مجيء الرزق (ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك)
أي لا تمسكها عن الانفاق
كل المسك (ولا تبسطها)
في الانفاق (كل البسط
فتقعد ملوما) راجع
للأول (محسورا) منقطعا
لا شيء عندك راجع للثاني

و[illegible] وأما من بعده [illegible] رسول الله كأبي بكر وعمر من الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم وسائر خصوصهم الله على ذلك فعلم بهذا منهم التحسر على فوات الذي ينفقونه منها وشاأنهم بالله وخطاب تلك الآيات اعاها وعلى حسب أخلاق العامة (قوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء الخ) أي فانظر لما رزقك الله به وأنفق على حسبه وارض بما قسم الله لك فوسع عند سعة الرزق وضيق عند ضيقه وكن حيث أقامك الله (قوله بمواطنهم وظواهرهم) لف ونشر مرتب (قوله ولا تقتلوا أولادكم) سبب ذلك ان بعض الجاهلية كانوا يقتلون البنات خوف الفقر وبعضهم خوف العار فحصل النهي عن ذلك لما فيه من سوء الظن بالله وتغيير سبب العالم وكل منهما مذموم وهو خطاب للموسرين بدليل قوله خشية املاق ولذلك قدم الاولاد وما تقدم في الانعام خطاب للمعسرين ولذلك قدم ذكر الآباء وأخر ذكر الاولاد (قوله بالوأد) أي الدفن بالحياة وخص بالذكر وان كان القتل بأي شئ حراما لانه الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية (قوله كان خطأ) اما بكسر الخاء وسكون الطاء بوزن حمل مصدر خطئ كعلم أو بفتحتين اسم مصدر لاخطأ رباعيا أو بكسر الخاء وفتح الطاء ممدودا مصدر لخاطأ كقاتل ثلاث قراآت وكلها سبعية (قوله ولا تقربوا الزنا) هو بالقصر في القراءة الشائعة وقرئ شذوذا بالمد وخرجت على وجهين أحدهما أنه لغة في المقصور والثاني انه مصدر زانى كقاتل لانه يكون من اثنين (قوله أبلغ من لا تأتوه) أي لانه يفيد النهي عن مقدماته كاللمس والمباشرة والقبلة صريحا والنهي عن الفعل بالاولى (قوله وساء سبيلا) أي لانه طريق من طرق النار وخص الزنا بالنهي وان كان اللواط أشنع وأقبح لانه كان ساريا في العرب بخلاف اللواط فقد كان في قوم لوط وتنوسي ثم ظهر في هذه الامة بعد قرن الصحابة والتابعين (قوله التي حرم الله) أي حرم قتلها بان عصمها منه وهو المسلم أو الكافر الذي ثبتت ذمته (قوله الا بالحق) مستثنى من النهي والمعنى لا تقتلوا النفس المعصومة الا بالقتل بالحق وهو أحد ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا كما في الحديث (قوله ومن قتل مظلوما) أي وهو المؤمن المعصوم (قوله تسليطا على القاتل) أي فحيث ثبت القتل عمدا عدوانا وجب على الحاكم الشرعي أن يمكن ولي المقتول من القاتل فيفعل فيه الحاكم ما يختاره الولي من القتل أو العفو أو الدية ولا يجوز للولي التسلط على القاتل من غير اذن الحاكم لان فيه فسادا وتخريبا (قوله غير قاتله) أي غير قاتل المقتول (قوله أو بغير ما قتل به) يستثنى منه من قتل بمحرم كلواط وسحر فانه لا يجوز القتل بذلك بل يقتل بالسيف (قوله انه كان) أي الولي منصورا أي من الله ومن الحاكم (قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) أي لا تقربوه بحال من الاحوال الا بالخصلة التي هي أحسن من جميع الخصال وهي تنميته والانفاق عليه منه بالمعروف (قوله حتى يبلغ أشده) غاية لقوله الا بالتي هي أحسن كانه قال فاقربوه بالتي هي أحسن الى أن يبلغ أشده أي رشده فاذا بلغ أشده فادفعوا اليه المال ولا تصرف لكم فيه بوجه وأشد اما مفرد بمعنى القوة أو جمع لا واحد له من لفظه أو جمع شدة أو شد بكسر الشين فيهما أو شد بفتحها وعلى كل فالمراد به القوة بان يبلغ عاقلا رشيدا وان كان الاشد في الاصل بلوغ ثلاث وثلاثين سنة (قوله اذا عاهدتم الله أو الناس) أي أو ما عاهدكم الله عليه من التكاليف (قوله كان مسؤلا عنه) أي هل وفى به صاحبه أم لا وقدر المفسر عنه اشارة الى أن المسؤل صاحب العهد لا نفس العهد اذ لا يتأتى سؤاله (قوله وأوفوا الكيل) خطاب للبائعين قال بعضهم يؤخذ من الآية أن أجرة الكيال على البائع لانها من تمام التسليم ما لم تشترط أو يجر عرف بانها على المشتري (قوله بالقسطاس) بضم القاف وكسرها قراءتان سبعيتان وهي رومية استعملتها العرب في لغتهم وأجرته مجرى كلامهم في الاعراب ونحوه فصار عربيا (قوله ذلك) أي المذكور من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هنا والمعنى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات خير في الدنيا وأحسن تأويلا أي عاقبة في الآخرة ويحتمل عود اسم الاشارة على خصوص ايفاء الكيل والميزان فخيره في الدنيا لما فيه من اقبال المشتري على البائع وفي الآخرة بحسن العاقبة (قوله ولا تقف ما ليس لك به علم) أي لا تتل

(ان ربك يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء ويقدر) يضيقه لمن يشاء (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم (ولا تقتلوا أولادكم) بالوأد (خشية) مخافة (املاق) فقر (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ) اثما (كبيرا) عظيما (ولا تقربوا الزنا) أبلغ من لا تأتوه (انه كان فاحشة) قبيحا (وساء) بئس (سبيلا) طريقا هو (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه) لوارثه (سلطانا) تسليطا على القاتل (فلا يسرف) يتجاوز الحد (في القتل) بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به (انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد) اذا عاهدتم الله أو الناس (ان العهد كان مسؤلا) عنه (وأوفوا الكيل) أتموه (اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم) الميزان السوي (ذلك خير وأحسن تأويلا) مآلا (ولا تقف) تتبع (ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد) القلب

رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم (قوله كل أولئك) أي المذكورات الثلاثة (قوله كان عنه مسؤلا) أي في الآخرة فلا يجوز للانسان أن يتكلم في غيره بمجرد الظن ومن ذلك التقوّل بغير علم وشهادة الزور وظن السوء بالناس وغير ذلك (قوله مرحا) مصدر مرح كفرح وزنا ومعنى (قوله انك لن تخرق الارض) أي بكبرك وتجبرك فلست أعلى من الارض حتى تدرك حدودها وتبلغ منتهاها (قوله تنقبها) بالتاء المثناة والنون (قوله طولا) تمييز محول عن الفاعل أي وان يبلغ طولك الجبال وهذا تهكم على المتكبر كأن الله يقول له شأن المتكبر أن يرى كل شئ أحقر منه وأنت ترى كل شئ أعظم منك لانك تمشي على الارض لن تخرقها حتى تدركها ولن يبلغ طولك الجبال حتى تكون أعلى منها فلا يليق منك التكبر (قوله كل ذلك) أي المذكور من الخمس والعشرين المذكورة في قوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر الى قوله ولا تمش في الارض مرحا (قوله كان سيئه) بالتاء والهاء قراءتان سبعيتان فعلى الاولى يكون المراد من قوله كل ذلك المنهيات وهي اثنتا عشرة خصلة والتأنيث في سيئة باعتبار معنى كل وتذكير مكروها باعتبار لفظها وعلى الثانية يكون المراد جميع ما تقدم من المأمورات والمنهيات وقوله كان سيئه أي السيء منه وهو المنهيات الاثنتا عشرة ويكون في الآية اكتفاء أي وكان حسنه محمودا (قوله ذلك مما أوحى) أي ما تقدم من المأمورات والمنهيات بعض ما أوحى اليك (قوله ولا تجعل مع الله الها آخر) ختم به الاحكام كما ابتدأها به اشارة الى أن التوحيد مبدأ الامور ومنتهاها وهو رأس الاشياء وأساسها والاعمال بدونه باطلة لا تفيد شيأ (قوله أفأصفاكم ربكم) لما أمر بالتوحيد ونهى عن الاشراك أتبعه بذكر التقبيح والتشنيع على من ينسب لله الولد خصوصا أخس الاولاد في زعمهم وهي البنات فالاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أخلصكم) بيان لمعنى الصفاء اللغوي يقال صفاه بمعنى خلصه والمعنى أخصكم ربكم بالبنين الذين تدعون انهم أشرف الاولاد وجعل لنفسه البنات اللاتي تدعون خستها عن الذكور ان هذا الرأي شنيع من وجوه أولها نسبة الولد من حيث هو لله ثانيها نسبة الخسيس له ثالثها الحكم على الملائكة الكرام بالانوثة مع أنهم عباد مكرمون لا يوصفون بذكورة ولا بانوثة وكل ذلك موجب للخلود في النار (قوله بنات لنفسه) في بعض النسخ باسقاط ألف بعد التاء وهي الصحيحة لان من المعلوم ان بنات جمع مؤنث سالم ينصب بالكسرة وفي بعض النسخ بثبوتها ولعلها من سهو الناسخ أو تخرج على لغة قليلة تنصبه بالفتحة (قوله قولا عظيما) أي كبيرا لان نسبة الولد اليه تستلزم حدوثه وهو محال في حقه تعالى (قوله ولقد صرفنا) أي أظهرنا وبيّنا (قوله من الامثال الخ) بيان للمفعول ومن زائدة والمعنى بيّنا في هذا القرآن الامثال والوعد والوعيد (قوله الا نفورا) أي اعراضا واستكبارا عن الهدى قال البوصيري

عجبا للكفار زادوا ضلالا ✽ بالذي فيه للعقول اهتداء

(قوله قل لهم) أي في الاستدلال على ابطال التعدد واثبات الوحدانية له تعالى (قوله لو كان معه آلهة) هذا اشارة الى قياس استثنائي يستثنى فيه نقيض التالي لينتج نقيض المقدم وقد حذف منه الاستثنائية والنتيجة والاصل لكنهم لم يطلبوا الطريق لقتاله فلم يكن معه آلهة والمعنى لو فرض أن له شريكا في الملك لنازعه وقاتله واستعلى عليه لكنه لم يوجد من هو بهذه المثابة فبطل التعدد وثبتت الوحدانية والكبرياء له سبحانه وتعالى (قوله ليقاتلوه) أي على عادة ملوك الدنيا مع بعضهم (قوله وتعالى) عطف على ما تضمنه قوله سبحانه كأنه قال تنزه وتعالى (قوله تسبح له السموات السبع الخ) القصد من ذلك التوبيخ والتقريع على من أثبت لله شريكا والمعنى كيف يشركون مع الله غيره وكل شئ ينزهه عن كل نقص (قوله والارض) أفردها مع انها سبع كالسموات لانها تكون جنسا واحدا وهو التراب (قوله من المخلوقات) أي الانس والجن والملائكة وسائر الحيوانات والجمادات (قوله أي يقول سبحان الله وبحمده) أي اعتقد تنزيه الله وأصف بحمده أي بكل كمال (قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم) هذا يقتضي أن تسبيح الجمادات والحيوانات الغير العاقلة بلسان المقال وهو الذي اختاره جمهور العلماء وذهب الاول

(كل أولئك كان عنه مسؤلا) صاحبه ماذا فعل به (ولا تمش في الارض مرحا) أي ذا مرح بالكبر والخيلاء (انك لن تخرق الارض) تنقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك (ولن تبلغ الجبال طولا) المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال (كل ذلك) المذكور (كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى اليك) يا محمد (ربك من الحكمة) الموعظة (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) مطرودا عن رحمة الله (أفأصفاكم) أخلصكم يا أهل مكة (ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا) بنات لنفسه بزعمكم (انكم لتقولون) بذلك (قولا عظيما ولقد صرفنا) بيّنا (في هذا القرآن) من الامثال والوعد والوعيد (ليذكروا) يتعظوا (وما يزيدهم) ذلك (الا نفورا) عن الحق (قل) لهم (لو كان معه) أي الله (آلهة كما تقولون اذا لابتغوا) طلبوا (الى ذي العرش) أي الله (سبيلا) ليقاتلوه (سبحانه) تنزيها له (وتعالى عما يقولون) من الشركاء (علوا كبيرا تسبح له) تنزهه (السموات السبع والارض ومن فيهن وان) ما (من شئ) من المخلوقات (الا يسبح) ملتبسا (بحمده) أي يقول سبحان الله وبحمده (ولكن لا تفقهون) تفهمون (تسبيحهم) لانه ليس بلغتكم (انه كان حليما غفورا)

حيث لم يعاجلكم بالعقوبة (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أي ساترا لك
عنهم فلا يرونك نزل فيمن
أراد الفتك به صلى الله عليه
وسلم (وجعلنا على قلوبهم
أكنة) أغطية (أن يفقهوه)
من أن يفهموا القرآن أي
فلا يفهمونه (وفي آذانهم
وقرا) ثقلا فلا يسمعونه
(واذا ذكرت ربك في
القرآن وحده ولوا على
أدبارهم نفورا) عنه (نحن
أعلم بما يستمعون به)
بسببه من الهزء (اذ يستمعون
اليك) قراءتك (واذهم
نجوى) يتناجون بينهم أي
يتحدثون (اذ) بدل من اذ
قبله (يقول الظالمون) في
تناجيهم (ان) ما (تتبعون
الا رجلا مسحورا) مخدوعا
مغلوبا على عقله قال تعالى
(انظر كيف ضربوا لك
الامثال) بالمسحور
والكاهن والشاعر (فضلوا)
بذلك عن الهدى (فلا
يستطيعون سبيلا) طريقا
اليه (وقالوا) منكرين
للبعث (أئذا كنا عظاما
ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا
جديدا قل) لهم (كونوا
حجارة أو حديدا أو خلقا
مما يكبر في صدوركم) يعظم
عن قبول الحياة فضلا عن
العظام والرفات فلا بد من
ايجاد الروح فيكم (فسيقولون
من يعيدنا) الى الحياة (قل
الذي فطركم) خلقكم (أول
مرة) ولم تكونوا شيأ لان
القادر على البدء قادر على
الاعادة بل هي أهون
(فسينغضون) يحركون (اليك رؤسهم) تعجبا (ويقولون) استهزاء (متى هو) أي البعث (قل عسى

الى أنه بلسان الحال بمعنى انها تدل تلك المخلوقات على ان لها صانعا متصفا بالكمالات منزها عن النقائص فكان ذلك تسبيحا لها قال العارف

وفي كل شئ له آية * تدل على انه الواحد

(قوله حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) أي مع غفلتكم وعدم تدبركم في آياته ونظركم في مصنوعاته (قوله واذا قرأت القرآن) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم حين أراد الكفار قتله على حين غفلة وال في القرآن اما للجنس الصادق بأي آية وهو الحق لما في الحديث خذ من القرآن ما شئت لما شئت وكون القرآن حجابا ساترا ليس من خصوصياته صلى الله عليه وسلم بل له ولامته المؤمنين به المخلصين كما هو مشاهد ومجرب بين العارفين وأدلة السنة في ذلك أشهر من أن تذكر أو للعهد والمراد ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والجاثية وهي قوله تعالى في سورة النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وفي سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي الجاثية أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم الآية وزاد على العلماء أول سورة يس الى قوله فهم لا يبصرون لما ورد انه قرأها حين اجتمعوا على بابه لارادة قتله وأذن الله له في الهجرة فأخذ حفنة من تراب في يده وخرج وهو يتلو يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون وجعل ينثر التراب على رؤسهم ثم انصرف فلم يره أحد منهم بل أخذ الله أبصارهم (قوله وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي وهم المنكرون للبعث (قوله أي ساترا) أشار بذلك الى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله فيمن أراد الفتك به) أي كأبي جهل وأم جميل زوجة أبي لهب ويهود خيبر ويهود المدينة والمنافقين والفتك بتثليث الفاء والقتل على غفلة (قوله أغطية) أي حجبا معنوية تمنعهم من ادراكه (قوله فلا يسمعونه) أي اما أصلا كما وقع لبعض الكفار حيث كان النبي يقرأ القرآن وهم لا يسمعونه أو المنفي سماع التدبر والاتعاظ وهو موجود في جميع الكفار والمنافقين (قوله وحده) حال من قوله ربك بمعنى منفردا في الالوهية (قوله ولوا على أدبارهم نفورا) أي أعرضوا ولم يؤمنوا (قوله نحن أعلم بما يستمعون به) المقصود من هذه الآيات تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما وقع من المشركين وتهديد لهم حيث كانوا يجلسون عند النبي مظهرين الاستماع وفي الواقع قصدهم الاستهزاء (قوله من الهزء) بيان لما (قوله اذ يستمعون) ظرف لأعلم وكذا قوله واذهم نجوى والمعنى نحن أعلم بالذي يستمعون بسببه وقت استماعهم اليك ووقت تناجيهم (قوله نجوى) اما مصدر أو جمع نجي (قوله بدل من اذ قبله) أي وهو قوله واذهم نجوى (قوله يقول الظالمون) أي لبعضهم أو لمن كان قريبا منهم في المجلس من المؤمنين (قوله كيف ضربوا لك الامثال) أي حيث شبهوك بالاوصاف الناقصة كالمسحور والشاعر والكاهن (قوله فضلوا بذلك عن الهدى) أي لان الهدى تابع للتسليم وحسن العقيدة وهؤلاء بريئون من ذلك (قوله طريقا اليه) أي الى الهدى لعدم تيسير أسبابه لهم (قوله منكرين للبعث) أشار بذلك الى أن الاستفهام للانكار والاستبعاد (قوله ورفاتا) هو ما بولغ في تفتيته ودقه حتى يصير كالتراب وقيل هو التراب يؤيده أنه تكرر في القرآن ترابا وعظاما (قوله قل كونوا حجارة) أي جوابا عن انكارهم البعث والمعنى قل لهم لو صرتم حجارة أو حديدا أو خلقا آخر غيرهما كالسموات والارض والجبال فلا بد من ايجاد الحياة فيكم فان قدرة الله لا تعجز عن احيائكم واعادتكم للجسمية والروحية فكيف اذا كنتم عظاما ورفاتا وليس المراد الامر بل المراد أنكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله عن الاعادة (قوله مما يكبر في صدوركم) أي اعتقادكم والمعنى لو كنتم أشياء يعظم في اعتقادكم قبولها الحياة لكونها بعيدة منها الاحيا كم الله اذ القادر لا يعجزه شئ (قوله قل الذي فطركم) أي يعيدكم الذي فطركم (قوله بل هي أهون) أي لان البدء لم يكن على مثال سابق بخلاف الاعادة وذلك بالنظر لعقولنا وأفعالنا والا فالبدء والاعادة بالنسبة اليه تعالى على حد سواء اذ اقتدار الجليل العظيم عن الصعوبة والمشقة قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (قوله فسينغضون اليك رؤسهم) يقال انغض الثنية تحركت وانغض رأسه حركه كالمتعجب من

الثاني (قوله أن يكون قريبا) هو في محل نصب خبر عسى على أنها ناقصة واسمها ضمير يعود على البعث أو في محل رفع فاعل بها على أنها تامة (قوله يوم يدعوكم) ظرف لقوله قريبا (قوله على لسان اسرافيل) هو أحد قولين والآخر أن المنادي جبريل والنافخ اسرافيل وصورة النداء أنه يقول أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فتجيبون) أي تبعثون (قوله بحمده) حال من الواو في تستجيبون أي تجيبونه حال كونكم حامدين له على ذلك لما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (قوله بأمره) تفسير آخر لمعنى الحمد وعليه فالباء سببية (قوله وقيل وله الحمد) أي لما ورد أنهم يقولون نعم ولله الحمد وهو اخبار عن جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم فالمؤمنون يحمدون الله شكرا على ما أولاهم من النعم والكفار يحمدونه رجاء أن ينفعهم ذلك الشكر وهو لا ينفعهم وقيل هو في خصوص المؤمنين (قوله في الدنيا) أي أو في القبور لأنها من جملة عمر الدنيا (قوله يقولوا) مجزوم في جواب الأمر (قوله التي هي أحسن) أي ولا يغلظوا عليهم فان ذلك داع الى الشر كأن يقولوا لهم انكم من أهل النار ومن الأشقياء وغير ذلك (قوله ان الشيطان الخ) تعليل لمفهوم قوله يقولوا التي هي أحسن كأنه قال ولا يقولوا غيرها مما ينفر النفوس لأن الشيطان الخ (قوله بينهم) أي بين المؤمنين والمشركين (قوله يفسد بينهم) أي لأن الاغلاظ عليهم مما يثير العناد ويؤدي لزيادة الفساد (قوله هي ربكم أعلم الخ) أي وما بينهما اعتراض والمعنى ربكم أعلم بعاقبة أمركم (قوله بالتوبة والايمان) أي بسببهما (قوله وما أرسلناك عليهم وكيلا) أي وما جعلنا أمرهم موكولا اليك بل ليس عليك الا البلاغ فدارهم ومر أصحابك بتحمل أذاهم (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهو منسوخ بآية يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومقتضى العلة أنه حيث أدى الاغلاظ الى زيادة الفساد وجب تركه في أي زمن (قوله بمن في السموات والأرض) أي بأحوالهم فيخص بالنبوة من شاء من خلقه وبولايته وسعادته من شاء منهم وفي هذه الآيات رد على المشركين حيث استبعدوا النبوة على رسول الله بقولهم كيف يكون يتيم أبي طالب نبيا وكيف يكون العراة الجوع أصحابه وهذه العبارة لا يجوز اطلاقها على النبي الا في مقام الحكاية عن الكفار ولذا أفتى بعض المالكية بقتل قائلها في مقام التنقيص والباء متعلقة بأعلم ولا يلزم عليه قصر علمه على من في السموات والأرض لأنه مفهوم لقب وهو لا يعتبر وقصره العلماء على من اعتبره كأبي بكر الدقاق (قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) أي بتفضيل من الله ومزايا خصهم بها وميز بعضهم عن بعض (قوله وآتينا داود زبورا) خص بالذكر لأن اليهود زعمت أنه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة وقصدهم بذلك انكار نبوة محمد وانكار كتابه فرد الله عليهم بقوله وآتينا داود زبورا والحال أنهم يعترفون بنبوة داود ونزول الزبور عليه مع أنه جاء بعد موسى والزبور كتاب أنزل على داود مشتمل على مائة وخمسين سورة أطولها قدر ربع من القرآن وأقصرها قدر سورة اذا جاء نصر الله وكلها دعاء وتمجيد ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام وفي هذه الآية اشارة الى أن تفضيل الأنبياء بالفضائل النفسانية والتخلي عن العلائق الجسمانية والتحلي بالأخلاق الرحمانية لا بكثرة الأموال والأتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما أوحى الله اليه من الكتاب لا بما أوتيه من الملك فالعز والتفضيل في المزايا الأخروية لا الدنيوية فانها تكون في المؤمن والكافر فلا يعتنى بشأنها على أصحابه وأمته [illegible] (قوله قل لهم) أي قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا مع الله شريكا (قوله أنهم آلهة) أشار بذلك الى أنه مفعولي زعم محذوفان (قوله من دونه) أي غيره وفي الآية تقديم وتأخير والتقدير قل ادعوا الذين من دونه زعمتم أنهم آلهة فالمعنى [illegible] يدعونها كما يدعون الله [illegible] ان المشركين [illegible] لأن الآلهة غيره وهو ليس بإله (قوله كالملائكة الخ) أي وقالهم [illegible] فالكلام في عموم المعبودات بدليل قوله أولئك الذين يدعون (قوله فلا يملكون كشف الضر عنكم) أي الذين تدعونهم [illegible] لأن الله هو القادر الذي لا يعجزه [illegible]

أن يكون قريبا يوم يدعوكم) يناديكم من القبور على لسان اسرافيل (فتستجيبون) فتجيبون دعوته من القبور (بحمده) بأمره وقيل وله الحمد (وتظنون ان) ما (لبثتم) في الدنيا (الا قليلا) لهول ما ترون (وقل لعبادي) المؤمنين (يقولوا) للكفار الكلمة (التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ) يفسد (بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) بين العداوة والكلمة التي هي أحسن هي (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) بالتوبة والايمان (أو ان يشأ) تعذيبكم (يعذبكم) بالموت على الكفر (وما أرسلناك عليهم وكيلا) فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الأمر بالقتال (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسراء (وآتينا داود زبورا قل) لهم (ادعوا الذين زعمتم) أنهم آلهة (من دونه) كالملائكة وعيسى وعزير (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) له الى غيرهم

(أولئك الذين يدعون) هم آلهة (يبتغون) يطلبون (إلى ربهم الوسيلة) القربة بالطاعة (أيهم) بدل من واو يبتغون أي يبتغيها

(قوله أولئك الذين يدعون) هذا من تتمة ما قبله واسم الإشارة مبتدأ وجملة يبتغون وما عطف عليه خبر والذين بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان عليه ويدعون صلته وقدر المفسر مفعوله والمعنى أن العقلاء الذين زعمتموهم آلهة وعبدتموهم يطلبون من الله القرب بسبب طاعتهم وخضوعهم وذلهم لربهم ويرجون رحمته ويخافون عقابه بل كل من كان أقرب منهم في الدرجة فهو أشد خضوعا وخوفا ولا يرضون بكونهم معبودين من دون الله (قوله بدل من واو يبتغون) أي وأقرب خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة أي كما أشار له المفسر بقوله يبتغيها الذي هو أقرب (قوله فكيف تدعونهم آلهة) أي مع كونهم راجين خائفين محتاجين لربهم والاله لا يكون كذلك (قوله كان محذورا) أي مخافا منه والمعنى هو حقيق بأن يخاف منه كل أحد (قوله وان من قرية) أي طائعة أو عاصية وقوله الا نحن مهلكوها أي الطائعة وقوله أو معذبوها أي العاصية والمعنى أن كل أحد يفنى قبل يوم القيامة قال تعالى كل من عليها فان ولكن الفناء مختلف فمنهم من يموت ميتة حسنة ومنهم من يموت ميتة سوء (قوله بالموت) أي فالهلاك قد يستعمل في الموت قال تعالى ان امرؤ هلك (قوله كان ذلك) أي ما ذكر من الاهلاك والتعذيب (قوله مسطورا) أي فلا يغير ولا يبدل (قوله وما منعنا أن نرسل الخ) سبب نزول هذه الآية أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اقلب لنا الصفا ذهبا وسير لنا هذه الجبال عن مكة لنزرع مكانها وأحي لنا آباءنا الموتى فان فعلت ذلك آمنا بك فشرع النبي يسأل الله تعالى في ذلك فنزلت هذه الآية والمعنى ما كان السبب في تركنا اجابتهم عجزا منا بل السبب في ترك الاجابة غلبة رحمتنا بهم فانه قد جرت عادتنا من أول الزمان الى وقتك هذا أن كل أمة طلبت من نبيها آية تأتيهم بها فاذا كفروا استأصلناهم بالهلاك وقد سبق في علمنا أن أمتك تبقى على وجه الارض الى يوم القيامة ولو آتيناهم ما طلبوه ولم يؤمنوا لاستأصلناهم بالهلاك فلم يتم ما سبق في علمنا فمنعهم مما طلبوه رحمة بأمتك جميعا (قوله التي اقترحوها) أي كقلب الصفا ذهبا وغير ذلك مما يأتي في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات (قوله مبصرة) بكسر الصاد باتفاق السبعة واسناد الابصار لها مجاز لانها سبب في التبصر والاعتبار والاهتداء وخصت معجزة صالح بالذكر لان المكذبين لها ديارهم الهالكة قريبة منهم يبصرونها في أسفارهم ذهابا وايابا (قوله المعجزات) دفع بذلك ما يقال ان في الآية تعارضا حيث نفى ارسال الآيات أولا وأثبته ثانيا وحاصل الجواب أن يقال ان المنفي أولا الآيات المقترحة والمثبت ثانيا المعجزات الغير المقترحة (قوله واذ قلنا لك) اذ ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله فهو يعصمك منهم) أي من قتلهم لا من أذاهم فانه حاصل (قوله وما جعلنا الرؤيا) المراد الرؤية بالبصر واستعمالها بالالف قليل والكثير استعمال البصرية بالتاء والحلمية بالالف وانما عبر عنها بالالف لوقوعها بالليل وسرعة تقضيها كأنها منام (قوله والشجرة) معطوفة على الرؤيا (قوله الملعونة) اسناد اللعن لها اما حقيقة باعتبار انها مؤذية ومذمومة ومطرودة عن رحمة الله لانها تخرج في أصل الجحيم أو مجاز والمراد ملعون آكلوها (قوله في القرآن) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للشجرة أي المذكورة في القرآن (قوله وهي الزقوم) هي أخبث الشجر المر تنبت بتهامة وتكون في أصل الجحيم طعام أهل النار (قوله اذ قالوا النار تحرق الشجر الخ) أي فقصدوا بذلك انكار قدرة الله تعالى واثبات العجز له والاستهزاء بقول الرسول وهو غفلة منهم عن قدرة الله مقادير على الامر العادي مع أنهم شاهدوا تخلفه في مثل النعامة فانها تبتلع الجمر والحديد المحمي بالنار ولا يحرقها ويطير السمندل ينخذ من وبره مناديل فاذا اتسخت ألقيت في النار فيزول وسخها وتبقى هي (قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) كرر قصة آدم مع ابليس في القرآن مرارا لابتناء السعادة والشقاوة عليها واشارة الى أن السعيد هو من تبع آدم والشقي هو من تبع ابليس ليحصل ما ترتب على ذلك من النعيم المقيم لاهل السعادة والعذاب الاليم لاهل الشقاوة (قوله اسجدوا لآدم) أي بعد أن قال لهم اني جاعل في الارض

الذي هو (أقرب) اليه فكيف بغيره (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا وان) ما (من قرية) أريد أهلها (الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت (أو معذبوها عذابا شديدا) بالقتل وغيره (كان ذلك في الكتاب) اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التي اقترحها أهل مكة (الا أن كذب بها الاولون) لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها الى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الاهلاك وقد حكمنا بامهالهم لاتمام أمر محمد (وآتينا ثمود الناقة) آية (مبصرة) بينة واضحة (فظلموا) كفروا (بها) فأهلكوا (وما نرسل بالآيات) المعجزات (الا تخويفا) للعباد فيؤمنوا (و) اذكر (اذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) علما وقدرة فهم في قبضته فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) عيانا ليلة الاسراء (الا فتنة للناس) أهل مكة اذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها (والشجرة الملعونة في القرآن) وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم اذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (ونخوفهم) بها (فما يزيدهم) تخويفنا (الا طغيانا كبيرا) اذكر (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)

خليفة فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها قال لهم انى أعلم مالا تعلمون ثم علمه أسماء الاشياء كلها ثم عرض الله على الملائكة المسميات وأمر آدم أن يقول للملائكة أنبئونى بأسماء هؤلاء فقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا قال الله يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم صار شيخالهم فوجب تعظيمه واحترامه فأمروا بالسجود له وفاء ببعض حقوقه عليهم (قوله سجود تحية بالانحناء) دفع بذلك ما يقال ان السجود لغير الله كفر والملائكة بريئون منه ويدفع أيضا بأن السجود لآدم حقيقة بوضع الجبهة وآدم كالقبلة كالمصلين للكعبة وأيضا محل كون السجود لغير الله كفرا مالم يكن الآمر به هو الله والا فيجب امتثاله وقد تقدم ذلك (قوله فسجدوا) أى الملائكة جميعا (قوله الا ابليس) أى امتنع من السجود قولا وفعلا (قوله قال أأسجد الخ) الاستفهام انكارى فهو بمعنى النفى (قوله قال أرأيتك هذا الذى كرمت علىّ) الهمزة للاستفهام ورأى فعل ماض والتاء فاعل والكاف مؤكدة لتاء الخطاب واسم الاشارة مفعول أول والذى بدل منه أو صفة له وكرمت صلة الموصول والعائد محذوف تقديره كرمته والمفعول الثانى محذوف تقديره لم كرمته علىّ ولم يجبه الله عن هذا السؤال تحقيرا له حيث اعترض على مولاه وتكبر وحسد عباد الله والاراءة هنا بمعنى الاخبار ففيه مجاز مرسل من باب اطلاق السبب على المسبب لان شأن من كان رائيا الشئ أن يخبر به وأطلق الاستفهام وأريد منه الطلب ففيه مجاز على مجاز وتقدم نظائر هذه الآية فى الانعام وسيأتى فى القصص (قوله خلقتنى من نار) أى وهى أفضل العناصر الاربع (قوله لام قسم) أى مقدر تقديره والله وقوله لاحتنكن جواب القسم والجملة مستأنفة مرتبة على محذوف والتقدير فطرده الله فطلب اللعين الامهال للنفخة الثانية فأجابه الله بخلاف ما طلب فقال لئن أخرتنى الخ والاحتناك فى الاصل مأخوذ من حنك الدابة اذا جعل الرسن فى حنكها واحتنك الجراد الارض أكل ما عليها والياء فى أخرتنى ثابتة لبعض القراء وصلا ووقفا ومحذوفة لبعضهم كذلك وثابتة لبعضهم وصلا ومحذوفها وقفا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية هنا وأما التى تأتى فى المنافقون فالياء ثابتة للكل لثبوتها فى الرسم (قوله من عصمته) أى عصمة واجبة كالانبياء أو جائزة كالصلحاء (قوله قال تعالى له اذهب) هذا تهديد له وليس الامر فى المواضع الخمسة على حقيقته بل هو استدراج وتهديد لانه معصية والله لا يأمر بها على حد اذا لم تستح فاصنع ما شئت (قوله الى وقت النفخة الاولى) هذا جواب له على خلاف ما طلب فانه طلب الانظار الى النفخة الثانية ليفر من الموت فانه يعلم أن لا موت بعد النفخة الثانية (قوله جزاؤكم) غلب المخاطب لانه سبب فى الاغواء (قوله جزاء) منصوب بالمصدر قبله (قوله موفورا) أشار بذلك الى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله بالغناء) بكسر الغين والمد وهو تطريب الصوت بما يهيج الشهوات المحرمة (قوله وكل داع الى معصية) كالكلام مع الاجنبية ونحوه (قوله بخيلك) الباء للملابسة والمعنى صح عليهم حال كونك ملابسا جنودك الركاب والمشاة فالمراد بالخيل ركابها وذلك كقطاع الطريق الذين يركبون الخيل ويأخذون الاموال ويقتلون النفوس (قوله وشاركهم فى الاموال) أى بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها فيما لا ينبغى (قوله من الزنا) أى ومثله ما لو طلق الرجل امرأته ثلاثا وأتى منها بأولاد فان الشيطان شريكه فيهم (قوله وعدهم) أى احملهم على اعتقاد عدم البعث والجزاء (قوله ان عبادى) الاضافة للتشريف (قوله ليس لك عليهم سلطان) أى بل هم محفوظون منك (قوله وكفى بربك وكيلا) أى ان الشيطان وان كان قادرا على الوسوسة باقدار الله له فالله أرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيده وشره فالمعصوم من عصمه الله وليس العبد قادرا على دفع الوسواس عنه ﴿فائدة﴾ ذكر اليافعى عن الشاذلى أن معينا على دفع وسوسة الشيطان أن تك عند وسوسته [illegible] الى [illegible] ذلك [illegible] القلب [illegible] الملك القدوس [illegible] الخلاق [illegible] ان يشأ [illegible] ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز [illegible] (قوله [illegible]) [illegible]
[illegible]

سجود تحية بالانحناء (فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) نصب بنزع الخافض أى من طين (قال أرأيتك) أى أخبرنى (هذا الذى كرمت) فضلت (علىّ) بالامر بالسجود له وأنا خير منه خلقتنى من نار (لئن) لام قسم (أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن) لأستأصلن (ذريته) بالاغواء (الا قليلا) منهم ممن عصمته (قال) تعالى له (اذهب) منظرا الى وقت النفخة الاولى (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أنت وهم (جزاء موفورا) وافرا كاملا (واستفزز) استخف (من استطعت منهم بصوتك) بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع الى معصية (وأجلب) صح (عليهم بخيلك ورجلك) وهم الركاب والمشاة فى المعاصى (وشاركهم فى الاموال) المحرمة كالربا والغصب (والاولاد) من الزنا (وعدهم) بأن لا بعث ولا جزاء (وما يعدهم الشيطان) بذلك (الا غرورا) باطلا (ان عبادى) المؤمنين (ليس لك عليهم سلطان) تسلط وقوة (وكفى بربك وكيلا) حافظا لهم منك (ربكم الذى يزجى) يجرى (الفلك)

السفن (في البحر لتبتغوا) تطلبوا (من فضله) تعالى بالتجارة (انه كان بكم رحيما) في تسخيرها لكم (واذا مسكم الضر)

الشدة (في البحر) خوف الغرق (ضل) غاب عنكم (من تدعون) تعبدون من الآلهة فلا تدعونه (الا اياه) تعالى فانكم تدعونه وحده لانكم في شدة لا يكشفها الا هو (فلما نجاكم) من الغرق وأوصلكم (الى البر أعرضتم) عن التوحيد (وكان الانسان كفورا) جحود النعم (أفأمنتم أن نخسف بكم جانب البر) أي الارض كقارون (أو نرسل عليكم حاصبا) أي نرميكم بالحصباء كقوم لوط (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) حافظا منه (أم أمنتم أن نعيدكم فيه) أي البحر (تارة) مرة (أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح) أي ريحا شديدة لا تمر بشئ الا قصفته فتكسر فلككم (فنغرقكم بما كفرتم) بكفركم (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) ناصرا أو تابعا يطالبنا بما فعلنا بكم (ولقد كرمنا) فضلنا (بني آدم) بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت (وحملناهم في البر) على الدواب (والبحر) على السفن (ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا) كالبهائم والوحوش (تفضيلا) فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد

تفضيل الجنس ولا يلزم تفضيل افراده اذ هم أفضل من البشر غير الانبياء اذ كر

قال ربكم الحافظ لكم هو الذي يزجي والازجاء الاجراء قال زجاه وأزجاه بمعنى أجراه والفلك السفينة يستعمل مفردا وجمعا ووزن المفرد قفل والجمع بدن ويذكر باعتبار المركب ويؤنث باعتبار السفينة (قوله السفن) يشير الى أن الفلك مستعمل في الجمع (قوله في البحر) أي عذبا ومالحا (قوله لتبتغوا من فضله) أي الوصول الى المقاصد دنيوية وأخروية فالسفن يتوصل الى التجارات والمكاسب والحج وزيارة الصالحين (قوله انه كان بكم رحيما) تعليل ثان لقوله يزجي (قوله الشدة) أي من أجل هبوب الريح (قوله خوف الغرق) أي من أجل خوفه (قوله ضل من تدعون) أي ذهب عن قلوبكم وخواطركم كل معبود سواه فلا تدعون غير الله لكشفه (قوله الا اياه) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا بحمل قوله من تدعون على جميع المعبودات بحق أو بباطل ويحتمل أن يكون منقطعا بحمله على المعبود بباطل وتكون على هذا الا بمعنى لكن (قوله من الغرق) الجار والمجرور متعلق بنجاكم وقوله الى البر متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وأوصلكم (قوله أعرضتم عن التوحيد) أي تركتموه فالكافر يرجع لعبادة الاصنام والعاصي يرجع لغفلاته وشهواته بعد أن كان الجميع آيبين متوجهين الى الله خائفين منه (قوله وكان الانسان كفورا) كالتعليل لقوله أعرضتم (قوله أفأمنتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أنجوتم من الغرق فأمنتم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله أن نخسف بكم جانب البر) أي نخفيكم في باطن الارض والمعنى أنتم وان أمنتم من الغرق في البحر لا تأمنون من الخسف في البر والافعال الخمسة تقرأ بالنون والياء سبعيتان (قوله كقارون) أي فقد وقع به الخسف قال الله تعالى فخسفنا به وبداره الارض (قوله أي نرميكم بالحصباء) أي بسبب ريح تأتيكم (قوله كقوم لوط) أي فقد نزلت عليهم حجارة من السماء أهلكتهم (قوله حافظا منه) أي مما ذكر من الخسف وارسال الحصباء (قوله تارة) مصدر وتجمع على تير وتارات (قوله الا قصفته) أي كسرته (قوله فنغرقكم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فتكسر فلككم (قوله بكفركم) أي بسببه وأشار بذلك الى أن ما مصدرية ويصح أن تكون اسم موصول أي بسبب الذي كفرتم به (قوله نصيرا) أي ناصرا لكم علينا فيحفظكم ويمنع عنكم ما فعلناه بكم (قوله أو تابعا يطالبنا الخ) تفسير ثان لتبيعا والمعنى عليه لا تجدوا لكم مطالبا بأخذ ثاركم منا (قوله ولقد كرمنا بني آدم) أي شرفناه على جميع المخلوقات بأمور جليلة عظيمة منها أنهم يأكلون بأيديهم لا بأفواههم ومنها كونهم معتدلين القامة على شكل حسن وصورة جميلة ومنها أن الله خلق لهم ما في الارض جميعا ومنها اخدام الملائكة الكرام لهم حتى جعل منهم حفظة وكتبة لهم وغير ذلك (قوله بالعلم) أي والعقل (قوله ومنه طهارتهم بعد الموت) أي فذوات بني آدم طاهرة بعد الموت ونجاسة الكفار منهم معنوية لخبث باطنهم وعليه يحمل قوله تعالى انما المشركون نجس (قوله على الدواب) أي الابل والخيل والبغال والحمير (قوله من الطيبات) أي المستلذات كاللحم والسمن واللبن والحبوب والفواكه في جميع الازمان (قوله وفضلناهم على كثير الخ) أي ميزناهم بفضائل ليست في كثير من غيرهم (قوله فمن بمعنى ما) أي فهي مستعملة في غير العقلاء ويكون المراد بالكثير جميع ما سواهم من غير الملائكة (قوله أو على بابها) أي فهي مستعملة في العقلاء وغلبوا على غيرهم (قوله والمراد تفضيل الجنس) أي فجنس الانسان أفضل من جنس الملائكة وهذا جواب عما يقال لا نسلم أن جميع البشر أفضل من جميع الملائكة فأجاب بأن التفضيل بالجنس فلا ينافي أن رؤساء الملائكة أفضل من عامة البشر (قوله اذ هم) أي الملائكة (قوله أفضل من البشر) ظاهره مطلقا وهو خلاف التحقيق والتحقيق الذي عليه الاشاعرة أن خواص البشر كالانبياء والرسل أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وعوام البشر وهم الصلحاء أفضل من عوام الملائكة وهم ما عدا الرؤساء الاربعة

(قوله يوم ندعو) يوم منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر والمقصود من ذكر هذا اليوم ليكون داعيا الى الامتثال والخوف فيحملهم على الاستعداد (قوله كل أناس) وزنه فعال وهو جمع حذفت همزته فيقال ناس فوزنه عال (قوله نبيهم) أي لما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فينادى يوم القيامة يا أمة ابراهيم يا أمة عيسى يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى الاتباع يا أتباع نمرود ويا أتباع فرعون يا أتباع فلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفر فيأخذون كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم (قوله أو بكتاب أعمالهم) أي لقوله تعالى وكل شيء أحصيناه في امام مبين وما ذكره المفسر قولان في تفسير الامام وبقي أقوال أخر قيل المراد به الكتاب الذي أنزل عليهم فينادى في القيامة يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن ماذا عملتم في كتابكم هل امتثلتم أوامره هل اجتنبتم نواهيه وقيل المراد به المذهب الذي كانوا يعملون عليه فيقال يا حنفي يا شافعي يا معتزلي يا قدري ونحو ذلك وقيل المراد به عمل البر الذي اشتهر به في الدنيا فينادى أهل الصدقات وأهل الجهاد وأهل الصيام وغير ذلك وقيل المراد به الامهات لان الامام جمع أم كخفاف جمع خف فينادى الخلق بامهاتهم فيقال يا ابن فلانة سترا على ولد الزنا ورعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين ورد هذا القول الزمخشري وقال انه من بدع المفسرين (قوله فيقال يا صاحب الخير) هو على حذف مضاف أي يا صاحب كتاب الخير (قوله وهو يوم القيامة) وله أسماء كثيرة منها الساعة والحاقة والقارعة والواقعة ويوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحشر وغير ذلك (قوله فمن أوتي كتابه) من اما شرطية أو موصولة ودخلت الفاء في خبرها لشبهها بالشرط (قوله فأولئك يقرؤن كتابهم) أي وان لم يكونوا قارئين في الدنيا وحين يقرؤن كتابهم يظهرونه لاهل الموقف قال تعالى حكاية عنهم فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه الخ (قوله قدر قشرة النواة) الصواب أن يقول قدر الخيط الذي في شق النواة وأما القشرة التي ذكرها فهي القطمير وأما النقير فهو الذي في النقرة التي في ظهرها والثلاثة مذكورة في القرآن (قوله ومن كان في هذه أعمى) أي وهو الذي كتابه بشماله فيسود وجهه حينئذ ويحصل له الندم قال تعالى وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه الخ (قوله أعمى عن الحق) أي فالمراد أعمى القلب لا يبصر رشده (قوله وقراءة الكتاب) أي قراءة سارة والا فهو يقرؤه قراءة يحصل له بها الندم والحسرة والحزن (قوله وأضل سبيلا) أي لانهم حينئذ لا ينفعهم الايمان (قوله عنه) أي عن طريق النجاة (قوله ونزل في ثقيف) أي وهم قبيلة يسكنون الطائف وحاصله أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا فالمراد بقولهم لا نعشر لا نعطي العشر من الزكاة وبقولهم لا نحشر لا نؤمر بالجهاد وبقولهم لا نجبي بضم النون وفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة مكسورة لا نركع ولا نسجد في صلاتنا والمراد لا نصلي وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة حتى نأخذ ما يهدى لها فاذا أخذناه كسرناها وأسلمنا وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرني فسكت النبي وطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله وان كادوا الخ (قوله مخففة) أي واسمها ضمير الشأن (قوله يستنزلونك) أي يطلبون نزولك عن الحكم الذي أوحيناه اليك من الاوامر والنواهي (قوله لتفتري) أي تختلق وتكذب (قوله غيره) أي غير ما أوحينا اليك (قوله واذا) هي حرف جواب وجزاء تقدر بلو الشرطية كما قال المفسر (قوله لاتخذوك) جواب قسم محذوف تقديره والله لاتخذوك وهو مستقبل في المعنى لاقتضاء الجزاء الاستقبال (قوله وهو صريح) أي قوله لقد كدت تركن اليهم (قوله لم يركن) أي بالطريق الاولى وقوله ولا قارب أي بمنطوق التركيب والمعنى امتنع قربك من الركون لوجود تثبيتنا اياك واذا امتنع القرب من الركون فامتناع الركون أولى (قوله لو ركنت) المناسب أن يقول لو قاربت الركون لان جواب لولا هو المقاربة ولان ...

(يوم ندعو كل أناس بامامهم) نبيهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم فيقال يا صاحب الخير يا صاحب الشر وهو يوم القيامة (فمن أوتي) منهم (كتابه بيمينه) وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا (فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون) ينقصون من أعمالهم (فتيلا) قدر قشرة النواة (ومن كان في هذه) أي الدنيا (أعمى) عن الحق (فهو في الآخرة أعمى) عن طريق النجاة وقراءة الكتاب (وأضل سبيلا) أبعد طريقا عنه * ونزل في ثقيف وقد سألوه صلى الله عليه وسلم أن يحرم واديهم وألحوا عليه (وان) مخففة (كادوا) قاربوا (ليفتنونك) يستنزلونك (عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا) لو فعلت ذلك (لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك) على الحق بالعصمة (لقد كدت) قاربت (تركن) تميل (اليهم شيئا) ركونا (قليلا) لشدة احتيالهم والحاحهم وهو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم لم يركن ولا قارب (اذا) لو ركنت (لأذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف) عذاب (الممات)

الايراد

الابرار سيئات المقربين فان المقاربة من فعل القبيح لا عذاب عليها عموما والكاملون يشدد عليهم على قدر مقامهم قال العارف

واذا منحت القرب فاعرف قدره * ان السخي لمن يحب شحيح

(قوله أى مثلى ما يعذب غيرك) أى من جميع الخلق والمعنى لو قاربت الركون لاذقناك عذابا فى الدنيا والآخرة مثل عذاب الخلق مرتين (قوله مانعا منه) أى من العذاب المضاعف (قوله لما قال له اليهود الخ) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه فيها حسدا فأتوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبياء فان أرض الانبياء الشام وهى الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء فان كنت نبيا مثلهم فأت الشام وانما يمنعك من الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت رسوله فسار النبى جيشه على ثلاثة أميال من المدينة وفى رواية الى ذى الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويأتى الاذن من الله فيخرج فنزلت هذه الآية فرجع وسلطه الله عليهم فقتل منهم بنى قريظة وأجلى بنى النضير بعد زمن قليل وهذا مبنى على أن الآية مدنية وأما على ان الآية مكية فالمراد بالارض أرض العرب والمعنى هم المشركون ان يخرجوه منها فمنعهم الله عنه ولم ينالوا منه ما أملوه (قوله ليستفزونك) أى يزعجونك بمكرهم وعداوتهم (قوله واذا لا يلبثون) العامة على ثبوت النون ورفع الفعل لعطفه على قوله ليستفزونك وقرئ شذوذا بحذف النون وخرجت على انه منصوب باذن (قوله خلفك) وفى قراءة خلافك وهما سبعيتان والمعنى واحد (قوله الا قليلا) صفة لمصدر أو لزمان محذوف أى الا لبثا أو زمانا قليلا (قوله سنة من قد أرسلنا) سنة منصوب بنزع الخافض كما أشار له المفسر بقوله أى كسنتنا والمعنى نفعل باليهود من اهلاكهم لو أخرجوك كسنتنا فيمن قد مضى من الرسل حيث نهلك من أخرجهم وهذا على ان الآية مدنية وعلى انها مكية فالمعنى نفعل بأهل مكة الذين عزموا على اخراجك كما فعلنا بمن مضى قبلهم وقد قطع الله دابرهم بسيفه صلى الله عليه وسلم فى بدر وغيرها (قوله أقم الصلاة) أى دم على أداء الصلاة التى فرضها الله عليك وهى الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وآدابها (قوله لدلوك الشمس) مادة الدلوك تدل على التحول والانتقال ومنه الدلالك لعدم استقرار يده وفى الزوال انتقال الشمس من وسط السماء الى ما يليه ويستعمل فى الغروب أيضا (قوله أى من وقت زوالها) أشار بذلك الى أن اللام بمعنى من الابتدائية والكلام على حذف مضاف والدلوك بمعنى الزوال ويصح أن تكون اللام على بابها للتعليل ويصح أن تكون بمعنى بعد والاسهل ما قاله المفسر (قوله الى غسق الليل) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل أقم والتقدير أقم الصلاة مبتدئا من دلوك الشمس منتهيا الى غسق الليل (قوله وقرآن الفجر) بالنصب عطف على الصلاة (قوله صلاة الصبح) أى وسميت قرآنا لانه أحد أركانها فسميت باسم بعضها (قوله تشهده ملائكة الليل الخ) أى تحضره الملائكة لحفظة لما فى الحديث ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم فيقول ماذا تركتم عبادى فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وأخذ مالك من الآية ان الصلاة الوسطى هى الصبح (قوله ومن الليل) الجار والمجرور متعلق بتهجد ومن بمعنى بعض والتهجد فى الاصل من الهجود وهو النوم بالليل ثم استعمل فى الصلاة بالليل بعد الانتباه من النوم فهو من تسمية الاضداد يستعمل فى النوم وضده والمعنى انتبه من نومك وصل فى جوف الليل والناس نيام (قوله بالقرآن) أى فالضمير عائد على القرآن لا بالمعنى المتقدم فى استخدام (قوله فريضة زائدة لك) هذا مبنى على أن قيام الليل كان واجبا عليه دون أمته وهو مذهب مالك وان معنى النافلة الزيادة الفرضية (قوله أو فضيلة) تفسير ثان [illegible] على انه [illegible] وبعد الله على بابه [illegible] هذا التفسير لا خصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم بالتهجد ومشروع لامته الذى أ[illegible] له من درجات ويشكر الله على نعمائه

أى مثلى ما يعذب غيرك فى الدنيا والآخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) مانعا منه ونزل لما قال له اليهود ان كنت نبيا فالحق بالشام فانها أرض الانبياء (وان) مخففة (كادوا ليستفزونك من الارض) أرض المدينة (ليخرجوك منها واذا) لو أخرجوك (لا يلبثون خلافك) فيها (الا قليلا) ثم يهلكون (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أى كسنتنا فيهم من اهلاك من أخرجهم (ولا تجد لسنتنا تحويلا) تبديلا (أقم الصلاة لدلوك الشمس) أى من وقت زوالها (الى غسق الليل) اقبال ظلمته أى الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وقرآن الفجر) صلاة الصبح (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (ومن الليل فتهجد) فصل (به) بالقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة

لما في الحديث كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقالت له عائشة أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولغيره تكفيرا لذنوبه ورفعا لدرجاته وتهجده صلى الله عليه وسلم لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة اثنتان خفيفتان وما بقي طوال (قوله عسى أن يبعثك الخ) عسى في كلام الله للتحقيق لانه وعد كريم وهو لا يتخلف (قوله مقاما) منصوب بيبعثك لانه مضمن معنى يقيمك واليه يشير المفسر بقوله يقيمك في الآخرة مقاما (قوله وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء) أي حين يجمع الله الناس في صعيد واحد وتدنو الشمس حتى يكون بينها وبين رؤس الخلائق قدر الميل ودونه يحيط النار بهم والملائكة تحدق بهم سبع صفوف حتى يكون على القدم ألف قدم أو مائة ألف قدم على قدم فيشتد الكرب على الخلائق فيذهبون الى آدم فيسألونه الشفاعة فيقول اني أكلت من الشجرة ولكن ائتوا نوحا فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول اني دعوت على قومي ولكن ائتوا ابراهيم فيأتونه فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ولكن ائتوا موسى فيأتونه فيقول اني قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتونه فيقول ان قومي عبدوني من دون الله ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتونه فيقول أنا لها أنا لها فيستأذن الله فيؤذن له ثم يخر ساجدا ويثني على الله بثناء عظيم فيقال له ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعط فيرفع رأسه فيشفع في فصل الموقف ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يشفع ثانيا فيخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وفي الحديث أنا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائي (قوله لما أمر بالهجرة) فيه أن الآية مدنية الا أن يقال ان ما هنا مر على القول بأن السورة كلها مكية وهو ما مشى عليه البيضاوي أول السورة كما تقدم (قوله أدخلني المدينة) أي وتسمى طيبة وقبة الاسلام وقد استنارت به صلى الله عليه وسلم (قوله مدخل صدق) المدخل بضم الميم والمخرج كذلك لان فعلهما رباعي مصدران بمعنى الادخال والاخراج (قوله مرضيا) أي تطمئن به نفسي بحيث لا يزعجني شئ (قوله لا ألتفت بقلبي اليها) أي الى مكة لما وقع لا تعلق بغيرها وما تقدم من شرح تلك الآية هو ما مشى عليه المفسر وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل أدخلني حيثما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون أمينا عند الله ولورود تلك المعاني استعملها الصوفية على حسب مقاصدهم لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله قوة تنصرني بها على أعدائك) أي وقد أجاب الله دعاءه فوعده بملك فارس والروم وقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله (قوله وقل عند دخولك مكة) أي يوم الفتح (قوله وزهق الباطل) يقال زهق اضمحل وزهقت روحه خرجت (قوله يطعنها) أي يطعن كلا منها في عينه (قوله حتى سقطت) أي مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص وبقي منها صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من نحاس أصفر فقال النبي يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره (قوله من للبيان) أي لبيان الجنس وقدم على المبين اهتماما بشأنه فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الامراض الحسية الظاهرة بالتبرك بدليل ما ورد في حديث الفاتحة وما ينزل بك أنها رقية وشفاء من الامراض المعنوية الباطنية كالاعتقادات الباطلة والاخلاق المذمومة كالكبر والعجب والرياء وحب الدنيا والحرص والبخل وغير ذلك لاشتماله على التوحيد وأدلته وعلى مكارم الاخلاق وأدلتها وما مشى عليه المفسر من أن من للبيان هو التحقيق لما ورد [illegible] من القرآن ما شئت [illegible] ومن لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله وقيل انها للتبعيض والمعنى أن منه ما يشفي من الامراض كالفاتحة وآيات الشفاء (قوله من الضلالة) أي [illegible] الاعتقاد [illegible] من الامراض [illegible] (قوله ورحمة) أي [illegible] (قوله للمؤمنين) أي [illegible] (قوله ولا يزيد الظالمين الا خسارا) أي [illegible]

(عسى أن يبعثك) يقيمك (ربك) في الآخرة (مقاما محمودا) يحمدك فيه الاولون والآخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء * ونزل لما أمر بالهجرة (وقل رب أدخلني) المدينة (مدخل صدق) ادخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكره (وأخرجني) من مكة (مخرج صدق) اخراجا لا ألتفت بقلبي اليها (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) قوة تنصرني بها على أعدائك (وقل) عند دخولك مكة (جاء الحق) الاسلام (وزهق الباطل) بطل الكفر (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلا زائلا وقد دخلها صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان (وننزل من) للبيان (القرآن ما هو شفاء) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) به (ولا يزيد الظالمين) الكافرين (الا خسارا) لكفرهم به

(واذا أنعمنا على الانسان) الكافر (أعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) ثنى عطفه متبخترا (واذا مسه الشر) الفقر والشدة (كان يؤسا) قنوطا من رحمة الله (قل كل) منا ومنكم (يعمل على شاكلته) طريقته (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) طريقا فيثيبه (ويسئلونك) أى اليهود (عن الروح) الذى يحيا به البدن (قل) لهم (الروح من أمر ربى) أى علمه لا تعلمونه (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) بالنسبة الى علمه تعالى (ولئن)

لانهم لا ينتفعون به فضروا من الانتفاع به (قوله واذا أنعمنا على الانسان) أى بأن أعطيناه الصحة والغنى (قوله الكافر) أى فهذه الاوصاف فى حقه وكل ما ورد فى حق الكفار من الذم فانه يجر بذيله على عصاة الامة المتصفين بتلك الاوصاف (قوله أعرض عن الشكر) أى عن صرف النعم فى مصارفها وتكبر وتعاظم (قوله ثنى عطفه) أى لوى جانبه (قوله متبخترا) أى متكبرا (قوله كان يؤسا) أى غير راج رحمة الله ولا ينافى ما هنا قوله تعالى فى الآية الاخرى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض لان الكفار مختلفون فبعضهم فى حال الشر يكثر الدعاء وبعضهم يقنط من رحمة الله أو يقال انهم وان أكثروا الدعاء ظاهرا هم قانطون فى الباطن من رحمة الله (قوله على شاكلته) أى كل واحد منا ومنكم يعمل على حالته وطبيعته وروحه التى جبل عليها فالروح السعيدة صاحبها يعمل عمل السعداء وتظهر منه الاخلاق المرضية والافعال الجميلة وصاحب الروح الشقية يعمل عمل الاشقياء وتظهر منه الاخلاق القبيحة والافعال الخبيثة وفى هذه الآية دليل على أن الظاهر عنوان الباطن (قوله أهدى) يجوز أن يكون من اهتدى على حذف الزوائد وأن يكون من هدى المتعدى وأن يكون من هدى القاصر بمعنى اهتدى وسبيلا تمييز على كل حال وفى الآية اكتفاء أى وبمن هو أضل سبيلا (قوله ويسئلونك عن الروح) سبب نزولها كما قال ابن عباس أن قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسئلوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجب عن شئ منها فليس بنبى وان أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبى فاسئلوه عن فتية فقدوا فى الزمن الاول ما كان أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها ما خبره وعن الروح فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحى اثنى عشر وقيل خمسة عشر وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشئ حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ونزل فى الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ أوى الفتية الى الكهف الآيات ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ويسئلونك عن ذى القرنين الآيات ونزل فى الروح قوله تعالى ويسئلونك عن الروح الآية فأصل السؤال من اليهود والناقل له قريش (قوله عن الروح) أى عن حقيقة الروح الذى به حياة البدن وهذا هو الاصح وقيل الروح التى سألوه عنها هو جبريل وقيل ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا وقيل انهم جند من جنود الله على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس ليسوا ملائكة ولا أناسا يأكلون الطعام وقيل ملك عظيم عن يمين العرش لو شاء أن يبتلع السموات السبع فى لقمة واحدة لابتلعها ليس شئ أعظم منه الا العرش يشفع يوم القيامة فى أهل التوحيد محتجب عن الملائكة لو كشف لهم عنه لاحترقوا من نوره وقيل عيسى وقيل القرآن (قوله من أمر ربى) أى مما استأثر الله بعلمه وهذا هو الصحيح وقيل الروح هى الدم وقيل النفس ونقل عن بعض أصحاب مالك أنها صورة كجسد صاحبها وفى الآية اقتصار على وصف الروح كما اقتصر موسى فى جواب قول فرعون وما رب العالمين على ذكر صفاته فان ادراكه بالكنه على ما هو عليه لا يعلمه الا الله (قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا) رد لقول اليهود أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير بدليل القراءة الشاذة وما أوتوا وقيل الخطاب عام لجميع الخلق أى ان الخلق عموما وان أعطوا من العلم ما أعطوا فهو قليل بالنسبة لعلمه تعالى (قوله ولئن شئنا) هذا امتنان من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بالقرآن وتحذير له عن التفريط فيه والمقصود غيره والمعنى حافظوا على العمل بالقرآن واحذروا من التفريط فيه فاننا قادرون على اذهابه من

به علينا وكيلا إلا) لكن أبقيناه (رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا) عظيما حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) في الفصاحة والبلاغة (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا * نزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولقد صرفنا) بينا (للناس في هذا القرآن من كل مثل) صفة لمحذوف أي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (فأبى أكثر الناس) أي أهل مكة (إلا كفورا) جحودا للحق (وقالوا) عطف على أبى (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) عينا ينبع منها الماء (أو تكون لك جنة) بستان (من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها) وسطها (تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) قطعا (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) مقابلة وعيانا فنراهم (أو يكون لك بيت من زخرف) ذهب (أو ترقى) تصعد (في السماء) بسلم (ولن نؤمن لرقيك) لو رقيت فيها (حتى تنزل علينا) منها (كتابا) فيه تصديقك (نقرؤه قل) لهم (سبحان ربي) تعجبا

صدوركم ومصاحفكم ولكن أبقاه رحمة بكم (قوله لام قسم) أي وجوابه قوله لنذهبن وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه (قوله لكن أبقيناه) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وقدره بلكن على طريقة البصريين وعند الكوفيين يقدر ببل وقوله أبقيناه أي إلى قرب قيام الساعة فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور لما في الحديث لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش فيقول الله ما لك فيقول أتلى فلا يعمل بي ولا يرفع القرآن حتى تموت حملته العاملون به ولا يبقى إلا لكع ابن لكع فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور ويفيضون في الشعر فتخرج الدابة وتقوم القيامة بإثر ذلك (قوله حيث أنزله) علة لقوله إن فضله كان عليك كبيرا (قوله وغير ذلك) أي ككونك خاتم المرسلين وسيد ولد آدم ونحو ذلك (قوله قل لئن اجتمعت الإنس والجن) اللام موطئة لقسم محذوف وجوابه قوله لا يأتون بمثله ولم يقل والملائكة مع أنه معجز لهم أيضا لأنهم مسلمون منقادون فلا يحتاج للرد عليهم (قوله لا يأتون بمثله) أي لأنه خارج عن طوق البشر لأن الكلام على حسب علم المتكلم وهو قد أحاط بكل شيء علما وقوله بمثله أي كلا أو بعضا قال بعضهم إن أقل الإعجاز يقع بآية قال البوصيري

أعجز الجن آية منه والإنس فهلا تأتي به البلغاء

قال بعضهم إن أقل الإعجاز يكون بأقصر سورة لأنه لم يكن في القرآن آية مفردة بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها أو ما بعدها فتكون ثلاث آيات (قوله ولو كان بعضهم الخ) عطف على محذوف تقديره لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم لبعض ظهيرا ولو كان الخ (قوله نزل ردا الخ) مرتبط بما قبله (قوله ولقد صرفنا للناس) أي كررنا وأظهرنا ومن زائدة في المفعول أي صرفنا للناس كل مثل والمثل المعنى الغريب (قوله فأبى أكثر الناس) أي امتنعوا (قوله جحودا للحق) الجحود الإنكار مع العلم والمعاندة فهو أخص من مطلق إنكار (قوله وقالوا لن نؤمن لك الخ) لما أقام الحجة عليهم ولم يستطيعوا ردها أخذوا يطلبون أشياء على وجه العناد فقالوا لن نؤمن لك الخ روى عكرمة عن ابن عباس أن نفرا من قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة وطلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقالوا يا محمد إن كنت جئت بهذا الحديث يعنون القرآن تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد الشرف سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي شيء مما تقولون ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله عز وجل حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد إن كنت صادقا فيما تقول فسل ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الأنهار إلى آخر ما قص الله عنهم (قوله حتى تفجر) بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة وبفتح التاء وضم الجيم مخففة قراءتان سبعيتان هنا فقط وأما قوله فتفجر الأنهار فالقراءة الأولى لا غير (قوله ينبوعا) أي عينا لا يغور ماؤها ولا ينضب (قوله جنة) أي بستان (قوله كما زعمت) أي في قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (قوله كسفا) بسكون السين وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله قبيلا) حال من الله والملائكة أي حال كونهم مرئيين لنا (قوله أو ترقى) هو بفتح القاف مضارع رقي بكسرها والمصدر رقيا ومعناه الصعود والعلو وأما في المعاني فبفتح القاف في الماضي والمضارع يقال رقى يرقي فهو راق وأما الرقية للمريض فاسمها رقى كرمى (قوله لرقيك) بكسر القاف (قوله نقرؤه) حال مقدرة من الضمير في علينا أو نعت لكتاب (قوله تعجبا) أي من اقتراحاتهم وتنزيها له سبحانه وتعالى عن أن يشاركه أحد في الوهية

(قوله هل كنت الا بشرا رسولا) أى وليس فى طاقتى الاتيان بما تطلبونه (قوله وما منع الناس أن يؤمنوا) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ثان لمنع والتقدير وما منع الناس الايمان وقوله الا أن قالوا فى تأويل مصدر فاعل منع وقوله اذ جاءهم الهدى ظرف لقوله منع والمعنى لم يمنع الناس من الايمان وقت مجىء الهدى لهم الا قولهم أبعث الله بشرا رسولا وخص بالذكر مع أن الموانع لهم كثيرة لانه أعظمها (قوله قل لهم) أى ردا لشبهتهم (قوله لو كان فى الارض ملائكة الخ) أى جرت عادة الله فى خلقه أنه لا يرسل لخلقه رسولا الا من جنسهم لانهم يألفونه ويستطيعون خطابه بخلاف ما اذا أرسل لهم رسولا من غير جنسهم فانهم لا يستطيعون رؤيته ولا خطابه لعدم الالفة بينهم فلو كان فى الارض ملائكة يمشون مثلكم وتألفونهم لانزل عليكم ملكا رسولا (قوله مطمئنين) أى مستوطنين بها لا يعرجون الى السماء (قوله شهيدا) أى على انى رسول الله اليكم وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم (قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا) فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (قوله من يهد الله) أى من يخلق فيه الهدى وقوله فهو المهتد أى يكون كذلك فى الدنيا بمعنى أنه يكون حاله فى الدنيا مطابقا لما قدره الله له أزلا وبذلك اندفع ما يقال ان فيه اتحاد الشرط والجزاء والمهتد بحذف الياء من الرسم هنا وفى الكهف فانها فى الموضعين من يا آت الزوائد وأما فى النطق فتحذف وصلا ووقفا عند بعض القراء ووقفا لا وصلا عند بعضهم (قوله فلن تجد لهم أولياء) أى أنصارا (قوله على وجوههم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء فى نحشرهم قدره المفسر بقوله ماشين روى عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة وروى أيضا يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك والحدب ما ارتفع من الارض (قوله عميا وبكما وصما) أى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون ان قلت كيف وصفهم الله بذلك هنا وأثبت لهم ضد تلك الاوصاف فى قوله ورأى المجرمون النار دعوا هنالك ثبورا سمعوا لها تغيظا وزفيرا أجيب بأن المعنى عميا لا يرون ما يسرهم وبكما لا يتكلمون بحجة وصما لا يسمعون ما يسرهم أو المعنى يحشرون معدومى الحواس ثم تعاد لهم (قوله مأواهم جهنم) أى مسكنهم ومقرهم (قوله كلما خبت) أصله خبوت كغزوت تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الالف لالتقائهما (قوله سكن لهبها) أى بأن أكلت جلودهم ولحومهم (قوله زدناهم سعيرا) أى بدلناهم جلودا غيرها فتعود ملتهبة مستعرة (قوله ذلك) أى ما ذكر من أن مأواهم جهنم واعادتهم بعد فنائهم (قوله وقالوا) معطوف على كفروا (قوله خلقا جديدا) اما مصدر من معنى الفعل أو حال أى مخلوقين (قوله أولم يروا) رد لانكارهم البعث (قوله قادر على أن يخلق مثلهم) أى فلا يستبعد عليه اعادتهم باعيانهم (قوله أى الاناسى) جمع انسى وهو البشر (قوله وجعل لهم أجلا) معطوف على جملة أولم يروا فليس داخلا فى حيز الانكار (قوله لا ريب فيه) أى لا شك فى ذلك الاجل (قوله قل لهم) أى ثم حالهم التى يدعون لاقوا حيث قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ أى لا يحصل أن تبسط وتتسع فى الرزق وتوسع على المقلين فبين الله لهم أنهم لو ملكوا خزائن الله لداموا على بخلهم وشحهم (قوله لو أنتم تملكون) يجوز أن المسئلة من باب الاشتغال وأنتم مرفوع بفعل مقدر يفسره الظاهر لان لو لا يليها الا الفعل ظاهرا أو مقدرا والاصل لو تملكون فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو (قوله اذا لامسكتم) أى منعتم حق الله فيها (قوله خشية الانفاق) علة للامساك (قوله بخيلا) أى ممسكا عن بذل ما ينبغى فيما ينبغى فالاصل فى الانسان الشح والخارج عنه خالف أصله كما قال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (قوله ولقد آتينا) موطئة لقسم محذوف (قوله بينات) اما منصوب بالكسرة صفة

(قل) ما (كنت الا بشرا رسولا) كسائر الرسل ولم يكونوا يأتوا بآية الا باذن الله (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا) أى قولهم منكرين (أبعث الله بشرا رسولا) ولم يبعث ملكا (قل) لهم (لو كان فى الارض) بدل البشر (ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) اذ لا يرسل الى قوم رسول الا من جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) على صدقى (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) عالما ببواطنهم وظواهرهم (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء) يهدونهم (من دونه ونحشرهم يوم القيامة) ماشين (على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها (زدناهم سعيرا) تلهبا واشتعالا (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا) منكرين للبعث (أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا) يعلموا (أن الله الذى السموات والارض) مع عظمهما (قادر على أن يخلق مثلهم) أى الاناسى فى الصغر (وجعل لهم أجلا) للموت والبعث (لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا) جحودا له (قل) لهم (لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) من الرزق والمطر (اذا لامسكتم) لبخلتم (خشية الانفاق) خوف نفادها بالانفاق فتفتقروا (وكان الانسان قتورا) بخيلا (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)

التسع أو بحر ... خاصة لا آيات (قوله واضحات) أي ظاهرات الدلالة على صدقه (قوله وهي اليد) أي التي كان
يضمها إليه ويخرجها فتخرج بيضاء لها شعاع (قوله والعصا) أي التي كان يلقيها فتصير حية عظيمة (قوله
والطوفان) أي الماء حتى ملأ بيوتهم ومساكنهم فكانوا لا يستطيعون أن يرقدوا ولا أن يزرعوا أصلا (قوله والجراد)
أي فأكل زرعهم وثمارهم (قوله والقمل) تقدم أنه قيل هو السوس وقيل هو القمل المعروف (قوله
والضفادع) أي فملأت بيوتهم وطعامهم وشرابهم (قوله والدم) أي فانقلبت مياههم دما حتى كادوا يموتون عطشا
(قوله والطمس) أي مسخ الأموال حجارة (قوله والسنين ونقص الثمرات) هما شيء واحد لأن نقص
الثمرات لازم للسنين وما ذكره المفسر في عد الآيات التسع هو المشهور لأن هذه التسع هي التي ظهرت على
يد موسى ... وقومه ... وقيل إن التسع هي اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع
والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل وفيه بعد لأن انفجار الماء من الحجر وانفلاق
البحر ونتق الجبل لم تكن مقصودة لفرعون بل البحر كان لهلاكه والباقي بعده وقيل إن يهوديا سأل النبي
صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق
ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف
وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله وعلى هذا فالمراد بالآيات الأحكام التي
كلفوا بها وهي عامة ثابتة في جميع الشرائع وقوله وعليكم الخ حكم زائد مخصوص باليهود (قوله فاسأل يا محمد
بني إسرائيل) أي ليكون قولهم الموافق لك حجة على المشركين وعلى هذا فالجملة معترضة بين قصة موسى
وفرعون (قوله عنه) أي عن ما جرى بين موسى وفرعون (قوله سؤال تقرير) أي سؤالا يترتب عليه التقرير
من بني إسرائيل وقوله للمشركين اللام للتعليل أي لأجل المشركين والمعنى اسأل يا محمد بني إسرائيل عن ما جرى
بين موسى وفرعون ليكون ذلك داعيا لإيمان المشركين وانقيادهم (قوله أو فقلنا له) معطوف على قوله
يا محمد والمعنى أن الخطاب لموسى وحينئذ فيكون القول مقدرا والمفعول محذوف والتقدير اسأل فرعون
بني إسرائيل أي اطلبهم منه لتذهب بهم إلى الشام يدل عليه قوله في الآية الأخرى فأرسل معي بني إسرائيل
(قوله وفي قراءة) المناسب أن يقول وقرئ لأنها شاذة ... القراءة السبعية بالأمر وفيها وجهان الهمز وتركه
بنقل حركة الهمزة إلى الساكن (قوله بلفظ الماضي) أي بالهمز بوزن قال (قوله إذ جاءهم) ظرف لآتينا
على الاحتمال الأول وعلى الثاني فقد تنازعه كل من آتينا وقلنا (قوله فقال له فرعون) معطوف على مقدر
والتقدير إذ جاءهم فبلغهم الرسالة ووقع بينهم ما وقع من المحاورات فقال الخ (قوله مغلوبا على عقلك) أشار
بذلك إلى أن مسحورا باق على معناه الأصلي أي أنك سحرت فغلب على عقلك ويصح أن يكون بمعنى فاعل
كمشؤوم أي أنك ساحر لإتيانك بالغرائب والعجائب (قوله لقد علمت) هو بفتح التاء خطاب
لفرعون أي فقال له موسى يا فرعون والله لقد علمت أن هذه الآيات ما أنزلها إلا رب السموات والأرض
عبرا وإنما كفرك عنادا ... (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا
وقوله بضم التاء أي والضمير لموسى ويكون المعنى إنما أيقنت وتحققت أن هذه الآيات التي جئت بها منزلة من
عند الله تعالى (قوله وإني لأظنك) أي أتيقنك وعبر بالظن مشاكلة فإن ظن فرعون كاذب وظن موسى حق
وصدق لظهور أماراته (قوله أو مصروفا عن الخير) أي ممنوعا منه (قوله يخرج موسى وقومه) أي يقتلهم جميعا
(قوله فأغرقناه ومن معه) أي فعاملناهم بما أراده لموسى وقومه (قوله من بعده) أي بعد إغراقه (قوله
اسكنوا الأرض) أي أرض مصر والشام (قوله أي الساعة) أي القيامة وهو النفخة الثانية
(قوله جئنا بكم) أي أحييناكم وأخرجناكم من القبور (قوله جميعا) أشار بذلك إلى أن لفيفا اسم جمع لا واحد
له من لفظه وقيل مصدر لف لفا والمعنى جئنا بكم منضما بعضكم لبعض (قوله وبالحق أنزلناه) معطوف
على قوله ولقد صرفنا وهذا على أسلوب العرب حيث ينتقلون من ... ثم

والآيات وهي اليد والعصا
والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم
والطمس والسنين ونقص
الثمرات (فاسأل) يا محمد
(بني إسرائيل) عنه سؤال
تقرير للمشركين على صدقك
أو فقلنا له اسأل وفي قراءة
بلفظ الماضي (إذ جاءهم
فقال له فرعون إني لأظنك
يا موسى مسحورا) مخدوعا
مغلوبا على عقلك (قال
لقد علمت ما أنزل هؤلاء
الآيات (إلا رب السموات
والأرض بصائر) عبرا
ولكنك تعاند وفي قراءة
بضم التاء (وإني لأظنك
يا فرعون مثبورا) هالكا
أو مصروفا عن الخير
(فأراد) فرعون (أن
يستفزهم) يخرج موسى
وقومه (من الأرض)
أرض مصر (فأغرقناه
ومن معه جميعا وقلنا من
بعده لبني إسرائيل اسكنوا
الأرض فإذا جاء وعد
الآخرة) أي الساعة
(جئنا بكم لفيفا) جميعا أنتم
وهم (وبالحق أنزلناه)
أي القرآن (وبالحق

يرجعون له واختلف المفسرون فى الحق الاول والثانى فمشى المفسر على أن المراد بهما الحكم والمواعظ والامثال الذى اشتمل عليها القرآن وانما التكرير للتأكيد اشارة الى أنه لم يتغير ولم يتبدل الى يوم القيامة كما تغيرت التوراة والانجيل وقيل المعنى وما أنزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله لا عبثا وما نزل الا بالحكم والمواعظ لاشتماله على الهداية الى سبيل الرشاد فالحق الاول كناية عن سبب نزوله والحق الثانى هو ما اشتمل عليه من المعانى (قوله المشتمل عليه) أى المحتوى عليه القرآن (قوله الا مبشرا ونذيرا) حالان من الكاف فى أرسلناك (قوله منصوب بفعل) أى فهو من باب الاشتغال وعليه فجملة فرقناه لا محل لها من الاعراب والتنوين للتعظيم أى قرآنا عظيما (قوله فرقناه) هو بالتخفيف فى القراءة المشهورة وقرئ شذوذا بالتشديد (قوله نزلناه مفرقا) هذا أحد أقوال فى تفسير قوله فرقناه وقيل بينا حلاله وحرامه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل (قوله أو وثلاث) أو لحكاية الخلاف أى انه اختلف فى مدة نزول القرآن هل هى عشرون سنة أو ثلاث وعشرون وهو المبنى على الخلاف فى تعاقب النبوة والرسالة وتقارنهما (قوله لتقرأه) متعلق بفرقنا وقوله على الناس متعلق بتقرأه وكذا قوله على مكث ولا يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد لان الاول فى محل المفعول به والثانى فى محل الحال أى متمهلا فاختلف المعنى (قوله مهل وتؤدة) أى سكينة وتأن (قوله ليفهموه) أى ليسهل حفظه وفهمه (قوله على حسب المصالح) أى الوقائع التى تقتضى نزوله فالحاصل أنه نزل مفرقا لحكمتين الاولى ليسهل حفظه وفهمه والثانية اقتضاء الوقائع لذلك قال تعالى ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (قوله تهديد لهم) أى فالمعنى أن ايمانكم لا يزيد القرآن كمالا وامتناعكم لا يورثه نقصا (قوله ان الذين أوتوا العلم) تعليل لقوله آمنوا به أو لا تؤمنوا والمعنى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم أى لا تحزن على اعراضهم وعدم ايمانهم وتسل بايمان هؤلاء العلماء (قوله وهم مؤمنو أهل الكتاب) أى كعبد الله بن سلام وسلمان والنجاشى وأقرانهم (قوله للاذقان) اللام بمعنى على أو على بابها متعلقة بيخرون ويكون بمعنى يدلون وخصت الاذقان بالذكر لانها أول جزء من الوجه تقرب من الارض عند السجود وسجدا حال أى ساجدين لله على انجاز وعده الذى وعدهم به فى الكتب القديمة أنه يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وينزل عليه القرآن (قوله ويقولون) أى فى حال سجودهم (قوله عن خلف الوعد) أى الذى رأيناه فى كتبنا بانزال القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن وقوله لمفعولا أى موفى ومنجزا (قوله بزيادة صفة) أى وهى البكاء ومراده بهذا دفع التكرار وهو معنى قوله تعالى فى سورة المائدة واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الخ (قوله ويزيدهم القرآن) أى فالضمير يعود على القرآن ويصح عوده على البكاء (قوله وكان صلى الله عليه وسلم) أشار بذلك الى سبب نزولها وحاصله أنه سجد صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا ألله يا رحمن فقال أبو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو الهين (قوله الها آخر) أى وهو الرحمن ظنا منهم ان المراد به مسيلمة الكذاب لان قومه كانوا يسمونه رحمن اليمامة قال بعضهم فى حقه

سميت بالمجد يابن الاكرمين أبا * وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

وهجاه بعض المسلمين بقوله

سميت بالخبث يابن الاخبثين أبا * وأنت شر الورى لا زلت شيطانا

(قوله أى سموه بأيهما) أى اذكروا اسمه فى غير نداء (قوله أو نادوه) تفسير ثان لقوله ادعوا فعلى الاول يكون ناصبا لمفعولين أولهما محذوف تقديره معبودكم وعلى الثانى يكون ناصبا لمفعول واحد (قوله بأن تقولوا يا ألله يا رحمن) أشار بذلك الى أن أسماء الله توقيفية فلا يجوز لنا أن نسميه باسم غير وارد فى الشرع قال صاحب الجوهرة * واختير أن أسماه توقيفيه * (قوله أيا شرطية) أى منصوبة بتدعوا فهى معمولة ومعمولة والمضاف اليه محذوف قدره المفسر بقوله أى هذين (قوله فله الاسماء

المشتمل عليه (نزل) كما أنزل لم يعتره تبديل (وما أرسلناك) يا محمد (الا مبشرا) من آمن بالجنة (ونذيرا) من كفر بالنار (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) نزلناه مفرقا فى عشرين سنة أو ثلاث (لتقرأه على الناس على مكث) مهل وتؤدة ليفهموه (ونزلناه تنزيلا) شيئا بعد شئ على حسب المصالح (قل) لكفار مكة (آمنوا به أو لا تؤمنوا) تهديد لهم (ان الذين أوتوا العلم من قبله) قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب (اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا) تنزيها له عن خلف الوعد (ان) مخففة (كان وعد ربنا) بنزوله وبعث النبى صلى الله عليه وسلم (لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون) عطف بزيادة صفة (ويزيدهم) القرآن (خشوعا) تواضعا لله وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا ألله يا رحمن فقالوا ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر معه فنزل (قل) لهم (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) أى سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا يا ألله يا رحمن (أيا) شرطية (ما) زائدة أى أى هذين (تدعوا) فهو حسن دل على هذا (فله) أى لمسماهما (الاسماء

الحسنى) هذه الجملة جواب الشرط وهو ما اشتهر على ألسنة المعربين وقدر المفسر جوابه بقوله فهو
حسن فتكون الجملة دليل الجواب والاسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على ذات المسمى وأسماؤه
تعالى كثيرة قيل ثلثمائة وقيل ألف وواحد وقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا عدد الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لان كل نبي تمده حقيقة اسم خاص به مع امداد بقية الاسماء له لتحققه بجميعها وقيل ليس
لها حد ولا نهاية لها على حسب شؤونه في خلقه وهي لا نهاية لها والحسنى اما مصدر وصف به أو مؤنث
أحسن كافضل وفضلى فافرد لانه وصف جمع قلة لما لا يعقل فيجوز فيه الافراد والجمع وان كان الاحسن
الجمع قال الاجهوري

وجمع كثرة لما لا يعقل * الافصح الافراد فيه يا فل
وغيره فالافصح المطابقة * نحو هبات وافرات لائقة

وحسن أسمائه تعالى لدلالتها على معان شريفة هي أحسن المعاني لان معناها ذات الله أو صفاته (قوله تاف
الحديث)أي ونصه ان لله عز وجل تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الى
آخر الرواية التي ذكرها المفسر واختارها وان كان الحديث واردا بأوجه خمسة لكونها أصح الروايات
الواردة ومنها ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد انه وتر يحب الوتر وما من عبد يدعو بها الا وجبت له
الجنة ومنها ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها كلها دخل الجنة أسأل الله تعالى الرحمن الرحيم الاله الرب
الى آخره ومنها ان لله عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا انه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة
الله الواحد الصمد الخ ومنها ان لله تعالى مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له وكلها في الجامع الصغير
في حرف الهمزة مع النون عن علي وعن أبي هريرة والحفظ والاحصاء عند أهل الظاهر معرفة ألفاظها
ومعانيها وعند أهل الله هو الاتصاف بها والتخلق بحقائقها والعثور على مدارج نتائجها (قوله هو)
ليس من الاسماء الحسنى بل هو عند اهل الظاهر ضمير شأن يفسره ما بعده وعند أهل الله اسم ظاهر يتعبدون
بذكره وعلى كل فهو زائد على التسعة والتسعين (قوله الله) هو أعظم الاسماء لله لكونه جامعا
لجميع الاسماء والصفات وهو علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأل لازمة له
لا للتعريف ولا غيره وهو ليس بمشتق على الصحيح (قوله الذي لا اله الا هو) نعت للاسم الجليل أي الذي
لا معبود غيره (قوله الرحمن) أي المنعم بجلائل النعم كما وكيفا دنيوية وأخروية ظاهرية وباطنية (قوله
الرحيم)أي المنعم بدقائق النعم كما وكيفا دنيوية وأخروية ظاهرية وباطنية والدقائق ما تفرعت عن الجلائل
كالزيادة في الايمان والعلم والمعرفة والتوفيق والعافية والسمع والبصر (قوله الملك) أي المتصرف في
خلقه بالايجاد والاعدام وغير ذلك وتسمية غيره تعالى به مجاز (قوله القدوس) أي المنزه عن صفات
الحوادث وأتى به عقب الملك دفعا لتوهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله السلام) أي المؤمن من المخاوف
والمهالك أو الذي يسلم على عباده (قوله المؤمن) أي المصدق لرسله بالمعجزات ولأوليائه بالكرامات
ولعباده المؤمنين على ايمانهم واخلاصهم لانه لا يطلع على الاخلاص نبي مرسل ولا ملك مقرب وانما يعلم من
الله (قوله المهيمن) أي المطلع على خطرات القلوب (قوله العزيز) من عز بمعنى غلب فيكون من
صفات الجلال أو من عز بمعنى قل فلم يوجد له مثيل ولا نظير فيكون من صفات السلوب (قوله الجبار) أي
المنتقم القهار فيكون من صفات الجلال أو المصلح [illegible] فيكون من
صفات الجمال (قوله المتكبر) من الكبرياء وهو [illegible] الحديث
القدسي العظمة ازاري والكبرياء ردائي [illegible] (قوله الخالق) [illegible]
العدم (قوله البارئ) [illegible]
[illegible] (قوله المصور) [illegible]
[illegible]

الحسنى) وهذان منها فانها
تاف الحديث *هو الله
الذي لا اله الا هو الرحمن
الرحيم الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر
الخالق البارئ المصور
الغفار

الستر لانه يستر على عباده قبائحهم فيحجبها فى الدنيا عن الآدميين وفى الآخرة عن الملائكة ولو كانت موجودة فى الصحف أو من الغفر بمعنى المحو من الصحف وهو مرادف للغفور والغافر وقيل ان الغافر هو الذى يغفر بعض الذنوب والغفور الذى يغفر أكثرها والغفار الذى يغفر جميعها والصحيح الاول لانه لا مبالغة فى أسماء الله بل صيغتها صيغة نسبة كتمار نسبة للتمر (قوله القهار) أى ذو البطش الشديد فهو من صفات الجلال (قوله الوهاب) أى ذو الهبات العظيمة لغير غرض ولا علة فالطاعات لا تزيد فى ملكه شيأ واعمار تب الثواب عليها من فضله وكرمه وهذا الاسم من صفات الجمال (قوله الرزاق) أى معطى الارزاق لعباده دنيا وأخرى قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وهو بمعنى الرازق والرزق قسمان ظاهر وهو الاقوات من طعام وشراب ونحو ذلك وباطن وهو العلوم والاسرار والمعارف فالاول رزق الابدان والثانى رزق الارواح وكل من عند ربنا (قوله الفتاح) أى ذو الفتح لما كان مغلوقا حسيا أو معنويا فهو المسهل لكل عسير من خيرى الدنيا والآخرة فضلا منه واحسانا وهذا وما قبله من صفات الجمال (قوله العليم) أى ذو العلم وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق احاطة وانكشاف لا يوصف بنظر ولا ضرورة ولا كسب (قوله القابض) أى ذو القبض ضد البسط فهو جل وعز قابض للارزاق والارواح وغير ذلك فيكون من صفات الجلال (قوله الباسط) أى ذو البسط ضد القبض فهو سبحانه وتعالى باسط الارزاق فى الدنيا والآخرة والقلوب وغير ذلك قال تعالى والله يقبض ويبسط وهذان الاسمان يظهر أثرهما فى العبد وللعارفين مقامات فى القبض والبسط فالمبتدئ يسمون تجليه قبضا وبسطا والمتوسط يسمونه أنسا وهيبة والكامل يسمونه جلالا وجمالا (قوله الخافض) أى لمن أراد خفضه فهو خافض لكلمة الكفر وللظالمين ولكل متكبر وغير ذلك (قوله الرافع) أى ذو الرفع لاهل الاسلام والعلماء والصديقين والاولياء والسموات والجنة وغير ذلك من الحسى والمعنوى والاول من صفات الجلال والثانى من صفات الجمال (قوله المعز) أى خالق العز لمن يشاء من خلقه (قوله المذل) أى خالق الذل لمن أراده من عباده والاول من صفات الجمال والثانى من صفات الجلال (قوله السميع) أى ذو السمع وهو صفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات تعلق احاطة وانكشاف (قوله البصير) أى ذو البصر وهو صفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات تعلق احاطة وانكشاف فهى مساوية فى التعلق لصفة السمع ولا يعلم حقيقة اختلافهما الا الله تعالى وهما مخالفان لتعلق العلم لان العلم يتعلق بالمعدومات والموجودات وهما انما يتعلقان بالموجودات فقط وكل منهما منزه عن صفات الحوادث قال بعض العارفين من أراد خفاء نفسه عن أعين الناس بحيث لا يرونه فليقرأ عند مروره عليهم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير تسع مرات (قوله الحكم) أى ذو الحكم التام (قوله العدل) أى ذو العدل أو العادل فلا يظلم مثقال ذرة فأحكام الله لاجور فيها بل دائرة بين الفضل والعدل لان الجور التصرف فى ملك الغير بغير اذنه ولا مالك لاحد معه وأردف الحكم بالعدل دفعا لتوهم أن حكمه تارة يكون بالعدل وتارة يكون بالجور (قوله اللطيف) أى العالم بخفيات الامور أو معطى الاحسان فى صورة الامتحان كاعطاء يوسف الصديق الملك فى صورة الابتلاء بالرقية وآدم الفوز الاكبر فى صورة ابتلائه بأكله من الشجرة واخراجه من الجنة ونبينا صلى الله عليه وسلم الفتح والنصر المبين فى صورة ابتلائه باخراجه من مكة وهى سنة الله فى عباده الصالحين *(فائدة)* من قرأ قوله تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز فى كل يوم تسع مرات لطف الله به فى أموره ويسر له رزقا حسنا وكذلك من أكثر من ذكر اللطيف (قوله الخبير) أى المطلع على خفيات الاشياء فيرجع لمعنى اللطيف على التفسير الاول أو القادر على الاخبار بما عجزت عنه المخلوقات قال بعضهم من أراد أن يرى شيأ فى منامه فليقرأ قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير تسع مرات عند نومه (قوله الحليم) هو الذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه وكفر به بل يمهله فان تاب محى عنه خطاياه ومن أقبح ما تقول العامة

القهار الوهاب الرزاق
الفتاح العليم القابض
الباسط الخافض الرافع
المعز المذل السميع
البصير الحكم العدل
اللطيف الخبير الحليم

حلم ربنا يفتت الكبود اذ معناه الاعتراض على سعة حلمه ولا يدرون انه لولا حلمه علينا لخسف بنا فسعة حلمه من أجل النعم علينا قال العارف الحمد لله على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته (قوله العظيم) أى الذى يصغر كل شئ عند ذكره ولا يحيط به ادراك ولا يعلم كنه حقيقته سواه ففى الحديث سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته فهو من الصفات الجامعة (قوله الغفور) تقدم معناه عند تفسير اسمه الغفار (قوله الشكور) أى الذى يشكر عباده أى يثنى عليهم فى الدنيا والآخرة فيعطى الثواب الجزيل على العمل القليل ويرفع ذكرهم فى الملا الاعلى (قوله العلى) أى المرتفع المنزه عن كل نقص المتصف بكل كمال المستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه (قوله الكبير) هو والعظيم بمعنى واحد (قوله الحفيظ) أى الحافظ للعالم العلوى والسفلى دنيا وأخرى قال تعالى ان ربى على كل شئ حفيظ (قوله المقيت) أصله المقوت نقلت حركة الواو الى الساكن قبلها فقلبت الواو ياء لمناسبة ما قبلها أى خالق القوت للاجساد والارواح دنيا وأخرى وقوت الاجساد الطعام والشراب ونفعها بذلك وتلذذها به وقوت الارواح الايمان والاسرار والمعارف وانتفاعها بها والكافر لا قوت لروحه (قوله الحسيب) أى الكافى من توكل عليه أو الشريف الذى كل من دخل حماه تشرف أو المحاسب لعباده على النقير والفتيل والقطمير فى قدر نصف يوم من أيام الدنيا أو أقل (قوله الجليل) أى العظيم فى الذات والصفات والافعال فيرجع لمعنى العظيم والكبير (قوله الكريم) أى المعطى من غير سؤال أو الذى عم عطاؤه الطائع والعاصى (قوله الرقيب) أى المراقب الحاضر المشاهد لكل مخلوق المتصرف فيه وهو أعم من المهيمن لانه المطلع على خطرات القلوب والرقيب المطلع على الظاهر والباطن (قوله المجيب) أى لدعوة الداعى قال تعالى ادعونى أستجب لكم وفى الحديث ما من عبد يقول يارب الا قال الله لبيك يا عبدى (قوله الواسع) السعة فى حقه تعالى ترجع لنفى الاولية والآخرية والاحاطة فهو من صفات السلوب أو يراد منها ان رحمته وسعت كل شئ فيكون من صفات الجمال (قوله الحكيم) أى ذو الحكمة وهى العلم التام والصنع المتقن (قوله الودود) أى المحب لعباده الصالحين المحسن الراضى عليهم قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان أو الودود بمعنى المحبوب لانه محب ومحبوب فمحبته لعباده انعامه عليهم أو ارادة انعامه فترجع لمعنى الرضا ومحبة عباده له ميلهم اليه وشغلهم به عن سواه (قوله المجيد) أى الشريف ومثله الماجد (قوله الباعث) أى الذى يبعث الاموات أى يحييهم للحساب ويبعث الرسل لعباده لاقامة الحجة عليهم والارزاق الدنيوية والاخروية (قوله الشهيد) أى المطلع على الظاهر والباطن فيرجع لمعنى الرقيب وأما قوله تعالى عالم الغيب والشهادة فتسميته غيبا بالنسبة لنا والا فالكل شهادة عنده (قوله الحق) أى الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا فيرجع لمعنى واجب الوجود (قوله الوكيل) أى المتولى أمور خلقه دنيا وأخرى (قوله القوى) أى ذو القدرة التامة التى يوجد بها كل شئ ويعدمه على طبق مراده (قوله المتين) أى صاحب القوة العظيمة التى لا تعارض ولا يعتريها نقص ولا خلل (قوله الولى) أى الموالى والمتابع للاحسان لعبيده أو المتولى للخير والشر بمعنى مصدر والتكل منه فيرجع لمعنى الوكيل ويشهد للاول قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا الآية والثانى قوله تعالى أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وأما الولى من الخلق فمعناه الموالى للطاعة المداوم عليها أو من تولى الله أمره فلم يكله لغيره (قوله الحميد) أى المحمود أى مستحق الحمد كله أو الحامد لعبيده الصالحين ولنفسه بنفسه (قوله المحصى) أى الضابط لعدد كل وقائعه جليلها أو حقيرها قال تعالى وأحصى كل شئ عددا (قوله المبدئ) بالهمزة أى المظهر الشئ من العدم الى الوجود وأما بغير همز فمعناه المظهر وليس مرادا هنا لكون الرواية بالهمز (قوله المعيد) أى الذى يعيد الخلق بعد انعدامهم قال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه واختلف أهل السنة فى تلك الاعادة فقيل عن عدم محض وقيل عن تفريق أجزاء * قال صاحب الجوهرة

وقل يعاد الجسم بالتحقيق * عن عدم وقيل عن تفريق

العظيم الغفور الشكور العلىّ الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوىّ المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد

المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار

(قوله المحيي) أى المقوم للابدان بالارواح للخلائق من العدم أى الناقل لهم من حالة العدم لحالة الحياة (قوله المميت) أى الخالق للموت وهو عدم الحياة عما من شأنه الحياة قال تعالى خلق الموت والحياة (قوله الحي) أى ذو الحياة وهي في حقه تعالى صفة أزلية قائمة بذاته يستلزمها اتصافه بالمعاني والمعنوية (قوله القيوم) أى القائم بذاته تعالى المستغني عن غيره أو المقوم لغيره بقدرته فهو المتصرف في العالم دنيا وأخرى (قوله الواجد) أى الغني من الوجدان وهو عدم افتقاد الشئ بمعنى انه لو أغنى الخلق جميعا وأعطاهم سؤلهم لم ينقص من ملكه الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر (قوله الماجد) هو بمعنى المجيد المتقدم وهو الشريف أو واسع الكرم (قوله الواحد) أى الذى لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فهو مستلزم لنفي الكموم الخمسة المتصل والمنفصل في الذات والمتصل والمنفصل في الصفات والمنفصل في الافعال والمتصل فيها لا ينفى بل هو تعلق القدرة والارادة في سائر الكائنات ايجادا واعداما فلا غاية له ولا نهاية قال تعالى كل يوم هو في شان أى كل لحظة ولمحة في شؤن يبديها ولا يبتديها والوحدة في غيره نقص وفي حقه كمال كما ورد أنه واحد لا من قلة بل وحدة تعزز وانفراد وتكبر لانعدام الشبيه والنظير والمثيل وفي بعض النسخ زيادة لفظ الاحد وهو بمعنى الواحد والصواب اسقاطه لانه ليس ثابتا في حديث الترمذي الذى نسب الحديث اليه (قوله الصمد) أى الذى يقصد في الحوائج فهو كالدليل للوحدانية (قوله القادر) أى ذو القدرة التامة وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالممكنات ايجادا واعداما على وفق الارادة (قوله المقتدر) مبالغة في القدرة أى العظيم القدرة التى لا شبيه لها ولا مثيل ولا نظير فيرجع لمعنى القوي المتين (قوله المقدم) بكسر الدال أى لمن أراد من عباده (قوله المؤخر) أى لمن أراد تأخيره قال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الآية (قوله الاول) أى الذى لا افتتاح لوجوده (قوله الآخر) أى الذى لا انتهاء لوجوده (قوله الظاهر) أى الذى ليس فوقه شئ ولا يغلبه شئ أو الظاهر بآثاره وصنعه ومن الحكم هذه آثارنا تدل علينا قال تعالى كل يوم هو في شأن (قوله الباطن) أى الذى ليس أقرب منه شئ أو الذى محتجب عنا بجلاله وهيبته فلا تراه الابصار في الدنيا ولا تدرك حقيقته لاحد دنيا ولا أخرى وقد جمعت هذه الاسماء الاربعة في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر (قوله الوالي) أى المتولي على عباده بالتصريف والقهر والايجاد والاعدام فيرجع لمعنى الملك (قوله المتعالي) أى المنزه عن صفات الحوادث فيرجع لمعنى القدوس وأتى به عقب الوالي لدفع توهم طرو نقص عليه كالولاة (قوله البر) أى المحسن لعباده الطائعين والعاصين (قوله التواب) أى كثير التوبة لعباده المذنبين أى يقبل توبتهم ان تابوا أو الذى يخلق التوبة في العبد فتظهر فيه قال تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم وقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (قوله المنتقم) أى المرسل للنقم والعذاب على الكفار والجبابرة الذين ماتوا مصرين على ذلك فهو من صفات الجلال كقهار (قوله العفو) أى الذى لا يؤاخذ المذنب بالذنوب بل يمحوها ويبدلها بحسنات (قوله الرؤف) من الرأفة وهي شدة الرحمة ومعناها في حقه تعالى الانعام أو ارادته (قوله مالك الملك) أى المتصرف فيه على ما يريد ويختار قال تعالى يحكم لا معقب لحكمه (قوله ذو الجلال) أى صاحب الهيبة والعظمة وقوله والاكرام أى الانعام والاحسان (قوله المقسط) أى الذى يحكم بالانصاف بين خلقه وضده القاسط بمعنى الجائر (قوله الجامع) أى لكل كمال أو للخلق يوم القيامة قال تعالى وهو على جمعهم اذا يشاء قدير أو ما هو أعم وهو أولى (قوله الغني) أى ذو الغنى المطلق وهو المستغني عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه (قوله المغني) أى المعطي الغنى لمن يشاء دنيا وأخرى قال تعالى وأنه هو أغنى وأقنى (قوله المانع) أى الرافع عن عبيده المضار الدنيوية والاخروية قال تعالى ان الله يدافع عن الذين آمنوا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (قوله الضار) أى خالق الضر ضد النفع وهو

النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور رواه الترمذى قال تعالى (ولا تجهر بصلاتك) بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك و يسبوا القرآن ومن أنزله (ولا تخافت) تسر (بها) لينتفع أصحابك (وابتغ) اقصد (بين ذلك) الجهر والمخافتة (سبيلا) طريقا وسطا (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك) فى الالوهية (ولم يكن له ولى) ينصره (من) أجل (الذل) أى لم يذل فيحتاج الى ناصر (وكبره تكبيرا) عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل مالا يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده فى صفاته روى الامام أحمد فى مسنده عن معاذ الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك الى آخر السورة والله تعالى أعلم* قال مؤلفه هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الشيخ الامام العالم العلامة المحقق

ايصال الشر الى من يشاء من عباده (قوله النافع) أى خالق النفع ضد الضر وهو ايصال الخير الى من شاء من عباده دنيا واخرى (قوله النور) أى الظاهر فى نفسه المظهر لغيره أو خالق النور (قوله الهادى) أى خالق الهدى والرشاد الموصل له من أحب من عباده (قوله البديع) أى المبدع والمحكم كل شئ صنعه أو المخترع الاشياء على غير سابقة مثال قال تعالى بديع السموات والارض أى محكمهما ومتقنهما أو مخترع لهما على غير مثال سابق (قوله الباقى) أى الدائم الذى لا يزول ولا يحول (قوله الوارث) أى الباقى بعد فناء خلقه أو الذى يرجع اليه كل شئ قال تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون كل شئ هالك الا وجهه ألا الى الله تصير الامور (قوله الرشيد) أى صاحب الرشد وهو الذى يضع الشئ فى محله أو خالق الرشد فى عباده فيرجع لمعنى الهادى (قوله الصبور) أى الذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه فيرجع لمعنى الحليم والله أعلم بحقيقة معانى أسمائه وأسرارها (قوله رواه الترمذى) أى عن أبى هريرة واعلم أن للعارفين فى استعمال هذه الاسماء طرقا فمنهم من يستعملها نثرا ومنهم من يستعملها نظما كالشيخ الدمياطى وسيدى مصطفى البكرى وغيرهما وأجل ما تلقيناه منظومة أستاذنا بركة الوقت والزمان وامام العصر والاوان القطب الشهير والشهاب المنير أبو البركات ومهبط الرحمات الذى عم فضله الكبير والصغير شيخنا الشيخ أحمد بن محمد الدردير فانها عديمة النظير لاحتوائها على الدعوات الجامعة والاسرار اللامعة بمظاهر تلك الاسماء وهى آخر العلوم الالهية التى ظهرت على لسانه وقد ألقيت عليه فى ليلة واحدة فقام من فراشه وكتبها وكان يقرأها فى كل يوم وليلة ثلاث مرات فمن أراد الفوز الاكبر والظفر بالمقصود من خير الدنيا والآخرة فعليه بحفظها والمواظبة عليها صباحا ومساء ومن أراد الاطلاع على بعض معانيها وفوائدها فعليه بشرحنا عليها فان فيه النفع التام ان شاء الله تعالى (قوله ولا تجهر بصلاتك) سبب نزولها كما قال ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختفيا بمكة وكان اذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لنبيه ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا وهذا الامر قد زال من يوم اسلام عمر والحمزة فهو منسوخ فللمصلى الجهر فى الصلاة الجهرية ولو زيد على سماع المأمومين وقيل نزلت فى الدعاء وروى ذلك عن عائشة وجماعة ومثل الدعاء سائر الاذكار فلا يجهر بها ولا يخافت بها بل يكون بين ذلك قواما وعلى هذا القول فالآية غير منسوخة بل العمل بها مستمر (قوله ولا تخافت بها) المخافتة عدم رفع الصوت يقال خفت الصوت اذا سكن (قوله لينتفع أصحابك) علة للنهى عن المخافتة (قوله وقل الحمد لله) أى الثناء بالجميل واجب لله (قوله الذى لم يتخذ ولدا) أى لم يكن له ولد لاستحالته عليه (قوله الالوهية) أى لم يكن له مشارك فى ألوهيته اذ لو كان معه مشارك فيها لما وجد شئ من العالم قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض (قوله ولم يكن له ولى من الذل) أى لم يكن له ناصر يمنع عنه الذل لاستحالته عليه عقلا واستفيد من الآية أن له أولياء لا من أجل الذل بمعنى أنه ينصرهم ويتولى أمورهم مع استغنائه عنهم كاستغنائه عن الكفار وانما اختيارهم وتسميتهم أولياء وأحبابا من فضله واحسانه وكما أنه يستحيل عليه الولى بمعنى الناصر له من الذل يستحيل عليه العدو بمعنى الموصل الاذى اليه وأما بمعنى انه مغضوب عليه وليس راضيا بأفعاله فهو واقع (قوله أى لم يذل) أى لم يجر عليه وصف الذل لا بالفعل ولا بالقوة (قوله عظمه عظمة) أى نزهه عن كل نقص (قوله وترتيب الحمد الخ) دفع بذلك ما يقال ان المقام التنزيه لا الحمد لان الحمد يكون فى مقابلة نعمة وهنا ليس كذلك أجيب بأن الله كما يستحق الحمد لاوصافه يستحقه لذاته (قوله آية العز) أى التى من قرأها ودوام عليها حصل له العز والرفعة وورد فى عدة استعمالها ثلاثمائة وأحد وخمسون كل يوم ويقول قبلها توكلت على الحى الذى لا يموت الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الى آخرها (قوله

سبيلا

جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه وقد أفرغت فيه جهدي * وبذلت فكري فيه في نفائس أراها ان شاء الله تعالى تجدي * وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم * وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل * وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول * فرحم الله امرأ نظر بعين الانصاف اليه * ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه * وقد قلت حمدت الله ربي اذ هداني لما أبديت مع عجزي وضعفي فمن لي بالخطا فأرد عنه ومن لي بالقبول ولو بحرف * هذا ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك * لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك وعسى الله أن ينفع به نفعا جما ويفتح به قلوبا غلفا وأعينا عميا وآذانا صما * وكأني بمن اعتاد المطولات وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسما وعدل الى صريح العناد ولم يوجه الى دقائقها فهما * ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى * رزقنا الله هداية الى سبيل الحق وتوفيقا * واطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقا * وجعلنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (وفرغ) من تأليفه يوم الاحد عاشر شوال

جلال الدين المحلي) كان على غاية من العلم والعمل والزهد والورع والحلم حتى كان من أخلاقه انه يقضي حوائج بيته بنفسه مع كونه كان عنده الخدم والعبيد (قوله وقد أفرغت فيه) الضمير عائد على ما في قوله آخر ما كملت به وكذا بقية الضمائر (قوله جهدي) بفتح الجيم وضمها أي طاقتي (قوله وبذلت فكري) الفكر قوة في النفس يحصل بها التأمل (قوله في نفائس) أي دقائق ونكات مرضية (قوله أراها) بفتح الهمزة وضمها (قوله تجدي) أي تنفع (قوله قدر ميعاد الكليم) أي وهو أربعون يوما لانه سيأتي انه ابتدأ فيه أول يوم من رمضان وختمه لعشرة من شوال وفي ذلك اشارة الى ان في هذه المدة حصل لموسى الفتح واعطاء التوراة وهي كلام الله فقد خلعت على خلعة من خلعه حيث فتح علي في تلك المدة بخدمة كلام الله والاخبار بذلك من باب التحدث بالنعمة فان هذا الزمن عادة لا يسع هذا التأليف الا بمعونة من الله سيما مع صغر سن الشيخ حينئذ فانه كان عمره أقل من اثنين وعشرين سنة بشهور (قوله وهو) أي ما كملت (قوله مستفاد من الكتاب المكمل) هذا تواضع من الشيخ واشارة الى انه حذا حذوه واقتفى أثره فالشيخ المحلي قدس الله روحه قد سن سنة حسنة للشيخ السيوطي فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة (قوله وعليه) أي الشيخ أو الكتاب المكمل وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم والاعتماد مبتدأ مؤخر وقوله في الآي الخ متعلق بالاعتماد والمعول معطوف على الاعتماد عطف مرادف (قوله بعين الانصاف) اما على حذف مضاف أي بعين صاحب الانصاف أو في الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الانصاف بانسان ذي عين وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو العين فاثباته تخييل واحترز بعين الانصاف من عين الاعتساف فانها لا ترى محاسنا أصلا كما قال العارف

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

(قوله ووقف فيه على خطا) أي اطلع عليه (قوله فاطلعني) أي دلني عليه وعرفني به (قوله وقد قلت) أي شاكرا الله سالكا سبيل الاعتذار (قوله اذ هداني) أي لاجل هدايته لي (قوله لما أبديت) متعلق بهداني (قوله فمن لي بالخطا) أي من يتكفل لي باظهار الخطا (قوله فارد عنه) أي أجيب عنه أو أصلحه (قوله ومن لي بالقبول) أي من يبشرني بالقبول من الله لهذا التأليف ولو بحرف لان القبول من رحمة الله ومن رحمه لا يعذبه (قوله هذا) أي افهم وتأمل ما ذكرته لك (قوله في خلدي) بفتحتين معناه البال والقلب (قوله لذلك) أي لتأليف تلك التكملة (قوله المسالك) أي مسالك التفسير الذي هو أصعب العلوم لاحتياجه الى الجمع بين المعقول والمنقول (قوله وعسى الله) هذا ترج من الشيخ رضي الله عنه وقد حقق الله رجاءه (قوله جما) بفتح الجيم أي كثيرا (قوله غلفا) أي مغطاة ممنوعة من فهم علم التفسير المصون به (قوله عميا) أي لا تبصر فاذا نظرت فيه وتأملته فأرجو أن يزول عنها العمى لتبصره وتدركه (قوله وآذانا صما) أي فبسماعه يزول عنها الصمم وتصير مستمعة لدقائق التفسير (قوله وكأني بمن اعتاد المطولات) أي ملتبس بمن اعتاد فالباء للالبسة ويصح أن تكون بمعنى من والمعنى وكأني قريب ممن اعتاد الخ (قوله وقد أضرب) أي أعرض (قوله وأصلها) أي وهي قطعة الجلال المحلي (قوله حسما) الحسم المنع والقطع وهو مفعول مطلق مؤكد لعامله المعنوي الذي هو أعرض كأنه قال وقد أعرض اعراضا (قوله وعدل) أي مال (قوله الى صريح العناد) من اضافة الصفة للموصوف أي العناد الصريح (قوله ومن كان في هذه) أي التكملة مع أصلها وفي بمعنى عن وقوله أعمى أي معرضا عنها وغير واقف على دقائقها وقوله فهو في الآخرة المراد بها المطولات وقوله أعمى أي غير فاهم لها وهو اقتباس من الآية الشريفة والاقتباس تضمين الكلام شيأ من القرآن أو الحديث لا على أنه منه (قوله رزقنا الله به الخ) هذا الضمير وما بعده لما كمل به (قوله هداية) أي وصولا للمقصود (قوله على دقائق كلماته) أي القرآن (قوله مع الذين أنعم الله عليهم) المراد بالمعية أنه يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وان كان كل في منزلته (قوله وفرغ من تأليفه) أي جمعه وتسويده

سنة سبعين وثمانمائة وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر سنة احدى وسبعين وثمانمائة والله أعلم * قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي أخبرني صديق الشيخ العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ الامام جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى انه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور أيهما أحسن وضعي أو وضعك فقال وضعي فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها وكأنه يشير الى اعتراض فيه بلطف ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيأ يجيبه والشيخ يتبسم ويضحك قال شيخنا الامام العلامة جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة الذي أعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى في قطعته أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لامرية عندي في ذلك وأما الذي رؤي في المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به الى المواضع القليلة التي خالفت وضعه فيها لنكتة وهي يسيرة جدا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع منها أن الشيخ قال في سورة ص والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه وكنت تبعته أولا فذكرت هذا الحد في سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الآية فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه فالامساك عن تعريفها أولى ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في جمع الجوامع والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها ومنها أن الشيخ قال في سورة الحج الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك في سورة البقرة وزدت أو النصارى بيانا لقول ثان فانه المعروف خصوصا عند أصحابنا الفقهاء وفي المنهاج وان خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى في أصل دينهم حرمن وفي شرحه أن الشافعي رضي الله عنه نص على ان الصابئين فرقة من النصارى ولا أستحضر الآن موضعا ثانيا فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير الى مثل هذا والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بدليل قوله وفرغ من تبييضه (قوله سنة سبعين وثمانمائة) أي وذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين (قوله وفرغ من تبييضه) أي تحريره ونقله من المسودة (قوله سادس صفر) أي فكانت مدة تحريره أربعة أشهر الا أربعة أيام (قوله السيوطي) بضم السين نسبة لسيوط قرية بصعيد مصر واعلم أنه قد وجد بهامش ختم هذه التكملة مما هو منقول على خط السيوطي ما نصه قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي أخبرني صديق الشيخ العلامة كمال الدين المحلي الخ فليس من أصل تأليف السيوطي والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب قال مؤلفه وكان الفراغ من تسويد هذا الجزء يوم الخميس المبارك ثالث عشر شعبان سنة خمس وعشرين ومائتين وألف من هجرة من له العز والشرف عليه أفضل الصلاة والسلام بمشهد الامام الحسين رضي الله تعالى عنه وعنا ومدنا من مدده آمين

﴿ تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أوله سورة الكهف ﴾

﴿ فهرست الجزء الثاني من حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين ﴾

﴿ تمت ﴾